

**THE BOOK WAS  
DRENCHED**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190218**

UNIVERSAL  
LIBRARY









كتاب الروختين في أخبار الدولتين  
تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الصدر الكامل  
الوحيد فريد عصره وحيد دهره بمشروع الفضائل  
شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل  
ابن ابراهيم المقيمي الشافعي  
تجدد الله تعالى  
برحمته  
آمين  
م

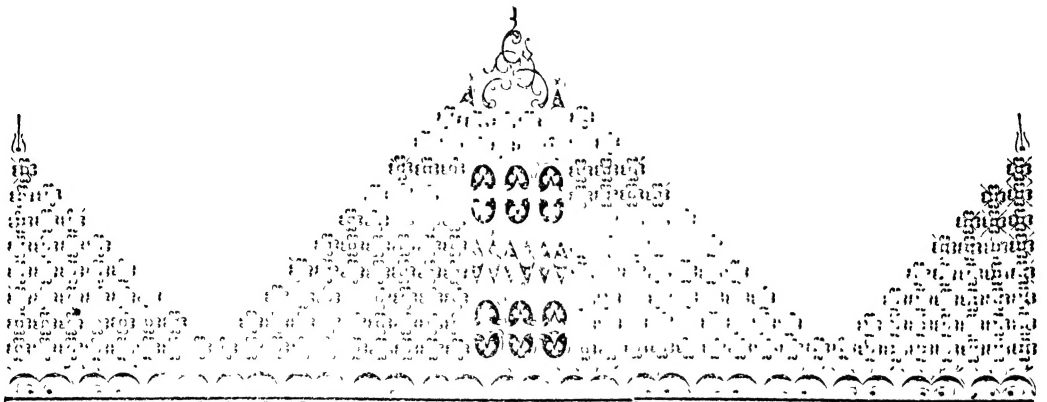
رواية الشيخ الامام محمد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي سماعه

## ﴿الجزء الاول﴾

(طبعة جديدة)

مطبعة وادي النيل بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٧



(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)  
(النورية والصلاحيه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بطفه تصلح الاعمال \* وبكرمه وجوده ندرك الآمال \* وعلى وفق مشيئته تنصرف الافعال \* وبارادته  
تتغير الاحوال \* واليه المصير والمرجع والمآل \* سبحانه هو الباقي بلا زوال \* والمتردد عن الحاول والانتقال \*  
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال \* ذر العرش والمعرج والظفر والاكرام والجلال \* نحمده على ما أسبغ  
من الانعام والافضل \* ومن به من الاحسان والبرال \* حمد الاتزان والجمال \* ملء السموات والارض وعلى  
كل حال \* ونصلى على رسوله ونبيه \* وخيرتنا من خلقه وصفيه \* وخليفه ووليه \* وحببيه المفضل \* سيدنا أبي  
القاسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ \* والنضل الشامخ \* والعلم الرايح \* والجمال والكمال \* صلى الله عليه وعلى  
الملائكة المقربين \* والانباء والمرسلين \* وعترتهم الطيبين \* ما أفل كوكب وطاع هلال \* وعلى آل محمد وحببه خير  
صحب وأكرم آل \* وعلى تابعيهم باحسان وجميع الاولياء والابدال \* وعقبا عن المقصرين من أمته أولى الكسل  
والمال \* وحشرنا في زمرة \* ممسكين بشريعتهم \* مقتدين بسنتهم \* متعافين بما ضرب من الامثال \* من دجين تحت  
لوائه \* في جملة أوليائه \* يوم لا بيع فيه ولا جلال \* (أما بعد) فانه بعد ان صرفت جل عمري \* ومعظم فكري \* في  
اقتباس الفوائد الشرعيه \* واقتناص الفرائد الادبيه \* عتلى أن أصرف الى علم التاريخ بعضه \* فأحوز بذلك سنة  
العلم وفرضه \* اقتداء بسيرة من مضى \* من كل عالم مر تضي \* فقل امام من الأئمة الا ويحكى عنه من أخبار من سلف  
فوائد جه \* منهم ما مننا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رأيت أحدا أعلم بآيام الناس من  
الشافعي ويرى عنه انه اقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه  
قلت وذلك عظيم الفائدة \* جليل العائده \* وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالنه  
وأبناء القرون الخالفه \* ما فيه عبر لذوى البصائر \* واستعداد ليوهم قبل السرائر \* قال الله عز وجل وهو أصدق  
الْقائِلِينَ \* وكلنا نقص عليكم من أبناء الرسل ما ثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظه وذكري للؤمنين \* وقال  
سبحانه وتعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه من درج حكمة بالغة فما غن النذر \* وحدث النبي صلى الله عليه وسلم

### كتاب الروضتين \* (٣) \* في أخبار الدولتين

بحديث أم ذرع وغيره مما جرى في الجاهلية \* والايام الاسرائيلية \* وحكى عجائب ما رآه ليلة أسرى به وعرج \* وقال  
حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج \* وفي صحيح مسلم عن سالم بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أ كنت تجالس رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا \* كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت  
قام وكانوا يتحدثون فإما خدرن في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم \* وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله  
عنه ما قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى نصبح ما يقوم الا الى عظم صلاه \* قلت ولم تزل  
الحكاية والتنابعون فن بعدهم يتفادون في حديث من مضى \* ويتذاكرون ما سبقهم من الاخبار وانقضى \*  
ويستشدون الاسعار \* ويتطلبون الآثار والاخبار \* وذلك بين من أفعالهم \* لمن اطلع على أحوالهم \* وهم السادة  
القدوة \* فلناهم اسوه \* فاعتديت بذلك وتصنعت \* ويحنت عنه مدة وتطلبه \* فوقفوا الحمد لله على جملة كبيرة  
من أحوال المتقدمين والمتأخرين \* من الانبياء والمرسلين \* والحكاية والتابعين \* والخلفاء والسلاطين \* والفقهاء  
والمحدثين \* والاولياء والصالحين \* والشعراء والنحويين \* وأصناف الخلق السابقين \* ورأيت أن المطلع على أخبار  
المقدمين \* كأنه قد عاصرهم اجمعين \* وأنه عندنا تذكروا في أحوالهم أو ذكرهم \* كأنه كان مشاهدهم ومحاضرتهم \*  
فهو قائم له مقام طول الحياء \* وإن كان ممجج الوفاء \* قال نعم بن حماد كان عبد الله بن المبارك يكثير الجالس في بيته  
فتميل له الانستوحش فقال كيف أستوحش رأيا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي رواية قال قيل لابن المبارك  
يا أبا عبد الرحمن تكثير القعود في البيت وحده فقال أنا وحدي أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في  
الحديث وفي رواية أخرى وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان قلت وقد أنشدت لبعض  
الفضلاء

كتاب اطالعه مسونس \* أحب الى من الانس

وادرسه فير بنى انقرو \* ن حضورا أعظمهم دارسه

وقد اختار الله سبحانه ان تكون آخر الامم واطلعنا على أنباء من تقدم لتعظ بما جرى على القرون الخالية \* وتعيها أذن  
واعيه \* فهل ترى لهم من باقية \* ولتقدمنا من الانبياء والائمة الصالحين \* ونرحب بتوفيق الله عز وجل ان  
نجتمع بمن يدخل الجنة منهم \* ونذكرهم بما نفل الينا عنهم \* وذلك على رغم أنف من عدم الادب \* ولم يكن له في هذا العلم  
ارب \* بل أقام على غيه واكب \* والمرمع من أحب \* هذا وان الجاهل بعلم التاريخ راكب ظهور عيما \* خبط خبط  
عشواء \* ينسب الى من تقدم أحب ارمي تأخر \* ويعكس ذلك ولا يتدبر \* وان رد عليه وهبه لا تنأثر \* وان ذكر لجهله  
لا يتذكر \* لا يفرق بين حجاب وتابيعي \* وحنفى ومالكى وسافعى \* ولا ينسب خليفة وأمير \* وسلطان ووزير \* ولا يعرف  
من سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم أكثر من ابنه من سبل \* فكيف له بمعرفة أصحابه وذلك الصدر الاول \* الذين بذروا  
ترتاح النفوس \* ويذهب البوس \* ولقد رأيت جملا \* جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا \* وفيهم فاضل قضاء ذلك الزمان \*  
 وغيره من الاعيان \* جفري يديهم وأنا أسمع \* ذكر من تحرم عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن \* فقال  
جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب \* وعدوا بأجمعهم في ذلك مما يجب \* تتعجب من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد  
المطلب والمطلب \* ولم يهتدوا الى أن المطلب هو عم عبد المطلب \* وان عبد المطلب هو ابن هاشم \* فأحقهم بلوم كل  
لائم \* ان هذا أصل من أصول الشريعة قد أهملوه \* وباب من أبواب العلم جهلوه \* ولزم من قولهم اخراج بنى المطلب من  
هذه الفضيلة \* فابتغيت الى الله تعالى الوسيلة \* وأنفت لنفسى من ذلك المقام \* فأخذتها بعلم أخبار الامم \* وتصحيح  
نسبتها \* وايضا محبتها \* فان كثير من يحفظ شيئا من الوقائع يفوته معرفة نسبته الى أربابها \* وان نسبها خلط فيها  
وصرفها عن أصحابها \* وهو باب واسع غزير الفوائد \* صعب المصادر والمراد \* زلت فيه قدم كثير من ثقله الاخبار \*  
ورواة الآثار \* ثم أردت ان اجمع من هذا العلم كتابا يكون حاويا لما حصلته \* وأتقن فيه ما خبرته \* فعمدت الى أكبر كتاب  
وضع في هذا الفن على طريقة المحدثين وهو تاريخ مدينة دمشق جامعها الله عز وجل الذي صنفه الحافظ الثقة أبو  
القاسم علي بن الحسن العسكاري رحمه الله وهو ثمانمائة جزء في ثمانين مجلدا فاختصرته وهذبته \* وزدته فوائدا من  
كتب أخر جلية واتقنته \* ووقف عليه العلماء \* وسمعه الشيوخ والفضلاء \* ومر بي فيه من الملوك المتأخرين \* ترجمة  
الملك العادل نور الدين \* فأطربني ما رأيت من آثاره \* وسمعت من أخباره \* مع تأخر زمانه \* وتغير حاله \* ثم وقفت

## كتاب (٤) الروضتين

بعد ذلك في غير هذا الكتاب على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهم في المتأخرين \* كالعمر بن  
رضي الله عنهم في المتقدمين \* فان كل ثان من الفريقين حذا حذو من تقدمه في العدل والجهاد \* واجتهد في اعزاز  
دين الله أي اجتماع \* وهما ملكا بلدتنا \* وسلطانا خطتنا \* خصنا الله تعالى بهما \* فوجب علينا القيام بذكر فضلها \*  
فعمزت على افراد ذكروا لهما بتصنيف \* يتضمن التقرير لهما والتعريف \* فاعله يقف عليه من الملوك \* من  
يسلك في ولايته ذلك السلوك \* فلا يبعدها حاجة من الله على الملوك المتأخرين \* وذكري منه سبحانه فان الذكرى  
تنفع المؤمنين \* فانهم قد يستبعدون من أنفسهم طريقة الخلفاء الراشدين \* ومن حذا حذوهم من الائمة السابقين \*  
ويقولون نحن في الزمان الاخير \* وما لا أولئك من نظير \* فكان لما قدر الله سبحانه من سيرة هذين الملكين الزام الحاجة  
عليهم عن هوى عصرهم \* من بعض ملوك دهرهم \* فلن يجزعن التشبه بهما احدا \* ان وفق الله الكريم وسدد \*  
وأخذت ذلك من قول أبي صالح لشعيب بن حرب المدائني رحمه الله \* وكان احدا السادة الا كابر في الحفظ والدين \*  
قال اني لا حسب يحيا بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على هذا الخلق يقال لهم ان لم تذكروا انبياءكم فقد رأيتم  
سفيان الا اتدعيتم به وشكذا أقول هذان الملكان حجة على المتأخرين \* من الملوك والسلطين \* فلهذا درهما من ملكين  
تعاقبا على حسن السيرة \* وجميل السريره \* وهما خفي وسافعي \* شقي الله بهما كل عي \* وظهرت بهما  
من خالقهما العنايه \* فتقارب حتى في العمر ومدة الولاية \* وهذه نكتة قل من نطق لها ونبه عليها \* ولطيفة هداى الله  
بتوفيقه اليها \* وذلك ان نور الدين رحمه الله ولد سنة احدى عشرة وخمسمائة \* وتوفي سنة تسع وستين \* وولد صلاح الدين  
رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفي سنة تسع وثمانين \* فكان نور الدين أسن من صلاح الدين بسنة واحدة  
وبعض أخرى وكلاهما لم يستكمل ستين سنة \* فانظر كيف اتفق ان بين وفاتيهما عشرين سنة وبين مولديهما احدى  
وعشرين سنة وملك نور الدين دمشق سنة تسع وأربعين \* وملك كها صلاح الدين سنة سبعين \* فبقيت دمشق في المملكة  
النورية عشرين سنة \* وفي المملكة الصلاحية تسع عشرة سنة \* تحي فيها السيئة وتكتب الحسنة \* وهذا من عجيب  
ما اتفق في العمر ومدة الولاية ببلدة معينة للملكين متعاقبين مع قرب السببه بينهما في سيرتهم ما والفضل للتعظيم فكانت  
زيادة مدته نور الدين كالنبيه على زيادة فضله \* والارصاد الى عظم محله \* فانه أصل ذلك الخير كله \* مهمل الا مور بعده  
وجهاده \* وهيمته في جميع بلاده \* مع شدة الفتق \* واتساع الخرق \* وتحم من البلاد \* ما استعين به على مداومة  
الجهاد \* فهان على من بعده على الحقيقة \* سلوك تلك الطريقه \* لكن صلاح الدين أكثر جهادا \* وأعم بلادا \* صبر  
وصابر \* ورباط وثابر \* وذخر الله له من الفتوح أنفسه \* وهو الذي فتح الارض المقدسه \* فرضى الله عنهما \* فها أحقهما  
بقول الشاعر

(كم نرك الاول لا آخر)

وأبس الله هاتيك العظام وان \* بلين تحت الثرى عفوا وغفرا

يسقى ترى أودعوه رحمة ملأت \* منوى قبورهم روحا ورحانا

وقد سبقني الى تدوين ما أثرها جماعة من العلماء \* والا كابر الفضلاء \* فقد كرا الحافظ الثقة أبو القاسم علي بن الحسن  
الدمشقي في تاريخه ترجمة حسنة لنور الدين \* ودين زكي رحمه الله ولا جله \* ثم ذلك الكتاب وذكري اسمه في خطبته  
وذكري الرئيس أبو يعلى حمزة بن أسد التيمي في مذييل النار فيج الدمشقي قطعة صالحة من أوائل الدولة النورية الى سنة  
خمس وخمسين وخمسمائة \* وصنف الشيخ الفاضل عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري عرف  
بابن الاثير بمجلدة في الايام الاتاكية كلها وما جرى فيها وفيه شيء من أخبار الدولة الصلاحية لتعلق احدى الدولتين  
بالأخرى لكونها متفرعة عنها \* وصنف القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصل في عرف بابن  
شدد القاضي حلب بمجلدة في الايام الصلاحية وسياق ما تيسر فيها من الفتوح واستفتح كتابه بشرح مناقب صلاح  
الدين رحمه الله تعالى \* وصنف الامام العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني كتابين  
كلها مسجوع متقن بالالفاظ الفصيحة والمعاني الصحيحة أحدهما الفتح القدسي اقتصر فيه على فتوح صلاح  
الدين وسيرته فاستفحه بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والثاني البرق الشامي ذكر فيه الوقائع والحوادث من الفزوات  
والفتوحات وغيرهما ما وقع من سنة وروده دمشق وهي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة الى وفاة صلاح الدين وهي

## في أخبار (٥) الدولتين

سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن العماد في كتابه طويل النفس في السجع والوصف على الناظر فيه \* ويذهل طالب معرفة الوقائع عما سبق من القول وينسيه \* فخذت تلك الاسجاع الاقليلا منها استحسنتها في مواضعها ولم تلجأ خارجة عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقائع نحو ما استراه في أخبار فتح البيت المقدس سره الله تعالى واذنعت المقصود من الاخبار من بين تلك الرسائل الطوال \* والاسجاع المفضية الى الملل \* وأردت أن يفهم الكلام الخاص والعام واخترت من تلك الاسعار الكثيرة قليلا مما يتعلق بالقصص وشرح الحال \* وما فيه من نكتة غريبة وفائدة لطيفة ووزنت على مجلدات من الرسائل الفاضلة \* وعلى مجلد من الاسعار الحمادية \* مما ذكره في ديوانه دون برقه وعلى كتب أخرى من دواوين وغيرها فالتفتت منها أسماء مما يتعلق بالدولتين أو أحدهما وبعضه سمعته من أفواء الرجال البقاء \* ومن المدركين لذلك الاوقات \* فاختصرت جميع ما في ذلك من أخبار الدولتين وما حدث في مدتيهما من وفاة خليفة أو وزير \* أو أمير كبير \* أو ذي قدر خطير \* وغير ذلك \* فجاءه بالطيف \* وكتابا طريفا \* يصلح لمطالعة الملوك والاكابر \* من ذوي المآثر والمفاخر \* وسميته (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) ولله در حبيب بن أوس حيث يقول

ثم انقضت تلك السنون وأهلها \* فبكأنها ونائم أحلام

(فصل) أما الدولة النورية: فسلطانها الملك العادل نور الدين أبو النعمان محمود بن عماد الدين اتابك وهو أبو سعيد زكي بن قسم الدولة آق سنقر التركي ولقب زكي أيضا بلقب والده قسم الدولة ويقال لنور الدين بن النعمان وسنتكلم على أخبار أسلافه عند بسط أوصافه وقدمت من أجمال أحواله ما يستدل به على أفعاله ذكر الحافظ أبو النعمان في تاريخه أنه ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأن جدّه آق سنقر ولي حلب وغيره من بلاد الشام ونشأ أبوه زكي بالعراق ثم ولي ديار الموصل والبلاد الشامية وظهرت كفايته في مقابلة العدو عند نزوله على شيرز حتى رجع خائبا وفتح الرها والمعرّة وكفرطاب وغيره من الحصون الشامية واستنقذها من أيدي الكفار فلما انقضى أجله قام ابنه نور الدين مقامه وذلك سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ثم قصد نهر الدين حلب فإكها وخرج غازيا في أعمال تل باشر فاتمحت حصونا كثيرة من جملتها قلعة عزاز ومرعش وتل خالد وكسر ابرنس انطاكية وقتله وثلاثة آلاف افرنجي معه وأظهر بحلب السنة وغير البدعة التي كانت لهم في الناصرة وقعه بها الرافضة وبنيها المدارس ووقف الاوقاف وظهر العدل وحاصر دمشق مرتين وفتحها في النالمة فضبط أمرها وحصن سورها وبني بها المدارس والمساجد وأصلح طرقاتها ووسع أسواقها ومنع من أخذها كان يؤخذ منهم من المغارم بدار البطح وسوق الغنم واليكالة وغيرها وعاقب على شرب الخمر واستنفذ من العدو بغربانيس والمنيطرة وغيرها وكان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يندم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير ووقف رحمه الله ووقوفه على المرضى وعلى الخط والقرآن وساكني الحرمين وأقطع أمراء العرب لثلاثي عشرة ألفا حاج وأمر بكل سور المدينة واستخرج العين التي بأحد وبني الربط والجسور والخانات وجدد كثير من قنى السبيل وكذا صنع في غير دمشق من البلاد التي ملكها ووقف كتب كثيرة وحصل في أسر جماعة من أمراء الفرنج وكسر الروم والأرمن والفرنج على جرم وكان عدتهم ثلاثين ألفا ثم فتح جازم وأخذ أكثر قري انطاكية ثم فتح ديار مصرية وكان العدو قد أشرف على أخذها ثم أظهر بها السنة وانتفعت البدعة وكان حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية متبع للإمام النابويه مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على تلاوة القرآن حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصد في الانفاق متحريرا في المطاعم والملابس لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في خبره واشتهى ما إليه كلمة حتى يسمعها أو ارشاد إلى سنة يتبعها وقال أبو الحسن بن الاثير قد طاعت توارى الملوك المدة من قبل الاسلام وفيه إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحررا للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهزه ومظلمة ينيلها وعبادة يقوم بها واحسان يوليها وانعام يسديها ونحن نذكر ما نعلمه بمحلى في أمر دنياه وآخره فلو كان في أمة لا فقرت به فكيف بيت واحد اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة خاثر بلاده وأمواله الأياكل ولا يلبس ولا



## كتاب (٦) الروضة

يتصرف فيما يخصه الامن ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنية ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له من ذلك فاخذوا ما افترضوه بجلده ولم يتعدوا الى غيره البتة ولم يلبس قط ساحر من الشرع من حبر او ذهب او فضة ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن ادخلها الى بلد ما وكان يحذر بها الحد الشرعي كل الناس عنده فيه سوا

حدثني صديق لنا بدمشق كان رضيع الخانونة ابنة معين الدين زوجه نور الدين ووزيرها قال كان نور الدين اذا جاء اليها يجلس في المكان المختص به وتقوم في خدمته لا تتقدم اليه الا ان يأذن في اخذ ثيابه عنه ثم تعزل عنه الى المكان الذي يختص بها وينفرد بها وتارة يطالع رفاع اصحاب الاسغال او في مظالعة كتاب اناءه ويجب عنهما وكان يصلي في طيل الصلاة وله اوراق في النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر الركوب ويشغل بهام الدولة قال وانما قلت عليهم النفقة وليكن ما كان قتره لها فارسلتني اليه اطلب منه زيادة في وظيفة فلما قلت له ذلك شكر واجر وجهه ثم قال من أين أعطيها ما يكفيها ما لها والله لا أخوض نار جهنم في هواها ان كانت تظن ان الذي سدى من الاموال الى فئس الظن اعماهي أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كن من عدو الاسلام وانا خزنهم عليها فلا أخونهم فيها ثم قال لي بمدينته حصن ثلاثة دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلما أخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الابنية حسنه كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادات والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين يكتبه ويراسله ويرجع الى قوله ويعتقد فيه اعتقاد احسن فبلغه ان نور الدين يد من اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يجملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر وانما نحن في شعر العدو قريب منا وينما نحن جلوس اذ تقع صوت فركب في الطلب ولا يمكننا ان نضاملازمة الجهاد ليلانهارا شتاء وصيفا لاننا لا بد من الراحة للجنود حتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جاما لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ولا معرفة لها أينضا بسرعة الانعطاف والطاعة لركبها في الحرب فهذا والله الذي بعثني على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المعلوم الظير الذي يقل في اصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة من له فان من يجرى الى اللعب يفعل به بنية صالحة حتى يصير من اعظم العبادات واكبر القربات يقل في العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه افعال العباد الصالحين العالمين وحكي عنه انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحصرها عنده فوصفت له فلم يلبثت اليها وبيناهم معه في حديثها واذا قد جاءه رجل صوفي فامر بهاله فقبل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولواعطى غيرها كان أنفع له فقال اعطوها له فاني ارجو ان اعوض عنها في الآخرة فلبت اليه فسار بها الى بغداد فباعها باسمائة دينار اميري اوسبعمائة دينار قلت قرأت في حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطى اياها قال اعطاها الشيخ الصوفية عماد الدين أبي الفتح بن حموي بغير طلب ولا رغبة فبعها الى همدان فبيعت بألف دينار قال ابن الاثير وحكي لنا الامير بهاء الدين علي بن السكري وكان خصيصا بخدمة نور الدين قد صحبه من الصبا وأنس به وله معه انبساط قال كنت معه يوما في الميدان بالرها والشمس في ظهورنا فكلما سمرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظننا وراءنا فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي اتدري لاي شيء أجرى فرسي وألتفت ورأى قلت لا قال قد شبهت ما نحن فيه بالدينا تهرب من يطلبها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عن ملك يفكر في مثل هذا وقد أنشدت بيتين في هذا المعنى

مثل الرزق الذي تطلبه \* مثل الظل الذي يمشي معك

أنت لا تدركه متبعا \* فاذا ولت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعني نور الدين رحمه الله يصلي كثيرا من الليل ويدعو ويستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى ان يركب جمع السجادة والخشوع لربه \* ما أحسن المحراب في المحراب قال وكان عارفا بالفتوة على مذهب الامام أبي حنيفة رضى الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سجيته في كل شيء وسمع الحديث وأسمعه طلبا للاحر وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اتباع سنة العدل والانصاف وترك

## في أخبار (٧) الدولتين

الحرمات من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشريعة ونواهيها والزم بذلك اتباعه وذوبه فاقضى به غيره منهم واستحبوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة قال فان قال فائل كيف يوصف بالزهد من له المالك الفسيحة وتجيى اليه الاموال الكثيرة فليذكرني الله سليمان ابن داود عليهم السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين في زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضر موت واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود السام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا لا خلو اليد عنها قال وأما عدله فانه كان أحسن الملوكة سيرة وأعدلهم حكماً فمن عدله انه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا ميسرة ولا عسرة ابل اطلقها رجه الله جميعها في بلاد السام والجزيرة جميعها والموصل وانما الهادي يرمض وغيرهما ما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا وهذا لم يتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوي والضعيف عنده في الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير فلا جرم سار ذكره في سيرة الارض وغربها قال ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها ويتقوى بها ولا يتجرس لها غشى أو أمرها فمن اتبعه أحكامها انه كان يلعب بدمسقي بالكره رأى انسانا يحدث آخر ويؤي بيده اليه فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال لي مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضي ليحضره الى مجلس الحكم بما كني على الملك الفلاني فعاد اليه ولم يتجاسر ان يترفع ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالق الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضي وهو حينئذ كمال الدين ابن الشهرزوري وأرسل الى القاضي بقوله له اني قد جئت محمداً كما فاسلكه معي مثل ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى خصمه وحاكه فلم يثبت عليه حق وأما الملك لنور الدين فعال نور الدين حينئذ للقاضي وان حضر هل ثبت له عندي حق قالوا فقال الشهد والاني قد وهله هذا الملك الذي قد حاكني عليه وهو له دوني وقد كنت أعلم انه لا حق له عندي وانما حضرت معه لثلايظن اني فليتظهر ان الحق لي وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراى فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق الموافقة معه قلت وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فيه زمنة وترقى الكلمة والافقدا انقاد الى المصلى الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر وعلى رضى الله عنهم حكى نحو ذلك عن أبي جعفر المنصور وقد نقلنا ذلك كله في التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريش الحكيم أنه حضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد المغني ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى بلحب الى الحكيم نفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلم ان رسول الحاكم بالباب فانكر عليه تجبته وفامرجه الله رعا ووجد في أنباء طريقه ما منعه من العبور من حفر جب بعض الحسوس واستخرج ما فيه فوكل من ثم وكيلاً لمده عليه شاهدين بالتوكيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوكة فكذا الا عصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية غير تعدد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولا يته مع شدة السياسة والمبالغة في العقوبة اخذ بالظنة وأمنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر قال وحكى لي من أتق به انه ل يوماً الى خزنة المال فرأى فيها ما لا أنكره فسأل عنه فقيل ان القاضي كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء وأمر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله الى الخزنة الى كمال الدين فردّه الى الخزنة وقال اذا سألت الملك العادل عنه فقولوا له عني انه قد دخل نور الدين زانة مرة أخرى فرأه فأنكر على النواب وقال ألم أقل لك يعاد هذا المال على أصحابه فذكر واليه قول كمال الدين ذه اليه وقال بالرسول قل لك كمال الدين أمت تقدر على حمل هذا المال وأما أنا فربقي دقيقة لأطيق حمله والمخاصمة بين يدي الله تعالى يعام قولا واحداً قال ومن عدله أيضاً عدم موته وهو من أعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق استوطن وأقام بها ما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفي تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه

## كتاب (٨) الروضتين

لم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويسكن وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين لورأيتنا وما نحن فيه من الظلم  
رحمتنا يسعدك وقد تتر به نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين  
فقبل له احفظ البلد والريعية والخرج عن يدك فأرسل الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه  
يطيب قابله ووهبه شيئاً وأنصفه فبكي أسد من الأول فقال له صلاح الدين لم تبكي قال ابكي على سلطان عدل فينا بعد  
موته ففعال صلاح الدين هذا هو الحق وكما ترى فينا من عدل فنه تعالاه قلت ومن عدله ان بنى دار العدل قال ابن  
الانبركان نور الدين رحمه الله أول من بنى دارالالكشف وسماها دار العدل وكان سبب بنائها انه لما طال مقامه  
بدمشق وأقام بها أمر أوده وفيهم أسد الدين شيركوه وهو أكبر أمير معه وقد عظم شأنه وعلامة مكانه حتى صار كأنه شريك  
في الملك واقتنوا الاملاك وأكثروا تعدى كل واحد منهم على من يجاوره في قرية أو غيرها فكثرت البكاوى  
الى كمال الدين فانصف بعضهم من بعض ولم يقدم على الانصاف من أسد الدين شيركوه فانه بنى الحلال الى نور الدين  
فامر حينئذ ببناء دار العدل لما سمع أسد الدين بذلك أحضر نوابه جميعهم وقال لهم اعلما وان نور الدين ما أمر ببناء  
هذه الدار الا بسببي وحدي والافس هو الذي يمنع على كمال الدين ووالله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحدكم  
لا صلبته فامضوا الى كل من بينكم وبينه منازعة في ملك أو فصول الحال معه وأرضى دباي شيء أمكن ولو أتى ذلك على جميع  
ما يبدي فقالوا له ان الناس اذا علموا هذا اشتطوا في الطلب فقال خروج املاكى عن يدي أسهل على من ان يرا  
نور الدين بعين أتي ظالم أو يساوى بيني وبين أحد العامة في الحكومة فخرج أصحابه من عنده وفعلموا ما أمرهم وأرض  
خصماءهم وأنهدوا عليهم فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكمات وكان يجلس في الاسبوع  
يومين وعنده القاضي والفقهاء وبقى كذلك مدة فلم يحضر عنده أحد يسكرو من أسد الدين فقال نور الدين لكمال الد  
ما أرى أحدا يسكرو من شيركوه فترفع الحال فسجد سكر الله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل أحبياءنا ينصفون  
أنفسهم قبل حضورهم عندنا قال ابن الاثير فانظر الى هذه المعدلة ما أحسنها والى هذه الهيبة ما أعظمها  
السياسة ما أسدّها هذا مع انه كان لا يري قوما ولا يبالغ في عنفوبة واما كان يفعل هذا صدقه في عدله و  
قال وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية اليه فيهم ما فانه أصبر الناس في الحرب وأحسنهم كميدة ورأيا و  
معرفة بأموال الجناد وأحوا لهم وبه كان يضرب الممل في ذلك سمعت جمعا كثيرا من الناس لا أحصيهم يقولون  
لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه كما خلق عليه لايه ترك ولا ينزل وكان من أحسن الناس لعبا بالكرة و  
عليها لم يرجو كانه يعلم على رأسه وكان رما يضرب الكرة ويمجرى الفرس ويتناولها بدم من الهواء ورميها  
الميدان وكانت يده لا ترى والجوكان فيها بل تكون في كم قبائه اسنانه باللعب وكان اذا حضر الحرب أخذ  
وتركشيين وبأسر القتال بنفسه وكان يقول طالما تعرضت للسمه فله أدركها سمعه يوما الامام قطب  
الدينس ابوري الفقيه السافعي وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك وبالا سلام والمسلمين فانك عمادهم  
اصبت والعياد بالله في معركة لا يبق من المسلمين أحد الا أخذ السيف وأخذت البلاد فقال يا قطب الدين ومن  
حتى يقال له هذا قبلى من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو قال وكان رحمه الله يكثر اعمال الج  
والمكر والخداع مع الفرنج خذلهم الله تعالى وأكثروا ما ملكه من بلادهم به ومن جيد الراى ما سلكه مع ملج بن ليون  
ملك الارمن صاحب الدروب فانه ما زال يخذله ويستميله حتى جعله في خدمته وسفرا وحضر او كان يقاتل به الاقر  
وكان يقول انما جلننى على استمالة ان بلاد حصينة وعز المسالك وقلاع منيعة وليس لنا اليها طريق وهو يخبر  
منها اذا أراد فينال من بلاد الاسلام فاد اطلب الحجر فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيئا من  
الاقطاع على سبيل التآلف حتى أجاب الى طاعته واخدمتنا وساعدنا على الفرنج قال وحيث توفي نور الدين رحمه اذ  
وسلك غيره غير هذا الطريق ملك المتولى الارمن بعد ملج كثيرا من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عا  
وخرق واسع لا يمكن رقعته قال ومن أحسن الاراء ما كان يفعل مع أجناده فانه كان اذا توفي أحدهم وخلف ولدا  
الاقطاع عليه فان كان الولد كبيرا استبد بنفسه وان كان صغيرا رتب معه رجلا عاقلا شق اليه في تولى أمر  
يكبر فكان الجناد يقولون هذه أملا كثيرا الولد عن الوالد فحق نقاتل عليها وكان ذلك سببا عظيما

## في أخبار (٩) الدولتين

الموجبة للصبر في المشاهد والحروب وكان ايضا ثبت اسماء اجناد كل أمير في ديوانه وسلاحهم خوفا من حرص بعض الامراء وشبهه ان يحمله على ان يفتصر على بعض ما هو مقرر عليه من العدد ويقول نحن كل وقت في النفير فاذا لم يكن أجناد كافية الامراء كمالى العدد والعدد دخل الوهن على الاسلام قال ولقد صدق رضى الله عنه فيما قال وأصاب فيما فعل فلقد رأيت ما خافه عيانا قال وأما فعله في بلاد الاسلام من المصالح مما يعود الى حفظها وحفظ المسلمين فكثير عظيم من ذلك انه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فنها لب وسجاء وحص ودمشق وبارين وشيرز ومنبج وغيرها من القلاع والحصون وحصنها وحكم بناءها واخرج عليها من الاموال ما لا تسع يد النفوس وبني أيضا المدارس بحلب وحمص ودمشق وغيرها للشافعية والحنفية وبني الجوامع في جميع البلاد في جامعها في الموصل اليه النهاية في الحسن والافتقار ومن أحسن ما عمل فيه انه فوض أمر عمارة والخروج عليه الى الشيخ عمر الملا رحمه الله وهو رجل من الصالحين فقبل له ان هذا لا يسلم لمثل هذا العمل فقال اذا وليت العمل بعض أصحابي من الاجناد والكتاب اعلم انه يظلم في بعض الاوقات ولا يفي الجامع بظلم رجل مسلم واداولت هذا الشيخ غلب على ذنبي انه لا يظلم فاذا ظلم كان الاثم عليه لا على قال وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم وبني أيضا مدينة جاد جامعها على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأزهرها وجد في غيرها من عمارة الجوامع ما كان قد تهم اما برزله وأغرها وبني البيمارستانات في البلاد ومن اعظم البيمارستان الذي بناه به دمشق فانه عظيم كثير الخرج جدا بلغني انه لم يجعله وقفا على الفقراء حسب بل على كافة المسلمين من غني وفقير قلت وقد وقفت على كتاب وقفه فلم أجد مشعر بذلك وانما هذا كلام شاع على ألسنة العامة لنفع ما قدره الله تعالى من مناجاة الاغنياء للفقراء فيه والله المستعان وانما صرح بأن ما يعز وجوده من الادوية الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتياج اليه من الاغنياء والفقراء فخص ذلك بذلك فلا ينبغي ان يتعدى الى غيره لاسيما وقد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمنقطعين وقال بعد ذلك من جاء اليه مستوصفا لمرضه أعطى وروى ان نور الدين رحمه الله شرب من شراب البيمارستان فيه وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف من جاء اليه مستوصفا لمرضه أعطى والله أعلم وبلغني في أصل بنائه نادرة وهي ان نور الدين رحمه الله وقع في أسر بعض أكارم ملوك الفرنج خذله الله تعالى فقطع على نفسه في فدائه ما لا عظميا فشاور نور الدين أمراءه فكل أشار بعدم اطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الردى بعدما استخار الله تعالى فاطلعه ليلا لئلا يعلم أصحابه وتسلم المال فلما بلغ الفرنج ما آمنه مات وبلغ نور الدين خبره فأعلم أصحابه ففجبروا من لطف الله تعالى بالمسلمين حيث جمع لهم الحسنتين وهما الفداء وموت ذلك الملعين فبني نور الدين رحمه الله بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانه لم يكن عن ارادتهم كان قال ابن الاثير وبني أيضا الخانات في الطرق فأمن الناس وحفظت أموالهم وباتوا في الشتاء في كن من البرد والمطر وبني أيضا الابراج على الطرق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور والحوادى فاداروا من العدو وأرسلوا الطيور فأخذ الناس حذرهم واحتاطوا لانفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من ألطف المكر وأكثرها نفعاً قال وبني الربط والخاناتها في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدزع عليهم الادارات الصالحة وكان يحضر مشايخهم عنده وبقية بهم ويدينهم ويسطهم ويتواضع لهم فاذا أقبل أحدهم اليه يقوم له من دفع عينه عليه ويعتقه ويحلبه معه على سجدته ويقبل عليه بحديثه وكذلك كان أيضا يفعل بالعلماء من التعظيم والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر فنصده من البلاد الشاسعة من خراسان وغيرها وبالجملة كان أهل الدين عنده في أعلى محل وأغناه وكان أمرؤه يحسدونهم على ذلك وكانوا يقعون عنده فيهم فينهم واذانهم لو اعن انسان عيبا بقول ومن المعصوم وانما الكامل من تعدد نوبه قال وبلغني ان بعض أكارم الامراء حسد قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه من خراسان وبالغ في اكرامه والاحسان اليه فحسده ذلك الامر فمال منه يوما عند نور الدين فقال له يا هذا ان مات قول فله حسنة تغفر كل زلة تذكرها وهي العلم والدين وأما أنت واصحابك ففقيمكم أضعاف ما ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها ولو عقلت لشغلناك عيبك عن غيرك وأنا أحتمل سيا نكم مع عدم حسنتكم أفلأجل سيئة هذا ان صحت مع وجود حسنته على اني والله لأصدقك فيما تقول وان عدت ذكرته أو غير بسوء لا تؤدبك فكف عنه قال ابن الاثير هذا والله هو الاحسان والفعل

الذي ينبغي ان يكتب على العيون بماء الذهب وبني بدمشق أيضا دار الحديث ووقف عليها وعلى من بها من المستغنين بعلم الحديث ووقفا كبيرة وهو أول من بنى دار الحديث فيما عظمناه وبني أيضا في كثير من بلادهم مكاتب للآيتام وأجرى عليهم وعلى معلمهم الجرايات الوافرة وبني أيضا مساجد كبيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن قال وهذا فعل لم يسبق اليه بلغني من عارف بأعمال الشام ان ووقف نور الدين في وقتنا هذا وهو سنة ثمان وستمائة كل شهر تسعة آلاف دينار صوريه ليس فيها غير ملك صحيح شرعى ظاهر او باطنا فإنه وقف ما انتقل اليه ووزن ثمنه أو ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار سهمه قال وأما هيئته ووفاره فاليه النهاية فيهما ولقد كان كما قيل شديدا في غير عنف رقيقا في غير صعف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فإنه ضبط باموس الملك مع أجناده وأصحابه الى غاية لا مزيد عليها وكان يارزهم بوظائف الخدمة الصغير منهم والكبير ولم يجلس عنده أمير من غير ان يأمره بالجلوس الانجم الذين أيوب والد صلاح الدين يوسف وأما من عداه كاسد الدين شير كرم ووجد الدين بن الداية وغيرهما فانهم كانوا اذا حضروا عنده يقفون تياما الى ان يأمرهم بالعود وكان مع هذه العظمة وهذا الناموس القاسم ادا دخل عليه التقيفة أو الصوفي أو الفقير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كأن يدأرب الناس اليه وكان اذا دعا الى أحد من شياطينه قال هؤلاء هم بيت المال حق فاذا أقعروا منا بعهضه فلهم المنة علينا وإن لمسه بكأروى في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكم وحياء لا تؤبن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يدكر فيه الا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو ولا يتعدى هذا بلغني ان الحافظ ابن عساكر الدمشقي رضى الله عنه حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فرأى فيه من اللغات وسوء الادب من الجلوس فيه ما لا حد عليه فسرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المحدثين وقلده اسماعيلهم فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلاحي وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين يوسف على انقطاعه فقال نزهت نفسي عن مجلسك فأنى رأيته كبعض مجلس السوقة لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد جواب متكلم وقد تكابالا من نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأننا على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم أنصتنا واذا تكلمنا استمع لنا فقدم صلاح الدين الى أصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ قال ابن الاثير فهكذا كانت أحواله جميعا رحمه الله فمضبوبة مخفوفة وأما حفظ أصول البيانات فإنه كان من أعيانها لا يهملها ولا يمكن أحد من الناس من ان يماريها يخالف الحق ومتى أقدم مقدم على ذلك أدبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحفظ البرق من لمر وطاع دار بريق والادى الحاصل من ماقرب أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما ناقضه وهو الاصل قال وحكى ان انسا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والانسك وقد كثرتابعه أظهر شيئا من التشبيه فبالغ خبره نور الدين فاحضره وأركبه جارا وأمره بصفحه فطيف به في البلاد جميعه ونودي عليه هذا جزء من أظهر في الدين البدع ثم نقاد من دمشق فقصص حزان وأدام بها الى ان مات قال ويسوق الله الفصار الالعام الى البلاد الوخمة تلت وكرامات الكاتبة في أول كتابه البرق السامى انه تقدم دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسائة في دولة الملك العادل نور الدين في حروب زنتكى وأخذ في وصفه بكلامه المسجوع فقال كان ملك بلاد الشام وما لكها والذي بعده مما لكها الملك العادل نور الدين أعف الملوكة وأتقاهم وأثقبهم رأبا وأتقاهم وأعد لهم وأعبد لهم وأزهدهم وأجهدهم وأظهرهم وأقواهم وأقدرهم وأصلحهم عملا وأنجهم أملا وأرجحهم رأيا وأوحيهم طوبا وأصدتهم قولا وأتصدتهم طولا وكان عصره مفاخرا ونصره واصل وحكمه عادلا وفضله شاملا ورفاهه طيبا واحسانه صديا والقلوب بهاتيه ومحبتة متمتليه والنفوس بعاطفته وعارفته متمتليه وأوامره متمتليه وجدته منزوعة عن الغزل وتوابعه في أمن من العزل ردولته مأمولة مأمونه وروضته مصوبة مصونه والرياسة كامله والسياسة شاملة والزيادة زائده والسعادة مساعده والعيشة ناضرة والشيعة ناصره والانصاف صاف والاسعاف عاف وأزال الدين قوى وظما الاسلام روى وزند النجج ورى والسرع مشروع والحكم مسجوع والعدل مولى والنظم معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول وللتقى شروق ومال للفسوق سوق وهو الذى أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضرر فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها

وأشاع بها سعار الشرع في جميع الحبل والعمد والابرار والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الاسلام بالسام قدائع فتعاعها وعفي رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسروا ملوكهم وبنوا دسار ملوكهم وسان المغور منهم وحاشا عنهم وأحياء عالم الدين الدارس وبني للاثمة المدارس وأنشأ الخانات للصوفية وكثرها في كل بلد وكثر وقوفها وقبر معروفها وأدى للوفاء من جنى جناته قطوفها وأجدد الاسوار والخنادق وأغنى المرافق وحصى الخفائق وأمر في الطرقات ببناء الربط والخانات فضافت ضيوف الفضائل وناحت فيوض الافاضل وهو الذي فتح مصر وأعمالها وإنشأ دولتها وربطها ثم ذكر العماد في أنشاء حواديس سنة تسع وستين وهي السنة التي توفي فيها زراة بن قار

وفي هذه السنة أكرّم زراة بن من الأوف والصدقات وعماد المساجد المسمورة وتعمية آثارا لا نام واسقاط كل ما يدخل في شبهة الحرام فأبقى سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال وأمرني بكتب مناسير لجميع أهل البلاد فكتب أكرّم من ألف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في ذلك الشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار وكانت عادت في الصدقة أنه يحضر جماعة من أمال البلدان كل مختلف ويسألهم عن يعرفون في جوارهم من أعمل الحاجة ثم يصرف إليهم صديقاتهم وكان له برسم نفقة الخاص في كل شهر من خزب أهل الدمة مبلغ ألفي قرطيس يصرف في كسوته ونفقته وحوالته المهمة حتى أجرة خياطة وجامكية طباطخه ويستفضل منه ما يتصدق به في آخر الشهر وأما ما كان يهدي إليه من هدايا الملوك وغيرهم فإنه كان لا يتصرف في شيء منه لاقيل ولا كثير بل إذا اجتمع يخرج به إلى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرف في عمارة المساجد المسمورة وتقدم باحصاء ما في محال دمشق فأناف على مائة مسجد فأمر بعماد ذلك كله وعين له وقوفها ولواستعملت بذكر وقوفه وصدقاته في كل بلد لطلال الكتاب ولم يبلغ إلى أمدوم مشاهدة أبيته الدالفة على خلوص نيته يعني عن خبرها بالعيان وبكفي أسوار البلدان عن الربط والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المراسم وفي سرح طوله طول وعلمه لله مبرور مقبول وواظب على عقد مجالس الوعظ ونصب الكرام في لهم في القلعة لآثار والاتعاظ وأكبرهم الفقيه قطب الدين النيسابوري وهو مشغوف بركن أنفاسه واغتنام كلامه واقباسه ووفد من بغداد ابن الشيخ أبي الحبيب الأكبر فبسط له في كل أسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه معناد ولقننه وكذلك رفا إليه من أصحابان فقيهه نرف الدين عبد المؤمن بن شورية وما أئمن تلك الأيام وأبرك تلك السهوه بال ولما أسقط زراة بن الجهاث المحظوره والسبب المحذورة عزل النحن وصرف عن الرعية بصرف النحن وقال بالقاضي كمال الدين ابن السهروردي انظر أنت ذلك واحمل أمور الناس فيها على الشريعة قال وبكفي المال المزار يستالحسر يتحاصل ولا تدبوا به طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل فيه لأكمل الدين الحام كم قوفه نواب وكثروه وما كان نور الدين يحاسب القاضي على شيء من الوقوف ويقول أنا قد قلت على أن يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها ونسوط وانفها بأمره بصرفه في بناء الاسوار وحفظ النعور وكانت دولته نافذة لاوامر منمنامة الامور قلت وحكى الشيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله أنه حضر مع عمه الحافظ أبي القاسم رحمه الله مجلس زراة بن لسماع شيء من الحديث فقرأ أثناء الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفه فاستفاد نور الدين أمر الميكن يعرفه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف يشير إلى النعجب من عادة الجنند اذهم على خلاف ذلك لانهم لم يطره بأوساطهم مال فلما كان من الغد مرنات تحت القلعة والناس يجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفتنا نظرا إليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو متقلد للسيف وجميع عسكره كذلك فرجة الله على هذا الملك الذي لم يقرط في الانتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الحالة لما بلغته رجع بنفسه ورد جنده عن عوايدهم اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من السنن ولقد بلغني أنه أمر باسقاط الفايه في الدعاء له على المنابر ورأى له وزيره موفق الدين خالدين القيسراني الشاعر في منامه أنه يغسل ثيابه وقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوس وقال هذا نفس منامك وكان في تمجده بقول ارحم العشار المكاس وبعد ان أبطل ذلك استجمع من الناس في حل وقال والله ما أخرجنها الا في جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك إليهم عن أخذها منهم وعلى الجلة كان نور الدين رحمه الله فردا في زمانه من بين

سائر الملوك ولولم يكن الاستماعه للموعظة وانه يادها وان اشتملت على ألفاظ قد أغلظ له فيها قرأت في تاريخ  
أربل لسرف الدين ابن المستوفي رحمه الله قال المنتخب الواعظ هو أبو عثمان المنتخب بن أبي محمد بن البحتری  
الواسطي ورد اربل ووعظ بها وكان له قبول عظيم وسافر الى نور الدين محمود بن زنكي من آق سنقر الى الشام لسبب  
الغزاة وأنفذ له نور الدين جملة من مال فلم يقبلها ثم ردّها عليه أنشدني له يحيى بن محمد بن صدقة قصيدة لها في نور الدين  
وحلف انه سمعها من لفظه

شعر

مثل وقوفك أيها المغرور \* يوم القيامة والسماء تمور  
ان قيل نور الدين رحت مسلما \* فاحذر بأن تبقى ومالك نور  
أنهيت عن شرب الخمر وأنت من \* كأس المظالم طامخ مخمور  
عطلت كأسات المدام تعففا \* وعليك كأسات الحرام تدور  
ماذا تقول اذا انتقلت الى البلى \* فردا وجاهك منكرو ونكير  
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في \* يوم الحساب مسحب مجرور  
وتفرقت عنك الجنود وأنت في \* سيق اللئيم وسد مقبور  
ووددت انك ما وليت ولاية \* يوما ولا قال الامام أمير  
وبقيت بعد العز من حفيضة \* في عالم الموت وأنت حقير  
وحسرت عريانا خينا باكيا \* فلة ما وملك في الامام مجير  
أرضيت ان تحي وقلبك دارس \* عاقى الخراب وجسمك المعجور  
أرضيت ان يحطى سواك بقربه \* أبدا وأنت مبعده مهجور  
مهذل نفسك حجة تجوبها \* يوم المعاد لعلك المعذور

قلت ولعل هذه الايات من أقوى الاسباب المحركة للسلطان في ابطال تلك المظالم والخلص من تلك المآثم رضى الله  
عن الواعظ والمتعظ بسببه ووفق من رام الاقتداء به ونقل من خط صاحب العالم كمال الدين أبي القاسم عمر  
ابن أحمد بن هبة الله بن أبي جراد في كتاب تاريخ حلب الذي صنفه وسمعت من لفظه ان نور الدين رحمه الله كان مع  
أبيه بحلب فلما حاصر أبوه قلعة جعبر وقتل عليها قصد حلب وصعد قلعتها وملكها في شهر ربيع الأول سنة احدى  
وأربعين وخمسمائة وأحسن الى الرعية وثبت العدل ورفع الجور وأبطل البدع واشتغل بالغزو وفتح قلاع كثيرة  
من عمل حلب كانت بيد الفرنج وحدن بحلب ودمشق عن جماعة من العلماء أجازوا له منهم أبو عبد الله بن رفاعه بن  
غدير السعدي المصري روى عنه جماعة من شيوخنا مثل أبي الفضل أحمد وأبي البركات الحسن وأبي منصور  
عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال ووقفت على رقعة بخط الوزير خالد بن محمد بن نصر  
ابن صغير التيسراني كتبها الى نور الدين وجوابها من نور الدين على رأس الورقة وبين السطور فقلت جميع ما فيها  
قال وكان رحمه الله كتب رقعة يطلب من ابن التيسراني ان يكتب له ضرورة ما يدعي له به على المنابر حتى لا يقول  
الخطيب ما ليس فيه ويصونه عن الكذب وعن ما هو مخالف للحالة ونسخة الورقة بخط خالد

أعلى الله قدر المولى في الدارين وبلغه أماله في نفسه وذريته وختم له بالخير في العاحلة والاحلة بجنه وجوده وفضله وحده  
وقف الملوك على الرقعة وتضاعف دعاؤه وابتهااله الى الله تعالى بان يرضى عنه وعن والديه وان يسهل له السلوك  
الى رضاه والقرب منه والفوز عنده انه على كل شيء قدير رأى الملوك ما يعرضه على العلم الاشراف زادوا الله شرفا  
وهوان يذكروا الخطيب على المنبر اذا أراد الدعاء للمولى اللهم اصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتم  
بقولك المجاهد في سبيلك المراط لاعداء دينك أبا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر باصر أمير المؤمنين فان هذا جميعه  
لا يدخله كذب ولا زيادة والرى أعلى وأسمى ان شاء الله تعالى فكتب نور الدين على رأس الرقعة بخطه ما هذا صورته  
مقصودى ان لا يكذب على المنبر بما يخلف كل ما يقال لأفرح مما لا أعمل قلة عقل عظيم الذى كتب جيداً كتب به  
نسخ حتى نسيره الى جميع البلاد وكتب في آخر الرقعة ثم بدأ بالدعاء اللهم أره الحق اللهم اسعده اللهم انصره اللهم وفقه

من هذا الجنس قال وحدثني والدي قال استدعانا نور الدين أنا وعمك أبو غانم وشرف الدين بن أبي عصرون إلى الميدان الأول وأشهدنا عليه برقف حوانيت على سور حصص فلما شهدنا عليه التفت إلينا وقال بالله انظروا أي شيء علمتموه من أبواب البر والخير دوننا عليه واثركونا في الدواب فقال شرف الدين بن أبي عصرون والله ما ترك المولى شيئاً من أبواب البر إلا وقد فعله ولم يترك لأحد من بعده فعل خيراً إلا وقد سبقه إليه وقال قال لي والدي دخل في أيام نور الدين إلى حلب تاجر موسرفات بها وخلف بها ولد أصغر وأما كثيراً فكتب بعض من يجلب إلى نور الدين يذكر له أنه قدمات هاشم بن رجل تاجر موسر وخلف عشرين ألف ديناراً فوقها وله ولد عمره عشرين سنة وحسن له أن يرفع المال إلى الخزانة إلى أن يكبر الصغير يرضى منه بشيء ويسك الباقي للخزانة فكتب على رقعة أم الميث فرحمه الله وأما الولد فأنشأه الله وأما المال فمهره الله وأما السامعي فلعمنه الله قال وبلغتني هذه الحكاية عن غير نور الدين أيضاً وحدثني الحاج عمر بن سنقر عتيق شاذ بنحت النوري قال سمعت الطوائف ساذ بنحت الخادم يحكي لنا قال كنت يوماً أنا وسنقر جواراً فبينما على رأس نور الدين وقد صلى المغرب وجلس وهو مغمى عليه فكر أعظيماً وجعل ينكت بأصبعه في الأرض فتجبننا من فكره وقلنا ترى في أي شيء يعكر في عائلته أو في وفاء دينه فكانه نطن بنا فرفع رأسه وقال ما تقران فقلنا ما قلنا شيئاً فقال بجاتي قولاً لي فقلنا ما تجبننا من إفراط مولانا في الفكر وقلنا ما بكت في عائلته أو في نفسه فقال والله انني أفكر في وال ولينته أمر امن أمورا المسلمين فلم يعدل فيهم أم أو فبين بظلم المسلمين من أحمابى وأعوانى وأخاف المطالبة بذلك فبالله عليكم والافخزى عليكم حرام لان زبان قصة ترفع الى أو تعلمان مظلمة الأول واعلمالى بها وأرفعاها الى

وسمعت قاضي القضاة بها الدين أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال كان نور الدين ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر الملا شيئاً يفطر عليه فكان ينفذ إليه الاكاس فيها الفيت والراق وغير ذلك فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم الموصل لا يأكل الا من طعام الشيخ عمر الملا قال وكان نور الدين لما صارت له الموصل قد أمر كشتكين شحنة الموصل ان لا يعمل شيئاً الا بالشرع اذا أمر القاضى به وان لا يعمل القاضى والنواب كلهم شيئاً الا بأمر الشيخ عمر الملا قال وكان لا يعمل بالسياسة وبطلت الشحنة في أكبر الدولة وقالوا لكشكين قد كثر الدعار وارباب الفساد ولا يجي من هذا شيء الا بالقتل والصلب فلو كتبت إلى نور الدين وقلت له في ذلك فقال لهم أنا لا أكتب إليه في هذا المعنى ولا أجسر على ذلك فقولوا للشيخ عمر يكتب إليه خفض واعده وذكروا له ذلك فكتب إلى نور الدين وقال له ان الدعار والمفسدين وقذاع الطريق قد كثروا ويحتاج الى نوع سياسة فقل هذا لا يجي الا بقتل وصلب وذبح واذا أخذ مال انسان في البرية من يجي يشهد له قال فقلب نور الدين كتابه وكتب على ظهره ان الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وان مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها ولو علم ان على انشريعة ما زدت في المصلحة لشرعه فالتاحاجة الى زيادة على ما شرعه الله تعالى قال فجمع الشيخ عمر الملا أهل الموصل وأفرغهم السكاب وقال انظروا في كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى الزاهد وسمعت صقر بن يحيى بن صقر المحدث يقول سمعت مقلداً يعنى الدولى يقول لمهمات الحافظ المرادى وكتاب جماعة الفقهاء قسمين العرب والاكراد فغنا من مال الى المذهب وأردنا ان نستدعى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون وكان بالموصل ومننا من مال الى علم النظر والخلاف وأراد ان يستدعى القطب النيسابورى وكان قد جاء وزار البيت المقدس ثم عاد الى بلاد الحشم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقع فتنة بين الفقهاء فسمع نور الدين بذلك فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة بحلب وخرج اليهم مجد الدين يعنى ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما أردنا ببناء المدارس الا لنشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة واظهار الدين وهذا الذى جرى بينكم لا يحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضى الطائفتين ونستدعى شرف الدين بن أبي عصرون وقطب الدين النيسابورى فاستدعاهما جميعاً وولى مدرسة ابن أبي عصرون لمدرسة الدين ومدرسة النفرى لقطب الدين قال وعلقت أيسام من خط فقيه كان معيدا بالنظامية يقال له أبو الفتح بنجة بن أبي الحسن بن بنجة الا شترى وكان ممن ورد دمشق وجمع لنور الدين سيرة مختصرة قال كان نور الدين يقعد في الاسبوع أربعة أيام أو خمسة أيام في دار العدل للنظر في أمور الرعية وكشف الظلمة لا يطلب بذلك درهما ولا دينار ولا زيادة ترجع الى خزائنه وانما يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والمبالاة للثواب والوفى في الآخرة



ويأمر بحضور العلماء والفقهاء ويأمر بإزالة الحجاب والبراب حتى يصل إليه الضعيف والفقرى والتقى والغنى ويكلفهم باحسنى الكلام ويستفهم منهم بأبلغ النظم حتى لا يطمع الغنى في دفع التقير بالمال ولا الفقرى في دفع الضعيف بالقال ويحضر في محاسن العجز والضعفة التي لا تقدر على الوصول إلى حسمها ولا المكاملة معه فيأمر بمساواته لها فغلب خصمها طمعاً في عدله ويحجز الخصم عن دفعها خوفاً من عدله فيظهر الحق عنده فيجري الله تعالى على لسانه ما هو موافق للشرعية ويسأل العلماء والفقهاء عما يشكل عليه من الأمور العادضة فلا يجري في شمله إلا محض الشر بعبارة دال وأما زمانه فهو مصروف إلى مصالح الناس والنظر في أمور الرعية واشتقاق عليهم وأما فكره ففي إظهار شعار الإسلام وتأسيس قاعدة الدين من بناء المدارس والربط والمسابح حتى أن بلادنا أصبحت خالية من العلم وأهلها وفي زمانه صارت مقر العلماء والفقهاء والسوفية لأصرف همته إلى ساء المدارس والربط ورتب أمورهم والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم ولو لم يكن من هذا الحاصل إلا ما علم منه وسأعنه إذا وعد وفي راداً أو وعد عما ولا تخدع بشيء وقف عليه ولا يخالف قوله ولا يرجع عن إفقده ومنطقه لا يكفي ولا يجري في شمله الفسق والفساد والفسق والفسقة والقدح في الناس والكلام في أعراسهم كما يجري في جناس سائر الملوك ولا يجمع في أخذ أموال الناس ولا يرضى بأن يأخذ أحدهم أموال السريعة شيئاً غير حق قال وبلغنا بأخبار النواز عن جماعة يعتمد على قولهم إن كثر اللباس يصلح ويناجى ربه مقبلاً بوجهه عليه ويردّ الصلوات الخمس في أوقاتها بما شئت ثم شرأبها وأركانها وأركانها ومجودها قال وبلغنا عن جماعة من الصوفية الذين يعتمد على أقوالهم من دخولوا بالقدس للزبان حكاية عن الكفار أنهم يقولون ابن القسم لمع الله سر فانه ما يظفر عليه بكبرة جند وعسكر وإنما يظفر عليه بالبدعاء وصلاح الليل فانه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فانه سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤاله وما يريده خائبة فيظفر عليه قال فهذا كلام الكفار في حقه قال وحدثنا السخ داود الملقب بـ"الشيخ" خادم قبر سعيد على نيدنا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال حضرت في دار العدل في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسة فقام رجل وادعى على الملك العادل أن أباه أخذ من ماله شيئاً بغير حق قال وأنا ما ألب لك ذلك فقال نزل الدين أباه أعلم ذلك فان كان لا بينة تشهد بذلك فها تم وأما أرد اليك ما يخصني فأنا ما رتب جميع ماله كان هناك وارث غيري فسمى الرجل ليحضر البينة فقلت في نفسي هذا هو العدل قال وحضر رجل زاهد فيه سمى الخيزم معروف بالصلاح والسداد فسألت عنه فقالوا أخو الشيخ أبي البيان وكان قد أودع عند أخيه أبي البيان وديعة وتدوى فادعى المردع على هذا الشيخ أنه يعلم بالوديعة وطالبه بالرد عليه فأنكر هذا الرجل عنه بالوديعة فأوجب عليه الفادى كمال الدين حكم الشيخ أن يحلف أنه لا علم له بهذه الوديعة خاف على ذلك فجعل المودع بشنع عليه ويقول أنه خاف كاذباً يوتى كتم في عرضه ويقول في حقه من التمس وغيره فحضر عنده الملك العادل ساكناً معه وهذا كراسته وطريقته ومن ادعى يقدر أن يقول في حق هذا ويتعرض بالتماسه من الملك العادل والتفتدتم باحضاره والانكار عليه فيما يقول في حقه لما فرغ من الكلام ورى ما كان في جعبته من دعوى الحقيقة والظرفية وكان خاضعاً للناس الانكار عليه فقال الملك العادل أليس أن الله تعالى يقول في كتابه إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً فإذا كان هو يجهل عليك ويقول في حقل الجاهل ما لا يجوز فيجب عليك أن لا تعمل معه مثل معاملته فكأن من له فكلنا فابلت الاساءة بالاساءة ومن حقل أن تقابل الاساءة بالاحسان فقلت في نفسي الحق ما نال الملك العادل أمّا قراء هذا في كتب التفاسير فثبت في قلبه أو أجرا الله على لسانه وأنطقه به قال وحضر جماعة من التجار وشكوا إلى القراطيس كان ستون منها بدينار وترتد وتنقص فيخسرون فسأل الملك العادل عن كيفية الحال فذكروا أن عمدة المعامل على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وإنما يعدون القراطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار وأشار كل واحد من الحاضرين على نور الدين أن يضرب الدينار باسمه وتكون المعاملة بالدينار الملكة وتبطل القراطيس بالكافة فسكت ساعة وقال إذا ضربت الدينار وأبطلت المعاملة بالقراطيس فكأن في خير ببيوت الرعية فان كل واحد من السوق عنده عشرة آلاف وعشرون ألف قرطاس أى شيء يعمل به فيكون سبب الخراب بيته قال فأى شفقة تكون أعظم وأكث من هذا على الرعية قال وحضر صبي وبكا عند الملك العادل وذكر أن أباه محبوبس على أجرة حجرة من حجر الوقت فسأل عن حاله

فقالوا هذا الصبي ابن الشيخ أبي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في جحره للوقوف وليس له قدرة على الاجرة وقد حبسه وكيل الوقف لانه اجتمع عليه أجرة، ثم فسأل الملك العادل كم أجرة السنة فقالوا مائة وخمسون قرطاسا وقد سبىته وطرقته وفقره وفرقه له وأنعم عليه، فمما قال نحن نعطيها كل سنة هذا القدر ليصرفه الى الاجرة ويقعد فيها وتفتم بذلك وباخراجه من الجنس فوصل الى قارب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كأن الانعام كان في حقه أخبرنا اقتضار الدين عبد المطلب الهاشمي قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن التيمان الكركري فاضى حباب غلام قد جعله المجلس الحكيم بدعي سويدا يحضر المصوم الى مجلس الحكيم فحضر بعض التجار وادعى ان له على نور الدين دعوى فقال الكركري لسويدا المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكيم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان فحاضره سويدا الى باب الميدان فخرج اسماعيل الخزندار فوجده مقدم سويدا اليه وقال سبى تاج الدين يعني القاضي وذكر انه حضر ناجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد أنفذ تاج الدين وقال لي كذا وكذا فدخل اسماعيل الخزندار ودخل على نور الدين ضاحكا وقال له مسه نهر ثيابك المولى فقال لي أين فقال حضر سويدا غلام تاج الدين الكركري وقال ان تاج الدين أرسله يطلب المولى الى مجلس الحكيم فأنكر نور الدين على اسماعيل استنزاهه وقال تستهزئ بطلبي الى مجلس الحكيم وقال نور الدين يحضر فرسي حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى انما كن قول المؤمنين اذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا ثم من وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا اربابا له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه رقل له اني جئت الى هاهنا فادعنا الى الامر المخرج واحتاج في الحضور الى ما له الى سائر هذه الازقة وفيها الاطيان وهذا وكيلي بسمع الدعوى وان توجرت عزمي أحضر ان شاء الله تعالى الى مجلس الحكيم وسمع الدعوى ونهجهت اليمين فقال الكركري قد توجهت اليمين طلبه فمما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه لا مندوحة عن حضور مجلسه اليمين استدعى ذلك المساجر وأصلح الامر فيما بينه وبينه وأرضاه وسمعت قاضي القضاة فيها الدين يقول حكى لي السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال أرساني الملك العادل نور الدين الى عبي أسد الدين شيركوه وكان لا يفعل شيئا الا بمشورته فقال امض وتل لاسد الدين قد خدعني قال ان ابطال هذه الضمائم بأسرها والمؤمن والمكوس واخذرائه في ذلك قال جئت اليه وأنهيته ما بالي فقال امض وتل له يا مولانا اذ افعلت ذلك فالاجناد الذين أرزاقهم على هذه الجهات من أين تعطيهم ونحن نأج البهم للقرآن وغيره العساكر بال السلطان صلاح الدين فقلت يا عبي هذا أمر تدأله الله يا د فسادعه عليه فمما قال امض اليه رقل له ما أقول لك قال فعادت الى نور الدين فأنهيته اليه ما قال عبي فقال امض اليه وقل له اساتذ من هذه الجهات فتركوا ونفذوا لا يخرج قال فعادت الى عبي وأتم ما بال فقال قل له ان تركوا تتعد فحيد هو فراجعه قال ان لا يظهروا الا فسادعه في وقال امض اليه وتل له ما أقول لك جئت اليه وقلت له ذلك فترك ذلك مدة ثم أمرني ما كان عزم عليه قال لي فخرجت من عبي بلغني ان موفق الدين خالد ارأى في النوم كأن نور الدين دفع اليه ثيابه ليعلمها ففرض مناه على نور الدين فخرج وجه نور الدين فقبل موفق الدين وبقي أباما على غاية من الخجل فاستدعاه يوما نور الدين وقال تعالى قد آن لك ان تغسل ثيابي أقعدوا كتب بالطلاق المؤمن والمكوس والاعشاروا كتب للمسكين الى قدر فعدت عنكم ما رفعه الله تعالى عنكم وأنبت عليكم ما أثبتته الله عليكم قال فكاتب موفق الدين بزيعة سمعت خليفة ابن سليمان بن خليفة الالفقيه يقول سمعت أبي يقول لما كسر نور الدين يعني كسرة البقيعة تكلم البرهان البلخي فقال أريدون ان تبصروا وفي عسكركم الجور والطبرل والزور كلا وكلاما مع هذا لما سمعه نور الدين فام وزع عنه ثيابه تلك ونهاها الله تعالى على التوبة ونزع في ابطال المكوس الى ان خرج في نوبة حارم وكسر الافرنج سمعت صديقتنا شمس الدين اسماعيل بن سردكين بن عبد الله النوري وكان ابوه أحد مائيك نور الدين فاعتقه يقول سمعت والدي يقول كان نور الدين محمود رحمه الله يلبس في الليل مستحوا يقوم يصلي فيه قطعة من الليل قال وكان يرفع يديه الى السماء ويبكي ويتضرع ويقول ارحم العساكر المكاس قال لي فاضى القضاة بها الدين سبى نور الدين الى بغداد كذا يعلم الخليفة بما أطلق وقد أرمأ أطلق ويسأل ان يتقدم الى الوعاظ يأمن يستجعلوا من التجار ومن جميع المسلمين له في حل مما كان قد وصل اليه يعني من أموالهم فتقدم بذلك وجعل الوعاظ على المنابر ينادون بذلك حدثني رضي الدين

## كتاب (١٦) الروضتين

أبو سالم عبد المنعم بن المنذران نور الدين حسين خرج لاخذ شيز رخرج أبو غانم بن المنذر صحبته فأمره نور الدين بكباية منشور باطلاق المظالم بحلب ودمشق وحص وحران وسنجار والرحبة وعزاز وتل باشروعداد العرب فكتب عنه توقيعا سخطه

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقرب به الى الله سبحانه وتعالى صالحا وأطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا راعاهم الله لضعفهم عن عمارة ما أخرجه أيدى الكفار أبادهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور كبتهم في العباد رأفة بالمسلمين المأغرين ولطفا بالضعفاء المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد واستمخضهم بمجاورة أهل العناد اختبار الصبرهم واعظام الاجرهم فصبروا واحتسابا وأجل الله لهم أجرا وثوبا غاليا في الصابرون أجورهم بغير حساب وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املاكهم التي أفاء الله عليهم بها من الفتوح العربية وأقرها في اندولة الاسلاميه بعدما طرأ عليهم من الظلمة المتقدمة واسترجعه بسيفه من الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهدم أركان التعدي وأقر الحق مقره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء ثم لما أعان الله بعونه وأيده بنصره وقعه عادية الكفر وأظهر به حتمه شعائر الاسلام وأظفره بالفئة الطاغية وأمكنه من ملوكها الباغية فجعلهم بين قتيل غير مفاد وهارب ممنوع الرقاد وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فمن أوامسك بغير حساب وان له عندنا الرزق وحسن مأب علم ان الدنيا فانية فاستخدمه الاخرة الباقيه واستبقى ملكه الزائل بأن قدّمه أمامه وجعله ذخرا للمعاد فالتقوى مادة داره اذا انقطع المواد وجادّه واضحه حين يلتبس الجواد يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فصفتح لكافة المسافرين وجميع المسلمين بالضرائب والمكوس وأسقطها من دواوينه وحرّمها على كل متطاول اليها ومتهاق عليها تجنبها لأنها واكتسابا لثوابها فكان مبلغ ما سماح به واطلقه وأنفذ الامر فيه بحال كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل سنة من العين مائة ألف وسنة وخمسون ألف دينار جهة ذلك حلب خمسون ألف دينار عزاز عن مكس جدته الفريخ خذ لهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار تل باشرا أحد وعشرين ألف دينار المعرة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما استنجده أهلها واستصرخ من فيها خوفا على أنفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ما كان يؤخذ منهم في كل سنة وهو رسم يسعونه الفسنة عشرون ألف دينار حص ستة وعشرين ألف دينار حران خمسة آلاف دينار سنجار ألف الرحبة عشرة آلاف دينار عداد العرب عشرة آلاف دينار وما وقفه وتصدق به وأجرأ في سبل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدير ثمة مائتا ألف دينار وتقدير الحاصل من ارتقاعه في كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية وأتمها ومدّ راسها ووقفها ثم ما وقفه على دور الصرّفة والربط والجسور والبيمارستانات والجامع والمساجد والاسوار وما وقفه على السبيل في طريق الحجاز وما وقفه على فكك الاسرى وتعليم اليتام ومقر الغربا وقرءاء المسلمين وما وقفه على الاشراف والملوك والعباسيين وما ملكه لجماعة من الاولياء والغزاة والمجاهدين هذا جميعه سوى ما أنعم به على أهل الثغور حرسه الله تعالى من أملاكهم التي تقدّم ذكرها فانه بضاهي هذا المبلغ وزيادة عليه جعل ذلك ذريعة عند الله وتقربا اليه مضاعفا الى ما أنفق في الغزاة والجهاد واستئصال شافة أهل الكفر والعناد من خزائنه المموره وأمواله الموروثه المذخوره طلبا لما عند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب على كل امام عدل وسلطان قادر ان يمدّه ويؤدّه ويشدّ عضده ويقوى عزمه وينفذ حكمه وعلى كل مسلم ان يواصله بالدعاء أثناء الليل وأطراف النهار كتبه خادم دولته وغذى نعمته عبد الرحمن بن عبد المنعم بن رضوان بن عبد الواحد بن محمد بن المنذر الحلبي غفر الله له ورحمه ورضى عنه الى كل من يصل اليه من أئمة الدين وفقهاء المسلمين وأصحاب الزوايا المتعبدين وكافة التجار والمسافرين أحسن الله توفيقهم وسدّد الى اغراض الخير توفيقهم ليشعروا بذلك من حضرهم من التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما أنعم الله به عليه وعليهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويمدّوهم بأدعيتهم ويبرؤا ذمّة مما سبق من أخذ مؤثمتهم فانه لم يصرف ذلك الا في خدمة وجهه برّ وتجهيز جيش ومعونة مجاهد وردع كافر ومعاند فهم شركاؤه في الثواب

## في أخبار (١٧) الدولتين

قال لي رضي الدين أبو سالم بن المنذر فلما وقف نور الدين على قوله ويبرئ نعمة مما سبق استحسن ذلك كثيرا ووعده باق طاع حسن واتفق موته بعد ذلك قلت ونقلت من خط الشيخ الأمين أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسين ابن الخضر ابن الحسين بن عیدان الأزدي الدمشقي وقف المولى نور الدين بستان الميدان سوى الغمضة التي من قبله بمسجد عمارته وأصلاح ما يحتاج إليه على تطيب المساجد التي يأتي ذكرها وهي جامع دمشق المحروسة جامع قلعة دمشق مدرسة الخنفة التي جدها نور الدين مسجد ابن عطية داخل باب الجابية مسجد بن ليبد بالفسفار مسجد سوق الرماحين المسجد المعلق بسوق الصاغة مسجد دار البعلج المعلى مسجد العباسي بسوق الاحد مسجد نور الدين بجوار أربعة اليهود جامع الصالحين بجبل قاسيون ببتاع بذلك عرد وطيب ويهتز على هذه الاماكن النصف للجامع بدمشق والنصف للناسي بنفسه على احد عشر جزأً من المدرسة وتسعة أجزاء لتسعة المساجد الباقية لكل مسجد جزء واحد تطيب هذه الاماكن في الاوقات الشرعية ومواسم الاجتماعات وليالي شهر رمضان والاعياد وأيام الجمع وقت عقد الجمعة في الجوامع وليالي الجمعة والخديس والاثني ونقلت من خطه أيضا ان نور الدين رحمه الله حضر عنده بقلعة دمشق يوم الخميس التاسع عشر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي والفقهاء الشيخ شرف الدين بن أبي عصر ون والخطيب عز الدين أبو البركات بن عميد والامام عز الدين أبو القاسم علي بن الماسح السافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكي وشرف الاسلام نجم الدين عبد الوهاب الخنبلي ورضي الدين أبو غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد التيمي رئيس دمشق ونظام الدين أبو الكرام المحسن بن أبي المضام تولى الوزارة بدمشق والاعيان من شهود العدالة بدمشق وهم عبد الصمد بن تميم وعبد الواحدين هلال والصائش أبو الحسين وغيرهم فسألهم نور الدين عن المضاف الى أوفاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وتفاعليه وان يظهر كل واحد منهم ما يعلمه من ذلك ليعمل به ويتبع الاعمال عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيئا الا وادكره ولا ينكر شيئا مما يقوله غيره الا وينكره والساكت منكم مصدق لانا طق ومصوب لقوله وليس العمل الاعلى ما تتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون ويتساورون في مصالح المسلمين فكل من الحاضر ينسب شكره على ما قصده وأثنى عليه ودعاه بالبقاء ثم أمر نور الدين متولى أوفاف الجامع والمساجد والبيمارسان وقتي السبيل وما يجري مع ذلك ان يقرأ عليه بمحضر من المذكور بن ضريبة الأوفاف موضع ما هو خالفا لغيره بما يعاون انه للمصالح دون الوقف فافتتح بالسوق المستجدة تحت المأذنة الغربية بجوار البيمارسان فقال الصائش وابن تميم وابن هلال هذا السوق بكمله لمصالح المسلمين وليس من وقف الجامع لانه أحدث في طريق المسلمين وقد صرف في الجامع من أجوره وأوفاف مما غرم على عمارته من وقفه فصعدتهم الحاضر ون على ما شهدوا به ومبلغ ذلك خمس وعشرون عضادة ثم عين للمصالح أيضا ما في زيادة الجامع القبلية وزيادة باب البريدي في الصف القبلي والساحي من العضائد والخوانيت والحجر التي طباقها وطباق الطريق بحضرتها وجميع بيوت الخضراء من قبل الجامع والقرن المستجدة بها ودار الخيل والمساكن والخوانيت المجاورة لدار الخيل وحاتون الخواصين في الصف الغربي واثنا عشر حانوتا من لاصقات في الصف الشرقي تعرف بالمعتصمات ونصف حانوت والفرجة المستجدة بحضرة دار الوكالة الى سوق على وعدتها ثلاثة عشر حانوتا ومصطبة وثلاث حوانيت في الصف السامي من سوق على ملصق الفرجة من شرقها وحاتون بالفسقا في الصف القبلي يعرف بسكنى ثعلب الفقاع وحاتون اللبادين والتي يحضره الفرارة وقت اللبادين ويسارية العقيق بسوق الاحد وتعرف بدار الشجرة وحاتونتان في الصف الشرقي بحضرة فندق الزين من غرب درب التمارين وحاتون بقنطرة السماعيل في الصف السامي بحضرة البيطرة وقنطرة بجوار المأمونية من غربها والعضائد التي في الصف السامي من سوق الاحد وهي خمس عشرة عضادة وستة أسهم من طاحونة السقفة وذلك كله بعضه ميراث عن بني أمية كالخضراء ودار الخيل وبعضه اشترى بمال الوقف للمصالح وبعضه أخذ من بادأه الموقوف عليهم ولم يكن له مال وبعضه أحدث في الطريق فلما شهدوا بصحة جميع ما ذكره وان منافع ذلك وأجوره جارية في المصالح قال نور الدين ان أهم المصالح سد تغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والحدوق لصيانة المسلمين وحرهم وأموالهم فصوروا ما أشار اليه وشكروه ثم

## كتاب (١٨) الروضتين

سألهم عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار وعمل الخندق للصلحة المتوجهة للمسلمين فأفتى شرف الدين عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من روى في مهلة النظر وقال الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي لا يجوز ان يصرف وقف مسجد الى غيره ولا وقف معين لجهة الى جهة غير تلك الجهة واذ لم يكن بد من ذلك فليس طريقة الا ان يقتصر منه من اليه الامر في بيت مال المسلمين فيصرفه في المصالح ويكون القضاء واجبا من بيت المال فوافقه الأئمة الحاضرون معه على ذلك ثم سأل ابن أبي عصرون نور الدين هل أنفق شيء قبل اليوم على سور دمشق وعلى بناء الكلاسة من شأم الجامع وعلى انشاء السقف المقرنص تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح الرواق الشامي من الجامع وسائر اعمارات المتعلقة بالجامع المعمور بغير اذن مولانا وهل كان الامبلغلالا امر العالى في عمل ذلك فقال نور الدين لم يفتق ذلك ولا شيء منه الا باذن وأنا أمرت به وبفتح المشهدين من الجامع المعمور اللذين كانا مخزينين وكتب مبلغا عني ومؤديا أمرى قلت وقد رأيت المحضر الذي كتب فيه صورة ما جرى في ذلك المجلس وهو مشتمل على فوائد حسنة وتأكيدا لما نقل من سيرة هذا الملك في وقوفه مع أوامر الشرع وفي ذلك المحضر خطوط لجامعة الحاضرين وصورة ما كتبه المالكي المفتي (حضرت المجلس المذكور عمره الله وزينه بالعدل أبدا ما عاش صاحبه وشهدت على ما تضمنه من المشورة المباركة وما نسب الى الجماعة من الشهادة بالمراضع المشهورة كما نسب اليهم وقد أدخل بذكر دار الحجارة وقد ذكر وهما في المصالح المشهورة وما نسب الى من الفتوى فقد كنت قيده بالخاصة وقرأ في بيت المال أو ضعفه عن القيام بما يحتاج اليه المسلمون ومهما تم اندينية كتبه عبد الوهاب بن عيسى بن محمد المالكي)

**(فصل)** وقد مدح نور الدين رحمه الله تعالى بأسعار كثيرة وأوصافه فوق ما مدح به وكان في أول دولته شاعرا زمانها أبر عبد الله محمد بن نصر بن صغير وأبو الحسن أحمد بن منير ولهما فيه اشعار فائقة سيأتي جملة منها في مواضعها وقد رأيت ان أقدم منها شيئا هنا فقرأت في ديوان محمد بن نصر القيسري اني (كتبت الى نور الدين سلام الله وحنانه ورأفته وامتنانه وروحه وريحانه على من عصم بعز العواصم وخصم بحجته الدهر المحاصم والجم بهيبة العائب والواصم الذي انتضى في سبيل الله سيف الجهاد وارتضى بعز سلطانه شعار العباد والزهاد واهتدى الى طاعة الله وليس غير الله من هاد ومن أعجبت أطراف البلاد أو طاد المملكته ومعاقل الكفار في عقال مملكته ومركز السكر مرأى كثر أعلامه وألويته ومن عادت به نغور الشام ضاحكة عن نغور النصر ومالك الاسلام متوجة بتيجان الفخر وصعاب الامور منقادة اليه بازمة التهر ومن رأى الحكم دارسة فبنى مدارسها والهمم باسطة فسقى منابتها ومغارسها والمنابر شامسة فأمكن من صهواتها وفوارسها ومن عر رب السنن بعد ما عفى وأتقذ من الفتن من كان منها على شفا ومن نشر اعلام الفضل وأنشر بعد الوفاة أيام العدل ومن أبار برجهه الايمان وأخذ الناس به من الزمان توقيع الامان شغل

ذوالجهادين من عدو ونفس \* فهو طول الحياة في هجاء  
فهو المالك الذي أزم الناس \* سلوك المحبة البيضاء  
قد هديت الملوك للعدل لما \* سرت في الناس سيرة الخلفاء  
فاسما ما ملكت في الناس حتى \* لقسمت النقي على الاتقياء  
تسم الصالحين في جتر الترك \* وكمن سمكنة في قباء  
أنت حين اتقاس بالاسد الورد \* وحينما تعد في الاولياء  
صاغك الله من صميم المعالي \* حيث لانسبة سوى الالاء  
وكان القباء منك لما ضم \* من الطهر مسجد بقباء  
أنت الاتك كن نبيا هافا نك \* الاخلاق لائق الانبياء  
رأفة في شهامة وعفاف \* في اقتدار وسطوة في حياء  
وجال بمنطق بجلال \* وكمال متوج بهاء  
واذا ما الملوك خافت سهام الذ \* ذم زرت عليك درع النناء  
اجب الناس منك ان في الحر \* بشهاب الكتيبة الشهباء

## في أخبار ﴿١٩﴾ الدولتين

وكان السيوف من عزمك الما \* ضى أفادت ما عندها من مضاء  
ولعمري لو استطاع فدا لال \* قوم بالامهات والأباء  
وله فيه سـ عـ ر

لله عزمك أى سيف ونهى \* طبعت مضاربته على القهر  
ما زفت الحسب العوان به \* الا انجلت عن معقل بكر  
هل وجهه نور الدين خير سنى \* صدع الدجى عن نخلة البدر  
ملك مهاتته طليعتـه \* أبدا امام جيوشـه تسرى  
كم قل كيدهم بصاعقة \* شغلت قلوبهم عن الفكر  
تركت حصونهم سجنونهم \* فالقوم قبل الاسرى أسر  
عصم العواصم فهى ضاحكة \* تجلو الطبى ثغرا على الثغر  
فاذا سرايايـهـ لـد قنلت \* نهضت سرايا الخرف والذعر  
ورمى القلاع بمنل جند لها \* حتى استمكن المحر بالصخر  
ياسا لى عن نهج سـيرته \* هل غير مفرق هامه الفجر  
عال حقيق من تأمله \* ان يحيى العمرين بالذكر  
وسهامه فى الله خالصـة \* عقدت عليه تمام الاجر  
وندى بـما ضرّ واردها \* ان لا يبيت مجاور البحر  
هذا الخيم فى ذرى حلب \* وثناؤه أبدا على ظهر

وله فيه وقد وصف داره

دار تغار الشمس فى أفق \* من حسنوا الشمس مغيار  
يزأر فيها ضـيـعـ ماله \* غير سيوف الهند أظهار  
تسمى وتنبهى وهو جار لها \* والله ذو العرش له جار  
لسيفه الباتر من دهر دال \* بجائر ما يهوى ويختار  
قد ملأ الاسفار من ذكره \* نشره فى الارض إسفار  
جديضوع الجؤم طيبه \* كأنما راويه عطار  
ان خطرت فى قلبه خطرة \* أجابها ماض وخطار  
وان دعا داعيه يوم الوغى \* سيوفه لبته أقدار  
وانما صارمه مرسل \* له من التأنيـد أنصار  
يا مالك الدنيا ولكنها \* دنيا لها فى الدين آثار  
ويا جوادا ما لا لائه \* غير قضاء الجدم مضار

وله فيه أيضا

تدارك مله العـربى ذبا \* الى ان عده منه معدّ  
وحلّ ذرى العواصم وهى نهى \* فأجلى الشرك حتى ليس ضد  
ثنى يده عن الدنيا عفا \* ومال بها عن الاموال زهد  
رأى حظ الكوس عن الرعايا \* فأهدر قبل ما أنشاه بعد  
ومد لها رواق العدل شرعا \* وقد طوى الرواق ومن بعد  
وبات وعند باب العرش منها \* لدولته دعا لا يرّد  
وله فيه

## في أخبار ﴿٢٠﴾ الدولتين

ملك أسببه الملايل فضلا \* وشبهه بمالك الامر جنده  
عم احسانه فأصبح تيملى \* شكره في الورى ويدرس جمده  
فسقى الله ذكره أنما حله \* لولا فاته من النصر رفته

وله فيه

نحسكت تباسير الصياح كأنها \* قسيمات نور الدين خير الناس  
المشترى العقبى بأنفس تيمية \* والبائع الدنيا بغير مكاس  
وسرى دعاء الخلق يحرس نفسه \* إن الدعاء يعد في الحراس  
راض الخطوب الصم بعد جاحها \* وألأن من قاب الزمان القاسى  
وأعاد نورا الحق في مسكاته \* وأقام وزن العدل بالقسطاس  
واختار محمد الدين سائس مأكله \* خفى السياسة منه طود راسى  
فهو الخبير بكل داء معضل \* بأس وجراح زماننا ويواسى  
وأذل سلطان النفاق بعزرة \* خضعت لها الأساد في الأخياس  
وعرته أقران الخطوب فصدها \* ألوى يمارسها أسد مر اس  
ولوان فيض النيل فأنض نيله \* لم تفتقر مصر الى مقياس  
سكنت شعب الدهر بعد تحط \* وألنت من عطفه بعد شماس  
وفتحت باب الحظ بعد رواجه \* وأذنت للاطماع بعد الياس  
حتى منحت الخلق كل مسرة \* فالناس في عرس من الاعراس

وله فيه

سام السآم ويا لهام صفة \* لولاه ما عنت على يد سآم  
ولسمرت عنها الثغور وأصبحت \* فيها العواصم وهى غير عواصم  
نلك التى جمعت على من راضها \* ودعوت فانقادت بغير شكآم  
واذا سعاد تل اجتبت فى دولة \* فام الزمان لها مقام الخادم  
حصن بلادك هيبة لارهوة \* فالدرج من عدد السجاع الحازم  
هيئات يطمع فى محلك طامع \* طال البناء على عيين الهادم  
كلت همته كالمسحوق خلقت \* فكأنما هى دعوة فى ظالم  
وأظن أن الناس لما لم يروا \* عدلا كعدلك ارجفوا بالقآم

وله فيه

قلت يقول الله لا خائفا \* مع حكم القرآن حكم القرآن  
لأراقب النجم ولا سائلا \* ما فعل السعدان والنيران  
بل غرت للإسلام حتى لقد \* دان له من بالطواغيت دان  
رعت نواويس نواقيسها \* بجلبة الأذان وقت الأذان  
تمحو تصاور الدى عن يد \* تبنى المحاريب خلال الجحان  
هذا وكم أنشأت من منبر \* فارسه فارس سحر البيان  
من نال بالاخلاص ماننته \* كان من الله مكين المكان  
يا شاميا بالشام صوب الحيا \* ودانها من كل فاص ودان  
هذى سجون الملك مرفوعة \* عن ملك أخباره كالعيان  
أوضح سبل العدل مفتحة \* فلا سرايا بالدعاء افتنان

## كتاب ﴿٢١﴾ الروضتين

ألغى حقوفا كلها باطل \* الى مال حط مال الضمان  
عظفا ورفقا بالرعايا وان \* أصبح تأديب ملوك الزمان  
كم بين من نام على نشوة \* وشاهد في صهوة من حصان  
في كل يوم ينثني سيفه \* ببلدة بكر وأخرى عوان

وقرأت في ديوان أجد بن منير الطرابلسي من قصائد مدح بها نور الدين رحمه الله تعالى

يا محيي العدل ويا منسره \* من بين اطباق البلى وقد همد  
وركن الاسلام الذي وطده \* طال وارسى العزفيه ووطد  
وشارع المعروف ادلاسه \* بجنج للقول ولا تسمح يد  
محوت ما أثبتته الجور مضى \* عليه اخلاذ الليال مخلد  
من كل مكاس يظل قاعدا \* لما يسوء المسلمين بالرصد  
كانت لارجاس اليهود دولة \* أزالها منك المحصور ذوالبلد  
الملك العادل لفظ طابق الـ \* معنى وفي الوصف معار مسترد  
خير النعوت ما جرى الوصف على \* صفحته جرى النسيم في الومد  
عدل جنيت اليوم حاوريه \* وسوف يجني لك أحلى منه غد  
لا زال للاسلام منك عدة \* يقيم منه كل زيف وأود  
الناس أنت والملوك شرط \* تعد لنا ويعدون نقد  
مؤلك لا يسخو به زمانه \* ومثل ما أوتيت لم يوت أحد  
وله فيه أيضا

أيا نور دين خبنا نوره \* ومذ شاع عدلك فيه اتقد  
رآك الصليب صليب القناة \* أمين العثار متين العمد  
تم فتسلبه ما اقتنى \* وتدئ فتسكله ما احتشد  
زبنتهم أمس عن صرخد \* فنضوا كأن نعاما شرد  
ويوم العريفة أقبلتهم \* عراما يشعلب منه الاسد  
حبست مليكهم في الصفاد \* وعفوك عنه أعم الصفد  
وقبل اررتهم في الرها \* موازق مزقن جرد الجرد  
بقيت ترقع خرق الزما \* ن قياما لابنائه ان قعد  
تنقف من زيفه ما التوى \* وتصالح من طبعه ما فسد  
وله فيه

أيا ملك الدنيا الحلال والذى \* له الارض دار والبرية أعبد  
وايست بدعوى لا يقوم دليلها \* ولكنه الحق الذي ليس يجمع  
أخوال الغزوات كالعقود تناسقت \* تحل باجساد الجياد وتعقد  
لسان بذكر الله يكسو نهاره \* بهاء وجفن في الدجى ليس يرقد  
وبذل وعدل أغرقا وتألقا \* فلا الورد مثمود ولا الباب موصد  
مرام سمائي وخزم مستد \* ورأى شهابي وعزم مؤيد  
وله فيه

أبدا منكعب عن ضلال سادرا \* بشقوب زندك أوتدل على هذا  
سدت الكهول من الملوك مر اهقا \* وشاوت شيبهم البوازل أمردا



## كتاب ﴿٢٢﴾ الروضتين

ان شيدوا صرحا أناف مناره \* أو يسجدوا للكاكس جدد مسجدا  
واذا استهزتهم فلا تزد معبد \* هزته موعظة فعرف معبدا  
قسما بشام الشام منك مهندا \* أرضاه مشهورا وراع مقلدا  
وتمسك الاسلام منك بعروة \* الله أبرم حبلها فافاستحسدا  
أشقي فكنت شفاعة من حادث \* غاداه عارضه مردى بالردا  
كنت الصباح لليله لما دجى \* والغوث كف لظاه حين نوقدا  
لله يوم! أطلعتك به النسوى \* يحتاب من مويج الا صافر محسدا  
نشوان غنتك الظبي مقلولة \* وأمال عطفك الوشج بقصدا  
في معرك ما قام بأسك دونه \* الأقام المشركين وأقعدا  
ولكم مكررت فيه معما \* أرضى الهك والسمج وأجدا  
يوم العريكة والخطيم وحارم وشعاب ياسوطا رهاب وصرخدا  
لا يعدم الاشرار جددك انه \* ماسل فيهم حاكما الاعتدا  
أهدتهم من بعد ما ملأ والملا \* زجلا فهل كانت سيوفك مرقددا  
طلعت نجوم الحق من آفاقها \* وأعادها كثر العصور كابددا  
وهوى الصليب وحزبه وتجتزالا \* سلام من بعد التساقف أعيددا  
سبق المحلى للخطى فرفعه \* نسق بثم وقد رفعت بالابتدا  
وله فيه

محمود المربي على اسلافه \* ان زاد في حب الحسيب نجار  
ملك اذا تلئت مأثر قومه \* كسد اللطيم وهجن النوار  
ملأ الفرنجة جور سيفك فيهم \* فلهم على سيف المحيط جوار  
يوم ايزيرك جوف عرقة معما \* جوف له خلف الدروب أوار  
وتجر في الاردن فضلة ذبله \* تقع بأكناف الانظمئار  
اما تبج حريم انطاكية \* أو ينجأ الداروم منك دمار  
عني جهادك رسم كل مخوفة \* وصفت بصفوة عدلك الاكدار  
ومحا المظالم منك نظرة راحم \* لله في خطراته أسرار  
غضبان للاسلام مال عموده \* فلنوره مما عراه نوار  
وجدت كل يد تسور على يد \* فاحلت ذاك السور وهو سوار  
لم يبق ما كس مسلم سلقا ولا \* سماع لمظلمة ولا عشار  
هدوا كما همدت ثمود وقادهم \* بنحسار هم مما أنوه قدار  
الغار في الدنيا شقوا بلباسه \* وابسامهم يوم الحساب النار  
كم سيرة أحييتها عمرية \* رفعت لها في الخافقين منار  
ونزافل صيرتهم نوازما \* باقها تستعبد الا حرار  
تقفو طريق الصالحين مسابقا \* لهم وتطلع خلفك الابرار  
نفس السيادة زهد مثلك في الذي \* فيه تفانت يعرب ونزار  
ومتى ادعى ما تدعيه محكم \* أوهى معاقده دينه دينار  
لله ما ظفرت به منك المنى \* وتكنفت من ركنك الاستار  
وسقى الغمام ثرى أبيك فانه \* أزكى ثرى قطرت عليه قطار

## في أخبار (٢٣) الدولتين

شهدت نصارة عودك الغض الحنفي \* ان الذي استخلصت منه نصار  
أمانهارك فهو ليل مجاهد \* والليل من طول القيام نهار  
فلذلك النصر العزيز أدلة \* أي اتجهت وللمتوح أمار  
واه أيضا فيه رحمه الله تعالى

رأينا الملوكة وقد ساجدوا \* كتمنوا منا وغروا غرورا  
أب لك ان يدركوه أب \* يزار في نسي الاسود الزئيرا  
وجد اذا جد يوم الزها \* ن ابني لتاليه جدا غنورا  
تصبع سالك على من عصاك \* يوما عبوسا بها قطيرا  
لقد البس الشام هذا إلأبا \* لبوسا من الامن ليناوثيرا  
تداركت أرماقه والقوا \* ب نوافران يستحق الصدورا  
أقت جنانا وكانت جما \* وسدت قصورا وكانت قبورا  
وكم لك من غصة بة لاهدي \* تمت الهوى وتجب الذكورا  
اذا قطب الياس كانت ردى \* وان تحك العفوعات نشورا  
كملت فوقيت عين الكمال \* تبديد السنين وتبقى العصورا  
وجد لنا بك رب برا \* كلالا كفرنارا وللدن نورا  
اذا ما خدمت فولى كريما \* وأما عبت فعبدا سكورا  
امام المحارب برا حصورا \* وتحت الحروب هزبر اخصورا  
تبارك من شاد هذى الخلال \* في ظلة الملك طودا وقورا  
وألف في مقعد التاج من \* لك سطواسعير او عفو انميرا  
وله فيه

عقل الحق ألسن المدعينا \* أنت خير الملوكة دنيا ودينا  
وأسد الانام تولا وأفعا \* لا ونفسا ونية وبقينا  
أنت أسسناهم ابا واباء \* وأمرأ حيا وأمرع حيننا  
بسطة الرزق في البسيطة كفالك \* فكلمنا يدك تلقى يميننا  
فيمد تحسم النوائب عنا \* ويد تقسم الرغائب فينا  
أيها البحر لو تساجلك الابحر \* عامت في ساحليك سفينا  
ولكان المحيط منها محاطا \* مثل نون الهجاء أو خيل نونا  
مشرعنا منزعنا ومنام هنا \* وربا عافحا وكفالبونا  
ومحيا طلقا ومالا طليقا \* وابتهاجا قصد او حبل امتينا  
بين ذب يمت عادية الشر \* لك وهب يحسب به المسلمونا  
تسنى من القنوح ألوفنا \* أنت أعلى من ان تعدد المثينا  
كلما خرت ثوب نصر عزيز \* من مرام قبلت فتحا مينا  
صرف الله عنك صرف زمان \* أنت علمت صرفه ان يهونا  
يابن من طبق البسيطة آثنا \* راوعل المنا بذه الاجونا  
وعدت حصنه على شرح هذا الدين \* من شلة الاعادى حصونا  
كم تعالى صهيلها في ربى الشا \* م فاعلى خلف الخليج الربينا  
كان صنوا رشيد أبقاك للحك \* مة والبأس يعده المأمونا

## كتاب (٢٤) الروضتين

سمع الله فيك دعوة سكن \* أوطنوا من حال حوصنا حصينا  
غزقهم مدى الخطوب فاحيد \* رفاتنا من التراب دفينا  
السوا عدلك المديح فاخترنا \* لوابنات في وشيه وبنينا  
سهرت عينك الكوة وناموا \* تحت أكاف رعيها أمنينا

قلت فهذا نموذج من أشعار هذين الفخمين فيه مع انهما ماتا في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة قبل ان يفتح نور الدين دمشق وبقي نور الدين حيا بعدها احدى وعشرين سنة يترقى كل عام في ازدياد من جهاد واجتهاد ولو كانا أدركا ذلك لاتباني وصفه بجائبات المدائح مع انه قد تولى ذلك غيرهما ممن لم يبلغ شأوها ولا بي الحمد المسلم بن الخضر ابن قسيم الجوى من قصيدة فيه

تبدو السجاعة من طلاقة وجهه \* كل من دل على القساوة لينه  
ووراء يقظته اناة مجرب \* لله سطوة بأسه وسكونه  
هذا الذي في الله صحيح جهاده \* هذا الذي بالله صحيح يمينه  
هذا الذي بخل الزمان بمثله \* والمشمخر الى العلى عرينه  
ملك الورى ملك أغر تروج \* لا غدره يخشى ولا تلوينه  
ان حل والشرف التليد أنيسه \* أو سار فالظفر الطريف قرينه  
فالدهر خاذل من أراد عناده \* أبدا وجبار السماء معينه  
والدين يشهد انه لم عزه \* والشرك يعلم انه لم يمينه  
ما زال يقسم ان يبدد شمله \* والله يكره ان تمين يمينه  
فتح الرها بالامس فانفتحت له \* أبواب ملك لا يزال مصونه

ومادح نور الدين رحمه الله كثيره وذكر الحافظ أبو القاسم انه كان قليل الابتهاج بالشعر ومات حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى قبته بدمسته بجمار الحواصين قلت وقد جرب استجابة الدعاء عند قبره وهذا ذكر طرف من مناقبه جملة ونحن بعد ذلك نأتى بأخباره وأخبار سلطنة مفصلة مرتبة وما جرى في زمانهم على سبيل الاختصار ان شاء الله تعالى

**(فصل)** أصل البيت الاتاكي هو قسيم الدولة اق سنقر جد نور الدين فنذكره وما تم في أيامه ثم نذكر ولده زنكى وما تم في أيامه ثم نذكر ولده محمود بن زنكى ثم نذكر ما بعده وعلى الدولة الصلاحية الايوبية وما تم في أيامها فنقول كان اق سنقر تركيما من أصحاب السلطان ركن الدين ملك شاه بن الب أرسلان وهو عم دقاق بن متش بن الب أرسلان الذى كان سلطان دمشق وقبره بقبة الطواويس بهابته والمشهد والذلة وكان السلطان ملكشاه من جملة الملوك السلجوقية المتغلبين على البلاد بعد بنى بويه بالعراق فكان قسيم الدولة من أصحابه وأزواجه ومن ربي معه فى صغره واستمر فى صحبته الى حين كبره فلما أفضت السلطنة بعد أبه اليه جعله من أعيان أمراءه وأخص أوليائه واعتمد عليه فى مهماته وزاد قدره علوا الى ان صار يتيقظه مثل نظام الملك الوزر مع تحكمه على السلطان وتمككه من المملكة فأشار نظام الملك على السلطان ان يولى اق سنقر مدينة حلب واعمالها وأراد بذلك ان يبعده عن خدمة السلطان ويتخذ عنده يدا بذلك قال ابن الاثير ومن الدليل على علو مرتبته تلقبه قسيم الدولة وكانت الاقاب حينئذ مصونة لا تعطى الا لمستحقها وفى سنة سبع وسبعين وأربع مائة سیر السلطان ملكشاه الوزر بن خرد الدولة بن جهير وكان زوج ابنة نظام الملك الى الموصل وسير معه جيشا عظيما وجعل المقدم على الجيش قسيم الدولة اق سنقر فسار وانحو الموصل ولقيهم فى الطريق الامير اتقى الزركانى جد ملوك الحصن ومار بن فاستحببوه معهم فحصر الموصل وحاربوا من بها وتسلموها وسار صاحبها الى السلطان فردها عليه وكانت يومئذ احد امراء بنى عقيل وهو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي وكان ملكه من السندية بالعراق على نهر عيسى الى منبج وما بينهما من البلاد الفراتية كهيت والانبار وغيرها وملك الموصل وديار بكر والجزيرة بأسرها وملك مدينة حلب وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسة

وانفق ان وقع بينه وبين صاحب انطاكية خلاف وذلك ان انطاكية كان الروم قد استولوا عليها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ولم ير الوهاب الى هذه السنة ففتحها سليمان بن قتيش وهو جند الملك غياث الدين كينسر و صاحب قونية وغيره او كان لشرف الدولة صاحب حلب على صاحب انطاكية الرومي جزية يأخذها كل سنة فانقطعت عنه بسبب أخذ سليمان البلد فأرسل شرف الدولة يطلب منه ما كان يأخذه من الروم ونهذه فغلب أناني طاعته وهذا الفتح بسعدت الخطة والسكة لك ولست بكافر حتى أعطيك ما كنت تأخذه من الروم فلحق شرف الدولة في طلب المال فالتقى بقتل شرف الدولة وانهزم عسكره وسار سليمان الى حلب فحصرها وسار اليها من دمشق تاج الدولة تنش بن الب أرسلان اخو السلطان ملكشاه والتقى عسكر تنش وسليمان فقتل سليمان وانهزم عسكره وملك تنش مدينة حلب دون القلعة فأرسل أهل القلعة الى ملكشاه ليسألوها اليه وهو يومئذ بالرها وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النخيري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار وسببها اليهم فدخلوها وأخرجوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها فسار ملكشاه اليها في هذه السنة فحصرها وفتحها وأقطعها الامير بزان فلما أتاه رسل أهل القلعة بحلب بالتسليم سار اليهم فلما بلغ مسيره الى أخيه تاج الدولة رحل عن حلب الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وبالقلعة سالم بن مالك بن بدران العقيلي وهو ابن عم شرف الدولة فسلمها الى السلطان بعد قتال وأعطاه السلطان عوضا عنها قلعة جعبر وكان قد ملكها في هذه السفارة من صاحبها جعبر النخيري وكان شيخا كبيرا أعمى فبقيت بيد سالم وأولاده الى ان أخذها منهم الملك العادل نور الدين كلسي أتى فلما ملك السلطان حلب أرسل اليه الامير نصر بن علي بن المقلد بن منقدر الكاني صاحب شعير ودخل في طاعته وسلم اليه الماذنية وفامية وكفرطاب ثم ان نظام الملك أشار على السلطان بتسليم قلعة حلب واعمالها ووجه ومنج واللاذقية وما معها الى قسم الدولة آق سنة فقاطعها الجميع وبقيت بيده الى ان قتل سنة سبع وثمانين وأربع مائة وأقطع السلطان مدينة انطاكية الامير باغي سغان ولما استقر قسم الدولة في الشام ظهرت كفايته وحجايته وهيئته في جميع بلادها ثم ان السلطان استدعاه الى العراف فقدم اليه في فجل عظيم لم يكن في عسكر السلطان من يقاربه فاستحسن ذلك منه وعظم محله عنده ثم أمره بالعود الى حلب فعاد اليها فلما مات السلطان ملكشاه سار قسم الدولة جيشا الى تكريت فلكها وفي سنة إحدى وثمانين قصد قسم الدولة شير قنبرها وعاد الى حلب وفي سنة ثلاث وثمانين اجتمع قسم الدولة وبران وحصر وامدنية حص فلكوها ومضى ابن ملاعب الى مصر وفي سنة أربع وثمانين وملك قسم الدولة حصن فامية من الشام وملك الرحبة

(فصل) وفي عاشر رمضان سنة خمس وثمانين قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق قتله صبي دليلى بعد الافطار وقد ترقق عن طعامه الفقهاء والامراء والعقراء وغيرهم من أصناف الناس وجعل في محفة لنقرس كان به الى خيمة الحرم فلقية صبي دليلى مسنعا به فقتله منه لسمع شكواه فقتله وقتل الصبي أيضا فقدمت الدنيا واحدها الذي لم ترمث له وكان تلك الالة قد حكى له بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه أتاه وأخذه من محفته فقبه فاستبشر نظام الملك بذلك وأظهر السرور به وقال هذا أبنى واياها اطلب وكن قد بلغ من الدنيا مبلغا عظيما لم ينله غيره وكان عالما فقيها دينا خيرا متواضعا عادلا يحب أهل الدين ويكرهمهم ويجزل صلاتهم وكان أقرب الناس منه وأحبهم اليه العلماء وكان ينظرهم في المحافل ويبحث عن غوامض المسائل لانه لم يشغل بالفقه في حال حداثة مده وأما صدفاته ووقوفه فلا حد عليها ومدارسه في العالم مشهورة لم تخل بلد من شئ منها حتى جزيرة ابن عمر التي هي في زاوية من الارض لا يؤتى لها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة رضى الدين وأعماله السنة وصنائعه الجميلة مذكورة في التواريخ لم يسبقه من كان قبله ولا أدركه من كان بعده وكان من جملة عباداته انه لم يحدث الا توضأ ولا نوضأ الا صلى وكان يقرأ القرآن حفظا ويحافظ على أوقات الصلوات محافظة لا يتقدم فيها المتفرغون للعبادة حتى انه كان اذا غفل المؤذن أمره بالاذان واذا سمع الاذان أمسك عن كل ما هو فيه واشتغل بواجبه ثم الصلاة وكان ندور للسلطان عضد الدولة بالارسال والدملكشاه قبل ان يلي السلطنة في حياة عمه السلطان طغرل بك أول الملوكة السلجوقية ببغداد فلما توفي طغرل بك سعى نظام الملك في أخذ السلطنة لصاحبه الب أرسلان وقام المقام الذي تجز عنه الجيوش الكثيرة واستمرت السلطنة له وبقي معه الى ان توفي ثم وازر بعده

## كتاب (٢٦) الروضين

لولده السلطان ملكشاه الى ان قتل وكان قد تحكّم عليه الى حد لا يقدر السلطان على خلافه لكثرة مماليكه ومحبة العساكر له والامر امويل العاتة والخاصة اليه لحسن سيرته وعدله وهذا كلام أبي الحسن بن الاثير وقرأت في كتاب المعارف المتأخرة ويسمى عنوان السير لمحمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمداني قال وزير نظام الملك أبو علي الحسن ابن علي بن اسحاق الطوسي للسلطان اب ارسلان ولولده السلطان ملكشاه أربعاً وثلاثين سنة وقتل بالقرب من نهاوند وعمره ست وسبعون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً اغتاله أحد الباطنية وقد فرغ من فطوره قال وقيل ان السلطان ملكشاه الف عليه من قتله لانه سمّ طول عمره ومات بعده بشهر وخمسة أيام وقد تقدّم نظام الملك في الدنيا التقدم العظيم وأفضل على الخلق الافضال الكثير وعم الناس بعرفه وبني المدارس لا محاب الشافعي ووقف عليهم الوقوف وزاد في الحلم والدين على من تقدّمه من الوزراء ولم يبلغ أحد منهم منزلته في جميع أموره وعبر جيحون فوقه على العام لباظاكية بما يصرف على الملاحين وملك من الغلمان الاثرالك الوفا وكان جمهور العساكر وشجعانهم وقتلهم من مماليكه قتل وأنشد أبو سعد السمعاني في ذيل تاريخ بغداد فقال أنشدني عبي الامام أبو القاسم أجداب منصور السمعاني غير مرة من لفظة للا مير شبل الدولة يعني مقاتل بن عطية ابن مقاتل البكري

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة \* ثمينه صاغها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الايام قيمتها \* فردّها غيرته منه الى الصدف

(فصل) عاش السلطان ملكشاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوماً ومات في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وعمره ثمانية وثلاثون عاماً ونصف عام وكانت ملكته قد اتسعت اتساعاً عظيماً وخطب له من حدود الصين الى الداروم من أرض الشام وأطاعه اليمن والحجاز وكان يأخذ الخراج من ملك القسطنطينية وأطاعه صاحب طراز واستيجاب وكاشغر وبلاسون وغيرهما من الممالك البعيدة وملك سمرقند وجميع ما وراء النهر ثم ان صاحب كاشغر عصى عليه فسار السلطان اليه فلما قارب كاشغر هرب صاحبها منه فسار في طلبه ولم يزل حتى ظفربه وأحسن اليه واستعجبه معه الى أصفهان وعمل السلطان من الخيرات وأبواب البر كثير امنها ما أصحله وعمله من المصانع بطريق مكة وحفر من الابار وبني مدرسة عند قبر الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه وبني الجامع الذي بظاهر بغداد عند دار السلطنة وهو الذي بنى منارة الغرون في طرف البرهامل الكوفة فكان يعرف بالسبعي وبني مثلها بسمرقند أيضاً قيل انه خرج سنة من الكوفة لتوديع الحجيج فافوز العذيب وبلغ السبعية بقرب الواقعة وبني هنالك منارة نزل في أنثائها قرون الظبي وحوافر الجر الوحشية التي اصطادها في طريقه وبعدموته وتنازع ابنائه تكياروق ومحمد ومات الحروب بينهم نحو ثلثي عشرة سنة الى ان توفي تكياروق واستقرت السلطنة لمحمد في مدة تلك الحروب ظهرت الفرعج الساحل وملكوا انطاكية أولاً ثم غيرها من البلاد وكان السلطان قد أقطع أخاه تاج الدولة تنش مدينة دمشق وأعمالها وماجاورها كطبرية والبيت المقدس فلما توفي ملكشاه طمع تاج الدولة في السلطنة فسار الى حلب وبها قسم الدولة فصالحه وراسل بوزان صاحب حران وباغى سغان صاحب انطاكية فسار واعمه نحو الرحبة ونصيبين فأخذها وأرسل صاحب الموصل ابراهيم بن قريش بن بدران يأمره بالخطبة له وان يعطيه طريقاً الى بغداد فامتنع فالتقى فهزم صاحب الموصل وقتل وأخذت بلاده وسار الى ميافارقين فلكها وسائر ديار بكر ثم سار الى أذربيجان فالتقى هو وابن أخيه تكياروق مع ملكشاه فانتقل قسم الدولة وبزولن الى تكياروق فرجع تاج الدولة الى الشام ورجع الى بلاده بأمر تكياروق لينع تاج الدولة عن البلادان قصدها فجمع تاج الدولة العساكر وسار عن دمشق نحو حلب فاجتمع قسم الدولة وبوزان وأمدّها السلطان بركن الدين تكياروق بالامير كروقا وهو الذي صار فيما بعد صاحب الموصل فالتقوا بالقرب من تل السلطان بينه وبين حلب نحو من ستة فراسخ فانهزم جيش قسم الدولة وأخذ أسير أخته تاج الدولة صبراً ودخل بران وكر بوقا حلب فصرها تاج الدولة حتى فتحها وأخذها أسيرين وأرسل الى حران والرها وكانت البران فامتنع من بهما من التسليم فقتل بران وأنفذ رأسه وتسلم البادين وأما كروقا فانه سجنه بمحس فلم يزل الى ان أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة فال ابن الاثير وكان قسم الدولة أحسن الناس سياسة لرعيته وحفظها لهم وكانت بلاده بن عدل عام ورخص شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية في بلاده متى أخذ عند

## في اخبار (٢٧) الدولتين

احدهم قفل أو أحد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغت قرية من بلاده القوارح لهم وناموا آمنين وقام أهل القرية يحرسونهم الى ان يرحلوا فأمنت الطرق وتحدث الركبان بحسن سيرته وفي المحرم من سنة سبع وثمانين وأربعمائة توفي الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة وهو أبو القاسم عبد الله ابن الأمير محمد بن القائم بأمر الله وعمره تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وأمه تركية وبويع من بعده ولده المستظهر بالله أبو العباس أحمد ويلقب محمد بن القائم والد المقتدى بالله الدخيرة مات في حياة أبيه فلم يل الخلافة

## ذكر اخبار زنكي

والنور الدين رجهما الله تعالى على سبيل الاختصار في فصول الى حين وفاته ثم نذكر أخبار نور الدين على ترتيب السنين لما قتل قسم الدولة آق سنقر لم يخلف من الاولاد غير واحد وهو عماد الدين زنكي والنور الدين وكان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين فاجتمع عليه ممالك والده وأصحابه وفيهم زين الدين علي وهو صبي أيضا ثم ان الأمير كركوب خلع من السجن بعد قتل تاج الدولة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وتوجه الى حران وقد اجتمع معه عسكر صالح فلكها ثم سار الى نصيبين فلكها ثم الى الموصل فلكها وازال عنها علي بن شرف الدولة العقيلي وسار نحو ماردين فلكها وعظم شأنه وهو في طاعة ركن الدولة نكاريوق فلما ملك البلاد احضر ممالك قسم الدولة آق سنقر وامرهم باحضار عماد الدين زنكي وقال هو ابن أخي وأنا أولى الناس بترتيبه فاخضروه عنده فاقطعهم الاقطاعات السنية وجعلهم على عماد الدين زنكي واستعان بهم في حروبه وكانوا من الشجاعة في أعلى درجاتها فلم يزالوا معه فتوجه بهم الى آمد وصاحبها من أمراء التركمان فاستجدهم عن الدين ستمائة دينار ثم ارتقى جد صاحب الحصن فكسرهم قوام الدولة كركوب فوفا وهو أول مصافح حضر زنكي بعد قتل والده ولم يزل كركوب قال ان توفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة وملك بعده موسى التركماني فلم تطل مدته وقتل وملك الموصل شمس الدولة جكر مش وهو أيضا من ممالك السلطان ملكشاه فاخذ زنكي فقر به واحبه واتخذ ولد المعروفة بمكانة والده فبقى معه الى ان قتل سنة خمسة مائة فلا جرم ان زنكي رعى هذا الجكر مش لممالك الموصل وغيرها من البلاد فانه أخذ ولده ناصر الدين كوري فاكرمه وقدمه واقطعه اقطاعا كثيرا وجعل منزله أعلى المنازل عنده واتخذ صهره ممالك الموصل بعد جكر مش جاولي سقاؤه فاتصل به عماد الدين زنكي وقد كبر وظهرت عليه امارات السعادة والشهامة ولم يزل معه حتى عصى على السلطان محمد وكان جاولي قد عصى على الشام ليلكمه من الملك فخر الملك رضوان فارس السلطان الى الموصل الأمير مودود واقطعه اياها سنة اثنين وخمسمائة فلما اتصل الخبر بجاولي فارق زنكي وغيره من الأمراء فلما استقر مودود بالموصل واتصل به زنكي أكرمه وشهد معه حروبه فسار مودود الى الفزاة بالشام ففتح في طريقه قلاعهم من شجستان كانت للفرنج وقتل من كان بها منهم ثم سار الى الرها فحصرها ولم يفتحها فدخل وعبر الفرات فحصر تل بامر خمسة وأربعين يوما ثم سار الى معرة النعمان فحصرها ثم حضر عنده أتائب طعنة صابح دمشق فسارا الى طبرية وحاصروها وقتلوا وقتلا شديدا وظهر من أتائب زنكي شجاعة لم يسمع بمنزله امنه انه كان في نفر وقد خرج الفرنج من البلد فحمل عليهم هو ومن معه وهو يظن انهم يتبعونه فتحلفوا عنه وتقدم وحده وقد انهزم من بظاهر البلد من الفرنج فدخلوا البلد ووصل رحمه الى الباب فاثريه وقتلهم عليه وبقي ينتظر وصول من كان معه فحيث لم ير أحدا جنى نفسه وعاد سالما فنجب الناس من أقدامه أولا ومن سلامته أخر ثم اتقى الجمعان فهزم الفرنج لعنهم الله ووصلوا الى مضيق دون طبرية فاجتمعوا به وجاءتهم فجدت فاذن الأمير مودود للسكر في الرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع فلما تفرقوا دخل دمشق وأقام بها فخرج يواصل الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ويده يسد طعنة بركب عليه انسان فضر به بسكين معه فجرحه أربع جراحات وكان صائما فحمل الى دار طعنة بركب واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فاني ميت لا محالة سواء أظفرت أو صمت وتوفي في بقية يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه وقيل بل خافه طعنة بركب فوضع عليه من يده له وكان خيرا عاد لا حسن السيرة

## كتاب (٢٨) الروضتين

قال ابن الاثير حدثني والدي رحمه الله قال كتب ملك الفرنج الى طعته كني ان أمة قتلت عيدها يوم عيدها في بيت معبودها الحقيقي على الله ان يبيدها فلما قتل الامير ودود أقطع السلطان بلاد الموصل وغيرها لالا ميرحبوش بك وسير معه ولده الملك مسعود الى الموصل ثم انه جهز آق سنقر البرسقي في العساكر وسيره الى قتال الفرنج وكتب الى عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه فساروا وفيهم عماد الدين زنكي وكان يعرف في عساكر الجيوش بزنكي الشامي فسار البرسقي الى الرها في خمسة عشر ألف فارس فحصرها وقتل من بها من الفرنج والارمن وضاعت الميرة عن العسكر فرحل الى سميساط وهي أيضا للفرنج فآخرب بلدها وبلاد سروج وعاد الى بلد شجستان فآخرب ما فيه للفرنج وأبلى زنكي في هذه المواقف كلها بلاء حسنا ثم عادت العساكر تتحدث بما فعله وعاد البرسقي الى بغداد وأقام زنكي بالموصل مع الملك مسعود والامير حبوش بك الى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقد علا قدره وظهر اسمه

(فصل) وفي سنة إحدى عشر وخمسمائة ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وفيها غرقت سنجار من سيل المطر وهلك منها خلق كثير ومن أعجب ما يحكى ان السيل حمل مهدا فيه طفل فتعلق المهد في شجرة ونقص الماء فلم ذلك الطفل وغرق غيره من الماهرين بالسباحة وفيها أيضا زلزلت أربل وغيرها من البلاد المجاورة لها زلزلة عظيمة وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان غياث الدين محمود بن ملكشاه وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما خطب له ببغداد في ذي الحجة سنة اثنين وتسعين وأربعمائة وقطعت خطبته عدة مرار لوقي من المشاق والاضطراب ما لم يلقه أحد الى أن توفي أخوه نيكاروق فحينئذ استقرت له السلطنة وصفت له ودانت البلاد وأصحاب الاطراف لطاعته وكان اجتماع الناس عليه بعد موت أخيه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وكان عادلا حسن السيرة شجاعا وأطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ومن عدله انه اشترى عدة مما يليك من بعض التجار وأمر ان يوفي الثمن من عامل خوزستان فوصل اليه البعض ومطل بالباقي فحضر التاجر مجلس الحكم وأخذ غلام الحاكم ووقف بطريق السلطان واستغاث اليه فأمر من يستعلم حاله فعاد الحاجب واعلم السلطان حاله فعظم عليه وضاق صدره وأمر في الحال ان يحضر عامل خوزستان ويلزم بمال التاجر ثم انه ندم على تأخره عن مجلس الحكم وكان يقول كثيرا لقد ندمت على تركي حضور مجلس الحكم ولو فعلته لافسد بي غيري ولم يمنع أحد عن اداء الحق

قال ابن الاثير وهذه الفضيلة ذخرها الله تعالى للبيت الاتابكي فان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فعل ما ندم السلطان محمد على تركه وقد تقدم ذلك ولما علم الامرء وغيرهم من خلق السلطان محبة العدل واداء الحق وكرهية الظلم ومعاقبة من يفعلها اقتدوا به فامن الناس وظهر العدل وولى بعد السلطان محمد ابنه محمود وعمره يومئذ أربع عشرة سنة فقام بالسلطنة وجرى بينه وبين عمه سنجر حرب انهمز فيها محمود وعاد الى عمه بغير عهد فأكرمه واقطعه من البلاد من حد خراسان الى الداروم باقوى الشام ومن الممالك هذان واصفهان وبلد الجبال جميعه وبلاد كرمان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان وارمينية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار مصر وديار بريمه والشام وبلاد الروم الذي بيد قليج ارسلان وما بين هذه الممالك من البلاد \* قال ابن الاثير ورأيت منشورة بذلك وفي سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة توفي الامام المستظهر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن المقتدى بأمر الله وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ومضى في أيامه ثلاث سلاطين خطب لهم ببغداد من السلجوقيه وهو أخو ملكشاه تاج الدولة تنش وركن الدولة نيكاروق بن ملكشاه وأخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر رحمه الله كريم الاخلاق لين الجانب مشكور المساعي يحب العلم والعلماء وصنفت له من التصانيف الكثيرة في الفقه والاصول وغيرها وكان يسارع الى اعمال البر والمثوبات حسن الخط جيد التوقيعات ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله ودفن في جرة كانت له يألفها وفي أيامه توفي جماعة من العلماء ففي شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة توفي قاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامي وفي ذي القعدة منها توفي القاضي عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي مصنف حدائق ذات بهجة في تفسير القرآن

## في أخبار (٢٩) الدولتين

يزيد على ثلثمائة مجلد قال ابن الاثير رأيت منه تفسير الفاتحة في مجلد كبير وفي ذى الحجة توفي الامام أبو نصر الجيديد مصنف الجمع بين الصحيحين وفي سؤال سنة احدى وتسعين توفي الكامل نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وله نحو تسعين سنة وفي سنة اثنين وخمسين ومائة توفي أبو زرارة التبريزي اللغوي وفي ذى الحجة من توفى أبو الفوارس الحسين بن علي بن الخازن صاحب الخط المشهور وفي سنة خمس وخمسمائة توفي الامام أبو حامد الغزالي وفي سنة سبع وخمسمائة توفي الامام أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الفقيه رحمه الله أجمعين

(فصل) لما ولي السلطان محمود السلطنة أقر أخاه مسعودا على الموصل مع أتباعه حبوش بك فبقى مطيعا لآخيه الى سنة أربع عشرة وخمسمائة فحسن له الخروج عن طاعته وطلب السلطنة فآظهر العصيان وخطب للملك مسعود بالسلطنة وكان زنكي يشير بطاعة السلطان وترك الخلاف عليه ويحذرهم عاقبة العصيان فلم ينفع فالتقى الاخوان في عسكرهم فافترس عسكر مسعود واسرجاعة من الامراء والاعيان منهم الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن اسماعيل الطغرائي وزير مسعود فقتله السلطان محمود وقال قد صبح عندي فساد اعتقاده ودينه وكان قد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة جيد الشعر قلت وقيل انه قتل سنة ثلاث عشرة وأربع مائة عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقيل ان الذي قتله هو السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه ذكر ذلك كله أبو سعد السمعاني في تاريخه وسمي الحسين بن علي بن عبد الصمد الديلي وأنشده له أسعرا احسانا منها

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا \* فكن عبد المالك مطيعا  
وان لم تملك الدنيا جميعا \* كما تم - واه فاتركها جميعا  
هماسيان من ملك ونسك \* يذيلان الفتى الشرف الرفيعا  
ومن يقنع من الدنيا بشئ \* سوى هذين يحى بها وضيعا

ثم استأمن مسعود وأتباعه حبوش بك فأمنها السلطان وأخذ الموصل منهم فاقطعها اق سنفقر البرسقي مع اعماله كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها في صفر سنة خمس عشرة وسيرة اليها وأمره بحفظ عباد الدين زنكي وتقديمه والوقوف عند اشارته ففعل البرسقي ذلك وزاد عليه لمكان زنكي من العقل والشجاعة وتقدم والده في الايام الركنية وكانت سيرة ملكشاه عندهم كالسيرة المتبعة فأعظم الناس عندهم أكثرهم اتباعا لسيرته وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أقطع أتباع زنكي مدينة واسط وشحنة كية البصرة وظهر من كفايته في البلد مالم يظنه أحد فازداد شأنه عظما وهاب الامر ديس بن صدقة الاسدي صاحب الحلبة ناحيته وجرت بينه وبين البرسقي حروب ومواقعات وهم ديس بقصد بغداد ففسار البرسقي اليه وتبعه الخليفة المسترشد بالله بنفسه فأنزله عسكر ديس وقتل منه سم وأسر خلق كثير وكان لعماد الدين زنكي أثر حسن في هذه الواقعة أيضا بين يدي الخليفة وذلك في أول المحرم سنة سبع عشرة وأما ديس فإنه لما أنزله لحق بالملك طغرل بن السلطان محمد وصار معه من خواص أصحابه وكان عاصيا على أخيه السلطان محمود وأمر السلطان محمد للبرسقي ان يرجع الى الموصل فعاد واستدعى زنكي من البصرة ليسير معه الى الموصل فقال زنكي لا محابة قد نخرنا مما نحن فيه كل يوم قدم ملك البلاد أميرنا ونؤمر بالتصرف على اختياره وارادته ثم تارة بالعراق وتارة بالموصل وتارة بالجزيرة وتارة بالشام فصار من البصرة الى السلطان محمود فأقام عنده وكان يقف الى جانب تحت السلطان عن يمينه لا يتقدم عليه أحد وهو هو وقام والده قسيم الدولة من قبله وبقي لولده من بعده ثم أتى السلطان الخبر ان العرب اجتمعت ونهبت البصرة فأمر زنكي بالمسير اليها واقطعها ياها لم يبلغه عنه من الخاية لها في العام الماضي وقت اختلاف العساكر والحروب ففعل ذلك فعظم عند السلطان وزاد محله وكان قد جرى بين برتقش الزكوي شحنة بغداد وبين الخليفة المسترشد بالله نفرة فتمتدده المسترشد فصار عن بغداد الى السلطان في رجب سنة تسع عشرة شاكيامن المسترشد وحذر السلطان جابه واعلمه انه قد جمع العساكر عازما على منعه من العراق فصار السلطان الى بغداد وجرى بينه وبين المسترشد حروب ووقائع ثم اصطالحا وعاد الى ما كان عليه وأقام السلطان ببغداد الى عاشر ربيع الآخر ونظر فمين يصلح ان يلي شحنة كية بغداد والعراق يؤمن معه من الخليفة ويضبط الامور فولى ذلك زنكي مضافا الى ما بيده من الاقطاع وسار السلطان عن بغداد وفي سنة عشرين وخمسمائة قتل اق سنفقر البرسقي بالجامع



## كتاب (٣٠) الروضتين

العتيق بالموصل بعد الصلاة يوم الجمعة ثار به من الباطنية ما يزيد على عشرة أنفس فقتل بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان عادلا لئلا ينال من الاخلاق حسن العشرة وكان يصلي كل ليلة صلاة كثيرة ولا يستعين في وضوءه بأحد فقرر السلطان ولده عز الدين مسعودا على ما كان لا يبيعه من الاعمال وهي الموصل وديار الجزيرة وحلب وحمص وجزيرة ابن عرو وغيرها وكان شابا عاقلا فضبط البلاد فلم تطل أيامه وتوفي سنة احدى وعشرين وولى الامر بعده أخوه الصغير وقام بتدبير دولتيهما الامير جاولي وهو مملوك تركي من محاليك أبيهما جفرت الامور على أحسن نظام

**(فصل)** في ولاية زنكي الموصل وغيرها من البلاد التي كانت بيد البرسقي وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وعشرين وسبب ذلك ان عز الدين البرسقي لما توفي وقام بالبلاد بعده أخوه الصغير وتولى امره جاولي أرسل الى السلطان محمود يطلب ان يقر بالبلاد عليه وكان المرسل بذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن الشهرزوري وصالح الدين محمد الياغبساني فحضر ابغداد ليخاطب السلطان في ذلك وكان يخاف ان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه وكان بين صلاح الدين وبين نصير الدين جقر مصاهرة فآشار عليهم ان يطلبوا البلاد لعماد الدين زنكي ففعلوا وقالوا لوزير قد علمت أنت والسلطان ان بلاد الجزيرة والشام قد استولى الفرنج على أكثرها وتمكنوا منها وقويت شوكتهم وكان البرسقي يكف بعض عاديهم فذقتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا تدل البلاد من شهم شجاع يذب عنها ويحیی حوزتها وقد أنهي لنا الحال اليكم لئلا يجري خلل أووهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن بالاثم من الله تعالى واللوم من السلطان فانهمى الوزير ذلك الى السلطان فاجبجه وقال من تري ان يصلح لهذه البلاد فذكر اجاعه فيهم عماد الدين زنكي وعظما محله أكثر من غيره فأجاب السلطان الى توليته لما علم من شهامته وكفايته فولى البلاد جميعا وكتب منشوره بها وسار من بغداد الى البواز فنج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها تظهره ان منعه جاولي عن البلاد فلما استولى عليها سار عنها الى الموصل فخرج جاولي الى لقائه وعاد في خدمته الى الموصل فسيره الى الرحبة واعمالها وأقام هو بالموصل يصلح أمورها ويقرقوا عدها فولى نصير الدين دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه امر الولاية جميعها وجعل الدزداريته في البلاد جميعها له وجعل الصلاح محمد الياغبساني أمير حاجب الدولة وجعل بهاء الدين فاضى قضاة بلادهم جميعها وما يفقه من البلاد ووفاهم بما وعدهم وكان بهاء الدين أعظم الناس عنده منزلة وأكرمهم عليه وأكثرهم انبساطا معه وقر بامنهم ورتب الامور على أحسن نظام وأحكم قاعدة وكانت الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هديتهم وزادت صولتهم وامتدت الى بلاد المسلمين أيديهم وضعف أهلها عن كف عاديهم وتآلفت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطافوا في البلاد شررتهم وامتدت ملكتهم من ناحية ماردين وشيخان الى عريش مصر ليقتلهم من ولاية المسلمين غير حلب وحمص ودمشق وكانت سراياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين وأما أهل الرقة وحران فقد كانوا معهم في ذل وهوان وانقطعت الطرق الى دمشق الاعلى الى الرحبة والبر ثم زاد الامر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا واثابة أخذوا منها منهم ليكفوا أذيتهم عنهم ثم لم يقنعوا بذلك حتى أرسلوا الى مدينة دمشق واستعرضوا الرقيق ممن أخذ من الروم والارمن وسائر بلاد النصرانية وخيروهم بين المقام عند أربابهم والعود الى أوطانهم فمن اختار المقام تركوه ومن أثر العود الى أهله أخذوه ونأهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغارا وأما أهل حلب فان الفرنج أخذوا منها مناصفة أعمالها حتى في الرحالة على باب الجنان وبينها وبين المدينة عشرين خطوة وأما باقي بلاد الشام فكان حال أهلها أشد من حال أهل هذين البلدين فلما نظر الله سبحانه وتعالى الى بلاد المسلمين ولاها عماد الدين زنكي فغزا الفرنج في عقد ديارهم وأخذ للوحدين منهم بنارهم واستنقذ منهم حصونا ومعاقل وسياق تنصيل ذلك وما يفقه من البلاد الاسلامية هو وابنه من بعده ان شاء الله تعالى

**(فصل)** ثم شرع زنكي رحمه الله في اخذ البلاد فاقتح جزيرة ابن عمر ثم مدينة اربل في رمضان سنة اثنتين وعشرين ثم عاد الى الموصل وسار في جادى الاولى سنة ثلاث وعشرين الى سنجار فسلمها واسير منها الشجن الى الخابور فملكه ثم قصد الرحبة فملكها ثم انتح نصيبين وسار الى حران وكانت الرها وسروج وغيرها من ديار الجزيرة للفرنج لعنهم الله وأهل حران معهم في ضيق عظيم فراسلوا زنكي بالطاعة واستحثوه على الوصول اليهم ففعل وهادن

## في أخبار (٣١) الدولتين

في مدة يسيرة يعلم انه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقي له من البلاد الشامية والجزرية وكان اهم الاشياء عنده  
والفرات وملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فلما عبر الفرات ملك مدينة منبج وحصن بزاغة وحاصر  
ب ثم فتحت له فرتب أمورها وسارعها الى حياه فلكها وقبض على صاحب حصن وحصرها وذلك سنة ثلاث  
شرين وفي سنة أربع وعشرين اتفق صاحب أمد مع صاحب حصن كيفا وغيرهم من الملوك وجعوا عساكر  
وعشرين الفا وقصدوا زنكي فلقينهم فهزمهم وملك سرجة ودارا ثم صمم على الجهاد فنزل حصن الانارب  
كان أضر شيء على أهل حلب فجاءه الفرنج جمعاً عظيماً فهزمهم وقتلهم مقتلة عظيمة بقيت عظام القتلى بتلك  
الارض مدة طويلة ثم رجع الى الحصن فملكه عنوة فاخر به ومحا أثره وأزال من تلك الارض ضرره ثم رحل  
الى حصن حارم فانفذ من لم يحضر المعركة من الفرنج ومن نجاه منها يسألون الصلح ويبدلون له المناصفة على ولاية  
حارم فاجابهم الى ذلك لان عسكره كان قد كثرت فيهم الجراحات والقتل فاراد ان يستريحوا فهادنهم وعاد عنهم  
وقد ايقن المسلمون بالشام بالامن وحلول النصر وسيرت البشائر الى البلاد بذلك وفيها استولى زنكي على مدينة  
حماه وما فيها وكان فيها بهاء الدين سونج بن ناج الملوك بوري فاخذ رجاله ثم طلب في اطلاقهم خمسين ألف دينار  
فاتفق حضور ديس بن صدوق بن مزيد أمير العراق بدمشق منهنما فطلبه زنكي وأطلق من كان عنده من سونج  
وأصحابه ذلك الرئيس أو يعلى وفي سنة خمس وعشرين وخمسائة توفي السلطان محمود بهمدان وكان عمره  
نحو ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته ما يقارب أربع عشرة سنة وكان حليماً كريماً عاقلاً عادلاً كثيراً الاحتمال  
وطلب السلطنة بعده ولده داود بن محمود وأخوه مسعود ولسجوق شاء أن يات محمد وعهما مسنجر بن ملكشاه ومعه  
طغرل بن السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات كثيرة طفر فيها مسنجر بن ملكشاه ومعه طغرل بن السلطان  
وخطب لابن أخيه طغرل بالسلطنة في همدان وأصفهان والري وسائر بلاد الجبل وفي سنة سبع وعشرين سار  
الخليفة المسترشد بنفسه الى الموصل في ثلاثين ألف فارس فحصرها ثلاثة أشهر ثم عاد الى بغداد ولم يبلغ غرضاً وفي  
سنة تسع وعشرين استولى زنكي على سائر قلاع الجيادية وولاياهم منها قلعة العقير وقلعة شوس وحاصر مدينة  
أمد ثم مدينة دمشق وفيها توفيت والدته بالموصل وفي المحرم سنة تسع وعشرين توفي السلطان طغرل بن محمد  
ابن ملكشاه فخرج السلطان مسعود والنقي هو والخليفة المسترشد في عسكرين عظيمين عاشر رمضان فهزم عسكر  
الخليفة وقبض عليه وعلى خواصه وأنفذ السلطان شحنة الى بغداد فقبض جميع أملاك الخليفة وهجم جماعة من  
الباطنية على المسترشد وعوفي الخية فقه لوه وكتب السلطان الى شحنة بغداد يأمره بالبيعة لابنه أبي جعفر المنصور  
ابن المسترشد فبايعه في السادس والعشرين من ذي القعدة ولقب بالراشد وكان عمر المسترشد ثلاثاً وأربعين سنة  
وثلاثة أشهر وثمانية أيام وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وكان شهماً شجاعاً مقداماً فصيحاً وتمكن  
في خلافته تمكناً عظيماً لم ير أحد ممن تقدمه من الخلفاء من عهد المنتصر بالله الى خلافته الا ان يكون المعتضد  
والمكشفي لان المماليك كانوا قديماً يخلفون الخلفاء ويحكمون عليهم ولم يرالوا كذلك الى ملك الديلم واستيلائهم  
على العراق فزالته هيبته الخلافة بالمره الى انقراض دولة الديلم فلما ملك السلجوقية جددوا من هيبته الخلافة  
ما كان قد درس لاسيما في وزارة نظام الملك فانه أعاد الناموس والهيئة الى أحسن حالها الا ان الحكم والشحن  
بالعراق كان الى السلطان وكذلك العهد وضمان البلاد لم يكن للخلفاء الا فطاع يأخذون دخله وأما المسترشد  
فانه استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان محمود معه في كثير من الاوقات سوى الخطبة واجتمعت عليه  
العساكر وفاد الجيوش وباش الحروب وفي سنة ثلاثين وخمسائة سار الراشد الى الموصل محبة زنكي ملتجئاً اليه  
وذلك ان جماعة حسنواله الخروج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود فأجابهم الى ذلك وظهر منه تنقل في الاحوال  
وتلون في الاراء وقبض على جماعة من أعيان أصحابه وخافه الباقون وتقدم السلطان مسعود وحاصر بغداد واستظهر  
عليها فخرج الراشد ملتجئاً الى زنكي فسار به الى الموصل ودخل مسعود بغداد وأمر بخلع الراشد ومبايعته عمه أبي عبد  
الله محمد بن المستظهر بالله ففعل ذلك ولقب المقتفي لأمر الله وأما الراشد فان السلطان سجنه وأرسل الى أتاك بآمره  
انخراجه عن بلده فسار الى أذر بيجان ثم الى همدان فاجتمع اليه ملوك وعساكر كثيرة وسار السلطان اليهم فقتلوا

## كتاب (٣٢) الروضتين

فانهزم الراشد وقصد اصبهان فقتله الباطنية بها في السابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ودفن باصبهان وفي سنة اثنتين وثلاثين أيضا تزوج زنكي بالخانن صفوة الملك زمردانة الامير جاولي أم شمس الملوك اسماعيل واخوته بني تاج الملوك بوري بن طعته كين أتابك وهي أخت الملك دقاق واليه ينسب مسجد خانن الذي هو مدرسة لاصحاب أبي حنيفة بأعلى الشرف القبلي بأرض دمشق بأرض صنعاء وتسلم قلعة حصص

**(فصل)** في جهاد زنكي للفرنج كان في سنة اثنتين وثلاثين خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق عظيم لايحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهم من أنواع النصارى فقصد الشام فخافه الناس خوفا عظيما وكان زنكي مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقة الموصل فقصد ملك الروم مدينة زاعة وحصرها وهي على مرحلة من حلب وفتحها عنوة وقتل مقاتلة وسبي الذرية في شعبان ثم سار عنها الى شيزرو وهي حصن منيع على مرحلة من مدينة حماد فحصرها من نصف شعبان ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وارسل صاحبها أبو العساكر سلطان ابن منقدا الى زنكي يستنجده فنزل على حماد فكان يركب كل يوم في عساكره ويسير الى شيزر بحيث يراء ملك الروم ويرسل السرايا يتخطف من يخرج من عساكرهم لليرة والنهب ثم يعود آخر النهار وكان الروم والفرنج قد نزلوا على شرقي شيزر فأرسل اليهم زنكي يقول لهم انكم قد تحصنتم بهذه الجبال فأخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقي فان ظفرتم أخذتم شيزر وغيرها وان ظفرت بكم أرحمت المسلمين من شرككم وليكن له بهم قوتك أكثرتهم وانما كان يفعل هذا ترهيبا لهم فأشار الفرنج على ملك الروم ببلقائه وقتاله وهونوا أمره فقال لهم الملك أئذنا من ان معه من العساكر ما ترون وله البلاد كثيرة وانما هو يريدكم فله من معه لتظعموا وتحجروا له فيخذل ترون من كثرة عساكره ما يحجزكم وكان أتابك زنكي مع هذا يرسل فرنج الشام ويحذرهم ملك الروم ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصنوا واحدا أخذ البلاد التي بأيديهم منهم وكان يرسل ملك الروم بهتدده ويوجهه ان الفرنج معه فاستشعر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوما وترك المجانيق والآلات الحصار بحالها فصار زنكي خلفهم وظن بطائفة منهم في ساقية العسكر فغنم منهم وقتل وأسروا وأخذ جميع ما خلفوه ورفعوه الى قلعة حلب وكفى الله المؤمنين القتال وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم وعلموا ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبقى مسلم معهم مقام لاسيما مدينة حماد لقربها ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء الشهيد أتابك فأكثروا منهم أبو المجدد المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الجوى له قصيدة قد ذكرتها في ترجمته في الناريخ أولها

بعزمك أيها الملك العظيم \* تذلل لك الصعاب وتستقيم  
ألم تر ان كلب الروم لما \* تبين انك الملك الرحيم  
جفاء يطبق الفلوات خيلا \* كان الجفيل الليل البهيم  
وقد ترك الزمان على رضاه \* فكان لخطبه الخطب الجسيم  
فحين رميته بك في خديس \* تيقن ان ذلك لا يدوم  
وابصر في المفاضة منك جيشا \* فآخزن لا يسير ولا يقيم  
كأنك في العجاج شهاب نور \* توقد وهو شيطان رجيم  
أراد بقاء مهجته فولى \* وليس سوى الجمامل حميم  
يؤمل ان تجود بها عليه \* وأنت بها وبالديار كريم  
ألتبس القصرنج لديك عفوا \* وأنت بقطع دابر هازعيم  
وكم جرعتها غصص المنايا \* بيوم فيه يكتهل الفظيم  
ولما ان طلبتهم تمنى الله \* منية جوسلينهم اللثيم  
أقام يطوف الافاق حينما \* وأنت على معاقله مقبـم  
فسار وما يعادله مليك \* وعاد وما يعادله سقيم  
إذا خطرت سيوفك في نفوس \* فأول ما يفارقها الجسم

## في أخبار (٣٣) الدولتين

وله أيضا من قصيدة مدح بها صلاح الدين محمد بن أيوب العمادى التوتان صاحب جناه  
 وساجاء كلب الروم الالىحتسوى \* حاة وهل يسطو على الاسد الكلب  
 أراد بها ان يملك الشام عنوة \* وقد غلبت عنه الصراغمة الغلب  
 وما ذم فيها العيش حتى صدمته \* قال جناح الجيش وانكسر القلب  
 فولى وأطراف الرماح كأنها \* انجوم عليه بالمنيعة تنصب  
 ولابن منير قصيدة في مدح أتابك زنكي رحمه الله سيأتى بعضها عند ذكر فتحه مدينة الرها ان شاء الله تعالى ومنها

وما يوم كلب الروم الا أخر الذى \* أزجت به ما فى الجناح من نبل  
 اتاك بئس الروم حشدا وانته \* لينة ضل اضعافا كبيرا عن الرمل  
 فقما تلته بالله ثم بعزمته \* نصك قلوب العاسقين بما يسلى  
 نوهم ان الشام مرمى وما درى \* بأنك أمضى منه فى السحر والسحل  
 فطار وخير المغنمين ذماؤه \* اذار دغنه مغنم المال والاهل

قال ابن الاثير ومن عجائب ما يحكى فى هذه الحادثة ان الحبر لما وصل بقصد الروم شيز رقام الامير مرشد بن على أخو  
 صاحبها وهو ينسخ مخطوطة فرفعها بعدد وقال اللهم بحق من أنزلته عليه ان قضيت بحجتي الروم فاقضى اليك فنوفى بعد  
 أيام ونزل الروم بعد وفاته ولما عاد الروم الى بلادهم نزل أتابك الى حصن عرقة وهو من اعمال طرابلس فحصره وفتح  
 عنوة ونهب ما فيه وأسمر من به من الفرنج وأخر به وعاد سالما غنا وفيها ملك قلعة دارامن حسام الدين تمرناش وفيها  
 توفى بهاء الدين على بن القاسم الشهرزورى فاضى الممالك الانباركية وكان أعظم الناس منزلة عنده وفيها ولد صلاح  
 الدين يوسف بن أيوب بتكريت

(فصل) في فتح شهر زور وبعليك وحصار دمشق قال ابن الاثير كانت شيرزور وعمالها وما يجاورها من البلاد  
 والجبال فى يد قنجه بن ارسلان تاش الزركانى وكان ملكها نافذ الحكم على قاصى التركمان ودانيه هم يرون طاعته  
 فرضا احتما فتحاى الملوكة قصد ولايته ولم يتعرضوا لها لمصاتها فعظم شأنه وازداد جمعه فلما كانت سنة أربع وثلاثين  
 بلغ الشهيد أتابك عنه ما اتتضى ان يقصد بلاده فهزم عسكره وملك بلاد شهرزور وغيرها فأضافها الى بلاده واصلح  
 احوال أهلها وخفف عنهم ما كانوا يلقونه من التركمان وعاد الى الموصل عازما على المسير الى الشام فانه كان لا يرى  
 المقام بل لا يزال طاعنا ما لردعدو يقصده واما القصد بلاد عدو واما الغزو والفرنج وسد النغور وكانت مياثر السروج  
 أثر عنده من وشير المهاد والسهر فى حراسة المملكة أحب اليه من عرض الوساد وأصوات السلاح الذى سمعه من الغنا  
 لا يجد لذلك كله عنا وفى هذه السنة وهى سنة أربع وثلاثين ولد تقي الدين عمر بن شاهنشا بن أيوب بن ساذى وفيها  
 سار الشهيد فى جنده بعد ملك شهرزور الى مدينة دمشق فحصرها وصاحبها حينئذ جمال الدين محمد بن بوري بن  
 طغتكين وكان محكما عليه والغالب على أمره معين الدين بن مملوك جند طغتكين وكان أتابك تدأمر كمال الدين  
 ابالفصل بن الشهرزورى بكتابة جماعة من مقدمى احدائها وناظرتها واستمالتهم واعلمهم فى الرغائب والصلوات  
 ففعل ذلك فأجابهم منهم خلق كثير الى تسليم البلد وخرجوا متفرقين الى كمال الدين وجند عليهم العهود وتواعدوا يوما  
 يزحف فيه الشهيد الى البلد لفتح حواله الباب وبلغوا البلد اليه فاعلم كمال الدين الشهيد أن أتابك بذلك فقال لا أرى  
 هذا رأيا فان البلد ضيق الطرق والشوارع ومضى دخل العسكر اليه لا يتمكنون من القتال فيه لضيقه وربما أكثر المقاتلون  
 لنا فنجز عن مقاومتهم لانهم يقاتلون على الارض والسطوحات وادخلنا البلد اضطررنا الى التفرق لضيق المسالك  
 فيطامع فينا أهلها وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذره

ومن العجب ان محمد بن بوري صاحب دمشق توفى وأتابك بحصره فضبط آيز الامور وداس البلد فلم يتغير بالناس  
 حال وأرسل الى بعليك فأحضر ولده مجير الدين آتق بن محمد بن بوري ورتبه فى الملك مكان أسبه فشى الحال بتمكين  
 معين الدين آيز وحسن تدبيره وهذا مجير الدين آتق هو الذى منه أخذ نور الدين محمود بن زنكي دمشق كما سيأتى ولما  
 دخل مجير الدين دمشق أقطع بعليك معين الدين آيز فأرسل اليها نائبه وتسلمها فلما علم الشهيد ذلك سار الى بعليك

## كتاب (٣٤) الروضتين

وحصرها عدة شهور فلما كها عنوة وتركها نجيم الدين أيوب والد صلاح الدين دزدارا وعزم على العود عنها إلى دمشق فبجاءته رسل صاحبها بذل الطاعة والخطة فأجابها إلى ذلك وعاد عن قصد دمشق وقد خطب له فيها وصار أصحابها في طاعته وتحت حكمه قال يحيى ابن أبي طى الحلبي والتقى أن الأمر المأزول من بعلبك أفسدوا ذخائرهما فقبض عليهم اتابك زنكي وقتل بعضهم وصلبهم وكان ولي قتلهم صلاح الدين محمد بن أيوب الناصر ساني فحكى أنه أحضر إليه في جلة الأمر الشيخ مليح الشيبه ومعه ولده أمر دكانه فلقه قرفقال الشيخ لصلاح الدين سألتك بحيا المولى اتابك الاصلبتي قبل ولدي لثلا أراه يعالج سكرات الموت وبكى وكان نجم الدين أيوب واقفا فرحم الشيخ وبكى وسأل صلاح الدين في إطلاقه فقال ما أفعل خوفا من المولى اتابك فذهب نجم الدين إلى اتابك وسأله في الشيخ وولده وقص عليه ما قاله فاذن باطلاقه واطلاق من بقي من الجماعة ووجهه نصف بعلبك وقيل أن نجم الدين ورد على اتابك وهو قد ملك بعلبك فسأله في الأمر فأطلقه لهم وولاه بعلبك وكتب له ثلثها ملكا واستقر فيها هو وأهله ولم يزل بها إلى أيام نور الدين محمود بن زنكي فأخرجه منها على ما سئذ كره ثم أن اتابك بعد ملكه بعلبك سار إلى دمشق فنزل البقاع فوردت هدية صاحب دمشق ويطلب العود ويعطيه خمسين ألف دينار ويعطيه حصص فأشار نجم الدين على زنكي بقبول ذلك وقال هذا مال كثير وقد حصل بلا تعب وبلد كبير بلا عناء ودمشق بلد عظيم وقد ألف أهلها هذا البيت وتمتروا على سياستهم وقد بلغتكم الأحوال التي جرت ببعلبك فامتنع زنكي من قبول ما أشار به فقائه ذلك ولم يظفر بغرضه

**(فصل)** ثم سار اتابك الشهيد في هذه السنة وهي سنة أربع وثلاثين إلى بلاد الفرنج فأغار عليها واجتمع ملوك الفرنج وساروا إليه فلقيهم بالقرب من حصن بارين وهو لفرنج فصره لفرنجان صبر لم يسمع بمثله إلا ما يحكى عن ليله الحرير ونصر الله المسلمين وهرب ملوك الفرنج وفرسانهم قد دخلوا حصن بارين وفيهم ملك القدس لأنه كان أقرب حصونهم وأسلموا عدتهم وعتادهم وكثرت فيهم الجراح ثم سار الشهيد إلى حصن بارين فصره حصارا شديدا فراسلوه في طلب الأمان ليسلموا ويسلموا الحصن فأبى إلا أخذهم قهرا فبلغه أن من بالساحل من الفرنج قد ساروا إلى الروم والفرنج يستعجدهم وينهون إليهم ما فيه ملوكهم من الحصر فجمعوا وحشدوا وأقبلوا إلى الساحل ومن بالحصن لا يعلمون بشيء من ذلك لقوة الحصر عليهم فأعادوا أمر أسلمته في طلب الأمان فأجابهم وتسلم الحصن وساروا فلقيتهم بمداد النصرانية فسألوهم عن حالهم فأخبروهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا انجزتم عن حفظه يوما أو يومين فلفوا لهم أنالهم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حصرنا والى الآن فلما غيب الأخبار عنا ظننا أنكم قد أهملتم أمرنا فنادانا بتسليم الحصن قال ابن الأثير وكان حصن بارين من أضر بلاد الفرنج عن المسلمين فإن أهلها كانوا قد خروا ما بين حماء وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل فأزال الله تعالى بالشهيد رحمه الله هذا الضر العظيم وفي مدة مقامه على حصن بارين سير جنده إلى المعركة وكرطاب وتلك الولاية تجميعها فاستولى عليها وملكها وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة قلت وقد قال القيسراني يذكرك هزيمة الفرنج ويمدح زنكي قصيدة أولها

حذار منا وإني ينفع الحذر \* وهي الصوارم لا تبقى ولا تذر  
وأن ينجم ملوك الشرك من ملك \* من خيله النصر لابل جنده القدر  
سأواسيونا كأغمد السيوف بها \* صالوا فاعمدوا واصلوا وأشهروا  
حتى إذا ما عباد الدين أرقههم \* في مازق من سناء يبرق البصر  
ولوا تضيق لهم ذرعا مسالكهم \* والموت لا ملجأ منه ولا وزر  
وفي المسافة من دون النخاة لهم \* طول وان كان في أقطارها قصر  
وأصبح الدين لا عيننا ولا أثرنا \* يخاف والكفر لا عين ولا أثر  
فلا تخف بعدها لا فرنج قاطبة \* فالقوم ان نفروا ألقى بهم نفر  
ان قاتلوا قتلوا أو حاربوا حربوا \* أو طاردوا طردوا أو حاصروا حاصروا  
وطالما استغل الخطب إليهم بهم \* حتى أتى ملك آراءه غرر  
والسيف مقترع أبكار أنفسهم \* ومن هناك قيل الصارم الذكر

## في أخبار (٣٥) الدولتين

لما فرقت ظل محبي العدل لامة \* كالصبح تطوى من الاعداء ما نشره  
ولانثني النصر عن أنصار دولته \* بحيث كان وان كانوا به نصره  
حتى تعود لغور السام ضاحكة \* كأنما حل في أكفاهم عر  
وقال ابن منير

فدلتك المسالك وأيامها \* ودام لنقضك ابرامها  
وزلت لعمشك أقدامها \* وزال لبطشك إقدامها  
ولو لم تسل اليك القساو \* ب هوأها لما صبح اسلامها  
أيامحي العدل لما نعا \* ه أيامي البرا يا وأبتامها  
ومستنقذ الدين من أمة \* أزال المحارب أصنامها  
دلفت لها تفتيك الاسو \* دوالبض والشعر آجامها  
جزرت جزيرتها بالسيو \* ف حتى تشاء مهاشامها  
وصارت عواري أكافه \* متى شئت أرخص مستامها

قال ابن الاثير ولما وصل الروم والفرنج الى الشام رأوا الامر قد فوات أرادوا جبر مصيبتهم بمنازلة بعض بلاد المسلمين  
فما زالوا حلب وحصر وهما فلم ير الشهيدين يخاطران بالمساكين و يافاهم لانهم كانوا في جمع عظيم فأنجاز عنهم ونزل  
قريباً منهم يمنع عنهم الميرة ويحفظ أطراف البلاد من انتشار العدو وفيها والاغارة عليهم وأرسل القاضي كمال الدين بن  
الشهرزوري الى السلطان مسعود ينهي اليه الحال بأمر البلاد وكثرة العدو ويطلب منه النجدة وارسال العساكر  
فقال له كمال الدين أخاف ان تخرج البلاد من أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة وينفذ العساكر فاذا توسطوا البلاد  
ملكوها فقتل الشهيدين هذا العدو قد طمع في وان أخذ حلب لم يبق بالشام اسلام وعلى كل حال فالمسلمون أولى  
بهم من الكفار قال فلما وصلت الى بغداد وأدبت الرسالة وعدني السلطان بانفاذ العساكر ثم أهمل ذلك ولم يتحرك فيه  
بشيء وكتب الشهيد الى متصلي يحيى على المبادرة بانفاذ العساكر وأنا أخطب فلما اراد على الوعد قال فلما رأيت  
عدم اهتمام السلطان بهذا الامر العظيم أحضرت فلانا وهو فقيه كان ينوب عنه في القضاء فقلت خذ هذه الدنانير  
وقرقها في جماعة من أوباش بغداد والاعاجم واذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر بجامع القصر قاموا وانت معهم  
واستمعوا نواصوت وأحدوا اسلاماه وادين محمداه ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطنة مستغيثين ثم وضعت  
انسانا آخر يفعل مثل ذلك في جامع السلطان فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى  
عمامة عن رأسه وصاح وتبعه أولئك النفر بالصياح والبكاء فلم يبق بالجامع الا من قام يبكي وبطلت الجمعة وسار  
الناس كلهم الى دار السلطان وقد فعل أولئك الذين بجامع السلطان مثلهم فاجتمع أهل بغداد وكل من بالعسكر عند  
دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون وخرج الامراء عن الضبط وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل  
له ان الناس قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر الى الغزاة فقال أحضروا ابن الشهرزوري قال فحضرت عنده وأنا خائف  
منه الا انني قد عزمت على صدقه وقول الحق فلما دخلت عليه قال يا فاضلي ما هذه الفتنة فقلت ان الناس قد فعلوا  
هذا خوفا من الفتنة والشر ولا شك ان السلطان ما يعلم كم بينه وبين العدو وانما بينكم نحو أسبوع ولئن أخذوا حلب  
انحدروا اليك في الفرات وفي البر وليس بينكم بلديعتهم عن بغداد وعظمت الامر عليه حتى جعلته كانه ينظر  
اليهم فقال اردد هؤلاء العامة عنا وخذ من العساكر ما شئت وسرهم والامداد لتحقق قال فخرجت الى العامة  
ومن انضم اليهم فأخبرتهم وعرفتهم الحال وأمرتهم بالعود فعادوا وقتروا وانجبت من عسكره عشرة آلاف فارس  
وكتبت الى الشهيد أعزفه الخبر وانه لم يبق غير المسير وأجدد استئذانه في ذلك فأمرني بتسييرهم والحث على ذلك  
فعبرت العساكر الجانب الغربي فبينما نحن تجهز للحركة واذا بتوصل نجاب من الشهيد يخبر بأن الروم والفرنج  
قد رحلوا عن حلب خائبين لم ينالوا منها غرضاً ويا مرني بترك استعجاب العساكر فلما خطب السلطان في ذلك أصر  
على انفاذ العساكر الى الجهاد وقصد بلاد الفرنج وأخذها وكان قصده ان تطاعساكره البلاد بهذه الحجة فيملكها

## كتاب (٣٦) الروضتين

فم أزل أنوصل مع الوزير وأكابر الدولة حتى أعدت العساكر الى الجانب الشرقى وسرت الى الشهيد قال ابن الاثير فانظر والى هذا الرجل الذى هو خير من عشرة آلاف فارس يعنى كمال الدين رحم الله الشهيد فلقد كان ذاهبة عالية ورغبة فى الرجال ذوى الرأى والعقل يرغبهم ويخطبهم من البلاد ويوفر لهم العطا (حكى لى والدى) قال قيل للشهيد ان هذا كمال الدين يحصل له فى كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أمير يد وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار فقال لهم بهذا العقل والرأى تدبرون دولتى ان كمال الدين يقلل له هذا القدر وغيره يكثله خمسمائة دينار فان شغلا واحدا يقوم فيه كمال الدين خيراً من مائة ألف دينار وكان كمالاً رحمه الله تعالى

**(فصل)** قال وفى سنة سبع وثلاثين سار الشهيد الى بلد الهكارية وكان يبدأ الاكراد وقد أكثروا فى البلاد الفساد الا ان نصير الدين جعفر نائب السلطان الشهيد بالموصل كان قد ملك كثير من بلادهم فلما بلغها الشهيد حصر قلعة الشعبانى وهى من أعظم قلاعهم وأحصنها فلما كملها وأمر ببناء قاعة العمادية عوضاً عنها وكانت هذه العمادية حصناً كبيراً عظيماً فأمر به الاكراد ليجزئهم عن حفظه لكبره فلما ملك اتابك الشهيد البلاد التى لهم قال اذا عجز الاكراد عن هذا الحصن فأنا بحول الله لا أنجز عنه فأمر ببنائه وكان رحمه الله ذا عزم ونفاذاً أمر فبنى الحصن وسماه القلعة العمادية نسبة الى لقبه عماد الدين وفى هذه السنة خطب لatabك بآمد وكان قد أرسل الى صاحبها يطلب منه الانفصال عن موافقة ركن الدولة وادّعى صاحب الحصن والانتماء الى خدمته والخطبة له فأجابته الى ذلك وفيها ملك الشهيد مدينة عانة وفيها حصر مدينة حصص مرة أخرى وفتحها فى شوال وقصد ولاية دمشق فشتى بها وفى سنة ثمان وثلاثين عزم السلطان محمود على قصد الموصل بعساكره وكان قد وقع بينه وبين الشهيد ودخشة فترددت الرسل بينهما حتى استقرت الحال على مائة ألف دينار أممية يحمله الشهيد الى السلطان وطلب ان يحضر الشهيد فى خدمته فامتنع واعتذر باستغاله بالفرنج فعذره وشرط عليه فتح الرها وكان من أعظم الاسباب فى تأخر السلطان عن قصد الموصل أنه قيل له ان مملكة البلاد لا يقدر على حفظها من الفرنج غير اتابك عماد الدين فانها قد وليها قبله مثل جاولى سفاوة ومودود وجبوش بك والبرسى وغيرهم من الاكابر وكان السلاطين يمدونهم بالعساكر الكثيرة ولا يقدرون على حفظها ولا يزال الفرنج يأخذون منها البلد بعد البلد الى ان وليها اتابك فلم يمهده أحد من السلاطين بفارس واحداً ولا بحال ومع هذا فقد فتح من بلاد العدو عدّة حصون ووليات وهزمهم غير مرة واستضعفهم وعز الاسلام بدوى الاسباب المانعة له أيضاً ان الشهيد كان لا يزال ولده الاكبر سيف الدين غازى فى خدمة السلطان مسعود بأمر والده وكان السلطان يحبّه ويقربّه ويعتمد عليه ويثق به فأرسل اليه الشهيد بأمره بالهرب والمجيء الى الموصل وأرسل الى نائبه بالموصل بأمره ان يمنعه من دخول الموصل ومن المسير اليه أيضاً ففعل ذلك وقال له ترسل الى والديك تستأذنه فى الذى نفعل فأرسل اليه فعاد الجواب اني لا أريدك مهما السلطان ساخط عليك فالزمه بالعود اليه فعاد ومعه رسول الى السلطان يقول له اني لما بلغني ان ولدي فارق الخدمة بغير اذن لم اجتمع به ورددته الى بابل فحل هذا عند السلطان حلاً كبيراً وأجاب الى ما أراد الشهيد ولما استقر المال حمل منه نحو عشرين ألف دينار ثم ان الامور تقلبت وعاد أصحاب الاطراف خرجوا على السلطان فاحتاج الى مداراة الشهيد وأطلق له الباقي استمالة له وفى هذه السنة سار الشهيد الى ديار بكر ففتح عدّة بلاد منها طنزة واسعد وملك مدينة المعدين الذى يعمل منه النحاس من ارمينية ومدينة حرizan وأخذ من اعمال ماردين عدّة مواضع ورتب أمور الجميع وملك مدينة حانى وحاصر آمد وأرسل عسكر الى مدينة عانة فدخلها له وتقدم ذكرها فى السنة قبلها

**(فصل)** فى فتح الشهيد الرها فى جمادى الآخرة من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وكانت لجوسلين وهو عانى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم وكانت مدة حصارها ثمانية وعشرين يوماً وأعادها الى حكم الاسلام وهذه الرها من أشرف المدن عند النصارى وأعظمها عسلاً وهى احدى الكراسى عندهم فأشرفها البيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم قسطنطينية والرها وكان على المسلمين من الفرنج الذين بالرها شراً عظيماً وملكوا من نواحي ماردين الى الفرات على طريق شجستان عدّة حصون كسروج واليبره وجملين والموزر وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر وماردين ورأس عين والركة وأما حران فكانت معهم فى الخزي كل يوم قد يصحونها بالغارة

## في أخبار (٣٧) الدولتين

فلما رأى الشهيد الحال هكذا أنف منهم وعلم أنه لا ينال منها غرضاً ما دام جوسلين بها فأخذ في أعمال الحيل والخذاع لعل جوسلين يخرج منها إلى بعض البقاع فتشاغل عنها بقصد ما جاورها من ديار بكر التي بيد الاسلام كخاني وجبل جور وأمدف كان يقاتل من بها قلة لا فيه ابقاء وهو يسرحشوا في ارتغاء فهو يخطبها وعلى غير هياجهم وبطلبها وسواها يروم ووكل بها من يخبره بخار عرينها من آساده وفراغ حصنها من أنصاره وأجناده فلما رأى جوسلين استعمال الشهيد بحرب أهل ديار بكر ظن أنه لا فراغ له اليه وأنه لا يمكنه الاقدام عليه ففارق الرها إلى بلاده الشامية ليلاحظ أعماله ويتعهد ذخائره وأمواله فأقبل الشهيد مسرعاً بعسا كراد إلى الرها ثم وصف ابن الاثير الجديش وأنشد

بحديش جاش بالفرسان حتى \* طننت البربحر من سلاح  
والسنة من العذبات حر \* تخاطبنا بأفواء الرياح  
وأروع جيشه ليل بهيم \* وغرته عمود للصباح  
صفوح عند قدرته ولصكن \* قليل الصفع ما بين الصفاح  
وكان ثباته للقلب قلباً \* وهيبته جناحاً للجناح

وألمع الشهيد في حصارها فله كها عنوة فاستباحها وذكس صلبانها وأباد قسوسها ورهبانها وقتل شجعانها وفرسانها وملأ الناس أيدىهم من النهب والسبي ثم جاءه دخل البلد فرأته فأنف لئله من الخراب فأمر بأعادة ما أخذ من اناث ومال وسبي ورجال وجوار وأطفال فردوا عن آخرهم لم يتقدمهم الا الشاذ والنادر فعاد البلد عامراً بعد ان كان داثراً ثم رتب البلد وأصلح من شأنه وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المادن والحصون والقرايا كسروج وغيرها وأخلى الديار الجزرية من معرة الفرنج وشرتهم وأسبع أهلها بعد الخوف آمين وكان فتحاً عظيماً طار في الآفاق ذكره وطاب بها نسره وشهده خلق كثير من الصالحين والأولياء

قال ابن الأثير (حكى) لي جماعة أعرف صلاحهم أنهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ أبا عبد الله بن علي بن مهران الفقيه الشافعي وكان من العلماء العاملين والزهادين في الدنيا المنقطعين عنها وله الكرامات الظاهرة ذكرها عنه أنه غاب عنهم في زاوية يومه ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور وعنده من الارتياح ما لم يروه أئدافاً قدم معهم قال حدثني بعض اخواننا ان انا بل رنكي فتح مدينة الرها وأنه شهد معه فتحها يومئذاً ثم قال ما يضررك يا رنكي ما فعلت بعد اليوم بردد هذا القول من ارافقت بطول ذلك اليوم فكان يوم الفتح ثم ان نفر من الاجناد حضروا عند هذا الشيخ وقالوا له منذ رأيناك على السور كبراً بآية بالفتح وهو ينكر حضوره وهم بقسمون أنهم رأوه عياناً قال وحكى لي بعض العلماء بال اخبار الانساب وعرفوا علم من رأيت بها قال كان ملك جزيرتة قلية من القرنج لما فتحت الرها وكان بها بعض الصالحين من المغاربة المستأين وكان الملك يحضره ويكرمه ويرجع الى قوله وبقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين فلما كان الوقت الذي نتجت فيه الرها سير ملك القرنج هذا جيشاً إلى البحر إلى افرقية فذهبوا وغاروا وأسر واوجعت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد نعس وهو شبه النائم فأيقظه الملك وقال يا فقيه قد فعل أصحابنا بالمسلمين كيت وكيت أين كان محمد بن نصرتم فقال له كان قد حضر فتح الرها فتضاحك من عنده من القرنج فقال لهم الملك لا تفحكو فوالله ما قال عن غير علم واستد هذا الملك فلم يرض غير قليل حتى أتاهم الخبر يفتحها على المسلمين فأنساهم شدة هذا الوهن رخاء ذلك الخبر لعلوا منزلة الرها عند النصرانية قال وحكى لي أيضاً غير واحد من أنق البهم ان رجلاً من الصالحين قال رأيت الشهيد بعد تله في المنام في أحسن حال فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت بماذا أقال بفتح الرها قلت وهناه القيسراى عند فتح الرها بقصيدة أولها

هو السيف لا يغنيك الاجلاده \* وهل طوق الاملاك الانجاده  
وعن ثغر هذا النصر قلتماً خذ الطباً \* سناها وان فات العيون انتقاده  
سمت قبة الاسلام خرابطوله \* ولم يك يسمو الدين لولا عماده  
وزاد قسيم الدولة ابن قسيمها \* عن الله ما لا استطاع زياده  
ليهن بني الايمان أمن ترفعت \* رواسيه عزواطمات مهاده



## كتاب (٣٨) الروضتين

وفتح حديث في السماع حديثه \* شهي الى يوم المعاد معاده  
 أراح قلوبا طرن عن وكاتها \* عليها قواف كل صدر فؤاده  
 لقد كان في فتح الرهاء دلالة \* على غير ما عند العلوج اعتقاده  
 يرجون ميلاد ابن مريم نصره \* ولم يغن عند القوم عنه ولاده  
 مدينة أفك منذ خسين حجة \* يقل حديد الهند عنها حداده  
 تقوت مدى الابصار حتى لو انها \* ترقى اليه خان طر فاسواده  
 وجاحة عز الملوك قيادها \* الى ان ثناها من يعز قيادها  
 فأوسعها حر القراع مويد \* بصير بتمرير الالذ لداده  
 كان سنن المع الاسنة حوله \* سرار ولكن في يديه زناده  
 فأضرمها نارين حربا وخدعة \* فزارع الاسورها وانتهداده  
 فصدت صدور البكر عند اقتضاها \* وهيها كان السيف حتما سفاده  
 فياظر اعم البلاد صلاحه \* بمن كان قد عم البلاد فساده  
 فلا مطلق الاوشاد وثاقه \* ولا موقق الا رحل صفاده  
 ولا منبر الا ترنح عوده \* ولا مصحف الا أنار مداده  
 فان يشكل الابرتر في حياته \* والافقل للنجم كيف سهاده  
 وبانت سرايا القمص تقمص دونها \* كما تنزا عن حريق حراده  
 الى أين يأسرى الضلالة بعدها \* لقد ذل غاويكم وعز رشاده  
 رويدكم لا مانع من مظفر \* يعاند أسباب القضاء عناده  
 مصيب سهام الرأى لو ان عزمه \* رمى سذذ القرنين أصمى سداده  
 وقل للملوك الكفر تسلم بعدها \* مما لكها ان البلاد ببلاده  
 كذا عن طريق الصبح فليمنته الدجى \* فيا طامما غال الظلام امتداده  
 ومن كان املاك السموات جنده \* فأبى أرض لم ترضها جياده  
 ولله عزم ماء سحج ان ورده \* وروضة قسطنطينية مستراده

وله من تصيدة هنا بها القاضي كمال الدين بن الشهر زورى أولها

هي جنة المأوى فهل من خاطب

يقول فيها

ان الصفايح يوم صاغت الرها \* عطف عليها كل اشوس ناكب  
 فتح التتوح مبشرا بتمامه \* كالنجير في صدر النهار الايب  
 لله أية وقفرة بدربة \* نصرت صحا ئها بأعين صاحب  
 ظفر كمال الدين كنت لقاحه \* كم ناهض بالحرب غير محارب  
 وأمدكم جيش الملايل نصره \* يكنايب محشوة بكنايب  
 جنبوا الدبور وقد تمورج الصبا \* جند النبوة هل لها من غالب  
 أترى الرها الورهاء يوم تمنعت \* ظننت وجوب السور سورة لاعب  
 لا أين يأسرى المهالك بعدها \* ضاق القضاء على نجاة الهارب  
 شدا الى أرض الفرجة بعدها \* ان الدروب على الطريق الاحاب  
 أفغتركم والنار رهن دماءكم \* ما كان من اطراق لحظ الطالب  
 واذا رأيت الليث يجمع نفسه \* دون القريسة فهو عين الوائب

## في أخبار (٣٩) الدولتين

وقال ابن منير

صفات مجدك لفظ جل معناه \* فلا استرد الذي اعطاكه الله  
يا صارما بيمين الله قائمه \* وفي أعالي أعادى الله حداه  
أصبحت دون ملوك الارض منفردا \* بلا شبیه اذا لاملاك أسباه  
فذاك من حاولت مسعاك هتمه \* جهلا وقصر عن مسعاك مسعاها  
قل للأعادي الامونوا به كذا \* فالله خيبكم والله أعطاه  
ملك تنام عن العشاء هتمه \* تقي وتسهر للمعروف عيناه  
ما زال يسمك والايام تخدمه \* فيما ابتلاه يؤدى ماتوخاه  
حتى تعالت عن الشعري مشاعره \* قدرا وجاوزت الجوزاء نعلاه  
وقد روى الناس أخبار الكرام مضوا \* وأين مما روه ما رأيناه  
أين الخلائف عن فتح أتع له \* مظلل أفق الدنيا جناحاه  
على المنابر من أنبائه أرج \* مقطوبة بفتيق المسك رياه  
فتح أعاد على الاسلام بهجته \* وافتر مبسمه واهتر عطفاه  
بهذى بمعتصم بالله فتهكته \* حديثها نسخ الماضي وأنساه  
ان الرها غير عورية وكذا \* من رامها ليس مغزاه كغزاه  
أخت الكواكب عزاما بغا أحد \* من الملوك لها وقافواتها  
حتى دلفت لها بالعزم يشحذه \* رأى يبيت فويق النجم مسراه  
مشمرا وبنو الاسلام في شغل \* عن بدء غرس لهم أثمار عقباه  
يا محبي العدل اذ قامت نواذبه \* وعامر الجود لما فتح معناه  
بانمة الله يستصفي المزيد بها \* للشاكرين ويستقي صفياه  
أبقالك للدين والدنيا تحوطهما \* من لم يتوجك هذا التاج الا هو

ولابن منير ايضا من قصيدة تقدم بعضها

أيامك ألقى على الشرك ككلا \* أناخ على أماته ككل النكل  
جمعت الى فتح الزها سداباه \* بجمعك بين النهب والاسر والقتل  
هو الفتح أنسى كل نبح حديده \* وتوج مسطور الرواية والنقل  
فضضت به نقش الخواتم بعده \* جزيت جزاء الصدق عن خاتم الرسل  
تجردت للاسلام دون ملوكه \* تبسك أسباب المذلة والخذل  
أخو الحرب غذته القراع مفضما \* يشوب باقدام الفتى حنكة الكهل

وله من قصيدة أخرى

بعماد الدين أفضحت عروة الدي \* من معصو بابها الفتح المبين  
واستزادت بقسيم الدولة الفس \* من ادحاض كيد المارقين  
ملك اسهر عينه لم تزل \* همها تشريد هم الراقدين  
لاخلت من كحل النصر فقد \* فقأت غيضا عيون الحاسدين  
كل يوم من أيامه \* فهو عيود عائد للمسلمين  
لو جرى الانصاف في أوصافه \* كان أولاهام أمير المؤمنين  
ماروى الراون بل ماسطروا \* مثل ما خطت له أيدي السنين  
اذا ناخ الشرك في أكنافه \* بماى ألف تلاحها بمئين

## كتاب ﴿٤٠﴾ الروضتين

وقعة طاحت بقلب الروم من \* قطعة البين الى قطع الوتين  
 ان حجت مصر فقد قام لها \* واضح البرهان ان الصين صين  
 والرها لولم تكن الالرها \* لكفت قطع الشك المترين  
 هدم قسطنطين ان يفرعها \* ومضى لم يحومنها قسط طين  
 ولكم من ملك حاولها \* فتح لالحين وسما في الجبين  
 هي أخت النجم الا انها \* منه كالنجم لرأى المبصرين  
 منبت منه بليث فائد \* بعد ان الذل آساد العرين  
 زارها يزأر في أسدوغى \* تبدل الاسد من الزأر الانين  
 صولجوا بالبيض من بضرب نثر \* ر الهام في ساحات نثر الكرين  
 يالهامة تغر أضحت \* من بنى القلف تغور الشامتين  
 برنست رأس برنس ذلة \* بعدما جاست حوايا جوسلين  
 وسروج مذوعت أسراجها \* فرقت جماعها عنها عضين  
 تلك أقفال رماها الله من \* عزمه الماضي بخير الفاحين  
 شام منه الشام برفا ودقه \* مؤمن الخوف تخيف الآمنين  
 كم كنيس كندت قد رامها \* منه بعد الروح في ظل السفين  
 دنت الآجال من آجالها \* فأخلمها القبطا بعد القطين  
 ومنار يجتلى صلبانه \* بين بيض نديارى في البرين  
 قرعته البيض حتى بدلت \* قرعة الناقوس تنويب الاذين  
 بالقسميات مقسوم لها الـ \* دهر في علك الجين أولحين  
 سل بها حران كم حرى سقت \* بردا من يوم ردت ماردين  
 سمطت أمس سمساط بها \* نظم جيش منهج الناظرين  
 وغدا يلقى على القدس لها \* ككل يدرسها درس الدرس  
 همة تسمى وتضحي عزيمة \* ليس حصن ان تحطه بحصين  
 قل لقوم غترهم امهاله \* ستهذوقون سذاه بعدحين  
 انه الموت الذى يدرك من \* فتر منه فسحها للعاملين  
 وهو يحيى ممسكا عروته \* انها حبل لمن باب متين  
 من يطع ينج ومن يعكر يكن \* من غداة عبدة للآخرين  
 بك يا شمس المعالى ردت الـ \* روح في الميتين من دنيا ودين  
 أقسم الجدد بأن تبقى لكى \* تملك الارض يمينا لايمين  
 وتفيض العدل في اقطارها \* منسيا مؤلم عسف الجارين  
 لاتزل دارك كيف انتقلت \* كعبة محفوظة بالطائفين  
 كل يوم ينجلى جيسدها \* من نظم المدح بالذرائسين  
 كلما أخلص فيها دعوة \* لك قالت ألسن الخلق أمين

﴿فصل﴾ لما فرغ الشهيد من أخذ الرها واصلاح حالها والاستيلاء على ما وراءها من البلاد والولايات  
 سار الى قلعة البصرة وهى حصن حصين مطل على الفرات وهو لجوسلين أيضا فحصره وضايقه فأثناه الخبر بقتل نائبه  
 بالموصل والبلاد الشرقية نصير الدين جقربن يعقوب فرحل عنها خوفا من ان يحدث بعده فى البلد فتقرب محتاج الى  
 المسير اليها فلما رحل عنها سار اليها حسام الدين تمش بن الغمازى صاحب ماردين عسكر افسلمها الفرنج اليهم

## في أخبار (٤١) الدولتين

خوفاً من الشهيد ان يعود اليهم فياً أخذها وكان قتل النصير في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وسببه ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان مسعود وأصحاب الاطراف يرون ان البلاد التي بيده للملك الب ارسلان وانه نائبه فيها وكان اذا ارسل رسولا أو أجاب عن رسالة فائماً يقول قال الملك كذا وكذا وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليجمع العساكر باسمه ويخرج الاموال ويطلب السلطنة فعاجلته المنية قبل ذلك وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة وبه انصير الدين وهو ينزل اليه كل يوم يخدمه ويقف عنده ساعة ثم يعود فحسن المفسدون للملك قتله وقالوا له انك ان قتلتبه ملكك الموصل وغيره او يجز اتابك ان يقيم بين يديك ولا يجتمع معه فارسان عليك فوقع هذا في نفسه وظنه صحيحاً فلما دخل نصير الدين اليه على عادته وثب عليه جماعة في خدمة الملك فقتلوه والقوا رأسه الى أصحابه ظناً منهم ان أصحابه اذا رأوا رأسه تنفرت قوا ويملك الملك البلاد وكان الامر بخلاف ما ظنوا فان أصحابه وأتباعه الذين معه لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة الشهيد مملوءة بالرجال الاجلاد ذوي الرأي والتجربة فلم يتغير عليه بهذا الفتى شيء وكان في جملة من حضر القاضي تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري أخو كمال الدين فدخل الى السلطان وخدمه حتى أصعد الى القلعة وهو يحسن له الصعود اليها وحينئذ يستقر له ملك البلاد فلما صعد القلعة سجنوه بها وقتل الغلمان الذين قتلوا النصير وأرسلوا الى اتابك يعترفونه الحال فسكن جاشه واطمأن قلبه وأرسل زين الدين علي بن بك تكين واليا على قلعة الموصل وكان كثير الثقة به والاعتماد عليه فسلك بالناس غير الطريق التي سلكها النصير وسهل الامر فاطمأن الناس وأمنوا وازدادت البلاد معه عماره ولما رأى الشهيد صلاح أمر الموصل سار الى حلب فجهز منها جيشاً الى قلعة شيزرو وبينها وبين حماه نحو أربعة فراسخ فحصرها قلت كذا وقع في كتاب ابن الاثير وقدهم في قوله الب ارسلان المعروف بالخفاجي فالحفاجي غير الب ارسلان على ما ذكره العماد الكاتب في كتاب السجوقية فانه قال كان مع زنكي ملك كان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدها يسمى الب ارسلان وهو في معقل من معاقل سنجار والآخر يسمى فرخشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل وكان هذا الملك مسلماً الى الامير ديس بن صدقة فانتزع منه زنكي في حرب جرت فكانت زوجة زنكي خاتون السكمانية تربيته حتى بلغ وكان النصير يقبض عنانه ويبسط فيه لسانه ويقول ان عقل والاعقلته وان ثقل طبعه والاثقلته فدبر في قتله مع أصحابه فقطعوه في دخليزداره ما دخل للسلام على الملك ثم أصعد القاضي تاج الدين الملك الى القلعة فلم ير له أثراً والنقط مما ليكه ثم عطف زنكي على الملك الآخر الب ارسلان فاستخرجه من معقله وعنى بتفاصيل أمره وجملة وضرب له نوبة ونوبا ورتب له في حالتي ركوبه وجلسه رتبا وأغرى بتولي أكرامه وتوخييه وغرضه خفاء ساجرى من هلاك أخيه ثم ذكر قصة موت زنكي على قلعة جعبر كما سيأتى وفي سنة أربعين وخمسمائة أرسل اتابك الى زين الدين علي يأمره بالرسال عسكر الى حصن فنك يحصره فسير خلقاً كثيراً من الفرسان والرجال فقاموا عليه يحصرونه الى ان أتاهم الخبر بقتل الشهيد اتابك وهذا الحصن هو جعبر وخرزبان عمر وهو لا كراد الشنوية وله معهم مددة طويلة يقولون نحو ثلثمائة سنة وهو من أمنع الحصون مطل على دجلة وله سرب الى عين ماء لا يمكن ان يحال بين أهله وبينها قلت وفي هذه السنة أنشد ابن منير بالركة عماد الدين زنكي يمينه بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله قصيدة أوها

يابدراً لأقل ولا محساق \* ولا يرم مشرقك الاشراق  
بالدين والدنيا الذي يشكو وهل \* بهتز فرع لم يقمه ساق  
لن تورق القضب ويجرى ماؤها \* الا اذا ما التناث الاعراق  
ان الرعا ياماسمت في حجي \* للخطب عن طرقة اطراق  
غرس بالعدل لهم خائلا \* ترتع في حديقها الاحداق  
يا هضبة الدين التي عاذ بها \* فعاد لا بلغت ولا ارهاق  
للم تحطه راحلا وقافلا \* أصبح لاشام ولا عراق  
عماد زين مذ أقام زيفه \* حي ومات الشرك والنفاق

## كتاب (٤٢) الروضتين

يا محبي العدل الذي في ظله \* تسر بلب زينتها الآفاق  
يفديك من لان مهاد جنبه \* لما نبا بجنبك الافلاك  
من لشبرا سيفك انبطت له الا \* عذب وما عيشته زعاق  
تجزع السم ولولم تجعه \* بحسده لغزه الدرباق  
ملوك أطراف حي أطرافها \* عزمك هذا اللاحق السباق  
للم ترق ماء كرى العين لما \* ساغت بأفواههم الارياق  
شقت من دونهم مرج الردا \* وشق أبادهم السقاق  
أقسم لو كذبتهم ان يسموا \* حديث أيامك ما أطاقوا  
لما اشتكت رب في أهوائهم \* نوجس للسمع واستراق  
تظاولوا لأعدمت أمالهم \* قصرا ولا جانبها الاحقاق  
توهوها غسقا ثم انجلت \* والصفون مشربهم غساق  
لئن ألم ألم بقدم \* خداسها لنعلها طراق  
أو كان مدية الى يد \* يجري بها الآجال والارزاق  
فالنصل يعلى صدا وتحتة \* حد حسام وسنا رقرق  
رمى الصليب بصليب الرأى عن \* زوراء أوهى نزعه الاغراق  
ونوم من خلف الخليج سهر \* والعيش في فرجة سباق  
ماتوا فلا همس ولا اشارة \* خوف هموس زاره ازهاق  
لا سبلت منك الا الى ما كست \* ولا عرت جذئل الاخلاق

(فصل) في وفاة زنكي رحمه الله قال ابن الاثير كنت قلعة جبر قد سلمها السلطان ملكشاه الى الامير سالم بن ملك العقيلي لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب فلم تزل بيده ويبدأ ولاده الى سنة احدى وأربعين فصار الشهاب يد اليها فحصرها وحصر فلك لا يلبق في وسط بلادها هولة يردوان قل للعزم الذي كان عنده والاحتياط وأقام عليه يحصره بنفسه الى ان مضى من شهر ربيع خمس ليال فيبناها ونائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه ولم يجهزوا عليه وهر بوا من ايلتهم الى القلعة ولم يشعر اصحابه بقتله فلما صعد أولئك النفر الى القلعة صاح من بها الى العسكر يعلمهم بقتله فبادر اصحابه اليه فأدركه أوائلهم وبه رمق ثم ختم الله له بالشهادة اعماله

لا في الحمام ولم أكن مستيقنا \* ان الحمام سيبتلى بحمام  
فأضحي وقد خانته الامل \* وأدركه الاجل وتخلي عنه العبيد والخول  
وأى بحر ندى نضب وأى بدر مكارم غرب وأى أسد اقترس ولم ينجه قلة حصن ولا صهوة فرس فكما أجهد نفسه لتمهيد الملك وسياسته وكما أذهب في حفظه وحراسته فأتاه مبيد الامم ومفنيها في الحدث والقدم فأصار بعد القهر للخلع لائق مقهورا وبعد وثير المضاجع في التراب معفرا مقبورا ردين جدت لا ينفعه الا ما قدم فطوبت صحيفة عمله فهو موثوق في صورة مستسلم ثم دفن بصفين عند اصحابه على أمير المؤمنين على رضى الله عنه تلت وذكر العباد الكاتب في كتاب السلجوقية قال قصد زنكي حصار قلعة جبر فنارها وكان اذا نام ينام حوله عدة من خدامه الصباح وهو يحجم ويحبونه ولكنهم مع الوفاء منه يجهفونه وهم أبناء الخول القروم من الترك والروم وكان من دأبه انه اذا انقم على كبير اراداه وافصاه واستبقى ولده عنده وأخصاء فنام ليلة موته وهو سكر ان فسرع الختام في اللعب فزجرهم وزيرهم وتوعدهم فخافوا من سطوته فلما نام ركبه كبيرهم واسمه برتقش فذبحه وخرج معه خاتمه فركب فرس النبوة موهاا انه يمضي في مهم وهو لا يرتاب به لانه خاص زنكي فأتى الخادم أهل القلعة فأخبرهم وذكر الحديث قلت ثم نقل الى الرقة فدفن بها وقبره الآن فيها قال ابن الاثير وكان حسن الصورة لمع العينين قد وخطه الشيب طويلا وليس بالطويل البائن وخلف من الاولاد سيف الدين غازيا وهو الذي ولي بعده ونور الدين محمود الملك العادل وقطب

## في أخبار (٤٣) الدولتين

الدين مودود وهو أبو الملوک بالموصل ونصرة الدين أمير أميران وبنينا فأنقض عقب سيف الدين من الذکور والاناث ونور الدين من الذکور لم يبق الملك الا في عقب قطب الدين ولتعد أنجب رحمه الله فان أولاده الملوک لم يكن مثلهم قلت ومن عجيب ما حکى انه لما اشتدت حصار قلعة جعبر جاء في الليل ابن حسان المنجي ووقف تحت القلعة ونادى صاحبها فأجابته فقال له هذا المولى اتابک صاحب البلاد وقد نزل عليك بعسا کر الدنيا وأنت بلا وزير ولا معين وأنا أرى ان أدخل في قضيتک وأخذک من المولى اتابک مکانا عوض هذا المكان وان لم يفعل فأی شئ تنتظر فقال له صاحب القلعة انتظر الذي انتظر أبوک وكان بلك بن بهرام صاحب حلب قد نزل على أبيه حسان وحاصره في منبج أشد حصار ونصب عليه عدة مجانيق وقال يوما لحسان وقد أحرقه بحجارة المنجنیق أى شئ تنتظر اما تسلم الحصن فقال له حسان انتظر سهم من سهام الله فلما كان من الغد بينا بلك يرتب المنجنیق اذا صابه سهم غرب وقع في لبته فخر ميتا ولم يكن من جسده شئ ظاهر الا ذلك المكان لانه كان قد لبس الدرع ولم يرتها على صدره فلما سمع ابن حسان ذلك من مقالة صاحب قلعة جعبر رجع عنه وفي تلك الليلة قتل اتابک فكان هذا من الاتفاقات العجيبة والعبر الغريبة ذكر ذلك يحيى بن أبی طی في کتاب السيرة الصلاحية

(فصل) في بعض سيرة الشهيد اتابک زنکی وكانت من أحسن سير الملوک وكانت رعيته في أمن شامل يعجز القوی عن التعدي على الضعيف قال ابن الاثير حدثني والذي قال قدم الشهيد الدينا بجزيرة ابن عمر في بعض السنين وكان زمن الشتاء فنزل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام وكان في جملة أمرائه الامير عز الدين أبو بكر الديسي وهو من أكابر أمرائه ومن ذوی الرأي عنده فدخل الديسي البلد ونزل بدار انسان يهودی وأخرجه منها فاستغان اليه يهودی الى الشهيد وهو راكب فسأل عن حاله فأخبر به وكان الشهيد واقفا والديسي الى جانبه ليس فرقه أحد فلما سمع اتابک الخبر نظر الى الديسي نظر مغضب ولم يكلمه كلمة واحدة فتأخر القهقري ودخل البلد وأخرج خيامه وأمر بنصبها خارج البلد ولم تكن الارض تحتمل وضع الخيام عليها الكثرة الوحل والطين قال فلقد رأيت القراشين وهم ينقلون الطين لينصبوا خيمته فلما رأوا كثرتهم جعلوا على الارض تبنا ليقمعوها ونصبوا الخيام وخرج اليها من ساعته قال وكان ينهى أصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فأی حاجة لكم الى الاملاك فان الاقطاعات تغني عنها وان خرجت البلاد عن أيدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعذوا عليهم وغصبوهم أملاكهم ثم ذكر ما تجدد في أيامه من عمارة البلاد لاسيما بالموصل وذلك لحسن سيرته فكان يقصده الناس ويتخذون بلاده دارا فامة وهو الذي أمر ببناء دور المملكة بالموصل ولم يكن بها للسلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل الميدان ثم رفع سورها وعمق خندقها وهو الذي فتح الباب العمادي واليه ينسب قال وكانت الموصل أقل بلاد الله فاقة وكان الذي يبيع الفواكه يكون عنده مقرض يقص به العنب لقلته اذا أراد ان يرزقه فلما عمرت البلاد عملت البساتين بظاهر الموصل وفي ولايتها قال ومن أحسن آرائه انه كان شديد العناية بأخبار الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في خيولاتهم لاسيما دركات السلطان وكان يغرم على ذلك المال الجزيل فكان يطالع ويكتب اليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك فكان يصل اليه كل يوم من عيونه عدة قاصدين وكان مع اشتغاله بالامور الجبار من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير وكان يقول اذا لم يعرف الصغير ليمعن صار كبيرا وكان لا يمكن رسول ملك يعبر في بلاده بغير أمره واذا استأذنه رسول في العبور في بلاده اذن له وأرسل اليه من يسيره ولا يتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيرهم فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من أحوالها شيئا وكان يتعهد أصحابه ويمتحنهم سلم يوما خشكاكة الى طشت داره وقال احفظ هذه فبقى نحو سنة لا يفارق الخشكاكة خوفا ان يطلبها منه فلما كان بعد ذلك قال له أين الخشكاكة فأخرجها في منديل وقدمها بين يديه فاستحسن ذلك منه وقال مثلك ينبغي ان يكون مستحفظا الحصن أمر له بدزدارية قلعة كواشي فبقى فيها الى ان قتل اتابک وكان لا يمكن أحد من خدمه من مفارقة بلاده ويقول ان البلاد كبستان عليه سياج فمن هو خارج السياج يهاب الدخول فاذا خرج منها من يدل على عورتها ويطامع العدو وفيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم اليها قال ومن صائب رأيه وجيده ان سير طائفة من التركان الايوانية مع الامير اليارق الى الشام وأسكنهم بولاية

## كتاب (٤٤) الروضتين

حلب وأمرهم بجهاد الفرنج وملاكمهم كلما استنقذوه من البلاد للفرنج وجعله ملاكمهم فكانوا يغادرون الفرنج بالقتال ويرأونهم وأخذوا كثير من السواد وسدوا ذلك الثغر العظيم ولم يزل جميع ما فتحوه في أيديهم إلى نحو سنة ست مائة قال ومن أرائه أنه لما اجتمع له الأموال الكثيرة أودع بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب وقال إن جرى على بعض هذه الجهات خرق أو حيل بيني وبينه استعنت على سد الخرق بالمال في غيره قال وأما شجاعته وأقدامه فإليه النهاية فيهما وبه كنت تضرب الأمثال ويكفي في معرفة ذلك جملة أن ولايته أحرق بها الأعداء والمنازعون من كل جانب الخليفة المسترشد والسلطان مسعود وأصحاب أرمنية وأعمالها بيت سكران وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج ثم صاحب دمشق وكان ينتصف منهم وبغزو كلا منهم في عقرداره ويقف بلادهم ماعدا السلطان مسعود فإنه كان لا يباشر قصده بل كان يحمل أصحاب الأطراف على الخروج عليه فأفعلوا عاد السلطان محتاجا إليه وطلب منه أن يجعهم على طاعته فيصير كالحاكم على الجميع وكل يداريه ويخضع له ويطلب منه ما تستقر القواعد على يده قال وأما غيرته فكانت شديدة ولا سيما على نساء الأجناد فإن التعرض اليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها وكان يقول إن جندي لا يفارقوني في أسفاري ولما يقيمون عند أهلهم فإن نحن لم نمنع من التعرض إلى حرمهم هلك وفسد قلت وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وذكر حديث رجم النبي صلى الله عليه وسلم ما عزا قال ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا قال أوكما انزلنا غزاة في سبيل الله خلف رجل في عياله نيب كنيب التيس على الأوتى برجل فعل ذلك الانكسرت به قال ابن الأثير وكان قد أقام بقلعة الجزيرة ذرا اسمع نور الدين حسن البربطي وكان من خواصه وأقرب الناس إليه وكان غير مرضي السيرة فبلغه عنه أنه يتعرض للحرم فأمر حاجبه صلاح الدين الباسغسالي أن يسير مجتهدا ويدخل الجزيرة فإذا دخلها أخذ البربطي وقطع ذكره وقلع عينيه عقوبة لنظره به إلى الحرم ثم يصلبه فسار الصلاح مجتهدا فإبطه عر البربطي الأوقد وصل إلى البلاد فخرج إلى لقائه فأكرمه ودخل معه البلد وقال المولى أتابك يسلم عليك ويريد أن يعلى قدرك ويرفع منزلتك ويسلم إليك قلعة حلب ويوليكم جميع البلاد الشامية لتكون هناك مثل نصير الدين فتجهز وتجهز مالك في الماء إلى الموصل وتسير إلى خدمته ففرح ذلك المسكين فلم يترك له قليلا ولا كثيرا الأنقلة إلى السفن ليحدرها إلى الموصل في دجلة فحين فرغ من جميع ذلك أخذ الصلاح وأمضى فيه ما أمر به وأخذ جميع ما له فلم يتجاسر بعده أحد على سلوك شيء من أفعاله قال وأما صدقته فقد كان يتصدق كل جمعة بمائة دينار أميرى ظاهرا ويتصدق فيما عداه من الأيام سرامع من يثق به وركب يوما فعثرت به دابته فكاد يسقط عنها فاستدعى أميرا كان معه فقال له كلاما يفهمه ولم يتجاسر على أن يستفهم منه فعاد عنه إلى بيته وودع أهلها عازما على الحرب فقالت له زوجته ما ذنبك وما جلك على هذا الحرب فذكر لها الحال فقالت له أن نصير الدين له بك عناية فاذكر له قصتك وافعل ما يأمر بك به فقال أخاف أن يمنعني من الحرب فاهلك فلم تزل زوجته تراجعته وتقوى عزه فعرى النصير حاله فضحك منه وقال له خذ هذه الصرة الدنانير واجعلها إليه فهي التي أراد فقال الله الله في دمي ونفسي فقال لا بأس عليك فإنه ما أراد غير هذه الصرة فحملها إليه فحين رآه قال أمعك شيء قال نعم فأمر أن يتصدق به فلما فرغ من الصدقة قصد النصير وشكره وقال من أين علمت أنه أراد الصرة فقال له أنه يتصدق في هذا اليوم بمثل هذا القدر يرسل إلى من يأخذه من الليل وفي يومنا هذا لم يأخذه ثم بلغني أن دابته عثرت به حتى كاد يسقط إلى الأرض وأرسلك إلى فعلت أنه ذكر الصدقة قال وحكى لي من شدة هيئته ما هو أشد من هذا قال والذي خرج يوما الشهيد من القلعة بالجزيرة من باب السرخس لوه وملاح له نائم فأقظه بعض الجنان داريه وقال له اتعد فحين رأى الشهيد سقط إلى الأرض فخر كوه فوجدوه ميتا قال وكان الشهيد قليل اللون والتنقل بطيء الململ والتغير شديد العزم لم يتغير على أحد من أصحابه مذموم إلى أن قتل الأذنوب بوجوب التغير والأمراء والمقدمون الذين كانوا معه أولا هم الذين بقوا أخيرا من سلم منهم من الموت فلماذا كانوا يصحونه ويبدلون نفوسهم له وكان الإنسان إذا قدم عسكر لم يكن غريبا أن كان جنديا اشتل عليه الإجناد وأضافوه وإن كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان وإن كان عالما قصد القضاة بنى الشهر زوري فيحسنون إليه ويؤنسونه غربته فيعود

## في أخبار (٤٥) الدوائين

كانه أهمل وسبب ذلك جميعه انه كان يخاطب الرجال ذوى الهيم العلية والاراء الصائبة والانفس الالیه وبوسع عليهم في الارزاق فيسهل عليهم فعل الجليل واصطناع المعروف قلت وما أحسن ما وصفه به أجد بن منير من قوله في قصيدة

في ذرا ملك هو والده \* ر عطاء واستلابا  
من له كف تبذل الغية \* ث سحاوانسكابا  
فاتح في وجهه كل \* أمة للنصر بابا  
ترجف الدنيا اذا حر \* لك للسير الركابا  
وتحز المشمخرا \* ت اختلا لا واضطربا  
وترى الاعداء من \* هيته تأوى الشعابا  
واذا ما لغتهم نا \* ره صاروا كبابا  
با عماد الدين لازا \* ت على الدين سحابا  
جاع لا من دونه \* سيفك ان ريع حجابا  
فالبس النعماء في الام \* ن الذي طببت وطابا  
وأصف عيشا نأء \* داءك قد صاروا ترابا

وقال العماد الكاتب استولى زنكي على الشام من سنة اثنتين وعشرين الى أن قتل في سنة احدى وأربعين وهو الذي فتح الرها عنوه واحتل بها من السعادة فزوه فتسنى بفتح الرها للمسلمين وجاس بلاد جوسلين وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت عقود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ وأمورها تنفسخ ومعاقلمها تنفرع وعقائلها تنفرع وقال الرئيس أبو يعلى التميمي كانت الاعمال بعد قتل زنكي قد اضطربت والمسالك قد اختلت بعد الهيبة المشهورة والامنسة المشكورة وانطلقت أيدي التركمان والحرامية في فساد الاطراف والعيث في سائر النواحي والاكاف ونظمت في صفة هذه الحال أبيات من قصيدة

كذاك عماد الدين زنكي تنافرت \* سعادته عنه وخرت دعائمه  
وكم بيت مال من نضار وجوهر \* وأنواع ديباج حونها مخاتمه  
وأصنعت بأعلى كل حصن مصونة \* يحامى عليها جنده وخوادمه  
ومن صافنات الخيل كل مطهم \* بروع الاعادي حليمه وبراجمه  
فلورامت الكتاب وصف شياتها \* بأقلامها ما أدرك الوصف ناظمه  
وكم معقل قد رماه بسيفه \* وشامخ حصن لم تقه غنائمه  
وكانت ولاية الارض فيها لامره \* وقد أمنتهم كتبه وخواتمه  
وأمن من في كل قطر لهيبه \* يراع بها اعرابه وأعاجمه  
وظالم قوم حيين يذكرون عدله \* فقد زال عنهم ظلمه وخصائمه  
وأصبح سلطان البلاد بسيفه \* وليس له فيها نظير راجمه  
وزاد على الاملاك بأسا وسطوة \* ولم يبق في الاملاك ملك بقاومه  
فلما تناهى ملكه وجلاله \* وراعت ولاية الارض منه لوائمه  
أتاه قضاء لا ترد سهامه \* فلم تنجبه أمواله ومغانمه  
وأدركه للحين فيها جامه \* وحامت عليه بالذين حوائمه  
وأضحى على ظهر الفراش مجدلا \* صريعاً تولى ذبحه فيه خادمه  
وقد كان في الجيش اللهام مبيته \* ومن حوله ابطاله وصوارمه  
وسمر العوالي حوله بأكفهم \* تذود الردى عنه وقد نام نائمته



ومن دون هذا عصبه قد ترتبت \* بأسهمها بردى من الطير حائمه  
وكم رام في الايام راحة ستره \* وهتمه تعلمو وتقوى شكائمه  
وكم ملاك للسفر آمن سبله \* ومسر ح حتى لن نزاع سوائمه  
وكم تغر اسلام حواه بسيفه \* من الروم لما أدركته مرأجه  
فن ذا الذي يأتي بهيبة مثله \* وينفذ في أقصى البلاد مرأسمه  
فلورقت في كل مصر بذكره \* أراقه ذلت هناك أراقه  
فن ذا الذي ينجو من الدهر سالما \* اذا ما أناه الامر والله حاتم  
ومن رام صفوا في الحياة فإيرى \* له صفو عيش والجمام يحاومه  
فاياك لا تقبض مليكا بملكه \* ودعه فان الدهر لا شك قاصمه  
وقل للذي يبني الحصون لحفظه \* رويدك ما تبني فدهرك هادمه  
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ \* بها يتناسى المرء ما هو عازمه

قال وفي ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وصل الخادم برتقى القتال لعماد الدين زنكى وانفصل من قلعة جعبر الخوف صاحبها من طلبه منه فوصل دمشق ميقنا انه قد آمن بها وودلا بما فعله وظننا منه ان الحال على ما توهه فقبض عليه وأخذ الى حلب من صحبه من حفظه وأوصله فأقام بها أياما ثم جل الى الموصل وذكر انه قتل بها قلت وللحكيم أبي الحكم المغربي قصيدة في مرثية الشهيد عماد الدين زنكى رحمه الله منها

عين لا تذخرى المدامع وابكى \* واستهلى دما على فقد زنكى  
لم يهب شخصه الردى بعد ان كا \* نت له هيبة على كل تركى  
خير ملك ذى هيبة وبهاء \* وعظيم بين الانام بزرک  
يهب المال والجياذ لمن يـ \* مه مادحا بغـ برتلكى  
ان دارا تمـ دنا بال زايا \* هى عندى أحق دار بترك  
فاسكبوا فوق قبره ماء ورد \* وانفخوه بزعفران ومسك  
أى قسك جرى له فى الاعادى \* بعدما استفتح الرها أى فتك  
كل خطب أتب به نوب الدهر \* ريسير فى جنب مصر عزنكى  
بعد ما كاد ان تدين له الرو \* مو يحوى البلاد من غير شك

(فصل) فيما جرى بعد قتل زنكى من تفرق أصحابه وتملك ولديه غازى ومحمود قال الرئيس أبو يعلى توجّه الملك ولد السلطان المقيم كان معه فبين صحبه وانضم اليه الى ناحية الموصل ومعه سيف الدين غازى بن عماد الدين اتابك وامتنع عليهم الوالى بالموصل على كوكبك أياما الى حين تفرّرت الحال بينهم ثم فسخ الباب ودخل ولده واستقام له الامر وانتصب منصبه وعاد الامير سيف الدولة سوارا وصلاح الدين يعنى محمد بن أيوب اليباغبسانى فى تلك الحال الى ناحية حلب ومعهما الامير نور الدين محمود بن زنكى وحصل بها وشرع فى جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام له الامر وسكنت الدهاء وفصل عنه الامير صلاح الدين وحصل بحماة ولايته على سبيل الاستيحاء والخوف على نفسه من أمر يدبر عليه وقال الحافظ أبو القاسم لما راهق نور الدين لزمن خدمة والده الى ان انتهت مدته على قلعة جعبر وسير فى صبيحة الاحد الملك الب ارسلان بن السلطان مسعود الى الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه وقال لهم ان وصل أخى سيف الدين غازى الى الموصل فهى له وأنتم فى خدمته وان تأخر فانا أقرر أمور الشام وأتوجه اليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ورز النواب فى القلعة والمدينة قال ابن أبى طى الحلبي لما اتصل قتل اتابك باسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيـمـة نزال الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد أخذ عسكر الموصل وعول على تقديم أخيك سيف الدين وقصده الى الموصل وقد انضوى اليه جل العسكر وقد أنفذ الى جمال الدين وأرادنى على الحاق به فلم أعرج عليه وقد رأيت ان أصيرك الى حلب وتجعلها

## في أخبار (٤٧) الدولتين

كرسى ملكك وتجمع في خدمتك عساكر الشام وأنا أعلم أن الامر يصير جميعه اليك لأن ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وأمر أن ينأدى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها سابع ربيع الأول ولما دخلوا حلب جاء أسد الدين الى تحت القلعة ونادى واليه واصعد نور الدين اليها وقرر امره ومشى أحواله فكان نور الدين يرى له ذلك وأسد الدين بمن بأنه كان السبب في توليته وقال ابن الاثير لما قتل اتابك الشهيد ركب الملك البارسلان ابن السلطان مسعود وكان مع الشهيد واجتمعت العساكر عليه وخدموه فأرسل جمال الدين الوزير الى الصلاح يقول له المصلحة ان يترك ما كان بيننا وراه ظهورنا ونسلك طريقا يبقى به الملك في اولادنا حبنا ونعم بيشه جزاء لاحسانه اليها فان الملك قد طمع في البلاد واجتمعت عليه العساكر ولئن لم تتلاف هذا الامر في أوله وتداركه في بدايته ليدستعز الخرق ولا يمكن رفعه فأجابه الصلاح الى ذلك وحلف كل واحد منهم بالصاحبه فركب الجمال الى الملك فخدمه وضمن له فتح البلاد وأطعمه فيها ومعه الصلاح وقال له ان اتابك كان نائباً عنك في البلاد وباسمك كنا نطيعه فقبل قولها وظنه حقاً وقر بهما طمعاً ان يكونا عونا له على تحصيل غرضه وأرسل الى زين الدين بالموصل يعترفانه قتل الشهيد ويأمرانه بالارسل الى سيف الدين غازي وهو ولد عماد الدين زنكي الا كبر واحضاره الى الموصل وكان بشهر زور وهي اقطاعه من أبيه ففعل زين الدين ذلك وكان نور الدين محمود بن الشهيد قد سار لقتل والده الى حلب فلما كبرها وذلك باشارة أسد الدين شريكه عليه بذلك وقال الجمال للملك ان من رأى ان يسير الصلاح الى ملوك نور الدين بحلب يدبر امره وكانت حماه اقطاع الصلاح فأمره فسار وبقي الجمال وحده مع الملك فأخذه وقصد الرقة فاشتغل بشرب الخمر والخلوة بالنساء وأراد ان يعطى الامراء شيئاً فنعته خوفاً من ان تميل قلوبهم اليه وقال لهم الاقطاع الجزيل والنعم الوافرة وشرع الجمال يستميل العسكر ويحلف الامراء لسيف الدين بن اتابك الشهيد واحد واحد وكل من حلف يأمره بالمسير الى الموصل هارباً من الملك وأقام بالملك في الرقة عدة أيام ثم سار به نحو سنجار وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل واستقر بها فقبض حينئذ جنان جمال الدين ووصل هو والملك الى سنجار فأرسل الى دزدانها وقال له لا تسلم البلد ولا تمكن أحداً من دخوله ولكن أرسل الى الملك وقل له ان اتابع الموصل فتى دخلت الموصل سلمت اليك ففعل الدزدان ذلك فقال الجمال للملك المصلحة ان تسير الى الموصل فان ملوكك غازي اذا سمع بقرينائه خرج الى الخدمة فحينئذ نقبض عليه ونسلم البلاد فسار واعن سنجار وأكثر رحيل العسكر الى الموصل هاربين من الملك فبقى في قلة من العسكر فساروا الى مدينة بلد وعبر الملك دجلة من هناك فلما عبرها دخل الجمال الموصل وأرسل الامير عز الدين أبا بكر الديسي الى الملك في عسكر وهو في نفر يسير فآخذه وادخله الموصل فكان آخر العهد به واستقر أمر سيف الدين وأقر زين الدين على ما كان عليه من ولاية الموصل وجعل الجمال وزيراً وأرسلوا الى السلطان مسعود فاستخلفوه لسيف الدين خلف له وأقره على البلاد وأرسل له الخلع وكان هذا سيف الدين قد لازم خدمة السلطان مسعود في أيام أبيه سفره وحضره وكان السلطان يحبه كثيراً ويأمن به وييسطه فلما خوطب في اليمين وتقرر بالبلاد لم يتوقف قال ابن الاثير فانظروا الى جمال الدين وحسن عهده وكمال مروتته ورعايته لحقوق مخدميه وهذا المقام الذي ثبت فيه يجز عنه عشرة آلاف فارس ولقد قل من قال الناس ألف منهم كواحد وهو معذور لانه لم ير مثل جمال الدين قال ولما استقر سيف الدين في الملك أطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان بداير بكر كالمعدن وحيزان واسعد وذلك فان المجاورين لها تغلبوا عليه قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح أمر السلطنة وتخليقه وتقرير أمر البلاد عبر الى الشام لينظر في تلك النواحي ويقرر القاعدة بينه وبين أخيه نور الدين وهو بحلب وقد تأخر عن الحضور عند أخيه وخافه فلم ير اسأله ويستميله فكلمه نائب نور الدين شيئاً أجابه اليه استماله لقلبه واستقرت الحال بينهما على ان يجتمع خارج العسكر السيفي ومع كل واحد خمسة مائة فارس فلما كان يوم الميعاد بينهم سار نور الدين من حلب في خمسة مائة فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس فلم يعرف نور الدين أخاه سيف الدين حتى قرب منه فحين رآه عرفه فترجل له وقبل الارض بين يديه وأمر أصحابه بالعود عنه فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا وبكى فقال له سيف الدين لم امتنعت من المجيء الى أكنك تخافني على نفسك والله ما خذت مني ما تمك

## كتاب (٤٨) الروضتين

فلن أريد البلاد ومع من أعيش ومن اعتضد إذ افعلت السوء مع أخى وأحب الناس إلى فاطمات نور الدين وسكن روعه وعاد إلى حلب فتجهز وعاد بعسكره إلى خدمة أخيه سيف الدين فامر سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال لا عرض لي في مقامك عندي وإنما عرضي أن يعلم المملوك والفرنج اتفاقنا فنريد السوء بآيكف عنه فلم يرجع نور الدين ولزم إلى أن قضيا ما كانا عليه وعاد كل واحد منهما إلى بلده قلت ومن قصيدة لابن منير في نور الدين

أيا خير المملوك أبا وجدا \* وأنفعهم حيا لغيره صادا  
علوا وغلوا وقال الناس فيهم \* شوارد من ثناء أو أوحادا  
وما اقتسموا ولا عمدوا بناهم \* بمنصبك القسي العمادي  
وهل حلب سوى نفس شعاع \* تقسمها التماذي والتعاذي  
نفي ابن عماد الدين عنها الـ \* شكاة فاصبحت ذات العمادي  
تختري كساء عدل وبذل \* مدبجة التهاشم والنجاد  
وفي محرابها دود منسه \* يهذب حكمة آيات صادا  
تجاوزت النجوم فاين تبغى \* ترق فلاحوت من ازدياد

(فصل) فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والفرنج المنحذولين قال ابن أبي طي في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل خبر مقتل أنابك بصاحب انطاكية البيهقندي فرج في يومه بعساكر انطاكية وقسم عسكره قسمين قسم إلى جهة حماه وقسم إلى جهة حلب وعاث في بلادها وكان الناس آمنين فقتل وسبي عالما عظيما وتماذى حتى وصل إلى صلدى ونهبها ووصل الخبر إلى حلب فخرج أسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من العساكر وجد في السير ففاته الفرنج وأدرك جماعة من الرجال يسوقون الأسرى فقتلهم واستنقذ كثيرا مما كانت الفرنج أخذته وسار مجنبا عن طريق الفرنج إلى أن شن الغارة على بلاد راح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد إلى حلب مظفرا وقال ابن الأثير لما قتل الشهيد سار مجير الدين صاحب دمشق في عسكر إلى بعلبك وحاصروهم وبها نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين فسلمها إليه وأخذ منه مالا وملكه قرايا من أعمال دمشق وانتقل أيوب إلى دمشق وأقام بها وقال ابن أبي طي اشتد صاحب دمشق في القتال وصبر نجم الدين أيوب أحسن صبرا فاتفق أن الماء لما شاء الله من حصن بعلبك غار حتى لم يبق منه شيء فصار أهل القلعة يستمدون من البلد فلما ملك البلد منع من يريد الماء من القلعة فاشتد الأمر فطلبوا الأمان والمصالحة فاستخلف صاحب دمشق نجم الدين وأقر له الثلث الذي كان أنابك قد جعله له فيها وأقره فيها ولما بلغ ذلك نور الدين خاف أن يفسد عليه أسد الدين إلى صاحب دمشق بحصول نجم الدين عنده وماله نور الدين إلى محمد الدين أبي بكر بن الدايه حتى ولده جميع أموره وجميع مملكته فشق ذلك على أسد الدين قال الرئيس أبو يعلى لما اتصل خبر موت زنكي بعين الدين أنز شرع في التآهب والاستعداد لقصده بعلبك وانتهاز الفرصة فيها بالآلات الحرب والمنجنيقات فقتل عليها وضايقها ولم يمض إلا أيام قلائل حتى قل الماء فيها قلعة دعته إلى التزول على حكمه وكان الوالي بها ذا خرم وعقل ومعرفة بالأمر فاشتد ما قام له به من إقطاع وغيره وسلم البلد والقلعة إليه ووفى له بما قرر الأمر عليه وتسلم ما فيه من غلة وآل في أيام من جمادى الأولى من السنة وأرسل معين الدين الوالي بحمص وتقررت بينه وبينه مهادنة وموادعة يعودان بصلاح الأحوال وعمارة الأعمال ووقعت المراسلة فيما بينهما وبين صلاح الدين بمجاهة وتقرر بينهما مثل ذلك ثم انكفأ بعد ذلك إلى البلد عقيب فراغه من بعلبك وترتيب من رتبته لحفظها والأقامة فيها قال ووردت الأخبار في أيام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الفرنج من ناحية وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصاري المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهب نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم زهاء عشرة آلاف فارس ووقعت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين وأصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من أرمم الرها والنصاري من قتل وانهمز إلى برج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسا من وجوه أصحابه وأحرق بهم المسلمون وشرعوا

في النقب عليهم حتى تعرق البرج فانهم زمر ابن جولدسين في الغنمية من أخصابه وأخذ الباقرن ومحق بالسيف كل من ظفريه من نصارى الرها واستخلص من كان فيه أسير امن المسلمين ونهب منهم أشياء كثيرة من المال والالاث والسبي وانكفأ المسلمون بالغنائم الى حلب وسائر الاطراف وبال ابن الاثير لما قتل زنكي كان جولدسين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته غرب النرات في تل بشار وما جاورها فراسل أهل الرها وكان عامتهم من الارمن واعدتهم يوما يصل اليهم فيه فأجابوه الى ذلك فصار في عساكر داليها ومالكها وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وجد في قتالهم فباع الخبز نور الدين وهو يومئذ يتلب فساكر اليها بعسكره فهرب جولدسين ودخل نور الدين مدينة الرها ونهبها وسبي أهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخربت وخات من أهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالموصل فجوز العساكر الى الرها فوصل العساكر وقدموا اليها نور الدين فبقيت بيده ولم يعارضه فيها أخوه سيف الدين قال ومن عجيب ما جرى ان نور الدين أرسل من غنائمها الى الامراء وأرسل الى زين الدين على جملة من الجوارى فحملن الى داره ودخل لينظر اليهن فخرج وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال لما فتن الرها مع الشهيد كان في جملة ما غنمت جارية مالت بنفسي اليها فغرمت على ان أبيت معها فسمعت منادى الشهيد وهو يأمر بأعادة السبي والغنائم وكان مهيبا شوقا فلم أجسر على اتيانها وأطلقتها فلما كان الآن أرسل الى نور الدين سهمي من الغنمية وفيه تلك الجارية فوطئتها خوفا من العود قلت للقيسر اني قصيدة يمدح بها جمال الدين وزير الموصل ذكر فيها فتح الرها وأنها

أما آن ان يرهق الباطل \* وان يحجز العدة الماطل  
الى كم يغرب ملوك الضلال \* سيف باعنا قها كافل  
فلا تحفلن بصوت الذئب \* بوقد زار الاسد الباسل  
وهل يمنع الدين الا فتى \* يصلو انتقاما فيستاصل  
أبا جعفر أشرفت دولة \* أضأها بدرك الحكامل  
فاما نصبت لرفع اسمها \* فانكح الفعل والفاعل  
ليهنك ما أفرج النصر عنه \* ه وما ناله الملك العادل  
فقل للحقاق الطريق الطريق \* في فند دلف المنفرم البارل  
وجاهد في الله حق الجها \* دمحتسب بالعلمى فافل  
وهل يمنع السور من طالع \* يشايه الفادر النازل  
فان ياك فسخ الرها لجة \* فساحلها اندس والساحل  
فهل علمت علم تلك الدنيا \* ران المقيم بها راحل  
أرى القمص يأمل قوت الرما \* ح ولا بد ان يضرب الشائل  
يقوى معافله جاهدا \* وهل عاقل بعدها عاقل  
وكيف بضبط بواقي الجها \* تلمن فات حسبته الحاصل

ولابن منير من قصيدة في نور الدين

ملك ما أذل بالفخ ارضا \* قط الأعرها اغلاقه  
والوها في الرهاء أزعج اليها \* عارضا شيب الدجى ابراقه  
لحات جارة اليه فلي \* عطلامن اعناقها اعناقه  
تلك بكر الفتوح فالشام منها \* شامة والعراق بعد عراقه  
أين كان الملوك عن وجهها الظلي \* يرينا اضاءة اطلاقه  
سنة سنها أبوه بكلب الرو \* لما أظله ارهاقه  
خافقا قلبه الى أمل عا \* جله دون نيله اخفاقه

## كتاب (٥٠) الروضتين

قسمت راية المواضي القسيم \* ات وابتزمن لها عراقة  
وكذا أنت يا ابنه ما عدامن \* خلقه فيك خصلة خلافة  
وكفى الحرانة ابن سحاب \* ما وني سحبه ولا اصعاته  
لم يمت من سدوت ثلثه يا \* من على الدين كظه اشفاقة  
رهبة لم تدع على الارض قلما \* خلف صدر ينشق عنه شفاقة  
كلما طن ذكرها منه في السم \* مع تكافي النافقاء نفاقة  
وجهاد عن حوزة الدين لم يأ \* ل له ركضه ولا انفاقة

وله فيه من قصيدة أخرى

بنور الدين روض كل محل \* من الدنيا وجد دكل بال  
أقام على ثنية كل خوف \* سهاد ابات يكلأ كل كال  
وصوب عدله في كل أوب \* فعوض عاطلا منه بحال  
ينكسر رأيه رأى المحامي \* وتقبل خوفه قبل القتال  
لقد أحصدت للاسلام عزا \* يفوت سنامه يد كل قال  
وأصبحت العواصم ملحقات \* عصاما غير متنكث الحبال

(فصل) وقفت على توقيع كتب في ذى القعدة سنة احدى وأربعين عن خليفة مصر يومئذ وهو الملقب بالحافظ وعليه علامته ونصه (الجلد لله رب العالمين)

الى القاضي الاشرف أبي المجد علي بن الحسن بن الحسين البستاني (وهو والد القاضي الفاضل وكان يومئذ متولى القضاء والحكم بمدينة عسقلان) قد انتهت الى حضرة أمير المؤمنين ان قوما من أهل نعر عسقلان جاءه الله قد صاروا يؤذون توقيعات بقبول أقوالهم من غير تركية من شهود المعروفين بالتركية لهم مع كونهم غير مستوجبين للشهادة ولا مستحقين لسماع القول فانكر أمير المؤمنين ذلك من فعلهم وخرج على أمره ما لا يسمع قول شاهد ولا يتقدم لخطابة ولا لصلاة بالناس ولا لتلاوة في موضع شريف الا من زكاه أعيان شهود النعرا المحروس وهم فلان وفلان وعند ثمانية أنفس عبدالسار بن عبدالرحمن عبدالعزيز بن مفضل علي بن قريش أحمد بن حسن أحمد ابن علي عبدالرحمن بن محسن أسامة بن عبدالصمد علي بن عبداللّه قلت وهذا احسن ما يؤثر عن امام تلك الدولة المبانية للشرعية على ماسياتي ان شاء الله تعالى وقال الرئيس أبو يعلى وفي شوال من سنة احدى وأربعين ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين ان الى ان استقرت الحال بينهما على اجل صفة واحسن قضية وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين ابنة معين الدين وتأكدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في الثالث والعشرين من شوال وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منه توجهت الرسل عائدة الى حلب في صحبتهم ابنة معين الدين ومن في جملتها من خواص الاصحاب في النصف من ذى القعدة قال وتوجه معين الدين الى ناحية صرخد وبصرى بالحيل والرجل وآلات الحرب ونزل على صرخد وبها المعروف بالتوتناش غلام امين الدولة كمشكين الانابكي الذي كان واليها اولا قلت هو الذي تنسب اليه المدرسة الامينية قبل الجامع بدمشق قال وكانت نفس التوتناش قد حدثه لجهله انه يقاوم من يكون مستوليا على دمشق وان الافرنج يعينونه على مراده وكان قد خرج من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم وتقرير أحوال الفساد معهم فخال معين الدين بينه وبين العود الى أحد الحصنين وراسل نور الدين في انجاده على الكفرة فأجابه وكان مبرزا بظاهر حلب في عسكره فثنى اليه الاعانة وأجد المسير فوصل الى دمشق في التاسع والعشرين من ذى الحجة فأقام أياما يسيرة (ودخلت سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة) فتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد احسن من عسكره وهيتته وعدته وفور عدته واجتمع العسكر ان وارسل من بصر خد اليهما يلتصون بالامان والمهلة اياما وتسلم المكان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاطلة الى ان يصل عسكر الافرنج لترحيلهم وقضى الله تعالى وصول من اخبر بتجمع الفرنج

## في أخبار (٥١) الدولتين

واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم محمد بن السيراى ناحية بصرى وعليها فرقة وافرة من العسكر محاصرة لها فنهض العسكر في الحال الى ناحية بصرى فسبقوا الفرنج اليها خالوا بينهم وبينها ووقعت العين على العين فانهم زعم الكفار وولوا الادبار وتسلم معين الدين بصرى وعاد الى صرخد فسلمها وعاد العسكر ان الى دمشق فوصلها يوم الاحد السابع والعشرين من المحرم وفي هذا الوقت وصل التوتناش الذي خرج من صرخد الى الفرنج بجهله وسخافة عقله الى دمشق من بلاد الافرنج من غير أمان ولا تفرير واستئذان توهبهم منه انه يكرم ويصطنع بعد الاساءة القبيحة والارتداد عن الاسلام فاعتقل في الحال وطالبه اخوه خطط بما جناه عليه من ثل عينيه وعندهما مجلس حضره الفقهاء والفضلاء واجبوا عليه الفصاع ثم حمل كائمل اخاه واطلق الى داره بدمشق فاقام بها قلت وقد ذكر ابن منير وقعة بصرى هذه وغيرها من الوقعات التي يأتي ذكرها في تصديده قد تقدم بعضها

اي شأن ادركت يانوردين الله اعبي على المملوك لحاقه  
نطق الحاسدون بالجزع من ملوك محلى بالنيرات نطقه  
غض ابصارهم لحاق جواد ليس الا الى المعالي سباقه  
سل بصرى اكم اعتفت يوم بصرى من أسارى الموت الزوام عتاقه  
كم عرام على العريضة شبت ضاق منه على انصليب خناقه  
ولكم هبة بهاب واختير هاهنا صكت الاسارى رباقه  
بسط الذل فوق بسطة باسو طاولكن طواه عنه ارتفاقه

وفي هذه السنة ولد بعلبك الملك العادل سيف الدين أوبكر بن أيوب وقيل في سنة فتح زنكي الزهاقال أبو يعلى وفي ليلة الجمعة الثالث من ربيع الاول توفي اقيم شيخ الاسلام الفتح نصر الدين بن عبد العزى المصيصى بدمشق كان بقية الأئمة الفقهاء المقيمين على مذهب الامام الشافعى ولم يخلف بعده مثله قال وفي جمادى الآخرة تفررت ولاية حصن صرخد للا مير محمد الدين بزان بن مامين على مبلغ من المال والغلة وشروط وایمان دخل فيها وفام بها واستبشر أهل تلك الناحية لما هو عليه من حب الخير والصلاح والتدين والعفاف قال وفي الحادى والعشرين من شوال وهو مستهل نيسان أظلم الجو ونزل غيث ساكن ثم أظلمت الارض في وقت العصر ظلاما شديدا بحيث كان ذلك كالغدوة بين العشائين وبقيت السماء في عيب الناطر بن اليها كصفرة الورس وكذلك الجبال وأشجار الغوطة وكل ما ينظر اليه من حيوان وجماد ونبات ثم جاء في أثر ذلك من الرعد الفاصف والبرق الخاطف والحدات المزججة والرجفات المفزعة ما ارتاع لها السيب والسبان فكيف البلدان والسران وقلقت لذلك الخيول في مرابطها وبقي الامر على هذه الحال الى وقت العشاء الآخرة ثم سكن بعدة الله تعالى وأصبح على الارض والاشجار وسائر النبات غبار في رقة الهواء بين البياض والغبرة قال ابن الاثير وفي سنة اثنتين وأربعين فتح نور الدين ارتاج بالسيف وحصن بارة وبصر فوت وكفر لانا وكان الفرنج قد طمعوا ووطنوا انهم بعد تمل الشهيد يستردون ما أخذ منهم فلما رأوا من نور الدين هذا الجند علموا ان ما أملوه بعيد

(فصل) في نزول الفرنج على دمشق ورجوعهم وقد خذلهم الله عنها قال الرئيس أبو يعلى وفي هذه السنة تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الفرنج والروم والاهاب ظهور مملوك الافرنج من بلادهم منهم الالمان والفرنس وجماعة من كبارهم في العدر الذي لا يحصر لقصد بلاد الاسلام بعد ان نادوا في سائر بلادهم ومعاقلمهم النفر النفير اليها والاسراع نحوها واخلوا بلادهم وأعمالهم خالية شاغرة من جماتها والحفظة لها ثم استحبوا من ذخائرهم وأموالهم وعددهم الشيء الكثير ان لا يحصى بحيث يقال ان عدتهم ألف ألف من الرجال والنفرسان ويقال أكثر من ذلك وغلبوا على أعمال قسطنطينية واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسامحتهم والنزول على أحكامهم وحين شاع خبرهم واشتهر أمرهم شرعت ولاذالاعمال المنه قبلة لهم والاطراف الاسلامية القريبة منهم في التأهب للدفاع لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وقصدوا منافذهم ودروب معابرهم لكي يمنعوا من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شن الغارات على أطرافهم واستخرجوا ثقل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم

العدد الكثير وحل بهم من عدم القوت والعلوفات والمير وغلاء السعرا اوجدوه ما أفنى الكثير منهم بالجوع والمرض ولم تزل أخبارهم تتوالى بهلاكهم وفاء أعدادهم الى أو اخرسناه اثنتين وأربعين بحيث سكنت المفوس بعض السكون (ودخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة) وتواترت الاخبار بوصول مراكب الفرنج وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا واجتماعهم مع من بها من الفرنج ويقال انهم بعد ما فنى منهم بالقتل والمرض والجوع وصل تقدير ثمانمائة ألف وقصدوا البيت المقدس وقصروا حجبهم وعاد من عاد منهم الى بلادهم في البحر وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وعليك من ملوكهم من هلك وبقي للامان أكبر ملوكهم ومن هودونه واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية الى ان استقرت الحال على منازلتهم دمشق وبلغ ذلك معين الدين فاستعد لحربهم بخاؤك تقدير خمسين ألفا وذبوا من السلاثم قصدوا المنزلة المعروفة بنزل العساكر فيها فصادفوا الماء مقطوعا فقصدها ناحية ارتفعوا عليها اربعهم من الماء وزحفوا الى البلد بخيلهم ورجلهم ووقف المسلمون بازائهم في يوم السبت سادس ربيع الاول ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الاعمال والاجناد والازراك والقتال واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجمل الغفير واستظهر ان الكفار على المسلمين بكثرة الاعداد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيموا فيها وقرى بوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما وحديثا منه واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الهندلاوى المالكي رحمه الله قريب البروة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم انبع أو امر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترى وكذلك عبد الرحمن الحول الراعد رحمه الله جرى أمره هذا المجري

(فصل) قلت وذكر الامير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتراف ان ملك الامان الفرنجي لما وصل الى الشام اجتمع اليه كل من بالشام من الافرنج وقصد دمشق فخرج عسكرها وأهلها لقتالهم وفي اجتماعهم الفقيه الهندلاوى المالكي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحول رحمه الله وكانا من خيار المسلمين فلما فار بومهم فال الفقيه عبد الرحمن اما هؤلاء الروم قال بلى قال فالى متى نخس وقوف قال سر على اسم الله فقدمنا فقاتلنا حتى تملأ في مكان واحد رجمهما الله تعالى ثم قال أبو يعلى وشروا في قطع الاشجار والتحصن بها وهدوا الفطائر وبانوا تلك الميلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياح لول ما شاهدوه والروع عاينوه ما ضعفت به القلوب وجرحت معه الصدور وباكروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم وهو الاحد وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستطهر المسلمون عليهم وأكثروا القتل والجراح فيهم وأبلى الامير معين الدين في حربهم بلاء حسنا وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا يخي في جهادهم ولا ينشئ عن دمارهم ولم تزل رعاء الحرب دائرية بينهم وخيل الكفار محجمة عن الجمل المعروفة لهم حتى تهيأ الفرصة لهم الى ان مالت الشمس الى الغروب وأقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه وبات الجند بازائهم وأهل البلد على أسوارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم وكانت المكاتب قد نفذت الى ولاية الاطراف بالاستمرار والاستتجار وجعلت خيل الزكمان تتواصل ورجاله الاطراف تتتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت شوكتهم ونفوسهم وزال عنهم وعهم وثبتوا بارائهم وأطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث يقع في مخيمهم في راجل أو فارس أو فرس أو جمل ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرماة فزادت بهم العدة وتضاعفت العدة وانصل كل فريق الى مستقره في هذا اليوم وباكرهم من غديوم الثلاثاء وأحاطوا بهم في مخيمهم وقد تحصنوا بأشجار البساتين وأفسدوا رشا قمانا للشباب وحذابا بالاشجار وقد أعجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم يظهر منهم أحد وظن انهم يعملون مكيدة أو يدبرون حيلة ولم يظهر منهم الا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناشوشة خوفا من المهاجمة الى ان يجدوا الجملتهم محال وليس يدنو منهم أحد الاصرع برشفة أو طعنة وطمع فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث والضياع وجعلوا يقصدونهم في المسالك وقد آمنوا فيقتلون من طفروا به ويحضر رؤسهم لطلب الجواز عليها وحصل رؤسهم العدد الكثير وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلامية بالمسارعة الى جهادهم واستئصال شاقهم فأيقنوا بالهلاك والبوار وحاول اندساروا ٤١٠ الاراء بينهم فلم يجدوا والنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها غير الزحيل فرحلوا سحر يوم الاربعاء الى

## في أخبار (٥٣) الدولتين

مفلولين وحين عرف المسلمون ذلك برزوا اليهم في بكرة هذا اليوم وسار عوافي آثارهم بالسهم بحيث قتلوا في أعتابهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكبير ووجدوا في آثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلهم وحيولهم ما لا عدوله ولا حصر يلحقه بحيث لها أربع من جيتهم - تكاد تصرع في الجؤ وكافوا قد أحرقوا الربوة والقبة الممدودة في تلك البلية واستبشر الناس بهذه النعمة التي أسبغها الله عليهم وأكثروا من الشكر له تعالى على ماؤ ولاهم من اجابة دعائهم الذي واصلوه في أيام هذه الشدة. فلهذا الحمد على ذلك والشكر والتفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معين الدين مع نور الدين عند قرية من دمشق للانجاء لها. وقال ابن الاثير خرج ملك الالمان من بلاد الافرنج في جيوش عظيمة لا تحصى كثيرة من الفرنج الى بلاد الشام فاتفق هو ومن بساحل الشام من الفرنج فاجتمعوا وقصدوا مدينة دمشق ونازلوها ولا يشك ملك الالمان الا انه لم يكد يعلو فيها الا كثرة جوعه وعساكره قال وهذا النوع من الفرنج هو اكثرهم عددا وأوسعهم بلادا وملكهم أكثر عددا وعدد اوان كان غير ملكهم أشرف منه عندهم وأعظم محلا فلما حاصروا دمشق وبها صاحبها مجير الدين انق بن محمد بن بوري ابن طغتكين وليس له من الامر شيء وإنما كان الامر الى مملوك جده طغتكين وهو معين الدين انق بن بوري وكان عاقلا دينا خيرا أحسن السيرة جهم العسكر وحفظ البلد وحصرهم الفرنج وزحفوا اليهم سادس ربيع الاول فخرج العسكر وأهل البلد لمنعهم وكان فين خرج الشيخ الفقيه حجة الدين أبو الجاج يوسف بن دوناس المغربي الفندلاوى شيخ المالكية بدمشق وكان شيخا كبيرا زاعدا عابدا خرج راجلا فرأى معين الدين فتصدد وسلم عليه وقال له يا شيخ أنت معذور ونحن نكنيك وليس بك قوة على القتال قال قد بدت واشتري فلانفيله ولا نسمة فيه يعنى قول الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية وتقدم فتقاتل حتى قتل رحمه الله عند النيرب شهيدا وقوى أمر الفرنج وتقدموا فزولوا بالميدان الاخصر وضعف أهل البلد عن ردهم عنه وكان معين الدين قد أرسل الى سيف الدين يستغيث به ويدتجده ويسأله القدوم عليه ويعلمه شدة الامر فجمع سيف الدين عساكره وسار مجددا الى مدينة حصص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعى كل من بطيخ حمل السلاح من بلادى فان أجاثت اليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد الرائي وأصحابي وكانت الهزيمة والعياذ بالله علينا لا يسلم منا أحد بعد بلانا عنا وحينئذ ملك الفرنج دمشق وغيره فان أردتم ان ألغاهم وأقاتلهم فتسلم البلد الى من أتى اليه وأنا أحلف لك ان كانت النصره لنا على الفرنج انى لا آخذ دمشق ولا أقيم بها الا مقدار ما برجل العدو عنها وأعود الى بلادى فباطله معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج فأرسل سيف الدين الى الفرنج الغرباء يهددهم ويعلمهم انه على قصدهم ان لم يرحلوا وأرسل معين الدين اليهم أيضا يقول لهم قد حضر ملك الشرق ومعهم العساكر ما لا طائفة لكم به فان أنتم رحلتم عنا والا سلمت البلد اليه وحينئذ لا تطمعون فى السلامة منه وأرسل الى الفرنج الشام يخوفهم من أولئك الفرنج الخارجين الى بلادهم ويقول لهم أنتم بين أمرين مدمومين ان ملك هؤلاء الفرنج الغرباء دمشق لا يقرن عليكم ما يديكم من البلاد وان سلمت أباد دمشق الى سيف الدين فأنتم تعلمون انكم لا تقدر ان على منعهم من البيت المقدس وبذل لهم ان يسلم اليهم بانياس ان رحلوا ملك الالمان عن دمشق فأجابوا الى ذلك وعلوا صوته واجتمعوا بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع امداده واهربا ملك دمشق فلا يبقى لهم معه مقام بالساحل فأجابهم الى الرحيل عن دمشق فرحل ورحل فرنج الساحل وتسلموا حصن بانياس من غير الدين وبقي معهم حتى فتحه نور الدين محمود رحمه الله كما سئد كره

﴿فصل﴾ قلت وذكر الحافظ أبو الفاضل عن عساكره رحمه الله في تاريخه ان الفقيه الفندلاوى رأى في المنام فقيل له أين أنت قال فى جنات عدن على سرر متقابلين وقبره الآن يزار بقبر باب الصغير من ناحية حائط المصلى وعليه بلاطة كبيرة منقورة فيها شرح حاله وأما عبد الرحمن الخحول فقبره فى بستان الشبانى فى جهة شرقه وهو المسجد المحاذى لمسجد شعبان المعروف الآن بمسجد طالوت وكان مقامه فى حياته فى ذلك المكان رحمه الله وقرأت قصيدة فى شعر أبى الحكم الاندلسى شرح فيها هذه القصة منها

بشطى نهر داريا \* أمور ما تواتينا \* وأقوام رأوا سفكاً \* دماء فى خلق دينا  
أنا نأمانتا ألف \* عديدا أو يزدونا \* فبعضهم من اندلس \* وبعض من فلسطينا



## كتاب (٥٤) الروضتين

ومن عكا ومن صور \* ومن صيدا وتبنينا \* إذا أبصرتم -م أبصر \* ت أقواما مجانينا  
ولكن حرقوا في عا \* جل الحال البساتينا \* وجازوا المرج والتعدي \* ل أيضا والمياديننا  
تخالمهم وقد ركبو \* فطائرهما حراذينا \* وبين خيامهم دموالا \* خنازير والقرايينا  
ورايات وصلباننا \* على مسجد خاتونا \* وقائنا اذ ارأيناهم \* لعل الله يكفينا  
سماهم معين قد \* أعن الخلق والدينا \* وفتيان تخالمهم \* لدى الهيباء شياطينا  
قولوا يطلبون المر \* ج من شرقي جسرنا \* ولكن غادروا اليا \* س تحت التراب مدفونا  
وشيوخا فندلاويا \* فقهيها يعضد الديننا \* وقيمانا تفانوا من \* دمشق نحو سبعينا  
ومنهم مائتا عيلج \* وخيل نحو تسعيننا \* وباتيم الى الآ \* ن من القتل يفروننا  
وللعرقلة حسان في مدح مجير الدين صاحب دمشق حينئذ قصيدة ذكر فيها هؤلاء الفرنج أولها  
عرج على نجد لعلك منجدي \* بنسيمها وبذ كر سعدى مسعدى

يقول فيها

من قاتل الافرنج ديننا غيرة \* والخيل مثل السيل عند المشهد  
رد الامان بكل ندب باسل \* ومن الحياض بكل نهدي أجرد  
ومن السيوف بكل غضب أبيض \* ومن العجايب بكل تقع أسرد  
حتى لوى الاسلام تحت لوائه \* وغدا بمجدم من شريرة أجد  
وقرأت في ديوان محمد بن نصر القيسراني قصيدة في مدح تاج الملوك بوري جد مجير الدين أنشدها ياهها عند كسرة  
الفرنج على دمشق في أواخر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهي واقعة تشبه الواقعة في زمن مجير الدين أول القصيدة

الحق مبتهج والسيف مبتسم \* وسال أعداء مجير الدين مقتسم  
قدت الحياض وحصنت البلاد وأمة \* ننت العباد فأنت الحل والحرم  
وجئت بالخيول من أقصى مرابطها \* معاقدا الحزم في أوساطها الحزم  
حتى اذا ما أحاط المشركون بنا \* كالليل يلمتم -م الدنيا له ظلم  
وأقبلوا لامن الاقبال في عدد \* يؤود حاسبه الاعياء والسأم  
أجريت بحرا من المماضى معتكرا \* أمواجه بأواسي اليأس تلتطم  
وسست جندك والرجن يكلؤه \* سياسة ما بعى اثرها ندم  
وقفت في الجيش والاعلام خافقة \* بالنصر كل قناة فوقها علم  
يحوطك الله صونا عن عيونهم \* والله يعصم من بالله يعتصم  
حتى اذا بدت الآراء ضاحكة \* وأقبلت أوجه الاقبال تبسم  
اتبعت جث سراياهم مضجرة \* فيهم انجوم اذا جد الوغي رجوا  
والنصر دان وخيل الله مقبله \* ترجوا الشهادة في الهيباء وتغنم  
صاب الغمام عليهم والسهم معا \* فغادروا أيما الهطالة الديم  
سرروا بتهبوا الاعمار فانهبوا \* قتلاويغتموا الاموال فاعتنوا  
وأقبلت خيلنا تردى بخيلهم \* مجنونة وعلى ارماحنا القم  
وأدبر الملك الطاغى يرعزعه \* حر الاسنة وهو الباراد الشيم  
وافوا دمشق فظنوا انها جدة \* ففارقوها وفي أيديهم العدم  
وأيقنوا مع ضياء الصبح أنهم \* ان لم يزولوا سراعاً زالت الخيم  
فغادروا أكثر القربان وانجفلوا \* وخلفوا أكبر الصلبان وانهمزوا  
مستسلمين لا يدى المسلمين وقد \* أغرى الفنا بتمادى خطفهمهم

## في أخبار (٥٥) الدولتين

لا يملك الجسم دمعاً عن مقاتله \* كانه حين يغشاه الردى صم  
وحاولوا المسجد الادنى فاعبرت \* عن مسجد القدم الاقصى لهم قدم

(فصل) قال ابن الاثير لما رحل الفرنج عن دمشق سار معين الدين انرا الى بعلبك وأرسل الى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين يسأله ان يحضر عنده فاجتمعافوصل اليهما كتاب القمص صاحب طرابلس يشير عليهم باقصد حصن العريمة وأخذهم من فيه من الفرنج وكان سبب ذلك ان ولد الفئش صاحب صفلية خرج مع ملك الامان الى الشام وتغلب على العريمة وأخذها من القمص وأظهر انه يريد أخذ طرابلس منه أيضاً ووجد هذا الذي ملك العريمة هو الذي عزأ افریقیة وفتح مدينة طرابلس الغرب فلما استولى هذا على العريمة كتب القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسار اليه مجدين فصيحاه وكتب الى سيف الدين يستجده ويطلبان منه المدد فأمداهما فحصروا الحصن وبه ابن الفئش وتقبوا السور فأذن الفرنج واستسلموا وألقوا بأيديهم فلاك المسلمون الحصن وأخذوا كل من به من رجل وضبي وامر آذوفهم ابن الفئش وأخروا الحصن وعادوا الى سيف الدين وافتتح نور الدين أيضاً باسوطا وهاج وقال الرئيس أبو يعلى قتل أكثر من كان فيه يعني في حصن العريمة وأسر وأخذوا ولد الملك وأمه ونهب ما فيه من العدد والخيول والانات عسكر سيف الدين الى مخيمه بحمص ونور الدين عاد الى حلب ومعه ولد الملك وأمه ومن أسر معه ما وازكنا معين الدين الى دمشق قال وورث الاخبار في رجب من ناحية حلب بأن نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وقصد اقامية ونظر بعدة من الحصون والمعاقل الافرنجية وبعدة وافرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فنال من عسكره وأثقاله وكرامه ما أوجبته الاقدار النار له وانهم زعم نفسه وعسكره وعاد الى حلب سالما في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الافرنج وأقام بجلب أياما بحيث جند ما ذهب له من الزك وما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد وذكر بن أبي طي ان أسد الدين لما كان في نفسه على نور الدين من تقديم ابن الداية عليه لم ينصح يومئذ وهي وقعة يغراومر به نور الدين فغال له ما هذا الوقوف والغفلة في مثل هذا الوقت والمسلمون قد انكسر واقفال ياخوند ايش تنفع نحن انما يقع مجند الدين أبو بكر فهو صاحب الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب أسد الدين بعد ذلك وألزم مجند الدين ان يعرف لاسد الدين حقه وأصلح بينهما قال وقتل في هذه الكسة شاهنشاه بن أيوب أخو الملك الناصر وقيل في كسة البقيعة قتل وعمو والند عز الدين فرخشاه وتقي الدين عمر والست عذرا المنسوب اليها العذرا ووية داخل باب النصر بدمشق وقبره الآن بالترتبة النجمة جوار المدرسة الحسامية بمقبرة العونية ظاهر دمشق رحلهم الله قتل ولا بن منير من قصيدة تفتت اعتذارا عما جرى في هذه الغزاة قال

لم يشنه من ماء يغرا ان تزل \* الاشابات ذاد عنها انذلاقه  
كان في هاليت العرين حي الا \* شبال منه غضبان كالنار ماقه  
وشبيهه النجى يوم حنين \* اذ تلافأ دواء هم درياقه  
وهي الحرب قلها بحسن الكسر \* ان عني بأسها لا نياقه

(فصل) وقال ابن الاثير وفي سنة ثلاث واربعين ايضا سار نور الدين الى بصرى وقد اجتمع بها الفرنج في قضهم وقضيضهم وندعزمو على قصد بلاد الاسلام فالتقى بهم هنالك واقتتلوا استقتال ثم أنزل الله نصره على المسلمين وانهم زعم الفرنج وكانوا بين قتيل وأسير وفي هذه الوقعة يقول النيسراني من قصيدة أولها

يا ليت ان الصدود مصدود \* اولاً فليت النوم مردود  
الى متى تعرض عن مغرم \* في خد للدمع اخمدود  
فالوايمون البيض بيض الظبي \* تلب ولكن هذمه سود  
يخاف منها وهي في جفنها \* والسنين يخشى وهو مغمود

ثم خرج الى المدح فقال

وكيف لا نثنى على عيشنا الا \* محمود والسلطان محمود  
فلشك الناس ظلال المنى \* ان رواق العدل ممدود

## كتاب (٥٦) الروضتين

ونيرات الملك وهاجة \* وطالع الدولة مسعود  
وصارم الاسلام لا ينقئ \* الاوشا والكفر مقدود  
مناقب لم تك موجودة \* الا ونور الدين موجود  
مظفر في درعه ضيغ \* عليه تاج الملك معقود  
نال المعالي مال كاحا كما \* فهو سليمان وداود  
ترتشف الافواه اسيا فاه \* ان رصاب العزم مورود  
وكم له من وقعة يومها \* عند ملوك الشرك مشهود  
والقوم امام رهنق صرعة \* او موثق بالقيد مشهود  
حتى اذا عادوا الى مثلها \* قالت لهم هييته عودوا  
طالب بنار ضمنتها الظبي \* فكل ما يضمن مردود  
والكثر والقرى بحال الوعى \* فطارد طورا ومطرود  
وانما الافرنج من بغيرها \* عادوا وتعاد لها هود  
قد حصص الحق فاجاحد \* في قلبه بأسك مجحود  
فكل مصر بك مستفتح \* وكل ثغر بك مسدود

وقال أيضا قصيدة في نور الدين وأنشدها ياها بظاهر حلب وقد كسر الافرنج على بغرا وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين أولا بهذا الموضع أولها

تفي بضمانها البيض الحداد \* وتقتضى دينها السمر الصعاد  
وتدرك نارها من كل باغ \* فوارس من عزائمها الجلال  
ويشئ حومة الهيجاها مام \* يشد بضبعه السبع الشداد  
أظنوا ان نار الحرب تخبو \* ونور الدين في يده الزناد  
وجند كالصقور على صقور \* اذا انقضوا على الابطال صادوا  
اذا اخفوا ما كيدتهم أخافوا \* وان أبدوا عداوتهم أبادوا  
ونصرة دولة حاميت عنها \* وهل يخشى وأنت لها عماد  
وان تتسل القوافي ما تلته \* بأذن ما يؤنبها سناد  
جرت بالنصر أفلام العوالى \* وليس سوى النجم لهامداد  
وطالت أروس الاعلاح خصبا \* فنادى السيف قد وقع الحصاد  
أحطت بهم فكان القتل عبرا \* ولا طعن هناك ولا طراد  
وللا برنس فوق الرمح رأس \* توسدوا السنان له وساد  
ترجل للسلام ففرسوه \* وليس سوى القنطرة لجواد  
غضيض المفلتين ولا نعاس \* وعارها وليس به سهاد  
فسر واستتوعب الدنيا فتوحا \* فلا هضب هناك ولا وهاد  
وزر بنى الوغى مئوى حبيب \* فن عن باب مسلمه زياد  
ولا في باب فارس غير ثكلى \* بفارسها يضئ بها الحداد  
لانطاكية يحى ذراها \* وقد دانت لسطون البالد  
واذغنت الممالك واستجابات \* مليه لدعوتك العباد

قلت ووقعة أنب هذه كانت عظيمة وقد أكثر كذلك الشعراء لها وسيأتى ذكرها قريبا إن شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ قال أبو يعلى التميمي وفي رجب من هذه السنة ورد المنبر من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين ابن أتابك أمر بإبطال حى على خير العمل في أواخر أذن الغداة والتظاهر بسب الصحابة وأنكر ذلك انكارا شديدا وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية وأهل التسميع وضائق له صدورهم وهاجوا وما جوا ثم سكنوا وأجمعوا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة قلت وأنشده ابن منير في رمضان

فذاك من صام ومن أفطارا \* ومن سعى سعيك أو قصر  
وما الورى أهلا فتقديهم \* وهل يوازي عرض جوهر  
عدل تساوى تحت كفاه \* مضاف العين واسد الشرى  
يانور دين الله كم حادث \* دجى واسفرت له فأنشرى  
وكم حى للشرك لا يهتدى الـ \* وهم له غادرت مجزرا  
يا ملك العصر الذى صدره \* افسح من أفطارها مصدرا  
وابن الذى طاول أفلاكها \* فلم يجد من فوقه مظهرا  
من اقرب تكسر كسرى كما \* تقصر عن ادراكها قيصر  
ما علم فى اوصافها شاعر \* الا رأى أوصافها أشعرا  
لله أصل أنت فرع له \* ما أطيب المجنى وما أظهرا  
ما حلب البيضاء من صنتها \* الاحرام مثل أم الفرى  
شديد فى معمر ارجائها \* لكل باغى عمره مسعرا  
فاصبح السادى اذا توب الـ \* داعى له هلال أو كبرا  
لا عدى الاسلام من كفه \* كهف لمن ارهق أو احصرا  
كانما ساحتها جنة \* أحرقت بهار احتمه كوثر  
تصرم الشهر الذى كنت فى \* أوقاته من قدره أشهر  
جهاد ليل فى نهار غزا \* اذ كنت فيه الا صبرا لا سبرا  
أصدق ما يرشعه سامع \* ما هزم أو واصلك المنبرا  
أبقاك للدين والدين من \* خلاك فى ايلهم مانبرا  
حتى ترى عيسى من القدس قد \* نجا الى سيفك مستنصرا

قال أبو يعلى وفي رجب أذن لمن يتعطى الوعظ بالتكلم فى الجامع المعجور بدمشق على جارى العادة والرسم فبدا من اختلافهم فى أحوالهم واغرائهم والخوض فى تضايلا الحاجة اليها من المذاهب ما أوجب صرفهم عن هذه الحال وابطال الوعظ لما يتوجه معه من الفساد وطمع سفهاء الاوعاد وذلك فى آخر شعبان منها قال وكثر فساد الفرنج المقيمى بصور وعكا والشعور الساحلية فى الاعمال الدهشفية بعد رحيلهم عن دمشق فاغار معين الدين على اعمالهم وخيم فى ناحية من حوران بالعسكر وكتب العرب واستدعى جماعة وافرة من الزركان وأطلق أيديهم فى نهيمهم وألفقت بهم فمزل على النكاية فيهم والمضايقة لهم الى ان ألجأهم الى طلب المصالحة

﴿ودخلت سنة أربع وأربعين وخسمائة﴾ فجذدت المهادنة فى الحرم مدة سنتين وأنفذ نور الدين الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلادهم وظهر يذلب بهم الافساد فى الاعمال الخلية وانه قد برز فى عسكره الى ظاهر حلب للقائه والحاجة ماسة الى معاضدته فندب معين الدين بمجاهد الدين زان بن مامين فى فريق وافر من العسكر الدمشقى للصير الى جهته وبذل المجهود فى طاعته ومناجحته وبقى معين الدين فى باقى العسكر بناحية حوران قال وفى صفر من السنة ردت البشائر من جهة نور الدين بما أولاه الله تعالى وله الحمد على حشد الفرنج المخذول ولم يفلت منهم الا من أخبر ببوارهم وتجهيل دمارهم وذلك ان نور الدين اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارسا مقاتلة

## كتاب (٥٨) الروضتين

سوى الاتباع والسواد فنهض بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بأنب وهم في نحو أربع مائة فارس وألف راجل فقتلواهم وغنمواهم ووجد العين البرنس مقدمهم صريعا بين جانبيه وأبطاله فعرف وقطع رأسه وجل الى نور الدين وكان هذا اللعين من أبطال الفرنج المشهورين بالفرسية وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلة مع انتهاز الهبة وكثرة السطوة والتناهي في الشر وذلك يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية وقد خلعت من جانتها والذابين عنها ولم يبق فيها غير أهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلادهم وترددت المراسلات بينهم وبينهم في طلب التسليم اليه وإيمانهم وصيانة أموالهم فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا أمر لا يمكنهم الدخول فيه الا بعد انقطاع أموالهم من الناصر لهم والعين على من بقصدتهم وحملوا ما أمكنهم من الخف والمال ثم استهلوها فامهلوا ثم رتب نور الدين بعض العسكر للرافضة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض في بقية العسكر لمنازلتها ومضايقتهم فالتمسوا الامان فأومنوا على أنفسهم وسلموا البلد في نامن عشر ربيع الاول وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكية وقد انتهت الحربة نهوض الفرنج من ناحية الساحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها فاقتضت الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرب من الاعمال الحلبية له وما قرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغيرها المغنايم الجمة وفصل عنه الامير مجاهد الدين زان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الواقعة ولن في جملة البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشجاعة والبسالة وأصابه الرأي والمعرفة بما وقف الحروب وقال ابن أبي طى جل أسد الدين على حامل صليب الفرنج فقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به وعاد المسلمون بالغنائم والاسارى وكان لاسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحه بها بعض الشعراء الحلبيين بقصيدة يقول فيها

ان كان آل فرنج أدركوا فلجنا \* في يوم يغارونا لو امنية الظفر  
ففي الخطيم خطمت الكفر منصلنا \* أبا المطفر بالصمصامة الذكر  
نالوا بغير انهابا وانتهت لنا \* على الخطيم نفوس المعسر البتر  
واستقودوا الخيل عريا واستقدت لنا \* قوامص الكفر في ذل وفي صغر

قال وحصل لاسد الدين من هذه الكسرة سلاح كثير وعدة أسارى وخيول كثيرة فأنفذ لآخيه نجم الدين منها شيئا وفي هذه السنة عظم أمر أسد الدين وقال ابن الاثير سار نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج حصره وخرب ربهضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن أنب فحصره فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وساروا اليه ليرحلوه عن أنب فلم يرحل بل لقيهم وتضاف الفريقان واقتتلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنة ما تعجب منه الناس وأنجحت الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وفيمن قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وذوى التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلف ابنه صغيرا وهو بيند فبقى مع أمه بانطاكية فترجعت أمه ببرنس آخر وأقام معها بانطاكية يدبر الحيس ويقودهم ويقاثل بهم الى ان يكبر بيند ثم ان نور الدين غزا بلاد الفرنج غزوة أخرى وهزمهم وقتل فيهم وأسروا وكان في الاسرى البرنس الثانى زوج أم بيند فلما أسره تملك بيند انطاكية ببلاديه وتمكن منه وبقى بها الى ان أسره نور الدين بحارم سنة تسع وخسين وخمس مائة على ما ذكره ان شاء الله تعالى وأكثر الشعراء مدح نور الدين وتمننته بهذا الفتح وقتل البرنس فمن قال فيه القيسر انى الشاعر من قصيدة أنشدها ياها بجمهر الحديد الفاصل بين عمل حلب وعمل انطاكية أولها

هذى العزائم لا ماتدعى القضب \* وذى المكارم لا ما قالت الكتب  
وهذه الهمم الا لاقى متى خطبت \* تعثرت خلفها الاشعار والخطب  
صاغت بابن عماد الدين ذروتها \* براحة للساعى دونها تعب  
ما زال جدك يبنى كل شاهقة \* حتى أبنى قبة أوتادها الشهب  
لله عزمك ما مضى وهك ما \* أقضى اتساعا بما ضاقت به الحقب

## في أخبار (٥٩) الدولتين

باسا هـ الطرف والاحقان هاجعة \* ونابت القلب والاحشاء تضطرب  
 أغرت سيوفك بالافرنج راجفة \* فؤاد رومية الكبرى لها يجب  
 ضربت كبشهم منها بقاصمة \* أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب  
 قل للظغاة وان صمت مسامعها \* قولاً لصم القنا في ذكره أرب  
 ما يوم آنب والايام دائمة \* من يوم بغراب عيدا ولا كتب  
 أغتركم خدعة الآمال ظنكم \* كم أسلم الجهل ظنا غرة الكذب  
 غضبت للدين حتى لم يفتك رضى \* وكان دين الهدى مر ضاته الغضب  
 طهرت أرض الاغادى من دمائمهم \* طهارة كل سيف عندها جنب  
 حتى استطار شرار الزند قاده \* فالجرب تضرم والآجال تحتطب  
 والخيول من تحت قتلاها تفر لها \* قوائم خانق الركض والخبب  
 والنقع فوق صقال البيض منعقد \* كما استقل دخان تحتها هب  
 والسيوف هام على هام بمعركة \* لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليب  
 والنبل كالو بل هطال وليس له \* سوى القسى وأيد فوقها سحب  
 وللظبي ظفر حاد مذاقته \* كأنما الضرب فيما بينهم ضرب  
 ولا سنة عما في صدورهم \* مصادر أتلوب تلك أم قلب  
 خانرا الخفانت رماح الطعن أيديهم \* فاستسلموا وعى لا تبغ ولا غرب  
 كذلك من لم يوق الله مهجته \* لاقى العدى والقنا في كفه قصب  
 كانت سيوفهم أوحى حتوفهم \* يارب حائنة منجياتها العطب  
 حتى الطوارق كانت من طوارقهم \* ثارت عليهم بها من تحتها النوب  
 أجسادهم في ثياب من دمائمهم \* مسلوبه وكان القوم ماسلوبوا  
 أبناء ملحمة لوانها ذكرت \* فيما مضى نسيت أيامها العرب  
 من كان يغزو ابلاد الشرك مكتسبا \* من الملوك فتور الدين محتسب  
 ذو غرة ما سمع والليل معتكر \* الا تمزق عن شمس الضحى الحجب  
 أفعاله كاسمه في كل حادثة \* ووجهه نائب عن وصفه اللقب  
 في كل يوم لذكرى من وفائعه \* شغل فكل مدحى فيه مقتضب  
 من باتت الاسد أسرى في سلاسله \* هل يأسر الغلب الا من له الغلب  
 فلكك واسلب الابرنس قاتله \* وهل له غير انطاكية سلب  
 من للشقى بما لاقت فوارسه \* وان يسائرهما من تحتها قتب  
 عجبت لاصعدة السماء مئيرة \* برأسه ان أثمار القنا عجب  
 سما عليها سمو الماء ارضه \* أنبوية في صعوداً صلها صبيب  
 ما فارقت عذبات التاج مفرقه \* الا وهى منه لا تاج ولا عذب  
 اذا القنا ابتغت في رأسه نفقا \* بدا لتعلبها من نحره سرب  
 كنانة دحى أطرافنا ظفرا \* فلكتمك النظمي ما ليس نخسب  
 عمت فتوحك بالعدوى معاقلها \* كان تسليم هذا عند ذاجرب  
 لم يبق منهم سوى بيض بلارمق \* كما التوى بعد رأس الحية الذنب  
 فانهض الى المسجد الاقصى بذى لب \* يوليئك أقصى المنى فالقدس مر تقب  
 واثن لموجك في تطهير ساحله \* فاما أنت بجر لجبه لجب

## كتاب ﴿٦٠﴾ الروضتين

يامن أعاد ثغور الشام ضاحكة \* من الظي عن ثغور زانها الشنب  
مازلت تلحق عاصمها بطائعها \* حتى أقت وأنطاكية حاب  
حلت من عقلها أيدي معاقلها \* فاستجفلت والى ميثاق الهرب  
وأيقنت انها تتلو من أكرها \* وكيف يثبت لاجوق ولا طنب  
أجريت من ثغور الأعناق أنفسها \* جري الجفون ام تراها بارح حصب  
ومار كنت القنالا ومنك على \* جسر الحديد هز برغيله اشب  
فاسعد مما فاته من كل صالحة \* بأوى الى جنة المأوى لها حسب  
ان لا يكن أحد الابدال في فلات الـ \* نقوى فلا تمارى انزل القطب  
فلو تناسب أفلاك السماء بها \* لكان بينكم من عنة نسب  
هذا وهل كان في الاسلام مكرمة \* الا شهدت وعباد الهوى غيب

وله فيه من قصيدة أخرى

ألا لله درك أي در \* صريح جاء بالكرم الصريح  
وعسرك الذي استولى مسحا \* على ما بين فامية وسج  
ووقعك التي بنت العوالى \* صوادرعن قنيل أو جريح  
بأنب يوم أبرزت المذاكي \* من النقع الغزال في مسح  
غداة كأنما العاصى احرارا \* من الدم عبرة الجفح القريح  
وقد وافاك بالابرنس حنف \* أتبع له من القدر المتج  
قتلت أشحهم بالنفس اذلا \* يجود بنفسه غير الشحج  
ملأت بهم ضرائحهم فامسوا \* وليس سوى النشاعم من ضريح  
وعدت الى ذرا حلب حميدا \* سمو البدر من بعد الجنوح  
فان جلبيت بغرتك الليالى \* فكلم سنالك من زم ملج  
روبتك تسكن الهيجا فوافا \* بحيث ترجع من تعب المريج  
فأنت وان ارحت الخيل وقتا \* فهمك غيرهم المستريح

وقال أحمد بن منير مديحه ويذكر ظفره بالبرنس وأبحابه وحمل رأسه الى حلب وأشداه أيضا ياها بجسر الحديد

أتوى الضلال واقفرت عرصاته \* وعلا الهدى وثبلجت قسمانه  
واتشاش دين محمد محموده \* من بعد ما غلبت دما عبراته  
ردت على الاسلام عصر سبابه \* وثباته من دونه وثباته  
ارسي قواعد همد عماده \* صعدا وشيد سور سوراته  
وأعاد وجه الحق أبيض ناصعا \* اصلااته وصلاته وصلاته  
لما نوا كل خزبه وتخاذلت \* أنصاره وتقاصرت خطواته  
رفعت لنور الدين نار عزيمة \* رجعت لها عن طبعها ظلماته  
ملك مجالس لهوه شداته \* ومشوقه بين الصفوف شداته  
تعزى بحثثه السراع بنانه \* ان اذ حثته الكؤوس لداته  
ويروقه ثغر العدى قان دما \* لا الثغر يعبق في لماء لثاته  
فصبوحه خمر الطلى وغبوقه \* نطف النفوس تديرها نشواته  
فتح تعمم السماء بفخـره \* وهفت على أغصانها عذباته  
سبغت على الاسلام ببيض حوله \* واختال في أوضاعها جبهاته

## في أخبار (٦١) الدولتين

وانهل فوق الابطحين غمامه \* وسرت الى سكينها نفحاته  
لله بلجة ليلة محصت به \* واليوم ذبح وشيه ساعاته  
حط القوامص فيه بعد قادمها \* ضرب يصلصل في الطلي صعقاته  
نبذوا السلاح لضيف عاداته \* فرس الفوارس والقناغاياته  
لمجرب عمريه غضباته \* لله معتصمية غزواته  
تحيا الضميق صفاده اسراره \* وتفيض ماشؤ ونها نغماته  
بين الجبال خواضعا لعناقتها \* كالذود نابت عن براه حداته  
نشر على حلب عقود بنودهم \* حلل الربيع تناسقت زهراته  
روض جناء لها مكر جبابه \* واستوارت حمالة حملاته  
متساندين على الحال كما انتسى \* شرب امالت هامه قهواته  
لم تنبت الأجام قبل رماحه \* سحر افروع أصوله ثمراته  
فليجهد الاسلام ما جدحت له \* شربات غرس هذه مخبئاته  
وسقى صدادك الحيا صوب الحيا \* خير الثرى ما كنت أنت نباته  
نصب السرير و مال عنه ومهدت \* لمقر من نصبك السرى سراته  
ماضى هذا البدر وهو محلق \* ان الكواكب في الذرى ضراته  
في كل يوم تستطيل قناته \* فوق السماء وتعتلى درجاته  
وترى كنعس في الضحى آثاره \* مجدا وألسنة الزمان رواته  
أين الاولى ملاؤ الطروس زخارفا \* عن نرف بحر هذه قطراته  
غمدقوا بأعناق العواطل ماله \* من جوهر فأنتم فذاته  
لوفصلوا سمطاب بعض فتوحه \* سخرت بما اقتعلوا لهم فعلاته  
تمسى قنانيه نبات قيونه \* فوق القوانس والقناقيناته  
صلمتان من دون الملوك تقرها \* حر كانه وتنيها يقظاته  
فعدت بهم عن خطوه همتهم \* وسمت به عن قطوه هم همته  
سكنوا مسجده الجبال وأسكنت \* زحل الرجال مع السها هزmate  
لولا لالطاني غرة فتحه \* بآت بجمال تأوه باآته  
أوهب للطبرى طيب نسيه \* لاحتش من تاريخه حشواته  
صدم الصليب على صلابه عوده \* قفقرت ايدى سبا خشباته  
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة \* بالروح ممقر ما جنت غدراته  
فانقاد في خطم المنية أنفه \* يوم الخطبهم واقصرت ترواته  
ومضى يؤنب تحت أنب همة \* أمست زوافر غيها زفرا ته  
أسد تبوا كالغمر نفجآته \* قتبوات طرف السنن شواته  
دون النجوم مغضا ولطاما \* اغضت وقد كرت لها لخطاته  
بفؤته تبي الا صادق تحتته \* بدم اذا خحك له شماته  
تمشى القنابة برأسه وهو الذى \* نظمت مدار النيرين تناته  
لوعائق العيوق يوم رفعتته \* لاراك شاهد خفضه اخباته  
ما انتقاد قبلك أنفه بجزاه \* كلا ولا همت لها هدراته  
طيان خلف السرح طال زئيره \* نطقت سطاك له فطال صماته



## كتاب (٦٢) الروضتين

لما بدا مسود رأيك فوقه \* مبيض نصرك نكست راياته  
ورأى سيفك كالصواعق طاوحت \* مثل الكرين فقلصت كثراته  
ولى وقد شربت ظباك كياته \* تحت الجحاح وأسلمته جماته  
ترك الكنايس والكنايس لذهاب \* بالببيض نهب ما حواء عفاته  
غلاب اروع لا يميت عداته \* داء المطال ولا تعيش عداته  
والآن ملقى بالعرايقتاته \* ما كان قبل يصيده يقتاته  
اليوم ملكك القراع قلاعه \* متسما ما استشرفت شرفاته  
وغدا تحل لك الخلائل اسهم \* متوزعات بينهن بناته  
اوطأت أطراف السنايك هامه \* فتقاذفت بعنيفة قذفاته  
لا زال هذا الملك يشمخ شأنه \* أبدا ويلفت في الحضيض وشاته  
ما أخطأتك يد الزمان فدونه \* من شاء فلتسرع اليه هناته  
أنت الذى تجلى الحياة حياته \* وتهب أرواح القصيدة هباته

(فصل) قال ابن الاثير وفيها سار نور الدين الى حصن فامية وهو للفرنج أيضا وبينه وبين مدينة حماه مائة فرسخة  
وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحصن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماه  
وشيزرونيهنها فاهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والصغار فسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به  
القرار ليلانها راوتابع عليهم القتال ومنعهم الاستراحة فاجتمع الفرنج من سائر بلادهم وساروا نحو دليز خرد  
عنها فلم يصلوا اليه الا وقدم ملك الحصن وملأ ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه  
قرب الفرنج سار نحوهم فحين رأوا جده في لقاءهم رجعوا واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان صالحوه على ما أخذ  
ومدحه الشعراء واكثر وامنهم أبو الحسين أحمد بن منير حيث قال

اسنى الممالك ما طلعت منارها \* وجمعت مرهقة الشفارد نثارها  
وأحق من ملك البلاد وأهلها \* رؤف تكنف عدله أوقارها  
من عام سام الحافقين وحامها \* منمننا وزادهوى نخس نزارها  
مضرية طبعته مضارب به وان \* عدته ذروة فارس اسوارها  
آل الرعية وهى تجهل آلهها \* وتعاف نطفتها وتكر دارها  
فأقرّ ضجعتها وأنبت نيهها \* وأساعجرتها واثبت زارها  
ملك أبوه سمها فسمها بها \* وأجارها فعلت سهيلا جاراها  
نهج السبيل له فأوضع خلفه \* وشده له يمين العلى فانارها  
أنشرت باجمود ملة أحمد \* من بعد ما شمل البلى اصحارها  
ان جانأت عدل السنن قوامها \* أو نانأت كان الحسام جبارها  
علقت مع العصم العواصم مذغدت \* هذى العزائم أسرها واسارها  
وتكفلت لك ضمة انضبتها \* فى صونها ان تسترد ضمارها  
كلأت هواملها ورد مطارها \* ما أريشته وثقفت أطارها  
كم حاولت من كفتها غرة \* غلب الاسود فقلت أظفارها  
انى وحامى سرحتها من لوسمت \* للفلك بسطته أحال مدارها  
فى كل يوم من فتوحك سورة \* للدين يحمل سفره أسفارها  
ومطيلة قصر المنابر ان غدا الـ \* خطباء تنثر فوقها تقصارها  
هم تجلبت المسلول وراءها \* بدم العثار وما اقتفت آثارها

## في أخبار (٦٣) الدولتين

وعزائم تستور الآساد عن \* نهش الفرائس ان أحس أوارها  
أبدأتصر طول مشرفة الذرى \* بالمشفية أو تطيل قصارها  
فغزت افاميسة فافيمته \* كويار أجناها الاران بوارها  
أرهفت رائك فوق رائك تحتها \* حططت من شغفاتها أعفوارها  
أدركت نارك في البغاة وكنت يا \* مختار أمة أجد مختارها  
عارية الزمن المغير سماها \* منك المغيرة فاسترد معارها  
زار الهزير فقيدت عاناتها \* عصر الضلال وأسملت أعيارها  
ضاءت نجومك فوقها ولربما \* بانت تنافها النجوم سرارها  
أمتت مع الشعري العبور وأصبحت \* شعراء تستقل الفحول شوارها  
ولكم قرعت بقرباتك مثلها \* تلعاو قلدت الحكمة عذارها  
حتى اذا اشتلتك أشرق سورها \* عزا وحلاها سناك سوارها  
خز الصليب وقد علت نغماتها \* واستوبلت صلواته تكرارها  
لما وعاهما سمع انطاكية \* سرت الوفار وكشفت أستارها  
فاليوم أفضت تستدتم مجيرها \* من جوهر وغدت تذم جوارها  
علت بأن ستدوق جرعة أختها \* ان زرز أطواق القباء وزارها  
ماض اذا قرع الركاب لبلدة \* ألفت له قبل القراع ازارها  
واذا محانقه ركن لصعبه الا \* ملقاء أسجد كالجدير جدارها  
ملاً البلاد مواهباً ومهابة \* حتى استقرت آية أحرارها  
بذكي العيون اذا أقام لعينها \* أبدا ويفضي بالظي أبكارها  
أوما الى رمم النسي فاعاشها \* وهما لسابقة المنى فازارها  
نبوي تشبيهه الفتوح كأنما \* أنصاره رجعت له أنصارها  
أحيا الصرح سلامها سلمانها \* وأمات تحت عمارها عمارها  
ان سارسار وقد تقدم جيشه \* رجف يقصع في اللهى دعارها  
أوحل حل حبا القروم بهيبة \* سلب البدور بدارها ابدارها  
واذا الملوك تنافسوا درج العلى \* اربى بنفس أفرعته خيارها  
ونهى اذا هيضت تدل لجبرها \* وسطى تذل اذا عنت جبارها  
تهدى لمجود السجيا كاسمه \* لوز فاعلة بهنا لا بارها  
الفاعل الفعلات ينظم في الدجى \* بين النجوم حسودها اسماها  
ساع سعى والسابقات وراءه \* عنقا فعصر منماه عثارها  
كم المضربى اذا يصصر اربا \* خرس البغاب وهاجرت أوكارها  
عرفت لنور الدين نور وفائع \* يغشى اذا اكتملت به أبصارها  
مشهورة سطعت وقد حاولتها الا \* لدار عجزا ان تشق غبارها  
لله وجهك والوجه كأنما \* حطت بها أوقار هبت قارها  
والبيض تخنس في الصدور صدورها \* هبروا تكحل الشفور سفارها  
والخيل تدلج تحت رأسية القنا \* جذب المواضع غاورت أبارها  
فبقيت تسجل الفتوح عرائسا \* متمليا صدر العلى وصدارها  
في دولة للنصر فوق لوائها \* زبر تخفى في الطلى أسطارها

## كتاب (٦٤) الروضتين

فالدين مومة رفعت بها الصوى \* وحديقة ضمنت يدك ابارها  
وله فيه من قصيدة أخرى

خنس الثعالب حين زجج حجر \* ملأ البلاد بهما وزيرا  
تركوا مشاجرة الرماح لحاذق \* جعلت مخافة الفصور قبورا  
لربيب حرب لم تزل فعلااته \* كلأء يلزم لفظها التكريرا  
أسد اذا ما عاد من ظفر بفرس \* أحسن مثله انظورا  
يتناذر الاعداء منه سطوة \* ملأ الزمان تعيضا وزفيرا  
عرفوا لنور الدين وقائع \* وفيها الاسلام أمس ندورا  
أبدا يظفر الكضاء على الدي \* تبغى فرجع ظافرا منصورا  
قوّضت فانتقع الطهائر ظلمة \* وقفلت فاشتعل الدياجر نورا  
وعلى العواصم من دفاعك عاصم \* ينشئ الرشيد ونشر المنصورا

(فصل) في وفاة معين الدين انز بدمشق وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة قال أبو يعلى التيمي  
فصل معين الدين من عسكره بحوران ووصل الى دمشق في أوخر ربيع الآخر لما أمر أوجب ذلك ودعا اليه وأدعاه في  
الاكل فلحقه عقيب ذلك انطلاق تماردي به وحملوا اجتهاده فيما يدبره على العود الى عسكره بناحية حوران وهو على  
هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد به وضعت قوته وولد معه من ض في الكبد فأوجب الحال عودده الى دمشق في  
محفة لمدواته فوصل وقضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودفع في ابوان الدار التابكية التي  
كان يسكنها ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها قلب قبره في قبة بمقابر العونية شمالي دار البطيخ الآن واسمه  
مكتوب على بابها فلعله نقل من ثم اليها وفيه يقول الامير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وكتب بها اليه من مصر لما لقي  
الفرنجي في أرض بصرى وصرخه مع نور الدين وقد تقدم ذلك كتب اليه قصيدة يقول فيها  
كل يوم فتح مبين ونصر \* واعتلاء على الاعادى وقهر  
صدق النعت فيك أنت معين ال \* دين ان النعوت فال وزجر  
أنت سيف الاسلام حقا فلا كل \* غراريك أيها السيف دهر  
لم تزل تضمهر الجهاد مسرا \* ثم أعلنت حين أمكن جهر  
كل ذخرك الملوك يفنى وذخرا \* لكها الباقيان أجروشكر

قال وفي يوم الجمعة تاسع رجب قرئ المشور المنسأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بابطال الفسة المستخرجة من  
الرعية وازالة حكمها وتعفيته ربهما وابطال دار الضرب فكبر دعاء الناس له وشكرهم قال واستوحش الرئيس  
مؤيد الدولة من مجير الدين استيحا ساء أو جب جمع من أمكنه من سفهاء الاحدان والغوغاء ووجهه السلاح من  
الجهلة العوام وترتيبهم حول داره ودار أخيه زين الدولة حميد بن لا حتماء بهم من مكروهه يتم عليهم ما ودلك في ثالث عشر  
رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكنهم ما ويطيب أنفسهم ما فاشتم بذلك وجدادى الجمع والاحتشاد  
من العوام وبعض الاجناد وأثاروا التهمة فقصدوا باب السجن وكسروا غلاقه واطلقوا من فيه واستنقروا جماعة  
من أهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلاوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلأت بهم الارقه  
والدروب فحين عرف مجير الدين وأصحابه هذه الصورة اجتمعوا في الثلثة بالسلاح السأكى واخرج ما في خزائنه من  
السلاح والعدد وفرقت على العسكر وعزموا على الزحف على جمع الاوباش والايقاع بهم والنكابة فيهم فسأل  
جماعة من المقدمين التهل في هذا الامر وترك الجملة بحيث تحقق الدماء ويسلم البلد من النيب والحريق والخوا  
عليه الى ان أجاب سؤالهم ووتعت المراسلة والتلذف في اصلاح ذات البين فاشتراط الرئيس وأخوه شر وطأ أجيبا الى  
بعضها وأعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده وولد أخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى  
القلعة الامستدعى اليها وتقررت الحال على ذلك وسكنت الدهماء ثم حدث بعد هذا التغيير عودا لحال الى ما كانت

## في أخبار (٦٥) الدولتين

ليه من العناد واثارة الفساد وجع الجمع الكثير من الاجناد والمقدمين والرعاع والفلاحين واتفقوا على  
نحف الى القلعة وحصر من بها وطلب من عين عليه من الاعداء الايعان في أو اخر جرب ونشبت الحرب بين  
فريقين وجرح وقتل بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم الى مكانه ووافق ذلك هر وب السلار زين الدين اسماعيل  
شحنة وأخيه الى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة نائرة والحاربة متصله الى ان اقتضت الصورة إبعاد من التمس إبعاده  
بن خواص مجير الدين وسكنت الفتنة وأطلقت أيدي النهابة في دار السلار بن وأصحابها وعمها النهب والارباب  
دعت الضرورة الى تطييب نفس الرئيس وأخيه والخلع عليهم ما واعدة الرئيس الى الوزارة والى رياسة بحيث لا يكون  
ه في ذلك معترض ولا مشارك قلت وفي هذه الفتنة يقول العرقلة

ذرا لترك والعربا \* وكن في حزب من غلبا \* بجلق أصبحت فتن \* تجر الويل والحربا  
لئن تمت فوا أسفا \* وان تخرب فوا عجبنا

يقال في الرئيس لما زحف الى القلعة  
زدها في المجد يا ابن علي \* هكذا من أراد ان يتعالى \* قد حوى الدين يأمو يده منه \* لك هزبر اوديمة وهـ لا  
وغدت جلق تناديك عجبا \* هكذا هكذا والا فللا \* جئتها في الظلام خيلا ورجلا \* وحيت النفوس والاموالا  
لن تبالي من بعدها بعدو \* اما ان كان قنعا فزالا \* قد بلغت المراد من كل ضد \* وكفى الله المؤمنين القتالا  
قال أبو يعلى التيمي وفيها ورد الخبر من ناحية مصر بوفاة المستخلف بها الملقب بالحافظ واسمه عيسى المجيد بن  
الآمر بن المستنصر في خامس جمادى الآخرة وولى الامر بعده ولده الاصغر ابو منصور اسماعيل ولقب بالظافر  
وولى الوزارة له أمير الجيوش أبو الفتح بن هلال المغربي

(فصل) في وفاة سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وهو أخو نور الدين الاكبر قال ابن الاثير كان  
اتابك الشهيد يعني زنكي ملك دارا وبقيت بيده الى ان قتل فأخذها صاحب ماردين ثم سار اليها سيف الدين بن  
الشهيد في سنة أربع وأربعين فحاصرها وملكها واستولى على كثير من بلاد ماردين بسببها ثم حصر ماردين عازما  
على ان يدخل ديار بكر ويستعيد ما أخذ من البلاد بعد قتل والده فتفرق العسكر في بلد هيا ينهبون ويخربون قتال  
صاحب ماردين كائن من كان اتابك وأسر أيامه فلقد كانت اعياد اعداء حصرنا غير مرة فلم يتعد هو وعسكره محاصر  
السلطان ولا أخذوا كفا من اتين بغير ثمن

رب دهر بكيت منه فلما \* صرت في غيره بكيت عليه

ثم انه راسل سيف الدين وصالحه على ما أراد وزوجه ابنته الخاتون ورحل سيف الدين عن ماردين وعاد الى الموصل  
وجهزت الخاتون وسيرت اليه فوصلت الى الموصل وهو مريض فتوفي ولم يدخل بها وذلك في أو اخر جمادى الآخرة  
وكان عمره نحو أربعين سنة وكان من أحسن الناس صورة ودفن بالمدسة التي أنشأها بياطن الموصل وخلف ولدا  
ذكر أخذه نور الدين محمود عنه فرباه فأحسن تربيته وزوجه ابنة عمه قطب الدين مودود فلم تطل أيامه وادركه أجله في  
عنقوان شبابه فتوفي وانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعا ذا عزم وخزم وهو أول من حمل على رأسه سنجق  
من أصحاب الاطراف فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السجوقية وهو أول من امر عسكره ان لا يركب  
أحدهم الا والسيف في وسطه فبما أمر هو بذلك اقتدى به غيره من أصحاب الاطراف وبني الموصل بالمدسة الاتابكية  
العتيقة وهي من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية بصفين وبني رباط الصوفية  
بالموصل أيضا وهو الرباط المجاور لباب المشرقة ووقف عليهم ما الوقوف الكثيرة وكان كريما قصده شهاب الدين  
حيص بيص وامتنحه بقصيدته المشهورة وهي من جيد شعره فأجازه عنها ألف دينار أميرى سوى الاقامة والتعهد  
مدة مقامه وسوى الخلع والثياب قلت أول تلك القصيدة الى ميرالك في المجد في زى شاعر يقول في آخرها

اتابك ان سميت في المهدي غازيا \* فسابقة معدودة في البشائر

وفيت بها والدين قد مال روقه \* وصدة تها والكفر بادي الشعائر

وعزى أبو الحسين أحمد بن منير نور الدين بأخيه بقصيدة تقدم بعضها أولها هو الجذب التمام البدورا يقول فيها

## كتاب (٦٦) الروضتين

سوى كل ماجنت الحادثا \* ما كنت ظلا علينا قريرا  
أساءن وأحسن كنّ الهلال \* وملأتنا منك بدرا منيرا  
أدا نبح البحر أخطأته \* فلاغروا ن يتشفن الغديرا  
وأصغر بقصدنا الداهب \* بين ما عشت ناتيك ملكا كبيرا  
وما أغمد الدهر ذاك الحسا \* م ما سلّ حداك عضبا تورا  
قسيم عسلاك ونعم القس \* يم أخ شاف نرزا وأعطى كثيرا  
وكان نظيرك غار الزما \* ن من ا يرى لك فيه نظيرا  
فذلك نفوس بك استوطنت \* من الامن نورا وقد كنّ يورا  
وغيرك يهد بسط العرا \* وويو لي المسلمين سمعا وقورا  
وما نقص الدهر اعدادكم \* اذا سفّ قطرا وأبقى بحورا  
ولو أنصف المجد موتاكم \* لخطهم في السماء القبورا  
حياتك أحييت رميم الرجا \* وأمطت من الجود ظهرا نظهيرا  
بقيت معزا من الهالكين \* توقي الردوت في الاجورا

وللقيسراني قصيدة منها

ما أطرق الجوّ حتى أشرق الاق \* ان أغمد السيف فالصمصام بأتلوق  
دون الاسى منك نور الدين في حلب \* مملك ينجلي عن وجهه الغسق  
هو الشقيق الشقيق الغيب حين نوى \* أراق ماء الكرى من جفئك المرق  
تلقى الاسى من لباس الصبر في جن \* حصينة فختها الاحساء تحترق  
ومدة الاجل المحتوم ان خفيت \* فان أيامنا من دونها طرق  
وانما نحن في مضمار حلبتها \* خيل الى غاية الاعمار تستبق  
شاو اذا ابتدر الاقوام غايته \* كان المؤخر فيها من له السبق  
ان كان صنوك هذا قد نوى فذوى \* ففي مغارسك الانمار والورق  
أو أصبحت بعده الاهواء نافرة \* أيدي سببا فعلى عليك تنفق  
ماغاب من غاب عن آفاق مطالعه \* الا ليفتر عن أنوارك الاق  
مادام شمسك فينا غير أفلة \* فالدين منتظم والمذك منتسق

(فصل) قال ابن الاثير لما توفي سيف الدين غازي كان أخوه قطب الدين مودود بالموصل فاتفقت كلمة جمال الدين وزير الدين على توليته وتمليكها طالبا لسلامة منه فانه كان لين الجانب حسن الاخلاق كثير الحلم كريم الطباع فاحضره من داره وحلفوه لهم وحلفوا له ونزل بدار المملكة وحلف له الامراء والاجناد واستقر في الملك وأطاعه جميع ما كان لآخيه سيف الدين لان المرجع كان في جميع المملكة الى جمال الدين وزير الدين ولما ملك واستقر في الملك تزوج امرأه أخيه التي مات ولم يدخل بها الخانوانة حسام الدين قرتاش صاحب ماردين فولدت لقطب الدين أولاده الذين ما كوا الموصل بعده على ما سنده ولم يملكها من أولاد قطب الدين أحد غير أولادها قال وكانت هذه الخانوانة يحمل لها ان تضع خمارها عند خمس عشر ملكا من آباءها وأجدادها وأخوتها وبني أخوتها وأزواجها وأولادها وأولاد أولادها ثم ذكرهم ابن الاثير في كتابه وسماهم وذكر انها أشبهت في ذلك فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوج عرين عبد العزيز رضى الله عنه كان لها ان تضع خمارها عند ثلاثة عشر خليفة وهم من معاوية رضى الله عنه الى آخر خلفاء بني أمية سوى آخرهم وهو مروان بن محمد فانه ابن عم لها ليس بمحرم والباقون محارم لها ومات له ذلك الابعد ذكره ان أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية فعاوية جدّ أمها ويزيد جدّها لأن أمها ومعاوية بن يزيد خالها ومروان جدّها لا يها وعبد الملك أبوها والوليد وسليمان وهشام ويزيد أخوتها وعمر بن

عبد العزيز زوجه والوليد بن يزيد بن الوليد أولاد اخوته وهؤلاء كلهم خلفاء وعدتهم ثلثة عشر قلت وهذا كله مبنى على أصل فيه خلل وهوان فاطمة بنت عبد الملك ليست أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية بل أمها امرأة محزنة وميتة على ما بيناه في ترجمته في تاريخ دمشق ولكن الصواب في ذلك ان يقال كان لفاطمة ان تضع نهارها عند عشرة من الخلفاء وهم مروان بن الحكم ونسله سوى مروان بن محمد وأما عاتكة فالجميع محرم لها سوى عمر بن العزيز ومروان بن محمد بقي اثنا عشر خليفة كلهم محارم لها معاوية بن عبد الله بن يزيد وأبوها ومعاوية بن يزيد أخوها ومروان جوها وعبد الملك زوجه والوليد وسليمان وهشام أولاد زوجة يزيد بن عبد الملك ابنها والوليد بن يزيد ابن ابنة يزيد بن الوليد وبرايم بن الوليد ابن ابنة زوجه والوليد بن يزيد بن عبد الملك ابنة معاوية أم عاتكة وعبد العزيز كالأخوة والأعمام والأخوال وبني الأخوة لتضاعف العدد بخالد بن يزيد بن معاوية أم عاتكة وعبد العزيز ابن مروان عم فاطمة ومسلمة وعبد الله ابني عبد الملك وغيرهم وذلك ظاهر لمن عرف انساب بني أمية وما ذكره ابن الاثير من أمر بنت حسام الدين فست الشام بنت أيوب أكثر منها محارم من الملوك يجتمع لها من ذلك أكثر من ثلاثين ملكا من اخوتهم الأربعة المعظم وصلاح الدين والعاقل وسيف الاسلام ومن أولادهم وأولاد أولادهم وأولاد أخيهما الأكبر شاهنشاه بن أيوب تقي الدين وذريته أصحاب حماه وفرخسان وابنة الامجد صاحب بعلبك

(فصل) قال ابن الاثير ولما ملك قطب الدين الموصل والبلاد الجزرية كان أخوه نور الدين يحلب وهو أكبر من قطب الدين فكتبه بعض الأمراء وطلبوه اليهم منهم المقدم والشمس الدين بن المقدم وهو حينئذ دزدار سنجار فسار نور الدين جريدا في سبعين فارسا من أكبر دولته منهم أسد الدين شيركوه ومحمد الدين أبو بكر بن الدابة وغيرهما فوصلوا الى ماكسين في ستة أنفس في يوم شديد المطر وعليهم اللبايدف يعرفهم الذين بالباب وأرسلوا الى السحنة وأخبروه بوصول نفر من الاجناد كأنهم تركان فلم يستقم الفاصد كلامه حتى وصل نور الدين فحين رآه السحنة قبل يده وخرج عن الدار فترها نور الدين حتى لحق به أصحابه وسار محمدا الى سنجار فوصلها وليس معه الا نفر يسير فنزل بظاهر البلد وألقى نفسه على محفورة صغيرة من شدة تعبهم وأرسل الى المقدم بالقلعة يعرفه ووصوله وكان المقدم قد استدعى من الموصل لان خبره مع نور الدين بلغ من بها فارسوا اليه فوقف عددا أيام فلم يصل نور الدين فسار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين بسنجار وقال له انا تأخر في الطريق فان وصل نور الدين فارسا من يعلني فلما فارق سنجار وصل نور الدين فلما علم شمس الدين بوصوله أرسل فاصدا الى أبيه بالخبر وانهى الحال الى نور الدين فخاف فوات الامر ووصل القاصد الذي سيره ابن المقدم الى أبيه فادركه بثلثي بعث فعاد الى سنجار وسلمها الى نور الدين وكتب نحر الدين قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن يستنجده وبذل له قلعة الهيثم فسار اليه بجندة فلما سمع قطب الدين الخبر جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سنجار ومعه الجبال والزينة ونزلوا بثلثي بعث وأرسلوا الى نور الدين يشكرون عليه أقدامه واخذوه ليس له وتمتدوه بقصد واخراجه من البلاد قهرا ان لم يرجع اختيارا فأعاد الجواب اني أنا الأكبر وأنا حق ان أدبر أمر أخى منكم وما حدثت الامتات يا بعت الى كتب الامر اذ كنون كراهتهم لولا انكم عليهم يعنى الجبال والزينة خفت ان يجلهم الغيظ والافقة على ان يخرجوا البلاد من أيدينا فامتهدكم كما ياي بالقتال فأنا ما أقاتلكم الا بجندكم وكان قد هرب اليه جماعة من أجنادهم خفاوا ان يلقوه لثلاثي بعثهم باقى العسكر ودخل الامر فى الصلح وأشار به جمال الدين الوزير وقال نحن نظهر للسلطان والخليفة اثنا سبع نور الدين ونور الدين يظهر للفرنج انه يحكمنا ويهددهم بنا فان كاشفناه وحاربناه فان ظفر بنا طمع فينا السلطان وان ظفر بنا طمع فينا الفرنج ولنا بالشام حصن وقد صار له عندنا سنجار فهذه أنفع لنا من تلك وتلك أنفع له من هذه والراى ان نسلم اليه حصن ونأخذ سنجار وهو في نغرا بآء الفرنج ويتعين مساعدته فاتفق الجماعة على هذا الراى وسار جمال الدين الى نور الدين وأبرم معه الامر وسلم حصن وسلم سنجارا الى أخيه وعاد نور الدين وأخذ ما كان بسنجار من المال ولما تسلم قطب الدين سنجار أقطعها زين الدين لان حصن كانت لآخيه يئال وهو مقيم بها واتفقت كلمتهم واتحدت آراؤهم وكل واحد منهم ما لا يصدروا لآعن أمر أخيه وطلب نور الدين ان يكون الجمال عنده فقال له الجمال أنت عندك من الكفاية ما يستغنى به عن وزير ومشير وليس عندك من الاعداء مثل ما عند أخيك لان عدوك كافر والناس

## كتاب (٦٨) الروضتين

يدفعونه ديانة وأعداء أخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم وإذا كنت عند أخيك فالنفع اليك عائد وأريد من بلاد أخيك معونة على كثرة خرجي فأجابه الى ذلك فقال له جمال الدين أنت عليك خرج كثير لاجل الكفار فيجب مساعدتك وأنا أقتع منك بعشرة آلاف دينار كل سنة فأمر له بها فكان نائب جمال الدين يقبضها كل سنة ويشترى بها أسرى من الفرنج ويطلقهم قلت وقرأت في ديوان القيسراني وقال في نور الدين عند قدومه وقد استولى على سنجار وأعمال الرجة والفرات وذلك في منتصف ذي القعدة سنة أربعين وخمسائة

هذا الذي ولدت له الافكار \* وتحضت فالأب له الانعام  
وجرت له خيل النهى في حلبه \* وردت وصعوزميرها المضمار  
واتتبه نذر القوا في برهه \* ان القوافي وحيا انذار  
حكمت لسيفك بالمناك عنوة \* حكم العمرى ما عليه غبار  
يا ايها الملك المطيل نجاده \* بر يدين بهديه الابرار  
بأين السيوف وهل تحرت بنسبه \* الاسما بك للجدود فخار  
فارقت دار الملك غير مفارق \* لك من علاك بكل ارض دار  
في عسكر يخفي كواكب ليله \* تقعا فيظلمها العنا الخطار  
جرار أذيال العجاج وراءه \* وأمامه بل بحفل جرار  
تدنى لك الغايات أكبرهه \* نورية هم الملوك كبار  
حتى ملأت الخناقين مهابة \* دانت لعظم نظامها الاقطار  
وملكت سنجارا وما من بلدة \* الا تمتت انها سنجار  
وبسطت بالاموال كفاطالما \* طالت بها الآمال وهي قصار  
وجرت بامداد الجياد شعابها \* جرى السيل وما سواك قرار  
وثني الفرات الى يدك عنانه \* والبحر ما اتصلت به الانهار  
وملكت رحبة مالك فتبرجت \* منها عينك كاعب معطار  
جاءك في حلل الربيع وحليها \* قبل الربيع شقائق وبهار  
نثرت عليك هوى القلوب محبة \* وتود لوان النجوم نثار  
فأقت كالشمس المنيرة ان ناءت \* عن أفقها فلها به أقطار  
من كان نور الدين ثم أخيه \* ليل السرى حفت به الانوار  
تدعو البلاد اليك ألسنة الظبي \* فيجيبك الانجاد والاغوار  
حتى عمدت الدين يا ابن عماده \* بقنا أسنتها عليه منار  
وقفلت من أسفار جدك فادما \* كالصبح ثم بثغره الاسفار  
يغشى البصائر نور وجهك بعدما اعتركت على قسمة البصار  
حتى عمرت بكل قلب صدره \* حيث الصدور من القلوب قنار  
ان تس في حلب يا حاك غضة \* فلها بانطاكية اعصار  
وغدت جيادك بالشأم مقيمة \* ولها بأطراف الدروب مغار  
هم سبقت بها الى مزج العدى \* صرف الردى ومسيره احضار  
وأرى صياح القمص كان خديعة \* فطاعني وجار وليس ثم وجار  
خان الصنيعه غير محقوق بها \* والخبر يهدم ما بنى الختار  
ذئب اذا ما غبت أقدم عاتيا \* اقدام من لم يدن منه قرار  
أضى السلاح على عدوك بغيه \* بالغدر يطعن في الوغى الغدار

## في أخبار \* (٦٩) \* الدولتين

فاحسم عناد ذوى العناد بحجفل \* كالليل فيه من الصفيح نهار  
جند على جرد امام صدورها \* صدر عليه من اليقين صدر  
قد بايع الاخلاص بيعة نصره \* ولكل هادى أمة أنصار  
ملك له من عدله ووفائه \* جيش به تستفتح الامصار  
واذا الملوكة ثاقلت عن غاية \* وأرادها خفت به الاقدار  
واذا انتصته الى الثغور عزيمة \* قامت مقام جنوده الاخبار  
ولا بن منير من قصيدة فيه

ترنج معطف الزوراء لما \* دعاك لزور سنجار لما  
وزلزلت الصعيد وراء مصر \* غداة علمك في قطن الخيام  
رجاء هزيمك وتلك خوف \* ولو قد شئت ضمهما قرام  
بعيشك يا مبيد الخيل ركضا \* حمام هن تحتك أم حمام

وقال ابن منبر أيضا يهينه بتسليم قلعة حص من يال وأنشده في القلعة قصيدة أولها

ارحها فهي ازلام المعالي \* لهن الى الوغى توق المعالي  
أما ومقيلهن بكل تقمع \* يتقوض بالهدى عمر الضلال  
وأى سيموفك الجمر الخواتى \* منزلة متى دعيت نزال  
مواض أن سلان سلكن جزما \* نفاه من الطلى لفظ اعتلال  
لقد غلب الصليب بحر حرب \* يشيب أوارها لمم الليالى  
وشمت لنصر هذا الدين ناسا \* تحترم منه كل حى حلال  
وقايح أنزعت في كل فج \* وقايح جوهادى العزال  
تسائل حص عن مذسى دين \* تقاضاه لك الخج الخوالى  
فواتت وهى أخت النجم بعدا \* ووعدا صيغ من مطل مطال  
تشامخ أنفها عزا وسدت \* على ان لاتنال يد اينال  
فما زالت رقاك تجدد نقضا \* لما تذبذبه من مر الرحال  
الى ان أطلق الحسناء كرها \* وآل الى ملاوحة المالى  
يصد الوحشه عن شما الفت \* بد الاشم ذى باع طوال  
شغلت بها يمينك والمواضى \* تكفل ان مصر الشمال  
اذا فتح القتال عليك أرضا \* أباحك أختها لاعتال قتال

**(فصل)** قال الرئيس أبو يعلى اتصل الخبر بنور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسبي فعزم على التأهب لقصدهم وكتب الى من بدمشق يعلمهم ما عزم عليه من الجهاد ويستدعى المعونة على ذلك بألف فارس تصل اليه مع مقدم يعول عليه وقد كانوا عاهدوا الفرنج على ان يكونوا دوا واحدة على من يقصدهم من عساكر المسلمين فاحتج عليه وغولط فلما عرف ذلك رحل ونزل بمرج بيوس وبعض العسكر ببعضه قرب من دمشق وعرف من بها خبره ولم يعملوا أين قصده وقد كانوا راسلوا الافرنج بخبره وقرروا معهم الانجاد عليه وكانوا قد نهضوا الى ناحية عسقلان لعمارة غزوة وصلت أوائلهم الى بانياس وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال لا انخرق عن جهادهم وهو مع ذلك كاف أيدي أصحابه عن العيث والافساد في الضياع وأمر باحسان الرأى في الفلاحين والتخفيف عنهم والدعاء له مع ذلك متواصل من أهل دمشق وأعمالها وسائر البلاد وأطرافها وكان الغيث قد انحبس عن حوران والمرج والغوطه ونزح أكثر أهل حوران عنها للمحل واشتداد الامر فلما وصل نور الدين الى بعلبك انفق نزول المطر يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة وأقام الى مشله فروى الاكام والوهاد وجرت الاودية وزادت الانهار



## كتاب (٧٠) الروضتين

وامتلا ت برك حوران ودارت ارحيتها وعاد ما صوح من الزرع والنبات طر يا وحشد الناس بالدعاء لنور الدين وقالوا هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته ثم رحل من منزله بالا عوج ونزل بجسر الخشب المعروف بمنازل العساكر في السادس والعشرين من ذي الحجة وأرسل الى محير الدين والرئيس وقال انني ما قصدت بنزول هذا المنزل طلبا لمخاربتكم ولا منازلتكم وانما دعاني الى هذا الامر كثرة شكايته المساكين من أهل حوران والعرب بان الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم ولا يسعى مع ما أعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصره المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ان أقدم عنهم ولا اتصر لهم مع معرفتي ليجزكم عن حفظ أعمالكم والذب والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتى وبذلك لكم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلمهم وتعد يا عليهم وهذا ما لا يرضى الله تعالى ولا أحد من المسلمين ولا بد من المعونة من ألف فارس من احدى العلة تجرد مع من يوفق بشجاعته من المتقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغزة قال فكان الجواب عن هذه الرسالة ليس بيننا وبينك الا السيف وسيفوا فينا من الافرنج ما يعيننا على دفعه ان قصدنا ونزلت الينا فاما عاد الرسول بهذا الجواب ووقف عليه أكثر التعجب منه والانكار له وعزم على الزحف الى البلد ومحاربتة في غد ذلك اليوم فأرسل الله من الامطار وتداركها ودوامها ما منعه من ذلك

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين) في مستهل المحرم تقرر الصلح بين نور الدين وأرباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سفك دماء المسلمين ان أقام على حربها والمضايقة لها بعد ما اتصل به من أجناد دعتة الى ذلك واتفق انهم بذواله الطاعة وافادة الخطبة له على من بهر دمشق بعد الخليفة والسلطان وكذا السكة وقعت الايمان على ذلك وخلع نور الدين على محير الدين خلعة كاملة بالطوق وأعاده مكر ما محترما وخطب له على من بهر دمشق يوم الجمعة رابع عشر محرم ثم استدعى الرئيس الى الخميم وخلع عليه خلعة كاملة أيضا وأعاد الى البلد وخرج اليه جماعة من الاجناد والخواص الى الخميم واختلطوا به ووصل من استماحه من الطلاب والقراء والضعفاء بحيث ما خاب قاصده ولا اكدى سائله ورحل عن مخيمه عائدا الى حلب بعد احكام ما قرر وتكبير ما دبر قلت وفي ذلك يقول القيسراني

لك الله ان حاربت فالنصر والفتح \* وان سئلت صلحا من حزبك الصلح  
وهل أنت الا السيف في كل حالة \* فطرراله حسد وداوراله صفح  
سقيت الردينيات حتى رددتها \* ترخ من سكر فحسل الفنا تنحو  
وما كان كف العز الا اشارة \* الى الخزم لولم يغضب السيف والرمح  
وقد علم الاعداء مذبت جانحا \* الى السلم ما تنوى بذلك وما تنحو  
اذا ما دمشق ملكتك عنانها \* تيقن من في ايليا انه الذبح  
مقي التف تقع الخفيلين على الهدى \* فلامهمه يحوى الضلال ولا سفع  
اذا سار نور الدين في الجديش غازيا \* فقول لا ليل الافك قد طلع الصبح  
ثركت قلوب الشرك تشكو جراحها \* فلا زالت الشكوى ولا اندمل الجرح  
صبرت فكان الصبر غير مغبة \* فسيق اليك الملك يسعى به النجم  
كان القنا تتحمله وجه امره \* ولو أمهلت بلقيس ما غررها الصرح  
بدولتك الغراء أصبح ضدها \* بهما ولولا الحسن ما عرف القبح  
وكم من قريح القلب لوبات واردا \* موارد هذا العدل ما مسه قرح  
سحابك هذا الدهر جودا على الورى \* على انه ما زال في طبعه سخ  
وقد كان يحور رسم كل فضيلة \* ونحن نراه اليوم بثبت ما يحو  
بك ابتهج الابواب واتهج الحجي \* وأثمرت الآداب واطرد الممدح  
ولا ذت بك التقوى وعاذت بك العلى \* ودانت لك الدنيا وعزبك السرح  
فلا قلب الا قد ملكته هوى \* ولا صدر الا قد جلاه لك النصع

وما الجود في الاملاك الاتجاره \* فن فاته جد الوري فاته الربح

ولم اختصر ما قلت الانسني \* ابرع الالاقوم به الشرح

(فصل) في فتح عزاز قال أبو يعلى وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بأن عسكر هامن التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب عزاز وأصحابه وحصلوا في قبضة الاسرى في قلعة حلب فسر هذا الفتح كافة الناس وتوجه نور الدين في عسكره الى عزاز ونزل عليها وضايقها وواظب على الهلالي ان سهل الله تعالى ملكها بالامان وهي على غاية من المنعة والحصانة والرفعة فلما تسلمها رتب فيها من ثقاته من وثقه ورجل عنها ظفر امسر وراعائدا الى حلب في أيام من شهر ربيع الاول قلت وذكر ابن منير فتح عزاز وغيرها وأمر دمشق في قصيدة أولها

فذلك القلوب بالبابها \* وساح المسلول بأربابها

ككائب ترمى جنود الصلابة \* ب منهاب تقطيع أصلابها

اذا ما انشئت من قراع الكلام \* هكست وفدها ونسب أسلابها

تبرنس منها البرنس الدنيا \* ب وحلته من وقع احلابها

عشمة غصت على آنب \* نفوس النصاري بغصابها

وفاملاح دمهم ودها \* يجذع موارن أخزابها

نجلى لها حيدري المصاع \* أغلب مود بغلابها

مورن أركاسها من أب \* أكل الفوارس شرابها

هام اذا أعصو صبت نبوة \* دهاها بها شم اعصابها

مضى وجنى لك حلو السها \* دما تمطق من صابها

وأوصى بها لك من بعدما \* تجرع ممقرا وصابها

واقسم جدك ان لا يليه \* في بغيرك ملبس أثوابها

صبحت دمشق بمشق الحيا \* دزبور الوغى بين أحدابها

واصلت رايتك قبل الحسا \* م محمد جرة اجلابها

فاعطت لك ما لم تنله يد \* وفازت رفاقك باحبابها

وأنت تصرف فضل الزما \* م من حص تأخير ركابها

تخونها الجور فاستدركت \* بعد لك أغبار ظبظابها

وفاجأت قورس بالسائلات \* تمنج القناهم اذ نابها

فأرمت حتى رمت بيضها \* اليك أزمنة ضرابها

وعزت عزاز فادلتها \* بحرى مضيق لاسهابها

باشمخ من أنفها منكبا \* وأكثر من عد طورابها

دلفت لعيطا أم النجو \* في الامر ايطاء أترابها

وعذرا مذعرت ما هتدت \* ظنون اليمالى لآخابها

تفرعتها بفروع الوش \* ب ثمرة هام أوشابها

وعوج اذا نبضت اغمضت \* ذكاء لارسال نشابها

ومحدوبات تطير الخطوب \* ملافظ ألسن خطابها

تصوب عقبان ريب المئون \* متى زينتها باعقابها

وما ركعت حول شم الهضا \* بالاسجودن لانصابها

فلاذت بمعصم بالكمنا \* ب وهوب المالك سلابها

بغتصني الذرى والهدى \* هوس السرى غير هياها

## كتاب (٧٢) الروضتين

محل المحل بوصف الفتو \* ح ووصف الثباني وأربابها  
وتعزم مذاحه أن تعيظ بأدابه فلك آدابها  
بدائع لورد دهر رومين بنات حبيب باحبابها  
وأين ابن أوس وآياته \* من اللاء أودت بحسابها  
من اللاء عادعتني لها \* ورد عليها ابن خطابها  
فأياهم من حبور تكا \* ديطيرها فرط اعجابها  
لك الفضل ان راسلك الجيا \* د وقامت أدلة أنجاسها  
أقول لمؤجره بالغرو \* رتمطت هواها فأهوى بها  
حذار فعند ابتسام الغمو \* ث تخشى صواعق الهاهبها  
ولا تتخذ عوايا قترار الليو \* ث فالنار في برد أنيابها

(فصل) في صفة أسرجوسلين قال ابن الاثير سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمالي حلب  
منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرهما من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فإرسلهم وراحلهم ولقوا نور الدين وكان  
بينهم حرب شديدة انجلت عن انهمزام المسلمين وظفر الفرنج وأخذ جوسلين سلاح داركان لنور الدين أسيرا وأخذ  
مامعه من السلاح فانقلبه الى السلطان مسعود بن تلج أرسلان السلجوقي صاحب قونية واقصرا وغيرهما  
من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وأرسل مع السلاح اليه يقول قد أنفذت لك سلاح صهرك وسيأتيك  
بعد هذا غيره فعضمت الحادثة على نور الدين وأعمل الخيلة على جوسلين وعلم ان هوجع العساكر الاسلاميه لقصده  
جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فاحضر نور الدين جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الاقطاع والاموال  
انهم ظفروا بجوسلين اما قتلوا واما اسرا فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره وأغار على طائفة من التركان فنهب  
وسبي فاستحسن من السبي امرأه منهم خلا معهما تحت شجرة فعاجله التركان فركب فرسه ليقا تلهم فأخذوه أسيرا  
فصانعوهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك وأخفوا أمره عن نور الدين فأرسل جوسلين في احضار المال  
فأتى بعض التركان الى نائب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير معه عسكر أخذوا جوسلين من التركان قهرا وكان  
نور الدين حينئذ بمجص وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين فانه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد  
العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة  
الاسلاميه وقسوة قلبه على أهلها وأصبحت النصرانية كافة بأسره وعظمت المصيبة عليهم بفقدته وخلت بلادهم من  
حاميهات وغورهم من حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهده  
طالما صالحه نور الدين وهادنه فاذا امن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر فلقية غدره وحقا به مكره ولا يحق المكر  
السئ الا باهله فلما أسرتيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فنهبا عين تاب وعزاز وقورس والراوندان وحصن البارة  
وتل خالد وكفر لانا وكفرسوب وحصن نسرفوب بجبل بنى عليم ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص فال وكان  
نور الدين رحمه الله اذا فتح حصنا لا يرسل اليه حتى يملأه رجالا وذخائر تكفيه عشرين خروفا من نصرته يتجبد للفرنج  
على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة الى شيء وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثرنا منهم  
القيسر اني قال يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار أمرها واذ كرتل البرنس وأسرجوسلين وأخذ بلاد

دعا مادعي من غره النوى والامر \* فما الملك الا ما حباك به الامر  
ومن ثنت الدنيا اليه عنانها \* تصرف فيما شاء عن أذنه الدهر  
ومن راهن الاقدار في صهوة العلي \* فلن تدرك الشعرى مداه ولا الشعر  
اذا الحدأ مسى دون غايته المني \* فما داعسى أن يباغ النظم والنثر  
ولم لا يلى أسنى المالك مالك \* زعيم بجيش من طلائعه النصر  
ليهن دمشقاً أن كرسى ملكها \* حي منك صدر اذاق عن هبه الصدر

## في أخبار (٧٣) الدولتين

وانك نور الدين مـذرت أرضها \* سمت بك حتى انحط عن نسرها النسر  
خطبت فلم يحجبك عنها وليمها \* وخطب العلى بالسيف مادونه ستر  
جلاها لك الاقبال حورية السنا \* عليها من الفردوس أزدية خضر  
خلوب أكنث من هوالك محبة \* نمت فانتمت جهرا وسر الهوى جهر  
فسفت اليها الامن والعدل نخلة \* فامست ولاسر تخاف ولا اصر  
فان صاغت يملك من بعدهم حجرها \* فاحلى التلاقى ما تقدمه هجر  
وهل هي الا كالحصان تمنعت \* دلالا وان عز الحيا وغلا المهر  
ولكن اذا ما قسمتها بصداتها \* فليس له قدر وليس لها قدر  
هى الشغرا مسمى بالكراديس عابثا \* وأصبح عن باب الفراديس يفتر  
على انها لو لم تجبك ابابة \* لارحقها من بأسك الخوف والذعر  
فاما وقفت الخيل نافعة الصدى \* على بردا من فوقها الورق النضر  
فن بعدما أوردتها حومة الوغى \* وأصدرتها والبيض من علق جر  
وجلتها نغما أضاع شياتها \* فلاشبهها شهب ولاشقرها شقر  
علا النهر لما كاثرا القصب القنا \* مكاثرة في كل نحر لها نحر  
وقد شرقت أجرافه بدم العدى \* الى ان جرى العاصى وضخضاه غر  
صدعهم صدع الزجاجة لايد \* لجأ برها ما كل كسر له جبر  
فلا يتخيل من بعدها الفخر دائل \* فن بارز الابرنز كان له الفخر  
ومن برا ناطكية من مليكها \* أطاعته الحاظ المؤلة الخزر  
أخو الميث لولا غدره نزعت به \* الى الذئب ان الذئب شيمته الغدر  
أتى رأسه ركضا وغودر شالوه \* وليس سوى عافى النسر له قبر  
وقد كان فى اسب قائه لك منة \* هى الفتك لولم تغضب البيض والسمر  
كما أهدت الاقدار للتمص اسره \* وأسعد قرن من حواه لك الاسر  
طغى وبغى عدوا على غلوائه \* فاقبكه الكفران عدواه والكفر  
والقت بايديها اليك حصونه \* ولولم تجب طوعا لجاء بها القسر  
وأمت عزاز كاسمها بك عزة \* تشق على النسر لو انها الوكر  
فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة \* فبالافق الداجى الى دا السنا فقر  
كانى بهذا العزم لافل حده \* وأقصاه بالاقصى وقد قضى الامر  
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا \* وليس سوى جارى الدماء له طهر  
وقد أذت البيض الحداد فروضها \* فلاعده فى عنق سيف ولا نذر  
وصلت بعراج النسي صوارم \* مساجدها شفع وساجدها وتر  
وان يتيم ساحل البحر مالكا \* فلا عجب أن يملك الساحل البحر  
سلت سيوفا أثكلت كل بلدة \* بصاحبها حتى تحوفاك البدر  
اذا سار نور الدين فى عزمانه \* فقول الليل الافك قد طلع الفجر  
ولولم يسر فى عسكر من جنوده \* لكان له من نفسه عسكر مجر  
مليك سمت شم المنابر باسمه \* كما زهيت تهباه الانجم الزهر  
فيا كعبة مازال فى عرصاتها \* مواسم حج لا يروعها النفر  
خلعت على الايام من حل العلى \* ملابس من أعلامها الحمد والشكر

## كتاب (٧٤) الروضتين

وتوجت ثغر الشام منك جلالة \* تمت لها بغداد لو أنها ثغر  
فلا تفخر مصر علينا بنيلها \* فيمناك نيسل كل مصر بها مصر  
رددت الجهاد الصعب سهلا سبيله \* ويا طالما أمسى ومسلكه وعمر  
وأطمعت في الافرنج من كان بأسه \* تخوف أن يعتاده منهم فكر  
وأقحمت جرد الخيل أعلى حصونها \* ولولاك لم يهجم على كافر كفر  
ومن يدعى في قتلك الشرك شركة \* اذالم يكن عند القوافي له ذكر  
هي القانتات الحافظات فر وجهها \* فشاهدا عدل ورائقها سحر  
ولولم يكن في فضلها وكمالها \* سوى انها من بعد عمر الفتى عمر

وله من قصيدة يصف فيها من وقائعها أولها

أما وخيال زار من أحبه \* لقد هاج من ذكراه مالا أغبه  
إذا ما صبا قلب المحب الى الصبا \* ذكرت نسيما بالشغور مهبة  
فيا نجمات الشام رفقا بهجة \* يحامى عليها مدف القلب صبه  
فلا تسألن الصب أين فؤاده \* فان فؤاد المرء مع من يحبه  
وفي شعب الاكوار من هو عالم \* غداة استطار البرق من طارليه  
يشيم ثنور المزن تمهي كأنها \* سنا بشر نور الدين تهل سحبه  
إذا ما سما في مهمم الخطب وجهه \* تمزق عن بدر الدجنة حبه  
تولد بين الغيث والليث والتقى \* منافسة أى الله ثلاثة تربه  
بعد مضاء في الظبي لا وضربه \* بها قلل الاعداء ما السيف ضربه  
مكين الخبي أراضى الزمان بنفسه \* الى الآن حتى لان وانقاد صعبه  
حى قبة الاسلام بالخيول فاغندت \* وأوتادها جرد الطعان وقبه  
فكم هبوة أوقعن بالكفر تحتها \* فما انقضت الا وللذل جنبه  
كيوم الرها الورهاء والهام بانع \* ملئ برعى الهندوا الى خضبه  
وشهباء هاجتها وغي صرخدية \* ثناها وليل الحرب ينقض شهبه  
وعارم يوما بالعريمة فاغتدت \* كوادى ثمود اذ رغا فيه سقبه  
وعاصى على العاصى بار عن خاطب \* دم الافك حتى أنكح النصل خطبه  
بانب لما اكسب المال وانثنى \* بصاحب انطاكية وهو كسبه  
غداة هوى شطرين للسيف رأسه \* ولترمح حتى توج الرأس قلبه  
على حين للخطى فيه عوامل \* يعاقبه خفض الحسام ونصبه  
وقائ مع محمودية النصر لم تزل \* غريبا بها عن موطن السيف غربه  
يقوم مقام الجيش فيها وعيمده \* وتفعل افعال الكائب كتبه  
وحين انتضته عزيمة من قرابه \* مضى وهو نصل والمالك قربه  
الى أن دعت ربهها كل بلدة \* فليس من الامصار ما لا يربه  
ولما يرى بالقمص عجب هوى به \* على أم رأس البغي والغدر عجبه  
فاصبح في الجليل ينكر خطوه \* بعيد على الرجلين فى السعى قربه  
تعاقبه البشرى بأخذ حصونه \* فيا عانيا ضرب البشرى ضربه  
تناجى عزازا باسمه تل باشر \* فيلعنه لعن الصريح وسبه  
فان يكن المعهود من ثل عرشه \* فهذا عمود الكفر قد طاح طنبه

## في أخبار (٧٥) الدولتين

فقل لمولك الخافقين نصيحة \* كذا عن طريق الليث يرأرغلبه  
 وخلوا عن الا فاق فالشرق مشرقه \* بحكم الردينيات والغرب غربه  
 ولا يعتصم بالدرب طاغ على القنا \* فان القنا في ثغرة البحر دربه  
 رحيب فضاء الحلم عن ذات قدره \* اذا ضاق من صدر الملك رحيبه  
 عقرو عن الجاني يكاد الذي جنى \* يكثر به شوقا الى العفو ذنبه  
 أمتخذ الاخلاص لله جنة \* ومن يعتصم بالله فالله حسبه  
 أبوك استرد الشام بالسيف عنوة \* وللروم بأس طالما غال خطبه  
 اذ اذب عن أضغاث دنياه مالك \* فانت الذي عن حوزة الدين ذبه  
 رأيت اتباع الحق خير مغربة \* فافرجت عن رأي يسرك غبه  
 وأوضحت ما بين الفريقين سنة \* بها عرف المربوب من هوربه  
 وبينت نور الدين ما كان يبتغي \* دليلا بأن الله من أنت خزبه

وقال ابن منير يمدح نور الدين بظاهر حصص

هيئات يعصم من أردت حذار \* انى ومن أوهاكك الاقدار  
 طلعب عليك بجوسلين ذريعة \* لاسحل انشاها ولا امرار  
 وسعادة ما زلت تمرى خلفها \* فيشف وهو النائق الممدار  
 فارتبك ما يجنى الوفى وفاؤه \* وأرته كيف تحسن الغمدار  
 عودا أمر على ابارك طلعه \* فاحيل ذاك البر هو هو بار  
 ما زلت تنعم وهو يكفر عاتيا \* والله يهدم ما بنى الكفار  
 حتى أتاه لقومه ما جرّه \* لثود من عقرا الفصيل قدار  
 اسرى فاصبح فى براثن اسرما \* لزال يدمى ظفره الانظار  
 يهب التلاد من البلاد وما حوت \* ان السماحة للبحار بحار  
 يقظان يخشى الله فى خلواته \* لامترف لاه ولا جبار  
 نصب المراقب للعواقب ناظرا \* فيها كذلك ترأ الابرار  
 لا كالأذين تجلوا حسواتها \* وتفلسوها بعد وهى خسار  
 درجوا وأدرج فى ملف رفاتهم \* اسوا تساء لذكرها الآثار  
 والمرء من بطوى فينشر طيه \* ما أودعته صدورها الا خيار  
 قبل للاولى ناموا على ناساته \* ما كل هبة بارح اعصار  
 لا تأمنوا فى الله بطشة نائر \* لله مـلـلـه سريره اسرار  
 صاف اذا كدر المعادن عادل \* ان حاف حكام المولك وجاروا  
 أعلى أبوه له النجاد وشيد فى \* صمواتها مما ابتناه منار  
 محمود المجد آثارا اذا \* نظمت على جيد الدجى الاسمار  
 دانت له الايام صاغرة كما \* دانت له فى ظله الامصار

وله من أخرى أولها (ما الملك الاماحواك نجاده) يقول فيها

وتدين حسده لمحكم آيه \* والفضل ما شهدت به حساده  
 شمس اذا ما الحرب زرجيموها \* حمل المعاق ذكره وطراده  
 الوى الدجى الشريعة جهده \* وأذل ناصية الضلال جهاده  
 صعق البرنس وقد تلا لبرقه \* واطار ساكن جاشه ارعاده

## كتاب (٧٦) الروضتين

ولى وقد سلت فسلت ضغنه \* زبر تلقى فوده من فؤاده  
مستلثما مستسليا لاءده \* رد المنا عنه ولا استعداده  
ولجوسلين احتشمن فاصبحت \* نهى لمن بلاده وتلاده  
جاءت به بعد السماس عوايس \* قوديلين لعنفه قواده  
وبه تصيد لك السعود وقلمنا \* ينجو بخير من أردت مصاده  
داني له قيناه أدهم كمالنا \* غناه طار شماته عواده  
سلبت عزاز عزاءه وبقورس \* محجوبة فرشت له اقتاده  
وبتل خالد يوم تل جبينها \* خلط الثرى بجبينه اخلاده  
وغدا يبشتر تل بأشتر قلبه \* باجر ما جل القلوب عداده  
منت أمانيه بسائر كالتى \* عادت لمن ما ثما أعياده  
وحبوت ملاك من نظم تغوره \* حليما تنياه تحته اجياده  
لا يخذ عنك فاما اصلاح من \* يخشى انتشاط خناقه افساده  
أنزله حيث قضت له غدرانه \* واحله طغيانه وعناده  
فى حيث لا يأوى له سجنانه \* حتمنا ويكشط جلده جلاده  
وشن هدمت بنى الضلال بهدمه \* وعدت عبادك عنوة عباده  
فتبكت به آيات من لمحمد \* ولدينه ابداه وعواده  
أوانشط اللد الحرام نواءمت \* تثنى عليه تلاعه ووهاده  
ولوان منبره أطاق تكالما \* نطق بآهرفضله اعواده  
نام الخليفة واستطال لذبه \* عن دقيه واستطير رفاده  
رجعت لك العز القديم سيوفه \* سازان رونق مائها انغامه  
من بعد ما نعق الصليب لحزبه \* ورأيت زرع الملك حان حصاده  
انى تميل الخادانات رواقه \* بهويها وابن العباد عماده

(فصل) قال ابن الاثير لما سار نور الدين الى قلاع جوسلين ملك بعضا وأبقى بعضا واجتمعت الفرنج فالتقوا

مع نور الدين بدلولك فهزمهم واستولى على دلولك وغيرها ففهم ايقول أجد بن منير قصيدة منها

هى الخيل خير عتاد الكرى \* لم يحضر لاهم احضارها  
اقت فأدررت افواهها \* وسرت فقلت أظفارها  
الام ولم تبق مما غرو \* ت قلوبا تكابد اذ عارها  
أما فى مفصل أى القرا \* عان تضع الحرب أوزارها  
عسى ان تحم لهذا الجا \* م أن يتوكر أو كارها  
وما يوم من غلته واحد \* فتودعه اللسن أشعارها  
وأين المقاول مما فعلت \* ولوشفع الفطراء كنارها  
فكم جلبت خلفك الجانخا \* ت فصلصل فخر فخارها  
أعدت بعصرك هذا الانى \* ق فتوح النبى واعصارها  
وكان مهاجرها تابعيك \* وانصار رأيك انصارها  
فجددت اسلام سلمانها \* وعمر جددك عمارها  
وما يوم آتب الا كتبه \* لك بل طال بالبوع اشبارها  
وأيامك الغرم بعده \* يعيد الى الطى اغرارها

## في أخبار (٧٧) الدولتين

ولما هبت ببصرى سمكت بأهباء خيلك أبصارها  
ويوم على الجون جون السرا \* عـز فسعطها عارها  
صدمت عزيمتها صدمة \* أذابت مع الماء أحجارها  
وفي تل باشر باشرتهم \* بزحف تسور أسوارها  
وان دالكتم دلوك فقد \* شدت فصدت أخبارها  
وشب التدامر حتى طلعت عليها فولت أدبارها  
مشاهد مشهورة نمت \* على صفحة الدهر اسطارها  
يلذ الا غاني ترجمها \* وتستسفر اسفارها  
بنيت لوفد المنى كعبة \* يجير المعلق استارها  
ملكك الاراضي مغبرة \* تكاد تحدث أخبارها  
فمازلت تدجن حتى محو \* تدجاها وشعث أنوارها  
وصلت فأعزت مسكنها \* وصلت فأذلت جبارها  
وصغت حللى من على أحكت \* على عنق الدهر ازرارها

قال أبو يعلى وفي رجب وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بمسك الافرنج النازلين بازائه قريبا من تل باشر وعظيم النكاية فيهم والنتك بهم وامتلائ الأيدي من غنائمهم وسبيهم واستولى على حصن خلد الذي كان مضايقه ومنازله قال وفي أيام من المحرم وصل جماعة من حجاج العراق وخراسان المأخوذ في طريق الحج عندهم جماعة من كفار العربان وحكوا مصيبة ما نزل مثلها بأحد في السنين الخالية ولا يكون أبشع منها وذكرا أنه كان في هذا الحاج من وجوه خراسان وأعيانها وفقهاؤها وعلمائها وقضاةها وخواتين أمر العساكر السلطانية والحرم العدد الكثير والاموال الجمة والامعة الواقعة فأخذ جميع ذلك وقتل الاكثر وسلم الاقل وهتكت النساء وسلبن وهلك من هلك بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة فكسا العارى منهم وأطلق لهم ما استعانوا به على عودهم الى أوطانهم من أصحاب المروعة بمشقة ذلك تقدير العزيز العليم

(فصل) قال وكان مجاهد الدين بز ان قد توجه الى حصنه صرخدلية فقد أحواله فعرضت نفرة بين مجير الدين والرئيس بسعائيات أصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتم ذلك بوساطته على شرط ابعاد الحاجب يوسف صاحب مجير الدين عن البلاد مع أصحابه وتوجهوا ولم يتعرض لشيء من أموالهم وقصد بعلبك فأكرمه واليه اقال ووردت الاخبار من مصر بالخلف المستمر بين وزيرها ابن مصال وبين الأمير المنظر ابن السلا ووقوع الحرب وسفك الدماء الى ان أسفرت الحال عن قتل ابن مصال الوزير وانتصاب ابن السلا موضعه في الوزارة قال وفيها في سابع عشر رجب توفي القاضي بهاء الدين عبد الملك ابن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي وكان اماما فاضلا مناظرا مستقلا مفتيا على مذهب الامامين أجدوا في حنيفته بحكم ما كان عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي وهو حسن الحديث في الجد والهلل وكان له يوم مشهود ودفن في جوار أبيه رجه في في مقابر الشهداء قال وتوفي عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب فخر الدولة أبو الحسين ابن أبي الجح وقبض الناس لخيريته وشرف بيته

(ودخلت سنة ست وأربعين) ففيها حاصر نور الدين دمشق لمعاونة أهلها الفرنج واستنصارهم بهم ومدحه ابن منير بقصيدة يحرضه فيها عليهم وكتب اليه من حماه وهو محاصر دمشق وقد تخلف عن الخدمة عرض له منها

اخليفة الله الذي ضمن له \* تصديق واصفة سرة المنبر  
لا المستطيل بمصر ظل قصوره \* والمستطال اليه شقة صرصر  
يانور دين الله وابن عماده \* والكوثر بن الكوثر بن الكوثر  
صفر بمجد السيف دارا شائب \* عقلا جيا دك عن بنات الا صفر



## كتاب (٧٨) الروضتين

هم شيدوا صرح النفاق وأوقدوا \* ناراً تخش بهم غدا في المحشر  
اذكروا بخلق حرها واستسمرت \* لنجاتها بين الصفا والمشعر  
شردتهم من خلفهم مستجدا \* مظاهرها لكفار من لم يكفر  
لا تعف بل سق الهدى نفس الذي أدرع الضلال على أغره مشعر  
قلده ما هدى على لمرحب \* فلقد تم كم في الخداع الخبيري  
ما الغش ممن أمه نصرانة \* لم تختن كالغش من متنصر  
اذكت لنا هذى العزائم لا خبت \* ما غار من سنن الملوك الغبر  
اثقاب آراء المعز وخفق را \* بات العزيز وبقطة المستنصر  
شمر فقصدت اليك رفاها \* لا يدرك الغايات غير مشمر  
أولست من ملأ البسيطة عدله \* واجتب بالمعروف أنف المنكر  
حذب الالب البرالكبير ورأفة الـ \* دم الحفية بالينيم الاصغر  
يا هضبة الاسلام من يعصم بها \* يؤمن ومن يتول عنها يكفر  
كانوا على صلب الصليب سرادقا \* انبت بنيتيه بكل مذكر  
آثارهم انجس اذال المسجدا \* دقصى فصن ما دنسوه وظهر  
جار الخليل ومن بغزة هاشم \* بلها ملك المتدمشق المتمصر  
بعرمر صلت وعأوعه عرى \* اسماع جيحون وسيف البربر  
يفتر عن ملك الملوك منحل الـ \* لا نوابل سعد السعود الا كبر  
عن طاعن الفرسان غير مكذب \* ومتم الاحسان غير مكدر  
بدر الجحافل والمحافل فارس الـ \* ساد في غاب الوشيج الاسمر  
ملك تساوى الناس في أوصافه \* عذر المقل وبان يحجز المكثر  
يا أيها الملك المنادى جوده \* في سائر الآفاق هل من معسر  
ان القصائد أصبحت أبقارها \* في ظل ملكك غاليات الامهر  
ان كمت أحييت ابن جدان لها \* فانا الذي غبرت في وجه السرى  
ولانت أكرم من أناس نوهوا \* باسم ابن اوس واستخصوا البجترى  
ذلت لدولتك الرقاب ولا تزل \* ان تغز تغصم أو تفاتل تظفر

وكتب اليه من حماه أيضا وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها يقول

ابوك اب لو كان للناس كلهم \* ابا ورضوا وطاء النجوم لفندوا  
ومامات حتى شد ثمة ملجكه \* بك الله ترمى مارماه فتصرد  
صدمت ابن ذى اللغدين فأنحل عقدته \* وكالملك قد أمسى يحل ويعقد  
يقلب خلف السجف عينا سخيثة \* ويبكى بأخرى ذات شتر ويسهد  
ولا غرو قد أبقى أبوه وجده \* له كل يوم ثوب عجز يجدد  
فيارا بكا اما عرضت فبلغن \* بيوتا على جيرون بالذل تعمد  
وقل لمبيد الدين وهو مجيره \* بزعم له وجه الحقيقة أزد  
حلت الصليب باغيا ونبذته \* وثغرك مطووس النبات وأرد  
وحاربت حزب الله والله ناصر \* لناصره ودين احمد احمد  
تنصرت حمينا والبلاء موكل \* ولا بد من يوم به تنهدود  
وأقسم ماذاق اليهود بايليا \* وموضعها من تحت نصر أسود

كبعض الذي جرّعته فسرطته \* وأيد فيه من عمالك المؤيد  
ولايته عزل اليك موجه \* ونحيفه قتل عليك مؤيد  
رمالك بياقلا دمشق فلم تكن \* سوى بقلة حقاء بالحق تحصد  
وجالدت جلادا وأنت مؤنث \* تذكري والجلاد أدهى وأجلد  
تطاوت لانيك تسمى ولا أب \* وراءك زحفا انما أنت مقعد  
امسعاة نور الدين تبغي ودونها \* لسنة تبر والعوامل تعصد  
بمحمود المحمود سيفاً وساعدا \* حملت لقد ناجتكم صما مؤيد  
وهل يستوى سارت أسد طاويا \* ونسوان يعالو معصما ويؤيد  
تنصرت اما بل تجست والدا \* وعما فغرق الكفر فيك مرّدد  
تخذت بني الصوفي اسرا واسرة \* لكي يصلحوا ما في يديك فأفسدوا  
لعمري لنعم العبد أنت تجيعه الـ \* حوالى وتوليه هو انا فيحمد  
اليكم بني العلات عن متشاوس \* له الشأم مر فاوالعراق مرقد  
وما مصر الابعض امصاره التي \* الى أمره تسبحى قاء وتحفد  
انبوا اليه فهو أرحم قادر \* له الصفيح دين واقبلوا النصيح ترشدوا  
ولا ترشفوا نفس المؤيدانه \* عن الخير يروى أوالى المين يسند  
وفروا الى مولاكم والذي له \* عليكم أياذ وسهم ليس يجمد  
ولا تكفروا انما أنتم له \* ومنه ويوم عند حوران يشهد  
غداة على الجولان حول وللظبي \* رعود فريص الموت منهن برعد  
ولما كفهر اليوم واربد وجهه \* وعوز مرهون وفر مزيد  
وأيقن من بير السدير وجاسم \* بان الجرار السور بالجر دجرد  
ردتهم على بصرى وصرخة خيله \* وقد أبصرت بصرى رداها وصرخه  
وطاروا تهمز المرفقات طلاهم \* كما انصاع من اسد نعام مشرد  
وليلة ألقى الشرك بالمرج بركه \* وما زج نيران الوغى تتوقد  
رمى وأخوه مغرب الشمس دونكم \* بمشركها غضبان يعدو ويسعد  
فدوردت ماء الارض مغدة \* أنارت بشور اغلة ليس تبرد  
أيا سيف شامته يد الملك صارما \* فيهم هذا يسرى ويسرى فيهم  
دمشق دمشق انما القدس سرحة \* ومر كرها صرح عليها ممرد  
جوها لكي يجموا وقد باع المدى \* بهم أجل حتم وعمر محدّد  
متى اناراء طائر الفتح صادحا \* يرفرف في أرجائها ويغرد

وله من قصيدة أخرى

نذكرك بالغوطتين قد ضمنت \* ربوتها ربعه ومقراها  
أطلع لها الشمس من جبينك لم \* ترج سواها في النوم جفناها  
فالخيل صور الى تساهم سهمي \* ها وملهى في بيت لهاها  
دولة من دانت البلاد له \* وعما ظله فأغناها  
لابسواها يليق بهجتها \* ولاسواه تبغى رعاياها

قال أبو يعلى وفي عاشر المحرم نزلت أوائل عسكر نور الدين على أرض عذرا من عمل دمشق وما والاها وفي الغد قصد  
فريقا وفر منهم ناحية السهم والنيرب وكنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليهم أسرع النذير اليهم فحذرهم

وقد ظهر الكين فانهزموا الى البلد وفي الغد نزل نور الدين بعسكره على عيون فاسر يابن عذرا ودومة وامتدوا الى تلك الجهات ونزلوا من الغد في أراضي حجير اوراوية في الخلق الكثير والجم الغفير وانسبطت أيدي المفسدين من العسكر الدمشقي والاباش من أهل العيث والفساد في زرع الناس فحصدوها وفي الثمار افانوها بالمانع ولا دافع وتحرك السعير وانقطعت السابلة ووقع التأهب للحصار ووافقت رسول نور الدين الى ولاية البلدي يقول اناما أثر الاصلاح أمر المسلمين وجهاد المشركين وخلاص من في أيديهم من الاسارى فان ظهرتم معي في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد فذلك المراد فلم بعد الجواب اليه بما يرضاه قتل في أرض مسجد القدم وما والا من الشرق والغرب وبلغ منتهى الخيم الى المسجد الجديد قبل البلدة قلت هو الذي يسمى في زماننا بقبة المعتمد بين مسجد القدم ومسجد فلوس قال وهذا منزل ما نزله أحد من مقدمي العساكر فيما سلف من السنين وأهمل الزحف الى البلدة اشفاقا من قتل النفوس ووصلت الاخبار باحتشاد الفرنج واجتماعهم لانجاد أهل دمشق فضاقت صدور أهل الصلاح وزاد انكارهم لمثل هذه الاحوال المنكرة والمناوشات في كل يوم متصلة من غير من احفة ولا محاربة فلم يزل ذلك الى ثالث عشر صفر فرحل العسكر النورى من هذه المنزلة ونزل في أراضي قدايا وحلبتين والخامسين المصاحبة للبلد وما عرف في قديم الزمان من أقدم على الدنوم منها ثم رحل في العشرين من صفر الى ناحية داريا لياواصل الارجاف بقرب عساكر الافرنج من البلدة لقوة عزمه على لقاءهم وصار العسكر النورى في عدد لا يحصى وفي كل يوم يزداد بما يتواصل من الجهات وطوائف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا يأذن لاحد من عسكره في التسرع والظهور ولا يعودون الا خاسرين مغلولين وأقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحية الاعوج لغرب عسكر الافرنج وعزمهم على قصده واقتضى رآيه الرحيل الى جهة الزبداني استخرا الهمة وافرق من عسكره فربقنا ناهزأربعين ألف فارس مع جماعة من المقدمين ليكونوا في أعمال حوران مع العرب لقصد الافرنج ولقاءهم وترقبوا لوصولهم وخروج العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم بهم ثم يقطع عليهم واتفق ان عسكر النفرنج رحل عقيب رحيله الى الاعوج ونزل به في ثالث ربيع الاول ودخل منهم خلق كثير الى البلدة لقضاء حوائجهم وخروج مجير الدين ومؤيد الدين في خواصهما وجماعة وافرة من الرعية واجتمعوا بلعدهم وخواصه وما صادفاه عنده شيئا مما شجس في النفوس من كثرة ولا قوة وتقرر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بصرى لملكه واستغلال أعماله ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ولم يتهيا خروج العسكر الدمشقي اليهم لجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النورى ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الافرنج للايقاع بهم والنكاية فيهم والتجاء عسكر الافرنج الى الجاة حوران للاعتصام بها ونفى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجرم البقاع عائدا الى دمشق وطالبوا بقصد الفرنج والعسكر الدمشقي وكان الافرنج حين اجتماعهم والعسكر الدمشقي قد قصدوا بصرى لمضايقتها ومحاربتها فلم يتهيا بذلك لهم وظهر اليهم سرخا واليهافي رجاله وعادوا عنها خاسرين وانكفأ عسكر الافرنج الى أعماله وراسلوا مجير الدين ومؤيد الدين يلتمسون باقي القطيعة المبذولة لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق وقالوا لولا نحن ندفعه ما رحل عنكم قال أبو يعلى وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصرى الى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرت من العدة وذكرا ن عدة مرابكة سبعةون مرابكة حربية مشحونة بالرجال ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد اتفق عليه فيما حكى وقرب ثلثة ثمانية ألف دينار وقرب من يافا من ثغور النفرنج فقتلوا وأمر واو احرقوا مائظروا به واستولوا على عدة وافرة من مرابك الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكا ففعلوا فيه مثل ذلك وحصل في أيديهم عدة وافرة من المراكب الحربية الفرنجية وقتلوا من حجاجهم وغيرهم خلقا عظيما وقصدوا ثغر صيدا ووبروت وطرابلس وفعلوا في النكل مثل ذلك ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعتاقه على تدويج الفرنجية فاتفق استغلاله بأمر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحدث نفسه بملكها لعله بضغفه لوميل الاجناد والرعية اليه واشارتهم لولايته وعدله قال وذكر ان نور الدين أمر بعرض عسكره فبلغ كمال ثلاثين ألفا مقاتلة ثم رحل ونزل بالدهمية من عمل البقاع ثم نزل بأرض كوكبا غربي داريا ثم نزل بأرض داريا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج الاجناد والاحداث اليه فلم يظهر منهم الا اليسير ممن كان يخرج أولا ثم تقدم ونزل القطيعة وما والاهاود نامها بحيث قرب من البلد وقعت المداوشة بين الفريقين من غير زحف

## في اخبار (٨١) الدولتين

زحف ولا شد في محاربة تحرجا من قتل المسلمين وقال لا حاجة الى قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضا وانا اوفرهم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين قال وورد الخبر الى نور الدين بتسلم نائبه الامير حسن المنجي مدينة تل باشر بالامان في الخامس والعشرين من ربيع الاول وورد مع المبعوث جماعة من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال وترددت المراسلات في عقد الصلح مع أهل دمشق على شروط واقترحات وتردد فيها الفقيه برهان الدين على البلخي والامير أسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين أيوب وتقارب الامر في ذلك الى ان استقر الحال على قبول الشروط المقترحة ووقعت الايمان من الجهتين على ذلك والرضى به في عاشر ربيع الآخر ثم رحل نور الدين من الغدطابا ناحية بصرى للنزول عليها والتمس من دمشق ما تدعو اليه الحاجة من آلات الحرب لان واليهاسر خاك كان قد شاع عصيانه وخلافه ومال الى الافرنج فاعتضد بهم فأذكر نور الدين ذلك عليه وانفض اليه فريقا وافر من عسكره قتل ولان منير في نور الدين بذكر وقعه الجولان وغيرها قصيدة أولها

ما برقت يبيضك في غمامها \* الاوغيث الدين لا بتسامها  
محمود المجد جدا وحدا \* ارض خص جلد الارض حكم عامها  
ملك ازال الروم عن صلبانها \* دفاعه وكب من اصنامها  
جال على الجولان امس جولة \* صفرت الادحى من نعامها  
والجود قد جرعها اجونه \* وفل مشحودا من اعتزامها  
وشد في القنديله مليكها \* قود عتود القوط في شبامها  
وفي الرها صابت له سحابة \* صاروا جفاء خف في التطامها  
وهب في هاب له عواصف \* تجهمتها الهف من جهامها  
وكفر لا ثلاث في جبينها \* لم تظي ابت على اشامها  
وقابع برفص تحت وقعه \* نظم الثريا في فضا مصامها  
فساعة البيض اذا ددها \* سوط عذاب صب في أيامها  
واعجبا لعصب الشرل التي \* لم يعصب الرشد على احلامها  
حكمة استواؤها في غيبها \* في نقض ما احصد من ابرامها  
منفر الرايات والراي اذا ال \* حرب مشت تعثر في خطامها  
عدت به حد العلاء هم \* هن النجوم أو نواصي هامها  
جالت له الدنيا على زيرجها \* عفوا فلم يلو على حطامها  
رأته وهو اللمث يدعي ظفره \* انه ذفي المشكل من حكاهما  
فتوجته العز في مرتبة \* تمنطق الجوزاء في نظامها  
غضب بان الاسلام لا يغيه اس \* تسلامها للقمر من اسلامها  
خط على مثل اب طاعت له ال \* دفاق واستسرف لا غشامها  
تصرف الدنيا على ايشاره \* عراقها مسترد فإشامها  
لوم يكن دون منى فات المنى \* واقعد الفائز من قوامها  
وامتك فيماد كره واضع \* يقصر باع الدهر عن فطامها  
وصار كالبحر الجار وخلا \* من أهله الاشرف من مقامها  
ودونها لازلت ترقى في حى \* من مؤلم الارداء اولم امها  
تلبس بيت الله وشى بمن \* يقرأ آياتك من اعلامها  
فانما الدين رحي قطبتها \* وبازل مكنت من زمامها  
امت بنا الا مال منك كعبة \* سلم اليمالى اية استسلامها

يجددك اصحاب الجدل الحزون \* واطلع فجره الفتح المبين  
 وفي كنفيك سولت الليالي \* وفارق طبعه الزمن الخؤون  
 ومنك تعلم القطع المواضي \* وقد زينت بها الحرب الزبون  
 وأنت السيف لم تمسه نار \* ولا شحذت مضاربه النقيون  
 ترقرق فوق صفحته الاماني \* ويقطر من غراريه المنون  
 وقبلك ما سمعت بذي فقار \* يشير الفقر ركان ولا يكون  
 ولا غيث سماوته سرير \* ولا ليل وسادته عرين  
 ولا قل له الهيجاء هال \* ولا تاج له الدنيا جبين  
 جبلت ندى وعفا وانتقاما \* وماء كل مجبول وطين  
 وملكتك عمر الاقطار قطرا \* فأمرعت الاواعث والحزون  
 تلا لأنته غرر الليالي \* اذ الايام عند سواك جون  
 وأنت أقت للبدوى منارا \* يبين لشأنيهم ولا يبين  
 وعندك مشرب النعمى زلال \* اذا عبقث مشاربها الاجون  
 تحكم في عطائك كل عاط \* وقد شيدت من المنع الحصون  
 لقد أشعرت دين الله عزا \* تتيه له المشاعر والجنون  
 وقام بنصره والناس فوضى \* قوى منك في الجلى أمين  
 رجعت ملوكهم وهم خيوف \* أسير في صفادك أوكنون  
 فبرزت البرنس لفاع خف \* وجرع مر جوسك جوسلين  
 اذا ما الفعل علّ تلاء حذف \* يتاح له سهام أوسكون  
 غنوا حتى غزوتهم فغنى الصدى في أرضهم حن القطيين  
 وكم عبر الصليب بهم صليبا \* فردته قنالك وفيه لين  
 وما خطرت بدار الشرك الا \* هوى الناقوس وارتفع الاذن  
 ملأت عظام ساحهم عظاما \* فكل ملا لقوك به جرين  
 وبينهم القننا تجرى نجيعا \* كان عيون أكعبها عيون  
 وبين حراس خد ذبن حرا \* له في كل حبيبة كمين  
 وفين من العريمة في عرام \* له في جونها الاقصى وجون  
 وكم حرم لحارم غادرته \* ودارته لمنسفها درين  
 وفي شعراء قورس صغن شعرا \* تدار على غراريه اللجون  
 وقائع صرن في صنعاء طيرا \* يوقعها على عدن عدون  
 نمالك أب اذا عدت انتسابا \* تراق مصعدا والناس دون  
 شما لا كان املاك البرايا \* وقد قيسوا به وهو اليمين  
 فصارقضائه في الارض حتما \* فطاعة أهلها البنيه دين  
 لهذا ليوم تنتخب القوافي \* ويذخر نفسه الدرا مصون  
 ونحن أحق منك بأن نهني \* اذا قررت برؤيتك العيون  
 سلمت لنا فانا كل صعب \* نوازيه بأن تبقى يهون

ترابطنا بعقوتك التهاقي \* ويعبطنابدولتك القرون

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال أبو يعلى وورد الخبر من ناحية ديار مصر بأن أهل دمياط حدث فيهم فناء ما عهد مثله في حديث ولا قديم بحيث أحصى المفقود منهم في سنة خمس وأربعين فبلغ سبعة آلاف شخص وفي سنة ست وأربعين مثلهم فصار الجميع أربعة عشر ألفا وخلصت دور كثيرة من أهلها وبقيت مغلقة لا ساكن فيها ولا طالب لها وفيها في ثاني جمادى الآخرة توفي القاضي السيد الخطيب أبو الحسين بن أبي الحديد خطيب دمشق وكان خطيبا بليغا صيتا عفيفا ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى أبي الحسن الفضل ولد له وهو حدث السن فنصب مكانه وخطب وصلى بالناس واستمر الأمر له ومضى فيه قال ووردت الحكايات بحدوث زلزلة وافقت الليلة الثالثة عشرة من جمادى الآخرة اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات في أعمال بصرى وحوران وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدة وافرة من حيطان المنازل ببصرى وغيرها ثم سكنت بتقدرة من حرّكها سبحانه وتعالى قال وفي ثاني عشر رجب توجه مجير الدين صاحب دمشق إلى حلب في خواصه ووصل إليها ودخل على نور الدين صاحبها فأكرمه وبالغ في الفعل الجليل في حقه وقتر معه تقريرات اقترحها عليه بعد أن بذل له الطاعة وحسن النيابة عنه في دمشق ورجع إلى دمشق مسرورا في سادس شعبان قلت وفي ذلك يقول القيسراني

وفت لك الدنيا بعبادها \* بانزلة أفلاذاً بكادها  
وأوفدت غرساً لأطينا \* عليك في همة انجاده  
تبغى سناء أقصدت قصده \* طائعة طاعة أجنادها  
خاضعة تبعاً لأعمارها \* يوم التلاق يوم ميلادها  
شامت دمشق بك برق العلي \* فأرسلت أصدق روادها  
رأى نور الدين نار الهدى \* قد أشرق الأفق بإبقادها  
فيتمت منك حيامرنت \* بيض الأيادي ورد وزادها  
فاسأل مجير الدين عن خبرة \* أوردتها محمود أربادها  
تبوّأت من عزها قبلة \* سمى القنا أطناب أوتادها  
تنافس الناس على دولة \* فتبها أعين حسادها  
يغدو المعادي كالموالي لها \* فوالها ان شئت أوعادها  
ياما كالزهي باسمائه \* منابر تهب بأعوادها  
وتأخذ الأسماع أو صافه \* عن جمع الدنيا وأعيادها  
كم للمعالي فيك من رغبة \* تغني الأمانى دون تعدادها  
لك المساعي الغربا جامعا \* من طرفها بين أضدادها  
يغشى الورى أفرس فرسانها \* وفي التقى أرهدر هادها  
فانت نسكا غيث اندالها \* وأنت فتكاليث آسادها  
في أمة أنت حى دينها \* حينما وحينما شمس عبادها  
يطوى بك العمر إلى غاية \* حسبك تقوى الله من زادها  
هذا وكم من سنة بدعة \* أعدمتهام بعدا بجاها  
مأثر لو عدمت راويا \* تكفل النظم بأسنادها

قال أبو يعلى وفي أواخر شعبان أغار بعض التركمان على ظاهر بانياس فخرج إليهم واليهامان الأفرنج في أصحابه وظهر التركمان عليهم فقتلوا وأسروا وفي رمضان قصد بعض الفرنج ناحية من البقاع وأغار وأهانهم والى بعلبك رجاله فلقوهم وقد أرسل الله عليهم من الشلوج المتدركة ما أثبطهم فاستخلصوا منهم الغنيمة قلت والى بعلبك هذا هو نجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف قال بن أبي طي في سنة ست وأربعين أغار التركمان على بانياس فخرج أهل

بانياس من الفرنج استنقذوا ما أخذوه فعاد التركان عليهم فكسروهم واتصل ذلك بصاحب دمشق فأغضبه فعل التركان لما كان الهدنة المنعقدة بينه وبين الفرنج فأنفذ عسكرا إلى التركان استعاد منهم ما أخذوه واتصل خبر التركان بالفرنج فجيشوا وخرجوا في جيش عظيم وشنوا الغارة على البقاع والناس غافلون فامتلاأت أيديهم من الغنائم والاسارى واتصل خبر غارة الفرنج بنجسم الدين أيوب وهو في بعلبك وعنده جماعة من عسكرو دمشق وأصحابه فقدم عليهم ولده شمس الدولة فخرج وأوقع بالفرنج واتفق أنه كان قد أصاب الفرنج ثلج عظيم فهلك أكثرهم وجاء شمس الدولة وهم متورطون فقتل فيهم مقتلة عظيمة وخلص من كان عند الفرنج من الاسارى قال وفي هذه السنة فارق صلاح الدين والده وصار إلى خدمة عمه أسد الدين بحلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه اقطاعا حسنا قال أبو يعلى وفي ثلث شوال وهو الثاني من شباط وافقت قبيل الظهر زلزلة اهتزت لها الارض ثلاث هزات هائلة وتحركت الدور والجدران ثم سكنت قلت وفي هذه السنة في غرة جمادى الاولى كتب أحمد بن منير من حماة إلى نور الدين قصيدة يهنييه بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفة على يد الشيخ شرف الدين بن أبي عسرون ويصف الفرس الاصفر الاسود القوائم والمعارف والسيوف العربي اولها

لـلائك التأييد والتأميل \* وللملك التأييد والتكامل  
أبدانهم وتقتفى فتنا ما \* عز الورى ادراكه وتنبيل  
أما كتاب يستعمل به الحكا \* ثبأ ورسول للنجاح رسيل  
لك من ألى سعد رعيم سعادة \* فن تفاعل فيك ليس بفيل  
نعم الحسام جلوته وبـلوته \* يرضيك حين يصل ثم يصول  
سهم تعود في الكانة عودة \* ويقصر المطلب وهو طويل  
سدته فضى وقرطس صادرا \* كالنجم لا وهل ولا تميل  
فتنا القلوب إلى ولائك حوّل \* منه بما يجنى رضاك كميل  
وأفام ينشر في العراق ودجله \* آيا تأولها مصر النيل  
وكسالك من رأى الخليفة حجة \* لا النقص يوهيها ولا التقليل  
كنت الشريف أفضت في تسريفة \* ماء عليه من سناك دليل  
اليوسف لما طلعت مقرطقا \* طمئت حصان واستخف أيل  
أم عن سليمان يفرج ضاحكا \* بحجف الرواق وضعع الكبول  
وملك في السرج أم ملك سطات \* لبهائه عقل وتاه عقول  
وبرزت في لبس الخلافة كاهلها \* حلل الدجى التهليل  
خلع خلع على القلوب مسرة \* سد كاتما التعظيم والتجمل  
نثرت نضارا جامدا أعلامها \* وتكاد تجرى رقة وتسيل  
لقضى لها أن لا عدل لغيرها \* ربّ برالك فلا تلاك عدل  
أنت المهند من دسلته العلى \* لم يخل من مهج عايمه تسيل  
مذهب قائمه الامام تألقت \* غر رشد خن للملكه وحجول  
واليت دولته قهت بدولة \* متكل بصعيدها الاكليل  
ونصرته في لأك أبيض دونه \* صرف الزمان اذا استكمل كليل  
تلدته وكلا كما تلهيهم \* غضب فزان المتمد المسول  
وحبا ركابك حين قرب زحفه القرآن واستخدى له الانجيل  
باقب أصفى مشرف الهادى له التسجيل لون والمالتجمل  
قسم الدجى بين الغداثر والشوى \* واعتماد رونقه الاصيل أصيل

## في أخبار \* (٨٥) \* الدولتين

وتقسام الرازوه تحتك انه \* حيزوم مصنف عطفه جبريل  
تحتال في حبك الحلى مخيلا \* ان الشواخ للبدور خيول  
مرخي الذوائب كالعروس يزينه \* طرف باطراف الراح كحيل  
تتصاعق النعرات تحت لبانه \* ان شب زفر واستجش صهيل  
لم يحب مثلك مثله مهذولم \* يشلل على برق سواه شليل  
وأشده في هذه السنة أيضا بجمص قصيدة منها

الدهر أنت ودارك الدنيا ومن \* في العذب عدم مؤمل معدود  
وأزقة الاقدار طوع يدك وال \* ديام جندك والانام عبيد  
فت الوري وعقدت ناصية المدى \* بمذمر الشعرى فأين تريد  
تال أباك فهل سليمان يرى \* في الدست مهمل لك داود  
جلى وسدت مصليا لا يرفع الـ \* معدوم مالم يشفع الموجود  
لم يخترم جدغاك ولا أب \* ان النباهة في الخليف خلود  
شمنت منارك في اليفاع وأمها \* من لم يسد فارت كيف يسود  
وهيبب للاسلام وهو مصوح \* فاهتز اعصاب ورق نجود  
وفتأت جرة صالميه بصيلم \* نصع الاجنة يومها المشهود  
خطمتهم فوق الخطيم لوافع \* نفس الارين لوأرهن برود  
ورمواعلى الجولان منك بجولة \* تؤيد هائس الضلال وتؤيد  
ولحاظمهم بعرقه عارق \* مازلت تمحض جوه فيجود  
وشلت بالروح السروج وفوقها \* زرع لحصده الراح حصيد  
وعلى عزازعنا وثل عروشهم \* ملك مقيد من عصاه مقيد  
وبتل باشر باشر وكفعافسوا \* أهب الاساود حشوهن أعود  
أودوا كما أودى بعادغيها \* وعقوا كما استغوى الفصيل ثمود  
ان آماو عقر افانك صالح \* أو آماو غدرا فانك هود  
وزعتهم فبكل مهبط تلعة \* خدبه من وازع أخذود  
وعصبتهم بعصائب ملء الملا \* شتى وان خل البسالة عود  
أثارها محودة واثارها \* مشهودة وشعارها محمود  
لبست من اسمك في الكريهة لباسا \* يلي جديد الدهر وهو جديد  
وقصيرة الآجال طول باعها \* بوع يسامى هامها وقدود  
مظرورة الاسلاب مذكزعتها \* ناه الهدى وتختار التوحيد  
أشعرتها فعلى شريعة أحمد \* مما جنته بوارق وعقود  
ولكم نثرت نظمها في موقف \* تغريد صالى حره التغريد  
يجلو سناك ظلامه ويحل ما \* عقدت قناه لوأوك المعقود  
في هبوة زحم السماء واقها \* والارض ترجف تحته وتميد  
ضربت مخيمها فكان كماها \* أو تاده القصورى وأنت غود  
في كل يوم من فتوحك صادق \* هزج الغناء وطائر غريد  
تمدى لعانة كاسه فرغانه \* وتسيغ زبده ما شداه زبيد  
فغراسيفك للا حابش محبس \* ومشارنقك للصعيد صعيد



## كتاب (١٦) الروضتين

لأنهم من هذا المقلد أئمة \* ملقى إليه لرعيها الأقليد  
الورد قرو المسارح رحيمة \* والرفد مد والضللال مديد  
والعيش أبلج مشرق القسما وال \* شجار غرو الاصائل غيد  
والملك مدودال رواق منورال \* فاق وضاء المنى محسود  
في دولة مذهب نشر ربيعها \* نشر الرفات وأثمر الجلود  
محمودة الآثار مجب \* كل المواسم عند هاتعبيد

وقال يهنيه بليلة الميلاد ويصف النازلين في الجبل من قلعة حلب بقصيدة منها

هنيئ روزي ذراك صومك والميلاد جاء والسعد في نسق  
فذاك انحلت فيه كل يد \* وذاك أنجلت فيه كل نقي  
وجه كصدر الحسام تصبولة العين وينقد القلب من فرق  
ومقللة شوقها ليقظتها \* شوق لحسادها الى الارق  
ومرتقى تجب السماء له \* اذا استطالت اليه كيف رقى  
توجهت شهباءها بمشرفة \* مشرفة شهباء على الافق  
جؤ نهادي منه كواكب \* طرفه طرف رجوم مسترق  
قوارس تذهل القوارس ان \* نهاقت من ارشاقها الرشق  
من راكض في الهواء أهوى \* ومن الفتح مجر من تحت له لبق  
شاو من الخضر لو تحاوله الخضر زلت عن موطن زلق  
يقول من دينه الفروسمة \* لاقبك الا ضرب من الالق  
بدائع تغبط السماء بها الار \* ض ويديك الاشفاق في الشفق  
في دولة جمعت اياتها \* من بدد الحسن كل مقترق  
تذر أطواقها على ملك \* مكتفل رزق كل مر ترق  
محمود اسما ويسما وندي \* واعتصب الدم كل مر تنق  
طبق طوفانه فلست ترى \* الامغيثا مشف على غرق  
يا بحر لا خلق تدعى شهباء \* فات المدى ما حويت من خلق  
ملكك هذا الذي تملأه \* صباها يجرى والدهر في طلق

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمس مائة قال أبو يعلى وورد الخبر في المحرم بنزل نور الدين على حصن انطرسوس في عسكره وافتتاحه له وقتل من كان فيه من الافرنج وطلب الباقون الايمان على النفوس فأجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفظة وعاد عنه وملك عدة من الحصون بالسبي والسيف والارباب والامان قال وورد أيضا ظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغزة بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهم الباقون قلت وقرأت في ديوان بن منير مدح نور الدين ويهنيه بفتح انطرسوس ويحجور وعوده عنهم فاذا كقصيدة منها

ابدا ياشرو وجه غزولك ضاحكا \* وتؤب منه مؤيدا منصورا  
تدني لك الامل البعد سواهم \* محقت اهلها وكن بدورا  
مثل السهام لو اتبغى ذو اربع \* في الجؤ مطلبها لكان طمورا  
نبذت علائقها بمجس واعلقت \* سحرا بعرق عرقه الاظفورا  
وعدون صافيناء لاح شوارها \* قد اتلعت عنقا اليك مشيرا  
القلب أنت فان تعامى عن هدى \* عضواها ببه فعاد بصيرا  
عرفوا مكانك والظهيره بينهم \* يفري بياض أديمها الذيجورا

## في أخبار (٨٧) الدولتين

أين الذبال من الغزاة أشرقت \* وجهها وطبقت البسيطة نورا  
 غضبان أقسم لا يشيم حسامه \* والارض تجل في الكفور كفورا  
 غسل العواصم امن من ادرانهم \* واليوم رذبه السواحل بورا  
 لم يبق بين الجبلتين وآمد \* وترا لمضطغن ولا موتورا  
 اخلى ديار الشرك من اوثانها \* حتى غدا ثالوثهن نكيرا  
 رفع القصور على نضائدها مهم \* من بعدما جعل القصور قبورا  
 بشواحب الالباط تقطوف في الظلا \* مقطا وتوى في الصباح نشورا  
 غادرت انطرسوس كالطرس انجى \* رسما وجردعها يمحورا  
 وهي الزناد لفتنة كانت على الـ \* سلام احكم كسرها كسيرا  
 همت طرابلسا فصيح نعرها الـ \* بسام من عز الشغور ثغيرا  
 اقليدها كانت وقد انطيته \* واسأل به من دهمته خبيرا  
 ان الاولى امنوا وقاعك بعدها \* غروا وقد كبروا الاغر غرورا  
 الق العصافين أطاع ومن عصى \* منهم ودمر أرضهم تدميرا  
 لا يلههم ان قدمنت وشنها \* شعواء تصلى الكافر بن سعيرا  
 باكر بر كزقنا تنسف اسها \* والخييل صور كي تترك صورا  
 وتريك لامعة التريك بساحة الـ \* دقصى مظهرة لها تطهيرا  
 اولست من قوم اذا هزوا القنا \* فتلوا معاصمهم لها تسورا  
 واذا هم خطبوا اليراع غريرة \* ساقوا الشفار على المهاره هورا  
 الق قسيماهم اليك ازمة الـ \* ملك المطل على السهات أثيرا  
 ضحك لك الايام واكأب العدا \* قلعا جئت مبشرا ونذيرا  
 لا ملك الا ملك محمد الذي \* اتخذ الكتاب مظاهرا ووزيرا  
 تمشى وراء حدوده احكامه \* تأتمن فيكمكم التقديرا  
 يقظان ينشر عدله في دولة \* جاءت لاطوى السماح تشورا  
 خلف الخلائف قائما عنهم بما \* عيوبه الوى الد غيورا  
 البر والمعصوم والمهدى والمأمون والسفاح والمنصورا  
 بشروا به فعهودهم وعهادهم \* يمتحن تحت لوائه منشورا  
 وأنشد بحلب في هذه السنة قصيدة أولها

المجد ما ادرعت ثراك هضابه \* وثقفتك شعوبه وشعباه  
 ملك تكنف دين أجد كنهه \* فأضاء نيره وصاب شهابه  
 فالعدل حيث تصرفت احكامه \* والامن حيث تصرمت اسرابه  
 مهلل والموت في نبراته \* يرجو يرهب خوفه وعقابه  
 عقده اللواء وسار يقدمه وما \* حلت عقود نعيمها الزابه  
 اسد فرائسه الفوارس والظبي \* انظاره والسهمرية غابه  
 طبع الحديد فكان منه جنانه \* وسنانه واهابه وثيرابه  
 ونهش ان كعب الوجوه كانما \* اعداؤه تحت الوغى احبابه  
 نشرن بمحمود شريعة أجد \* وأرى الصحابة ما احتداه صحابه

## كتاب (٨٨) الروضتين

ما غاب اصلع هاشم فيها ولا \* فاروق باء بخطبه خطابه  
ابناء قبيلة قائمون بنصره \* ان اجلبت من قاسط اخزابه  
صبحوا محلقة البرنس بحالق \* حرش الضباب من القلوب ضبابه  
ما زال يغلب من بغاه ضلاله \* حتى اتبع من الهدى غلابه  
ملقى بوحش الاصرمين تزيلت \* آراؤه وتزايلت آلابه  
دون الارنط سحت به فجداته \* ونجاده وقرباه وقرباه  
سلبته درّة تاجه يد ضيغم \* لم تنجحه من بأسه اسلابه  
واتته تحلب جوسلين جنائب \* هبت فقل الى القتال هبابه  
اسرته لا منعت سراه وغره \* بالقاع ان رام الورود سراه  
لاتل باشره ولا كيسونه \* صدّت منى عنه ولا عنتابه  
ضمنت شقاوته سعادة صافح \* غطى على اعناته اعتابه  
ما زال يغدر ثم يغدر قادرا \* حتى أناه بجراح أصحابه  
قصر الامانى ان يملأ عصره الا \* دسلام مضروبا عليه حجابه  
مجرى الى الغنائم قبسه \* وحى يرار على الفتوح قبابه

وأنشده بحلب فى شوال من هذه السنة قصيدة منها

لقد أوطأت دين الله عزرا \* اديم الشعريين له رغام  
دعاك وقد تناوشت الزايا \* له اهبايوزعها العذام  
فقت بنصره والناس فودنى \* فيام ذم ما اقترفت فثام  
جذبت بضيمه من قعر يم \* له من فوق مقسمه النظام  
وملت على معاقلهم فخرت \* ولاء مثل ما انتقض النظام  
بصر خدوا الخطيم وفي عزاز \* وفايح هزم شهدا الانام  
ولولم تعترف وتثم امسى \* وأصبح لاعراق ولا شام  
صببت على الصليب صليب بأس \* قواه تحت كل كلة حظام  
ويوم بالعريمة كان حتفا \* على الاشرار أمقره العرام  
لقد كأت ما سلوه سيج \* وما اعتقلوه من خور ثمام  
وهاب وقورس وبكفر لانا \* ذمت وأنت للجلى ذمام  
صدمتهم بارعن مرجح \* كان مطارا نسر غمام  
وأية ليله لم تلف فيها \* لهم طيفا يروع به منام  
بنور الدين أنشر كل عدل \* تعفت فى الثرى منه الرمام  
وعاد الحق بعد كلال حد \* حى من ان تراعه سوام  
تألق عدله وذك سسطاه \* فلا حيف يخاف ولا اهتضام  
بقاؤك خير ما ير جوهر راج \* وأنفع ما يبل به أوام

(فصل) وفى هذه السنة ولد بحمص لنور الدين ابن سماء أحمد وهناه به ابن منير فى بعض قصائده ثم توفى بدمشق وقبره خلف قبر معاوية رضى الله عنه اذا دخل الحظيرة فى مقابر الباب الصغير وقصيدة ابن منير قد تقدّم بعضها فى أول الكتاب ومنها فى ذكر المولود

توالت الاعباد لازلت لها \* تبلى دياييع البقاء وتجد

## في أخبار (١٩) الدولتين

الفطر والميلاد والمولدو \* قابله بدر التمام لمسجد  
ثلاثة تعرب عن ثلاثة \* مثلها يذكر جد من جد  
فتح مبين وطلاب مدرك \* ودولة ماتت حتى إلى أمد  
وله من أخرى بقول

وجئت بأحمد فلائت جدا \* موارد كان معذبها عذابا  
تهلل وجهه ملك يوم أهدت \* قوابله لك الملك اللبابا  
شبهك لا يغادر منك شيئا \* سنا وحياء ولا واستلابا  
قسيم الحمد إلا أن حرفا \* من اسمك زاد للمعنى منابا  
ألا الله يوم فتر عيننا \* ورب نص بالبشرى الركابا

قال أبو يعلى في أوخر صفر توجه مجير الدين في العسكر ومعه مؤيد الدين الوزير إلى ناحية حصن بصرى ونزل عليه محاصرا لسرخاء واليه لمخالفته وجوره وأراد مجير الدين المصير إلى حصن صرخد لمشاهدته فاستأذن مجاهد الدين واليه في ذلك فقال له هذا المكان بحكمك وأنا فيه وال من قبلك وأنفذ إلى ولده سيف الدين محمد النائب فيه بأعداد ما يحتاج إليه ويلقى مجير الدين بما يجب له فخرج في أصحابه ومعه المغايب وأخلى الحصن من الرجال ودخل إليه في خواصه وسر بذلك وتجب من فعل مجاهد الدين وسكر على ذلك وعاد إلى مخيمه على بصرى وحاربها عدة أيام إلى أن استقر الصلح والدخول فيما أراد وعاد إلى دمشق وفيها في شوال توفي الأمير سعد الدولة أبو عبد الله محمد بن المحسن ابن الملحى ودفن في مقابر الكهف وكان فيه أدب وأفرو كتابة حسنة ونظم جيد وتقدم والده في حلب في التدبير والسياسة وعرض الاجناد قال ابن الأثير وفيها توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان وعهد إلى ابن أخيه ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد وخطب له بلاد الجبل وكان الغالب على البلاد والعساكر أيام السلطان مسعود خاص بك بن بلنكرى فقام بأمر ملكشاه ولم يمهله غير قليل حتى قبض عليه وكتب إلى أخيه الملك محمد بن محمود وهو بخوزستان يستدعيه إليه لخطب له بالسلطنة وكان غرض خاص بك أن يقبض عليه أيضا فيخلو وجهه من منازع من السلجوقية وحينئذ يطلب السلطنة لنفسه فلما كاتب محمد أجابه إلى الحضور عنده وسار إليه وهو بهمدان واجتمع به وخدم خاص بك خدمة عظيمة فلما كان الغد دخل عليه خاص بك فقتله محمد وألقى رأسه إلى أصحابه فترقوا واستقر محمد وثبتت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعا وكان قتل خاص بك سنة ثمان وأربعين وبقي مطر وحاحي أكلته الكلاب وكان ابتداء أمره أنه كان من بعض أولاد التركان فخدم السلطان فمال إليه وقدمه حتى فاق سائر الأمراء واستولى على أكثر البلاد وهو كان السبب في أكثر الحوادث الشاغلة للسلطان مسعود فان الأمراء الكبار كانوا ينفون من أتباعه لما كان يقابلهم به من الحوان والاحتشام عليهم وذكر الوزير يحيى بن هبيرة في كتاب الإفصاح أنهما تطاول على الخليفة المقتدى أصحاب مسعود وأسأوا الأدب ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة اتفق الرأي على الدعاء على مسعود بن محمد شهرا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رعل وذ كوان شهر فابتدى هو والخليفة سرا كل واحد في موضعه يدعوه سحرا من ليلة تسع وعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسمائة واستمر الأمر على ذلك كل ليلة فلما كان ليلة تسع وعشرين من جمادى الآخرة كان موت مسعود على سريريه لم يزد عن الشهر يوما ولا ينقص يوما ووصل القصاص بذلك من همدان إلى بغداد في ستة أيام فزال الله يده ويد اتباعه عن العراق وأورثنا أرضهم وديارهم فبناك الله رب العالمين مجيب دعوة الداعين قال وكان الشيخ محمد بن يحيى يقول لأدل على وجوده وجود أعظم من أن يدعى فيجب

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة \* ففعلها أخذت الفرنج خذلهم الله عسقلان وبقيت في أيديهم إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وثمانين كما سيأتى إن شاء الله تعالى قال الرئيس أبو يعلى التميمي وتواصلت الأخبار من ناحية نوازلين بقوة عزمه على جمع العساكر والزركان من سائر الأعمال والبلدان للغزو في أحزاب الشرك والطغيان ولنصرة أهل عسقلان على الأفرنج النازلين عليها وقد ضايقوها بالزحف إليها بالبرج المخدول وهم

## كتاب (٩٠) الروضتين

في الجمع الكثير ثم اقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جهود عسكرة للتعاضد على الجهاد في ثالث عشر محرم واجتمع معه في ناحية الشمال وقدم ملك نور الدين الحصن المعروف بالفليس بالسيف وهو في غاية المنعة والحصانة وقتل من كان فيه من الاقربنج والارمن وحصل العسكر من المال والسبي الشيء الكثير ونهضوا طالبيين ثغريان ياس و نزلوا عليه في آخر صفر وقد خلا من حماته وتسهلت أسباب ملكته وقد تواصلت استغاثة أهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين ف قضى الله تعالى بالخلف يديهم والقتل وهم في تقدير عشرة آلاف فارس وراجل فاجفلوا عنها من غير طارق من الاقربنج طرقتهم ولا عسكر رهقهم ونزلوا على المنزل المعروف بالا عوج وعزموا على معاودة النزول على بانياس وأخذها ثم أجمعوا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وتفرقوا وعاد مجير الدين الى دمشق ودخلها سالما في نفسه وجملة حادى عشر ربيع الأول وعاد نور الدين الى حمص ونزل بها في عسكرة ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقلان فتعويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال وظفر وابعده وافرة من مراكب الفرنج في البحر وهم على حالهم في محاصرتها ومضايقتها والزحف بالبرج اليهم واستمر ذلك الى ان تيسرت لهم أسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها فهدموا البلد وقتل من الفرقة بين الخلق الكثير وألجأت الضرورة والغلبة الى طلب الامان فأجيبوا اليه موخر من أمكنه الخروج في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها وقيل ان في هذا النفر المقتنع من العدد الحربية والاموال والميرة والغلال ما لا يحصر فيذكر وما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه وضائق الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله فسبحان من لا يرتدنا فذ قضائه ولا يرفع محتوم أمره عند نفوذه ومضائه

**(فصل)** قال وعرض بين الرئيس ابن الصوفي وبين اخويه عز الدولة وزير الدولة مشاحنات ومشاجرات اقتضت المساعاة الى مجير الدين في جمادى الاولى فانفذ مجير الدين الى الرئيس يستدعيه للاصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في داره وهم بالتخصن عنه باحداث البلاد والغوغا وآلات الحلال التي تمكن زين الدولة منه بمعاونة مجير الدين عليه وتقرر بينهم الخراج الرئيس من البلاد وجماعة الى حصن مصر خد مع مجاهد الدين بزنان واليه بعد ان قرر له بقاء داره ويستأنه وما يخصه ويخص أصحابه وتقلد أخوه زين الدولة مكانه وأمر ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء الافعال والتماس الرشاعة الى أقل الاعمال ورأى مجير الدين عقيب ذلك التوصل الى بعلبك لطبيب نفس واليه اعطاء الخادم واستنجا به معه الى دمشق لينوب عنه في تدبير الامور وعاد وهو معه واستنصر مجاهد الدين بزنان ان يثمة مجير الدين قد تعسرت فيه فاستوحش من عودته الى البلد بغير من يحلف له بها على امانه في نفسه فوعد بالاجابة فعاد الى داره بدمشق ثم هجم في خاطره من مجير الدين وأصحابه ما أوحشه منهم فدعاه ذلك الى الخروج من البلد سراط الباصر خد دفين عرف خبره امضى في طلبه وقص أثره فأدركه وقرب من صرخة قبض عليه واعيد الى القلعة بدمشق واعتقل بها اعتقالات الجاهل لا ثم تجدد دم الرئيس الوزير حيدة المقدم ذكره اشياء ظهرت عنه مع ما في نفس الملك مجير الدين منه ومن أخيه المسيب من المعرفة بالنسبي والفساد ما انتضت الحال استدعاءه الى القلعة على حين غفلة عن الغضاء النازل به لسوء افعاله وقبح ظلمه وخبئه ثم عدل به الجاندارية الى الحمام بالقلعة مستهل ذى القعدة وضربت عنقه صبرا واخرج رأسه ونصب على حافة الخندق ثم طيف به والناس يلعنونه ويصفون أنواع ظلمه وتقننه في الفساد ومقاسمة المصوص وقطاع الطريق على أموال الناس المستباحة بتقريره وتديره وحمايته وكثر السرور بمصره واتبه به ثم حنث العامة والغوغاء ومن كان من اعوانه على الفساد من أهل العيث الى منازل وخزائنه ومخازن غلاته واثاثه ونخائره فانتبهوا منها ما لا يحصى وغلبوا أعوان السلطان وجنده عليها بالكثرة فلم يحصل للسلطان من ذلك الا انزال اليه سرور وأمر الرياسة والنظر في البلاد الى الرئيس رضى الدين أبى غالب عبد المنعم بن محمد بن اسدين على التميمي في اليوم المتقدم ذكره فطاف في البلد مع افاربه وأهله وسكنت الدهماء وولغ في اخاب منازل الظالم وقتل أخشائها قال وكان عطاء الخدام قد استبد بتدبير الامور ومد يده في انظم واطلق نسائه بالهجو وافرط في الاحتجاب وقصر في قضاء الاشغال فتقدم مجير الدين باعته قتاله وتقييده والاستيلاء على ما في داره ومطالبة به بتسليم بعلبك وما فيها من مال وغلال ثم ضربت عنقه ونهبت العوام والغوغاء بيوت أسبابه وأصحابه قال وورد الخبر من ناحية مصر بان العادل المعروف بابن السلار الذي كانت رتبته

## في أخبار (٩١) الدولتين

قد علت ومنزلته في الوزارة قد تمكنت كان لزوجته ولدي عرف بالامير عباس قد قدمه واعتمد عليه في الاعمال، ولعباس هذا ولد قدّمه الوزير وأنعم عليه وأذن له في الدخول بغير إذن اليه فدخل عليه وهو نائم في فراشه فقطع رأسه وحصل عباس في منصب العادل ثم كان من أمره ما سيأتي ذكره قلت هو أبو الحسن علي بن السلار وزير خليفة مصر وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بالاسكندرية للسافظ أبي ظاهر السلفي رحمه الله وكان قتله في سادس المحرم بمواطاة من الخليفة الملقب بالظافر بن الحافظ وفيها في آخر شعبان توفي الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي البلخي رئيس الحنفية ودفن في مقابر الباب الصغير المجاورة لقبور الشهداء وكان من التفقه على مذهبه ما هو مشهور شائع مع الورع والدين والعفاف والتصوف وحفظ ناموس العلم والتواضع والتودد الى الناس على طريقة مرضية وسجية محمودة فال وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الاديب أبي الحسين أحمد بن منير الشاعر في جمادى الآخرة ووصل في ثاني عشر شعبان الى دمشق الاديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني من حلب باستدعاء مجير الدين له ومات بعد عشرة أيام في الثاني والعشرين من شعبان تلتها شاعر الشام في وقتها وقد شبهها العمداء بـ مجير الدين له في كتاب الخريدة بالفرزدق وجريرو وكذلك كان اتفق موتها في سنة واحدة ومات جرير بعد الفرزدق بقليل وقد سبق من شعرهما في مدح نور الدين رحمه الله قصائد حسنة وسيأتي غير ذلك في موضعه لغرض سنذكره وما قاله ابن منير من قصيدة له

أيا سيفاً أعز الدين منه الـ غرار العضب والنوم الغرار  
ملأت جوانح الاقطار رجفا \* كان الارض خامر هادوار  
علاك حلى على الدنيا فتاج \* بمفرقه ما وفي يدها سوار  
أضأت شمس عدلك في دجاها \* فكل زمان ساكنها نهار  
فتحرق من عصاك وأنت ماء \* وتغرق من رجاك وأنت نار  
الاله وجهك والمنايا \* مكحلة والبيض افترار  
هتكت حجابها والنصر غيب \* وللهبوات طي وانتشار  
بطعن للقلوب به انتظام \* وضرب للرؤس به انتشار  
تبادره كان الموت غم \* وما من عادة البدر البدار  
انحت على الصليب مطا صليبها \* به من صك مبرك هدار  
بمشرقة المناكب مقربات \* لمن بمن كل ونغي حصار  
جبين بآنب أنب العناصي \* وأضن ولقنا منها ثمار  
وفي هاب أهبت بها فجاءت \* كما أجلى من الكشم الصوار  
وكم في نج حارم من حريم \* عفته فلاجدير ولا جدار  
وانطا كمة استنت اليها \* فاجفل خيطها وله عرار  
وصبح في عزاز بها عزاز \* فامسى وهو وعث أو خبار  
يشق بهادجي الغمرات عسفا \* جواد لا يشق له غبار

وله من أخرى

وما يوم الفرجة منك قد \* فتحصر عده خطط الحباب  
أجاش الاربعاء لهم خيسا \* بعيد الغور ملتطم العياب  
واحكم بالخطيم لهم خطاما \* أمر برميهم من الضراب  
مشوا متساندين الى صليب \* بيرقع هبوه الصم الصلاب  
تلفهم المنايا في الثنايا \* وتغياهم شعوب من الشعاب  
أطاشت سبهم كبشهم هناة \* في كنت ذباب طائشة الذباب

## كتاب (٩٢) الروضين

جلات الناج عنه وحل ناجا \* مكان العقدة من عقد الكعاب  
 أناف على العقاب فكان أشهى \* وأبهى منه في ظل العقاب  
 فاشرف وهو عن شرف معوف \* واصعدوهى غاية الانصباب  
 تكاشره الشوامت وهو مغض \* ثناه مناه عن رجوع الجواب  
 بعيمد من قراع واقتراع \* يؤوب له الى يوم المساب  
 وكم سوط بحمدك اقبلاه الصمد \* ودور فكان سوطا من عذاب  
 تركتهم بارض الشام شاما \* انظر تنقيته أول ناب  
 هتكت حجابهم والشمس وسنى \* بشمس لا توارى بالجاب  
 بابيض من حبيك الهند صاف \* مصون المثنى مبتذل الذباب  
 له سمة الشيوخ صفاء شيب \* وفي خطواته ترف الشباب  
 الا يا ناظر الدنيا بعين \* أرته علابها خدع السراب  
 تبطنها افطاعتها ثلاثا \* على عز التملق والخلاب  
 فلا يأوى الى رأى شعاع \* ولا يئنى الى أمل خراب  
 ترفع عن مجاوزة الامانى \* وحلق عن محاضرة التصابي  
 صلاة الله كل درور شمس \* على مشوى أبيك من التراب  
 فقد ألقى الى الاسلام عضبا \* يطبق فى النوائب غير بابي  
 تجيش له رواس كالرواسى \* تمدها جفان كالجوابي

وله من أخرى

مظفر العزم ممدود الرواق على \* معالم الدين يرفها وينهيا  
 رد الكائنات كفسا للهدى فجنت \* نار الضلال ووارثها انا فيها  
 وأورد العلم عددا من اياته \* فاستن واقتن عبا فى صوافيها  
 وبث المشرق اشرا كافا درجت \* طريدة منه الا استوهقت فيها  
 يا بدرمذا شرفت فى الدست غرته \* غيث الرعية واخضلت مراعيها  
 أقام أجد من محمودها علما \* به استقام على البيضاء ساريها  
 محيى شريعته من بعدما نهدمت \* واستجبت بعد افصاح معانيها  
 شابت مواهبه فيها مهابة \* حتى استقرت على سميت سوارها  
 وله من أخرى

عزت سيرفك فالعراق عراقها \* والشام غير مدافعات شامها  
 ان أغمدت حل العزائم حلها \* أوجردت حرم الكرى احرامها  
 نخببت عدالك بها فلا اشراقها \* بمفازة منها ولا إعتامها  
 سربت فصيحها بها يقظاتها \* هدأت فستبا بها احلامها  
 كالماء الان فى رشفانه \* نار احشاشات النفوس ضرامها  
 خفت على أيمانكم أوزانها \* يوم الوغى واستشعلتها هامها  
 حتى احلن الشام شاما صررت \* فيه جنادها وصدع هامها  
 ورخص اردان الجزيرة بعدما \* غمرت بها وهداتها وكامها  
 شطرا أبرت ومثله أنظرته \* وقع الخطوب تكرها أيامها  
 بالخنا بطات الغاب ترأ أسده \* والجحفل الحبي اللقاح صيامها

في أخهار (٩٣) الدولتين

أوردتها اجمان انطاكية \* عتقا وقد شبت الصدا اجامها  
 تلقى المشافر في مرأشف كلها \* بردت بها الأبكاد زادهي امها  
 فعدت وقد عز السراح سراحها \* وتوزعت في كفسها ارامها  
 ومشى الضلال القهقري واستأصل الـاذان من رجع الاذان صلامها  
 وغدا يخـلـلها الخليل سواحبا \* هذا يمر لها العذاب غماها  
 غضب الدين الله حص جناحه \* بغيا وأدمى صمخته له دامها  
 فالآن رد النور فيـه نوره \* وانجاب من تلك الهنات ظلامها  
 محمود المحمود اقداما اذا \* خام السكاء وزلزلت اقدامها  
 الفارج الكرب العظام تضاجت \* اشداقها وافر القلوب ضغامها  
 وله من أخرى

أما لرعايا فانها رشفت \* لذيئ نعي عذابا آياها  
 سلكت نهج العدل القويم لها \* فاحدت دينها وديناها  
 وكم امنيت خوفا فامنها \* متالف الخوف خوفك الله  
 لله أقطارك التي قطرت \* لها منهاها الى منايها  
 أنب في أنب فوارسها \* تردى فتردى أولاك أخرها  
 أشجبت لهاة البرنس هبوتها \* وكم عتاعايا فاسجها  
 وجوسلين استساغ نطقها \* فاحتلب الذل تحت مغداها  
 رذته صفرا من كل ماملكت \* يدها أيد ماضل مسراها  
 جواس جاستك أوجه لارأت \* بوسا وجاد الحيا محياها  
 في سرية لوتكون فارسها \* يومئذ ما تبعثت أشقاها  
 لازال ظل النعماء عن ملك \* ما الشمس كفواله اذا باها  
 والله جازيه عن معبده \* أعزها الله مذبذولاها  
 محمود المعتلى الى فلك \* الحمد وثيراله ولاياها  
 أعطاكه جددك المتوج بالـجـد \* ونفس لله مغزها  
 نفس عزوف عن الخنا طبعته \* نزهها الله يوم سواها  
 أنت الذي سلم الانام له \* يميني طباق العلى ويسراها  
 وأنت مولى الملوك قاطبة \* من كل فنا خسرو وشاهنشاهها  
 والشعر هذا لا قول أحده \* أوه بديل من قولتي واها  
 وله من أخرى

يا ابن الذي لم يال في نجدها \* لسلام ادلاج وشمجيرا  
 تكبنف الشام وقد شام بر \* ق الخوف انجادا وتغويرا  
 وكف كلب الروم من بعدان \* انشبه نابا واطفورا  
 فاهله رفق ان انصفوا \* رقا بجذ السيف مسطورا  
 بديرهوى واستخلف الشمس في \* دستك اشراقا وتأنيرا

وله من أخرى

ملك كسى الاسلام من ذبه \* بردا بـدبـج الظني معلا  
 هين أصبح الشام به شامية \* يقطر من قتل عدياه ديا



## كتاب (٩٤) الروضتين

لؤلؤ يقم منصلتا دونه \* لم تلحق في أقطارها مسلما

وله منحه بعد مصالحة صاحب جاه واهتمامه بالعرس وعوده الى حلب

الدهر - مرارضة بالجو والباس \* مقسم بين اغراس واعراس  
فتح تعاقبه فتح ومطلب \* داني المنال وملك ثابت راسي  
نصر ابصرى وصنحاعن جملة لعد \* أحسنت للداء حسما أيها الآسي  
يا ابن الذي عنت الدنيا لدولته \* من فاطمي اعزته وعباسي  
وله فيه أيضا

غدا الدين باسمك سامي العلم \* أمين العماد مكين القدم  
لذلك لقبك نورا له \* وقد أغطش الظلم فيه الظلم  
أضأت بعد ذلك آفاقه \* وفضت عرى الدين لما ادهم  
ولم تمش رهوا لنصر الرها \* ومثلك أدرك لما عزم  
ويوم بسوطا بسطت الحما \* م على الهضب من ركنها فانهم  
وبصرى وصرخ - لولم تثر \* دراكا لكانا رديني ارم  
ومدفع جيشك في الغوطتين \* قص الصليب له ما نظم  
وفي كفر لانا وهاب حلا - عقد البرنس بيض خذم  
معودة اهلها لانس - الامممة - لقيم  
ويوم بسر فرد جزعتهم \* أجاأ أغصم واضطم  
وفوق العريضة غشاهم \* عرام جيوشك سبل العرم  
وأنت بكلهم في الكعبو \* لمباح الحريم مزال الحرم  
وبارتهم أدنت انها \* ابارتهم فليؤا بدم  
بنوها واعلوا ولم يعلموا \* بما خط في الموح منك القلم  
وانك خادم مأحكو \* هو من ديننا راقع ما انخرم  
فرفع من بعد خفض هدى \* وتخفض من بعد رفع صنم  
سمكت المدارس فوق النجو \* م فكم محيم تحتها قد نجم  
وعاش الخيف في والشافعي \* بما شئت منها وكنا رعم  
وان لم تكن هاشمي الا صو \* ل فانك فرع الهزير الهضم  
ومن يدعي في العلي ما ادعيست وأنت ابن من عز لما احتكم  
واقم ما غاب ميت سقت \* مغارسه عين هدى الشيم

قلت وقصائد ابن منير في مدح نور الدين كثيرة ونفسه فيها طويل ولم يبق بعد موت القيسراني وابن منير فخل من  
الشعر ايصاف مناقب نور الدين كما ينبغي الابن أسعد الموصلي وسيأتي شيء من شعره الى ان قدم العماد الكاتب  
الشام في سنة اثنتين وستين فتسلم هذا الامر وعبر عن أوصاف نور الدين ومناقبه وغزواته باحسن العبارات وأتمها  
نظما ونراوسيا في كل ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى قال ابن الاثير وفيها توفي صاحب ماردن حسام الدين  
تمرتاش ووليهما بعده نجم الدين البيهقي قمر تاش ارتقى قلت وقد مدحه القيسراني والعرقلة وغيرهما من الشعراء  
(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسائة) قال ابن الاثير ففهم ملك نور الدين دمشق وأخذها من صاحبها مجير  
الدين أنق بن محمد وكان الذي حمل نور الدين على الجند في ملكها ان الفرنج ملكوا في السنة الحشالية عسقلان وهي  
مدينة فلسطين حسنا وحصانة ولما كانوا يحصرونها كان نور الدين يتلطف ولا يقدر على ازعاجهم عنها لان دمشق  
في طريقه وليس له على غيرها معبر لا اعتراض بلاد الفرنج في الوسط وقوى الفرنج ملكها حتى طمعهوا في دمشق

## في اخبار (٩٥) الدولتين

واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على اعمالها اكثروا الفتك بها والنهب والسبي وزاد الامر بالمسلمين بها الى ان جعل الفرنج على أهل المدينة قطيعة كل سنة وكان رسولهم يحيى الى دمشق ويحييها من أهل البلد ثم اشتد البلاء على أهلها حين أرسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وأبناءهم الذين نهبوا من سائر بلاد النصرانية وخبروهم بين المقام عند مواليهم والعود الى أوطانهم فمن أحب المنعم تركوه ومن أحب وطنه سار اليه وزالت طاعة مجير الدين عن أهل البلد الى ان حصروه في القلعة مع انسان منهم كان يقال له مؤيد الدين ابن الصوفي فلما كانت الامور بها هكذا خاف أهلها وأشدت فقاموا من العدو فلجأوا الى الله تعالى ودعوه ان يكشف سايهم من الخوف فاستجاب لهم وأذن في خلاصهم مما هم فيه على يد أحب عباده اليه وأحسنهم طريقه وأملهم سيره وهو الملك العادل حقا نور الدين محمود فحسن له السعي في ملك البلدة وألقاه في روعه فلما خطر له ذلك أفكر فيه فعم له ان رام ملكه بالقوة والحصار تعذر عليه لان صاحبه متى رأى شيئا من ذلك راسل الفرنج واستعان بهم واستمالهم قلت وقد كان سبق له بذلك سوابق قد تقدم ذكر شيء منها ولذلك قال العرقلة يمدح أتباعه معين الدين أنزمن قصيدة

يظن صلاح الدين فرسان جلق \* كفر سانه ما الا سدمثل الثعالب  
رجال اذا قام الصايب تصلبت \* رماحهم في كل ماش وراكب  
غدا يطلع الشام الفرنج بفيلق \* معدود باطله للمصاب  
لها الليل تنقع والاسنة أنجم \* فما غير ابطال وغير جنائب

وصلاح الدين هذا المذكور ليس هو يوسف بن أيوب المشهور فان ذلك لم يكن حينئذ مل كايقودا الجيوش وانما هذا صلاح الدين محمد بن أيوب الباغبساني صاحب حماء أحد أصحاب زنكي وقد تقدم ذكر مرارا وكأنه كان في مقدمة الجيش النوري لما قصد دمشق في المرتين الاولى في اوفى احديهما اوفى زمن حصار زنكي لها والله أعلم قال ابن الاثير وكان أبغض الاشياء الى الفرنج ان يملك نور الدين دمشق لانه كان يأخذ حصونهم ومعاقلهم ويمسك له دمشق فكيف اذا أخذها وقوى بها وانضاف الى ذلك كراهيته لسفك دم المسلمين فان الدم كان عنده عظيما لما كان قد جبل عليه من الرأفة والرحمة والعدل فلما رأى الحال هكذا عمد الى اعمال الحيلة فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا وأظهر له المودة حتى وثق اليه ثم صار بكتابه في بعض الاوقات وبقوله له ان فلانا ويدكر بعض الامراء الذين لمجير الدين قد كاتبني في المخامرة عليك فاحذره فتارة يأخذ قطعاً أحدهم وتارة يقبض عليه فلما خلت دمشق من الامراء قدم أميراً كان عنده يسمى عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهـمـا شجاعا وفؤوس اليه أمر دولته وكان نور الدين لا يثق من دمشق معه فقبض عليه مجير الدين وقتله فقال له عند ذلك ان الحيلة قد تمت عليك فلا تقلني فانه سيظهر لك ما أقول فلم يصغ الى قوله وقتله قلت وفي بعض قصائد ابن منير ما يدل على ان عطاء هذا كان له مع نور الدين في دمشق حديث فانه قال

ودمشق في دمشق رجال سلم \* لخور نسائم منهم نساء  
هي الغردوس أصبح وهو عاف \* من العاك ومن خال خلاء  
جنان تعرف الجنات فيها \* ولا رأى هناك ولا رواء  
لا سمع صعبها ودنت قصاعها \* وامكنك اقتياد وامتطاء  
ويانعم العطاء عطاء رب \* توسطه فانشطه عطاء  
تغافل باسمه فالقال وعد \* يكون على ظبالك بد الوفاء  
هو السبب الذي شررت قواه \* وهذبه لخدمتك الصفاء  
وسيف ان تشمه تشم حساما \* وان يحمده فنار بل ذكاء  
جنته لك السعادة قطف رأى \* لنقب الخادعين به هناء

ويجوز انه لم يكن لعطاء في ذلك حديث وانما هذه الايات أو ما في معناها كانت سبب قتله لمبالغ مجير الدين ذلك وعطاء هذا هو الذي ينسب اليه مسجد عطاء خارج الباب الشرقي بدمشق وجورة عطاء بيت أبيات وهي أرض فيها أشباب

## كتاب (٩٦) الروضتين

كبار من الخوارج تروى أوتار الجامع دمشق وهي وقف عليه وقد مدحه العرقلة وغيره من الشعراء قال ابن الأثير فلما قتل عطاء قوى طمع نور الدين في دمشق فراسل أحداث البلد وناظرته واستمالهم فأجابوه إلى تسليم البلد فصار اليهم نحو حصرهم عشرة أيام فكتب بجير الدين الفرج وبذل لهم الأموال وقلعة بعلبك أن رحلوا نور الدين عنه فأتوا أن جمعوا وجاءوا بلغهم أخذ نور الدين دمشق فعادوا بخفي حنين وأما نور الدين فإنه لما حصرهم وضيق عليهم ثار الأحداث الذين كاتبهم نور الدين وسلموا إليه البلد من الباب الشرقي فدخله بالآمان عاشر صفر وحصر بجير الدين في القلعة ورأسه وبذل له الاقطاع الكثير من جملة مدينة حصص فأجاب إلى تسليم القلعة وصار إلى حصص وقال ابن أبي طي أنفذ نور الدين أسد الدين شيركوه رسولا إلى صاحب دمشق فخرج في تمهيد عظيم ومعه ألف فارس فعظم على بجير الدين ذلك وقال ما هذه رسالة هذه مكيدة ولم يتجاسر على الخروج إلى لقائه ولا أحد من أمراء دمشق فاستوحش أسد الدين ونزل بمرج القصب وأغلظ لصاحب دمشق في المقاتلة وأنفذ إلى نور الدين يعرفه بما جرى عليه فسار نور الدين في عساكره وزحف إلى البلد من شرقه وكانت الحرب في عاشر صفر وتولى أسد الدين القتال وأبلى الجهد فكسر عساكر دمشق إلى الأسوار من قبلي البلد ولم يكن أحد من المقاتلة على السور من ذلك الجانب لأن نور الدين كان من شرقها وجل العسكر مقابله ورأى من كان مع نور الدين من الجاندارية والخليبيين إلى خلو السور من المقاتلة فتسرعوا إلى السور وتعلقوا به وحصلوا في الحال على الأسوار ويقال أن أمراء كانت على السور فدلّت جبلا فصعدوا فيه وصاروا على السور جماعة ونصبوا السلام وصعد جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين فوقع على أهل البلد الحشد لأن وكسر باب البلد ودخلت الخيالة منه وملك نور الدين دمشق وكان لأسد الدين اليد الطولى في فتحها فولاه نور الدين أمرها ورذ إليه جميع أحوالها وفي هذا السنة أقطعهم نور الدين الرحبة وقال الرئيس أبو يعلى في العشر الثاني من المحرم وصل الأمير أسد الدين شيركوه رسولا من نور الدين إلى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرح في عسكر يناهز الألف فأنكر ذلك ووقع الاستخوان منه واهمال الخروج إليه لتلقيه والاختلاط به وتحررت المراسلات فيما اقتضته الحال ولم تسفر عن سداد ولا نيل مراد وغلاسر القوات لا نقطاع الواصلين بالغللات ووصل نور الدين في عسكره إلى شيركوه ثالث صفر وخيم بعيون الفاسر يا عند دومة ورحل في الغد ونزل بيت الأبار من الغوطة وزحف إلى البلد من شرقه وزحف إليه من عسكره وأحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين إلى مكانه ثم زحف يوما بعد يوم وتأكدا الزحف يوم الأحد عاشر صفر وظهر إليه العسكر الدمشقي فاندفع بين أيديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدباغة من قبلي البلد وليس على السور أحد من العسكرة والبلدية لسوء تدبير صاحب الأمر غير نفر يسير لا يؤبه لهم ففسر بعض الرجال إلى السور وعليه أمر أئمة يودية فأرسلت إليه جبلا فصعد فيه وحصل على السور ولم يشعر به أحد وتبعه من تبعه وظعوا على ما نصبوه على السور وصاحوا بنور الدين يا منصور وامتنع الجناد والرعية من الممانعة لما هم عليه من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطاعي الخشب بدأسه إلى الباب الشرقي فكسر أغلاقه وفتح فدخل منه العسكر وسعوا في الطرفات ولم يقف أحد بين أيديهم وفتح باب توما أيضا ودخل الناس منه ثم دخل نور الدين وخواصه وسر كافة الناس من الجناد والعسكرة لما هم عليه من الجوع وغلاء الأسعار والخوف من منزلة الفرج الكفار وكان مجبر الدين لما أحس بالغلبة والقهرة تدانهم في خواصه إلى القلعة وأنفذ إليه فأومن على نفسه وماله وخرج إلى نور الدين فطيب نفسه ووعد الجليل ودخل نور الدين القلعة في اليوم المتقدم ذكره وأمر بالمناداة بالآمان للرعية والمنع من انتهاب شيء من دوزهم وتسرع قوم من الرعايا والواباش إلى سوق على وغيره فعاثروا نهبوا وأنفذ نور الدين إلى أهل البلد بما طيب نفوسهم وأزال نفرتهم وأخرج بجير الدين ما كان له في دوره بالقلعة والخزائن من المال والآلات والآلات على كثرة إلى الدار الأباكية دار جدّه وأقام أياما ثم تقدم إليه بالمسير إلى حصص في خواصه ومن أراد الكون معه من أسبابه وأتباعه بعد أن كتب له المنشور باقطاعه عدة ضياع بأعمال حصص برسمه ورسم جنده وتوجه إلى حصص على القضية المتزرة ثم أحضر نور الدين غد ذلك اليوم أمثال الرعية من القضاة والفقهاء والتجار وخطبوا بما زاد في آيائهم وسرور نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح أحوالهم فأكثروا الدعاء له والثناء عليه والشكر لله تعالى على ما أصرهم إليه ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل وضمن الانهار وأنشأ

## في اخبار (٩٧) الدولتين

وأنشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال وأعلن الناس برفع الدعاء الى الله تعالى بدوام أيامه ونصرة أعلامه وقال ابن الأثير لما استقل نور الدين في البلد عمل مع أهله مكرمة عظيمة وأظهر فيهم عدلا عاما قلت قد تقدم ذكره في أول الكتاب وسيأتى منه أشياء مفترقة فيما بعد قال وألقى الاسلام جراحه بدمشق وثبتت أوتاده وأيقن الكفار بالبوار وهنوا واستكانوا وصار جميع ما بالشام من البلاد الاسلامية بيد نور الدين وأما مجير الدين فانه أقام بحمص وأرسل أهل دمشق في اثارة الفتنة فاتهى الأمر الى نور الدين فخاف ان يحدث ما يشق تلافيه بل ربما تعذر لاسيما مع مجاورة الافرنج فأخذ حصن من مجير الدين وعوضه عنها مدينة بالس فلم يرضها وسار عن الشام الى العراق فأقام ببغداد وابتنى دارا تجاور المدرسة النظامية وتوفي بها قال ولما ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج وعلموا انه لا يقعد عنهم وعن غزو بلادهم والمبادرة الى قتالهم فراسلوا كل كند وقص وتقرؤا اليه ثم ان من بتل باشر راسلوه بذلوله تسليمه اليه فأرسل الى الأمير حسان المنجي وهو من أكابر أمراء نور الدين واقطاعه منبج فأمره ان يتسلها منهم فسار اليها وتسلمها وحرصها ورغع اليها ذخائر كثيرة

﴿فصل﴾ قال الرئيس أبو يعلى وقد كان مجاهد الدين بز أن أطلق يوم الفتح من الاعتقال وأعيد الى داره ووصل الرئيس مؤيد الدين المسيب الى دمشق مع ولده النائب عنه في صرخد الى داره معولا على زومها وترك التفرغ لشئ من التصرفات والاعمال فبدا منه من الاسباب المعربة عن اضمحار الفساد والعدول الى خلاف منهاج السداد والرشاد ما كان داعيا الى فساد النية فيه وكان في احدي رجليه فتح قد طال به ونسيه ثم لحقه مرض وانطلق متداركاً أفرط عليه وأسقط قوته مع فهاق متصل وقلاع في فيه زائد فقضى نحيبه في رابع ربيع الاول ودفن في داره واستبشر الناس بهلاكه والراحة من سوء أفعاله قال ووردت الاخبار بقتل خليفة مصر الملقب بالظافر بن الحافظ وأقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير يناهز ثلاث سنين ولقبوه بالفائز وعباس الوزير ثم ورد الخبر بان الأمير فارس الدين طلائع بن رزيك وهو من أكابر الامراء المتقدمين الشجعان المذكورين لما انتهى اليه الخبر وهو غائب عن مصر قلق لذلك وامتنع وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلما عرف عباس بما جمع خاف الغلبة فتأهب للهرب في خواصه وأسبابه وحرمه وما تهرأ من ماله وسار معداً فلما قرب من أعمال عسقلان وغزة خرج اليه جماعة من خيالة الافرنج فاغتر بكثرة من معه وقلة من قصده فلما جاولوا عليه فشل أصحابه وأعانوا عليه وانهمز أقيم هزيمة هو وابنه الصغير وأسر ابنه الكبير الذي قتل العادل بن السلار مع ولده وحرمه وماله وكراعته وحصنوا في أيدي الفرنج ومن هرب لقي من الجوع والعطش شدة ومات العدد الكثير من الناس والدواب ووصل في أثرهم فارس الدين فوضع السيف فيمن ظفر به من أصحاب عباس وانتصب في الوزارة وتدير الأمور موضعه ووصل الى دمشق منهم من الجأه الهرب على أشنع صفة من العدم والعري في آخر ربيع الآخر قلت وفي ذلك يقول عمارة اليتي من قصيدته

لكم يا بني رزيك لا زال ظلكم \* مواطن سحب الموت فيها مواطن

سلتم على عباس بيض صوارم \* قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الأمير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ان نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر أبوه عباس كان نصر يعاشر الخليفة الظافر ويخالطه وعباس كاره لذلك مستوحش من ابنه لعلمه بمذهب القوم وضرب بعض الناس ببعض حتى يفتنهم وشرع الظافر مع ابن عباس في جملة على أبيه ومواصلته بالعطايا الكثيرة ففتحت في ذلك فنيته فأطلع والده على الأمر فاستماله أبوه وأطاف به وقترمه قتل الظافر وكان يخرجان متكررين وهما ترابان سبهما واحد فدعاها الى داره ورتب من أصحابه معه في جانب الدار فرائم لما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه وذلك سلخ محرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ورموه بجيب الدار وأصبح عباس جاء الى القصر ضحوة تنهار للسلام وجلس في مجلس الوزارة ينتظر جلوس الظافر فلما تجاوز وقت جلوسه استدعى صاحب زمام القصر وقال مالولانا ما جلس للسلام فقبلد الاستاذ في الجواب فصاح عليه وقال مالك لا تتجاوز بني قال يا مولاي مولانا ما ندرى أين هو قال مثل مولانا بضيع ارجع واكشف الحال فضى ورجع فقال ما وجدنا مولانا فاقال يبي الناس بلا خليفة ادخل الى الموالى اخوته يخرج منهم واحد لنبايعه فضى وعاد وقال الموالى يقولون لك ما لنا في الأمر شئ والدنا غزله عنا وجعله في الظافر والامى لولده بعده قال أخرجه

## كتاب (٩٨) الروضتين

حتى نبأ به وعباس قد قتل الظافر وعزم على ان يقول لاختوته أنتم قتلتموه وبقيت لهم فخرج ولد الظافر ولعل عمره خمس سنين يجمله الاستاذ فأخذ عباس حمله وبكى وبكى الناس ثم دخل به الى مجلس أبيه وهو حامله وفيه أولاد الحافظ قال ابن منقذ ونحن في الرواق جلوس وفي القصر أكثر من ألف رجل من المصريين فارعنا الاقوم قد خر جوامن المجلس مجتمعين الى القاعة فاذا السيوف تختلف على انسان فقلت لغلام لي ارمني انظر من هذا المقتول ففضي وعاد وقال ماهؤلاء مسلمين هذا مولاي أبو الامانة جبريل بن الحافظ قد قتلوه ثم ان واحد اشق بطنه يجذب مصارينه ثم خرج عباس وهو أخذ برأس الامير يوسف تحت ابطنه وفي رأسه ضربة سيف والدم ينفور منها وأبو البقاء ابن أخيهم مع ابنه نصر ثم ادخلوها خزانة في الفسرة فقتلوه بها وفي الخزانة ألف سيف مجترد قال وكان ذلك اليوم من أشد الايام التي جرت على لاني رأيت من الفساد والبنغي ما ينكره الله سبحانه وجميع خلقه وذكر الامير أسامة بن منقذ في ديوانه قال كان لعباس أربع مائة رجل يحمل أثقاله ومائتا بغل ومائتا جندي فلما أراد الخروج من مصر يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمس مائة وقد فام عليه أهل مصر وعسكر يتهافتون بهم وراجلهم تقدم بشد تخيله وبغاله وجماله ليتجمل ويخرج فلما صار الجميع على باب داره وقد ملأ ذلك الفضاء الى قصر السلطان الى الايوان خرج غلام يقال له عزير كان على أشغالهم وعلمانه كلهم تحت يده فقال للجماين والخر بسندية والركابية روحوا الى بيوتكم وسيبوا الدواب ففعلوا ذلك وانحاز هو الى المصريين يقاتلهم معهم وكان ماجرى من تمهيك الدواب لطفاً من الله تعالى به فانها سدت الطريق بينه وبين المصريين ومنعتهم من الوصول اليه وهم في خلق كثير ونحن في قلة ما نبلغ خمسين رجلاً وغلمان عباس ومما يذكرون في ألف ومائتي غلام بالخيول الجياد والسلاح التمام ومائتا فارس من الاتراك خرجوا كلهم من باب النصر ووقفوا في الفضاء الذي بينه وبين رأس الطابية فراراً من القتال فشرع المصريون في نهب الخيل والجمال والبغال فلما فتحوا طريقهم اليه خرج عباس من باب النصر وجاءوا في أثره حتى أقبلوا الباب وعادوا الى نهب دورده وكان عباس قد أحضر من العرب نحو من ثلاثة آلاف فارس يتقوى بهم على المصريين واستخلفهم ووجههم هبات عظيمة فلما خرج من باب مصر غدر وابه وفاتلوه أشد قتال ستة ايام بقا تلهم من الفجر الى الليل فاذا نزل أمهله الى نصف الليل ثم يركبون ويهدون خيلهم على جانب الناس ويصيحون صيحة واحدة فتجفل الخيل وتقطع ويخرج اليهم منها ما فيه منعة وقوة فيأخذونه فكان ذلك سبب هلاك خيله وتمكن الافرنج منه واشتغاله عن سلوك طريق لا يقصده الافرنج اليه قال ودامت الحرب بينه وبينهم من يوم الجمعة ضحى نهار الى آخر يوم الخميس ثم جاؤا اليه وأخذوا منه حسباً على أموالهم وأنفسهم ويوتهم ظناً منهم ان له عودة اليهم وانصر فواعنه وهم أكثر من ثلاثة آلاف فارس ويوم الاحد صيحتهم الافرنج وتم هلاك الناس من الجوع والعطش وماتت خيلهم فقتلوا ابنه الاوسط وأسر وابنه الاكبر وقتلوا خلقاً كثيراً وأخذوا نساء عباس وخزائنه وأسروا أولاد الصغار وأنصرفوا قتل عباس هذا هو عباس بن أبي الفتوح بن تميم بن المعز باديس الجيरी ويلقب بالافضل ركن الدين ويكنى بأبي الفضل ورأيت علامته في الكتب أيام وزارته الحمد لله وبه أثق وفيه يقول أسامة بن منقذ

لقد عم جود الافضل السيد الوري \* وأغنى غناء الغيث حيث يصوب

ومن أبيات لابن أبي أسعد فيه لما قتل الظافر

وأنفق من انعامهم في هلاكهم \* وأظهر ما قد كان عنه تنافق

ومنذ بدأ قد طرولوها اليهم \* وحلت بأهل القصر منه البوائق

سقى ربه كاس المنيا وما انقضى \* له الشهر الا وهو لكأس ذائق

وكان عباس قد تخيل من أسامة عند خروجه من مصر لما يعلمه بينه وبين الملك الصالح من المودة والمصافاة فاحضره واستخلفه انه لا ينفصل عنه ثم لم يقنع بذلك حتى أنفذ من أسناده داره من يدخل على حرمه الى داره فأخذ أهله وأولاده فتركهم عند أهله وأولاده وقال قد جلت ثقلهم عنك لهم أسوة بالوادة ناصر الدين يعني ولده ناصر الدين وباخواته فلما خرجوا ونهبت دورهم ودوابهم عجز عن حمل من يخصه فاعادهم أسامة من بلبس وانفذ الى الملك الصالح يقول له قد انذرت أهلي وأولادي اليك وأنت ولي ما تراه فيهم فأنزلهم في دار وأجرى عليهم الجارى الواسع

## في أخبار (٩٩) الدولتين

وأحسن اليهم غاية الاحسان وكان يكاتبه في الرجوع الى مصر وهو لم يطف الاصر معه قصدا لخلاص أهله وأولاده فلما عرف ذلك منه نسبته الى وحشة قلبه من القصور ونفوره من المصريين فأنفذ اليه يقول له تصل الى مكة في الموسم ويلقك رسولى اليها يسلم اليك مدينة أسوان وانفذ اليك أهلاك وأمدك بالاموال وهى كما علمت: الثغر بيننا وبين السودان وما يستذل ذلك الثغر مثلك وأكثرت من الوعد وذكر رغبة في قربه ورعايته وما يريته وبينه من قديم الصحبة فاستأذن أسامة في ذلك الملك العادل نور الدين وكان في خدمته فقال يا فلان ما تساوى الحماية الشتات والرجوع الى الاخطار والبعد عن الاوطان ومنعه من ذلك باحسانه ووعدته ان يستخلص أهله فكتب أسامة الى الملك الصالح يعتذر ويسأله تسيير أهله وترددت بينهما مكاتبات واشعار متصلات الى ان سيرهم وهم نيف وخسون نسمة في الاكرام والاحترام الى آخر ولايته وذكر ان أهل القصور والامراء أنكروا تسييرهم وقالوا ان يكون أهلهم رهائن عندنا لمن ما يكون منه ووصله بعض أصحابه من دمشق وهو في العسكر النورى بحلب فأخبره ان من كان له بمصر من الأهل والاولاد والاصحاب وصلوا وان المرأى انكسرت بهم في ساحل عكا ونهب الفرنج كل ما فيه ولم يصلوا الى دمشق الا بأنفسهم وان ممتلك الافرنج أعطاهم خمسمائة ديناراً صلحوا منها حالهم وأكثروا ظهروا الى دمشق قال أسامة

الى الله أشكو فرقة دميت لها \* جفوني واذكت بالهموم ضميري

تمادت الى ان لاذت النفس بالمتى \* وطارت بها الاشواق كل مطير

فلما قضى الله اللقاء تعـرضت \* مساء دهرى في طريق سرورى

**(فصل)** قال أبو يعلى وفي آخر ربيع الاول وصل الامير محمد الدين أبو بكر محمد نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عودته من الحج وأقام أياماً وعاد الى منصبه في حلب وتدير اعمالها قلت محمد الدين هذا هو ابن الداية وكان نور الدين كثير الاعتماد عليه وعلى اخوته وسيتذكر ذكرهم في هذا الكتاب ومحمد الدين أكبر اخوته وقد مدحه الشعراء قال القيسراني من بعض ما قاله فيه

دعوا امامضى من قبل هذا المابعد \* فاقسم لولا المجد ما عرف المجد

كريم سميت أوصافه لعفاته \* ترى ان كل اثنين بينهما عقد

محياه والبشرى ويمناه والندى \* ونجواه والدنيا وتقواه والزهد

ففي قسره الزلنى وفي وعده الغنى \* وفي نياله الحسنى وفي رأيه الرشده

اذا وجهه نور الدين قابل مجده \* فقل في كمال البدر قابله السعد

وفي موسم هذه السنة توفي أمير الحرمين هاشم بن فليته وولى الحرمين ابنه قاسم بن هاشم وهو الذى أرسل عمارة الجنى الفقيه الشاعر الى الديار المصرية وسبأى ذكره قال أبو يعلى وفي ثامن جمادى الاولى ورد الخبر من ناحية مصر أن عدّة وافرة من مرأى الكفرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلة من أهلها فوجهت عليها وقتلت وأسرت وسبت ونهبت وعادت بالغنائم بعد ثلاثة أيام وتركها صفرًا وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ومن سلم واختفى وضاعت الصدور عند استماع هذا الخبر المكروه قال وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين أبى منصور محمد بن عبد الصمد بن الطرسوسى وكان ذاهمة ماضية ويقظة ومروءة ظاهرة فى داره وولده ومن يلعبه من غريب ووافد وقد نفذ أمره وتصرّفه فى اعمال حلب فى الايام النورية وأثر فى الوقوف أثر احسننا توفر به ارتفاعها ثم اعتزل عن ذلك أجد اعتزال

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة) ففيها تسلم نور الدين بعلبك من واليهاضكاً ذكر ابن الاثير ان ذلك كان فى سنة اثنتين وخمسين وقال كان ضحك البقاعى ينوب بعلبك عن صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحك بها ولم يكن نور الدين محاصرتها القربة من الفرنج فلطف الحال معه الى ذلك الوقت فلكها واستولى عليها وقال ابن أبي طى لما فتح نور الدين دمشق اتصل ذلك بنجم الدين أبوب فكتب نور الدين فى تسليم بعلبك فأنفذ اليه وتسلمها منه وألحقه بأصحابه قال ورأيت بعض المؤرخين قد ذكر ان مجير الدين صاحب دمشق أنزل بنجم الدين من القلعة وجعله فى البلد وولى القلعة رجلاً يقال له ضحكاً فلما ملك نور الدين دمشق خرج الى بعلبك واستنزل منها ضحكاً

## كتاب (١٠٠) الروضتين

وتوسط أسد الدين في أمر أخيه نجم الدين مع نور الدين فأقطعه أقطاعا وسيره الى دمشق فاقام فيها وردنظر دمشق اليه وولى ولده تورانشاه شحنة دمشق فساسها أحسن سياسة ولم يزل بها الى ان توفي فولى صلاح الدين شحنة دمشق قلت هذا وهم تورانشاه هو الملك المعظم ثمس الدولة الذي فتح اليمن في أيام أخيه صلاح الدين فكيف يقول انه مات قبل ان يلي صلاح الدين شحنة دمشق وأما كونه ولي الشحنة بدمشق قبل صلاح الدين فهذا قريب وقد رأيت ما يؤكده قرأت في ديوان العرقلة وقال يهنييه بالشحنة بدمشق وهو في دار عمه أسد الدين شيركوه بن شاذي قلب الحساد لذيد وافي الحسد \* قدسكن الدار وقد حاز البلد لا تعجبوا ان حل دار عمه \* اما تحل الشمس في برج الاسد وقال في صلاح الدين لما ولي الشحنة

لصوص الشام توبوا من ذنوب \* تكفرها العقوبة والصفاد  
اثن كان الفساد لكم صلاحا \* فولاى الصلاح لكم فساد  
وله فيه أيضا

رويدكم بالصوص الشام انى لكم ناصح في مقالى  
واياكم وسمى النبي يوسف رب الخبي والجمال  
فذلكم قطع أيدي النساء وهذا مقطع أيدي الرجال

قال ابن أبي طي وولى صلاح الدين شحنة دمشق والديوان فاقام فيه أياما ثم تركه وصار الى حلب لاجل واقعة جرت بينه وبين صاحب الديوان أبي سالم همام فافذ نور الدين وأخذ ابن همام وحلق لحيته وطيف به في دمشق قلت وابن همام هذا هو الذي ذكره الشباصي في قصيدته وأشار الى حلق لحيته بقوله

كأني سالم بن همام لما \* قام للنصح عادي مشي ملثم

ثم قال ابن أبي طي واستنخص نور الدين صلاح الدين وألحقه بخواصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نورا الدين يحب لعب الكرة قال أبو يعلى ونزل نور الدين بعسكره بالاعمال المختصة بالملك فليج أرسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قيلمش ملك قونية وما والاها فلاك عدته من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك فليج أرسلان وأخوة ذرالنون ودولات مشغولين بمحاربة أولاد الدانشمند ونصروا عليهم في وقعة كانت باقصرافي شعبان فلما عاد فليج أرسلان وعرف ما كان من نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبدعهم مع ما بينهما من الموادعة والمهادنة والصهر وراسله بالكتابة والانكار والوعيد والتهديد فاجابه نور الدين بحسن الاعتذار وجعل المقال وبقى الامر بينهما مستمرا على هذه الحال وعاد نور الدين من حلب الى دمشق قال وولى الاسطول المصري مقدم شديد البأس بصير بأشغال البحر فاختر جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج وألبسهم ثيابهم ونهض بهم في عدة من المراكب الاسطولية وأقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم وتعرف أحوالها ثم قصد ميناء صور وقد ذكر له ان فيه مخبورة رومية كبيرة فيها رجال كثير ومال وافره فجمع عليها وملكها وقتل من فيها واستولى على ما حوته وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها وعاد عنها في البحر فظفر بمراكب حجاج الفرنج فقتل وأسروا نهب وعاد مصر بالغنائم والأسرى قلت وفي هذه السنة ورد أمر الخليفة ببغداد وهو المقتفي الى أمير الحرمين فاسم بن هاشم بأمره ان يركب على باب الكعبة المكرمة باب ساج جديدا قد ألبس جميع خشبه فضة وطل يذهب وان يأخذ أمير الحرمين حلية الباب القديم لنفسه ويسر اليه خشب الباب القديم مجزدا ليحعله تابوتا يدفن فيه عند موته وذكر ذلك الفقيه عمارة الشاعر وقال سألت أمير الحرمين ان يسع له الفضة التي أخذها من الباب في اليمن ومبلغ وزنها خمسة عشر ألف درهم فتوجهت الى زيد وعدت من مكة في صفر سنة احدى وخمسين وحجبت في الموسم منها فدفع لأمير الحرمين ماله والزمني الترسل عنه الى مصر يعني

مرة ثانية بسبب جنانية جناها خدمه على حاج مصر والشام

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة \* قال ابن الاثير فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي

## في أخبار \* (١٠١) \* الدولتين

حلب بالقرب من انطاكية وضيق على أهلها وهي من أمتع الحصون وأحصنها في نخور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وسار وانحوه لمعه وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رأيه فأرسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاوله وترك اللقاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم وأخذ حارم وغيرها وان حفظتم أنفسكم منه أطلقنا الامتناع عليه فنعلموا ما أشار به عليهم وراسوا لنور الدين في الصلح على ان يعطوه حصه من حارم فأبى أن يجيبهم الا على مناصفة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعادوا في ذلك يقول بعض الشعراء من قصيدة وذكر أبا تان من قصيدة لابن منير وقد سبق ان ابن منير توفي سنة ثمان وأربعين فاما ان يكون ابن منير قال هدا الشعر في غير هذه الغزاة واما ان تكون هذه الغزاة في غير هذه السنة وقد قرأت في ديوان ابن منير وقال يمدحه ويمنيه بالعود من غزاة حارم

ما فوق شأؤك في العلى مر داد \* فعلام يقلق عزمك الاجهاد  
هم ضربن على السماء سرادقا \* فالشهب اطناب لها وعماد  
آت الذي خطبت له حساده \* والفضل ما اعترفت به الحساد  
قام الدليل وسلم الخصم اليك \* ودانجلي للآثر الاسناد  
زهرت لدولتك البلاد فروحها \* ارج المهب ودوحها مباد  
أحبار بيع العدل ميت ربوعها \* فالبرض نجم والهشيم مراد  
فالعش الا في جنايك ميتة \* والنوم الا في جاك سهاد  
واذا تعدى زرعوا النفاق واحصدوا \* كيدا فزعمك ناقض حصاد  
بالمقربات كأن فوق متمونها \* جن الملا وكأنها أطواد  
تدائى ومن وحى الحكمة صفورها \* فالزجر قيد والندى قياد  
سحب اذا سحبت أرض ذيلها \* فالخزن سهل والهضاب وهاد  
يهدى النواظر في دجنة تقعها \* بدر بسر جك نير وقاد  
ألبيت دين محمد يانوره \* عزرا له فوق السها إساءد  
مازلت تسمي كنهه بمباد القنا \* حتى تنقف عوده المياد  
لم يبق مذكأرهفت عزمك دونه \* عدد يراع به ولا استعداد  
ان المنابر لو تطبق تكلمنا \* جمدك عن خطبائها الاعواد  
ولئن جت منك الاعادى مهلة \* فلهم الى المرحى الوبي معاد  
ولكم لكم في أرضهم من مشهد \* قامت به لظباكم الاسهاد  
ملق باطراف الفرنجة كل كلا \* طرفاه ضرب صادق وجلاذ  
حاموا فلما عاينوا حوض الردى \* حاموا برائش كيدهم أو كادوا  
ورجا البرنس رغد تبرنس ذلة \* حرما بحارم والمصاد مصاد  
ضجت ثعاله فأخرس جرسها \* بيض تناسب في الحديد حداد  
وسواء دضربت بهم وبالقنا \* من دون ملة أحمد الاسداد  
يركزن في حلب ومن افنانها \* تحنى فواكه أمتها بغداد  
يامن اذا عصفت زعازع بأسه \* نجت جحيم الشرك فهو رماد  
بحب القوم حاولوك وحاولوا \* عودا فواتاهم اليه مراد  
ورأوا الواء النصر فوقك خافقا \* فأقام منهم في الضلوع فؤاد  
من منكر ان ينسف السيل الربا \* وأبوه ذاك العارض المداد  
أوان يعيد الشمس كاسفة السنا \* نار لها ذاك الشهاب زناد



لا ينفع الآباء ما سلكوا من السبل عليا حتى ترفع الأولاد  
ملك يقيده خوفا ورجاؤه \* ولقبا تتظافر الاضداد  
وقال يهنيه بالنصر يوم حارم قصيدة أولها (ملكك ما تشاء من الدوام) يقول فيها  
حظيت من المعالي بالمعاني \* ولاذ الناس بعدك بالاسامي  
عزير المنتمى عالي المراقى \* بعيد المرتقى غالي المسامى  
فما أحد الى العلياء بدلى \* بمحدثك القسبي التسمي  
أبوك المعتلى قيم الاعادى \* اذا استعرت مدامرة القمام  
زكاعرق العراق وقد تسكنى \* به وأطال من شمم الشام  
وجدك جدت حتى قال قوم \* على الفلك أبتنى عمدا الخيام  
نشرت ففت آباء عظاما \* اذا فخر المنافر بالعظام  
وقفنا والنواظر مسجيات \* وروح العزذاري الختام  
أساطر كالزبور مفصلات \* كأننا من صلاة في نظام  
لدى ملك سجايه سجال \* تعاقب بين عفو وانتقام  
كريم أكرت يده أبادى السعفة \* وقلات عدد الكرام  
فأهلنا السالف حتى هلال \* وكفرنا الضاحكى حسام  
ذهلنا والسماط تخال سمطا \* وقد سجد المقاول للسلام  
هل الدست استقل بليث غاب \* أم الفلك ارتدى بدر النمام  
يطرب به الى العلياء نفس \* غروب عن ملاءمة الملام  
وخير سماعه ضرب مدام \* اذا طرب المسلك الى المدام  
سقى الله العوامل من جبال \* سعفن النفع عن تقع الاوام  
فكم انتجت من أمل عقيم \* بها وحسمت من داء عقم  
بآب والرجال كأن ثولا \* تطاوح تحت عير من ايام  
مقام كنت قطب زحاه أرجى \* مقام بين زمزم والمقام  
رهيتهم بارعن مرجح \* ابارهم وكنت أبر رام  
وقت وقد تناعس كل راع \* وقام وقد تناعس كل حام  
فايدى الخيل تذر بحرج \* من الدم من يد التخين طام  
أحلت الدين فيه وكان هما \* عزير القوم معتدل القوام  
وفي شجر اطارم شاجرهم \* سواهم كالسهم بكالسهام  
فلو قد مثل الاسلام شخصا \* لرشف ما وطئت من السلام  
فا كذب مذعين هفوا وغروا \* بان الارض تخلو من همام  
أولى الابصاركم هذا التعاشى \* عن النور المبين بل التعامى  
عن القمر الذى يجلوه ظل السواصم في ضيا الليل التهامى  
هو المهدى لامن ضل فيه \* كثير واستخف سوى هشام  
وقائم عصرنا لامايمنى \* به من صوغ أضغاث المنام  
بنور الدين أنشركل حق \* أطيل ثواؤه تحت الرجام  
وطالت قبة الاسلام حتى اسستوت بين الفوارس والنعام

## في اخبار (١٠٣) الدولتين

تطابق لاسمه لفظ ومعنى \* أحلاه الطباقي على الانام  
جري قدامه ابن سبكتين \* وقبل الويل هيغرة الزهراء  
وكان من النجوم بحيث توى \* اليه من عنابات التكالي  
وجئت فصار أشمخ ما بناه \* لما شيدت الطامن رغام  
أطاعك إذ أظعت الله جد \* ركبت به الزمان بلا زمام  
ألا ياربما اتفق الاسامي \* وفاضل بينها درج التسامي  
جنى شرفا من استغواه حتف \* اليك وكم حياة من حمام  
ترشفك الحكمة وأنت موت \* كأنك من طعان في طعام

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في الرابع والعشرين من صفر عند انتهاء خبر الفرنج اليه بعينهم في أعمال حلب وفسادهم وعمادة في طريقه المبشر بنظفر عسكره الحلبي بالافرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم وأسرهم ووصل مع المبشر عدة وافرة من رؤس الافرنج المذكورين وطيف بها في دمشق قال وعاد نور الدين الى دمشق في بعض أيام رمضان سالما بعد تهذيب حلب واعمالها وتنفذ أحوالها واستقرت الماردعة بينه وبين ولد السلطان مسعود صاحب قونية وزال ما كان حدث بينهما وفي شوال تقررت الماردعة والمهادنة بينه وبين ملك الافرنج مدة سنة كاملة أولها سبعان وان المقاطعة المحولة اليهم من دمشق ثمانية ألف دينار صورية وكتبت الموصفة بذلك بعد تأكيدها بالايمان والمواثيق المشددة قال وفي العشر الاخر من ذي الحجة غدر الفرنج ونقضوا ما كان استقر من الماردعة والمهادنة بحكم وصول عدة وكفرة من الفرنج في البحر وقوة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الشعواء المجاورة لانياس وقد اجتمع فيهم ان خيول العسكرة والرعية وعوامل فلاحي الضياع ومواشي الحلبيين والعرب والفلاحين الشيء الكثير الذي لا يحصى في ذلك الحاحاجة الى الرعي بها والساكنون الى الهدنة المستقرة ووقع للندوبين بحفظها تقصير فانتهزوا الفرصة واستاقوا جميع ما وجدوه وأفقروا أهلهم منه مع أسرهم من تركمان وغيرهم وعادوا غانمين ظافرين آمنين والله عادل في حكمه يتولى المكافأة لهم والادالة منهم وقد فعل سبحانه ذلك على ماسيأتى في حوادث السنة الآتية وفيها توفي القاضي أبو الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس كاتب الانشاء بالحضرة المصرية وأصله من دمياط ذكره النعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه ومن شعره في رجل كان يكثر التكبير في آخر الصلاة

وفاترا زينة عنينها \* مع كثرة الرعدة والهمزة  
مكبر سبعين في مرة \* كأنه صلى على حمزة  
وله في وصف كتاب

مداده في الطرس لما بدا \* قبله الصب ومن يزهد  
كأنما قد حل فيه اللما \* أوزاب فيه الحجر الاسود

وبلغنى ان القاضي الفاضل كان يعظمه كثير او يسميه ذال بلاغتين وهو أحد من اشتغل الفاضل عليه وكان لا يتمكن من اقتباس فوائده غالب الا في ركوبه من القصر الى منزله بمصر ومن منزله الى القصر فيساره الفاضل ويجاريه في فنون الكتابة والآداب والشعر قال وفيها في يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الاول من هذه السنة توفي الفقيه الزاهد أبو البيان بن أبي محمد المعروف بابن الحوراني وكان حسن الطريقة مذنشأ صبيا الى ان قضى متدينا تقيا عفيفا سحيا محبا للعلم والآداب والمطالعة للغة العرب وكان له عند خروج سريره لقبه في مقابر الباب الصغير المجاورة لقيور الصحابة من الشهداء رضى الله عنهم يوم مشهود من كثرة المتأسفين له والمنين عليه قلت وفي هذه السنة والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام قال أبو يعلى في ليلة الثاني والعشرين من ربيع الاول وافت زلزلة هائلة وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن بحيث أحصيت ست مرات وفي ليلة الخامس والعشرين منه جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في أول النهار وآخره وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماء بانهدام مواضع

كثيرة وانهدام برج من أبراج افامية بهذه الزلازل المباركة وذكر ان الذي أحصى عدده منها تقدير الاربعين وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصار الخالية وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزلة آخر النهار وبالليل ثانية في آخره وفي أول شهر رمضان زلزلة مرة وثانية وثالثة وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل وأخرى وقت الظهر وأخرى هائلة أبقت النيام وروعت القلوب انتصاف الليل وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق وعند الصباح أخرى وفي الليلة التي يليها زلزلتان أولها وآخرها وفي اليوم الذي بعده يومها وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة من عجة وفي ثاني شوال زلزلة أعظم مما تقدم وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل وليلة الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها مخاف أهلها من توالي ذلك وتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام مساكنها وأما شيزرفان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير وأما كفرطاب فهرب أهلها منها خوفا على أرواحهم وأما حماه فكانت كذلك وأما باقي الاعمال الشامية فاعرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة والله أعلم (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة) في ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاها أخرى وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها وتواصلت الاخبار من الشام بعظيم تأثير هذه الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت أربع زلازل وضع الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان وترا دفت الاخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيرا أزعج أهلها وأقلقههم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماد وكفرطاب وافامية وهدمت ما كان بنى من مهدوم الزلازل وحكى ان تيماء اثرت فيها هذه الزلازل تأثيرا مهولا وفي رابع رجب نهرا وافت بدمشق زلزلة عظيمة لم يمتلها فيما تقدم ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم ومنازلهم وهرجوا من الدور والسقائف وانزعجوا وأثرت في مواضع كثيرة ورمت من فص الجامع الشيء الكثير الذي يجزع اعادته ثم وافت عتمية زلزلة في الحال ثم سكنته بقدرة من حرها ثم تبع ذلك في أول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة وفي ليلة الجمعة نامن رجب زلزلة مهولة أزجحت الناس وتلاها في النصف منها ثانية وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماء وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنساء وهم العدد الكثير والجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير وأما شيزرفان وبعضها سلم الا ما كان خرب أولا وأما حصنها المشهور فانه انهدم على واليهاتج الدولة بن أبي العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير من كان خارجا وأما حمص فان أهلها كانوا قد اختلفوا منها الى ظاهرها فلم يروا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها وأما حلب فهدمت بعض دورها وخرج أهلها منها الى ظاهرها بالبدو وكفرطاب وافامية وما والاها ودنا منها وبعد عن من الحصون والمعاقل الى جبلية ترجيبيل وتلفت سلمية وما اتصل بها الى ناحية الرجة وما جاورها ولولم يدرك العباد والبلاد درجة الله تعالى ولطفه ورأفته لكان الخطب أقطع وقد نظم في ذلك من قال

روعتنا زلازل حادثات \* بقضاء قضاء رب السماء  
هدمت حصن شيزر وحماة \* أهلكت أهلها بسوء القضاء  
وبلاد كثيرة وحصونا \* ونغورام وثقات البناء  
واذا مارنت عيون البها \* أجرت الدمع عندها بالدماء  
واذا ما قضي من الله أمر \* سابق في عباده بالمضاء  
حار قلب الليب فيه ومن كا \* ن له فطنة وحسن ذكاء  
وتراه مسجبا بأكى العيسى \* مر وعامن سخطه وبلاء  
جل ربى في ملكه وتعالى \* عن مقال الجهال والسفهاء

قال وأما أهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها وأجفلوا من منازلهم والاماكن المسقفة الى الجامع والاماكن الخالية من البنين خوفا على أنفسهم ووافت بعد ذلك أخرى ففتح البلد وخرج الناس الى نظاهره والبساتين والصحراء وأفاموا عدة ليلال وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون ويرغبون الى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم قال وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة عظيمة وروعت الناس وأزعجتهم الموضع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها ووافت الاخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقت من دورها وجدرانها العدد الكثير وانها كانت بحجم أعظم مما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت تلجئ اليها وانهدامت فيها أياما كثيرة في كل يوم عدة وافرة من الرخفات الهائلة يتبعها أصحاحات مختلفات توفى على أصوات الرعود القاصفة المزعجة فسمجان من له الحكم والامر وتلا ذلك ردقات متوالية أخف من غيرهن فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة أزعجت وأقلقت وتلاه في اثرها هزة خفيفة وكذا في ليلة العاشر من ذي القعدة وفي غدها زلازل وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه أيضا زلازل نفر الناس من هولها الى الجامع والاماكن المنكشة فقه ونجوا بالكبير والتهيل والتسبيح والدعاء والتضرع الى الله تعالى وفي يوم الجمعة انسلخ ذي القعدة وافت زلزلة رجفت لها الارض وانزعج لها الناس وقال ابن الاثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة أخرت البلاد واهلكت العباد وكان أشدها بمدينة حمص وحصن شير فانهما خربا بالآفة وكذا ما جاورها تحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا واهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصى الى الله تعالى ونهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الا فرنج بغير حصار ولا قتال قال ولقد بلغني من كثرة الهلكى ان بعض المعلمين بحماه ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فأخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب قلت وقرأت في ديوان الامير الفاضل مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ وقال في الزلازل التي أهلكت كثير من أهل الشام وكان ابتداءها في شهر الله رجب سنة احدى وخمسين وخمسائة وهلك بها من هلك من الخلق وكان نحو من عشرة آلاف نسمة قال وكتب هذا المکتوب والزلازل الى الآن تتعاهد البلاد

نمنا عن الموت والمعاد وأصبحنا نأظن اليقين احلاما

فكركتنا هذى الزلازل أى \* تيقظواكم بنام من ناما  
وقال أيضا

ايها الغافلون عن سكرة الموت \* تاذلوا يسوغ في الخلق ربي

كم الى كم هذا التشاغل والغفلة حار السارى وضل الطريق

انما هزت الزلازل هذى الارض بالغافلين كي يستفيقوا

وقال في الزلازل أيضا وقد سكن الناس بعد الدور والنزهة في أكواخ علوها بالاخشاب لئلا تهدها الزلازل

يا أرحم الراحمين ارحم عبادك من \* هذى الزلازل فهى الهلك والعطب

ماجت بهم أرضهم حتى كأنهم \* ركاب بحر مع الانفاس يضطرب

فنصفهم هلكوا فيها ونصفهم \* لمصرع السلف الماضين يرتقب

تعوذوا من مشيدات المنازل بالـ \* اكواخ فهى قبور سقفتها خشب

كأنها سفن قد أقبلت وهم \* فيها فلا ملجأ منها ولا هرب

وقال يرثي أهله الذين هلكوا بالزلازل بحصن شير زقيدة منها

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم \* ولا تخرمهم مثني ووجدانا

فكنت اصبر عنهم صبر محتسب \* وأجد الخطيب فيهم عز او هانا

واقتردي بالورى قبلى فكم فقدوا \* أخواكم فارقوا أهلا وجيرانا

## كتاب (١٠٦) الروضتين

لكن سقيت المنايا وسط جمعهم \* رغافروا على الاذقان اذعانا  
 وفاجأتم من الايام قارعة \* سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا  
 ماتوا جميعا كرجع الطرف وانقرضوا \* هل ماترى تارك للعين انسانا  
 اعزز على بهم من معشر صبروا \* على الحفيظة ان ذلولته لانا  
 لم يترك الدهرلى من بعد فقدهم \* قلبا أجسمه صبرا ووسلا  
 فلورأوى لقالوا مات أسعدنا \* وعاش اللهم والاخزان اشقانا  
 لم يترك الموت منهم من يخبرنى \* عنهم فيوضح ما قالوه تيبانا  
 بادوا جميعا وما شادوا فواجبا \* للخطب أهلك عمارا وعمرانا  
 هذى قصو وهم أمست قبورهم \* كذاك كانوا بها من قبل سكانا  
 ويح الزلازل أفنت معشرى فادا \* ذكرتهم خلتنى فى القوم سكرانا  
 لا التقي الدهر من بعد الزلازل ما \* حيث الا كسير القلب حيرانا  
 أخذت على معشرى الادنين فاصطلمت \* منهم كهولا وشبانا وولدا  
 لم يحجم حصنهم منها ولا رهبت \* بأسا تبادره الاقران ازمانا  
 ان اقفرت شيزر منهم فهم جعلوا \* منيع اسوارها يضا وخرصانا  
 هم حموها فلوشاهدتهم وهم \* بها شاهدت اسادا وخفنا  
 تراهم فى الورى أسدا ويوم ندى \* غيثا مغيثا وفى الظلاء رهبانا  
 بنو أبى وبنوعى دمي دمهم \* وان أرونى مناواة وشنأنا  
 يطيب النفس عنهم انهم رحلوا \* وخلفونى على الآثار عجلانا

وكتب اليه الصالح بن رزيك قصيدة يعزيه عن أهله منها

بابى شخصك الذى لا يغيب \* عن عياني فهو البعيد القريب  
 يا اخلاى بالشام ان غبتم فشوقى اليكم لا يغيب  
 غصبتنا الايام قربكم منى \* اولاد ان ترد الغصوب  
 كره الشام أهله فهو محقو \* ق بأن لا يقيم فيه ليب  
 ان تجلت عنه الحروب قليلا \* خلفتها زلازل وخطوب  
 رقصت ارضه عشية غنى الس \* رعد فى الجؤوال كريم طروب  
 وتنت حيط انه اذا مالت \* هاشمال بزمها وجنوب  
 لا هبوب لنائم من أمانيه \* وللعاصفات فيها هبوب  
 وأرى البرق شامتا ضاحك الس \* ن وللجؤبالنجم قطوب  
 ذكروا انه يذوب به السحب \* فها للصخور أيضا تذوب  
 أبذب أصابها قد رال الله \* فللارض كالانام ذنوب  
 ان ظنى والظن مثل سهام الس \* رمى منها المخطى ومنه المصيب  
 ان هذا الآن غدت ساحة القد \* س وما للاسلام فيها نصيب  
 منزل الوحى قبل بعث رسول الله \* فهو المحجوج والمحجوب  
 نزلت وسطه الخنازير والخم \* ر وبارى الناقوس فيه الصايب  
 لورآه المسج لم يرض فعلا \* ذكروا انه له منسوب  
 لهف نفسى على ديار من السك \* ان أقوت فليس فيها مجيب  
 ان تخصيصكم نواب ما زنا \* لتلكم دون من سواكم تنوب

## في أخبار (١٠٧) الدولتين

أبعد الناس عن عبادة رب الناس قوم الالههم مصلوب  
فاحتسب ما أصاب قومك مجد الدين واصبر فالخانات ضرب  
فكذلك الثغاة يكسر يوم السروع منها صدر وتبقى الكعوب

وقرأت في ديوان العرقلة كان المولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عبيد غلام المولى وكان عبيده هذا موصوفا  
بالثقل في بيت بمدينة جاه يوم الزلزلة فوقعت المدينة بأسرها سوى ذلك البيت الذي هما فيه فقال العرقلة  
قل لصلاح الدين رب الندى \* بلغ عبيدا كل ما أمله  
بنقـله لما ناضا جسمه \* سلك الله من الزلزلة

وقرأت في بعض كتب أبي الحسين الرازي عن شيوخه أنه وقع بدمشق في ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين  
زلزال عظيمة حكى عنها نحو مما مضى ذكره وأكثر نسأل الله تعالى تمام العافية

**(فصل)** قال الرئيس أبو يعلى في ثالث عشر ربيع الأول توجه نور الدين الى ناحية بعلبك لتفقد أحوالها  
وتقرير أسرار المستحفظين لها وتواصلت الاخبار من ناحية حمص وحماة باغارة الفرنج الملاعين على تلك الاعمال وفي  
خامس عشر ربيع الأول ورد المبشر من العسكر المنصور برأس الماء بأن ناصر الدين أمير أميران لما انتهى اليه خبر  
الفرنج انهم قد انهضوا سرية وافرة العدد الى ناحية بانياس لتقويتها أسرع النهضة اليهم وعدتهم سبعمائة فارس سوى  
الرجال فأدركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من جماتها فأوقع بهم وقد كان كن لهم في مواضع  
كثرا من شجعات الاتزان واندفع المسلمون بين أيديهم في أول المجال وظهر عليهم الكناء فأبزل الله نصره على المسلمين  
بحيث لم ينج منهم الا القليل وصاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم  
وسلاحهم وأموالهم وأسراهم ورؤس قتلاهم ما لا يحصى وكثرة ومحقت السيوف عامة رجالهم من الافرنج ومسلمي جبل  
عاملة المضامين اليهم ووصلت الاسرى ورؤس القتلى والعدد الى دمشق وطيف بهم وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق  
وكان يوما مشهودا وأنفذ نور الدين الى بعلبك جماعة من أسرى المشركين فأمر بضرب أعناقهم صبورا قال وتبع  
هذا الفتح ورود البشرى الثانية من أسد الدين باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان وأنه قد ظفر من المشركين  
بسرية وافرة ظهرت في معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطف التركمان منهم من ظفروا به قال ووصل أسد  
الدين الى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان وابطالهم للجهاد وهم في العدد الكثير والجسم الغفير واجتمعوا بنور الدين  
وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويجها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق في اخراج  
آلات الحروب وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم أياما يسيرة ويتوجه وأمر بالبدء بدمشق في الغزاة والمجاهدين فتبعه  
من الاحداث والمطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير وخرج يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول وفي  
سابع ربيع الآخر عقيب نزول نور الدين على بانياس وهضابته لها بالتحصينات والحرب سقط بدمشق الطائر من  
العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمن كتابة الاعلام بورود المبشر من معسكر أسد الدين ناحية هونين في التركمان  
والعرب بأن الافرنج خذلهم الله تعالى انهضوا سرية من أعيان مقدميهم وابطالهم تزيد على مائة فارس سوى أتباعهم  
لسكيس المذكورين ظننا منهم بأنهم في فل ولم يعلموا أنهم في ألوف فلما دنوا منهم وثبوا اليهم كالليث الى فرائسها فأنطبقوا  
عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم يبق منهم الا اليسير ووصلت الاسرى ورؤس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة  
والطوارق والقنطاريات الى دمشق وطيف بهم فيه يوم الاثنين تالي اليوم المذكور قال وتلاه هذه الموهبة المتحددة  
سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلاثاء تلو المذكور يذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قهر اعلى  
مضى أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تنهاى النقب واطلاق النار فيه يسقط البرج المنقوب وهجوم  
الرجال فيه وبذل السيف في قتل من فيه ونهب ما حواه وانهم من سلم الى القلعة وانحصارهم بها وان أخذهم بمشيئة الله  
تعالى لا يبطئ والله يسهله ويحمله قال واتفق بعد ذلك ان الفرنج تجمعوا من مقابلهم عازمين على استنقاذ الهنفرى  
صاحب بانياس ومن معه من أصحابه المحصورين بقعة بانياس وقد أشرفوا على الهلاك وبادر واوبالغوا في السؤال  
لنور الدين الامان ويسلمون ما في أيديهم من القلعة وما حوته لينجوا سالمين فلم يجهم الى ما سألوه ورغبوا فيه فلما وصل

## كتاب (١٠٨) الروضتين

ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازل على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها اقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستخلصوا من كان فيها وحين شاهدوا ما مع بانياس من اضراب سورها ومنازل سكانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها قال وفي تاسع جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر النورى تتضمن الاعلام بأن الملك العادل نور الدين أعز الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملاحية بين طبرية وبانياس نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجد في السير فلما اشار فهم وهم غيارون وشاهدوا رايته قد أظلمت بادروا بلبس السلاح والركوب وافترقوا أربع فرق وجعلوا على المسلمين فعند ذلك ترجل الملك العادل نور الدين فترجلت معه الابطال وارهقوهم بالسهام وخرصان الرماح حتى ترزلات بهم الاقدام ودهمهم البوار والحمام فأنزل الله نصره على المسلمين وتمكنوا من فرسانهم قتلوا وأسروا واستأصلت السيوف الرحالة وهم العدد الكثير فلم يفلت منهم غير عشرة نفر وقيل ان ملكهم لعنه الله فيهم وقيل انه في جملة القتلى ولم يعرف له خبر ولم يقعد من عسكر الاسلام سوى رجلين أحدهما من الابطال المذكورين وقتل عند حضور أجله الى رحمة الله والاخر غريب لا يعرف وكل منهما مضى شهيدا مثابا مأجورا رحمه الله وقتل أربعة من شجعان الكفرة وامتلأت أيدي العساكر من خيولهم وعددهم وكراعهم واثاث سوادهم وحصلت كنيساتهم في يد الملك نور الدين بالانها المشهورة وكان فتحا مبينا ونصر اعزير او وصلت الاسرى ورؤس القتلى الى دمشق يوم الاحد تالى يوم الفتح وقدر تبوا على كل جل فارسين من ابطالهم ومعهم اراية من راياتهم منشورة وفيها من جلود رؤسهم بشعرها عذبة والمقدمون منهم وولاة المعاقل والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزردية والخوذة وفي يده اراية والرحالة كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر في جبل وخرج من أهل البلد الخلق الذى لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والشبان والنساء والصبيان لما شاهدوه مما منح الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المبين وأكثر واشكر الله تعالى والدعاء لنور الدين المحامى عنهم المرامى دونهم والثناء على مكارمه والوصف لمحاسنه ونظم في ذلك أبيات في هذا المعنى

ما رأينا فيما تقـم يومًا \* كمال الحسن غاية في البهاء  
مثل يوم الفرج حين علمتهم \* ذلة الاسر والبلا والقناء  
وبراياتهم على العيس زفوا \* بين ذل وحسرة وعناء  
بعد عزهم وهيبة ذكر \* في مصافى الحروب والهيجاء  
هكذا هكذا هلاك الاعادى \* عند شت الاغارة السعواء  
شؤم أخذ الجسار كان وبالا \* عمهم في صباحهم والمساء  
نقضوا هدنة الصلاح بجهل \* بعدتأ كيدها بحسن الوفاء  
فاقوا بغيبهم عما كان منهم \* من فساد بجهلهم واعتداء  
لاحى الله شملهم من شتات \* بمواض تفوق حد المضاء  
بجزاء الكفور قتل وأسر \* وجزاء الشكور خير الجزاء  
ولرب العباد حمد وشكر \* دائم مع تواصل النعماء

قال وشرع نور الدين في قصد اعمالهم لئلا يتركها وتدينها والله المعين والموفق وقال ابن أبى طى في سنة اثنتين وخمسين اغار الفرنج على بلد حص وجاه وأفسدوا وأكثروا الغيث واتصل ذلك بنور الدين فانقض اليهم عسكرا كثيرافاً وقع بهم وهزمهم الى أرض بانياس وخرج نور الدين حتى نزل على بانياس وحاصرها أشد حصار حتى افتتحها في الثامن والعشرين من ربيع الاول وأخذ جميع ما كان للفرنج فيها وأنفذ الغنمية والاسارى مع أسد الدين الى دمشق وأنفذ معه مقدار ألف رأس واتصل ذلك بالفرنج فانقضت الى معارضة أسد الدين قطعة من خيالتها واتصل هذا بأسد الدين وقدمه الفرنج فلبس لامته وتقدم في جماعة من مماليكه بين يدي العسكر وأمر الرجال بلقاء الفرنج وناجزهم الحرب فلم يتماسكوا بين يديه ورجعوا على أذارهم وتبعهم مقدار فرسخين يقتل ويأسروهم غنمة حسنة وعاد الى

اصحابه ظافرا وتوجه في وجهته مؤيدا

**(فصل ١٠)** قال الرئيس أبو يعلى وفي العشر الثاني من جادى الآخرة تواصلت الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير للنزول على انطاكية وأوجبت الصورة تقرير المهامدة بين نور الدين وملك الافرنج وتكررت المراسلات بينهما والاقتراحات والمشاجرات بحيث فسد الامر ولم يستقر على مصلحة ووصل نور الدين الى مقر عزه في بعض عسكره وأقره باقيه ومقدمه مع العرب بازاء أعمال المشركين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين الى ناحية حلب واعمالها لتجديد مشاهدتها وامعان النظر في حمايتها عند ما عاث المشركون فيها وقربت عساكر الملك ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه في عساكره من دمشق الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليه بتجمع أخزاب الفرنج خذلهم الله وقصد هم لها وطعمهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعة لها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من سلم من أهل حمص وشيزرو وكفرطاب وحماه وغيرهما بحيث اجتمع اليهم العدد الكثير والجم الغفير من رجال المعقل والاعمال والتركمان وخيمهم بازاء جمع الفرنج بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الفساد فلما مضت أيام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء مرض حاد فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى أخاه نصره الدين أمير أميران وأسدي الدين شيركوه وأعيان الامراء والمقدمين وأوصى اليهم باقتضائه رأيه واستصوبه وقرر معهم كون أخيه نصره الدين القائم في منصبه من بعده والساد للثمة ففقدته لاشتهاره بالشهامة وشدة البأس يكون مقبيا بحلب ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصره الدين واستخلف الجماعة على هذه القاعدة فلما تقرر اشتد به المرض فتوجه في محفة الى حلب وحصل في قلعتها وتوجه أسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الافرنج وتواصلت الاراجيف بنور الدين فقلقت النفوس وازيجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الفرنج فقصدوا مدينة شيزرو وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا وأسروا ونهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسما عيلية وغيرهم وظهر واعليم فقتلوا منهم وأخرجوهم من شيزرو واتفق وصول نصره الدين الى حلب فأغلق والى القلعة مجد الدين في وجهه الابواب وعصى عليه فثارت احداث حلب وفالوا هذا صاحبنا وملكنا بعد أخيه فزحفوا في السلاح الى باب البلد وكسروا اغلاقه ودخل نصره الدين في أصحابه وحصل في البلد وقامت الاحداث على والى القلعة باللوم والانسكار والوعيد واقترحوا على نصره الدين اقتراحات من جلتها اعادتهم هم في التأذين بحى على خير العمل محمد وعلى خير البشر فأجابهم الى ما رغبوا فيه وأحسن القول لهم والوعود نزل في داره وأنفذ والى القلعة اليه والى الحلبيين يقول مولانا نور الدين حى في نفسه وما كان الى ما فعل حاجة فقبل الذنب في ذلك للوالى وصعد الى القلعة من شاهد نور الدين حيا يفهم ما يقول وما يقال له فأنكر ما جرى وقال أنا أصفح للاحداث عن هذا الخطل ولا أؤاخذهم بالزلل وما طلبوا الاصلاح حال أخى وولى عهدي من بعدى وشاعت الاخبار وانتشرت البشائر في الاقطار بعافيته فأنست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والازعاج وترايدت العافية وصرفت اللهم الى مكاتبات المقدمين بالعدد الى جهاد الملاعين وكان نصره الدين قدولى مدينة حران وما أضيف اليها وتوجه نحوها وما تناصرت الاخبار بالبشائر الى أسد الدين بدمشق بعافية نور الدين واعتزاه على استدعاء العساكر الاسلامية للجهاد سارع بالنهوض من دمشق الى حلب ووصل اليها في خيله فاجتمع بنور الدين فأكرم لقياه وشكر مسعاه وشرعوا في حياية الاعمال من شرعص الكفر والضلال قال ونظمت هذه الايات في هذا المعنى

لقد حسنت صفاتك يا زمانى \* وفزت بمارجوت من الامانى  
فكم أصبحت مرناعا لخوف \* فبدلت الخفاة بالامان  
وجاءتنا أراجيف بملك \* عظيم الشأن مسعود الزمان  
فروعت القلوب من البرايا \* وصارت شعاعها مثل الجبان  
وثارت قننة تحشى أذاها \* على الاسلام في قاص ودان  
وفانى بعد ذلك بشير صدق \* بعافية المليك مع التهاني



## مكتاب (١١٠) الروضتين

فولى الخوف مهنم المباني \* وعاد الامن معجور المغاني

قال ابن أبي طى وفي هذه السنة كانت الزلزلة التي هدمت شيزر فخرج نور الدين وأخذها من بنى منقذ وسلمها الى مجد الدين بن الداية وسار الى سرمين لانه بلغه حركة الفرنج فاعترضه هناك مرض أشفى منه فاحضر شيركوه وأوصاه بالعساكر وان يكون الامر بعده لاختيه نصره الدين أمير أميران فسار أسد الدين الى دمشق وأقام بمرج الصفر خوفا أن يعرك الفرنج الى جهة دمشق أو غيرهما ولم يزل هناك حتى تعافى نور الدين فعاد الى خدمته مهتمه بالعاية وكان أخوه نصره الدين قد حاصر قلعة حلب في مدة مرض نور الدين فلما أفاق نور الدين من مرضه سيره الى حران وجعل ولي عهده أخاه قطب الدين صاحب الموصل قال وكان مجد الدين طمع في الملك لنفسه فتمحزم لامره وتكرب الى الناس وجعل له أصحاب أخبار وشحن الطرقات والسبل بالرجال بتفتيش الخارجين من حلب وغيرها والداخلين إليها قلت ولا بن منير تهنة لنور الدين بالعاية من مرض غير هذا

ياشمس لا كسف ولا تكدار \* ولا خلت من نورك الانوار  
البدر منقوص وأنت كامل \* لك السرايا وله السرار  
برؤك للإسلام من ادوائه \* بر وفي اعداؤه بوار  
ما أنت الا السيف صد صدأ \* عن متنه مضر به البتار  
لو كان محجولا أذى عن منفس \* لجلته دونك الابصار  
ولو فدت أرض سماء ساقط الـ \* ملوك في فدائك الامصار  
أنت غياث محملهم ان أجذبوا \* وخيرهم ان ذكر الخيار  
وفي سرير الملك منها ملك \* لله في سرائه اسرار  
خير ملوك الارض جدا واما \* ان هز عطفى ماجد نجار  
مد على الدين رواق دولة \* تنازعت أسمارها السمار  
علت بناء وحلفت في يده \* فهي عليه السور والسوار  
محمود المحمود عصر ملكه \* فللحيا من مزنه اعتصار  
يا نوردين أظلمت آفاقه \* لولم تبليج هذه الآثار  
لله أيا ملك ما تخطه \* بالمسك من اسفارها الاسفار  
سلمت للاسلام نزعى سرجه \* اذا دنا رعاته وجاروا  
شكوت فالدينا على سكانها \* قرارة جانبها القرار  
كادت تموت الارض من اشفاقها \* لولا شفاه ردها تمار  
زرت عليك الترك حبيب نسب \* يحسد هـا برنه نزار  
لا عدمت منك الاماني ربيها \* معطى من الاقبال ما يجتار  
ما سمح الدهر بان تبق لنا \* فكل جرح مسنا جبار  
وله من قصيدة أخرى

لا نؤدى لانعم الله شكرا \* بك يا أعظم البرية قدرا  
روز عشر وافي لا قلاع ذا \* جعل الامنة المناة عشرا  
أم مغناك ضامننا ان أيا \* ملك تقى الاحقاب عصر افعصر  
في محل له السما كان سمك \* وجدود لها المجرة مجرى  
أيها العادل المظفر لا قصت شبا الدهر من شبائك ظفرا  
جعل الله ما استهل من الاشهر ينهل في مغازيك نصرا  
أبد ينشر التهانى على سا \* حتمك الزهر في المواسم نشرا

## في اخبار (١١١) الدولتين

أنت أسرى الملوكة نفسا وفلسا \* والى أسرهم من الطيف أسرى  
ملك عنده المشارب تستمرى واخلاف الجود تمرى فتفرى  
فلك الله من مثمر بذر \* بصطفى صالحا ويحصدا أجرا  
عش الملك اصبحت في الدست منه \* فوق كسرى عدلا وشعبا وكسرا  
تفطر الطيبات للفطر فطرا \* وتم الاعداء في النحر نحرا  
يقتنى من كسالك أنفوس ملبو \* س ويقتيك منه أطول عسرا  
أنت تملى ونحن ننظم ماتنـثره الغر من مساعيك نثرا  
صرف الله عنك عين زمان \* بك صارت بعد الاصابة عبرى  
وتوات لك الفتوح الى ان \* تملأ الخافقين نهيا وأمرآ  
كلما انتهجت ملابس نعمى \* وتعلمتهن جسدت أخرى

وقال القيسراني من قصيدة

أشرق البدر باجبين الهلال \* فخلاه لوجهك المتلالي  
عن ليل حجين عنا سناها \* انما غيبة الهلال ليلي  
لم يكن ما ألم بانجسم شكوى \* فتهنى لو افسد الاقبال  
لاولا كان زائرا من سقام \* انما كان طائفا من خيال  
وعكة أفلعت وأنت محجج \* ويصع النسيم بالاعتلال  
أوما هذه السماء سرار الـبدر فيها على طريق الكمال  
نعمة الله لا ينخص بها الخنا \* لقي الامن كان منه سأل  
ولباس من المثوبة والغفـر ان ألبست صافي الاذيال  
فهنيئا لك البقاء وان كا \* ن هناء ينخص فيه المعالي  
والنقى والندى ومعربة الخيل وييض الظبي وسمر العوالي  
والخلال التي اذا ما تحلت \* صدرت منك عن كريم الخلال  
ان وقتك النفوس ماتتوقى \* فحقق فدى الموالى الموالى  
أوتحصنت في شعار من التقوى فازلت منه في سربال  
فشي الله من أجل دوائـيه صريح الدعاء والابتهاال  
ملكاً أبـدل المخافة بالامـن وأضـحى يـعد في الابدال  
وهو تاج الملوكة فالملك العا \* طل حال به على كل حال  
واذا التبران غا بافتور الـدين شمس خـفـرية الاصال  
قدأرت وجهك العلى ما ربيها \* وهى مرآة صالح الاعمال  
وقضى الله ان نجح في الانحـمـسـم سام وان جسدك عال  
كل يوم هذا المحيا محيى \* بالتهانى على يد الاقبال

(فصل) في ذكر حصن شيرز وولاية بنى منقذ قال ابن الاثير وهو حصن قريب من حماء بينهما نحو من نصف  
نهار وهو من أمنع القلاع وأحصنها على حجر عال له طريق منقور في طرف الجبل وقد قطع الطريق لى وسطه وجعل  
عليه جسر من خشب فاذا قطع ذلك الجسر تعذر الصعود اليه وكان لا ل منقذ الكنانيين يتوارثونه من أيام صالح  
ابن مرداس الى ان انتهى الامر الى الامير أبى المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن نصر بن هاشم بعد  
أبيه أبى الحسن على فبقي به مدة طويلة الى ان مات بشيرز سنة احدى وتسعين وأربعمائة وكان شجاعا كريما صواما  
قواما فلما حضره الموت استخلف أخاه الامير باسلامة مرشد بن علي وهو والد أسامة فقال والله لا وليتها ولا يخرجني

کتاب (۱۱۲) الروضتین

من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن والادب كثير الصلاح فولأها أخاه أبا العسا كرسلطان بن علي وكان أصغر منه فاصطحبأ أجل صحة مدة من الزمان فولد أبو سلامة من شدة أولاد كور في كبر واورساد وامنهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذ كر الى ان كبر فجاهه أولاد ففسد أخاه علي ذلك فكان كلأرأى صغرا أولاده وكبر أولاد أخيه وسادتهم ساء ذلك وخافهم علي أولاده وسعي المفسدون بينهم فغير واكلا منهم ما علي أخيه فكتب الامير سلطان الى أخيه شعرا يعاتبه على أشياء بلغته عنه فأجابه بأبيات جيدة في معناها ولكهم كان أدبيا شعرا فيها

ظلم أبت في الظلم الاتماديا \* وفي الصد والهجران الاتهايا  
شكت هجرنا في ذاك والذنب ذنبها \* فيا عجباً من ظالم جاء شاكاً  
وطاوعت الواشين في وطأها \* عصيت عدو لا في هواها وواشيا  
ومال بهاتيه الجمال الى القلا \* وهيهات ان أمسى لها الدهر قاليا  
ولاناسما ما أودعت من عهدوها \* وان هي أبدت جفوة وتناسيا  
ولما أتاني من قريضك جوهر \* جعلت المعالي فيه لي والمعاني  
وكنيت هجرت الشعر حيناً لانه \* تولى برغى حين ولى شبانيا  
وأين من الستين لفظ مفوق \* اذارمت أدنى القول منه عصانيا  
وقلت أخى يرعى بنى واسرتى \* ويحفظ عهدي فيهم وذماني  
ويجزهم ما لم أكلفه فعليه \* لنفسى فقد أعددت من ثرائيا  
فمالك لما ان حنى الدهر صعدنى \* ونلم منى صار ما كان ماضيا  
تنكرت حتى صار برك قسوة \* وقربك منى جفوة وتنائيا  
فاصبحت صفر الكف مما رجوته \* كذا اليأس قد عفى سبيل رجائيا  
على اننى ما حلت عما عهدته \* ولا غيرت هذى السنون وداديا  
قلاغر وعند الحادثات فانى \* أراك يمينى والانام شماليا  
تمن بها عذراء لو قرنت بها \* نجوم سماء لم تعد دراريا  
تحتل بدر من صفائك زانها \* كازان منظوم اللاكى الغوانيا  
وعش نائبا للود ما كان واهنا \* مشددا من الاحسان ما كان واهيا

قال وكان الامر فيه في حياة الأمير بعض الستر فلما مات سنة احدى وثلاثين وخمسة مائة قلب اخوه ولا ولاده ظهر  
المجن وباداهم بما يسوءهم وتمادت الايام بينهم الى ان قوى عليهم فخرجهم من شيرز وكان أعظم الاسباب  
في اخراجهم ما حدثت به عن مؤيد الدولة اسامة بن مرشد قال كنت من الشجاعة والاقدام على ما علمه الناس  
فبينما أنا بشيرز واذا قد أتاني انسان اخبرني ان بدجلة يغار بها أسد اضرار بافر كبت فرسي وأخذت سيفي وسرت  
اليه لا قتله ولم أعلم أحد من الناس لئلا منع من ذلك فلما قربت من الاسد نزلت عن فرسي وربطته ومشيت  
نحوه فلما رأي قصدي وثب فضربته بالسيف على رأسه فانفلق ثم أجهزت عليه وأخذت رأسه في مخلاة فرسي  
وعدت الى شيرز ودخلت على والدتي وألقيت الرأس بين يديها وحدثتها الحال فقالت يا بني تجهز للخروج  
من شيرز فوالله لا يمكنك عمك من المقام ولا أحد من اخوتك وأنتم على هذه الحال من الاقدام والجرأة فلما  
كان القعد أمر عي باخراجنهم عنده والزمنا به الزاماً لا مهلة فيه فتقرقنا في البلاد فنقصدا الملك العادل  
نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عهم فلم يمكنه قصده ولا الاخذ بشارهم واعادتهم الى أوطانهم لاشتغاله بجهاد  
الفرنج وخوفه من ان تسلم شيرز الى الفرنج وبقي في نفسه وتوفى الامير سلطان وولي بعده أولاده فبلغ نور الدين  
عنه من اسلة الفرنج فاشتد ما في نفسه وهو ينتظر الفرصة فلما خربت القلعة بالزلة ولم يسلم منها أحد كان بالحصن  
في بادريها ولم يكن لها واصافها الى بلاده وعمرها وسوارها واعادها كأن لم تخرب وكذلك أيضاً فعل بمدينة حماء وكل

## في اخبار (١١٣) الدولتين

ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كاحسن ما كانت قلت وسأني ذكر اسامة بن مرشد في أخبار سنة اثنتين وسبعين وهي السنة التي قدم فهاد مشق من بلاد الشرق وذلك انه لما خرج من شيز راستوطن دمشق ثم فارقها الى الديار المصرية وكتب الى معين الدين انزاري اياك صاحب دمشق يعاتبه في أسباب المفارقة قصيدة أولها

ولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا \* فليتهم حكوافينا بما علموا  
 ماصر يوما بفكري ما يريهم \* ولا سعت بي الى ماساءهم قدم  
 ولا صنعت لهم عهدا ولا أطلعت \* على ودائعهم في صدرى التهم  
 فليت شعري بما استوجبت هجرهم \* ملوا فصدهم عن وصلى السأم  
 حفظت ماضيهوا اغضيت حين جنوا \* وفيت اذ غدروا واصلت اذ صرموا  
 حرمت ما كنت أرجو من ودادهم \* ما لوزق الا الذي تجرى به القسم  
 وبعد لوقيل لي ماذا تحب وما \* تختار من زينة الدنيا قلت هم  
 لهم مجال الكرى من مقلتي ومن \* قلبي محل المني جاروا وأحترموا  
 تبدلوا بي ولا ابغى بهم بدلا \* حسبي هم انصفوا في الحكم أو ظلموا  
 بلغ أميرى معين الدين مالكة \* من نازح الدار لكن وده أم  
 وقل له أنت خير الترك فضلك الا \* عياء والدين والاقدام والكرم  
 هل لانفت حياء أو محافظه \* من فعل ما انكرته العرب والجعم  
 اسلمتنا وسيوف الهند مغسدة \* ولم يرو سنان السمهرى دم  
 وكنت احسب من والاك في حرم \* لا يعتر به شيب ولا هرم  
 وما طمان بأولى من اسامة بال \* وفاء لكن جرى بالكائن القلم  
 هبنا جنينا ذنوبا لا يكرها \* عذرفاذا جنى الاطفال والحرم  
 القيتهم في رضى الافرنج متبعا \* رضى عدى يسخط الرحمن فعلهم  
 جرهم مثل تجربى لتخبرهم \* فلارجال اذا ماجروا قسم

وهي طويلة وطمان المذكور خادم تركى كان لا تابك ملك الامراء زنى بن اق سنقر هرب من خدمته الى دمشق فطلبه ولج فيه فاشتمل عليه معين الدين للجنسية وجاه فلما لج فيه سيره للعرب وقام له بما يحتاج الى ان رده لخدمته بدمشق وبقي اسامة بمصر الى ان خرج منها مع عباس كما سبق ذكره وأسر الفرنج اخاه نجم الدولة محمد بن مرشد وطاب من ابن عمه ناصر الدين محمد بن سلطان صاحب شيزر الا عانة في فككا قد فعل قال وادحر الله سبحانه اجر خلاصه وحسن ذكره للملك العادل نور الدين رجه الله فوهبه فارسا من مقدمى الداوية يقال له المشطوب قد بذل للفرنج فيه عشرة آلاف دينار فاستخلص به أخاه من الاسر وبلغ اسامة ان القاضى كمال الدين بن الشهرزورى أنشد نور الدين

ملك بنى منقذ نولى \* وكان فوق السماء سكه  
 فاعتبروا وانظروا وقولوا \* سبحان من لا يزول ملكه  
 والمعروف ملك بنى برمك فغيره المنشد لما تمثل به في غرضه فاجازها اسامة بهذه الايات وكل ملك الى زوال \* لا يعترى ذا اليقين شكه  
 ان لم يزل بانتقال حال \* ازال ذا الملك عنه هلكه  
 والله رب العباد باق \* وهالك نده وشركه  
 فقل لمن يظلم البرايا \* غرك امهاله وتركه  
 تنسى ذنوبا عليك تحصى \* يحصرها تنقده وحكه  
 كم ناسك نسكه رياء \* اوبقه في المعادن سكه

## كتاب (١١٤) الروضتين

فاحذر فما يجتفى عليه \* من عبده صدقه وفاقه

وما أحسن ما قال اسامة في كبره

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي \* وساء في ضعف رجلي واضطراب يدي

إذا كتبت فخطي خط مضطرب \* تخط مرتعش الكفين من تعدد

فأعجب لضعف يدي عن حملها قلما \* من بعد عظم القناني لبة الاسد {

وان مشيت وفي كفي العصي ثقلت \* رجلي كاني أخوض الوحل في الجلد

فقل لمن يثني طول مدته \* هذى عواقب طول العمر والمدد

(فصل) في بواقى حوادث سنة اثنتين وخمسين قال الرئيس ابو يعلى تناصرت الاخبار بظهور امير المؤمنين المقتدى

على عسكر السلطان المخالف لامره ومن انضم اليه من عسكر الموصل وغيره بحيث قتل منهم العدد الكثير ورحلوا

عن بغداد مفرقين مفلولين خاسرين بعد المضايقة والالتهاج في المحاصرة والمصاهرة قال ووردت الاخبار في أوائل

رجب بوفاة السلطان غياث الدين ابى الحارث سنجر بن ابى الفتح بن البارس لسان سلطان خراسان عقيب خلاصه

من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيه وكان يجب العدل والانصاف للرعايا وحسن السيرة جميل الفعل وقد

علت سنه وطال عمره وكان قد ورد كتابه في أوخر صفر من هذه السنة الى نور الدين بالتشوق اليه والاحقاد لخلاله

وما ينتهى اليه من جميل افعاله واعلامه ما من الله عليه به من خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي يلي به في

ايدى الاعداء الكفرة من ملوك التركان بحيلة دبرها وسياسة احكمها وقررها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة

المشهوره واجتماع العساكر المتفرقة عنه اليه قال وفيها في شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ مخلص

الدين ابى البركات عبد القاهر بن ابى جرادة الحلبي وهو الامين على خزائن مال نور الدين وكان كاتباً بليغاً حسن

البلاغة نظماً ونثراً مستحسن الفنون من التذهيب البديع وحسن الخط المحرر على الاصول القديمة المستخرقة مع

صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وقال وفيها رابع عشر شوال ورد الخبر من ناحية بصرى بان والها خفر الدين

سرخاك قتل غيلة بموافقة من اعيان خاصته وكان فيه افراط في التحرز واستعمال التيقظ ولا تكن القضاء لا يغالب

ولا يدافع قال وفيها في أوائل ذى القعدة ورد الخبر من حصن بوفاء واليه الامير الملقب بصلاح الدين وكان في ايام

شبيبته قد حظى في خدمة عماد الدين زنكي وتقدم عنده بالمناجحة وسداد التدبير وحسن السنارة و صواب الراى ولما

علت سنه ضعف عن ركوب الخيل والجلانة الضرورة الى الحل في المحمة لتقريب الاحوال والنظر في الاعمال ولم ينقص

من حسه وفهمه ما يذكر عليه الى حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه ولايته قال وورد الى دمشق امام

من أئمة فقهائهم بلخ في عنفوان شبابه وغضارة عوده ما رأيت أفصح من لسانه ببلاغته العربية والفارسية والاسراع

في جوابه ببراعته ولا اطيح منه قلما في كتابته ابوالحياة محمد بن أبى القاسم بن عراسلى ووعظ في جامع دمشق عدة

ايام والناس يستحسنون وعظه ويستظرفون فنه وسلطنة لسانه وسرعة جوابه وحدة خاطره وصفاء حسه قال ابن

الاثير وفيها في ذى الحجة توفي الامير عز الدين ابى بكر الدييسى صاحب جزيرة ابن عمر وكان من اكابر الامراء يأخذ

نفسه مأخذ الملوك وكان عاقلاً حازماً ذارأى وكيداً مكر وملاك الجزيرة قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل

اخونور الدين

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال الرئيس ابو يعلى في أوائل المحرم تناصرت الاخبار من ناحية الفرنج

المقيمين بالشام خذلهم الله تعالى بمضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميه بمحاربة المجانق الى أن ضعف وملك

بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات في الاعمال الشامية واطلاق الايدى في العيث والفساد في معاقلها وضياعها

بحكم تفرق العساكر الاسلامية والخلف الواقع بينهم باستغلال نور الدين بعاييل المرض العارض له والله المشيئة التي

لاتدفع والاتقصية التي لاتمانع وقال وفي صفر ورد الخبر والمبشر بنزول نور الدين من حلب للتوجه الى دمشق

واتفق للكفرة الملاحين تواتر الطمع في شن الغارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدى الفساد والعيث

والاحراق والحزاب في الضياع والنهب والسبي والاسر وقصد داريا والتزول عليها في اسلأخ صفر واحراق منازلها

## في أخبار (١١٥) الدولتين

وجوامعها والتناهي في آخرها وظهر اليهم العسكرية والاحداث وهموا بقصدهم والاسراع الى لقائهم وكفهم فذعنوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحسين شاهد الكفار خذلهم الله تعالى كثرة العدد الظاهر اليهم رحلوا في آخر النهار المذكور الى ناحية الاقليم ووصل نور الدين الى دمشق وحصل في قلعة سادس ربيع الاول سالما في نفسه وجملة ولقي بأحسن زى وترتيب وتجل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء له بدوام أيامه وشرع في تدبير أمر الاجناد والتأهب للجهاد قال وفي اوائل ربيع الاول ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق واقر من عسكرها الى غزة وعسقلان واغار واعلى اعمالها وخرج اليهم من كان بها من الفرنج الملاعين فظهر الله تعالى المسلمين عليهم قتلوا واسرا بحيث لم يفلت منهم الا اليسير وغنموا من امواله وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدم الغزاة في البحر ظفر بعدة من مراكب المشركين وهي مشحونة بالفرنج فقتل واسر منهم العدد الكثير وحاز من اموالهم وعددهم واثامهم ما لا يكاد يحصى وعادوا ظافرا غانما قاتل وارسل الى مؤيد الدولة اسامه بن منقذ من مصر وزيرها الملك الصالح ابو الغارات طلائع برز رزب قسيده يشرح فيها حال هذه الغزاة ويحرض فيها نور الدين على قتال المشركين ويذكره بما من الله تعالى عليه به من العافية والسلامة من تلك المرضة المقدم ذكرها وكان كثيرا ما يكاتبه طالباً بامنه اعلام نور الدين بالغزاة لحنه عليها واول هذه القصيدة

الا كهذا في الله تمضي الغزائم \* وتنضى لدى الحرب السيوف الصوارم

وتستزل الاعداء من طول عزهم \* وليس سوى سمر الزامح سلام  
وتغزي جيوش الكفر في عقد دارها \* ويوطى جماها والنفور واغم  
ويوفي الكرام الناذرون سذرهم \* وان بذلت فيها النفوس الكرائم  
نذرنا مسير الجيش في صفر فانا نثنى نصفا \* حتى انثنى وهو غانم  
بعثناه من مصر الى الشام قاطعا \* مفاوز وخذ العيش فيهن داثم  
فماها له بعد الديار ولا ثنى \* عزيمته جهد الظما والسماثم  
يسجر والعصفور في قعر وكره \* ويسرى الى الاعداء والليل ناثم  
يبارى خيولا ما تزال كأنها \* اذا ما هي انقضت نسور وشاعم  
يسير بها ضرغام في كل مارق \* وما يصحب الضرغام الا الضراغم  
ورفته عيين الزمان وحاتم \* ويحيى وان لاقى المنية حاتم  
وواجههم جمع الفرنج بجملة \* يهون على الشجعان فيها الهزائم  
فلقوهم زرق الاسنة وانطوا \* عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم  
وما زالت الحرب العوان أشدها \* اذا ما تلاقى العسكر المتضاجم  
يشبههم من لاح جمعهم له \* بلجة بجر موجهها متلاطم  
وعادوا الى الخالسيوف فقطعت \* رؤس وخزت للفرنج غلاصم  
فلم ينبج منهم يوم ذاك مخبر \* ولا قيل هذا وحده اليوم سالم  
نقتلهم بالرأى طورا وتارة \* تدوسهم من المذاكي الصلادم  
فقلوا نور الدين لافل جده \* ولا حكيت فيه الليالي الغواشم  
تجهز الى أرض العدو ولا تن \* وتظهر فتورا ان مضت منك حارم  
فما مثلها تبدي احتفالا به ولا \* يعرض عليها الملوك الا باهم  
فعندك من لطف ربك ما به \* علمنا يقينا انه بك راحم  
أعداك حيا بعد ان زعم الوري \* بانك تدل ايت ما الله حاتم  
بوقت أصاب الارض ما قد أصابها \* وحلت بها تلك الدواهي العظام  
وخيم جيش الكفر في أرض شير \* فسيقت سبايا واستحلت محارم

## كتاب (١١٦) الروضتين

وقد كان تاريخ الشام وهلكه \* ومن يحتويه انه لك عادم  
فقم واشكر الله الكريم بنهضة \* اليهم فشكر الله للخلق لازم  
فحسن على ما قد عهدت نزوعهم \* ونحلف جهدا اننا لانسلم  
وغارنا تاليست تفترعنهم \* وليس ينجي القوم منا الهزائم  
فاسطولنا أضعاف ما كان سائرا \* اليهم فلاحسن لهم منه عاصم  
ونرجو بان يحتاج باقيهم به \* وتحوى الاسارى منهم والغنائم  
وكتب اليه أيضا

ياسيد اسمعوا بهم — ته الى الرتب العلية  
فينال منها حين يحمر \* مغيره أوفى مزيه  
أنت الصديق وان بعد \* ت وصاحب الشيم الرضيه  
يهنيك ان جيوشنا \* فعلت فعال الجاهليه  
سارت الى الاعداء من \* ابطالها مائتا سرية  
فتغير هذى بكرة \* وتعاود الاخرى عشيه  
فالويل منها للفرنسج فقد لقوا جهد البليه  
جاءت رؤسهم تلو \* ح على رؤس السعهرية  
وقلائع قد قسمت \* بين الجنود على السويه  
وخلائق كشرت من الدسرى تقاد الى المنيه  
فانهض فقد أنبت مجدد الدين بالخال الجليه  
والم بنور الدين واعلم بهاتيك القضية  
فهو الذى مازال يخلص منه افعالا ونيه  
ويبيد جمع الكفر بالبيض الرقاق المشرفيه  
فعساه ينهض نهضة \* يفنى بها تلك البقيه  
امان نصره دينه \* أو ملكه أو للحميه

وكتب اليه أيضا يقول

أيها المفتدى لانت على البعد صدديق لنا ونعم الصديق  
ليس فيما تأتيه من بر افعلا \* لك للطالب الحقوق عقوق  
فلهذا نرى مواصلة الكتب تباعا اليك مما يليق  
ونناجيك بالمهمات اذ انت بالقائما اليك خليق  
وأهم المهم أمر جهاد الكفر فاسمع فعندنا التحقيق  
واصلتهم منا سرايا فاشجا \* هم بكور منا لهم وطروق  
وأباحث ديارهم فاباد القوم قتل ملازم وحريق  
وانظرنا بزحفنا بر نور الدين علمنا بان سيفيق  
وهو الآن فى أمان من الله وما يعتريه امرء يعوق  
مالهذا المهم مثلك مجد الدين فانهض به فانت حقيق  
قل له لاعداء رأى ولازا \* لديه لكل خير طريق  
أنت فى حسم داء طاغية الكفار ذاك المرجو والمرموق  
فاغتسم بالجهاد أجرك كي تلتقى رفيقاه ونعم الرفيق

## في اخبار (١١٧) الدولتين

فأجابه أسامة بقصيدة منها

يا أمير الجيوش مازال للأسلام والدين منك ركن وثيق  
أسمعت دعوة الجهاد فلما \* هاملتك بالمكرمات خليق  
ملك عادل أنار به الدين فم الاسلام منه الشروق  
ماله عن جهاده الكفر والعد \* لوفعل الخيرات شغل يعوق  
هو مثل الحسام صدر صقيل \* لين مسه وحـد زليق  
ذو أناة تخالها الغراهما \* لا وفيها حتمف الا عادي المحيق  
فاسلم للاسلام كهفين ماطـرز ثوب الظلام يرق خفوق

وكتب اليه أيضا

قل لابن منقذ الذي \* قد حاز في الفضل الكمال  
فلذاك قد أضحي الانا \* م على حكارمه عيال  
كم قد بثنا نحولك الشعار مسرعة عجال  
وصددت عنها حين را \* مت من محاسنك الوصال  
هـ لا بذلت لنا مقما \* لاحين لم تبذل فعلا  
مع اننا نؤليك صبراً في المودة واحتمالا  
ونبشك الاخبار ان \* أضحت قصارا أو طوالا  
سارت سرايانا لقصد الشام تعسف الرمالا  
تزعجى الى الاعداء جر \* د الخيل اتباعا أو لا  
تمضى خفا فاللغسا \* رهبا وتأتينا ثقلا  
حتى لقد رام الاعا \* دى من ديارهم ارتحالا  
وعلى الوعية معشر \* لم يعهدوا فيها القتالا  
لما نأت عنهم يحفف بهامينا أو شملا  
نهضت اليها خيلنا \* من مصر تحتل الرجالا  
والبيض لامعة وبيض الهند والاسل النبالا  
فغدت كأن لم يعهدوا \* في أرضها حيا حلالا  
هـ ذا وفي تل العجا \* لملأ بالقتلى التلالا  
اذ مرمرى ليس يلقى نحر وفقته اشتغالا  
واستاق عسكرنا له \* أهـ لا يجهم ومالا  
وسرية ابن فرنج الطا \* نى طال به وصالا  
سارت الى أرض الخليل فلم تدع فيها خلا  
فلو ان نور الدين يجعل فعلنا فيهم مثالا  
ويسير الاجناد جهرا كى ينالهم زالا  
ووفى لنا ولاهل دولته بما قد كان قالا  
لرايت للافرنج طراني معاقلها واعتقالا  
وتجهزوا للسير نحو الغرب أو قصدوا الشمالا  
واذا أبى الا اطرا \* حاللنا صيحة واعتزالا  
عدنا يتسلم الامو \* ر لحكم خالفنا تعالى



يا أشرف الوزراء اخـ لا فاؤا كرمهم فعـ لا  
 نهت عبدا طالما \* نهته قدرا وحالا  
 وعتبته فأنلته \* فخر او مجدا لن ينالا  
 لكن ذاك العتب يشـ عمل في جوانبه اشتعـ لا  
 أسفا لجـ دحـ الـ عنه الى مساءته ومالا  
 أما السر يا حـ بين تر \* جـع بعد خفتها ثقـ لا  
 فكذلك عاد وفود با \* بك مثقلين ثنا ومالا  
 ومسيرها في كل أر \* ض تبتغي فيها الجـ لا  
 فكذلك فضلك مثل عد \* لك في الدنيا سارا وجـ لا  
 فاسلم لنا حتى نرى \* لك في بني الدنيا مثـ لا  
 واشدد يدك بـودنو \* رالدين والقـ به الرـ لا  
 فهو المحامي عن بلا \* دالشام جـعـ ان يـ لا  
 ومبيد امـلاك الفرنـج وجمعهم حـ لا فخـ لا  
 ملك يتيه الدهر والدنـ يا بدولته اختيـ لا  
 جمع الخلال الصالحـ \* ت فلم يدع منها خلاـ لا  
 فاذا بدا للنـاظر يـ ن رأت عيونهم الرـ لا  
 فبقيتـ المسـ بين حـا وللـ دنيا جـ لا  
 وكتب اليه الصالح من قصيدة تقدم ذكرها في الزلازل

ولعمري ان المناصـ في الدينـ على الله أجره محسوب  
 وجهاد العدو بالفعل والقـو \* ل على كل مسلم مكتوب  
 ولك الرتبة العلمية في الامـرين مذ كنت اذ تشب الحروب  
 أنت فيها الشجاع مالـك في الطـعن ولا في الضراب يوما ضريب  
 واذا ما قرضت فالشاعر المـفـ لقي فيما يقوله والخطيب  
 واذا ما أشرت فالخـزم لا يــ كـ ان التدبير منك نصيب  
 لك رأى يقظان ان ضعف الرأـ \* على حاملي الصليب صليب  
 فانـض الـان مسـرعا فـبـامـنا \* لك ما زال يدرك المـطلوب  
 ألقى من رسالة عند نور الدينـ ما في القـائـها ما يريب  
 قل له دام ملكه وعليه \* من لباس الاقبال بردقشيب  
 أيها العادل الذي هو لـدينـ شـباب وللـروب شـبيب  
 والذي لم يزل قد يـما عن الاسـلام بالعزم منه تجلى الكروب  
 وغدا منه للفرنج اذا لا \* قوه يوم من الزمان عصيب  
 ان يرمز في حقهم فلا شـطا \* ن قناه في كل قلب قليب  
 غير نـا من يقول ما ليس بمـضـيه بفعل وغيرك المكذوب  
 قد كتبنا اليك ما وضع الـاـ \* ن بما اذا عن الكتاب عجيب  
 قصـدنا ان يـكون منا ومنكم \* أجل في مسيرنا مضروب  
 فلـدينـا من العساكر ما ضـا \* ق بادناهم الفضـاء الرحيب

وعلمنا ان يستهل على الشا \* م مكان الغيوث مال صيب  
أوتراها مثل العروس تراها \* كله من دم العدا مخضوب  
لطين السيف في فلق الصبح على هام أهلها تطرب  
ولجمع الحشود من كل حصن \* سلب مهمل لهم ونهوب  
وبحول الاله ذاك ومن غا \* لب ربي فانه مغلوب  
وكتب اليه أيضا

أيها السائر المجتهد الى الشا \* م تبارى ركابه والخيول  
خذ على بلدة بهادر مجد الدين لاربع ربعها المأهول  
وتعرف أخباره وأقره من اسلام فيه العتاب يجوز  
قل له أنت نعم ذخر الصديق اليوم لكك الصديق الملول  
ماظننا بان حالك في القر \* ب ولا البعد بالملال تحول  
لا كتاب ولا جواب ولا فو \* ل به لليقين منا حصول  
غير اننا وصل الكتب اذ قصص رمنك البر الكريم الوصول  
ذا كرين الفتح الذي فتح الله علينا فالفضل منه جميل  
جاءنا بعد ما ذكرناه في كتب أتناكم من منا رسول  
ان بعض الاسطول نال من الافرنج ما لا يناله التأميل  
سار في قلة وما زال بالله وصدق النيات بشي القليل  
وبقايا الاسطول ليس له بعد الى جانب الشام وصول  
خوى من عكا وانظر سوس \* عذة لم يحط بها التحصيل  
جمع ديوية بهم كانت الافرنج تسطو على الوري وتصول  
قيد في وسطهم مقدمهم \* دى الينا وجيده مغلول  
بعد مشوى جماعة هلكوا بالسيف منها الغريق والمغلول  
هذه نعمة الاله وتعديداً بادي الاله شئ بطول  
بلغوا قولنا الى الملك العا \* دل فهو المرجو والمأمول  
قل له كم تامل الدين في الركة سار فاحذر ان يغضب المطول  
سر الى القدس واحتسب ذلك في الله فبالسير منك بشي القليل  
واذا ما أبطا مسيرك فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

فأجابه أسامة بقصيدة منها

يا أمير الجيوش يا عدل الحكام في فعله وفيما يقول  
أنت حليت بالمكارم أهل ال \* مصر حتى تعرف المجهول  
وقسمت الفرنج بالغزو شطرين فهذا عان وهذا قتيل  
بالغ العبد في النيابة والتخريض وهو المفقود المقبول  
فرأى من عزيمة الغزو ما كا \* دت له الارض والجبال تميل  
واذا عاقت المقادير فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

وكتب الصالح اليه جوابا قصيدته الطائفة التي أولها

هي البسر لكن الثريا لها قرط \* ومن أنجم الجوزاء في نحرها سمط  
ذخرنا سطاها للفرنج لانها \* بهم دون أهل الارض أجدر ان تسطو

## كتاب (١٢٠) الروضتين

وقد كتبوا في الصلح لكن جوابهم \* بحضرتنا ما تكتب الخط الخط  
سطور خيول لا تغب ديارهم \* لها بالماضي والقنا الشكل والنقط  
إذا أرسلت فرعا من النقع فاجا \* أثينا فاسنان الرماح لها مشط  
رددناه ابن الفئس عنا وانما \* يثبت في سرجه الشد والربط  
فقولوا لنور الدين ليس لخائف السجرات الا الكي في الطب والبط  
وحسم أصول الداء أولى بعقل \* لييب اذا استولى على المدنف الخلط  
فدع عنك ميلا للفرنج وهدنة \* بها أبدأ بخطى سواهم ولم يخطوا  
تأمل فكم شرط شرطت عليهم \* قديما وكم غدر به نقض الشرط  
وشمر فانا قد ادعنا بكل ما \* سألت وجهنا الجيوش ولم يبطوا

قال العماد في كتاب الخريدة الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك سلطان مصر في زمان الفائز وأول زمان العاضد ملك مصر واستولى على أمر صاحب القصر ونفق في زمانه النظم والنثر وقرب الفضلاء واتخذهم جلساء ورحل اليه ذوو الرجا وأفاض على الداني والقاضي العطاء وله قصائد كثيرة مستحسنة انفذها الى الشام يذكر فيها قيامه بنصر الاسلام وما يصدق أحدا من ذلك شعره لجودته وأحكام معاني حكيمته واقسام معاني بلاغته فيقال ان المذهب ابن الزبير كان ينظم له والجليل بن الحباب كان يعينه وله ديوان كبير واحسان كثير ولما جلس في دست الوزارة نظم هذه الايات بديهة

انظر الى ذى الداركم \* قد حل ساحتها وزير  
ولكم تجتر آمنا \* وسط الصفوف بها أمير  
ذهبوا فلا واللهما \* يبقى الصغير ولا الكبير  
ولثل ما صاروا اليه \* من الفناء غدا نصير

(فصل) قال أبو يعلى ورد الخبر في خامس عشر ربيع الأول من ناحية حلب بحدوث زلزلة هائلة روعت أهلها وأزعجتهم وزعزت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محركة سبجانه وتعالى وفي ليلة الخامس والعشرين من ربيع الأول وافت زلزلة في دمشق روعت واقلقت ثم سكنت وفي التاسع من ربيع الآخر برز نور الدين من دمشق الى جسر الخشب في العسكر المنصور بالآلات الحرب لجهاد الكفر وقد كان أسد الدين قبل ذلك عند وصوله فيمن جعله من فرسان التركان أغار بهم على اعمال صيدا وما قرب منها فغنموا أحسن غنمية وأوفرها وخرج اليهم من كان بها من خيالة الفرنج ورجالها وقد كمنوا لهم فغنمواهم وقتلوا أكثرهم وأسروا الباقين وفيهم ولد المقدم المتولى حصن حارم وعادوا سالمين بالاسرى ورؤس القنلى والغنمية ولم يصب منهم غير فارس واحد قال وفي أوائل شهر ربيع الثاني لاؤل جادى الاخرة من السنة وفي البقاع مطر هطال بحيث حدث منه سيل أجر كما جرت به العادة في تنبؤ الشتاء ووصل الى برداو وصل الى دمشق وكثر النجيب من آثار قدرة الله تعالى بحدوث مثل ذلك في هذا الوقت قال وفي الليلة الثالثة والعشرين من رجب وافت زلزلة عند تاذين الغداة ثم أخرى في الليلة بعدها وقت صلاة الغداة وورد الخبر من العسكر المنصور وبن الفرنج تجمعوا ورحلوا الى العسكر وان المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتفق ان عسكر الاسلام حصل فيه فشل لبعض المقدمين فاندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع وبقى نور الدين ثابتا مكانه في عدة يسيرة من شجعان غلمانه واباطل خواصه في وجوه الفرنج وأطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولوا منهم زعين خوفان كين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ونجى الله وله الحمد نور الدين من بأسهم بمعونة الله تعالى وشدة بأسه وثبات جاشه ومشهور شجاعته وعاد الى محمية سالما في جماعته ولا من كان السبب في اندفاعه بين يدي الفرنج وتفرق جمع الفرنج الى اعمالهم وراسل ملكهم لنور الدين في طلب الصلح والمهادنة وحرص على ذلك وترددت بين الفرقيين مراسلات ولم يستقر بينهم حال وعاد نور الدين الى دمشق سالما قلت وذكر أبو الفتح بن أبي الحسن بن الاشترى المبيد كان بالمدرسة النظامية في سيرة مختصرة جمعها لنور

## في اخبار (١٢١) الدولتين

الدين وقد تقدم شيء من ارجحهما الله قال وبلغنا ان نور الدين خرج الى الجهاد في سنة ست وخمسين وخمسة مائة ففتى الله بانهم ازم عسكر المسلمين وبقي الملك العادل مع شزيمة قليلة وطائفة يسيرة واقفا على تل يقال له تل جبش وقد قرب عسكر الكفار بحيث اختلط رجال المسلمين مع رجال الكفار فوق الملك العادل بجذاتهم مولدا وجهه الى قبلة الدعاء حاضر اجمع قلبه مناجيا ربه يقول يا رب العباد أنا العبد الضعيف ملكتي هذه الولاية وأعطيتني هذه النيابة عمرت بلادك ونجحت عبادك وأمرتهم بما أمرتني به ونهيتهم عما نهيتني عنه فرفعت المنكرات من بينهم وأظهرت شعار دينك في بلادهم وقد انهمز المسلمون وأنا لا أقدر على دفع هؤلاء الكفار أعداء دينك ونيبك محمد صلى الله عليه وسلم ولا أملك الانفسي هذمو قد سلمتها اليهم ذابعا من دينك وناصرا لنبيك فاستجاب الله تعالى دعاءه وأوقع في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم الخذلان فوق قفوا مواضعهم وما جسر وأعلى الاقدام عليه وظنوا ان الملك العادل عمل عليهم الحيلة وان عسكر المسلمين في الكين فان أقدموا عليه يخرج عساكر المسلمين من الكين فلا ينفلت منهم أحد فوق قفوا وما قدموا عليه فال ولولا ان ذلك إلهام من الله تعالى لكانوا قد اسنأسروا المسلمين وما كان ينفلت واحد من المسلمين فوق عسكر الكفار وبرز اثنان منهم يجولان بين الصفين يطلبان البراز من المسلمين فأمر الملك العادل لخطب الراهد مولى الشهيد بالخروج اليهما فخرج وجال بينهما ساعة وجعل على واحد منهما فقتله ثم جال ساعة وجعل حيلة وخدعة ورجع الى قريب صف الكفار وجعل على الآخر فقتله ورجع الى الصف قال وحدثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبر شعيب على نيبنا وعليه السلام قال كان أعطاني ملك القدس بغيره كنت را بكا عليها يعني في ذلك اليوم واقفامع الملك العادل فلما وصل الكفار وقربوا منا شمت بغلتي رائحة خيل الكفار فسهلت تطلب خيلهم فسهوا صهيل بغلتي فقما لوا هذا ودارا كعب على البغلة مع نور الدين واقف ولولا الحيلة والنكين من المسلمين لما وقفوا مع هذه الشزيمة القليلة والطائفة اليسيرة فتحقق ذلك في قلوبهم فوق قفوا وما جسر وأعلى الاقدام عليه قال فترجل كل من كان مع الملك العادل وتشفعوا اليه وباسوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك أنت بجمع المسلمين في هذا الموضع وفي هذا الاقليم فان جرى والعياذ بالله وهن وضعف من استبداء الكفار على المسلمين فن الذي يقدر على تداركه قال وحلف هذا الشيخ داود انهم أخذوا بعنان فرسه كرها ورحلوا من ذلك الموضع وما كان في عزم الملك العادل ان يرحل من ذلك الموضع فلما عرف الكفار ذلك وانه ما كان عليهم حيلة ولا كين ندموا على ذلك ندامة عظيمة قال وكان قبل هذه الواقعة بسنة كسر الملك العادل الكفار وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم خلقا كثيرا على ما حكى عن صلاح الدين صاحب حصص انه قال قد جازال التركان علينا فحصل في الجريدة ألف أسير مع التركان هذا ما جاز على بلد حصص وحده وكان قد انفلت ملك القدس ودخل الى قلعة فملاجن عليه الليل خرج من القلعة ومضى

**(فصل ١٢١)** قال أبو بعل في رجب تجمعت قوم من السفها العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على اعادة ما كان أبطل وسامحه أهل دمشق من رسوم دار البطيخ وعرصه البقل والانهار وصانهم من اعنات شرار الضمان وحالة الاجناد وكرروا الصحف وعقوهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار يرض وكتبوا بذلك حتى أجبيوا الى ماراموا وشرعوا في فرضها على أبواب الاملاك من المتقدمين والاعيان والراعا فهاهمتوا الى صواب ولا تخرج لهم قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا وكثروا الضجيج والاستغاثة الى نور الدين فصرف همهم الى النظر في هذا الامر فتحت له السعادة واشار العبد في الرعاية الاعادة الى ما كان عليه فأمر في عاشر رمضان باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت عليه من امانتها وتعفيته أرضها وأضاف الى ذلك تبرعا من نفسه بابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفيته ذكرها فبالغ العالم عند ذلك في مواصلة الادعية والثناء عليه والنشر لحاسنه قال وفي الحادى والعشرين من رمضان وصل الحاجب محمود المسترشد من ناحية مصر بجواب ما تجمله من المراسلات من الملك الصالح متولى أمرها ومعه رسول من مقدمي أمرائها ومعه المال المنفذ برسم الخزنة النورية وأنواع الثياب المصرية والحياد العربية وكانت فرقة من الفرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم في المعابر فانظر الله بهم فلم ينل منهم الا القليل التزر ثم تلا ذلك ورود الخبر من العسكر المصرى بظفره بمجلة واقرة من الفرنج تناهزوا بمائة فارس وتزيد على ذلك

## كتاب (١٢٢) الروضتين

في ناحية العريش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب قال وقد كانت الاخبار تنصرت من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة بوز ملك الروم من افي العدد الكثير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى مروج الديباج وتخيه فيها واث سر اياه لا غارة على اعمال انطاكية وما والاها وان قوما من التركمان ظفروا بجماعة منهم هذا بعد ان افتتح من اعمال لاوين ملك الارمن عدة من حصونه ومعاقله ولما عرف نور الدين هذا شرع في مكاتبة الولاة بالاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من الروم وبعضهم على استعمال التيقظ والتأهب للجهاد فيهم والاستعداد للكتابة بمن يظهر منهم قال ابن الاثير وفي سنة ثلاث وخمسين سار الملك محمد بن السلطان محمود فصر بغداد وبها الخليفة المقتفي لامر الله ومعه وزيره عون الدين بن هبيرة فكانت اصحاب الاطراف فخر كوا ووصل الخبر الى الملك محمد بأن أخاه ملك شاه قصد همدان ودخلها في عسكر كبير ونهب وأخذ نساء الامراء الذين معه وأولادهم فاختلط العسكر وتفرقوا وعاد محمد فنحو همدان وخرج أهل بغداد فنهبوا وأخرا العسكر المنقطعين وشعثوا دار السلطان قلت وفي هذه السنة توفي أبو الوقت عبد الأول المحدث المنذر بدلاور واية كتاب الجامع الصحيح البخاري رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة أربع وخمسين) قال أبو يعلى في أول يوم منها وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره وتلاها اثنتان دونها وكان قد عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الارجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا واعيان الاجناد وضائق صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء يصل اليه لاسيما مع اخبار الروم والفرنج ولما أحس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص أصحابه وقال لهم انني قد عزمت على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشر وطها عاقلين اني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدي من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان أخي نصر الدين اعرف من اخلاقه وسوء فعله ما لا ارضى معه بتوليته امر من أمور المسلمين وقد وقع اختيارى على أخي قطب الدين مودود متولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وحمية اعتقاد خلفائه وأنفذ رسالته الى أخيه باعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدا ثم تفصل الله تعالى بابلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الامير محمد الدين النائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم في منبج برجل حال من أهل دمشق ومعه كتب فأنفذها الى محمد الدين متولى حلب فلما وقف عليها أمر بصلب متحملها وأنفذها في الحال الى نور الدين فوجدها من أمين الدين زين الحاج أي القاسم متولى ديوانه ومن عز الدين والى القلعة بملوكه ومن محمد بن جفري احد حجابته الى أخيه نصر الدين أمير أمران صاحب حران باعلامه بوقوع اليأس من أخيه ومحضونه على المبادرة والاسراع الى دمشق لتسلم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتاب على اربابها فاعترفوا بها فأمر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصر الدين الفراء محمد الى دمشق فانهض أسد الدين في العسكر المصور لرد ومنعه من الوصول فاتصل به خبر عوده الى مقره عنده معرفته بعافية أخيه فعاد أسد الدين الى دمشق ووصلت رسل الملك العادل من ناحية الموصل بجواب ما توجهوا به الى أخيه قطب الدين وفارقوه وقدر في عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتصل به خبر عافيته فأقام بحيث هو وأنفذ وزيره جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق يوم السبت الثامن من صفر في أحسن هزى وابهى تجل وخرج الى لقائه الخلق الكثير قال وهذا الوزير قد رقد الله الله تعالى من جميل الافعال وحيد الخلال وكرم النفس وانفاق أمواله في أبواب البر والصدقات والصلوات ومستحسن الآثار في مدينة الرسول عليه السلام ومكة ذات الحرم والبيت المعظم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره وتضاعف عليه حجه وشكره واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى الى عودته الى جهة بعد الاكرام له وتوفيته حقه من الاحترام وأصبح به برسم قطب الدين أخيه وخواصه من الملائكة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الامير أسد الدين وقال ابن أبي طي لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب نور الدين وفيه وجوه الدولة وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفي واكرم غاية الاكرام وأعيد الى صاحبه شاكر اعن نور الدين

## في أخبار (١٢٣) الدولتين

وسير معه الأمير أسد الدين شيركوه رسولا إلى قطب الدين بالشكر له والثناء عليه وأنفذت معه هدايا سنية فسار وعاد إلى حلب مكرما فوجد نور الدين عازما على الخروج إلى دمشق لما بلغه من افساد الفرنج في بلد حوران فسار في صحابته ووصل نور الدين إلى دمشق فأمر الناس بالتجهز لقتال الفرنج ثم انهمض أسد الدين في قطعة من العسكر للا غارة على بلد صيدا فسار وسار معه أخوه نجم الدين أيوب وأولادهم ليشعر الفرنج الا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل واسر عابدا عظيما وغنم غنيمة جليلة وعلافا جتمع نور الدين على جسر الخشب قلت وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المروضة الاولى وكان ابن أبي طي جعل المرصتين واحدة بحلب وأبو يعلى ذكر ان الاولى بحلب والثانية بدمشق وهو أصح والله أعلم

**فصل** قال أبو يعلى وكان قد وصل من ملك الروم رسول من معسكره ومعه هدية التحف بها الملك العادل ديباج وغير ذلك وجعل خطاب وفعال وقبول يمثل ذلك وحكى عن ملك الفرنج خذله الله ان المصالحه بينه وبين ملك الروم تقرررت والمهادنة انعقدت والله يرد بأس كل واحد منهما إلى نحرة ويذيقه عاقبة غدره ومكره قال ووردت أخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكية وقصد المعاقلة الاسلامية فبادر نور الدين بالتوجه إلى البلاد الشاميه لايأس أهلها من استيحا شهم من شر الروم والافرنج خذلهم الله تعالى فسار في العسكر صوب حصن ووجهه وشيرز قال وفي ثالث ربيع الاول وافت زلزلة هائلة ماجت أربع موجات وأيقظت النيام وازججت اليعنقى وخاف كل ذى مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه قال وفي تاسع جمادى الاولى هبت ريح عاصفة شديدة قامت يومها ولياتها فالتفت أكثر الثمار صيفها وشتموها وافسدت بعض الاشجار ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت موجتين ازججت وافتقت فال وتجددت المهادنة المؤكدة لنور الدين مع ملك الروم بعد تكرر المراسلات والاقتراحات في التقارير واجيب ملك الروم إلى ما التمس منه من اطلاق مقدمى الافرنج المقيمين في حبس نور الدين فأنهذههم بأسرهم وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يرضاه من الاتحاف بأتواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة العدد ومن الجوهر النفيس وخيمة من الديباج لها قيمة وافرة وما استحسن من الخيول الجلبية ثم رحل عقيب ذلك في عساكره من منزله عائدا إلى بلاده مشكورا محمودا ولم يؤذ أحد من المسلمين في العشر الاوسط من جمادى الاولى فاطمأنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها قال وورد بعد ذلك الخبر بان نور الدين صنع لآخيه قطب الدين ولعسكره ولبن ورد معه من المقدمين والولاء وأصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج سباطا عظيما هائلاتاهى فيه وقرق من الحصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير ومن الخلع من أنواع الديباج المختلفة وغيره والتخوت الذهب الشئ الكثير الزائد على الكثرة وكان يوما مشهودا في الحسن والتجمل والتفق ان جماعة من غرباء التركمان وجدوا من الناس غفلة باشتغالهم بالسباط وانتباهه فغار واعلى العرب من بنى اسامة وغيرهم واساقوا مواشيهم فلما ورد الخبر بذلك انهمض نور الدين في أثرهم فربقا وافر من العسكر فأدر ككهم ثم انهم استخلصوا منهم جميع ما أخذوه واعيد إلى أربابه قال ونقر الراى النورى على التوجه إلى مدينة حران لما نزلتها واستعادت بها من يد آخيه نصره الدين حسبما رآه في ذلك من الصلاح فرحل في عسكره أول جمادى الآخرة فلما نزل عليها وأحاط بها وقعت المراسلات إلى أن تقرر الحال على امان من بها وسلمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وقررت احوالها وأحسن النظر في أحوال أهلها وسلمها لأمير زين الدين على سبيل الاقطاع وفوض اليه تدبير أمورها

ثم دخلت سنة خمس وخمسين قال الرئيس أبو يعلى في صفرتوى الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين أحد مقدمى امراء الاكراد وهو من ذوى الوجاهة في الدولة موصوف بالسجاعة والبسالة والسماخه مواظب على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الزمان في كل عصر ينقضى وأوان جيل الحيا حسن البشر في اللقاء وجعل من داره سباب الفراديس إلى الجامع للصلاة عليه ثم إلى المدرسة المشهورة باسمه فدفن فيها في اليوم ولم يحل من بالك عليه ومؤثر له ومتأسف على فقده لجيل افعاله ووحيد دلاله قلت وله أوقاف على أبواب البر منها المدرستان المنسوبان إليه احدهما التي دفن فيها وهى لزيق باب الفراديس المجتهد والاخرى قبالة باب دار سيف

## كتاب (١٢٤) الروضتين

الغربي في صف مدرسة نور الدين رحمه الله وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق وغير ذلك وقدم مدحه العرقلة وغيره قال أبو يعلى وفي مستهل صفر رفع القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى ابن علي القرشي قاضي دمشق إلى الملك العادل نور الدين رغبة يسأله فيها الاعفاء من القضاء والاستبدال به فأجاب سؤاله وولى قضاء دمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدم وفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة بقوانين الأحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والتزاهة وتجنب الهوى والظلم واستقام له الأمر على ما هو عليه وإن أثره ويرضاه على أن القضاء من بعض أدواته واستقر أن يكون النائب عنه عند اشتغاله ولده قلت وكمال الدين رحمه الله تعالى الصدقة الجارية بعده على الفقراء كل جمعة وإلى ينسب الشباك الكمال بجامع دمشق من الغرب وهو الذي حكيت فيه القضاة مدة ويصلون فيه الجمعة في زماننا وإلى هاهنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرئيس أبي يعلى التميمي فإنه آخر كتابه وفي هذه السنة توفي رحمه الله قال ابن الأثير وفيها توفي أمير المؤمنين المقتدي لأمر الله بن المستظهر بأمر الله ومولده سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكانت خلافته أربعين سنة وثمانين وثمانين وولد له أبو المظفر يوسف ولقب بالمستنجد بالله فأقر ابن هبيرة على وزارته قال وفيها حج زين الدين علي وأحسن إلى الناس في طريق مكة وأكثر الصدقات فلما وصل بغداد أكرمه المستنجد بالله فلما لبس الخلعة كانت طويلة وكان قصيرا جدا فذبحه إلى كمراته وأخرج ما شذبه وسطه وقصر الجبة فنظر المستنجد إليه واستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم قلت وفيها توفي المستنجد بمصر الملقب بالفائز بن الظافر بن الحافظ وولى بعده ابن عمه العاصم بن يوسف بن الحافظ وهو آخر خلفاء مصر ووصل من الصالح بن زيك كتاب إلى ابن منقدا سامية بذلك فكتب إليه

هنا يعني قل عن قدرها الشكر \* وصبرا لرزء لا يقوم به الصبر  
مضى الفائز الظاهر الامام وقام بابا السلامة فينا بعده العاضد الظاهر  
امام اهدى لله في نقل ذالى \* كرامته وفي اقامة داسر  
فغش أبدا واسلم لهم يا كليلهم \* تدافع عنهم كل حادثة تعرو

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة \* قال ابن أبي طي في هذه السنة حج أسد الدين من الشام وخرج في نجبل عظيم وشارقة واستحب معه من الأزد والكسي أشياء عظيمة ويقال أنه كان معه ألف نفس يجرى عليهم الطعام والشراب ورجع على كوجك المعروف بن زين الدين من العراق ورجع ملهم أسد الدين وزير مصر فكان الموسم بهؤلاء الثلاثة كثير الخير واستغنى بسببهم أهل الحجاز وعاد أسد الدين سالما وخرج نور الدين إلى لقائه وكان يوم وروده يوما عظيما وقال أيضا وفيها قتل الصالح بن زيك بمصر وكان سبب قتله أن عمه العاضد علمت على قتله وأنفذت الأموال إلى الأمراء فبلغ ذلك الصالح فاستعاد الأموال واحتاط على عمه العاضد قال وإنما كرهته عمه العاضد لاستيلائه على الأمور والدولة وحفظه للأموال وقتل الصالح بسببها جماعة من الأمراء ونكبتهم وتمكن من الدولة تمكنا حسنا ثم إن عمه العاضد عادت واحكت الحيلة عليه وبذلت لقوم من السودان ما لا يجزى لاحتى أو قعوبه الفعل جلسوا له في بيت في دهليز القصر مختلفين فيه فلما كان يوم تاسع عشر رمضان ركب إلى القصر ودخله وسلم على العاضد وخرج من عنده فخرج عليه الجماعة ووقعت الصيحة فغز الصالح بأذياله فظعنه أحد هم بالسيف في ظاهر رقبته فقطع أحد عمودي الرقبة وحمل إلى باب القصر وأصيب ولده زيك في كتفه ولما حصل الصالح في داره أوصى ولده زيك ومات بعد ساعة من ذلك اليوم قال العماد وأكسفت شمس الفضائل ورخص سعر الشعر وانخفض علم العلم وضاق قضاء الفضل وعمر زيك وبن زيك وملاك صرف الدهر ذلك المليك فلم تزل مصر بعده منجوسة الحظ منجوسة الجدم من كوسة الآية إلى أن ملكها يوسف الثاني وجعلها معان المعاني وأشر رميها وعطرت نسيمها وتسلم قصرها وألتم خصرها قال زين الدين الواعظ علم فارس المسلمين أخو الصالح دعوة في شعبان من السنة التي قتل فيها فعمل هذه الأبيات وسلمها إلى

## في اخبار (١٢٥) الدولتين

انست بكم دهرها فلما ظنتم اسستمتقرت بقلبي وحشة للفرق  
وأعجب شئ اني يوم بينكم \* بقيت وقلبي بين جنبي ما بقي  
أرى البعد ما بيني وبين أحبتي \* كبعد المدى بين غرب ومشرق  
الاجددى يانفس وجدا وحسرة \* فهذا فراق بعده ليس نلتقي

قال فلم يبق بعده اهلهم اجتماع في مسرة وقتل في شهر رمضان قلت ولعمارة اليمنى ولغيره مدائح في الصالح ومراث  
جليله وقد أثني عليه كثيرا في كتاب الوزراء المصرية ولم يكن مجلس انسه ينقطع الا بالذاكرة في أنواع العلوم  
الشرعية والادبية وفي مذاكره وقائع الحروب مع أمراء دولته قال وكان من تاضا قدم أطراف المعارف وتميز عن  
اجلاف الملوك وكان شاعرا يحب الادب وأهله يكرم جلسيه ويسط أنيسه ولكنه كان مفرط العصية في مذهب  
الامامية وكان من تاضا حصيفا قد لقي في ولايته فقهاء السنة وسمع كلامهم قال ودخلت عليه قبل ان يموت بثلاث  
ليال وفي يد قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره علمهما في تلك الساعة

نحن في غفلة ونوم ولأسو \* تعيون يقظانة لاتنام  
قدر حملنا الى الحمام سمنينا \* ليت شعري متى يكون الحمام

قال ومن عجيب الاتفاق اني أنشدت ابنه مجدا الاسلام في دار عيد السعداء ليلة السادس عشر من شهر رمضان  
أو السابع عشر قصيدة أقول فيها

أبولك الذي تسطو اليه الى بجته \* وأنت يمين ان سطا وشمال  
لربنته العظمى وان طال عمره \* اليك مصير واجب ومال  
تخالسك اللحظ المصون ودونها \* حجاب شريف لا انقضى وحال

قال فانتقل الملك بعد ثلاث اليه قال وممارثته به قولي

أفي أهل ذا النادى عليم أسأله \* فاني لما بي ذاهب اللب ذاهله  
سمعت حديثا أحسد الصم عنده \* ويذهل داعيه ويخرس قائله  
فقد رايتني من شاهد الحال اني \* أرى الدست منصوبا وما فيه كافله  
والى أرى فوق الوجوه كآبة \* تدل على ان الوجوه ثواكله  
دعوني فما هـذا بوقت بكائه \* سيما تيكم طيل البكاء ووابله  
ولم لا نبكيه وتندب فقده \* وأولادنا أيتامه وأرامله  
فيا ليت شعري بعد حسن فعالة \* وقد غاب عن مابنا الدهر فاعاله  
ايكرم مشوي ضيئكم وغريكم \* فيسكن أم تطوى بين مناحله

وله من أخرى يرثيه ويذكر ولاية ابنه

طمع المرء في الحياة غرور \* وطويل الآمال فيها قصير  
ولكم قدر الفتي فاتته \* نوب لم يحط بها التقدير  
فض ختم الحياة عنك حمام \* لا يراعي اذنا ولا يستشير  
لا يخطي اجلالك اليوم الا \* قدر أمره علينا قدير  
يا أمير الجيوش هل لك علم \* ان حراسي علينا أمير  
ان قبرا حلاته لغنى \* ان دهره فارقت له فقير  
انطوى ذلك البساط وعهدى \* وهو بالعلم والندى مغرور  
لاتظن الايام انك ميت \* لم يمت من ثناؤه منشور  
ان مضى كافل فهذا كفيل \* أو وزير يغيب فهذا وزير  
دولة صالحة خلقتها \* دولة عادلية لا تجور



## كتاب (١٢٦) الروضتين

ما شكونا كسر النوائب حتى \* قيل في الحال كسر كم مجبور  
 نصر الناصر العلى بالعوالى \* ولنعم المولى ونعم النصير  
 وقال أبصار ثيه ويزكر الظفر بقاتليه ويصف نقل تابوته الى مشهده بالقرافة قصيدة طويلة منها  
 قد كنت أشرق من ثمامد ماسى \* أسفا فكيف وقد طمى التيار  
 عم الورى يوم الخميس وخصنى \* خطب بانف الدهر منه صغار  
 ما أوحش الدنيا غدية فارقت \* قطبار حى الدنيا عليه تدار  
 خربت ربوع المكرمات لواحد \* عمرت به الاجداث وهى قفار  
 نعش الجدود العاثرات مشيع \* عشت برؤية نعشه الابصار  
 نعش بؤبؤات نعش لو غدت \* ونظامها أسفا عليه نثار  
 شخص الانام اليه تحت جنازة \* خفضت لرفعة قدرها الاقدار  
 سار الامام امامها فعملت ان \* قد شيعتها الجسمة الابرار  
 ومشى الملوك بها حفاة بعدما \* حفت ملائكة بها أطهار  
 فكأنها تابوت موسى أودعت \* فى جانيه سحينة ووغار  
 لكنه ماضى غير بقية الاسلام \* وهو الصالح المختار  
 اقطنته دار الوزارة رثى \* بنيت لنقلته الكريمة دار  
 وقبار الهرمان والحرمان فى \* تابوته وعلى الكريم يغار  
 أثرت مصر امه بالشرف الذى \* حسدت قراقته الهامصار  
 وجعلتها امنا به ومثابة \* ترجو مثابة قصدها الزوار  
 قد قلت ان نقلوه نقله ظاعن \* نزحت به دار وشط مزار  
 ما كان الا السيف جدد غمده \* بسواه وهو الصارم البتار  
 والبدر فارق برجيه متبدلا \* برحابه تتشعشع الانوار  
 والغيث روى بلدة ثم انتحى \* أخرى فنوء سحابه مدرار  
 يامسبل الاستار دون جلاله \* ماذا الذى رفعت له الاستار  
 ما لى أرى الزوار بعد مهابة \* فوضى ولا اذن ولا استثمار  
 غضب الاله على رجال أقدموا \* جهلا عليك وآخرين أشاروا  
 لا تجبالق دازناقة صالح \* فكل دهرناقة وقدار  
 واخجلنا للبيض كيف تطاولت \* سفها بايدى السود وهى قصار  
 واحسرتا كيف انفردت لاعبد \* وعبيدك السادات والاحرار  
 رصدوك فى ضيق المجال بحيث لا \* الخطى متسع ولا الخطار  
 ما كان أقصر باعهم عن مثلها \* لو كنت متروكا وما تختار  
 ولقد ثبت ثبات مقتدر على \* خذلانهم لو ساعد المقدار  
 وتعبثت أقدامهم بكهية \* لولم يكن لك بالذبول عذار  
 أحللت دار كرامة لاتنقضى \* أبدا وحول بقاتليك بوار  
 ياليت عينك شاهدت أحوالهم \* من بعدها ورأت الى ما صاروا  
 وقع القصاص بهم وايسوا مقنعا \* يرضى وأين من السماء غبار  
 ضاقت بهم سعة الفجاج وربما \* نام العمدو ولا ينام الثار  
 ونوهوا ان الفرار مطية \* تنجى وأين من القضاء فرار

## في اخبار (١٢٧) الدولتين

طاروا فذأبوا الشجاع لصيدهم \* شرك الردي فكأنهم ماطاروا  
فتن بالاجر الجـ زيل وميته \* درجت عليها قبلك الاخبار  
مات الوصى بها وحزاة عمه \* وابن البتول وجعفر الطيار  
نلت السعادة والشهادة والعلی \* حيا وميتا ان ذا النخار  
ولقد أدت العین بعدك أروع \* لولاه لم يك للعلی استقرار  
الناصر الهادي الذي حسنته \* عن سيات زماننا أعذار  
ولما استقام لحفظ أمة أحمد \* عمرت به الاوطان والاوطار

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسائة \* قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين العساكر وسار الى قلعة حارم وحصرها ووجد في قتلها فامتنعت عليه لحصاتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم واجتمع الفرنج من سائر البلاد وساروا نحو لير حلوه عنهما فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه الى ذلك وراسلوه وتلفقوا الحال معه فعاد الى بلاده ومن كان معه في هذه الغزاة الامير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ وكان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد سيرين وكان قد دخله في العام الماضي سائر الى الحج فلما دخله عا مثذ كذب على حائطه

لك الحمد يا مولاي كم لك منة \* على وفضل لا يحيط به شكرى  
نزلت بهذا المسجد العام قافلا \* من الغزو موفور النصيب من الاجر  
ومنه رحلت العيس في عامي الذي \* مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر  
فأدبت مفروضي وأسقطت ثقل ما \* تجلت من وزر الشيبية عن ظهري

قلت أذكرني هذا ما كتبه أسامة ايضا بمدينة صور وقد دخل دار ابن أبي عقيل فرآها وقد تهدمت وتغيرت زخرفتها فكتب على لوح من رخام هذه الايات

احذر من الدنيا ولا \* تغتر بالمر القصير  
وانظر الى آثار من \* صرته منا بالغرور  
عروا وشادوا ماترا \* من المنازل والقصور  
وتحولوا من بعد سكانها الى سكنى القبور

قلت ابن أبي عقيل هذا هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل صاحب صور ويلقب عين الدولة مات سنة خمس وستين وأربعمائة واستولى على صور ابنه النفيس والله أعلم

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسائة \* قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد الفرنج فنزل بالبقية تحت حصن الاكراد وهو للفرنج عازما على دخول بلادهم ومنازلة طرابلس فبينما الناس في بعض الايام في خيامهم في وسط النهار لم يرهم الاظهروا صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه الحصن فكبسوهم فأراد المسلمون دفعهم فلم يطيعوا فأنهزموا ووضع الفرنج السيف وأكثروا القتل والاسر وقصدوا خيمة الملك العادل فخرج عن ظهر خيمته عجلاب غير قباقر كب فرسانه نالك للثوبة ولسر عترة ركبته وفي رجليه شجرة فقتل انسان من الاكراد فقطعها فنجح نور الدين وقتل الكردي فسأل نور الدين عن مخلفي ذلك الكردي فأحسن اليهم جزاء لفعله وكان أكثر القتل في السوق والعلمان وسار نور الدين الى مدينة حصن فأقام بظاهرها واحضر منها ما فيها من الخيام ونصبها على بحيرة قدس على فرسخ من حصن وبينها وبين مكان الواقعة أربعة فراسخ وكان الناس يظنون انه لا يقف دون حلب وكان رحمه الله أشجع من ذلك واقوى عزما ولما نزل على بحيرة قدس اجتمع اليه كل من نجح من المعركة فقال له بعض أصحابه ليس من الرأي أن تقيم هاهنا فان الفرنج ربما جملهم الطمع على المجيء الينا ونحن على هذه الحال فوجه واسكته وقال اذا كان معي ألف فارس فلا بالي بهم قولا أو كثروا والله لا أستظل بجدار حتى أخذ بشار الاسلام ونار ثم انه أرسل الى حلب ودمشق وأجضر الاموال والدواب والاسلحة والخيام

## كتاب (١٢٨) الروضتين

وسائر ما يحتاج اليه الجند فأكثر ووفر ذلك جميعه على من سلم وأمان قتل فانه اقر اقطاعه على أولاده فان لم يكن له ولد فعلى بعض أهله فعاد العسكر كأنه لم يقدّمه أحد وأما الفرنج فكأنهم كانوا عازمين على تصد حصص بعد الهزيمة لأنهم أقرب البلاد اليهم فلما بلغهم مقام نور الدين عندها قالوا انه لم يفعل هذا الا وعنده من القوة ان يمنعنا وكان نور الدين رحمه الله قد أكثر الخرج الى ان قسم في يوم واحد مائتي ألف دينار سوى غيرهما من الدواب والخيام والسلاح وغير ذلك وتقدّم الى ديوانه ان يحضر والجند ويسألوا كل واحد منهم عن الذي أخذ منه فكل من ذكر شيئاً أعطوه عوضه فحضر بعض الجند ودأى شيئاً كثيراً اعلم بعض الثواب كذبه فيما ادعاه لمعرفة ما يحالهم فأرسلوا الى نور الدين ينهون اليه القضية ويستأذونه في تحليف الجندى على ما ادعاه فأعاد الجواب لا تكذروا عطاءنا فاني أرجو الثواب والاجرة على قليله وكثيره وقال له أصحابه ان لك في بلادك ادرات كثيرة وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلواستعنت بها الآن لكان امثل فغضب من هذا وقال والله اني لا رجوا أباً ولكنك النصر فأنما ترزقون وتنصرون بضغائنكم كيف أقطع صلوات قوم يقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهام لا تخطى وأصرفها الى من يقاتل عني اذا رأي بسهام قد تخطى وتصيب ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال اصرفه اليهم كيف اعطيه غيرهم فسكتوا ثم ان الفرنج أرسلوا الى نور الدين في المهادنة فلم يجيبهم اليها فتركوا عند الحصن من يحميه وعادوا الى بلادهم وتفرقوا قلت وفي هذه الحادثة تحت حصن الاكراد يقول أبو الفرج عبيد الله بن سعد الموصلى نزيل حصن من جملة قصيدة فائقة يمدح بها نور الدين رحمه الله أولها

نظي المواضي واطراف القنا الذبل \* ضوا من لك ما حازوه من نفل  
وكاف لك كاف ما تحاولة \* عز وعزم وبأس غير منتحل  
وما يعيبك ما حازوه من سلب \* بالحتل قد تؤسر الآساد بالحيل  
وانما أخلد واجبنا الى خديع \* اذ لم يكن لهم بالجيش من قبل  
واستيقظوا وأراد الله غفلتك \* لينفذ النذر المحتموم في الازل  
حتى أتوكم ولا الماذى من أمم \* ولا الظبي كبش من مرقع عجل  
قنا لقاقسي غير موزرة \* والخيل عازبة تترعى مع الحمل  
ما يصنع الليث لانا ولا ظفر \* بما حواله من عفرو من وعدل  
هلا وقد ركب الاسد الصخرة وقد \* سلوا الظبي تحت غابات من الاسل  
وانما هم أضاعوا خزمهم ثقة \* بجمعهم ولهم من واثق خيل  
بني الا صافرمانتم بمكركم \* والمكر في كل انسان أخوال الفشل  
وما رجعت بأسرى خاب سعيكم \* غير الاراذل والاتباع والسفل  
سلبتم الجسد معراة بلاجم \* والسم من كوزة والبيض في الخلال  
هل أخذ الخيل قد اردى فوارسها \* مثال أخذها في الشكل والطول  
أم سالب الرمح من كوزا كسالبه \* والحرب دائرة من كف معتقل  
جيش اصابتهم عين الكمال وما \* يخلو من العين الا غير مكتمل  
لهم يوم حسنين اسوة وهم \* خير الانام وفيهم خاتم الرسل  
سيق تضيقكم بضر بعنداهونه \* البيض كالبيض والادراع كالخلل  
ملك بعيد من الانسان ذو كلف \* بالصدق في القول والاخلاص في العمل  
فالسمر ما أصبحت والشمس ما أفلت \* والسيف ما فلول والطواد لم تزل  
وكم تجلى بنور الدين من ظلم \* وانجاب ما كان للاضلال من ظلل  
وكم لعمرى كفوا الطرف من جبن \* عند اللقاء وغضوا الطرف من نخل  
طلبتم السهل تبغون النجاة ولو \* لذتم بملككم لذتم الى الجبل

## في اخبار (١٢٩) الدولتين

اسلمتوه ووليتم فأسلمكم \* بثبته لوبغاها الطولم بنسل  
 فقام فردا وقدولت جحافلله \* فكان من نفسه في جحفل زجل  
 في مشهد لوليوث الغيل تشهده \* خرت لاذقائها من شدة الوهل  
 وسط العدى وحده ثبت الجنان وقد \* طارت قلوب على بعد من الوجل  
 يعود عنهم رويدا غير مكترث \* بهم وقد كرت فيهم غير محتفل  
 يزاد قدما اليهم من تمقنه \* ان التأخر لا يجي من الاجل  
 ما كان اقر بهم من اسر ابعدهم \* لو انهم لم يكونوا منه في شغل  
 ثباته في صدور الخيل انقذكم \* لا تحسبوا وثبات الضمر الدال  
 ما كل حين تصاب الاسد غافلة \* ولا يصيب الشدي البطش ذوال الشلل  
 والله عونك فيما أنت مز معه \* كما أعانك في أيامك الاول  
 كم قد ملكت لهم ملكا بلا عوض \* وخرت من بلد منها بلبدل  
 وكسقت العوالي من طلي ملك \* وكقرنت العوافي من قرا بطل  
 لا تكبت سهمك الاقدار عن غرض \* ولا تثبت يدك الايام عن أمل

قلت حاول ابن اسعد في هذه القصيدة ما حوله المتنبي في قوله (غيري بأكثر هذا الناس) بخدع) القصيدة فان كل واحد  
 منها اعتذر عن أصحابه ومدحهم وهم المنزومون وقد احسن ما عافى الله عنهم وعبدا لله بن أسعد هذا فقيه فاضل  
 وشاعر مقلق كان مدرسا يحصى يعرف بابن الدهان وله ترجمة في تاريخ دمشق وقد ذكره العماد الكاتب في خريدته  
 فأحسن ذكره وأكثر الثناء على علمه وشعره وسيأتي ذكره أيضا في هذا الكتاب في أخبار سنة سبعين وست وسبعين  
 وثمان وسبعين ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وخمسائة توفي عبد المؤمن بن علي خليفة  
 لمهدي محمد بن تومرت صاحب المغرب وولي بعده ابنه يوسف

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسائة ففهيها سارا أسد الدين شيركوه بن شاذي الى مصر امته الاولى وهو من  
 أكابر الامراء الذين في الخدمة النورية غازي على ملك الديار المصرية واستضافتها الى المملكة النورية وكان أسد  
 الدين وأخوه نجم الدين أيوب وهو أكبر أبناء شاذي من بلد دوين وهي بلدة من آخر بلاد اذربيجان هما يلي الروم  
 وأصلهما من الأكراد الزواذية وهذا القبيل هو أشرف الأكراد وقد ماء العراق وخدماء بمجاهد الدين بهر وز الخادم  
 وهو شحنة العراق فرأى في نجم الدين عقلا ورأيا وحسن سيرة فجعله دزدار ابتكرت وهي بلد دفسار اليها ومعه أخوه  
 أسد الدين فلما انهزم أتاتك زنكي الشهيد والد نور الدين بالعراق ومعه الخواجه السافي وهو أتاتك داود بن السلطان محمود  
 وذلك زمن المسترشد بالله سنة ست وعشرين وخمسائة وصل الى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فعبث  
 دجلة وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين سيرهم ثم ان أسد الدين قتل انسانا نصرانيا ابتكرت للملاحاة جرت بينهما  
 فارس ل مجاهد الدين اليه والى أخيه نجم الدين فأخرجهما من تكريت وقيل ان أيوب كان يحسن الرماية فرمى  
 شخصان من مماليك بهر وز بسهم فقتله فخشي على نفسه فتوجه نحو الشام وخدم مع زنكي وقيل لما قتل أسد الدين  
 شيركوه النصراني وكان عزيزا عند بهر وز هرب الى الموصل والتحق أيوب به وسنوضح هذه القضية ان شاء الله تعالى  
 عند ذكر وفاة أيوب في أخبار سنة ثمان وستين ثم ان أيوب وشيركوه قصد أتاتك الشهيد فأحسن اليهما وعرف لهما  
 خدمتهما وما واقطعهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة جنده فلما فتح حصن بعلبك جعل نجم الدين دزدار فيه فلما قتل  
 الشهيد حصر عسكر دمشق نجم الدين فأرسل الى سيف الدين غازي وقد قام بالملك بعد والده ينهى الحال اليه فلم  
 تغرغ بعلبك وضاق الامر على من بها وخاف نجم الدين ان تؤخذ عنوة ويناله أذى فأرسل في تسليم القلعة وطلب  
 اقطاعا ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة وفي له بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم  
 وصار عنده من أكابر الامراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل الشهيد وكان يخدمه في  
 أيام والده فقر به نور الدين واقطعه ورأى منه في حروبه ومشاهده آثارا يجز عن غيره لشجاعته وجرائته فزاده اقطاعا

## كتاب (١٣٠) الروضتين

وقر باحتي صارت له حصص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما تعلق المهمة النورية بملك دمشق أمر أسد الدين فراسل أخاه نجم الدين وهو بها في ذلك فطلب منه المساعدة على فتحها فأجاب الى ما يراد منه وطلب هو وأسد الدين من نور الدين كثير من الاقطاع والاملاك ببلد دمشق وغيرها فبذل لهما ما طلبا منه وحلف لهما عليه فوفي لهما ما ملكها وصارا عنده في اعلى المنازل لاسيما نجم الدين فان جميع الامراء كانوا لا يقعدون عند نور الدين الا أن يأمرهم او احدهم بذلك الانجم الدين فانه كان اذا دخل اليه قعد من غير ان يؤمر بذلك فلما كان سنة تسع وخمسين عزم نور الدين على ارسال العساكر الى مصر ولم ير لهذا الامر الكبير اقوم ولا أنجح مع أسد الدين فسيره وكان سبب ذلك ان شاور بن مجير باشجاع السعدي وهو الملقب أمير الجيوش الذي يقول فيه عمارة من قصيدة

ضجبر الحديد من الحديد وشاور \* في نصر آل محمد لم يضجر  
حلف الزمان لبأتين بمثله \* حنث يمينك يا زمان فكفر

وهو وزير الملقب بالعاذل دين الله آخر المستملقين بمصر كان قد وصل الى دمشق في سنة ثمان وخمسين سادس ربيع الاول الى نور الدين مستجدا به على من أخذ منه منصبه قهرا وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن دفعه وعرفوا عجزه وقوا للقاها منهم ورتبوه ومكنوه فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزيرهم وهو الملقب عندهم بالسلطان وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم مستقيمة وقوا عندهم مستقرة من أول زمانهم على هذا المثال وكان شاور قد غلب على الوزارة واتزعهما من بني رزيق وقتل العادل بن الصالح ابن رزيق الذي وزر بعده ابيه واسمه رزيق ويلقب بالناصر أيضا وهو الذي استخضر القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي من الاسكندرية واستخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش على ما ذكره عمارة البني في كتاب الوزراء المصرية وقال غرس منه للدولة بل لليلة شجرة مباركة متزايدة فلما أصلها ثابت وفرعها في السماء ثم خرج على شاور نائب الباب وهو أمير يقال له ضرغام بن سواد ويلقب بالمنصور فجمع له جموعا كثيرة ليكن له بها قبل فغلبه وأخرجه من القاهرة وولده طيا واسم تولى على الوزارة فدخل شاور الى الشام قاصدا خدمة نور الدين مستصر خابه ومستنصرا فأحسن لقاءه وأكرم مثواه فطلب منه ارسال العساكر الى مصر ليعود اليها ويكون له فيها حصة ذكرها له ويتصرف على امره ونهيه واختياره ونور الدين يقدم في ذلك رجلا ويؤخر أخرى تارة تحمله رعاية قصد شاور وطلب الزيادة في الملك والتقوى على الفرنج وتارة يمنع خطر الطريق وكون الفرنج فيه الا ان يوغلوا في البر فيتعرضوا لخطر آخر مع الخوف من الفرنج أيضا ثم استخار الله تعالى وأمر أسد الدين بالتجهز ليسيير معه قضاء الحق الوافاة المستصرخ وجبسا للبلاد وتطلعا على أحوالها وكان هوى أسد الدين في ذلك وكان عنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي معه بمخافة قبحهز وسار مع شاور في جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين هكذا ذكر ابن الاثير والعماد الكاتب وقال القاضي ابن شداد كان ذلك سنة ثمان وخمسين والقول في ذلك قولهما فقد بينا ان قدوم شاور الى الشام كان في سنة ثمان وخمسين وارسال نور الدين العسكر كان في جمادى سنة تسع وخمسين قالوا وأمر نور الدين أسد الدين بأعادة شاور الى منصبه والانتقام ممن نازعه في الوزارة وسار واجيعا وسار معهم نور الدين الى اطراف بلاد الاسلام مما يلي الفرنج بعساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين سالما الى مصر هو ومن معه فهرب المنازع لشاور في الوزارة وقتل وطيف برأسه وعاد شاور وزير او تمكن من منصبه وكان عمارة قد مدح ضرغامًا بقصيدة منها

وأحق من وزير الخلافة من نشا \* في حضرة الاكرام والاجلال

واختص بالخلفاء وانكسفت له \* أسرارها بقرائن الاحوال

وتصرف الوزراء عن افعاله \* كتصرف الاسماء بالافعال

قال عمارة ولما جازوا برأسه على الخليج وكنت أسكن صف الخليج بالقاهرة قلت ارتجالا

أرى حنك الوراثة صار سيفا \* يجذب حمة صيد الرقاب

كانك رايد البسوى والا \* بشير بالمنية والمصاب

ولعمارة النبي من قصيدة مدح بها شاور وذكروا رايه قوله

فنصرت في الأولى بضرب زلزال الـ قدم وهي شديدة الـ اقدام  
ونصرت في الاخرى بضرب صادق \* أنحى بطير به غراب الهام  
أدركت ثارا وار تجعت وزارة \* نزعا بسيفك من يدي صرغام  
وكان صرغام أولا من أصحاب شاور واتباعه وتدأشار الى ذلك عمار في قوله من قصيدته له  
كانت وزارتك القديمة مشرعا \* صفوا ولكن كذرت غدرانها  
غصبت رجال تاجه وسريه \* من بعدما سجدت له تيجانها  
وله من قصيدة أخرى في شاور

وزرتمته الوزارة أولا \* وثانية عفوا بغير طـلاب  
خفاته في الاولى بطانة وده \* ورب حبيب في قيص حباب  
وجاءته بغي الصلح ثاني مرة \* فلم يرض الا بعد ضرب رقاب

ولم يغلب وزيرهم وعاد غير شاور وكان مدة أحد الـ وزاره منه الى ان عادت اليه تسعة أشهر سواء وهي مدة الحـل نص  
عمارة على ذلك وقال قتل ولده طي يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وجازرأسه على رمح تحت الطيقان والنساء  
يولول بالصراخ وكان فيهن واحدة تحفظ قولي في الصالح

اينسى وفي العيينين صورة وجهه الـ \* كـريم وعهد الـ انتقال قريب  
فما زالت تـكره حتى رأت رأس صرغام فال وأدرك ساور ناره في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الاخرة  
فيكون بينهما تسعة أشهر قال وقلت في ذلك

ونزعت ملكك من رجال نازعوا \* فيه وكنت به أحق واقعدا  
جذبوا ردائك غاصبين فلم تزل \* حتى كسوت القوم أردية الردى  
وبردت قلبك من حرارة حرقة \* أمرت نسيم الليل ان لا يبردا  
ناريحها \* ذائنته في منته \* يوما بيوم عبدة لمن امتدى  
جملت به الايام تسعة أشهر \* حتى جعلن له جمادى مولدا  
وله فيه أيضا

لله درك \* وتورا اقض به \* دست وسرح واجفان ومضطجع  
ما غبت الا يسيرا \* ثم لحت لنا \* والشارمة تدرك والملك مرتجع  
قضية لم ينل منها ابن ديزن \* الا كما نلت والاثار تتبع

قال ابن الاثير وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة وغدربه شاور وعاد عما كان قرر له نور الدين من البلاد المصرية  
ولأسد الدين أيضا فارس اليه بأمره بالعود الى الشام فانفأسد الدين من هذه الحال وأعاد الجواب يطلب ما كان  
استقر فلم يجبه شاور اليه فلما رأى ذلك أرسل نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فارس شاور الى  
الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك ان ملكهم هانور الدين فهم  
خائفون فلما أرسل شاور اليهم يستنجدهم ويطلب منهم ان يساعده على اخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج  
لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته والمبادرة الى نصرته وطمعوا في ملك ديار مصر وكان قد بذل لهم مالا على المسير  
اليه فتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين خبر تجهيزهم للمسير سار يعساكره في أطراف بلاده مما يلي الافرنج ليمتنعوا  
من المسير فلم يمتنعوا العلمهم ان الخطر في مقامهم اذ ملك أسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم فتركوا  
في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقيين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كبير من الفرنج  
في البحر لزيارة البيت المقدس فاستمعان بهم ملك الفرنج فأعانه وسار بعضهم معه وأقام بعض في البلاد لحفظها فلما  
قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصدا مدينة بلبيس وأقام بها هو وعسكره وجعلها ظهرا يتحصن به فاجتمعت

## كتاب (١٣٢) الروضتين

العساكر المصرية والفرنجية ونازلوا أسد الدين بمدينة بلبليس وحصره بها ثلاثة أشهر وقد امتنع أسد الدين بها وسورها من طين قصير جدًا وليس له خندق ولا جيل يحميها وهو يغاديرهم القتال ويرأوهم فلم يبلغوا منه غرضًا ولا لواله شيئا فبينما هم كذلك إذا بهم الخبر بزيمة الفرنج بحارم وملك نور الدين الحصن ومسيره إلى بانياس فحينئذ سقط في أيديهم وأرادوا العود إلى البلاد ليحفظوها ولعلمهم بذكر كون بانياس قبل أخذها فلم يدركوها الا وقد ملأها على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وراسلوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين فاجابهم إلى ذلك لانهم لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج في الساحل قال ابن الأثير فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبليس قال رأيته وقد أخرج أصحابه بين يديه وبقي في آخرهم وبيده دلت من حديد يحكي ساقهم والمسلمون والفرنج ينظرون قال فاتاه فرنجي من الفرنج الغرباء فقال له أمتأخف ان يغدر بك هؤلاء المسلمون والفرنج قد أحاطوا بك وبأصحابك فلا يبقى لك معهم بقية فقال شيركوه باليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لم ترمثله كنت والله أضع فيهم السيوف فلا قتل حتى اقتل رجالا وحينئذ يقصد هم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفي ابظالم في بلادهم ويفنى من بقي منهم ووالله لو أطاعني هؤلاء يعني أصحابه لخرجت إليكم أول يوم لكنهم امتنعوا فصلب الفرنجي على وجهه وقال كأنجب من فرنج هذه الديار ومبا الغنم في صفتك وخوفهم منك والا فقد عذرتهم ثم رجع عنه وسار شيركوه إلى الشام وعاد سائما وقال العماد الكاتب وصل شاور إلى نور الدين ملتجئًا فالتقاء على عدوة معدية مشكيا وسير معه أسد الدين على قرار عينه وأمر يديه وبغية يدركها وخطة يملأها ومحجة واضحة في الملك يسلكها فغضى عنه ونصره وأصفي له مشرعه واسترد له موضعه وأظهره بعلوه وأنظره بعدوه فلما باد خصمه بدأوصمه وغدر بعده وأخلف في وعده وكان قد راسل الفرنج وهاداهم في حرب الاسلام فوصلوا فتحصن شيركوه ومن معه بمدينة بلبليس فحاصره شاور بجند مصر والفرنج ثلاثة أشهر من مستهل رمضان إلى ذى الحجة فبذلوا له قطيعة فانصرف عنهم وعاد إلى الشام وفي قلبه من شر شاور الا نحن وكيف تمت بغدره تلك المحنة قلت وقد أشار إلى ذلك عمارة في قوله في مدح شاور وذكر الأفرنج فقال

وأنتذت من مصر عدوا بمثل له \* فله من ظفر فلت وناب  
صدمت جوع الكفر والشام صدمة \* أقت بها للقوم سوق ضراب  
وقد جردت أجناد مصر عزائمها \* مضاربها في الصخر غير نوابي  
تولوا عن الأفرنج فادح ثملها \* ودارت رحاها منهم بهضاب  
أقامت دروع الجند تسعين ليلة \* ثيابا لهم ما بدلت بثياب  
وهم بين مطروح هنالك وطارج \* وبين مصيب خصمه ومصاب

وقال القاضي بن شداد سار أسد الدين إلى مصر واستنجد به ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعله مقدم عسكره وصاحب رايه وكان لا يفصل أمرا ولا يقرر حالا إلا بمشورته ورأيه الملاحح منه من آثار الاقبال والسعادة والفكرة الصحيحة واقتراان النصر بحركاته وسكاته فساروا حتى وصلوا مصر وشاور معهم وكان لوصولهم إلى مصر وقع عظيم وخافه أهل مصر ونصر شاور على خصمه وأعاده إلى منصبه ومرتبه وقرر قواعده وشاهد البلاد وعرف أحوالها وعلم أنها لا دبغر رجال تمشي الامور فيهم ابجرد الا بهام والحال وكان ابتداء رحيله عنها متوجها إلى الشام في السابع من ذى الحجة فاقام بالشام مدبر الامر مفكر في كيفية رجوعه إلى البلاد المصرية محذرا بذلك نفسه مقررًا لقواعد ذلك مع نور الدين إلى سنة اثنتين وستين قلت ولفعل شاور ما فعل مع أسد الدين وصفه الشعراء بالغدر ووقعوا فيه قبل قتله وبعده على ما سذكروه وبقي متخوفا من أسد الدين فقال عرق له الكلي من جلة قصيدة له

وهل هم يوم ما شيركوه بجلق \* إلى الصيد الا ارناع في مصر شاور  
هو الملك المنصور والاسد الذي \* شذا ذكره في الشرق والغرب سائر

وفيها في ذى الحجة احترقت جبرون بعد رجوع أسد الدين إلى دمشق فقال العرقلة بمدحه ويذكر ذلك جابر صرف الردي على جبرون \* وسقى أهلها كؤس المنون

في اخبار (١٣٣) الدولتين

أصبحت جنة وامست حجما \* تطلبي بكل قلب خزين  
كيف لا تذرف الدموع عليها \* وهي في الشام نزهة للعبون  
حبذا حصنها الحصين لقد كا \* ن جبال الكل حصن حصين  
أى سيف سطا على دار سيف \* وزبون أتى بحرب زبون  
خلت نيرانها وكل ظلام \* نار ليلى تسلح للجنون  
كم غنى اليمين امسى فقيرا \* وفقير امسى غنى اليمين  
كل حين لها حريق جديد \* ليت شعري ماذا لها بعد حين  
كل هذا البلاء عاقبة الفس \* ق وشرب الخمر والتلحين  
ولقد ردها بعزم وخزم \* أسد الدين غاية المسكين  
وحى الجامع المقدس والمش \* هدمن جرها بما معين  
ملك فعليه بدحة والدا \* ب فعال الامام في صفين

﴿فصل﴾ في فتح حارم قال العماد الكاتب وفي تلك السنة بعني سنة تسع وخمسين اعتمت نور الدين خلوا الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم ووقع في الاسار برنس انطاكية وقومص طرابلس وابن لجوسلين ودوك الروم وذلك في رمضان وقال في الخريدة كانت نوبة البقية نوبة عظيمة على المسلمين وافلت نور الدين في أقل من عشرة من عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلاثة أشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم عشرين ألفا واسر من نجبا وأخذ القومص والابرنس والدوقس وجميع ملوكهم وكان منحا عظيما وفخما مبينا قال ابن الاثير والسبب في هذا الفتح ان نور الدين لما عدمه من راعي ما سبق من غزوة ناحية حصن الاكراد اقبل على الجد والاجتهاد والاستعداد للجهاد والاختذاره وغزو العدو في عقدارده وليرتق ذلك الفتق ويحوسم الوهن ويعيد رونق الملك فراسل أخاه قطب الدين بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين البني بماردين وغيرهم من أصحاب الاطراف أما قطب الدين أتاك فإنه جمع عساكره وسار محمدا وعلى مقدمة عسكره زين الدين نائبه وأما فخر الدين قرا ارسلان فإنه بلغني عنه أنه قال له خواصه على أي شيء عزمتم فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة فهو يليق نفسه والناس معه في المهالك وكأهم وافقه على ذلك فلما كان الغد أمر بالنداء في العسكر بالتحجز للغزاة فقال له أولئك ما عدا مما بدافارقك بالامس على حال ونرى الآن عذرها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقا ان لم أنجدهم خرج أهل بلادي عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فإنه كانت زهادها وعبادها والمنقطعون عن الدنيا يذكرك لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم ان يحشوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من أولئك ومعه اتباعه وأصحابه وهم يقرؤون كتب نور الدين ويبكون ويلعنوني ويدعون عني فلا بد من أجابة دعوته ثم تجهز أيضا وسار الى نور الدين بنفسه وأما نجم الدين البني فإنه سار عسكره فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فقتل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقي من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فخذوا وجاهوا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والتمص صاحب طرابلس وأعمالها وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج وابطالها والدوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجعوا معهم من الراجل ما لا يقع عليه الاحصاء قدموا والارض وحجبا وبسط لهم السماء فحرض نور الدين أصحابه وفرق نفائس الاموال على شجعان الرجال فلما قارب الفرنج رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقاءهم مرتاح وانما رحل طمعا ان يتبعوه ويتكمن منهم بالقوة فساروا حتى نزلوا عن عم وهو على الحقيقة تصحيف ما لقوه من الغم ثم تمقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرته لهم على نزاله فعادوا الى حارم وقد حرمتهم كل خير وتبعهم نور الدين فلما تقاربوا اصطفا للقتال وبدأت الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبها عسكر حلب فخر الدين فبذروا نظامهم وزلزلوا أقدامهم وولوا الادبار وتبعهم الفرنج وكانت تلك الفترة من الميمنة عن اتفاق ورأى دبروه ومكر بالعدو مكره وهوان يبعدها عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف ويرغوا منهم



## كتاب (١٣٤) الروضتين

لا أنوف فاذا عاد فرسانهم من أثر المنزمن لم يلقوا راجلا يلجئون اليه ويعود المنزمنون في آثارهم وتأخذهم سيوف  
لله من بين أيديهم ومن خلفهم فكان الأمر على ما دبر وأقام الفرنج لما تبعوا المنزمن عطف زين الدين في عسكر  
الموصل على راجلهم فافناهم قتلا وأسرًا وعادت خيالتهم ولم يمهتوا في الطلب خوفا على راجلهم من العطب فصاروا  
راجلهم على الصعيدي معقرين وبدوهم مضرجين فسقط في أيديهم ورواؤا لهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما  
رجعوا عطف المنزمنون اعنتهم وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد أحرق بهم المسلمون من كل جانب فحينئذ حى  
الوطيس وبأشر الحرب المروءس والرئيس وقتلوا الفرنج قتال من يرجو باقدا مه النجاة وحاربوا حرب من أس من  
الحياة وانقضت العساكر الإسلامية عليهم انقضا في الصفوف على بغاث الطيور فزقوهم بددا وجعلوهم قددا فألقى  
الفرنج بأيديهم إلى الأسار وعجزوا عن الهزيمة والفراروا أكثر المسلمون فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف  
وأما الأسرى فلم يحصوا أكثره ويكفيك دليل على كثرتهم أن ملوكهم أسروا وهم الذين من قبل ذكروا وسار نور الدين  
بعد الكسرة إلى حارم فلكها في الحادي والعشرين من شهر رمضان وأشار أصحابه عليه بالمسير إلى انطاكية  
ليملكها لخلاصها من يمحها ويدفع عنها فلم يفعل وقال أما المدينة فأمرها سهل وأما القلعة التي لها فهي منيعة  
لا تؤخذ إلا بعد طول حصار وإذا ضيقنا عليهم أرسلوا إلى صاحب القسطنطينية وسلموها إليه ومجاورة بينداحب  
التي من مجاورة ملك الروم وبث سراياه في تلك الأعمال والولايات فنهوا وسبوا وأغلوا في البلاد حتى بلغوا اللاذقية  
والسويدا وغير ذلك وعادوا سائمين ثم أن نور الدين أطلق بينداحب انطاكية بمال جزيل أخذه منه وأسرى كثيرة  
من المسلمين أطلقهم وقال الحافظ أبو التمام كسر نور الدين الروم والأرمن والفرنج على حارم وكان عدتهم ثلاثين  
ألفا قال ووقع بيندق أسره في نوبة حارم وباعه نفسه بمال عظيم انفق في الجهاد قتل وبلغني أن نور الدين رحمه الله  
لما التقى الجمعان أو قبيلة انفر تحت تل حارم وسجد له به عز وجل ومرت وجهه وتضرع وقال يارب هؤلاء عبيدك  
وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك فأنصر أولياءك على أعدائك اش فضول محمود في الوسط يشير إلى أنك  
يأرب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت فلاتمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني انه قال  
الله انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن ذكره في أخبار  
سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز أنعم الله به على نور الدين  
والمسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شيركوه كما سبق وهذا من عجيب ما وقع واتفق

**(فصل)** في ذكر وزير الموصل جمال الدين الجواد الممدوح ووفاته في هذه السنة رحمه الله وقد ذكره العماد  
الكاتب في مواضع من مصنفاته واثني عليه ثناء عظيما حسنا فما ذكر له في كتابه الموسوم بنصرة الفترة وعصرة الفطرة  
في أخبار الوزراء السلجوقية ان قال ذكر جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور كان والده من اصفهان يدعى  
الكامل على وهو صاحب الوزر بر شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبومصور فهما في عهد السلطان ملكشاه  
ابن البارسلان وابنه الكامل أديب زادت أيامه في السمو وإيامه في النمو حتى تنافس في استخدامه الملوك  
إلى الوزراء واستضاءت يرأته في الحوادث الآراء وقد كان زوج بنتا له ببعض أولاد أخوال العزيز يعني عم العماد  
لكاتب قال فاشتمل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي جعفر محمد ونحجته في الأدب ودرجته في الرتب  
فأول ما رتبته في ديوان العرض السلطاني الممكودي وغلب في تحليته ذكر الألبج فنعته الأترك بالألبج واستقام في  
نجاته على المنهج واتفق انه لما تولى زنيكي بن اقسنقر الشام تزوج بأمرأة الأمير كيد غدي وولد لها ناص بك  
ابن كيد غدي من امراء الدولة وابناء المملكة وهو يسير معها فرتبه العزيز لخاصبك وزير افسار في الصحبة وكان  
مقبول الوجاهة مقبول الفكاهة شبيه المشاشة بهي البشاشة فتوفرت مني زنيكي على منادته وقصر صباحه ومساءه  
على مساهمته وعول عليه آخر عمره في اشراق ديوانه وزاد المال وزان الحال بتكنيه ومكانه فلم يظهر لجمال الدين  
في زمان زنيكي جود ولا عرف له موجود فانه كان يقتنع باقوانه وتزجية أوقاته ويرفع جميع ما يحصل له إلى خزنة  
زنيكي استبقاء لجاهه واستعلاء به على أشباهه فكنه زنيكي من أصحاب ديوانه فنه من استضر بأساته ومنهم من  
اتفق باحسانه ولما قتل زنيكي صار للدولة الأتابكية مملادا ولبيت الاقسنقري معاذا واستوزره الامير غازي بن

زنى وازره على كوجك على وزارته وحلف له على مظاهرتة ومظافرتة وجرى بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجك وبين سيف الدين غازى التعاقد على التعااضد والتعاهد على التساعد وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولا فعاش بندهاء الجود وعشا الى ناديه الوفود وتادت به الموصل قبلة الاقبال وكعبة الاحمال فانارت مطالع سعوته وسارت فى الافاق صنائع جوده وعمر الحرمين الشريفين وشغل بالبراهل هما وجمع بالامن شملهما واجرى بحر السماح ونادى على الفلاح فصاحت بافضاله الفاظ الفصاح وأتوا اليه من كل فج عميق وقصد من كل بلد سحيق فقصد العظاء ومدحه الشعراء ومن وفد اليه أبوالفوارس سعد بن محمد الصفي المعروف بجيىص يص قال وأنشدنى لنفسه فيه قصيدة أولها

باللصورم والرماح الذبـل \* نصر اومن أنجدهم لم يخذل  
لوشئما ومشئمة بمشئة \* جاد الزمان وبالعلمى لم يخل  
فاقنى فخارك يا مجاشع واعلمى \* انى لكم من همتى فى جفـل  
انا فارس اليومين يوم مقالة \* ووغى أصول بصارمى وبعقولى  
ظلمت فضائل المقاول مثل ما \* ظلمت جمال الدين ماوى العيل  
مدحوه كى يحووا مناقب نفسه \* فظمت فسات بالمدايح من عل  
فاتيت ابذل ما استطعت ومن يرد \* نقل الخضم الى المزايدة ينجـل  
شمس من الاحسان عم ضياؤها \* بل اية جاءت بحجة مرسل  
يعطى الجزيل لسانى معروفه \* ويجود بالنعمى اذالم يسأل  
وتزده شوس الخطوب طلاقة \* فيكون أبسم ما يرى فى العضـل  
ثقلت به الاعناق من من الندى \* فاهام مطرقة لذلك المثقل  
فاذا اتلا فى الناس كان حديثهم \* عن كل جفـ بالجمالة مسـدل  
أسراء معروف الوزير فكلهم \* عاف تراه مطلقا كـم كـبل  
من سمرقند الى تمامه شاهد \* فضل الجلال على الحيا المتـل  
السحب تمطر ما تطل وجوده \* يسرى ودار مقامه بالموصـل  
وتقر عين محمد بمحمد \* محي دريسى علمه والمـزل  
معمار مرقد وحافظ دينه \* وهـ عين أمته بجود مسـبل  
جعل المدينة مصر ربعا أهـلا \* نسوان يرح بالنعيم المحـصل  
فكانها بالخصب من قربانه \* بلد على شط الفسرات السـسل  
فلوانه فى عصره نزلت له \* فى مدحه سور الكتاب المنـزل  
عبـدا فى ضيفه ووداده \* لا يستحيل وسـيد فى المحـفل  
خرق نياط قيصه ورداؤه \* بعباب زخار وهضبة يذـل

قال العماد وكنتم أنفى ذلك العهد متفقة بعباد واتفق حضورى بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فحضرت عند جمال الدين بالجامع فى جمعتين وتكلمت عنده مع النقهاء فى مسألتين ومما مدحته به قصيدة أولها

أظنهم وقد عزموا ارتحالا \* ثنوا عنا جلالا لاجالا  
سروا والصبح مبيض الحواشى \* فلما حال عهد الوصل حـالا  
هم اعتمادا والملال فكيف ملوا \* وصالحهم وما ملوا المـلالا  
احادى عيسهم بالله رفقا \* فان السير اورثها الكلالا  
وعج نحو الاراك بها فانى \* اراه لا اجتماع الشمـلالا  
سقى صوب الحياتاهات نجـدا \* وحييا بالحي تلك التـلالا

## كتاب (١٣٦) الروضتين

اخلائى وهل فى الناس خسل \* به اخـ لـومن الاخران بالا  
لئن لم أشف صدرى من حسودى \* ولم أذق العدى داء عضالا  
فلا دركت من أدبى مرادا \* ولا صادفت من حسبى منالا  
ولا وخذت اليكم بى جلال \* ولا واليت مولانا الجالا  
هو المغنى اذا ما المرء اقوى \* هو المنجى اذا ما الخطب هالا  
وفاء لله افى الدنيا كريم \* سواء فقلت لا وأبى العلالا  
اطلت على الورى كرما وفرا \* كذلك من حوى هذين طالا  
وخزت المجسد عن كسب وارث \* فيا صدر الورى خزت الكمالا  
خصصت بكل منقبه وفضل \* تعالى من حباك به تعالى  
قلت وقد أكثر الشعراء فى مدحه منهم العرقلة له قصيدة منها

يهوى تجنبيه والصدود كما \* يهوى المعالى محمد بن على  
جمال دين الاله خير فتى \* لارزق اقلامه وللأجل  
معطى القرى والقرى لقاصده \* من غير من الخيل والخول  
مثل فتوح الفاروق نائله \* شرقا وغربا فى السهل والجبل  
من قال لم يجودا ويسكن ذا \* أصبح مما بقول فى خجل  
محمد خاتم الكرام كما \* سميده كان خاتم الرسول

وفيه يقول أحمد بن منير من قصيدة

كسى الحرمين لبسة عبد شمس \* وهاشم غرتى نسل الخليل  
ولبلد الامن اجد امنا \* تكنف مثله جد الرسول  
عشيت يا ولادة الامر عما \* اتبع له من الاثر الجليل  
وطار لها وأسفت فشدال \* سيدى على عرى المجد الاثيل  
بيوت بالجازمة قدسات \* رماها الدهر بالخطب الجليل  
وكان اذا همت فصاب صونا \* لمن آوته من ولد البتول  
ما ثراقيات يوم يجنى الـ \* محقال ويجتنى طيب المقييل  
وكم للموصل الحدا بما \* تنيل يداه من ريف ونيل  
برود الصفح ملذب الحواشى \* مهيب البطش فراس الدخول

ولأبى المجد قسم الحوى فيه من قصيدة

اغريبصر منه الناس فى رجل \* والليث فى بشر والبدر فى غصن  
سما بهمته فى المكرمات الى \* علياء يقصر عنها همة الزمن  
يلقاك واضع ليل الفكر راجح \* لالكف طاهر ذيل السر والعلن  
ماضى العزيمة ميمون النقبية ريبال الكتبية عين القائل اللسن  
اذ تاركلم واستخليت غرته \* فى محفل رحت حالى العين والاذن  
كان فى الدست منه حين تنظره \* شمس النهار و صوب العارض الهتن

قال ابن الاثير وفيها فى شعبان من هذه السنة وهى سنة تسع وخمسين وخمسمائة نوفى الوزير جمال الدين محمد ابن على بن أبى منصور الاصفهاني كان قد خدم الشهيد فولاه نصيبين وظهرت كفايته فأضاف اليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة وكان من خواصه فجعله مشرفا على مملكته كلها وحكمه تحكما لا مزيد عليه حتى كان وزير الشهيد ١١١١ كفى ملاده ضياء الدين ابن الكفر بوفى يحكى عن جمال الدين قال كان يدخل الى اتابك قبلى ويخرج بعسدى

ولم يزل كذلك الى أن قتل الشهيد ثم وزر لولدي الشهيد سيف الدين ثم قطب الدين وكان بينه وبين زين الدين على كوجهك عهد ومواثيق على المصافاة والاتفاق وكان أصحاب زين الدين يكرهونه ويقعون فيه عند زين الدين فنهاهم وكانت الموصل في أيامه مجال لكل ملهوف ومأمن لكل خائف فسعى به الحساد الى قطب الدين حتى أوغروا صدره عليه وقالوا له انه يأخذ أموالك فيتصدق بها فلم يكرهه أن يغبر عليه شيئا بسبب اتفاهه مع زين الدين فوضع على زين الدين من غيره عن مصافاته ومواثقاته فقبض عليه قطب الدين وحبس به بقلمة الموصل ثم ندم زين الدين على الموافقة على قبضه لان خواص قطب الدين وأصحابه كانوا يخافون جمال الدين فلما قبض تبسطوا في الامر وانتهى على خلاف غرض زين الدين فبقى جمال الدين في الحبس نحو من سنة ثم مرض وهو ضي لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عديم النظير في سعة نفس لم يرو في كتب الاولين ان أحدا من الوزراء اتسعت نفسه ومروته لما اتسعت له نفس جمال الدين فلما قد كان عظيم الفتوة كامل المروءة قال ابن الاثير حكى لي جماعة عن الشيخ أبي القاسم الصوفي وهو رجل من الصالحين كان يتولى خدمة جمال الدين في محبسه قال لم يزل الجمال مشغولا بأمر آخرته مدة حبسه وكان يقول كنت أخشى ان أنقل من الدست الى القبر قال فلما مرض قال لي بعض الايام يا أبا القاسم اذا جاء طائر أبيض الى الدار فعرفني فقلت في نفسي قد اختلط الرجل فلما كان الغداذا كثر السؤال عن ذلك الطائر واد اطائر أبيض لم ير مثله قد سقط فقلت له قد جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق وأقبل على الشهادة وذكر الله تعالى وتوفي فلما توفي طار ذلك الطائر قال ففعلت انه رأى شيئا في معناه ودفن بالموصل نحو سنة وكان قد قال للشيخ أبي القاسم ان بيني وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات هذا قبل صاحبه جعله الحى الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فدفنه بها في التربة التي عملها فان انا مت فامض اليه وذكره فلما توفي سار الشيخ أبو القاسم الى أسد الدين في هذا المعنى فأعطاه مالا صالحا لخدمته به الى مكة والمدينة وأمر ان يحج معه جماعة من الصوفية ومن يقرأ بين يدي تابوته عند النزول والرحيل وقدوم مدينة تكون في الطريق وينادون في البلاد بالصلاة على فلان ففعلوا ذلك فكان يصلى عليه في كل مدينة خلق كثير فلما كان في الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه فاذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى بأعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى بره فوق الرقاب ونائله

يمر على الوادى قننى رماله عليه وفي النادى فتبكي ارامله

فلما رايكأ أكثر من ذلك اليوم ثم وصلوا به الى مكة فصاروا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم وحملوه الى المدينة فصلا عليه أيضا ودفنوه بالباط الذي أنشدها بينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ذراعا قلت كذا قال ابن الاثير ولقد رأيت الممكنا ولعله أراد الحائط الشرقي من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لانفس القبر الشريف زاده الله شرفا وصلى على ساكنه ثم قال كان جمال الدين رحمه الله اسخى الناس وأكثرهم عطاء وبذلا للمال رحما بالناس متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن أعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الخيف بمضى وغرم عليه أموالا عظيمة وبني الجمر بجانب الكعبة ورأيت اسمه عليه ثم غيره وبني غيره سنة ست وسبعين وخمس مائة وزخرف الكعبة بالذهب والنفرة فكل ما فيها من ذلك فهو عمله الى سنة تسع وست مائة ولما أراد ذلك أرسل الى الامام المقتني لامر الله هدية جليلة حتى أذن فيه وأرسل الى أمير مكة عيسى بن هاشم خلعا سنية وهدية كثيرة حتى مكنته منه وعمر أيضا المسجد الذي على جبل عرفات وعمل الدرج الذي يصعد فيه اليه وكان الناس يلقون شدة في صعودهم وعمل بعرفات مصانع للماء وأجرى الماء اليها من نعمان في طريق معوله تحت الجبل مبنية بالكس فغرم على ذلك مالا كثيرا وكان يعطى أهل نعمان كل سنة مالا كثيرا ليركوا الماء يجري الى المصانع أيام مقام الخجاج بعرفات فكان الناس يجدون به راحة عظيمة قال ومن أعظم الاعمال التي عملها نفعائه بنى سوراء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فانها كانت بغير سور ينهبها الاعراب وكان أهلها في ضنك وضرمعهم رأيت بالمدينة انسانا يصلى الجمعة فلما فرغ ترحم على جمال الدين ودعاه فسا لنا عن سبب ذلك فقال يجب على كل من بالمدينة ان يدعو له لاننا كافي ضره وضييق ونكد عيش مع العرب لا يتركون لاحد منا ما يوراه ويشبع جوعته فبني علينا سوراء احتية نأمن به من يريدنا بسوء فاستغنيانا

فكيف لاندعوله قال وكان الخطيب بالمدينة يقول في خطبته اللهم من حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن علي ابن ابي منصور قال فلولا يكن له الا هذه المكرمة لكفاه فخرا فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الارض وغربها وسمعت عن متولى ديوان صدقاته التي يخرجها على باب داره للفقراء سوى الادارات والتعهدات قال كان له كل يوم مائة دينار أميرية يتصدق بها على باب داره قال ومن أبنيتة العجيبة التي لم ير الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالجسر المنحوت والحديد والرصاص والكلس الا انه لم يفرغ لانه قبض قبل فراغه وبني أيضا جسرا على نهر الاريا عند الجزيرة أيضا وبني الربط بالموصل وسجبار ونصيبين وغيرها وقصده الناس من اقطار الارض وكيف ان صدر الدين الجندی رئيس اصحاب الشافعي رضي الله عنه باصبيان وابن الكافي قاضي قضاة همدان قصده فخرج عليهم اماما لاجز بلا وكذلك غيرهما من الصدور والعلماء ومشايخ الصوفية وصارت الموصل في أيامه مقصدا وملجأ وكان أحب الاشياء اليه اخراج المال في الصدقات وكان يضيق على نفسه وبيته ليتصدق حكى لي والدي قال كنت يوما عنده وقد أحضر بين يديه قندز لي عمل على وبر ايلسه بمجسة دنانير فقال هذا الثمن كثير اشتري والى قندز ابد دينارين وتصدقوا بثلاثة دنانير قال فراجعناه غير مرة فلم يفعل قال وحكى لي من اتق اليه من العدول بالموصل ان الاقوات تعذرت في بعض السنين بها وغلت الاسعار وكان بالموصل رجل من الصالحين يقال له الشيخ عمر الملا فاحضره جمال الدين وسلم اليه مالا وقال له تخرج هذا على مستحقه وكما فرغ ارسل الى لافذ غير فلم يمس الا أيام يسيرة حتى فرغ ذلك المال لكثرة المحتاجين فأنفذه شيئا آخر ففني ثم أرسل يطلب ما يخرج فقال جمال الدين للرسول والله ما عندي شيء ولكن خذوا هذه المحافر التي في داري بيعوها وتصدقوا بثمنها الى ان يأتيني شيء آخر فترسله الى الشيخ عمر فبيعت المحافر وتصدقوا بثمنها وعرفوه ذلك فلم يكن عنده ما يرسله فأعطاه ثيابه التي كان يلبسها مع العمامة التي كانت على رأسه وأرسل الجميع قال للرسول قل للشيخ لا يمنع من الطلب فهذه أيام مواساة فلما وصلت النياب الى الشيخ عمر بكى وباعها وتصدق بثمنها وقال وحكى لي بعض الصوفية ممن كان يحب الشيخ عمر النسائي شيخ الشيوخ بالموصل قال احضرني الشيخ فقال لي انطلق الى مسجد الوزير وهو بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا تألك شيء فاحفظه الى ان أحضر عندك ففعلت واذا قد أقبل جمع من الخالين يحملون أجاملا من النصاب والخنما واذا قد جاء نائب جمال الدين مع الشيخ ومعها فاش كثير وثمانية عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الجمال فقال لي تأخذ هذه الاحمال وتسير الى الرحبة فتوصل هذه الرزمة وهذا الكتاب الى متوليا فلان فاذا احضرك فلانا العربي فتوصل اليه هذه الرزمة والى هذا الكتاب وتسير معه فاذا أوصلك الى فلان العربي فتوصل اليه هذه الرزمة وهذا الكتاب وهكذا الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام توصل الى وكيلي فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات والمال الذي عليه اسم المدينة ليخرجها بقتضى هذه الجريدة ثم يأخذ الباقي الذي عليه اسم مكة ويسير اليها فيتصدق به وكيلي بها بموجب الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك الى وادي القرى فرأى بناه نحو مائة جل تحمل الطعام الى المدينة وقد منعهم خوف الطريق فلما رأوا سارا ومعنا اليها فوصلناها والحنة طبة بها كل صاعين بدينار مصري والصاع خمسة عشر رطلا بالبغدادى فلما رأوا الطعام والمال اشتروا كل سبعة أصع بدينار فانقلبت المدينة بالدعاء له ثم سرنا الى مكة ففعلنا ما أمرنا قال وحكى لي والدي قال رأيت جمال الدين وقد حضر عنده رجل فقيه قبل ان يصير وزير اطلب منه شيئا وتردد اليه عدة أيام ثم انقطع فسأل عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال هكذا تنصرف الاحرار عن دور الكلاب ورد ذلك غير مرة ثم سأل عنه فقيل انه سار نحو ماردن فأرسل اليه خلعة ونفقة الى ماردن قال ولورمت شرح مفردات أعماله لاطلت واخبرت وهي ظاهرة لا تحتاج الى بيان فلهذا تركا أكثرها وقد ذكره الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقصد في كتاب الاعتبار فقال اجتمعت بجمال الدين الموصل سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانا متوجه الى الحج وكانت بيني وبينه مودة قديمة وعشرة ومؤانسة فعرض علي الدخول الى داره في الموصل فامتنعت وزلت بختي على الشط فكان مدة مقامي كل يوم يركب يجوز على الجسر نحو نينوى وأتاك قدرك الى الميدان وينفذ الى يقول اركب فانا واقف أنتظره فاركب فأسير أنا وهو فتحدثت فوجدت يوما منه خلوة من اصحابي فقلت له في نفسي شيء يتردد من حيث اجتمعنا انتهى ان أقوله لك وما يتفق لي خلوة وقد خلونا الساعة قال قل قلت أقول ما قاله الشريف الرضي

## في أخبار (١٣٩) الدولتين

ما نصحتك خفايا بالود من أحد \* ما لم يصبك بمكر وه من العذل

مودتي لك تأني ان تسامحني \* بان أراك على شيء من الزلل

وقد بسطت يدك في انفاق المال في الصدقات ووجوه النبر والمعروف والسلطين ما يمتثلون اخراج المال ولا تنصبر نفوسهم عليه ولوان الانسان يخرج به من ميراثه وهذا الذي أهلك البرامكة فانظر لنفسك كيف المخرج مما قد دخلت فيه فاطرق ساعة وقال جزاك الله خير الكن الامر قد عبر عما تخافه ففارقته وسرت الى الحجاز وعدت من مكة على طريق الشام ونكب جمال الدين ومات في الحبس قلت ولعلم الدين الحسن بن سعيد الشاتاني في هذا الوزير الجواد الما نكب

ما حظ قدرك من أوج العلي القدر \* كلا ولا غيرت أفعالك الغير

أنت الذي عم أهل الارض نائله \* ولم ينل شأوه في سودد بشر

سارت صفاتك في الاتفاق واتفحت \* وصدق السمع عنها ما رأى البصر

فاصبر لصرف زمان قد منيت به \* فاخر الصبر باطود النهى الظفر

هنا ترى أحدا في الخلق يسلم من \* صروف دهره في أهله غير

سعوا بقصدك سرا واستبت لهم \* ولوسعوا نحوه جهر الما قدروا

لولا الاماني التي تحي النفوس بها \* لمت من لوعة في العلب تستعر

وأصدق الناس في حفظ العهود اذا \* ميزت بالفكر أحوال الوري عمر

الزاهد العابد البر التقي ومن \* يزوره ويقوى أثره الخضر

وفال العرقلة يرثي جمال الدين الوزير والصالح بن رزيق

لا خير في الدنيا ولا أهلها \* بعد جمال الدين والصالح

بحر ان لولا دمع باكيهما \* ما كان ماء البحر بالمالح

قال ابن الاثير قال والدي كنت أرى من الوزير جمال الدين في الايام الشهيدية من الكفاية والنظر في صغير الامور وكبيرها والمحاققة فيها ما يدل على تمكنه من الكفاية فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين مودود بن اتابك الشهيد وجمال الدين وزيره حينئذ وقد تمكن زين الدين علي بن بكتهكين في الدولة تمكنك عظيم وتقدم عند قطب الدين جماعة من أصحابه فكان جمال الدين مع تمكنه وعلو محله يعمل بعض الامور قال فقلت له يوما أن تلك الكفاية التي كانزها منك في الايام الشهيدية ما أرى الآن منها شيئا فقال لي والآن ما عندي كفاية فقلت ما هذا العمل من ذلك شيء فقال أنت صبي غرليت الكفاية عبارة عن فعل واحد في كل زمان انما الكفاية ان يسلك الانسان في كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوي العزم لا يتجاسر أحد على الاعتراض عليه ولا يتأولن باقوال أصحابه فحفظناه فكان ما أفعله هو الكفاية وأما الآن فلنا سلطان غير متمكن وهو محكوم عليه فهذا الذي أفعله هو الكفاية

ثم دخلت سنة ستين وخمسائة قال ابن الاثير فيها فتح نور الدين قلعة بانياس من الفرنج وكان قد سار اليها بعد عودهم من فتح حارم وأذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم وأظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همهم حفظها وتقويتها فاسار نور الدين مجددا الى بانياس لعلمه بقلعة من فيها من الحماة الممانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقتلها وكان في جملة عسكره أخوه نصر الدين أمير اميران فأصابه سهم أذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي أعد لك لتميت ان تذهب الاخرى وجذ في حصارها وسمع الفرنج بذلك فجمع عواقلهم تكامل عدتهم حتى فتحه الله تعالى على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسره فلك القلعة وملاها ذخائر وعدة ورجالا عددة وعاد نور الدين الى دمشق وفي يده خاتم يفض يا قوت من أحسن الجوهر فسقط من يده في شعراء بانياس وهي كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما أبعد من المكان الذي ضاع فيه الفص علم به فاعاد بعض

## كتاب (١٤٠) الروضتين

أصحابه في طلبه ودلهم على مكانه وقال أظنه هناك ضاع فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين وأظنه  
أحمد بن منير من جملة قصيدة مدحه بها ويهني به هذه الغزاة وعود الفص اليها قوت

ان يمترا لشكائك فيك فانك المهدى مطفي جمة الدجال  
فلعودة الجبل الذي أظلمته \* بالامس بين عناتل وجبال  
مسترجعك بالسعادة آية \* ردت مطال الفال غير مطال  
لم يعطها الاسلام وقد \* نلت الرقاء بهوشك الانجبال  
زجر حري لسريره لك انه \* كسر بره عن كل جدر عال  
فلوالبحار السبعة استهوينه \* وأمرتهن قد فتنه في الحال

قلت هذه الايات لابن منير بلا شك ولكن في غير هذه الغزاة فان ابن منير قد سبق انه توفي سنة ثمان وأربعين وفتح  
بانياس كما تراه في سنة ستين وقد قرأت في ديوان ابن منير وقال بمدحه يعني نور الدين ويهني به بالعود من غزاة وضياع  
فص ياقوت جبل من يده لا شغاله بالصيد شراه ألف ومائة دينار وفي نسخة ووجدان خاتم ضاع منه في الصيد قيمته  
ألف ومائة دينار وأثبدها ياها بقاعة حص فذكر القصيدة أولها (يومك يوم ندى ويوم نزال) يقول فيها

أخرست شقشة الضلال وقدته \* قود الذلول أطاع بعد صيال  
ورميت دار المشركين بصيلم \* الفخت فيها الحرب بعد حبال  
وسعرت بين تزيهم وتراهم \* ذعرا يشيب نواصي الاطفال  
فوق الخطيم وقد خطمت زعيمهم \* ضربا سوابقه بغير توالى  
ضربا ملأت فرنجة من حره \* رهبا به سيف الصقال صالى  
وبقع حارم أحرمت لقراعهم \* هيم أحلن النوم غير حلال  
عجموا على جسر الحديد حديدها \* نبعا يعاذمه ادير دصال  
زلزلت أرضهم بوقع صواعق \* أعطينا امنا من الزوال  
في مازق شمريت ذيلك تحسه \* والنصر فوقك مسبل الاذبال  
في دولة غراء محمودية \* سحبت رداء الحمد غير مذل  
تنسى الفتوح بها الفتوح وتجتني \* زهر المقال بياهر الافعال  
لبست بنور الدين نور حداثتي \* ثرائم غرائب الافصال  
ملك تحجب في السرير برأرة \* زرت حواسيها على ريبال  
تجباب عن ذي لبدتين شذاته \* في بردني بدل من الابدال  
رفع الرواق بروق انطاكية \* فرمى الخليج بمسهرق البلبال  
بدر لاربعة عشرة اقتبس السنا \* من خمس عشرة سورة الانفال  
فوز المال أخاضهم ماء الطلى \* وسواه يقعه احتياز المال  
مقسم بين القسامين العلى \* عن عم عم أو مخايل خال  
لازلت تطلع من ثنايا جففل \* يقفلوا لك كاللوى المنهال  
لك ان تطل على الكواكب راقيا \* ولحاسدك بكاعلى الاطلال

ومما يناسب هذا السعادة في وجدان الخاتم بعد وقوعه في مظنة الهلاك والضياع ما بلغني ان موسى الهادي لما ولى  
الخلافة سأل عن خاتم عظيم القيمة كان لايه المهدي فبلغه ان أخاه الرشيد أخذ فطلبه منه فامتنع فالج عليه فيه  
خفق الرشيد ومرت على جسر بغداد فرماه في دجلة فلما مات الهادي وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه  
خاتم من رصاص فرماه ثم أمر الغطاسين ان يلتمسوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الاول فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقاء  
ملكه قال ابن المثير ولما فتح نور الدين حصن بانياس كان ولد معين الدين انزل الذي سلم بانياس الى الافرنج قائما على

## في اخبار (١٤١) الدولتين

رأسه فالتفت اليه وقال له للناس بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله تعالى اليوم برز جلمدة والدك من جهنم وقد تقدم انه كان صانع بها عن دمشق لما نزل الفرنج عليها وفيها توفي وزير بغداد عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني من بني ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن الحصن وكان عالما دينيا مدبرا حنبلي المذهب وزير للقتبي ثم لم يستجد بعده وله عدة مصنفات منها الافصاح في شرح الاحاديث الصحاح وكان يجمع في مجلداته فافصل الوقت من أعيان المذاهب الاربعة والنحاة وغيرهم ويجري بحضورهم فوائد كثيرة ثم توفي وهو ساجدا في صلاة الصبح من يوم الاحد ثالث عشر جمادى الاول سنة ستين وخمسمائة ورويت له منامات حسنة ومدحه جماعة من الفضلاء ومولده في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وأربعمائة بقرية من أعمال دجيل تعرف بالدور وهو الذي محار سوسم سلاطين الجحيم من العراق وأجلاهم عن خطتها بحسن تدبيره ومن كلامه لبعض من كان يأمر بالمعروف اجتهدان تستر العصاة فان ظهور معاصيهم عيب في الاسلام وأولى الامور ستر العيوب

(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) وفيها توفي فتح الدين بن أسد الدين شيركوه أخو ناصر الدين وقبره بالمقبرة النخجية الى جانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن أيوب في قبة فيها أربع قبورها الاوسطان منها وفي هذين الاخوين ناصر الدين وفتح الدين يقول العرقله حسان

لله شبلأسد خادر \* ما فيه ماجب ولا شئ

ما أقبل الا وقال الوري \* قد جاء نصر الله والفتح

وفيها سار نور الدين ايضا الى حصن المنيطرة وهو للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره انما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذر واوجعوا فانتز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصرها وحدث في ثلها وأخذها عنوة وقهر وقتل من بها وسبي وغنم غنيمة كثيرة لا من من بها أخذتهم خيل الله بعة وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج على ان يجمعوا لدفعه الا وقدم ملكه ولوعلموا انه جرد جديدة لاسرعوا وانما ظنوا ان نور الدين في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا منه هذا يقول ابن الاثير وذكر الفاضل ابن شداد ان ذلك كان في سنة اثنتين وستين كما سيأتي والله أعلم وفيها توفي الجليل بن الحبيب بمصر قال العماد في الخريدة للقاضي الجليل أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحبيب الاعلى السعدي التميمي جليل صاحب مصر فضله مشهور وشعره مأثور وكان أوجد عصره في مصره نظما ونثرا وترسلوا شعرها ومات بها في سنة احدى وستين وقد أناف على السبعين أنشدني له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها

ومن عجب ان السيوف لديهم \* تحيض دماء والسيوف ذكور

وأعجب من ذلها في أ كفه \* تأجج نارها والا كف بحور

قال وأنشدني له الشريف ادريس الادريسي قصيدة سيرها الى الصالح بن رزيق قبل وزارته يحرّضه على ادراك ثار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخوته يوسف وجبريل يقول فيها

أصادفهم قولا وغيبا ومشهدا \* نخوهم على عمد بفعل أعادى

فأين بنور رزيق عنها ونصرهم \* وما لهم من منعة وذيا

فلو عاينت عينك بالقصر يومهم \* ومصرعهم لم تكحل برباد

فخرق جوع المارقين فانها \* بقايا زروع أذنت بحصاد

وله فيه من أخرى في هذه الحادثة

ولما ترائى البربرى بجهله \* الى فتكة مارامها قض راثم

ركبت اليه متن عزمتك التي \* بأمتالها تلقى الخطوب العظام

أعدت اليهم ملكهم بعدما لوى \* به غاصب حق الامامة ظالم

وأنفذ اليه في المعنى يقول

أعدت الى جسم الوزارة روحها \* وما كان يرجى بعثها ونشورها



## كتاب (١٤٢) الروضتين

أقامت زمانا عند غيرك طامشا \* فهذا الاوان قرؤها وظهورها  
من العدل ان يحظى بها مستحقها \* ويخلعها مر دودة مستعيرها  
اذا ملك الحسناء من ليس كفؤها \* أشار عليه بالطلاق مشيرها  
وله يشكو طبيبا

واصل بليتي من قد غزائي \* من السقم الملح بعسكرين  
طبيب طبه كغراب بين \* يفرق بين عافيتي وبينى  
أتى الحى وقد ساخت وباحت \* فرد لها الشباب بنهختين  
ودبرها بتدبير لطيف \* حكاه عن سنان أوحنين  
وكانت نوبة فى كل يوم \* فصيرها بحقد نوبتين

قلت الايات الرائية تمثل بها الجليس وهى لصرد قراءتها فى ديوانه وهى من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ببغداد  
نخر الدولة أبانصر محمد بن محمد بن جهير ويهنيه بعوده الى الوزارة وأولها

لحاجة قلب ما يفتق غرورها \* وحاجة نفس ليس يقضى بسيرها  
وقفنا صفوفا فى الديار كأنها \* ضحائف ملقاة ونحن سطورها  
يقول خليلى والظباء سوانح \* أهذى التى تهوى فقلت نظيرها  
وقد قلت لى ليس فى الارض جنة \* أما هذه فوق الر كائب حورها  
أراك الحى قل لى بأى وسيلة \* وصلت الى أن صادفتك ثغورها  
ومالى بهاء لم فهل أنت عالم \* أفواهاها أولى بها أم نخورها  
على رسلكم فى الهجرانا عصابة \* اذا ظفرت فى الحب عف ضميرها  
فقل لى لى كيف شئت تقلى \* ففى يد عبد الساعدين أمورها  
أمانى فى نفس الوزارة بلغت \* به كنهها حتى استحققت نذورها  
لوت وجهها عن كل طالب متعة \* الى خاطب حل عليه سفورها  
اذا مثل الاقوام دون عرينه \* تساوى به ذوطيشها ووقورها  
تكدما قد ألبست من سكينة \* ترف على تلك الرؤس طيورها

(ثم دخلت سنة ائتين وستين وخمسمائة) ففيعا عاد أسد الدين الى مصر تاسع ربيع الآخر وقد كان بعد رجوعه  
من مصر لا يزال يحدث نفسه بقصدها ومعاودتها حتى بصاعلى الدخول اليها يتحدث به مع كل من يثق اليه وكان مما  
يحييه على العود زيادة حقه على شاور ومما عمل معه فلما كان هذه السنة تجهز وسار اليها وسير نور الدين معه  
جناحة من الأمراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وفى ذلك يقول العرقلة

أقول والآنك تدأ زمعت \* مصر الى حرب الاعارب

رب كما ملككتم يوسف الا \* صديق من أولاد يعقوب

ملكها فى عصرنا يوسف الا \* صادق من أولاد أيوب

من لم يرل ضراب هام العدى \* حقا وضراب العواقب

ثم ان أسد الدين جد فى السير على البر وترك بلاد الافرنج عن يمينه فوصل الى الديار المصرية وقصد اطفنج وعبر  
النيل عندها الى الجانب الغربى ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف فى البلاد الغربية وأقام بها أربعين يوما  
وكان شاور لما بلغه مجيء أسد الدين قد راسل الفرنج يستعين بهم ويستصرخهم فأثوه على الصعب والذل وفتارة  
يحثهم طمعهم فى ملك مصر حلى الجند والتشهير وتارة يحدوهم خوفاً من أن يملكها العسكر النورى على الاسراع  
فى المسير فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربى وكان أسد الدين والعسكر  
النورى قد ساروا الى الصعيد فبلغوا مكانا يعرف بالباين وسارت العساكر المصرية والفرنج من ورائهم فأدركوهم

## في اخبار (١٤٣) الدولتين

به في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وكان قد أرسل اليهم جواسيس فعادوا واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم ولقاتلهم وان تحكم السيوف بيته وبينهم الا أنه خاف من أصحابه ان تضعف نفوسهم عن الثبات في هذا المقام الخطير الذي عظمهم فيه أقرب من السلامة لقلته عددهم وبعدهم عن بلادهم فاستشارهم فكلهم اشار عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا له ان نحن انهمزنا وهو الذي لا شك فيه فالى أين نلتجى ومن نختصم وكل من في هذه الديار من جندي وعامى وفلاح عدو لنا وبودون لوشربوا دماءنا وحق لعسكر عدتهم ألف فارس قد بعدوا عن ديارهم وقل ناصرهم ان ترتاع من لقاء عشرات ألوف مع ان كل أهل البلاد عدو لهم فلما قالوا ذلك قام انسان من المماليك النورية يقال له شرف الدين برغش وكان من الشجاعة بالمكان المشهور وقال من يخاف القتل والجراح والاسر فلا يخدم المملوك بل يكون فلاحاً ومع النساء في بيته والله لئن عدتم الى الملك العادل من غير غلبة وبلاء تعذرون فيه لياخذن اقطاعكم وليعودن عليكم بجميع ما أخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم أنا أخذون أموال المسلمين وتفترون عن عدوهم وتسلمون مثل هذه الديار المصرية يتصرف فيها الكفار قال أسد الدين هذا رأيت وبه أعل ووافقه اصلاص الدين يوسف بن أيوب ثم كثرا موافقون لهم على القتال فاجتمعت الكلمة على اللقاء فأقام بكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهو على تعبئة وقد جعل الانتقال في القلب يتكثرونها ولأنه لم يمكنه أن يتركها بجانك آخر فينهب أهل البلاد ثم انه جعل صلاح الدين ابن أخيه في القلب وقال له ولن معه ان الفرنج والمصريين يظنون اني في القلب فهم يجعلون جرحهم بازائه وحملتهم عليه فاذا حلوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تملأ كؤانفوسكم واندفعوا بين أيديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم واختار من شجعان أصحابه جمعاً يتق اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في المينة فلما تقابل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره أسد الدين وحلوا على القلب ظناً منهم انه فيه فقاتلهم من به قتيلاً بسيراً ثم انهمز موايين أيديهم فتبعوهم حينئذ حمل أسد الدين فيمن معه على من تخلف عن الفرنج الذين حلوا على القلب من المسلمين فهزموهم ووضع السيف فيهم فأفخن وأكثرت القتلى والاسر وانهمز الباقون فلما عاد الفرنج من أثر المنهزمين الذين كانوا في القلب رأوا مكان المعركة من أصحابهم لمفعاليس بها منهم ديار فانهمزوا أيضاً وكان هذا من أعجب ما يؤثر ان ألفي فارس نهزم عساكر مصر وفرنج الساحل ثم سار أسد الدين الى نغرا الاسكندرية وجبى ما في طريقه من القرايا والسواد من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتمسكها من غير قتال سلمها اليه أهلها فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد وتملكه وجبى أمواله وأقام بها حتى صام رمضان وأما المصريون والفرنج فانهم عادوا الى القاهرة وجعلوا أصحابهم وأقاموا عوض من قتل منهم واستكثروا وحشدوا وساروا الى الاسكندرية وبها صلاح الدين في عسكر منعونهم من وقد أعانهم أهلها خوفاً من الفرنج فاستد الحصار وقتل الطعام بالبدف قصبر أهلها على ذلك ثم ان أسد الدين سار من الصعيد نحوهم وكان قد أفسد بعض من معه من التركان ووصله رسول المصريين والفرنج يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذه من البلاد فأجابهم الى ذلك وشرط ان الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قرية واحدة وان الاسكندرية تعاد الى المصريين فأجابوا الى ذلك واصطلحوا وعاد الى الشام فوصل دمشق ثامن عشر ذي القعدة وتسلم المصريون الاسكندرية في النصف من شوال وأما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ويكون أبوابها مديدة فرسانهم ليستع الملك العادل من انقاذ عسكر اليهم ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار هذا كله يجري بين الفرنج وشاور وأما العاضد صاحب مصر فليس اليه من الامر شيء ولا يعلم بشيء من ذلك قد حكم عليه شاور ووجهه وعاد الفرنج الى بلادهم وتر كوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارمي وهو من أكابر أمراء الملك العادل وهو خال صلاح الدين يوسف ينهضى محبته رولاه ويأله ان يأمه باصلاح الحال وجعل الكلمة بمصر على طاعته ويجمع كلمة الاسلام وبذل ما لا يحمله كل سنة فأجابه الى ذلك وحلوا الى نور الدين ما لا يجزى يلا فيقي الامر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر لتملكها فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى في اخبار سنة اربع وستين قال القاضي أبو المحاسن ذكر عود أسد الدين الى مصر في المرة الثانية وهي المهرقة

## كتاب (١٤٤) الروضتين

بوقعة الباسين لم يزل أسد الدين يتحدث بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك وداخله الخوف على البلاد من الانزاع  
وعلم أن أسد الدين قد طمع في البلاد وأنه لا بد له من قصد هافكا تب الفرنج وقرمهم أنهم يجيئون إلى البلاد  
ويمكنونه فيها تمكينا كلياً ويعينونه على استئصال أعدائه بحيث يستقر قدمه فيها وبلغ ذلك نور الدين وأسد الدين  
فاشتد خوفهما على مصر أن يملكها الكفار فيستولون على البلاد كلها فتجهز أسد الدين وأنفذ نور الدين معه العسكر  
وألزم صلاح الدين رحمه الله بالمسير معه على كراهة منه لذلك وذلك في أثناء ربيع الأول وكان وصولهم إلى البلاد  
المصرية مقارناً لوصول الفرنج إليها واتفق شاور مع الفرنج على أسد الدين والمصريون بأسرهم وجرى بينهم حروب  
كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن الديار المصرية وانفصل أسد الدين وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين  
قدس الله روحه جرد العساكر إلى بلاد الأفرنج وأخذ المنيطرة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم وعادوا وكان  
سبب عود أسد الدين ضعف عسكره بسبب واقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدائد وعانوه من الأهوال  
وما عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد إلى الشام في بقية السنة وقد انضم إلى قوة الطمع  
في البلاد شدة الخوف عليهما من الفرنج لعله بأنهم قد كشفوها كما كشفها وعر فوها من الوجه الذي عرفها  
فأقام بالشام على مضض وقلبه مقلقل والقضاء يجره إلى شيء قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك قال وفي أثناء سنة اثنتين  
وستين ملك نور الدين قلعة المنيطرة بعد مسير أسد الدين في رجب وخرب قلعة كاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع  
نور الدين وأخوه قطب الدين وزين الدين بجماة للغزاة وساروا إلى بلاد الفرنج فخر بواهونين في شوال منها وفي ذي  
القعدة منها كان عود أسد الدين إلى مصر وفيه مات قرأ رسلان بدبار بكر

**(فصل)** وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني  
مصنف كتابي الفتح والبرق فأنزله قاضي القضاء كل الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن الشهر زوري  
بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير باب الفرج المنسوبة الآن إلى العماد وأما نسبت إليه لأن نور الدين  
رحمه الله ولأهله في رجب سنة سبع وستين بعد الشيخ النقيبه بن عبدو كان العماد له معرفة بنجم الدين أيوب وأسد  
الدين شيركوه ابني شاذي من تكريت بسبب أن عمه العزيز أحد بن حامد أعتقه السلطان محمود بن محمد بن ملكك شاه  
بقلعة تكريت وبنجم الدين أيوب أذاك واليهما فانتسجت المودة بينهما من هناك فلما سمع نجم الدين وصوله بكر إلى  
منزله لتبجيله وكان صلاح الدين وشيركوه حينئذ بمصر فدح العماد بنجم الدين أيوب بتصيد أولها

يوم النوى ليس من عسرى بحسب \* ولا الفراق أني عيشي بمنسوب  
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى \* كرها بما ليس يا محبوب محبوبي  
ارجوا يا بني اليكم ظافرا بجلا \* فقد ظفرت بنجم الدين أيوب  
موفق الرأي ماضى العزم مرتفع \* على الاعاجم مجدداً ولا عاريب  
احبك الله أذلّمت نجدة \* على جبين بتاج الملك معصوب  
أخوك وابنك أصدقا من اعتصما \* بالله والنصر وعد غير مكذوب  
هما هما مان في بومي وغى وقسرى \* تعودا ضرب هام أوعراقيب  
غدا يشمان في الكفار ناروغى \* بلغنهما يصيح الشبان كالشبيب  
بملك مصر ونصر المؤمنين غدا \* تحظى النفوس بتانيس وتطبيب  
ويستقر بمصر يوسف وبه \* تنتر بعد التناي عين يعقوب  
ويلتقي يوسف فيها باخسوته \* والله يجعهم من غير تريب

وكان انشاده هذه القصيدة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وخمسةائة وتم ملكهم مصر بعد سنتين قال فنظمت  
ما في الغيب تقديره قال وكان أسد الدين قد جمع وسار إلى مصر في الرمل في النصف من ربيع الأول ووصل في سادس  
ربيع الآخر إلى أطفح وعبر منها إلى الجانب الغربي واناخ بالجيزة محاذة مصر فاقام عليها ثانياً وخمسين يوماً واستعان  
بـ... الف... رتبته الهدهد قبال القاهرة وعبروا بهم من البلاد الشرقية إلى الغرب وعلم أسد الدين فسار امامهم فالتقوا

## في اخبار (١٤٥) الدولتين

بوضع يعرف بالبنين فكسرهم أسد الدين وأصحابه وقتلوا من الفرنج ومن تبعهم من المصريين الوفا وحصل منهم في الاسار سبعون فارسا من بارونيتهم فلما تمت لهم هذه الكسرة رحلوا الى الاسكندرية فوجدوا مساعدة أهلها فدخلوها ثم قال أسد الدين أنا لا يمكنني ان احصر نفسي فأخذ العسكر وسار به الى بلاد الصعيد فاستولى عليها وجبى خراجها وأقام صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليه شاور والفرنج فحاصروه أربعة أشهر وصدق أهل الاسكندرية القتال مع صلاح الدين وقوى أسد الدين بقوص واستنفض لقصد القوم العموم والخصوص فسمع الفرنج انه جاء يقصدهم فرحلوا عن الحصار وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين مع أسد الدين بالذهب فلما راسلوه في المهادنة أجاب وطلب منهم عوض ما غرمه فبدلوا له خمسين ألف دينار فخرجوا من الاسكندرية في النصف من شوال ووصلوا الى دمشق ثامن عشر ذي القعدة وعادوا الى الخدمة النورية فاجتمع العماد بأسد الدين وأنشده هذه القصيدة

بلغت بالجد مالا يبلغ البشر \* ونلت ما عجزت عن نياله القدر  
 من يمتد لي للذي أنت اهتديت له \* ومن له مثل ما أثرته أثر  
 أسرت أم بسرا لك الارض قد طويت \* فأنت اسكندر في السير ام خضر  
 أوردت خيلا باقصي الصين صادرة \* عن الفرات يقاضى وردها الصدر  
 تنالتي ذكرك الدنيا فليس لها \* الا حديثك ما بين الوري سمر  
 فأنت من زانت الايام سيرته \* وزاد فوق الذي جاءت به السير  
 لوفي زمان رسول الله كنت أنت \* في هذه السيرة المجودة السور  
 أصبحت بالعدل والاقدام منفردا \* فقل لنا أعلى لي أنت أم عمر  
 اسكندر ذكر وأخبار حكيمته \* ونحن فيك رأينا كل ما ذكروا  
 ورسم خمير وناعن شجاعته \* وصار فيك عيانا ذلك الخبر  
 أخفر فان ملوك الارض أذهلهم \* ما قد فعلت فيك مفتكر  
 سهرت اذ رقدوا بل هجت اذ سكنوا \* وصلت اذ جنبوا بل طلت اذ قصروا  
 يستعظمون الذي ادر كته عجا \* وذاك في جنب ما نرجوه محقر  
 قضى القضاء بما نرجوه عن كتب \* حتما ووافك التوفيق والقدر  
 شككت خيولك ادمان السرى وشكت \* من فلها البيض بل من حطمها السمر  
 يسرت فتح بلاد كان أيسرها \* لغـير رأيك قفلا فتحه عسر  
 قرنت بالخزم منك العزم فانسقت \* مارب لك عنها أسفر السفر  
 ومن يكون بنور الدين مهتديا \* في أمره كيف لا يقوى له المرر  
 يرى برائك ما في الملك يرويه \* فأنت منه بحيث السمع والبصر  
 لقد بلغت فئسة الافرنج فاتصفت \* منها باقدامك الهندية البستر  
 غرست في أرض مصر من جسومهم \* اشجار خبط لها من هامهم ثم  
 وسال ببحر نجيع في مقام وغي \* به الخـد يد غمام والدم المطر  
 انهرت منهم دماء بالصعيد جرى \* منها الى النيل في واديهم نهر  
 راوا اليك عبور النيل اذ عدوا \* نصرا فاعبروا حتى قد اعتبروا  
 تحت الصوارم هام المشركين كما \* تحت الصوالج يوم اخفت الاكر  
 افنت سيوفك من لاقت فان تركت \* قوما فهم نفر من قبلها نفر  
 لم ينج الا الذي عافته من خبت \* وحش الفلا وهو للحمذر ومنظر  
 والساكنون القصور القاهرة قد \* نادى القصور عليهم انهم قهروا  
 وشاور شاوروه في مكايدهم \* فكاده الكيد لها خانه الحذر

## كتاب (١٤٦) الروضتين

كانوا من الرعب موتى في جلودهم \* وحين أمنتهم من خوفهم نشروا  
وان من شير كوه الشرك مخذل \* والكفر مخذل والدين منتصر  
عزل على فئنة عند اللقاء وف \* وعد عن زكمان قبله غدروا  
وكيف يخذل جيش أنت مالكة \* والقائدان له التأيسد والظفر  
أجاب فيك اله الخلق دعوة من \* يطيب بالليل من أنفاسه السحر  
وقال العماد واتصلت بيني وبين صلاح الدين يوسف بن أخييه مودة تمت لي بها على الزمان عدة ولم يرل يستهدينى  
نظمى ونثرى ويشعرنى انه يميل الى شعرى فأول ما خدمته به هذه الكلمة

كيف قلتم بقلتيه فتور \* وأراها بلا فتور تجور  
مستجير جورى واتى منه \* بابين أبوب يوسف مستجير  
فضله في يد الزمان سوار \* مثلها رأيه على الملك سور  
كرم سابغ وجود عيم \* وندى سائغ وفضل غزير  
أنت من لم يرل يحن اليه \* وهو فى المهدس وجه والسرير  
من دم الغادير غادرت بالام \* س صعيد الصعيد وهو غدير  
ولكل مما طاولت فيهم \* امل قاصر وعمر قصير  
لا ذبا نيل شاور مثل فرعو \* ن فذل اللاجى وعز العبور  
شارك المشركين نعيما وقدا \* شاركهم باقرية والنضير  
والذى يدعى الامامة بالقيا \* هرة ارتاع انه مقهور  
وغدا الملك خائف من سطاكم \* ذا ارتعاد كأنه مقهور  
وبنو الهفري ها نوا ففروا \* ومن الاسد كل كلب ففروا  
انما كان للكلاب عواء \* حيث ما كان للاسود زئير  
وفليب عند الفرار سليب \* فهو بالرعب مطلق مأسور  
لم يبقوا سوى الا صاغر للسبى \* فودوا وان الكبير صغير  
وحيت الاسكندرية عنهم \* ورحى من بهم عليهم تدور  
حاصر وهاوما الذى بان من ذبك \* عنها وحفظها محصور  
كحصار الاحزاب طيبة قدما \* ونبي الهدى بها منصور  
فاشكر الله حيث اولاك نصرا \* فهو نعم المولى ونعم النصير  
ولكم ارجف الا عادى قتلنا \* ما الما تذكرونه تأشير  
ورقبنا كالعيد عودك فاليو \* مبه للانام عيد كبير  
عادم من مصر يوسف والى يع \* قوب بالتهنيات جاء البشير  
فلا يوب من ايا بصلاح الدين \* يوم به توفى النذور  
ولكم عودة الى مصر بالنص \* ر على ذكرها تمر العصور  
فاستردوا حق الامامة من \* خان فيها فانه مستعير  
واقترعها بكر الها بمدى الده \* ر رواح فى مدحكم وبكور  
أناسيرت طالع العزم منى \* والى قصدك انتهى التسمير  
وأرى خاطرى لمدحك الفا \* انما يالف الخطير الخطير

وهى التى قبلها طويلتان جدا فانتظمت معرفة العماد بصلاح الدين وكان له مساعد عند نور الدين وقرأت  
فى ديوان العرقة وقال بمدح أسد الدين شيركوه وقد أخذ الشقيف ور حل طالبا حصنا يقال له العراق

## في اخبار (١٤٧) الدولتين

رحلت من الشقيف الى العراق \* بعزم كالمهندسة الرقاق  
ونكست الاعادى منه قهرا \* ومجذك في ذرى الجوزاء باقى  
بجاشك لا يجيشك نلت هذا \* وبالتوفيق لا بالاتفاق  
فداؤك من مضى بالحصن قبلى \* الى دار الخلود من الرقاق  
وما تخشى على الاسلام دؤسا \* اذا هلك الجميع وأنت باقى  
اشاوركم تشاور كل خب \* وتنفق عند مثلك بالنفاق  
اتصبر ان أتتك بحار خيل \* وقلما ما صبرت على السواقى  
مضى رفعت لك السودان رأسا \* وقد خلاهم مثل الرقاق  
وعيشك ماله من مصر بد \* ومن عندى ثلاثا بالطلاق  
هو الاسد الذى مازال حتى \* بناجدا على السبع الطباقي

**(فصل)** قال ابن الاثير وفي هذه السنة أرسى نور الدين الى أخيه قطب الدين يطلب ان يعبر الفرات اليه بعساكره فجهز وسار هو وزين الدين في العساكر الكثيرة فاجتمعوا بنور الدين على حصن فدخل بالعساكر الاسلامية بلاد الفرج واجتاز على حصن الاكراد فأغاروا ونهبوا وأسر واودعوا وعرقوا وزلوا عليها وحصروها وحاصروا جبلة وأخربوها وتوجهت عساكر المسلمين بمينا وشمالا لتغير وتغرب البلاد وفتح العريضة وصافينا وعاد الى حصن فصام بها شهر رمضان ثم سارا الى بانياس وقصد قلعة هونين وهى للفرنج أيضا من قلاعهم المنيعة فانهم زعم الفرنج عنها وأحرقوها فقصد هان نور الدين فوصلها من العدو خرب سورها جميعه وأراد الدخول الى بيروت فمجدد في العسكر خلل أوجب التفرق فعاد وسار قطب الدين الى الموصل واقطعه مدينة الرقة فأخذها في طريقه قال وفي هذه السنة عصى الامير غازي بن حسان المنجي صاحب منبج على نور الدين وهو كان قطعها ياها فأرسل اليه نور الدين عسكرا حصره بها وأخذها منه واقطعها أخاه قطب الدين ينال ابن حسان وكان عاقلا خيرا احسن السيرة فبقى بها الى ان أخذها منه صلاح الدين سنة اثنتين وسبعين كما سيأتى وفيها توفي القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير صاحب كتاب الجنان قال العماد في الخريدة كان ذا علم غزير وفضل كثير قتله شاور صبرا في سنة اثنتين وستين ونسب اليه انه شارك أسد الدين شيركوه في قصده وأخوه المهذب أبر على الحسن بن علي بن الزبير أشعر منه وتوفي قبله بسنة لم يكن في زمانه أشعر منه وله شعر كثير منه قصيدة غراء في مدح الصالح بن رزيك وذكر فيها نور الدين أولها

أعلمت حين تمجاور الحيان \* ان القلوب مواقف النيران  
يا كاسر الاصنام قم فانهض بنا \* حتى تصير مكسر الصلبان  
فالشام ملكك قد ورثت بلاده \* عن قومك الماضين من غسان  
واذا شككت بأنهم أوطانهم \* قنما فسل عن حارث الجولان  
أورمت ان تتلو محاسن ذكرهم \* فاسندروايتها الى حسان  
مازلت أرض العدى بل ذاكما \* بقلوب أهلها من الخفقان  
وأقول ان حصونهم سجدت لما \* أوتيت من ملك ومن سلطان  
ولقد بعثت الى الفرنج كتابا \* لاسد حين تصول في خفان  
لبسوا الدروع ولم تخل من قبلهم \* ان البحار تحل في غدران  
مجلت في تل العجول قراهم \* وهم لك الضيقان بالذيقان  
وثلثت في يوم العريش عروشهم \* يشباضا بصادق وطعان  
ألجأتهم للبحر لما ان جرى \* منه ومن دمهم معا بجران  
ولقد أتى الاسطول حين غزا بما \* لم يأت في حسين من الاحيان  
وأعدت رسل ابن القسم اليه في \* شعبان كي يتلاءم الشعبان

## كتاب (١٤٨) الروضتين

والفال يشهد في اسمه ان سوف يغمدوا الشام وهو عليهما قسيمان  
وأراك من بعد الشهيد بأبالة \* وجعلته من أقرب الاخوان  
وهو الذي مازال يفعل في العدى \* ما لم يكن ليعتد في الامكان  
قتل البرفس ومن عساه أعانه \* لما عساه في البغي والعدوان  
وأرى البرية حين عاد برأسه \* من الجنى يبدو على المزان  
وتعجبوا من زرقه في طرفه \* وكان فوق الرمح نصلاً ثانياً  
عجب الجود يديه اذ بيني العلا \* والسيل يهدم ثابت الاركان  
قلدت أعناق السيرة كلها \* مننا تجل ثقلها النفلان  
حتى تساوى الناس فيك واصبح القاصي بمنزلة القريب الداني  
وفي هذه السنة ذكر القاضي كمال الدين بن الشهرزورى للسلطان نور الدين رحمه الله حال العماد الكاتب وعرفه به  
وعرض عليه قصيدة له في مدحه مطلعها

محمد يحمد عيش بلدة \* مال كلها بعدله محمودها  
مؤيد أموره بعزيمة \* من السموات العلى تأييدها  
لوحظت يوم النوى عهدوها \* ما مظلت بوصولكم وعودها  
آثاره حميدة وانما \* للسر من آثاره حميدها  
ان الورى بحبه وبغضه \* يعرف من شقيه اسعيدها  
قد جاءكم نور من الله فن \* به اهتدى فانه رشيدها  
جلا ظلام الظلم نور الدين عن \* أرض الشام فله نجميدها  
ان الرعا يامنه في رعاية \* ونعمة مستوجب من يدها  
لنومها يسهر بل لا منها \* يخاف بل يخصها بجودها  
بالدين والملك له قيامه \* والملوك عنهما قعودها  
ودأبه ثم تغور الكفر لا \* لثم تغور نافع برودها  
قد أسبغ الله لنا بعدله \* ظلال أمن وارف مديدها  
غدا ملوك الروم في دولته \* وهم على رغهم عبيدها  
لما أبنتها ماتهم سجودها \* لله أضحي للظبي سجودها  
ان فارت سيوفه غمودها \* فانها ماتهم غمودها  
كم مغلقات من حصون عزمه \* مفتاحها وسيفه أقليدها  
قدودت الفرنج لوقرت نجت \* منك ولكن روعها مبيدها  
قهرتها حتى لو دحبا \* من ذلة لو أنه فقيدها  
أما تراعبك في حصونها \* كأنما حصونها لجودها  
وان مصرالك تغنوبعدما \* لسيفك الصعب عناصعيدها  
والملة الغرأ خال بالها \* عال سناها بك حال جيدها  
مفترة تغورها ممنوعة \* تغورها محفوفة حدودها  
وان بنى جالوتها ضلالة \* فانت في اهلا كه داودها  
يا ابن قسيم الدولة الملك الذى \* خرت له من الملوك صيدها  
دع العدى بغيظها فانما \* يذيب أبكاد العدى حقودها  
يدولة نورية أمن الورى \* وخصبها وجودها وجودها

## في اخبار (١٤٩) الدولتين

ما مثل الدنيا لمن يجمعها \* بالحرص الاقرة ودودها  
ابن الذي يرفضها عن قدرة \* فلا يشوب زهده زهيدها  
فابق لنا يا ملكا بقاؤه \* في كل عام للرعا ياعيدها  
في نعمة جديدة سعودها \* ودولة سعيدة جدودها

وهي طويلة فرتبه نور الدين في ديوانه منشئاً للاستقبال سنة ثلاث وستين قال ووجدت على الايام منه الاعزاز  
والتمكن قلت وذلك بعد ان استعفى أبو البشر شاكر بن عبد الله من الخدمة في كتابة الانشا وقعد في بيته كذا  
ذكر العماد في الخريدة وقال تولى ديوان الانشا بالشام سنين كثيرة وله مقاصد حسنة في الكتب وهو جيد السيرة جميل  
السيرة وفيها توفي الحافظ أبو سعد عبد الكريم محمد السمعاني المروزي رحمه الله تعالى  
(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسائة) فذكر العماد ان نور الدين زحل الى حصص ثم مضى الى حماه ثم شقي  
بقلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بمدرة ابن الجحى وكتب الى صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد عثر  
فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين رحمه الله تعالى

لا تنكرت لسابح عثرت به \* قدم وقد حمل الخضم الزاخر  
ألقى على السلطان طرفك طرفه \* فهو هلاك للسلام مبادرا  
سبق الريح بجريه وكففته \* عنها فليس على خلافك قادرا  
ضعفت قسواه اذ ذكرانه \* في السرج منك بقل ليشا خادرا  
ومتي تطيق الريح طودا شامخا \* أو يستطيع البرق جونا ما طرا  
فاعذر سقوط البرق عند مسيره \* فالبرق يسقط حين يخطف سائرا  
وأقل جوادك عشرة ندرت له \* ان الجواد لمن يقبل العائرا  
وتوق من عين الحسود وشترها \* لا كان ناظرها بسوء ناظرا  
وأسلم لنور الدين سلطان الوري \* في الحادثات معاضدا ومؤازرا  
فاذا صلاح الدين دام لاهله \* لم يحذر والد دهر صفا ضائرا

وجرت بين العماد وبين الامام شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون مكاتبات كتب اليه العماد  
أي اشرف الدين ان الشتاء \* بكافاته كف آفاته  
وكفك من كرم كافها \* لقد كفلت لي بكافاته  
وانك من عرفه شكرنا \* غدا عاجزا عن مكافاته

قال فكتب الى شرف الدين في جوابها

اذا ما الشتاء وأمطاره \* عن الخير حابسة رادعه  
فكافاته الست أعطينها \* وحوشيت من كافه السابعة  
وكف المهابة والاحتشا \* لم لكفي عن بره مانعه  
وهمة كل كريم الجفا \* ريمسور أحبابه قانع  
ونفسي في بسط عذري اليه جعلت الفداء له طامعه  
وشوقى الى قربه زائد \* ومعذرتي ان جفا واسعه

قال فكتب اليه جوابها

أيامن له همة في العلى \* لذروتها أبدا فارعه  
ومن كفه ديمة مازا \* لبالعرف هامية هامعه  
وللفضل في سوق افضاله \* بضائع نافقة نافعه  
وهل كابن عصرون في عصرنا \* امام أدلته قاطعه



## كتاب (١٥٠) الروضتين

خبر فوائده جنة \* وبحر موارد واسعة  
 أياشرف الدين شرفتي \* باهداء رائقه  
 أطعت أوامرك الساميا \* تومارحت هتي طائعه  
 أرى كل جارحة لي تسود لوانها أذن سامعه  
 وأما الشتاء وكافاته \* وكفك عن كافه الرابعه  
 فنفسى منزله بالعفا \* فغنا وفي غيرها طامعه  
 وماذا تطيق اذا لم تكن \* بيسور سيدنا قانعه

وهي أكثر من هذا قال وكان ابن حسان صاحب منبج قد ساءت أفعاله فبعث إليه نور الدين من حاصره واتزعهامنه ثم توجه نور الدين إليها تهذيب أحوالها ومدحه العباد بقصيدة منها يقول :

بشرى الممالك فتح قلعة منبج \* فليهن هذا النصر كل متوج  
 أعطيت هذا الفتح مفتاحه \* في الملك يفتح كل باب مرتج  
 وافي يشر بالفتوح ورآه \* فانهض إليها بالجيش وعرج  
 أبشر ببيت القدس يتلو منبجا \* ولنبيج لسواد كالانموذج  
 ما أعجزتك الشهب في أبراجها \* طلبا فكيف خوارج في أبرج  
 ولقد مر من بعضيك أحقران يرى \* أثر العيوس بوجهك المتبليج  
 لكن تهذب من عصاك سياسة \* في ضمها تقويم كل معوج  
 فانهض إلى البيت المقدس غازيا \* وعلى طرابلس ونبلس عجم  
 قد سرت في الاسلام أحسن سيرة \* مأثورة وسلكت أوضح منهج  
 وجميع ما استقرت من سنن الهدى \* جددت منه كل رسم مبهج

قال العبادوسار نور الدين من منبج إلى قلعة نجم وعبر الفرات إلى الرها وكان بها ينال صاحب منبج وهو سيد الرأى رشيد المنهج فنقله إليها مقطعا وواليا وأقام نور الدين بقلعة الرها مدة فمدحه العباد بقصيدة وتحجب له صلاح الدين في عرضها وهي

أدركت من أمر الزمان المشتى \* وبلغت من نيل الاماني المنتهى  
 وبقيت في كنف السلامة آمنة \* متكرما بالطبع لامتكرها  
 لازلت نور الدين في فلك الهدى \* ذاغرة للعالمين بها البها  
 يا محبي العدل الذي في ظله \* من عدله رعت الاسود مع المها  
 محمود المجدود من أيامه \* لبها ضحك الزمان وقهقهها

مولي الوري مولي الندي على الهدى \* مردى العدى مسدى الجدى معطى الله

آراؤه بصوابها مقرونة \* وبمقتضاها دائر فلك النها  
 متلبس بمحسافه وحصانه \* متقدس عن شوب مكر او دها  
 يا من أطاع الله في خلواته \* متاوبا من خوفه متاوها  
 أبدت قدم في المعاش لوجهه \* عملا يبيض في المعاد الاوجهها  
 كل الامور وهي وامرك مبرم \* مستحكم لا نقض فيه ولاوها  
 ما صين عنك الصين لوحا ولتها \* والمشرقان فكيف منبج والرها  
 ما للسلوك لدى ظهورك رونق \* واذا بدت شمس الضحى خفي السها  
 ان السلوك هو اوانك من غدا \* وبماله والملك منه ما لها  
 شرفت نفوسهم إلى دنياهم \* وأبى لنفسك زهدا ان تشرها

## في أخبار (١٠١) الدولتين

ما نمت عن خير ولم يك نائما \* من لا يزال على الجبل منها  
أخلت ذكر الجاهلين ولم تزل \* ملكا يذكر العالمين منوها  
ورأيت إرعاء الرعايا واجبا \* تغني فقيرا أو تجير مدحا  
لرضاهم متحفظا ولحالهم \* متفقدوا ولدينهم متفقه  
وعجابه أمر الإله أمرتهم \* من طاعة ونهيتهم عما نهى  
عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل \* عن رافة لكبيرهم لن تشدها  
بالأس عندك أمل لم يحزن \* بالرد دونك سائل لن يجيبها  
أنعت نفسك كي تنال رفاهة \* من ليس يتعب لا يعيش مرفها  
فقت الملوك سمحة وحساسة \* حتى عسدمنافهم لك مشبها  
ولك الفخار على الجميع فدوهم \* أصبحت عن كل العيوب منزها  
وأراك تحلم حين نصبح ساخطا \* ويكاد غيرك ساخطا أن يسفها

قلت رحم الله العمداء فقد نظم أوصاف نور الدين الجليلية بأحسن لفظ وأرقه وهذا البيت الأخير مؤكدا نقلناه في أول الكتاب من قول الحافظ أبي القاسم رحمه الله في وصف نور الدين رحمه الله أنه لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنوعت الكاملة قال العمداء ثم عاد نور الدين إلى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان له ولعاب ضرب الكرة ورجم داخل الظلام فلعب بها بالشموع في الليلة المسفرة وركب صلاح الدين مبرا كل بكرة وهو عارف بأدائها في الخدمة وشروطها المعتبرة قال وأقطعه في تلك السنة ضيعتين أحدهما من ضياع حلب والأخرى من ضياع كفر طاب قال وكتب إليه في طلب كنبوش

أصبحت بغلتي تشكي من العر \* ي واسراجها بلا كنبوش  
قلت كفي فخير يوميك عندي \* ان تنفوزي بالتبن أو بالحشيش  
وافرحي ليلة الشعير كما يفر \* ح قوم يلبسلة المأشوش  
لو تبصرت حالتي لتصبر \* ت فاياك عندها ان تطيشي  
أوما مات في الشتاء من البر \* د ومن فرط جوعه أكديشي  
فنتي واسكني بيجود صلاح الدين غرس الملوك ملك الجيوش  
فهو بيجولك للعيون بكنبو \* ش جديد مستحسن منقوش  
كم عسدم من بأسه في عشار \* وولى بيجوده من عوش  
والمسوا على الأسرة والاعدا \* داء تحت الهوان فوق النعوش

قال وأقطع أسد الدين حص وأعمالها فساد إليها فسدت غورها وضبط أمورها وحجى جمهورها وكان نور الدين قد جدد سورها وحصن دورها وبلى الفرنج منه بالمغادر المراءغ ذى البأس الدامغ وسأله نور الدين في السلوعن حب مصر وقال قد تعبت مرتين واجتهدت ولم يحصل لك ما طلبت وقد أذعنوا بطاعه وشفعوا السؤال بالشفاعة وسمحوا بكل ما يدخل تحت الاستطاعة قلت وأنشد العمداء أسد الدين في رجب من هذه السنة

دمت في الملك آمرا ذا نفاذ \* أسد الدين شيركوه بن شاذي  
يا كريم عن كل شر بطشا \* والى الخير دائم الأغذاذ  
ان كهف الاسلام أنت فلا زلت \* لاهل الاسلام خير ملاذ  
ويقلب الكفار رعبك قد حل \* بصدع الأكباد والأفلاذ  
لم تندع بالظبي رؤسا وأصنا \* مامن المشركين غير جذاذ  
أنت من نازل الدعين في مصر لنصر الامام في بفسناذ

**(فصل)** في وفازين الدين قال ابن الاثير وغيره في سنة ثلاث وستين سار زين الدين علي بن بكته كين نائب أتابك قطب الدين عن الموصل الى أربل وسلم جميع ما كان ببلاده من البلاد والقلاع الى قطب الدين ما عدا أربل فانها كانت له من أتابك زنكي رحمه الله تعالى فن ذلك سنجار وحران وقلعة عفر الجديدي وقلاع الهكارية جميعها وكان نائبه بتكريت الامير تبر فأرسل اليه ليسلمها فقال ان المولى أتابك لا يقيم بتكريت ولا بدله من نائب فيها وأنا أكون ذلك النائب فليس له مثلي فما أمكن محاققته لاجل مجاورة بغداد وأما شهرزور فكان بها الامير بوزان فقال مثله أيضاً فأقرت بيده فكان في طاعة قطب الدين وسبب فراق زين الدين انه أصابه عى وصمم وأقام بأربل الى أن توفي بها في ذى الحجة من هذه السنة وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته وكان خيراً عادلاً حسن السيرة جواداً محافظاً على حسن العهد واداء الامانة قليل العذر بل عديمه وكان اذا وعد بشئ لا بد له من أن يفعله وان كان فعله خطيئاً وكان حاله من أعجب الاحوال ينمى ما يبد منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبد ومنه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء بلغني انه أتاه بعض أصحابه بذهب فرس ذكرانه نفق له فأمر له بفرس فأخذ ذلك الذنب أيضاً غيره من الاجناد فأحضره وذكرانه نفق له دابة فأمر له بفرس وتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلاً كلهم يأخذ فرساً فلما أحضره آخرهم قال لهم أما تستحيون مني كما استحيي أنا منكم قد أحضر هذا عندي اثنا عشر رجلاً وأنا أنغافل لئلا ينجل أحدكم أنظنون انني لأعرفه بلى والله وانما أردت أن يصلحكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتعاني

قال وكان يعطى كثيراً ويخلع عظيمًا وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيئاً بل أنقذه جميعه في العطايا والانعام على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج اليه من سكين ودوفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك وكان أشجع الناس ميمون النقيبة لم ينهزم له رايه وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته وكان تركا أسمه اللون خفيف العارضين قصير اجداً وبني مدارس وربطاً بالموصل وغيرها وبلغني انه مدحه الحيص ببص فلما أراد الانشاد قال له أنا لا أدري ما تقول لكن اعلم انك تريد شيئاً فأمر له بخمسمائة دينار وأعطاه فرساً وخلع وثياباً يكون مجموع ذلك ألف دينار قال ومكافئه كثيرة ولما توفي بأربل كان الحاكم بها خادمه مجاهد الدين قايمار وهو المتولى لامورها وولى بعد زين الدين ولده مظفواً الدين كوكبرى مدة ثم فارقهما بخلف كان بينه وبين مجاهد الدين قايمار وجرت أمور بطول ذكرها ولما فارق زين الدين الموصل استناب أتابك قطب الدين بقلعة الموصل بعده بمملوكه نحر الدين عبد المسيح فسلك غير طريق زين الدين فكبره الناس وذموه فلم تطل أيامه وسيجيئ ذكر عزله في أخبار سنة ست وستين ان شاء الله تعالى

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة في أولها ملك نور الدين رحمه الله تعالى قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين بلك بن علي بن بلك العقيلي من آل عقيل من بني المسيب وكانت بيده ويد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من أمنع الحصون وأحسنها مطلة على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد أعجز جماعة من الملوكة أخذها منه وقتل عليها عداد الدين زنكي والنور الدين ثم اتفق ان خرج صاحبها منها يوماً يتصيد فصاده بنو كلب فأخذوه أسيراً أو ثقود وجأوه الى نور الدين فتقر بوابه اليه وذلك في رجب من سنة ثلاث وستين فحبسه بحلب وأحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة والغف وتهذه فلم يفعل أيضاً فسير اليها عسكر امقدمه الامير نحر الدين مسعود بن أبي علي الزعفراني فحصرها مدة فلم ينظر منها بشئ فأمدتهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير محمد الدين أبابكر المعروف بابن الداية وهو أكبر أمراء نور الدين ورضيعه والى معاقله فأقام عليها وطاق حوالها فلم ير له في فتحها محالاً ورأى أخذها بالحصار متعذراً محالاً فسلك مع صاحبها طريق اللين وأشار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يرل يتوسط معه حتى أذعن على أن يعطى سروج واعمالها والملاحة التي في عمل حلب والباب وبراعة وعشرين ألف دينار مججلة فأخذ جميع ما شرطه مكرهاً في صورة مختار قال ابن الاثير وهذا اقطاع عظيم جد الكثرة لاحظ فيه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر

وصعد اليها منتصف المحرم ووصل كتابه الى نور الدين بحلب فسار اليها وصعد القلعة في العشرين من المحرم ثم سلمها نور الدين الى مجد الدين بن الداية فولاهما أخاه شمس الدين علي وكان هذا آخر امر بني ملك ولي كل امر حد ولا ينهاية يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه من يشاء قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين أيما أحب اليك وأحسن مقاما اسروج والشام أم القلعة فقال هذا أكثر مالا والعز بالقلعة فارقتاه قال العماد وأنشدت نور الدين بقلعة جعبر قصيدة أولها

أسلم ليكر الفتوح مقترعا \* ودم لملك البلاد منتزعا  
فان أولى الوري بها ملك \* غدا بعبء الخطوب مضطلعا  
ان ضاق أمر فقير همته \* لكشف ضيق الامور لن يسعا  
يا محبي العدل بعد ميثته \* ورافع الحق بعد ما اتضعا  
ونور دين الهدى الذي قع الـ \* شرك وعنى الضلال والبدعا  
أنت سليمان في العقاف وفي الـ \* ملك وتحكي بزهدك اليسعا  
حزت البقا والحياة والكرم المحض \* وحسن اليقين والورعا  
أسقطت أفساطما وجدت من المكس \* بعدل والقاسطار تدعا  
ولم تدع في ابتغاء مصالحة الـ \* دين لنا باقيا ولن تدعا  
وكل ما في الملوك مقترق \* من المعالي للملك اجتمعا  
هبتك الربط والمدارس تبنيها \* نوابا وتهدم البيعا  
ما زلت ذا فطنة مؤيدة \* على غيوب الاسرار مطلعا  
بأسك البيض والطلي اصطبت \* بعدلك الذئب والطارعا  
كم صائد لم يقع له قنص \* في شرك وهوفيه قد وقعنا  
وما لك حين رمت قلعتك \* غدا مطيعا للامر متبعنا  
عنا خشوعا لرب ملكة \* لغير رب السماء ما خشعنا  
كان مقياما على الفلك الـ \* على شهابا بنوره سطعا  
لكنما الشهب ما تنير ادا \* لاح عمود الصباح فانصدعا  
يدفعها طائعا اليك وكم \* عنها اباء بجهد دفعنا  
هي التي في علوها زحل \* كمر على وردها وما كرعنا  
وهي التي قاربت عطاردي الـ \* وفق فلاحا والفرقدين معا  
كان منها السها اذا استرق السمع \* أتاها في خفية ودعا  
هضبة عز لولاك ما ارتقيت \* وطود ملك لولاك ما فرعا  
ما قبلت في ارتقاء ذروتها \* من ملك لارقي ولا جذعا  
عزت على المالك الشهيد واعطت \* ظمك قيادا ما زال متمنا  
للاب لوحل خطبها الغدا \* محررا لابنه وما شرعا  
لا زلت محمود في أمورك محمو \* دا بشوب الاقبال مدرعا

(وفيها) في سابع عشر صفر من هذه السنة توفي بهاء الدين عمر أخو مجد الدين بن الداية وفيه وفي أخويه يقول العماد الكاتب من قصيدة

أنتم لمحمود كالـ محمد \* متصادف في الافعال والاسماء  
يتلو أبابكر على حسناته \* عمر الممدج في سنا وسناء  
ويليه عثمان المرحى للعلا \* وعلى المأمول في اللا وله

## كتاب (١٥٤) الروضتين

وتقبل الحسن المجيد محمد \* فهم ذوو الاحسان والنعماء  
فرعت لمجد الدين اخوته الذرى \* دون الورى في المجد والعلياء  
من سابق كرما وشمس ساده \* شرفا وبدر دجنسة وبهاء  
سرج الهدى سحب الندى شهب النهى \* أسد الحروب ضراغم الهيجا

يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين على وبدر الدين حسن وبهاء الدين عمر ومجد الدين هو الاكبر فهم  
خمسهم الله

**(فصل)** وفي هذه السنة فتحت الديار المصرية سار اليها أسد الدين مرتلة ثلاثة فهزم العدو وقتل شاورا وولى الوزارة مكانه ثم مات فولىها صلاح الدين وسبب ذلك ان الفرنج كانوا في النوبتين الاولى والى اللتين استعان بهما شاور فيهما على أسد الدين شيركوه قد خبر والديار المصرية واطلعوا على عورتها فطمعوا فيها وتقصوا ما كان استقر بينهم وبين المصريين وأسد الدين من القواعد فجمعوا وحشدوا ووافقوا ما بمصر من يصدنا وإذا اردنا هافن يردنا ثم قالوا نور الدين في البلاد الشمالية والجهة الغربية وعسكر الشام متفرق كل منهم في بلده حافظا لما في يده ونحن نهض الى مصر ولا نطيل بها الحصر فانه ليس لها معقل ولا لاهلها مأمول والى ان تجتمع عساكر الشام نكون قد حصلنا على المرام وقويتنا بتلك الديار المصرية على سائر بلاد الاسلام فتوجهوا اليها سائرين ونحوها ثائرين واطهروا انهم على قصد حص وشايهم على قصد مصر جماعة من اهلها كابن الخياط وابن قرجة وغيرهما من اعداء شاور وكان الفرنج قد جعلوا لهم شحنة بمصر والقاهرة واسكنوا فرسانهم ابواب البلد والمفاتيح معهم على ما سبق ذكره وتحكوا وتحكما كبيرا فطمعوا في البلاد وارسلوا الى ملكهم مري ولم يكن ملك الفرنج مخرجوا الى الشام مثله شجاعة ومكر اودعاه يستدعون له تلك البلاد واغلوه خلوهام من مانع عنها وسهلوا امرها عليه فلم يجبههم الى المسير واجتمع فرسان الفرنج وذو الرأى والتقدم وأشاروا عليه بالمسير اليها والاستيلاء عليها فقال لهم الرأى عندى ان لا تصدها فانها طعمة لنا واموالها تساق اليها تقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها انما كرهنا فان صاحبها وعساكره وعامة اهل بلاده ولا حية لا يسلمونها اليها ويقاوتونادونها ويحلمهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين وان أخذها وصار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك للفرنج واجلاؤهم من أرض الشام فلم يصغوا الى قوله وقالوا ان مصر لا مانع لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نور الدين ويجوز العساكر ويسرهم اليها تكون نحن قد ملكتها وفرغنا من أمرها وحينئذ يفتنى نور الدين منا السلامة فلا يقدر عليها وكانوا قد عرفوا البلاد وانكشف لهم أمرها فاجابهم الى ذلك على كره شديد وتجهزوا واطهروا انهم على قصد الشام وخاصة مدينة حص وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا أول يوم من صفر الى بلبس وناولوها وحصرها وهافتل كوها قهرا ونهبوها وسبوا اهلها وأقاموا بها خمسة أيام ثم أتوا على القاهرة وحصرها عاشر صفر تخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم مثل فعلهم باهل بلبس فحملهم الخوف منهم على الامتناع لحفظوا البلد وقتلوا ادونه وبدلوا جهدهم في حفظه ولوان الفرنج أحسنوا السيرة مع اهل بلبس ملكوا مصر والقاهرة سرعة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك ليقضى الله أمر اكان معولا وكان شاور أمر باحراق مدينة مصر تاسع صفر قبل نزول الفرنج عليهم بيوم واحد خوفا عليها من الفرنج فبقيت النار فيها تحرقها أربعة وخمسين يوما الى خامس ربيع الاخر ثم ضاق الحصار وخيف البوار وعرف شاور انه يضعف عن الحماية فشرع في فتح الحيل وأرسل الى ملك الافرنج يدكر له مودته ومحبته القديمة وان هو ادمعه ونحوه من نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشربوا الصلح وأختمال لئلا يسلم البلاد الى نور الدين فاجابه الى الصلح على أخذ ألف الف دينار مصرية يجعل البعض ويؤخر البعض واستقرت القعدة على ذلك ورأى الفرنج ان البلاد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا نأخذ المال تتقوى به وتكثر من الرجال ثم نعود الى البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ولا غيره ومكر واومر الله والله خير الماكرين فجعل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عن البلد ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا وكان خليفة مصر العاضد عقيب حريق مصر ارسل الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء وقال له هذه شعور نسائي من قصرى يستغيث بك لتنقذهن من الفرنج فقام نور الدين لذلك وقعد وشرع في تجهيز

العساكر الى مصر ولما صالح شاور الفرنج على ذلك المال عاود العاضد مر اسلة نور الدين واعلامه بما لقي المسلمون من أفرنج وبذل له ثلث البلاد من مصر وان يكون أسد الدين شيركوه مقيما عنده في عسكر واقطاعهم عايه خراجا عن الثلث الذي لنور الدين هذا قول ابن الاثير وقال العماد بجعل شاور ملك الفرنج بجائة ألف دينار حيلة وخذاعا وارغاما له واطماعا وواصل بكتبته الى نور الدين مستصر خامس تنفرا وبما ناب الاسلام من الكفر مخبرا ويقول ان لم تسار ذهبت البلاد وسير الكتب مسودة بمدادها كاسية لباس حدادها وفي طمها ذوائب مجزوزة وعصائب مجزوزة أظن انها شعور أهل القصر للشعار بما عراهم من بلية الحصر وارسلها تابعا وأردف بها نجابين سراعا وأقام منتظرا ودام متخيرا وعامل الفرنج بالمطال ينقدهم في كل حين مالا ويطلب منهم امهالا وما زال يعطيهم ويستميلهم حتى أتى الغوث بعساكر نور الدين رحمه الله

(فصل) فيما فعله نور الدين كان نور الدين لما أتاه الرسل اولاً من العاضد قد أرسل الى أسد الدين ليستدعيه من حصص وهي اقطاعه فلما خرج القاصد من حلب لقي أسد الدين قد وصلها وكان سبب وصوله ان كتب المصريين أيضا وصلته في هذا الامر فبقي مسلوب القرار مغلوب الاصطبار لانه كان قد طمع في بلاد مصر فخاف خروجها من يده وان يستولى عليها الكفر فساق في ليلة واحدة من حصص الى حلب واجتمع نور الدين ساعة وصوله فتهب نور الدين من ذلك وتقال به وشكره وأمره بالتجهز الى مصر والسرعة في ذلك وأعطاء مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والآلات والاسلحة وحكاه في العساكر والخزائن فاختر من العسكر ألفي فارس واخذ المال وجمع من التركان ستمائة ألف فارس فكان في مدة حشدته للتركمان سار نور الدين لتسليم قلعة جعبر ثم سار هو ونور الدين الى دمشق ورحلا في جميع العساكر الى رأس الماء وأعطى نور الدين كل فارس من العسكر الذين مع أسد الدين عشرين دينارا معونة لهم على الطريق غير محسوبة من القرار الذي له وأضاف الى أسد الدين جماعة من الامراء والماليك منهم مملوكه عز الدين جرديك وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش وناصح الدين خجارتكين وعين الدولة ابن الباروق وقطب الدين ينال بن حسان المنجي وغيرهم ورحلوا على قصد مصر مستترلين من الله تعالى النصر وذلك منتصف ربيع الاول وخيم نور الدين فيمن أقام معه برأس الماء وأقام ينتظر ورود المبرشات فوصل المبرش برحيل الفرنج عن القاهرة عائد الى بلادهم لما سمعوا بوصول عسكر نور الدين وسب الملك كل من أشار عليه بقصد مصر وأمر نور الدين بضرب البشار في سائر بلاده وبث رسله الى الآفاق بذلك وقال القاضي أبو المحاسن لقد قال لي السلطان يعني صلاح الدين كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عبي باختباري قال وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى ان تسكروا شيئا وهو خير لكم وقال ابن الاثير احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه حكى لي عنه انه قال لما وردت الكتب من مصر الى الملك العادل نور الدين رضي الله عنه مستصرخين ومستحضرين احضرتني واعلني الحال وقال تضي الى عمك اسد الدين بخص مع رسول الله يامره بالحضور وتعهنت على الاسراع فيا حجة ل الامر التأخير قال ففعلت فلما فارقتا حلب على ميل منها لقيناها قادمة في هذا المعنى فقال له نور الدين تجهز للمسير فامتنع خوفا من غدرهم ولا وعدم ما ينفعه في العساكر ثانيا فأعطاه نور الدين الاموال والرجال وقال له ان تأخرت أنت عن المسير الى مصر فالمصلحة تفتضي ان أسير انا بنفسي اليها فاننا ان أهملنا أمرها ملكها الفرنج ولا يبقى لنا معهم مقام بالشام وغيره قال فالتفت الى عمي أسد الدين وقال تجهز يا يوسف قال فكأنما ضرب قلبي بسكين فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت اليها لقد قاسيت بالاسكندرية من المشاق مالا انساها ابد افعال عمي لنور الدين لا بد من مسيره معي فترسم له فامرني نور الدين وانا استقيله ثم انقضى المجلس ثم جمع اسد الدين العساكر من التركان وغيرهم ولم يبق غير المسير فقال لي نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت اليه المضايقة وقلة الدواب وما احتاج اليه فاعطاني ما تجهزت به وكأنا أساق الى الموت وكان نور الدين مهيبا مخوفا مع لينه ورحمته فسرت معه فلما استقر أمره وتوفى اعطاني الله من ملكه مالا كنت أتوقعه قلت وحرصه أيضا بحسان العرقلة بآيات من شعره من جملة قصيدة مدحه بها قال

وهل أخشى من الأنواع بخلا \* اذا ما يوسف بالمال جادا

## كتاب (١٥٦) الروضتين

فتى للدين لم يبرح صلاحاً \* وللإعداء لم يبرح فساداً  
لئن أعطاء نور الدين حصناً \* فإن الله يعطيه البلاداً  
إلىكم ذا التواني في دمشق \* وقد جاءكم مصر تمهيداً  
عروس يعلاها سدهزر \* يصيد المعتدين ولن يصادا  
ألا يامعشر الاجناد سيروا \* وراء لوائه تلقوا رشداً  
فما كل امرء صلى مع الناصر \* س ما موما كن صلى فراداً  
فلما صار صلاح الدين إلى مصر عبر العرقله على داره فوجد هامعلقه فقال

عبرت على دار الصلاح وقد خلت \* من القهر الوضاح والمنهل العذب  
فوالله لولا سرعة مثل عزمه \* لغرقها طوفى وأحرقها قاي

ودار صلاح الدين هي التي وقفها بطال صوفية بخارة قطامش جوارق يسارية القضاة واليهابجى الماء من حمام نور الدين رحمه الله فقصى الله ما قضى من رحيل الفرنج وتلك صلاح الدين على ماسياتى وللا مبر الفاضل أسامة بن منقذ فى صلاح الدين من قصيدة أولها (سـ) لم على مصر لاربعة بذي سلم) يقول فيها

الناصر الملك الموفى بذمته \* ومن ندى كفه يغنى عن الديم  
ومن اذا جرد البيض الصوارم فى الهياج غدها فى البيض والقيم  
ومن حوى الملك من بعد الطاعة فى انتزاعه بشبا الهندية الخدم  
وردا طاغية الافرنج يحسب ما \* رجاه من ملك مصر كان فى الحلم  
ونى وراحته صفر وقد ملئت \* بعد الطاعة من يأس ومن ندم  
يصعدون على ما فاتهم نفسا \* لولا فتح البحر أضنى الموج كالحلم  
وفى السلامة لولا جهلهم ظفر \* لمن أراد نزال الاسد فى الاجم  
وهم اسود الشرى لكن أذلهم \* ملك لديه الاسود الغلب كل غم  
وله من قصيدة أخرى

اقت عود الدين حين أماله \* لطاغى الفرنج الغتم طاغى بنى سعد  
وجاهدت حزب الكفر حتى رددتهم \* خزايا عليهم خيبة الدل والرد  
أفدت بما قدمت ملكاً مخلداً \* وذكر امدى الايام يقرن بالجد  
وذكر ك فى الافاق يسرى كانه الاسـ صباح له نشر القوة والنـ

ولابى الحسن بن الذروى فيه من قصيدة يذكر فيها ملك الفرنج مرى

ولكم أشتت الروم أشام بارق \* أضحت مياه نفوسها من قطره  
واقال بحر دروعها عن مـده \* ومضى وقد حكمت ظباك بجزره  
ولقيت مرياً وطعم حياته \* حلو فبذل له القتال بمـره  
فاعقد اليه الرأى فى عذب القنا \* واحلل بها عجماء مكره  
واطرده من وكر الشأم فانه \* قد طار منك بخفاق من دعره

(فصل) فى القيض على شاور وقتله وصل أسد الدين القاهرة سابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد خليفة

مصر فخلع عليه وأكرمته وأجريت عليه وعلى عساكر الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك رأى العساكر كثيرة بظاهر البلد ورأى هوى العاضد معهم من داخله فم يتجاسر على اظهار ما فى نفسه فأكتمه وهو بما طل أسد الدين فى تقرير ما كان بذل له من المال والاقطاع للعساكر وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غروراً ثم انه عزم على ان يعمل دعوة لاسد الدين ومن معه من الامراء ويقبض عليهم فنهاء ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمتم على هذا الامر لا اعترف

## في اخبار (١٥٧) الدولتين

أسد الدين فقال له أبوه والله لننل ما فعل هذا النقتل جميعا فقال صدقت ولان تقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان تقتل وقدم ملكها الفرنج فليس يبتك وبين عود الفرنج الا ان يسمعو بالقبض على شريكه وحينئذ لومشى العاضد الى نور الدين لم يرسل فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه فلما رأى العسكر النورى المطل من شاور اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديل وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين بذلك فهاهم فقالوا اناليس لنا في البلاد شيء مهم هذا على حاله فأنكر ذلك واتفق ان أسد الدين سار بعض الايام الى زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقصد شاور عسكره على عادته لا اجتماع به فلقبه صلاح الدين وعز الدين جرديل ومعهما جميع من العسكر فخدموه وأعلموه ان أسد الدين في الزيارة فقال غضي اليه فساروهم معه قليلا ثم ساروه وألقوه عن فرسه فهرب أصحابه وأخذ أسير اوليهم كنهم قنله بغير اذن أسد الدين فسجنوه في خيمة ونوكلوا بحفظه فلم أسد الدين الحال فعاد مسرعا ولم يمكنه الا اتمام ما علموه وأرسل العاضد لدين الله صاحب مصر في الوقت الى أسد الدين يطلب منه رأس شاور ويحمله على قتله وتابع الرسل بذلك فقتل شاور في يومه وهو سابع عشر ربيع الآخر وحل رأسه الى القصر ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خافه على نفسه فقال لهم أمير المؤمنين قد أمركم بتهيب دار شاور ففصدوها الناس ينهبونها فترقوا عنه هذا قول ابن الاثير وقال ابن شداد اقام أسد الدين بها يتردد الى شاور في الاحيان وكان وعدهم بما في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيئا وعلقت مخالب الاسد في البلاد وعلم ان الفرنج متى وجدوا فرصة أخذوا البلاد وان تردد هم اليها في كل وقت لا يفيءون شاورا يلعب بهم تارة وبالا فرنج أخرى وملا كما قد كانوا على البدعة المشهورة عنهم وعلموا انه لا سبيل الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجعوا أمرهم على قبضه اذ اخرج اليهم وكانوا هم يترددون الى خدمته دون أسد الدين وهو يخرج في الاحيان الى أسد الدين يجتمع به وكان يركب على قاعدة وزارتهم بالطبل والبوق والعلم فلم يخافوا على قبضه منهم الا السلطان نفسه يعني صلاح الدين وذلك انه لما سار اليهم راكبا وسار الى جانبه أخذ بتلابيبه وأمر العسكر ان خذوا على أصحابه فقتلوا منهم العسكر وقبض شاور وأنزل الى خيمة مفردة وفي الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول لا بد من رأسه جريا على عادتهم في وزارتهم في تقرير قاعدة من قوى منهم على صاحبه فحزت رقبة وأنفذوا رأسه اليهم قال العماد ودخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر الايو ان وخلق عليه ولقي الاحسان وتردد شاور الى أسد الدين وتودد وتجدد بينه وبينه من الوداد ما تأكد وأقام للعسكر الضيافات الكريمة والاطعمة الواسعة والحلاوات والميرة فقال صلاح الدين هذا امر يطول ومساءلة فرضها يعول ومعناها هذا العسكر الثقيل واقامته بالا فامة يقصر عنها الامد الطويل ولا أمر لنا مع استيلاء شاور لاسيما اذ اراوغ وغادر فأنفذ أسد الدين الفقيه عيسى الى شاور يشير عليه بالاحتباس وقال له أخشى عليك من عندي من الناس فلم يكثر بثقاله وركب على سبيل انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين في الامراء النورية وهو راكب على عادته في هيئته الوزيرية فبغته وشجته وقبضه وأثبتته وكل به في خيمة ضربها له وحاول أمهاله فجاء من القصر يطلب راسه ويحمل من العمر ياسه وجاء الرسول بعد الرسول وأبوا ان يرجعوا الا ينسج السول فحم حمامه وحمل الى القصر هاهنا قلت وبلغني ان الذي خرقة شاور هو عز الدين جرديل وكان صلاح الدين لما لقيه في أصحابه سار بجانبه وأراد افراده عن العسكر فالتبس منه المسابقة بفرسهما فأجابته ووافقهما في ذلك جرديل وكان ذلك عن أمر قد تقرر فخر كواخيلهم فلما بعدوا عن العسكر ووقفوا قبض صلاح الدين وجرديل على شاور داخل الخيمة وقد كثر جمعا شاور بغدره ومكره حتى قال عرقله

لقد فاز بالملك العقيم خليفة \* له شريكوا العاضدي وزير  
كان ابن شاذي والصلاح وسيفه \* على لديه شبر وشبير  
هو الاسد الضاري الذي جل خطبه \* وشاور كلب للرجال عقور  
بني وطغي حتى لقد قال قائل \* على مثلها كان اللعين يدور  
فلارحم الرحمن تربة قبره \* ولا زال فيها منكر ونكير



ان امير المؤمنين الذى \* مصر حياه وعلى أبوه  
نص على شاور فرعونها \* ونص موساه على شيركوه

وقد وصف الفقيه الشاعر أبو حنيفة عمارة البنية في كتاب الوزراء المصرية الذى صنفه حال شاور في وزارته الاولى ثم قال  
وزارة شاور الثانية فيها تكشفت صفحاته وأحرقت لخماته وأغرقت جراحاته وغضه الدهر وعصه وأوجعه الثكل  
وأمرضه وبان غمره وغماده وجره ورماده ولم يحف من الانكاد لبلده ولا صفام من الاقضاء ورده وما هو الا ان تسلمها  
بالراحه وسلمت له الهوم عوضا عن الراحة وفى أول ليلة دخل القاهرة ارتحل أسد الدين طابا بلبليس فأقام بها  
ثم عاد الى القاهرة فكسر الناس يوم التاج وأسر أخوه صبح وأصيب على باب القنطرة بحجر كاد يموت منه وتعقب  
ذلك بنقل القتال على القاهرة حتى دخلت من الثغرة ثم تبسع هذا مجيىء الفرنج وعمل البرج وحصار بلبليس ثم تلا  
ذلك قيام مجيىء بن الخياط طالب الوزارة ثم تلا ذلك نفاق لواتة ومن ضامها من قيس وخروج أخيه نجم وابنه سليمان  
وجماعة من غلمانهم لحرهم ثم خروج ابنه الكامل فى بقية العسكر وفى أثناء هذه المدة قبضه على الاثير بن جلب  
راغب وقتله وأسر معالى بن فرنج ثم قتله واتصل اليه الخبر من قدوم أسد الدين الى اطفحج بأمر النوايب الكبر ووافق  
مجيىء الفرنج قدوم الفرنج ناصرين للدولة وتوجهوا من مصر فى البر الشرى تابعين للفرنج ثم لاحت الفرصة للفرنج فعادوا  
الى مصر واقترحوا من المال ما تنقطع دونه الامال وخيموا على ساحل المقسم وأظهروا رجوعهم الى الشام فتجهز  
الكامل للمسير صعبة الافرنج حدثنى القاضى الاجل الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى قال أنا أذكر وقد دخلونا  
فى خيمة وليس معنا أحد انما هو شاور وابنه الكامل وأخوه نجم فعزم الكامل على النهوض مع الفرنج وعزم نجم على  
التغريب الى سليم وما وراءها وقال شاور لكن لا أبرح أقاتل بمن صفامى حتى أموت فخن فى ذلك حتى وصل اليها  
الداعى ابن عبد القوى وصنعة الملك جوهر وعز وقد التزموا المال وتفرغ على هذا الاصل مقام الغز بالجيزة ونوبة  
البانين وحصار الاسكندرية وانصرف الفرنج راجعين والفرنج بعدهم فما هو الا ان توههم شاور ان الدهر قد نام وغفا  
وصفح عن عادته وعفا واذا الايام لا تخطب الا زواله وفوته ولا تريد الا انتقاله وموته فكان من قدوم الفرنج الى  
بليس وقتل من فيها وأسرهم بأسرهم ما أوجب حريق مصر ومكاتبه الاجل نور الدين بن القسيم وأنجاه كلمة الاسلام  
بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قتل فيهم وقد ربط الافرنج بالطريق عليهم

أخذتم على الافرنج كل ثنية \* وقلتم لا يدى الخيل مرى على مرى  
لئن نصبوا فى البر جسرا فانكم \* عبرتم بحمر من حديد على الجسر

قلت وهذا البيتان من قصيدة ستأتى ومرى هو اسم ملك الافرنج قال عمارة فقضى قدوم الغز برحيل الفرنج عن  
الديار المصرية ولم يلبث شاور ان مات قتيل بعد قدوم الغز بثمانية عشر يوما وهذه السنوات التى وزر فيها شاور  
وزارته الثانية كثيرة الوقائع والنوازل وفيها ما هو عليه أكثر مما هو له قال ولم يرب أحد رجال الدولة مثل ما رباهم  
الصالح بن رزك ولا أفنى أعيانهم مثل ضرغام وكانت وزارته تسعة أشهر مدة جل الخين ولا أتلّف أمواهم مثل  
شاور وشاور هو الذى أطمع الغز والافرنج فى الدولة حتى انتقلت عن أهلها وما عاد من حصار الاسكندرية أكثر من  
سفك الدماء بغير حق كان يأمر بضرب الرقاب بين يديه فى قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى الى خارج  
الدار وقال الحافظ أبو القاسم لما خيف من شر شاور ومكره لما عرف من غدره وخسره واتضح الامر فى ذلك  
واستبان تمارض الاسد ليقتنص الثعلبان فجاءه قاصدا لعيادته جاريانى خدمته على عادته فوثب جريديك  
وبرغش موليا نور الدين فقتلا شاورا وأراحا العباد والبلاد من شره وما شاورا وكان ذلك بر أى صلاح الدين فانه  
أول من تولى القبض عليه ومدّ به الكرمية بالمكره اليه وصفا الامر لاسد الدين وملك وخلع عليه الخلع وحنك  
واستولى أصحابه على البلاد وجرت أموره على السداد وظهر منه جميل السيرة وظهرت كلمة السنة

(فصل) فى وزارة أسد الدين وذلك عقيب تمثّل شاور وتنفيذ رأسه الى القصر أنفذ الى أسد الدين خلعة الوزارة  
فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزير اوقب بالملك المنصور أمير الجيوش وقصد دار الوزارة فنزلها وهى التى كان

## في اخبار (١٥٩) الدولتين

بها شاور فن قبله من الوزراء فلم يرفها ما يقعد عليه واستقر في الامر ولم يبق له فيه منازع ولا مناور وولى الاعمال من يثق اليه واستبد بالولاية فاقطع البلاد العساكر التي قدمت معه وصالح الدين مباشر للا مور مقررها وزمام الامر والنهي مقوض اليه لمكان كفايته ودرايته وحسن تأنيبه وسياسته قال العماد وكتب لاسد الدين منشور من القصر بسيط الشرح طويل الطي والنشر كتب العاضدي طرته بخطه ولا شك انه باملاء كتابه (هذاعهد لا عهد لوزير بمثله وتفلدامانة رآك أمير المؤمنين أهلا لجله والجهة عليك عند الله بما أوصحه لك من مر اشد سبله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة وامحجب ذيل النخار بأن اعترت خدمتك الى نبوة النبوة واتخذها للفوز بسيلا ولا تتقضوا الايمان بعدتو كيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) نسخة المنشور (من عبد الله ووليه أبي محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الائمة بحير الامة أسد الدين كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبي الحارث شيركوه العاضدى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقاءه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك فإنه يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو يسأله ان يصل على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليما) ثم ذكر باقى المنشور وهو مشتمل على كلام طويل وحشو غير قليل على عادة الكتاب المتأخرين الذين تراهم بالالفاظ الكثيرة عن المعنى اليسير معبرين والبلاغة عكس ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (يعثت بجوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)

ولما استقل أسد الدين بالوزارة طلب من القصر كتاب انشا فارس الىه بالقاضى الفاضل عبد الرحيم بن البيهاسانى وكان أبوه من أهل بيسان الشام ثم ولى قضاء عسقلان وخرج الفاضل الى الديار المصرية فولى كاتباً بالاسكندرية على باب السدرة ثم انه اتصل بالكامل بن شاور فاستكتبه وزاحم به كتاب القصر فثقل عليهم أمره فلما طلب أسد الدين كاتباً أرسل اليه وظن رؤساء ديوان المكاتبات ان هذا أمر لا يتم وان أسد الدين سيقتل كما قتل من كان قبله فأرسلوا بالفاضل اليه وقالوا له يقتل معه فثخلص من مزاحمته لنا فكان من أمره ما كان واستمر في الدولة ولم يزد في كل يوم الا تقدماً بصدقه ودينه وحسن رأيه رحمه الله وأنفذ العماد قصيدة طويلة تمنته لاسد الدين أولها

بالجد أدركت ما دركت لا اللعب \* كم راحة جنيت من دوحه التعب  
ياشير كوه بن شاذى الملك دعوة من \* نادى فعترف خير ابن بخير أب  
حرى الملوكة وما حازوا برقصهم \* من المدي فى العلى ما خرت بالخطيب  
تمل من ملك مصر رتبة قصرت \* عنها الملوكة فطالت سائر الرتب  
فقت مصر وأرجوان تصير بها \* ميسرا فتح بيت القدس عن كتب  
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من \* فتح البلاد فبادر نحوها واثب  
أنت الذى هو فرد من بسالته \* والدين من عزمه فى جحفل لجب  
فى خلق ذى الشرك من عدوى سطا لشجاء \* والقلب فى شجن والنفس فى شجب  
زارت بنى الاصفر البيض التى لقيت \* حمر المنايا بها مرفوعة الحجب  
وانها تقدم من خلفها أسد \* ارى سلامتها من أعجب العجب  
لقد رفعا الى الرحمن أيدينا \* فى شكرنا ما به الاسلام منك حبي  
شكا اليك بنو الاسلام بتهم \* فتمت فيهم مقام الوالد الحذب  
فى كل دار من الافرنج نادبة \* بمادهاهم فقد بانوا على ندب  
من شر شاور انقذت العباد فكم \* وكم قضيت لحزب الله من أرب  
هو الذى أطمع الافرنج فى بلعد السلام حتى سعوا للقصد والطلب  
وان ذلك عند الله محتسب \* فى الحشر من أفضل الطاعات والقرب  
أذله الملك المنصور منتصرا \* لمادعا الشرك هذا قد تعزى بي  
وما غضبت لدين الله منتقما \* الا لنيل رضى الرحمن بالنضب

## كتاب (١٦٠) الروضتين

وأنت من وقعت في الكفر هيئته \* وفي ذويه وقوع النار في الخطب  
وحين سرت إلى الكفار فانهزموا \* نصرت نصر رسول الله بالرعب  
يا محبي الأمة الهادي بدعوته \* للرشد كل غوى منهم وغبي  
لما سمعت لوجه الله مرتقبا \* ثوابه نلت عفوا لكل مرتقب  
أعدت نقمة مصر نعمة فعدت \* تقول كم نكت لله في النكب  
أركبت رأس سنان رأس ظالمها \* عدلا وكنت لوزر غير مرتكب  
رد الخلافة عباسية ودع السدي فيها يصادف شر منقلب  
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها \* فالحزم عندى قطع الرأس كالذنب  
وقال العماد في الخريدة أنشدني الحافظ أبو القاسم لنفسه وقد أعفى الملك العادل نور الدين قدس الله روحه أهل  
دمشق من المطالبة بالخشب فور رد الخبر باستيلاء عسكره على مصر فكتب إليه يمينه

لما سمحت لأهل الشام بالخشب \* عوضت مصر بما فيها من النشب  
وان بذلت لفتح القدس محتسبا \* للأجر جوزيت أجر غير محتسب  
والأجر في ذلك عند الله مرتقب \* فيما يثيب عليه خير مرتقب  
والذكر بالخير بين الناس تكسبه \* خير من النضة البيضاء والذهب  
ولست تعذر في ترك الجهاد وقد \* أصبحت تملك من مصر إلى حلب  
وصاحب الموصل الفيحاء ممثلا \* لما تريد فبادر فجأة النوب  
فاخزم الناس من قوى عزيمته \* حتى ينال بها العالی من الرتب  
فالجد والجهد مقرران في قرن \* والحزم في العزم والادراك بالطلب  
فظهر المسجد الأقصى وحوزته \* من النجاسات والأشراك والصلب  
عساك تظفر في الدنيا بحسن ثنا \* وفي القيامة تلقى خير منقلب

(فصل) في وفاة أسد الدين شيركوه وولاية ابن أخيه صلاح الدين مكانه توفي أسد الدين فجأة يوم السبت  
الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت وزارته شهرين وخمسة أيام قال ابن شداد كان أسد  
الدين كنير الاكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواز عليه التخم والخوانيق وينجونها بعد معاناة  
شدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله رحمه الله وقوض الامر بعده إلى صلاح الدين واستقرت  
القواعد واستتبّت الأحوال على أحسن نظام وبذل الأموال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فلكها وشكر نعمته  
الله عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الاجدا  
إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمة ولقد سمعت منه رحمه الله يقول لما يسر الله إلى الديار المصرية علمت أنه أراد فتح  
الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي وحين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك  
وبلادها وغشى الناس من سحائب الفضال والنعم ما لم يؤثر عن غير تلك الأيام هذا كله وهو وزير متابع  
للقوم لكنه مقوم مذهب السنة غارس في البلاد أهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون إليه من كل صوب  
ويغدون إليه من كل جانب وهو رحمه الله لا يجيب قاصدا ولا يعدم وافدا ولما عرف نور الدين استقرار أمر صلاح  
الدين بمصر أخذ حصص من نواب أسد الدين وذلك في رجب من هذه السنة وقال ابن الأثير أما كيفية ولاه صلاح  
الدين فان جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة منهم الأميرين  
الدولة الياروق وقطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن أخي أبي الهيثم الهذلي الذي كان صاحب أربل ومنهم سيف  
الدين علي بن أحمد الهكاري وجده كان صاحب قلاع الهكارية ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح  
الدين وكل من هؤلاء قد خطبها وقد جمع ليغالب عليها فأرسل الخليفة العاضد إلى صلاح الدين فأمره بالحضور  
في قصره ليخضع عليه خلع الوزارة ويؤليه الامر بعده وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن

انه اذاولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته بحكمه ولا يجسر على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامى من يستملهم اليه فاذا صار معه البعض أخرج الباقيين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يجيهم من الفرنج ونور الدين فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فالزم به وأخذ كارها ان الله ليحب من قوم يقادون الى الجنة بسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة الجبة والعمامة وغيرها ولقب بالملك الناصر وعاد الى دار أسد الدين فأقام بها ولم يلتفت اليه أحد من أمرائه الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خده وود كان الفقيه ضياء الدين عيسى الحكارى معه فسعى عند سيف الدين على بن أحمد حتى أماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمى وابن تليل قال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمى وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وملكه لك وقد استقام الامر له فلا تكن أول من يسعى في اخراجه عنه فلا يصل اليك ولم يرزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلفه له ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغير الياروقى وعلى كل حال فالجمع بينك وبين صلاح الدين ان أصله من الاكراد فلا يخرج الامر عنه الى الترك ووعده وزاد في اقطاعه فأطاع صلاح الدين أيضا وعدل الى عين الدولة الياروقى وكان أكبر الجماعة واكثرهم جمعا فلم تنفعه رفاة ولا نفذ فيه سحره وقال أنا لأخدم يوسف أبدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فأنكر عليهم فراقه وقد فوات الامر ليقضى الله أمرا كان منغولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهونائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن أمره وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالامير الاسفهلار ويكتب علامته في الكتب تعظيما أن يكتب اسمه ولا يفرد في كتاب بل يكتب الامير الاسفهلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واسم صلاح الدين قلوب الناس وبذل لهم الاموال مما كان أسد الدين قد جمعه وطلب من العاضدين يخرجوه فلم يمكنه منعه فقال الناس اليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف امر العاضد وكان كالباحث عن حفته بظلفه وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك ففسد البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا اليه والسير والى مصر فسير الى مصر نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة تور انشاه بن أيوب وهو أكبر من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى أخيك انه يوسف الذى كان يقوم في خدمتك وأنت فاعده فلا تسرفانك تفسد البلاد وأحضره حينئذ وأعاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم فيها مقامى وتقدمه بنفسك كما تقدمنى فسر اليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصده قال افعل معه من الخدمة والصاغة ما يصل اليك ان شاء الله تعالى فكان كفالا وقال العماد لما فرغ بعد ثلاثة أيام من التعزية بأسد الدين اختلفت أراؤهم واختلفت أهاؤهم وكاد الشمل لا ينتظم والخلل لا يلبث فاجتمع الامراء النورية على كلمة واحدة وأيد متساعده وعة دوا الصلاح الدين الرأى والرايه وأخلصوا له الولاء والولايه وقالوا هذا قائم مقام عمه ونحن بحكمه وألزموا صاحب القصر بتوليته ونادت السعادة بتبليته وشرع في ترتيب الملك وترتيبه وفض ختم الخزائن وأبض رسوم المنازن وسلط الجود على الموجود وبسط الوفور للوفود وفرق ما جمعه أسد الدين في حياته وأنارت على منار العلى آتاه ورأى أولياءه تحت الويته وورايته وأحبوه وما زالت محبته غالبة على مهابة وهو يبالغ في تقريرهم كما أنهم ذوو قرابته ومازاده الملك ترفعا وما أفاده الاتصلا في السماح وتفرعا وضم من أمر المملكة ما كان منشورا وكتب له العاضد صاحب القصر منشورا وهو بالمثل الكريم الفاضل الذى هو السحر الخلال والعذب الزلال ثم أمره العماد وهو شبيه بمنشور أسد الدين ٤٦ وحرى القلم فيه بما خط له القلم في الازل من وصف جهاده وسبله في ذلك المنشور (والجهاد أنت رضيع دره وناسه يحره وظهور الخيل مواطنك وظلال الخيام مساكنك وفي ظلمات قساطله تحلى محاسنك وفي أعقاب نوازله تتلى مناقبك فشمع من ماق من القنا وخض فيه بحرا من الظبا وأحلل في عقد كلمة الله وثيقات الحبا واصل الوهاد بدم العدى وأرفع رؤسهم الربا حتى يأتى الله بالفخ الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذكورا لا يامك وشهودك يوم مقامك) وفي طرته بالخط العاضدى ولم يذكره العماد في كتابه (هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عند الله سبحانه عليك فأوف بعهدك ويمينك وخذ كتاب أمير

## كتاب (١٦٢) الروضتين

المؤمنين بيمينك ولئن مضى يجدرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن أسوه ولئن بقي من تبعته بنا أعظم سلوه تلك الدار الآخرة نجعله للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) يعني بمن مضى أسد الدين وبمن بقي صلاح الدين ثم قال العماد وهذا آخر منشور طويت به تلك الدولة وختمت وتبددت عقودها وما انتظمت ووصلت كتب صلاح الدين الدنيا إلى الشام بما تسنى له من المرام ولئن يقصده بالاستدعاء والاستبطاء ولئن تأخر عنه بالخلع والعتاء وترددت الكتب الصلاحية بذكر الاشواق وشكوى الفراق وشرح الاستيحاش وبرج القلوب العطاش فان أصحابنا وإن ملوكوا وناوالمقاصدهم وادركوا حصوا بين أمة لا يعرفونها بل ينكرونها ولا يألّفونها ورأوا وجوها هنالك بهم عابسه وأعينا المكائد متيقظة وعن الودّ ناعسه فان أجناد مصر كانوا في الدين محالفين وعلى عقيدتهم معاقدين محالفين وكتب صلاح الدين إلى بعض أصدقائه كتاباً أوله

أيها الغائبون عني وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا  
انني مذ فقدتكم لاراكم \* يعيون الضمير عندي عيانا

فسألني المكتوب إليه ان اكتب جوابه فقلت

أيها الظاعنون عني وقلبي \* معهم لا يفارق الاظعانا  
ملكوا مصر مثل قلبي وفي هـ ذوا هاتيك أصبحوا سكانا  
فاعدلوا فيهم ما فأنكم اليو \* م ملكتم عليهم اساطنا  
لا تزوعوا بالهجر قلب محب \* أورثته روعاته الخفقانا  
حبذا معهد قضيت به العيش \* فكنابر بعه جيرانا  
اذ وجدنا من الحوادث أمنا \* وأخذنا من الخطوب أمانا  
ورتعنا من المنى في رياض \* وسكنا من الغالى جنانا

وبعد فان وفود الهداء وامداد الدعاء متواصلة على الولاء صادرة عن محض الولاء الى عالي جنابه المأنوس ومنيع  
كنفه المحروس فليمنه الظفران بالملك وبالعدو وفرع هضاب المجد والعلو وكيف لا يكون النصر مساقا والدين  
هو صلاحه والتأييد مرافقا لعزمه ونجاحه وفلاحه

فالشام يغبط مصر امذ حلات بها \* كما الفرات عليك يحسد النيل  
نلت من الملك عفوا ما الملوكة به \* عنوا قديما ورأموه فانيلا  
قال العماد ورثت أسد الدين بقصيدة خدمت بها نور الدين وعزيت بها أخاه نجم الدين منها  
تضعف في هذا المصاب المباغت \* من الدين لولا نوره كل ثابت  
فايام نور الدين دامت منيرة \* لنا خلفا من كل مود وفائت  
فما بالنائب مدى التصامم غفلة \* وداعى المنانينا طاق غير صامت  
نؤمل في دار الفناء بقاءنا \* ونرجو من الدنيا صداقة ماقت  
وما الناس الا كالغصون يد الردى \* تة رب منها كل عود لناحت  
لقد أبغيت رسول المنايا واسمعت \* ولكنها لم تحظ منبناصت  
فله في على تلك السماء أمل انها \* لقد كرمت في الحسن عن نعت ناعت  
وله من أخرى عزى بها أخاه نجم الدين أيوب وولده ناصر الدين محمدا يقول

ما بعد يومك للعين المسدنف \* غير العويل وحسرة المتأسف  
ما أجراً الحدنان كيف سطا على الـ (سد الحوف سطا ولم يتخوف  
من ذارأى الاسد الهصور فريسة \* أم أبصر الصبح المنير وقد خفي  
من ثابت دون الكماة سواه ان \* زلت بهم أقدامهم في الموتف  
ما كان أسنى البدر لولم يستتر \* ما كان أبهى الشمس لولم تكسف

## في اخبار (١٦٣) الدولتين

أيام عرك لم تزل مقسومة \* لله بين تعبد وتعرف  
 متجسدا لعبادة أوتاليا \* من آية أوناظرافي مصحف  
 فجع الندى والبأس منك بجاتم \* ويجدد والحمد لم منك باحنف  
 بالملك فزت وحزته عن قدرة \* ومضيت عنه بسيرة المتعفف  
 ووصفت بأسدا لدين محمد \* مدحبا ملك به لم بوصف  
 وقضوت أثار الشريعة كلها \* وقد اهدى من للشريعة يقتنى  
 أنفت من دنياك حين عرفتها \* فلويت وجه العارف المتدكف  
 يا ناصر الدين استعذ بتصبر \* مدن الى مرضاة رب مزلف  
 وتعز نجم الدين عنه مهنا \* أبد الزمان بملك مصر ويوسف  
 لاستطيع سوى الدعاء فكلنا \* الابعاد في الوسع غير مكلف

ولعمارة البني في صلاح الدين مدائح منها قوله

لك الحسب الباقي على عقب الدهر \* بل الشرف الراقى الى قمة النسر  
 كذا فليكن سعي الملوک اذا سعت \* بها اللهم العلم الى شرف الذكر  
 نهضتم باعباء الوزارة نهضة \* اقلتم بها الاقدام من زلة العثر  
 بكشفتم عن الاقليم غتمه كما \* كسفتهم بانوار الغنى ظلمه الفقر  
 جيتهم من الافرنج سرب خلافة \* جريتم لها مجرى الامان من الذعر  
 ولما استعاث ابن النبي بنصركم \* ودائرة الانصار اضيقت من شبر  
 جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجا \* وما اشتقت الانصار الا من النصر  
 كائب في جيرون منها اواخر \* وأولها بالذيل من شاطئ مصر  
 طلعتهم فاطلعتهم كواكب نصره \* أضاءت وكان الدين ليل بلا فجر  
 وأبت اليكم يا ابن أيوب دولة \* ترأسكم في كل يوم مع السفر  
 حمى الله فيكم عزمة أسدية \* فكلكم بها الاسلام من ربه الاسر  
 أخذتم على الافرنج كل ثنية \* وقلتم لا يدى الخيل مرى على مرى  
 لئن نصبوا في البرجسرا فانكم \* عبرتم بحجر من حديد على الجسر  
 طريق تقارعتم عليها مع العدى \* ففزتم بها والصخر تفرع بالصخر  
 وأزججه من مصر خوف يلهه \* كمال مهزوم من الابل بالنجر  
 وكم وقعة عذراء لما اقتضضتها \* بسيفك لم تترك لغيرك من عذر  
 وأيديكم بالبأس كاسرة العدى \* ولكنها بالجود جابرة الكسر  
 أبوك الذي أضحي ذخيرة مجدكم \* وأنت له خير النفائس والذخر  
 ومن كنت معروفا له فاستفزه \* بمثلك تيه فهو في أوسع العذر  
 فكيف أب أصبحت نار زناهه \* كنور البدر من سنه البدر  
 نوقره وسط الندى كرامة \* ونجل عنه ما يؤود من الوقر  
 وتخلقه حرا وسما خلافة \* تؤلف أضدادا من الماء والجمر  
 وكمت في بأس وجود ورتبة \* بما سره في الخطب والدست والثغر  
 ولو أنطق الله الجادات لم تقم \* لشمعكم بالمستحق من الشكر  
 بدلا يقوم المسلمون بشكرها \* لكم آل أيوب الى آخر الدهر  
 بكم أمن الرحمن أعظم يثرب \* وأمن أركان الثنية والمجر

## كتاب (١٦٤) الروضتين

ولورجعت مصر الى الكفر لا تطوى \* بساط الهدى من ساحة البر والبحر  
ولكن شددتم أزره بوزارة \* غدا لفظها يشتق من شدة الازر  
فهنيتم فحما تقدم جـله \* وبشر أن الكل يتلو على الاثر  
وما بقيت في الشرك الابقية \* تتمها في ذمة البيض والسمر  
وعند تمام الملك أتى مهنتا \* وملتسا أجر الكهانة والجزر  
ولولا اعتقادى ان مدحك قرية \* أرجى بها نيل المنوبة والاجر  
لما قلت شعرا بعد اعفاء خاطرى \* ولى سنوات منذ ثبتت عن الشعر  
فاوص لى الايام خيرا فانها \* مصرفة بالنهى منك وبالامر  
وجازتني تسهيل انى عليكم \* وملقاكم لى بالطلاقة والبشر  
وقال أيضا من قصيدة

يا شبيهه الصديق عدلا وحسنا \* وسميا حكاء معنى ومعنى  
هذه مصر يوسف حل فيها \* يوسف مال الكار ما حل سجنها  
أنت حرمت ان يثلك فيها \* بسوى الله وحده أو يثنى  
انما الملك والوزار ذجسم \* أنبروح فيه وفى اللاعظ معنا

وقال أيضا من قصيدة

ملك صلاح الدين لا قوضت \* أطمابه ملك البقا والصلاح  
سيرة عدل حسنت عندنا \* ما كان من وجه اللىالى القباح  
سافر فى الدنيا واقطارها \* ذكر غدا عنه جميل وراح  
قل لابن أيوب وكم ناصح \* أنفع من هو شاكى السلاح  
حارب على مثل نجوم السماء \* فذلك مصر ما عليه اصطلاح  
قولا لمن فى عزمه فترة \* ارجع الى الجد واخل المزاح  
فالقدس فدأذن اغلاته \* على يدى يوسف بالانتاح

وقال أيضا من قصيدة

ونبت مصر عن سميك يوسف \* كما ناب عن سكب الحياء واكف سكب  
حذوت على سجلي نداء وهديه \* وان كنت لا سجين حواك ولا جب  
ووافقت فى الصفح عن كل مذنب \* فما منك تريب وان عنا م الخطب

وللكيم عبد المنعم الجلباني من قصيدة طويلة

أبو المظفر مأوى كل مضطهد \* بحكمه ونداء يضرب المثل  
مهما يمل جائر او عائث عـه \* فعند عدل صلاح الدين يعتدل  
احياه الله مصر افهى ناسرة \* وافتكها من عذوق مابه قبيل  
كم للفرنج بها وردا ومنتجعا \* ونازهم حولها تذكو وتشتعل  
فأطفأ الناصر المنصور جذوتهم \* وادبروا بقلوب شهمها ورجل  
ملك تقلد سلك الملك منتظما \* وقال للمال هذا منك لى بدل  
ففرق المال جمع القلوب به \* وحسبه فيهم ادرالك ساسألو  
ان الملوكة الذين امهأ أمرهم \* لم يخزنوا المال بل مهمها حووا بذلوا  
كذا السياسة فالاجناد لو علموا \* بخل الملك وجاءت شدة خذلوا

﴿فصل﴾ وهذا الذى ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه فى الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين

## في اخبار (١٦٥) الدولتين

قد وجدته ميسوطا مشتملا على زيادات وفوائد في كتاب ليحيى بن أبى طى الحلبي في السيرة الصلاحية فأحببت ذكره مختصرا ذكر ان الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الديار المصرية لما قتل في رمضان سنة ست وخمسين بتدبير عمه العاضد عليه أوصى عند موته ابنه رزيك بشاور وقال له لا تزلزله من ولايته فانه أسلم لك ويقال انه أنشدا بيتا منها فاذا تبدد شمل عقدكما \* لا تأمناس شاور السعدى

وكان شاور متولى قوص والصعيد الأعلى فلما دفن الصالح استوزر ابنه رزيك ولقب بالعدل ولما استقرت أحواله أرسل الى عمه العاضد خفيا واجتمع الى رزيك أولاد عمته ومن جلتهم عز الدين حسام وأشاروا عليه بغزل شاور فامتنع ثم ألحوا عليه فأجاب وبلغ شاور الجواهر بالعصيان وجمع العربان وأهل الصعيد وحفوا الى القاهرة وخرج اليه جماعة من أمراء كانوا كاتبوه فخرج رزيك نصف الليل فضل الطريق وتاه فوقع عند اطفيج وشم بيوت عرب فقبضوا عليه وحمل الى شاور وقد دخل القاهرة وتسلمها وأخرجت اليه خلع الوزارة وتم أمره ولما حصل رزيك عند شاور اكرمه وصلب الذي أتى به ونادى عليه هذا جزء من لا يرعى الجبل وكان للصالح اليه احسان وتفرق آل رزيك في البلاد ونجا حسام الذي كان سبب هلاك بني رزيك بأموال وصار الى حماه فأقام بها واشترى القرى ولم يزل بها الى أن مات وكان في خروجه أودع عند الفرنج سبعين ألف دينار فوفوا له وردوها عليه ثم أراد تبقى الدين أخذها منه فقال من العجب ان الفرنجي يني لي رذها وتأخذها أنت مني فكف عنه قال وتمكن شاور وكان له ثلاثة أولاد طي والكامل وسليمان فقبسطوا على الناس وتعاطموا فنجتهم الانفس وكان ملهم وأخوه ضرغام من صنائع الصالح بن رزيك فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذ في مراسلة رزيك بن الصالح وهو في السجن والعمل له في اعادته الى الوزارة واتصل ذلك بطي بن شاور فدخل على أبيه وقال له أنت غافل وملهم وضرغام يفسدان أمرك وقد شرع في أمر رزيك واستخلفه له جماعة من الأمراء ولا يمكن تلافى حالك الا بقتل رزيك فقال له شاور ان الصالح أولي جيب لا وبسببه حالات هذا المحل فترك ولده طي ودخل على رزيك فقتله في سجنه وسمع شاور ذلك فقامت قيامته ونفى الخبر الى ضرغام وأخيه ملهم فثاروا وأثاروا من استخلفاه من الأمراء وزحفوا بالعساكر الى شاور فانهزم وخرج من باب القاهرة وهرب الى الشام وأدرك ضرغام ولديه طي وسليمان فقتلها وأسر الكامل فأخذ ملهم واعتقله عنده وأراد ضرغام قتله فنعته منه ملهم وحفظ له جيبا كان قد فعله معه واستقر أمر ضرغام في الوزارة وخلع عليه ولقب بالملك المنصور ولما استقر به الأمر بلغه ان جماعة من الأمراء حسدوه واستصغروه وكاتبوا شاورا وكان صار الى الشام فأخذ في إعمال الحيلة عليهم وحضرهم الى دار الوزارة لئلا يقتلهم جميعا ولم يتعرض لاموالهم ولا لمنازلهم وقيل انه قتل منهم سبعين أميرا ويقال انه جعلهم في توابيت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه فكان ذلك أكبر الاسباب في هلاكه وخروج دولة المصريين عن يدايها لانه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء وأما شاور فانه لما خرج من القاهرة سار على وجهه حتى وصل الى دمشق بعد تحقيقه قتل ولديه ولما وصل الى بصرى اتصل خبره بنور الدين فذهب جماعة الى تلقيه وانزله في جوسق الميدان الاخضر واحسن ضيافته واكرامه ثم بعد سبعة أيام من مقدمه احضر نور الدين ابن الصوفي وجماعة من وجوه الدمشقيين وقال لهم اخرجوا الى هذا الرجل وسلموا عليه وعرفوه اعذارنا في التقصير في حقه وسلوه فيما قدم وما حاجته فان كان ورد علينا مختارا للاقامة افردنا له من جهاتنا ما يكتفيه ويقوم بأمره واوده وتكون عوننا له على زمانه وان كان ورد لغير ذلك فيفصح عن حاجته فخرج الجماعة اليه بالرسالة فسكر احسان نور الدين وسكت عما وراء ذلك فسأله القوم الجواب فقال اذالم يبيت الرأي جاء فظم افعاد القوم الى نور الدين وعرفوه ما دار بينهم وبينه فأمرهم بالعود اليه من غد ذلك اليوم ففعلوا وطلبوا الجواب فسكت ايضا واطال ثم قال ان رأي نور الدين اطال الله بقاءه الاجتماع عني فله علوا الرأي فعرفوا نور الدين بقتاله فأجاب نور الدين ان يكون الاجتماع على ظهر بالميدان الاخضر وركب نور الدين من الغد في وجوه دولته وخوادمه مملكة في أحسن زى وأكمل شاره فلما دخل الميدان ركب شاور من الجوسق والتقي في وسط الميدان بالخمبة فقط ولم يترجل أحد منهم الا صاحبه ثم سارا من موضع اجتماعهما وهون نصف الميدان الى آخره ثم انفصلا من هناك وعاد نور الدين الى قلعة دمشق وأخذ من وقته ذلك في جمع العساكر وأما ضرغام فانه حين استقر به



## كتاب (١٦٦) الروضتين

الامر انشا كتابا الى نور الدين على يد علم الملك بن النحاس يظهر فيه الطاعة ويعرض بخذلان شاور فأظهر نور الدين لعلم الملك القبول في الظاهر وهو مع شاور في الباطن وأجاب عن الكتاب وانفصل علم الملك عن دمشق فلما كان بظاهر الكرك أخذ علم بن الرقيق الفرنجي وحصل على جميع ما كان معه وانهمزم علم الملك بنفسه وتوجه الى الساحل وسار الى مصر وفي هذه الايام أنفذ نور الدين واستحضر أسد الدين شيركوه من اقطاعه من الرحبة وكان نور الدين قد تين بأسد الدين وتبرك به يوم تقيته لانه لم يرسله في أمر إلا نجح ولم يوجه في مضيق إلا انفتح ولما حضر أسد الدين الى دمشق خلا به نور الدين وتحدث معه بأشياء في أمر مصر وأمره بالاستعداد وكان نور الدين قد أراح علة العسكر الذي يريد تسييره الى مصر فخرج من بومه وكان شاور قد اطعم نور الدين في أموال مصر ورغبه في ملكها وانه اذا ملكها كان من قبله فيها والمبلغ شاورا استتباب أمر العسكر سأل عن المقدم عليه فقيل له أسد الدين شيركوه فلم يطمح له ذلك لانه ظن ان التقدم تكون له فلما زوحم بهذا القود سقط في يده وقت في عضده ولم يجد بدا من المسير فخرج واجتمع بأسد الدين وسار جميعا حتى وصلوا أطراف البلاد المصرية ونزلوا على تل في الخوف قريب من بليديس يعرف بتل بسطة وضربوا خيامهم هناك ولما اتصل بضرب غام خبر ورود شاور وأسد الدين بالعساكر الشامية جمع أمرهم مصر واستشارهم فأشار شمس الخلافة محمد بن مختار بأن تجتمع العساكر وتخرج جريدة وتلقى العساكر الشامية بصدد وهو على يومين من القاهرة فانهم لا يثبتون لكونهم خرجوا من البرية ضعفاء ولمكان قلة الماء عليهم لان المسافر الى مصر يحمل الماء من ايلة مسيرة ثلاثة ايام فلم ير واذلك واختاروا ان يلقوهم على بليديس فأمر ضرب غام الامراء بالخروج فخرجوا في أحسن زى وأكل عدّة والمقدم عليهم ناصر الدين ملهم أخوا ضرب غام وجاهوا حتى احاطوا بالتل الذي كان أسد الدين نازلا عليه ولما عاين أسد الدين كثرة العساكر وانهم قد ملأوا عليهم الجهات وسدوا منافذ الطرقات قال لشاور يا هذا القدر هفتنا وغررتنا وقلت انه ليس بمصر عساكر فثنا في هذه الشرمة فقال له شاور لا يهولنك ما تشاهد من كثرة الجوع فأكثرها الحاحا كثة والفلاحون الذين يجوعهم الطبل وتفرقهم العصا فما ظنك بهم اذا حى الوطيس وكلبت الحرب وأما الامراء فان كتبهم عندى وعهودهم معى وسرى ذلك اذ القية اهدم ثم قال أريد ان تأمر العساكر بالاستعداد والركوب ففعل ونهاهم شاور عن القتال ووقف الفريقان مصطفين من غير حرب الى ان حى النهار وانتهب الحديد على أجساد الرجال فضرب أكثر أهل مصر الخيم الصغار وخلصوا السلاح ونزلوا عن الخيول وجلسوا في الظل فأمر شاور الناس بالجولة فكان أسعد أهل مصر من ركب فرسه وأطلق عنانه وولى منهزما وتركوا خيمهم وأموالهم ليس بها حافظ فاحتوى عليها أصحاب أسد الدين وأسر شمس الخلافة وجماعة من أمراء مصر بين ولم يمكن شاور من تقيدهم والاحتياط عليهم فهر بوا وساق أسد الدين وشاور في أثر الناس ونزلوا على القاهرة وقتلواها ياما وراسل شاور العاضد في اصلاح الحال وان يأذن له في الدخول الى القاهرة فاذن له وكان ضرب غام صار الى تحت القصر وقال اريد أمير المؤمنين يكافئنى لاسأله عما فعل فلم يجبه أحد فذهب على وجهه منهزما وخرج من باب زويلة والعامة تلعنه وتصيح عليه فالتحقه رجل من أهل الشام ليقتله فقال له ضرب غام اوصلنى الى أسد الدين ولك منك فلم يقبل منه وحمل عليه فطعنه فارداه ونزل اليه واحترأ رأسه وحمله الى أسد الدين واعلمه بما جرى بينهما فصعب على أسد الدين واوجعه ضرا با واد قتله فشفع فيه شاور ودخل شاور القاهرة وقتل ملهها اخا ضرب غام عند بركة الفيل وخرج ابنه الكامل من دار ملهم وكان معتقلا فيها وخرج معه القاضي النفاضل وكان ايضا معتقلا فيها معه واستقام امر شاور في الوزارة واقام أسد الدين على المقسم ينتظر امر شاور فيما ضمن لنور الدين وارسل اليه يقول له قد طال مقامنا في الخيم وقد سجن العسكر من الحر والغبار فارسل اليه شاور ثلاثين ألف دينار وقال ترحل الآن في امن الله وفي دعتي فلما سمع أسد الدين ذلك ارسل اليه ان نور الدين اوصانى عند انفصالي عنه اذا ملك شاور تكون مقيما عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد والثلث الثانى لشاور وللعسكر والثلث الآخر لصاحب القصر يصرفه في مصالحه فقال شاور انا ما قررت شيئا مما تقول انا طلبت نجدة من نور الدين فاذا انقضت شغلى عادوا الى الشام وقد سرت اليكم نفقة فخذوها وانصرفوا انا انفصل مع نور الدين فقال أسد الدين انا لا يمكننى مخالفة نور الدين ولا اقدر على الانصراف الا بمضاء امره فأمر شاور باغلاق باب القاهرة وأخذ في الاستعداد للحصار واستعد أسد الدين أيضا

## في اخبار (١٦٧) الدولتين

وسير صلاح الدين في قطعة من الجيش الى بلبليس لجمع الغلال والانبان والاحطاب وما تدعو الحاجة اليه ويكون جميع ذلك في بلبليس ذخيرة واخذ في قتال القاهرة وكاتب شاور ملك الفرنج مرى يستجده ويقول له ان شيركوه طلع معي فجدة على ضرغام فلما حصلوا في البلاد طمعوا فيها ومتى ملكوها مضافا الى بلاد الشام لم يكن لك معهم عيش ولا قرار وضمن له في كل مر حلة يرحلها الى ديار مصر ألف دينار وقرر شيئا لقصيم دوابهم وشيئا لاسبتار بنه فخرج مرى من عسقلان في جموعه الى فاوس في سبع وعشرين مر حلة وقبض عنها سبعة وعشرين ألف دينار ولما تحقق اسد الدين قرب الفرنج من القاهرة اجفل عنها الى بلبليس وانضاف اليه من أهلها الكمانية وخرج شاور في عساكر مصر واجتمع بالفرنج وجاء حتى خيم على بلبليس واحاط بها محاصر الاسد الدين بياكر الحرب ويراوحها وأقاموا على ذلك مدة ثمانية أشهر وانقطعت أخبار مصر ومن بها عن نور الدين وكان اتصل بنور الدين وهو بدمشق خبره مسير الفرنج الى ديار مصر وغدر شاور فكتب الاطراف بقدوم العساكر فقدم عليه عساكر الشرق جميعها واجتمعوا باراض حلب فقتل بهم محمد الدين بن الدايه وكان نائب نور الدين بحلب الى جهة حارم ونزل على ارناح وخرج نور الدين من دمشق وشن الغارة على الساحل وقتل وأسرع ما اعطيا ثم قصد جهة حلب وجعل طريقه حصن الاكراد فلما حصل بارضه شن الغارة فيها وغنم غنمية عظيمة ونزل في مرجه فخرج اليه الفرنج الاخوة من حصن الاكراد وهجموا عسكره وقتلوا جماعة من المسلمين وكان عسكر نور الدين غافلا فلم يتماسك الناس وساروا على وجوههم وسار نور الدين الى ان اجتمع بعساكره على ارناح وكان اخوه نصر الدين مع الفرنج فلما عين اعلام نور الدين لم يتماسك ان حمل بجميع اصحابه قاصدا اخاه نور الدين فلما قرب منه نزل وقيل الارض بين يديه فلم يلبثت اليه فتم على وجهه واصطف الناس للعرب فحملت الفرنج فكسرت الميسرة ثم عادت فوجدت راجلها جميعه قد قتل والخيول قد اطبقت عليهم فقتلوا عن الخيول وألقوا اسلحتهم واذعنوا بالامان فأخذوا جميعا قبضا بالايدي وساروا الى حارم ففتحها واراد النزول على انطاكية فلم يتمكن لسعل قلبه بمن في مصر من المسلمين فانحرف قاصدا لدمشق ونزل على بانيساف ففتحها واغار على بلدطبرية وجمع اعلام الفرنج وشعافهم وجعلها في عيبة وسلمها الى نجاب وقال له اريد ان تعمل الحيلة في الدخول الى بلبليس وتخبر اسد الدين بما فاع الله على المسلمين وتعطيه هذه الاعلام والسعاف وتأمره بنشرها على اسوار بلبليس فان ذلك مما يفت في أعضاد الكفار ويدخل الوهن عليهم ففعل ذلك فلما رأى الفرنج الاعلام والسعاف قلقوا لذلك وخافوا على بلادهم وسألوا شاور الاذن والانفصال فانزعج شاور لذلك وخاف من عاقبة الامر وسألهم النخيل ايا ما وجمع امرائه للمشورة فأشاروا عليه بمصالحة اسد الدين وتكفل له اتمام الصلح الامير شمس الخلافة فانفذه اليه فتم الصلح على يديه على ان يحمل شاور الى أسد الدين ثلاثين ألف دينار أخرى وحكى ان شاور ارسل الى أسد الدين وهو محصور ببلبليس يقول له اعلم انني اقيمت عليك ولم امكن الفرنج منك لانهم كانوا قادين عليك وانما فعلت ذلك لامر من أحدها اني ما اختار ان أكرهه المسلمين وأقوى الفرنج عليهم والثاني اني خفت ان الفرنج اذا فتحوا ببلبليس طمعوا فيها وقالوا هذه لنا لانفتحناها باسمه وفناها من يوم كان مضى الا وأنا أنفذ الى كبار الفرنج الجملة من المال وأسألهم ان يكسروا همة الملك عن الزحف فال وأقام أسد الدين بظاهر بلبليس ثلاثة أيام ورحلت الفرنج الى جهة الساحل وسار أسد الدين قاصدا الشام وجعل مسيره على البرية واتفق ان البرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك تأوّل ليمينه التي حلفها لاسد الدين وقال أنا حلفت اني ما ألحق أسد الدين ولا عسكره في البر وأنا أريد أن الحق في البحر وصار في يوم واحد الى عسقلان وخرج منها الى الكرك والشوبك وجمع عسكره المقيم هناك وقعد مر تقباخروج أسد الدين من البرية ليووقعه وعلم أسد الدين بمكيدة ارناط بالحدس والتخمين فسلط طريقا من خلف المكان الذي كان فيه ارناط شق الى الغور وخرج من البلقاء وسلمه الله تعالى منه ودخل دمشق فاجتمع بنور الدين وأخبره بالاحوال وأعلمه بضعف ديار مصر ورغبه فيها وشوقه الى ملكها فرغب فيها نور الدين وأمره بتجنيد الاجناد واستخدام الرجال رأما شاور فانه بعد رحيل أسد الدين والفرنج الى بلادهم عاد الى القاهرة ولم يكن له همة الا تتبع من علم ان بينه وبين أسد الدين معرفة أو وصبة كان استفسد جماعة من عسكر أسد الدين منهم خشتين الكردى وأقطع شظنوف وقتل شاور جماعة من أهل مصر وشرد آخرين ثم توجه أسد الدين في ربيع الأول سنة اثنتين وستين قاصدا للديار المصرية وكنتم أخباره فاراع

شاورا الاور و دكتاب مري ملك الفرنج يعرفه فيه ان أسد الدين قد فصل عن دمه شق بعساكره قاصدا ديار مصر  
فطلب شاور منه إعادة النجدة والمقرر من المال يصل اليه على ما كان يصل اليه في العام الماضي فسار مري  
في عساكر الفرنج الى مصر على جانب البحر وكان أسد الدين سائرا في اليرفسبة الفرنج ونزلوا على ظاهر بلبيس  
وخرج شاور بعساكر مصر واجتمع بالملك وقعدوا جميعا في انتظار أسد الدين وعلم أسد الدين باجتماع الفرنج بشاور  
على بلبيس فتكبد عن طريقهم وأم الجبل وخرج على اطفح وهي في الجنوب من مصر وشن الغارة هناك واتصل  
بشاور وخبره فسار في عساكره والفرنج في صحبته يقفوا أثره واتصل بأسد الدين ذلك فاندفع بين أيديهم حتى بلغ شرونة  
من صعيد مصر وتحميل في مراكب ركبا واعدى الى البر الغربي ولما استكمل تعديته أدرك شاور بعض ماقتله ومنقطعي  
عسكريته فاوقع بهم وأحضر شاور أيضا مراكب وقطع النيل في أثر أسد الدين فجمع جيوشه وجميعوش الفرنج وسار  
أسد الدين الى الجزيرة ونخم بهما مقدار خمسين يوما واستمال قوما يقال لهم الاشراف الجعفر بين والطحمين والقرشين  
فانفذ أسد الدين الى شاور يقول له أنا أحلف بالله الذي لا اله الا هو بكل عيني يثق بها المسلم من أخيه اني لا أقيم  
ببلاد مصر ولا أعاد اليها أبدا ولا أتمكن أحدا من التعرض اليها ومن عارضك فيها كنت معك إلباعليه وما أوصل  
منك الا النصر الاسلام فقط وهوان العدو قد حصل بهذه البلاد والنجدة عنه بعمدة وخلاصه عسر وأريد منك ان  
تجتمع أنا وانت عليه وتنهز فيه الفرصة التي قد أمكنت والغنمة التي قد كتبت فستأصل شاقته ونخمد نائرتة وما  
أظن انه يعود يتفق للاسلام مثل هذه الغنمة أبدا فلما صار الرسول الى شاور وأدى الرسالة أمر به فقتل وقال ماهؤلاء  
الفرنج هؤلاء الفرنج ثم أعلم الفرنج بما أرسل اليه به أسد الدين وأعلمهم بما أجابه وجدد لهم ايمانا وتوابعها وبلغ ذلك  
أسد الدين فاكل يديه أسفا على مخالفة شاور له في هذا الرأي وقال لعنه الله لو أطاعني لم يبق بالشام أحد من هؤلاء  
الفرنج ونزل شاور في اللوق والمقسم وأمر بعمل الحسرة بين الجزيرة والجزيرة وأمر بالمرأكة فشحنت بالرجال وأمرهم  
ان يحكموا خلف عسكر أسد الدين ولما رأى أسد الدين ذلك كتب الى أهل الاسكندرية يستنجدهم على شاور  
لاجل ادخاله الفرنج الى دار الاسلام وتضييعه أموال بيت مال المسلمين فيهم فقاموا معه وأمر واعليهم نجم الدين  
ابن مصال وهو ابن أحد وزراء المصريين وكان لحال الاسكندرية مستحفا فافظهر في هذه الفتنة  
حدثني الشريف الادريسي نزيل حلب قال كنت بالاسكندرية يومئذ فكاتب معي ابن مصال كتابا الى أسد الدين  
وقال لي قل له اني أخبرك ان السلاح واصل وكان أنفذ لأسد الدين خزانة من السلاح قال فسبقته اليومين وحضرت  
بين يدي أسد الدين وأعطيته الكتب وشافته برسالة ابن مصال في معنى السلاح والالات ثم وصلت الخزانة بعد  
يومين مع ابن أخت الفقيه ابن عوف قال وبقينا على الجزيرة يومين فوصل الينارسول ابن مدافع يخبر أسد الدين يقرب  
شاور منه ويأمره بالنجدة فترك أسد الدين الخيام والمطابخ وما يتقل حمله وسار سراحيثما حتى فارب دلجة فأمر أسد  
الدين بنهبها فنهبت ونزل الناس لتعشية الدواب فلم تستم عليه حتى أمر أسد الدين بالرحيل وأوقدت المساعل ليلا  
وسرنا فاذا الجاوش ينادى في الناس بالرجوع وعاد أسد الدين الى دلجة فقتل عليها ونزل شاور على الاشعوين وأمر  
أسد الدين الناس ان يقفوا على تعبئة فاصبحوا على ذلك والتقوا فقتل من أصحاب أسد الدين جماعة كثيرة وانهمزوا  
وكان أسد الدين قد فرق أصحابه فريقين فريقا معه وفريقا جعله مع صلاح الدين وأنفذه ليلا في من خلف عسكر شاور  
فدخل الضعف من هذا الطريق ثم ان أصحاب أسد الدين تجمعوا وتماسكوا وعلموا انه لا منجى لهم الا الصبر تحتلوا  
على الموت وحملوا واطلع صلاح الدين من وراءهم فلم تزل الحرب قائمة الى الليل فقلت عساكر الفرنج والمصريين  
الادبار وكاد مري ملك الافرنج يئوس وصار شاور ومن سلم معه الى منية ابن خديب وسار أسد الدين على الفيوم الى  
الاسكندرية فدخلها ونزل القصر وجعل فيه محبس للفرنج الذين أسرهم وكان فيها ابن الزبير متوليا ديوانها فحمل  
الى أسد الدين الاموال وقواه بالسلاح وخاف أسد الدين ان يقصده شاور والفرنج فيحصره فرمى ما أذى بالحصار فأمر  
صلاح الدين بالمقام بالاسكندرية وترك عنده جماعة من العسكر ومن به مرض أوجراح أضعف واستخلف له  
وجوه الاسكندرية وأوصاهم به وحل في أقوياء عسكره قاصدا الى الصعيد ونزل الفرنج و شاور على الاسكندرية  
وحاصروها مدة ثلاثة أشهر باشد القتال وبذل أهلها في نصره الملك الناصر أموالهم وأنفسهم وقتل منهم جماعة عظيمة ولما

صار أسد الدين بالصعيد حصل من تلك البلاد أموالاً عظيمة ولم يزل هناك حتى صام شهر رمضان واتصل به اشتداد الامر على الاسكندرية فرحل من قوص الى جهتها واتبعه جماعة كثيرة من العرمان وأهل تلك البلاد وبلغ ذلك شاوراً فرحل هو والفرنج واضطر الى الصلح وخيبت الفرنج أيضاً فتوسط ملك الفرنج في ذلك فمقرراً أمر الصلح على ان شاوراً يحمل الى أسد الدين جميع ما غرمه في هذه السفرة ثم يعطى الفرنج ثلاثين ألف ديناراً ويعود كل منهم الى بلاده وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفاء من أصحابه فانذله عدّة مرابك قال الادريسي كنت في جملة من خرج في المراكب فلما وصلنا الى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب الى أن وصل الملك مرسى فأطلقنا فخرجنا الى دمشق وخرج صلاح الدين من الاسكندرية بعد ان استخلف شاوراً لاهله بابان لا يتعرض لهم بسوء واجتمع بجمعه أسد الدين ثم أنفذ سواراً ووقف على ابن مصال وجماعة من أعان صلاح الدين وضيقي عليهم وتبع اهل الاسكندرية واتصل بذلك بصلاح الدين فاجتمع ملك الفرنج وقال له ان شاوراً نقض الايمان قال وكيف ذلك قال لانه قبض على من لجأ اليه فقال ليس له ذلك وأنفذ الى شاوراً وقال له ان الايمان جرت على أن لا يتعرض لاحد من أهل مصر ولا الاسكندرية وألزمه ميمنا أخرى في أن لا يتعرض لاحد من لجأ الى أسد الدين أو صلاح الدين وما شاهد من التجأ الى الاسد والصلاح فساد تلك الاحوال خافوا من شاوراً فأخذوا في الرحيل الى الشام واتصل بذلك بشاوراً فخرج بنفسه وجمع جميع من عزم على الرحلة الى الشام وحلف لهم على الاحسان اليهم وحماية أنفسهم وأموالهم ففهم من سكن الى ايمانه ومنهم من لم يسكن ورحل والهم الله تعالى أسد الدين ان الفرنج ربما خطر لهم في مصر فاطرق قاصدتها فراسل الملك مرسى وقال له قد سأل أهل مصر عمن الملك أن لا يدخل اليهم ولا يتعرض لهم فامتنع الملك ثم أجاب خوفاً أن يتحقق أسد الدين وشاورانه ربما قصد ديار مصر فرمى اجتماعاً عليه فلم يجد ايمان اليمين حلف وأصحابه وخرج أسد الدين من مصر وفي قلبه الداء الدوى منها لانه شاهد ما وشاهد مغلاتها فوجدها أمر أعظيماً فأخذ نور الدين مخي تهبون أمر مصر عليه وأقطعه حص وأعمالها وحديثي أدي رحمه الله قال حدثني غير واحد ان شاوراً كاتب نور الدين في ذلك وضمن له أن يحمل في كل سنة عن ديار مصر مالا مصانعة ولما بلغ شاوران نور الدين صرف هبة أسد الدين عن ذكر مصر والتعرض لها أنفذ رسولا بهدية سنوية وأحبه كتاباً حسناً أوله (ورد كتاب استدعى شكرى وحدى واستخلص من الصفاء ما عندى واستفرغ في الثناء على مرسله جهدي فكأنما استملت معانيه مما عندى واشملت على حقائق قصدي وسررت للاسلام وأهله والدين الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله بأن يكون مثله ملكاً من ملوكه يرجع اليه في عقده وحده وتشيرا لاصابع وتعد الخناصر على علومه والله يزيد به مكانه تثبيتها وقوة ويحقق على يديه مخالب النصر المرحوه فأوسع رأسا دل على نصره الكاهه ودعا الى سبيل الفئة المسلمة ووفر على مصالح الامة لتوب رعاياها المنقسمة وأنتم من هذا الامر ما صدر مني وباق منه على ما نقل عنى لا أغير عن المصلحة فيه ولا أعدل عما أظهره منه لما أخفيه ولا استكبر كبير أصل اليه وأبوصل به لما سبق للملك العادل من حقوق استوجب شكرها قولا وفعلا ونصرة كانت في هجير الخطوب بردا وظلا وأنعم لانزال آياتها بالسن المجدتلى وتلى ولعمري لقد علانباؤها فخرنا وارفع على الاملاك قدر اودا كرا ووجب أن يستمها فلا يصل الى موارد الكدر ويحوطها فلا تطرق الى جوانبها الغير ووراء هذه المكاتبة من اشتامى ما لا يعوقه عائق الانتظام العقد على الامور المألوفة وتمام الثقة باليمين المنصوصة الموصونة مع ان قوله كمينه وكتابه كصفحه ميمنه والنقبة واقعة على كل حال والمحبة له توجب الاحتراس على الوداد من تطرق اسباب الاختلال)

قال وفي سنة أربع وستين طمع مرسى ملك الفرنج في مصر وعول على الدخول اليها والاستيلاء عليها وذلك لما انكشف له من عوارها وظهوره من ضعف من بقي فيها فجمع اليه ملوك الفرنج وكبراء الدولة والاستبارية وتشاوروا فجزت بينهم في ذلك خطوب ثم أجابوه الى الخروج معه الى الديار المصرية فاخضرو زره وأمره باق طاع: لاد مصر لحياته وفرق قراها على أجناده وكان لعنه الله لما دخل ديار مصر قد أقام من أصحابه من كتب له أسماء قرى مصر جميعها وتعرف له خبر ارتفاعها ثم سار حتى نزل الداروم فقامت قيامة شاوراً بالغة الخبر وانتخب أميراً من أمرائه يقال له بدران وسيره الى لقاء مرسى يسأله عن السبب في قصده فاجتمع به وسأله فتلصا عليه ثم استلان جانب به وضمن له رضىة على أن

## كتاب (١٧٠) الروضتين

يورتى عنهم ولا يكشف لشاور حالهم ويقال ان الملك أقطعهم ثلاث عشرة قرية على أن يتم على المصر بين الخيلة ويعلم شاور انه انما قصد مصر للخدمة ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور وأشفق منه وأحضر الامير شمس الخلافة محمد بن مختار وقال له كأت بدران قد غشني ولم ينحني وأنافوا تقي بك فأريد تخرج وتمكشف لي حال الفرنج فسار شمس الخلافة الى مري وكان بينهما مؤلفة فلما دخل على الملك قال له مرحبا بشمس الخلافة فقال مرحبا بالملك الغدار والاما الذي أقدمك اليه: قال اتصل بي ان الفقيه عيسى زوج اخت الكامل بن شاور من صلاح الدين يوسف بن أيوب وتزوج الكامل أخت صلاح الدين فغلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافة ليس لهذا حجة ولو فعل ذلك لم يكن فيه نهض للعهد فقال له الملك الصحيح ان قومنا وراء البحر انتهوا البنا وغلبونا على أرائنا وخر جوا طامعين في بلادكم فخففنا من ذلك فخرجنا للتوسط الامر بينكم وبينهم فقال شمس الخلافة فأى شيء قد طلبوا قال أنفى ألف دينار فقال مكانكم حتى أصل الى شاور وأبلغه مقالكم وأعود بالجواب فقال له ملك الفرنج نحن نزل على بلبيس الى أن تعود قال وحكي ان ملك الفرنج لما وصل الى الداروم كتب الى شاور يقول له اني قد قصدت الخدمة على ما قررت لي من العطا في كل عام فأجابه شاور ان الذي قررت لك انما جعلته متى احتجت اليك أو اذا قدم على عدو فأما مع خلو بالي من الاعداء فلا حاجة لي اليك ولالك عندى مقر فاجابه مري أن لا بد من حضوري وأخذى المقرر فعلم شاور انه قد غدر بالعهد ونقض الايمان وانه قد طمع في البلاد فأخذ في تجنيد الاجناد وحشد العساكر الى القاهرة وأنفذ الى بلبيس قطعة من الجيش وميزه وعده ثم ان ملك الفرنج سار خلف رسول شاور لايلاوى على قول حتى خيم على بلبيس في صفرو وكان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك ابن النحاس وابن الخياط محيي وابن قرجلة وأرسل الى طي بن شاور وكان ببلبيس وقال له أين نزل قال على أسنة الرماح وقال له ان محسب ان بلبيس جينة تأكلها فأرسل اليه مري نعم هي جينة والقاهرة تزيد ثم قاتل بلبيس ليل انهار احدى انتحها بالسيف وقتل من أهلها خلفا عظيما وخرب أكثرها وأحرق حمل أدرها ثم أخرج الاسارى الى طائر البلد وحضر وافي مكان واحد وحمل في وسطهم برمحهم ففرقهم فرقتين فأخذ الفرقة التي كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التي كانت عن يساره لعسكره وقال لفرقته قد أظلمتكم شكر الله تعالى على ما أولاني من فتح بلاد مصر فاني قد ملكتهم بالاشتراك ووقف الى ان عدى أكثرهم النبل الى جهة مئة حمل وأخذ العسكر نصيبهم من الاسارى فاقسمهم وبقى أهل بلبيس الذين أسر وأكثرت من أربعين سنة في أسر الفرنج وهلك أكثرهم في أيديهم وأفلت منهم اليسير لان الملك الناصر رحمه الله لما ملأ ديار مصر وقف دغل بلبيس على كثرته على فكك الاسرى منهم وسامح أهل بلبيس بخراجهم الى آخر أيامه ولما اتصل بشاور ماجرى على أهل بلبيس من القتل والاسر وان الفرنج سجنوه بالرجال والعدد وجعلوا لهم ظهر أشفق من ذلك وطلب الاذن على العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان البلاد قد ملكت علينا ولم يبق الآن تصكب الى نور الدين وتسرح له ماجرى وتطلب نصرته ومعونته فكتب جميع ذلك وأرسل شاور طي تلك الكتب كتبها ويختم أعاليها بالمداد قال وحذثنى شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار قال انما كتب هذا الكتاب برأى أبى شمس الخلافة لانه لما رجع من عندهم الى مصر لى لعنه الله بعد أخذ بلبيس اجتمع بالكامل بن شاور وقال له عندى أمر لا يمكن ان أفضي به اليك الا بعد ان تحلف لي انك لا تغلج أبالك عليه ففنا حلف له قال له ان أبالك قد وطن نفسه على المصاهرة وآخر أمره يسلم البلاد الى الفرنج ولا يكتب نور الدين وهذا عين الفساد فاصعد أنت الى العاضد وأرزه ان يكتب الى نور الدين فليس لهذا الامر غيره فقد صدد الكامل وكتب الكتاب فلما وصل الى نور الدين انزعج انزعجا عظيما وأنفذ أسد الدين وكان ذلك من مناه وأرسل الفقيه عيسى الهكاري الى مصر برسالة ظاهرة الى شاور يعلمه ان العساكر واصلت برسالة سرية الى العاضد وأمره ان يستحلفه على أشياء عيها وان يكتم ذلك من شاور وأما الفرنج فساروا الى جهة مصر وأمر شاور باحراق مصر وانذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجوا في بلاد مصر وباع أجزاء الجبل الى القاهرة ثلاثين ديناراً وترك الناس أكثر ما لهم فنهبت وأحرق مصر في ناسع صفر وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ثم ان الفرنج لعنهم الله نزلوا في بركة الحبش وانبث أخبارهم في الأطراف وتحطفوا من ظفروا به فأنفذ شاور شمس الخلافة الى مري لعنه الله فلما دخل عليه سأله

ان يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فأراه شمس الخلافة جهة مصر وقال له أنزى دخاناً في السماء قال نعم قال هذا دخان مصر ما آتيت الا وقد أحرقت بعشرين ألف قارورة نفط وفترقت فيها عسرة آلاف مشعل وما بقي فيها ما يؤمل بقاءه ونفعه فخل الآن عنك مدافعتي ومخاتلتي وكن كلما قلت لك انزل في مكان تقدماتي الى غيره وما بقي لك الآن تنزل بالقاهرة فقال هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة ومعى فرنج من وراء البحر فوطمعوافى اخذ هذا ثم رحل فنزل على القاهرة مما يلي باب البرية نزولاً بالقرب من البلد حتى صارت سهام البرج تقع في خيمته فقاتلوا البلد أياماً فلما تبين شاور الضعف عدل الى طريق المخادعة والمخاتلة والمغارة والمدافعة الى ان اتصل عساكر الشام فأنفذ شمس الخلافة الى مري لعنه الله تعالى برسالة طويلة قبل بها في غاربه ودار من حواليه وفي ضمنها (ان هذا بلد عظيم وفيه خاق كبير ولا يمكن تسليمه اليه ولا أخذه الا بعد ان يقتل من الفريقين عالم عظيم وما تعلم أنت ولا أنا لمن الدائرة والرأى ان تحقق دماء أصحابك ودماء أصحابي وتحصل شيئاً أدفعه لك فيحصل لك عفواً) فاستقررت المصانعة على أربع مائة ألف دينار وفيل ألفي ألف دينار يجعل له منها مائة ألف دينار فأجاب مري الى ذلك وانفعدت الهدنة وحلف مري ورجل الى ركعة الحبش وحمل شاور اليه مائة ألف دينار في عدة دفعات ستوف فيها الاوقات ثم اخذ عظمه بالساق في انتظار القدوم العساكر ويوهم انه يجمع لهم الاموال فيلشعر الفرنج بالهجوم عسكر الشام عليهم فلما رأوه هم رحلوا الى بليس ونزل أسد الدين بالقسيم ثم رحل ملك الفرنج ونزل على فاقوس وأبعده أسد الدين ونزل على بليس وكان لما اتصل بشاور وصول أسد الدين الى صدر أنفذ شمس الخلافة الى ملك الفرنج يستطلق له منه بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قل عليه نال المال فقال ملك الفرنج اطلب منه شيئاً قال اشتبهى ان تهب لي النصف قال قد فعلت فقال شمس الخلافة ما بلغني ان ملكاً كان مثلك حالاً وقد تركت علينا وهب مثل هذه الهبة لفومهم في مثل حالنا فقال ملك الفرنج أنا أعلم انك رجل عاقل وان شاور املاك وانك كما ماساً لتعلم ان أهبك كل هذا المال العظيم الا لامر قد حدث فقال له صدقت هذا أسد الدين قد وصل الى صدر نصره لنا وما بقي لك مقام وشاور يقول لك أرى ان ترحل ونحن باقون على الهدنة فانه أوفق لك ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا رضىءنا من هذا المال بشئ وحملنا الباقي اليك متى قدرنا وان نحن أخرجنا في رضاهم أكثر من هذا المال عندنا عليك بما يبقى علينا من المقدار فقال ملك الفرنج أنا راض بذلك وان بقي على شئ حملته اليكم وعول على الرحيل فقال له بعد ان تطلق طي ابن شاور وجميع من في عسكرك من الاسارى ولا تأخذ من بليس بعد انصرافك شيئاً فأجابه الى جميع ذلك ولما رحلت الفرنج عن القاهرة نزل أسد الدين بأرض يقال لها الموق وأخرج اليه شاور الاقامات الحسنة والخدم الكثيرة ولما اجتمعوا قال شاور لاسد الدين قد رايت من الرأى ان أخرج أنا وأنت وان ندرك الفرنج ونوقعهم فقال أسد الدين هذا كان رأى والفرنج على البر الغربى وليس لهم وزير وأما الآن فلا لانهم على البر المتصل ببلادهم ونحن فقد خرجنا من البر في أسوأ حال من الضعف والتعب وقد كدنا بالاله شرهم ونحن الى الراحة والاستجمام أخرج ولما نزل أسد الدين باللوق أرسل له العاصد هدية عظيمة وخدما كثيرة وأخرج الى خدمته أكبر أصحابه ثم انه خرج اليه في الليل سرا متسكراً واجتمع به في خيمته وأفضى اليه بأمر كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كأنه دخل دار الوزارة فوجد على سريره ملكه رجلاً وبين يديه دواة الوزارة وهو يوقع منها بأقلامه فسأل عنه فقيل هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصل أسد الدين بالديار المصرية وانفصل عنها الفرنج أممت البلاد وترجع الناس الى بيوتهم وأخذوا في اصلاح ما سببه الفرنج وأفسدوه وتقاطر الناس الى خدمة أسد الدين فتملقاهم بالرحب والسعة وأحسن اليهم وأما شاور فانه أخذ في التودد الى أسد الدين والتعرب الى قلبه بحجبه مع ما وجد السبيل اليه وأقام له ولعسكره الميرة الكريمة والنفقات الغزيرة حتى استحوذ على قلبه ونوى ببقية في ملكه وصفاله قلبه حتى أنفذ اليه سر أحرص نفسك عساكر الشام وأما عسكر الشام فانهم لما رأوا طيب بلاد مصر وكثرة خيرها وسعة أموالها تافأت أنفسهم الى الاقامة بها واختاروا سكنها ورغبوا فيها رغبة عظيمة فتوى طمع أسد في الاستيلاء عليهم والاحتداد بملكها ثم علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فأخذ في اعمال الحيلة عاياه وكان العاصد قد قدّم اليه بقتله فجمع أصحاباً

## كتاب (١٧٢) الروضتين

وشاورهم في أمر شاور وقال لهم قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتني لها وحرصى عليها لاسيما وقد تحققت ان عند  
 الفرنج منها ما عندى وعلمت انهم كشفوا عورتها وعلّموا سالك رقتها وتيقنت انى متى خرجت منها عادوا اليها  
 واحتوا عليها وهى معظم دار الاسلام وحلوة بيت مالهم. وقد قوى عندى ان أتب عليها قبل وثوبهم وأملكها قبل  
 ملكتهم وأتخلص من شاور الذى يلعب بنا وبهم ويغترنا ويغترهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع أموال هذه البلاد  
 فى غير وجهه هاوقوى بها الفرنج علينا وما كل وقت نذكر الفرنج ونسبقهم الى هذه البلاد التى قد قل رجالها  
 وهلكت أبطالها فقبلت الاراء بين الامراء انه لا يتم لهم أمر الابد بعد القبض على شاور وتفرقوا على ايقاع القبض  
 به وكان شاور يركب فى الابهة العظيمة والجلالة الجسمية والعدة الحسنة والالة الجميلة على عادتهم الاولى وكان من  
 جملة قواعدهم ان الوزير اذا ركب حمل فى موكب الطبل والبوق وكان شاور قليل الركوب فجعل الامراء يترصدونه  
 ورأى أسد الدين قبل قبض شاور بليلة **ك** أن شاور اذ دخل اليه الى داره وناوله سيفه وعلمته فتناول أسد الدين  
 بالقبض عليه وأخذ منصبه ثم ان شاور اركب يوما فى أهله وجلالته فلما عاينه الامراء باهوه وأجموا عنه وكان  
 يوما عظيم الضباب وكان خروج شاور من باب العنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين فسلم عليه ودخل  
 فى موكبهم ثم سار ثم مديده الى تلايبه وصاح عليه فرجله ولما رأى ذلك عسكر الشام قويت عزماتهم ووقعوا  
 فى عسكر شاور فنهوا ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر شاور ارجالا الى خيمة لطيفة واراد قتله  
 فلم يمكنه قتله دون مشاورة أسد الدين وفى الحال ورد على أسد الدين توقيع من العاضد على يد خادم يأمره فيه بقتل  
 شاور فأنفذ التوقيع الى صلاح الدين فقتله فى الحال وأنفذ رأسه الى القصر وبلغ الكامل بن شاور قتل أبيه فهرب  
 الى القصر وخلع العاضد على أسد الدين وقلده الوزير وأنفذ اليه طبق فضة فيه رأس الكامل بن شاور ورؤس  
 أولاد اخوته ولما خرج منشور الوزارة الى أسد الدين أمر بقراءته على رؤس الاشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت  
 قراءته عليه عدة دفعات استحسانا لمعانيه واستنظارا لما أودع من بديع الكلام فيه قال ولما اتصل بنور الدين  
 فتح الديار المصرية فرح بذلك فرحاشديدا وواصل الحمد والثناء على الله تعالى اذ كن فى زمنه وعلى يده وأمر بضرب  
 البشار فى جميع ولايته وتزيين جميع بلاد ورجس لاهناء بذلك وأنشده الشعراء فى فتحها عدة أشعار غير انه لما  
 اتصل به ان أسد الدين وزر للعاضد واستبد بالامر فى ذلك الصقع امضه ذلك وأقلقه وظهرت فى مخايل قسماته  
 وفتلات كلماته الكراهة وأخذ فى الفكرة فى أمر دوسمه ليمالى واقضى يسره الى مجد الدين بن الداية حدثت جماعة  
 عن شمس الدين على بن الداية أخى مجد الدين وحدثت الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي وقد جرى ذكر فتح مصر  
 وان نور الدين استهجن به فقال والله ما يتهم به لقد كان وده أن لا يفتح وأن لا يصير أسد الدين وصلاح الدين الى ما صار  
 اليه ولقد ظهرت الكراهية منه لذلك فى ألفاظه ووجهه ولقد أعمل الخيلة فى إفساد أمر أسد الدين وصلاح الدين  
 فحتم بأله لاسيما يوم بلغه حصول صلاح الدين على خزائن مصر فانه أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحدا من يراه واهتم لذلك  
 حتى افضى عليه الهم ولولم يكن الفتح اليه منسوب باو عليه فضله محسوب بالمصبر على ما جرى ولا اغضى الملك العادل على  
 القذى ولقد كتب العاضد عدة دفعات فى أمر الاسد والصلاح فلم يحصل له فيهما النجاح وكثيرا ما يوجب فى كتب  
 نور الدين الى العاضد التعريض بانفاذ أسد الدين ولو أمكنه المجاهرة بالقول لقال فى بعض مكاتباته (ولقد افتقر العبد  
 الى بعثته وأعوز عسكر ديم نقيبته واشتمد حزب الضلال على المسلمين لغيبته لانه ما يزال يرمى شياطين الضلال بشمابه  
 الثاقب ويصمى مقل الشرك بسهمه النافذ الصائب) قلت لعل نور الدين رحمه الله اغما أقلقه من ذلك كون أسد الدين  
 وزر للعاضد خفاف من ميله الى القوم الى مذهبهم وان يفسد جند دعائه بذلك السبب هذا ان صح ما نقله ابن أبى طى  
 والله أعلم قال وكان أسد الدين ساولى الوزارة لم يغير على أحد شيئا وأجرى أصحاب مصر على قواعدهم وأمورهم الى  
 ان انقضت أيامه وفنيت أعوامه وكان قوما يحب اكل اللحم ويواظب عليه ليلانها رافقوا رت عليه التخم واتصلت به  
 مرضاته الى ان ظهرت بحلقه خوانيق كان فيها تلافه ويقال انه أكل فى ذلك اليوم مضرة ودخل الحمام فلما خرج  
 منها أصابه الخناق قال وكان شجاعا بارعا قويا جلدافى ذاته شديد اعلى الكفار وطأته عظمة فى ذات الله صولته  
 عفيفا دينا كثير الخير وكان يحب أهل الدين والعلم كثير الا يثار حذبا على أهله وأقاربه وكان فيه امساك وخلف



## في أخبار (١٧٣) الدولتين

مالا كثير او خلف من الخيل والدواب والجمال شيئا كثيرا وخلف جماعة من الغلمان خمسمائة ثم ملوك وهم الاسدية وهو كان مشيد قواعد الدولة الشاذية والمملكة الناصرية وكان ابتداء أمره يخدم مع صاحب تكريت على اقطاع مبلغه تسعمائة دينار وتنتقل الى ان ملك الديار المصرية وعقد له العزاء بالقاهرة ثلاثة ايام قلت واليه تنسب المدرسة الاسدية بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي المظلة على الميسدان الاخضر وهي على الطائفتين الحنفية والشافعية والخانقاة الاسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشميين قال ابن أبي طي وساعة وفاته وقع الاختلاف فيمن يولى الوزارة بين العسكر الشامي ومالت الاسدية الى صلاح الدين وفي تلك الساعة أنفذ العاضد وسأل عن يصلح للوزارة فأرشد من جماعة من الامراء الى شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين فأنفذ اليه وأحضره وخاطبه في تولي الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية الملك الناصر وكان الحارمي أولا تدرغب في الوزارة وتحدث فيها وحصل ما يحتاجه فلما رأى من اجهة عين الدولة بن باروق وغيره عليه خاف ان يشتغل بطلبها فيغوثه ويرى ما فاتت صلاح الدين فأسار به لانها كانت في ابن أخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بوقع وأعجبه عقله وسداد رأيه وشجاعة وأقداره على شاور في موكله وانه قد له حين جاءه أمره ولم يترص ولا توقف فسارع الى تقبل هذه الوزارة وما خرج شهاب الدين الحارمي من حضرة العاضد الا وخلص الوزارة قد سبقت الى الملك الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضاء تسمى بطر زذهب وثوب ديبقي بطر اري ذهب وجبة تحتها سقلاطون بطر اري ذهب وطيلسان ديبقي بطر اري دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة ألف دينار وسميف محلي مجوهر قيمته خمسة ألف دينار وفسر حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية ألف دينار لم يكن بالديار المصرية اسبق منها وطوق وتخذت وفسر فساد زذهب مجوهر وفي رقبة الخمر مشددة بيضاء وفي رأسها ثمانمائة حبة جوهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود جوهر وقصبة ذهب في رأسها طائفة مجوهر وفي رأسها مشددة بيضاء باعلام ذهب ومع الخلعة عدة بقمج وعدة من الخيل وأشياء أخرى ومنشرا الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وقرئ المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلسوا في دار الوزارة وحضر جميع أرباب الدولتين المصرية والشامية وكان يوما عظيما وخلص السلطان على جماعة الامراء والكبراء وجوه البلد وأرباب دولة العاضد وعم الناس جميعهم بالهبات والصلوات ولما استقرت قدمه في الوزارة والرياسة قام في الرعية مقام من قام بالشريعة والسياسة ونظم بحسن تدبيره من الدولة بددها وجرى في مناهج العدل على جدد لها وحيه الى جوده وفضله وادى الى رفده وبذله وكاتب الاطراف بما صار اليه من السلطان وسر قلوب الاصدقاء والاحباب بما حصل عليه من شريف الرتبة والمكان واستدعى الى حوزته الاصحاب والاهل وزوى بفسيح كرمه من بعده ومنه وقرب من اهل الفضل وتاب من الخمر وعدل عن اللهو وتيقظ للتدبير وسها عن السهو وتمتص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المبين وشرع من ساق الجدد والاجتهاد وافاض على الناس من كرمه وجوده شأيد فضله النائب عن العهد وورد عليه القضاة والوزراء وأمر بنقائس الخطب وجواهر الاشعار حدثني بعض الامراء قال أقبل العاضد على السلطان الملك الناصر وأحبه محبة عظيمة وبلغ من محبته له انه كان يدخل اليه الى الناصر كما فاذا حصل عنده قام معه في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره قال ولما استولى الملك الناصر على الوزارة ومال اليه العاضد وحكمه في ماله وبلاده وحسده من كان معه بالديار المصرية من الامراء الشامية كابن باروق وجرديك وجماعة من غلمان نور الدين ثم انهم فارقه وداروا الى الشام وحدثني أبي رحمه الله قال حدثني جماعة من اصحاب نور الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاة أسد الدين ووزار صلاح الدين وما قد انعمه له من المحبة في قلوب الرعايا أعظم ذلك واكرهه وتأفف منه وأنكره وقال كيف أقدم صلاح الدين ان يفعل شيئا بغير أمرى وكتب في ذلك عدة كتب فلم يلبث في الملك الناصر الى قوله الا انه لم يخرج عن طاعته وأمره وانه ما فارق قبول رأيه وأشارته وأمر نور الدين من بالشام من اهل صلاح الدين واصحابه بالخروج اليه وطلب منه حساب مصر وما صار اليه وكان كثيرا ما يقول ملك ابن أيوب قلت هذا كله مما تقتضيه الطباع البشرية والجملة الادمية وقد جرى الله سبحانه وتعالى العادة بذلك الا من عصم الله ومن اتصف عذرو من عرف صبر والذى أنكره نور الدين هو افراط صلاح الدين في تفرقة الاموال



## كتاب (١٧٤) الروضتين

واستبداده بذلك من غير مشاورته هذا مع ان ابن أبي طى متهم فيما ينسبه الى نور الدين مما لا يليق به فان نور الدين رحمه الله كان قد اذل الشيعة بجلب وأبطل مشاعرهم وقوى أهل السنة وكان والد ابن أبي طى من رؤس الشيعة فنفاه من حلب وقد ذكر ذلك كله ابن أبي طى في كتابه مفرقا في مواضع فلهذا هرفى الكتاب الذى له كبير الجمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه ما ينسبه اليه مما لا يليق به والله أعلم قال ولما ملك الملك الناصر مصر أترع نور الدين حمص والرحبة من ناصر الدين ابن أسد الدين وفرق عماله واعطاه تل باشر ثم أخذها منه ولقد كان يتألم الملك الملك الناصر ويقال انه لما مرض قال ما أخطأت الا فى انفاذى أسد الدين الى مصر بعد علمى برغبته فيها وما يحزننى شئ كعلمى بما ينال أهلى من يوسف بن أيوب ثم التفت الى أصحابه فقال اذا ماتت فصيروا ببنى اسماعيل الى حلب فانه لا يبقى عليه غيرها قال ابن أبي طى ولقد كان يبلغ الملك الناصر من أقوال نور الدين وأقوال أصحابه أشياء تؤله وتقتضه غير انه يلقاها بصدر رحب وخلق عذب حدثنى أبى عن ابن قاضى الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال جرى يوما بين يدى السلطان ذكر نور الدين فأكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل خزمى ووخز الابر وما قد راخذ من أصحابه ان يجده على ما يعتده ذنبا ولقد اجتهد هو بنفسه أيضا ان يجدلى هفوة يعتدها على فلم يفدر ولقد كان يعتمدى محاطباتى ومراسلاتى على الاشياء التى لا يصبر على مثلها على ان تضروا أو تغير فيكون ذلك وسيلة له الى منادى فى ما بلغته اربه يوما قلت قد وقفت على كتاب بخط نور الدين رحمه الله يشكر فيه من صلاح الدين رحمه الله وذلك ضد ما قاله ابن أبي طى كتب نور الدين ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين بن أبى عصر ومن رحمه الله وهو بحلب ليوليه قضاء مصر ضررته (حسبى الله وكفى وفقى الله الشيخ الامام شرف الدين لطاعته وختم له بخير غير خاف على الشيخ ما أنا عليه وفيه وكل غرضى ومقصودى فى مصالح المسلمين وما يقربنى الى الله والله ولى التوفيق والمطلع على نيتى وانت تعلم نيتى كما قال عز من فائل (ومن عنده علم الكتاب) أنت تعلم ان مصر اليوم قد زلزلنا النظر فيها فهى من الفتوحات البكار التى جعلها الله تعالى دارا سلام بعدما كنت دارا كفر ونفاق فلله المنه والحمد الا ان المذم على كل شئ أمور الدين التى هى الاصل وبها النجاة وأنت تعلم ان مصر والىها ما هى قايمة وهى خالية من أمور الشرع وما تدخر الدموع اللال شدائد وأما كنت أحنى ولا أشتى مفارقك والا ن فقد تعين عليك وعلى أيضا ان ننظر الى مصالحها وما لنا أحد اليوم لها الا أنت ولا أقدر أولى أمورها ولا أقدرها الا لا حتى تبرأ ذمتى عند الله فيحب عليك وفقك الله ان تشمر عن ساق الاجتهاد وتولى قضاءها وتعمل ما تعلم انه يقربك الى الله وقد برئت ذمتى وأنت تجاوب الله فاذا كنت أنت هذا الولد أبو المعالى وفقه الله فيطيب قلبى وتبرأ ذمتى وقد كتبت هذا الخطى حتى لا يبقى على حجة تصل أنت وولدك عندى حتى أسيركم الى مصر والسلام بموافقة صاحبي واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فأنا منه شاكر كثير كثير كثير جزاه الله خيرا وأبقاه فى بقاء الصالحين والاختيار صلاح عظيم ومنفعة لأهل الاسلام الله تعالى يكثرون الاختيار وأعوان الخير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما قال ابن أبي طى وأبطل صلاح الدين من المكوس والمظالم ما يستخرج بديوان صناعة مصر مائة ألف دينار وما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية مائة ألف دينار فسامح بجميع ذلك وأمر بكتابة سجل به من ديوان الانشاؤ وأنفذ الى سائر أعمال مصر بقرأ على المنابر وعرض عليه سيطرة جرائد الدواوين فى جهات المستخدمين والعاملين لعدة سنين متقدمة آخرها سنة أربع وستين وخمسة فكان مبلغه ينيف عن ألف ألف دينار وألغى ألف أردب غلة فسامح فى جميع ذلك وأبطله من الدواوين واسقطه عن المعاملين وانهى اليه ما يستأدى من الججاج بالحجاز المحروس من المكوس فأنتكروا أكبره وعوض عنه بعدة ضياع فأغاث أهل الحجاز بما أوسعهم من العين والغلة أشياء يطول شرحها قلت وسيا كل ذلك فى موضعه ونسخة مفشور اسقاط المكوس فى أخبار سنة سبع وستين وذلك بأشارة نور الدين رحمه الله وفى أيامه

**(فصل)** ذكر العماد فى ديوانه قصيدة بمدح بها نور الدين ويهينه بملك مصر ولم يذكرها فى كتاب البرق منها  
 • ملك مصر اهتنى مالك الامم • فاسعد وابشر بنصر الله عن أم  
 اضحى بعدك شمل الملك ملتئما • وهل بعدك شئ غـير ماتم  
 بافاعل الخير عن طبع بلا كف • ومولى العرف عن خلق بلا سام

## في اخبار (١٧٥) الدولتين

ورامقائل ثمغـرا الكفر تجمه \* لالتم ثمغـر شنيب واضح شم  
 لله درك نور الدين من ملك \* بالعـزم مفتتح بالنصر محتتم  
 أنار عزمك في الاسلام واضحة \* وسر هلك باد غير مكتم  
 بما من العدل والاحسان تنشره \* تخاف ربك خوف المذنب الاثم  
 أوردت مصر خيول النصر عادمة \* ثنى الاعنه اقداما على اللجم  
 فأقبلت في صحاب من ذوابلها \* وقضها بدماء الهام منسجم  
 تمكن الرعب في قلب العدو بها \* تمكن النار بالاحراق في النجم  
 سرت لقطع ماله كفر من سبب \* واه وتوصل ماله للدين من رحم  
 مستسهلات وعور الطرق في طلب الـ \* عليها مقدمات اصعب القحـم  
 وعاجلات من الافرنج غلهم \* والقيدى موضع الاطواق والحزم  
 لقد شفت غلة الاسلام وانتهت \* من العدو بجد الصارم الحـم  
 أعانها الله في اطفاء جرأدى \* من شرشاور في الاسلام مضطرم  
 وأصبحت بك مصر بعد خيفتها \* للامن والعـز والاقبال كالحرم  
 والسنة اتسقت والبدعة انمحقت \* وعادت دولة الاحسان والكرم  
 ملوكها لك صاروا اعبدا وغدا \* بهاعبيدك املا كاذوى حرم  
 انبت عنك بها قوما ينوب بها \* في البأس عن عنتر في الجود عن هرم  
 لله درك نور الدين من ملك \* عـدل الحفظ أمور الدين ملتزم  
 كانت ولاية مصر قبل عزتها \* بكشف دولتها الجماع على وضـم  
 فالنيل ملتطم جار على خجل \* جارا لبحر نوال منك ملتطم  
 أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم \* واحطم جموعهم بالدايل الخطم  
 وطهر القدس من رجس الصليب وثب \* على البغات وثوب الاجدل القطم  
 فلك مصر وملك الشام قد نظما \* في عقد عز من الاسلام منتظم  
 محمود الملك الغازى يسوسهما \* بالفضل والعدل والافضال والنعم  
 بالشكر كل لسان ناطق أبدا \* ومحمد الملك محمود بكل قسم  
 فاشك مصر واطهر عز سننها \* كم تعفى والى كم تشكى وكم

ولعلم الدين الشافى في نور الدين رحمه الله

مانال شأوك في المعانى سنجر \* كلا ولا كسرى ولا اسكندر  
 ياخير من ركب الجياد وخاض في \* ليج المنايا والاسنة تقطر  
 هل حاز غيرك ملك مصر وصار من \* اتباعه من جده المستنصر  
 والمستضى بالله معتمده \* وبجده وبجده مستظهر  
 أوسد بالشأم الثغور محاميا \* للدين حتى عاد عنها قيصر  
 يبكى فيرى الارض بحرد موعه \* والجحوم انفاسه يتسعر  
 أوما أبوك بسيفه فتح الرها \* والاسد تقتنص الكماة وتزأر  
 هابت ملوك الارض بأس كاتها \* فتقاعدوا عن قصدها وتأحروا  
 ماضه طمى المنية ذاته \* وصفاته بين السيرة تنشر  
 فلمك على كل الملوك مزية \* لوقائع مشهورة لا تنكر  
 واذاعددنا للانام مناقبا \* فعليك قبل الكل يثى الخنصر

## كتاب (١٧٦) الروضتين

في الرأى قيس في السماحة حاتم \* في النطق قس في البسالة حميد  
 دانت لك الدنيا وأنت تعافها \* وسوالك في آمله يتعثر  
 من ذا يصون الصين عنك وأنت من \* أسد الشرى منه تخاف وتحتذر  
 قال العباد وأنفذ صلاح الدين من مصر خلعا لجماعة من الاعيان وأنفذ للعباد عمامة ملبوسة فكتب اليه قضاة  
 في هذا المعنى منها

يا صلاح الدين الذى أصلح الفا \* سد بالعدل من خطوب الزمان  
 أنت اجريت نيل مصر الى الشا \* م نوالأم سال نيل ثانى  
 وعنى نيلها لكفمك فضل \* فهما بالنصارى جارىتان  
 وصلت اعطياؤك الغرغرا \* فتلقت آمالنا بالتهانى  
 خلع راقى العيون ووقت \* وعدلا وصفها عن الامكان  
 مذهبات كأنها خلع الرض \* وان قد أهديت لاهل الحضان  
 مشرقا بطرزها الذهبيا \* ت الحسان الرفيعة الاثمان  
 فالعمامات كالعمامات والطر \* زبروق كثيرة اللعنان  
 والمولى بهامن التيه والفخ \* ر على الدهر ساجبوالاردان  
 كيف خص العباد بالادون الخلق \* من دون عصبة الدوان  
 اخلى من نسجه لك فى المد \* ح جديد بامهن الخلقان  
 وكذا عاده الليالى تخص البفاضل المستحقى بالحرمان  
 لم تزل سائر ان جودك بالس \* ام لديه غزيرة النهمان  
 فاذا لم تزده مصر كالا \* فى المنى فاجه من النقصان

وكتب الى نحر الدين أخى صلاح الدين قصيدة منها

عبدك شمس الدولة المرتجا \* منتظر تشريفك المذهب  
 فاعتب صلاح الدين لى حالتى \* عساه بالاصلاح ان يعتبا  
 عرفت ما تم فانى أرى \* من فضله للفضل ان يغضبا  
 وكيف يرضى ذاك بعض الرضى \* ومجده بأباه كل الابا  
 وقبل له جاته ملبوسة \* تخلفت ممن تبع فى سببا  
 عمامة رقت ورثت فا \* نشرتها الاوطارت هبا

قال فوصل الى من نور الدين عمامة مذهبة وكتب يعتذر عن العمامة التى قبلها وكتب الى سعد الدين كشتكين  
 يقول فيه استعير لسانه فى الاعتذار الى العباد فانى استقل لمرامه ارم ذات العباد فكتب العباد  
 أما العباد فقد تضاعف شكره \* نعمك شكر الروض نعمى الصيب  
 لعمامة ذهبية كعمامة \* يسد وابها برق الطراز المغربى  
 ما كان أحسن حاله لوانه \* شفعت عمامته بثوب مذهب

قال وكتب اليه

أهنى الملك النسا \* صر بالمك وبالنصر \* ومامهد من بنيا \* ن دين الحق فى مصر  
 وما أسداه من بر \* بلاعد ولا حصر \* وما أحياه من عدل \* وما خفف من اصر  
 واعلاء سنا السنفة فى بجوحة القصر \* قد استولى على مصر \* بحق يوسف العصر  
 وأحياسنة الاحسا \* ن فى البدور فى الحضر

وكتب اليه الامير اسامة بن منقذ من قصيدة أولها يقول

## في اخبار (١٧٧) الدولتين

ديار الهوى حياما ملك القطر \* وجادك جرد الناصر الغدق الهمر  
به رجعت في عنفوان شبابها \* ونضرتها من بعد ما هربت مصر  
وكم خاطب رذته لم يكفوها \* الى ان اتاها خاطب سيمفه المهر  
حماها حامي اللث العرين وصانها \* كما صان عينا من ممل القذى شفر  
وكان بها بحر اجاج فأصبحت \* ومن جوده العذب النخير بها بحر  
وله فيه من أخرى

فما أنت الا الشمس لولاك لم تزل \* على مصر ظلماء الظلالة سرمد  
وكان بها طغيان فرعون لم يزل \* كما كان لما ان طغي وتمردا  
فبصرتهم بعد الغواية والعمى \* وأرشدتهم تحت الضلال الى الهدى  
وله فيه من أخرى

قل للملوك ترحلوا عن ذروة العلياء للملك الهمام الناصر  
يعطى الالوف ويلتقيها باسمها \* طلق المحيا في القنا المتشاجر  
وترأت في ديوان العرقله وقال في المولى الملك الناصر وقد أنفذه من ديار مصر ذهباً ولغيره سلاما  
صلاح الدين قد أصلحت دنيا \* شقي لم بيت الاحريصا  
وأرسلت السلام لنا عموما \* وجودك جاءني وحدي خصوصا  
فكنت كيوسف الصديق لما \* تلقى منه يعقوب القيصا  
وكان العرقله من جملة المتردين الى صلاح الدين أيام كونه بدمشق فلما صار الى مصر وعده انه متى ملكها اعطاه  
ألف دينار فلما تم أمره بمصر كتب اليه العرقله قصيدة منها

اليك صلاح الدين مولاى أشتكى \* زمانا على الحر الكريم يجور  
ترى أبصر الالف التي كنت واعدى \* بها في بدى قبل الممات قصير  
وهيمات والافرنج بيني وبينكم \* سياج قتيل دونه وأسير  
ومن عجب الايام انك ذو غنى \* بمصر ومثلى بالشام فقير

وقال أيضا

قل للصلاح معيني عند اسارى \* يا ألف مولاى أين الالف دينار  
أخشى من الاسران حاولت أرضكم \* وما تبقى جنة الفردوس بالنار  
جسد بها عاضدات مسطرة \* من بعض ما خلف الطاغى أبو الطارى  
حجرا كاسيا فكم غبرا تحيلكم \* عيفا ثقلا كاعدائى واطارى  
وأنفذه من مصر عشرين ألف دينار فقال

يا مال كما ما برحت كفه \* نحدو بالمال على كفى  
أفلح بالعشرين من لم يزل في \* رأس عشرين من الكهف  
يا ألف مولاى ولكنها \* محسوبة من جملة الالف

وذكر العباد في الخبر يدة ان العرقله قصد صلاح الدين الى مصر فأعطاه ذلك وأخذله من اخوته مثله فعاد الى دمشق  
وهو مسرور ومحبور وكان ذلك ختام حياته ودنا أجل وفاته فمات بدمشق في سنة ست أو سبع وستين وخمسائة  
قلت وفي ديوانه ما يدل على قدومه مصر فان فيه وقال وكتبها على حمام عمرها المولى الملك الناصر بديار مصر المحروسه

باداخل الحمام هنيئتها \* دائرة كالفلك الدائر  
تأمل الجنة قد زخرت \* وعمرت للملك الناصر  
كأنما فيض أنا بينها \* نداء للوارد والصادر

## كتاب (١٧٨) الروضتين

**(فصل)** وفي قتل المؤمن بالخرفانية ووقعة السودان بين القصرين وغير ذلك قال العماد وشرع صلاح الدين في نقض اقطاع المصريين فقطع منهم الدوائر من أجل من معه من العساكر وكان بالقصر خصى يدعى بمؤمن الخلافة متحكماً في القصر فاجمع هو ومن معه على ان يكتبوا الفرنج ويقبضوا على الاسدية والصلاحية لان صلاح الدين يخرج الى الفرنج من معه فيؤخذ من بقي من أصحابه بالقاهرة ويتبع من ورائهم فتكون عليهم الدائرة فكاتبوا الفرنج واتفق ان رجلاً من التركمان عبر البستر البيضاء فرأى مع انسان ذى خلقان نعلين جديدين ليس بهما أثر مشى فأنكرهما فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين ففتقهما فوجد مكتابة للفرنج فيهما من أهل القصر يرجون بحركتهم حصول النصر فأخذ الكتاب وقال دلوني على كاتب هذا الخط فدلوه على يهودى من الرهط فلما أحضره وليسألوه ويعاقبوه على خطه ويقابلوه نطق بالشهاداة قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف بما جناه وشيده من الامر وبناء وان الاثر به مؤتمن بالخلافه وانه يرى من هذه الآفة فحسن لدى السلطان اسلامه وثبت اعتصامه وعرف استسلامه ورؤى اخفاء هذا السر واكتتامه واستشعر الخصى العصى وخشى ان بسبقه على شق العصا العصى فصار يخرج من القصر مخافه واذا خرج لم يجد مسافه وصلاح الدين عليه مغضب وعنه مغض لا يأمر فيه بسط ولا قبض الى ان استرسل واستبسل فظن ان مانسله من الشر العقيم نصل وكان له قصر فى قرية يقال لها الخرفانية لخرفه وورقه ما يتبع عليه من خرقه وهو بقرب قليوب فخلاه يوماً للذلة ولم يدركه يوماً ذلته وانقضت ساعاته بانقضت دولته فانقض اليه صلاح الدين من أخذ راسه وترع من جاءه بلباسه وذلك يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة أربع فورد موارد من رداه على ادون مشرع قال ولما قتل غار السودان وثاروا كانوا أكثر من خمسين ألفاً وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه واجتأهوا وذلوله واستباحوه واستحلوه فحسبوا ان كل بيضاء شحمة وان كل سرادقمه فثار أصحاب صلاح الدين الى الهيبا ومقدمهم الامير ابراهيم الحما واصلت الحرب بين القصرين وأحاطت بهم العسكرية من الجانبين ودام الشر يومين حتى حس الاساحم بالجبن وكنا الجؤوا الى محلة احرقوها عليهم وحووا ما حو اليهم واخرجوا الى الجيزة واذلوا بالنفى عن منازلهم العزيزة وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذى القعدة فدخل السودان بعدهما من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلاً وأياماً وقفة وأخذوا وقتلوا تقتيلاً وكانت لهم على باب زويلة محلة تسمى المنصورة وكانت بهم المعركة المعروفة فأخلى بنيانها من القواعد فأصبحت خاوية ثم حرقها بعض الامراء واتخذها باستانافهى الا زينة لها سابقه قال وكان قد وصل الى صلاح الدين قبيل هذه النبوة أخوه الاكبر خفر الدين شمس الدولة تورا نشابن أيوب أنفذ اليه نور الدين من دهشقيش دازره مصر لما سمع حركة الفرنج وأهل القصر فوصل القاهرة فى نالت ذى القعدة قال وبأسر بنفسه ووقعة السودان هذه وكان له فيها أثر عظيم ومن عجيب ما اتفق ان العاضد كان يتطلع من المنظرة يعاين الحرب بين القصرين فقبل انه أمر من بالقصر ان يقدفوا العدا كراشامية بالنشاب والحجارة ففعلوا وقبل ان ذلك كان عن غير اختياره فأمر شمس الدولة الزراقيين باحراق منظرة العاضد فهم أحد الزراقيين بذلك واذاباب المنظرة قد فزع وخرج منه زعيم الخلافة وقال أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم العبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم وكانت العبيد مشددة لانفس باز العاضد راض بفعلهم فلما سمعوا ذلك فت فى أعضادهم فحينئذ أخذوا وادبروا ومما كتبه العماد على لسار غيره الى صلاح الدين قصيدة منها

بالمالك الناصر استنارت \* فى عصرنا أوجه الفضائل  
على من حقه فروض \* شكر الماجاد من بوافل  
يوسف مصر الذى اليه \* تشدد أماننا الرواحل  
أجرت نيلين فى ثراها \* نيل نجيع ونيل نائل  
وما نفيت السودان حتى \* احكمت البيض فى المقاتل  
صيرت رحب الفضاء ضيقا \* عليهم كفه بمحائل  
وكل رأى منهم كراء \* وأرض مصر كلام واصل

## في اخبار (١٧٩) الدولتين

وقد خلت منهم المغاني \* واقفرت منهم المنازل  
وما أصيبوا الا بطل \* فكيف لو امطروا بوابل  
والسود بالبيض قد أصبحوا \* فهى نواز لهم نوازل  
مؤمن القوم خان حتى \* غالته من شره غوائل  
عاملكم بالخنا فاضى \* ورأسه فوق رأس عامل  
يا عجبل البحر باليادى \* قد آن ان تفتح السواحل  
فقدس القدس من خباث \* ارجاس كفر غتم أراذل

قال العماد ومما مدحت به صلاح الدين في ذلك التاريخ تهنئة له بالملك وتغزية بعمه

أيوسف الاحسان والحسن خير من \* حوى الفضل والافضال والنهى والامرا  
ومن للهدى وجهه النجاج برأيه \* تجلى وثغر النصر من عزمه افترا  
حى حوزة الدين الخنيف بجوزه \* من الخالق الحسنى ومن خلفه الشكرا  
أبوه أبى الامع الى وعمه \* بعروفه عم الورى البدو والحضرا  
وطال المملوك سفير كوه بطوله \* وما شاركوه فى العلا فحوى الفخرا  
بنو الاصفر الافرنج لا قوا يبيضه \* وسمر عواليه مناياهم حمرا  
وما أبض يوم النصر واخضر روضه \* من الخصب حتى اسود بالنقع واغبرا  
رأى النصر فى تقوى الاله وكل من \* تقوى بتقوى الله لا يعدم النصر  
ولما رأى الدنيا بعين ملالة \* اغذمن الاولى مسير الى الاخرى  
وقام صلاح الدين بالملك كافلا \* وكيف ترى شمس الضحى تخلف البسرا  
ولما صبت مصر الى عصر يوسف \* أعاد اليها الله يوسف والعصرا  
فأجرى بها من راحتيه بجرده \* بجارا فسمها الورى اثم الاشرى  
هزمت جنود المشركين برعبكم \* فلم يلبثوا خوفا ولم يملكوا ذعرا  
وفرقتهم من حول مصر جوعهم \* بكسر وعاد الكسر من أهلها جبرا  
وآمنتم فيها الرعا يا بعدلكم \* وأطفأتم من شرشاورها الجبرا  
بسفك دم حطتم دماء كثيرة \* وخزتم بما أبدىتم الحد والشكرا  
وما يرتوى الاسلام حتى تغادروا \* لكم من دماء الغادرين بها غدرا  
فصبوا على الافرنج سوط عذابها \* بأن يقسموا ما بينها القتل والاسرا  
ولا تملوا البيت المقدس واعزموا \* على فتحه غازين واقترعوا البكرا  
تديمون بالعرف طيب ذكركم \* وما الملك الآن تديموا لكم ذكرا  
وان الذى أثرى من المال مقتر \* وان تقفه فى كسب محمدة أنرى

قال وكثرت كتب صلاح الدين الى أصدقائه مبشرة بطيب أنباءه فنها كتاب ضمنه هذا البيت

ما كنت بالمنظور أقنع منكم \* ولقد رضيت اليوم بالسموع

فقلت فى جوابه أيا تامنهاذه

يا هبل اسالف عيشتى بفنائكم \* من عودة مجودة ورجوع  
مذغبتهم عن ناظرى ما أذنت \* للقلب شمس مسرة بطلوع  
كنت المشفع فى المطالب عندكم \* فغدوت أطلب طيبةكم بشفع  
أصبحت أقنع بالسلام على النوى \* وبقر بكم كم بت غير قنوع

قال ووصل أيضا منه كتاب ضمنه هذا البيت

## كتاب (١٨٠) الروضتين

وانتدرا الدمع من قبل أيبضا \* وقد حال مذبنتم فأصبح ياقوتا

فنظمت في جوابه أياتا منها

هنيئنا مصر حوز يوسف ملكها \* بأمر من الرحمن قد كان موقوتا

وما كان فيها قتل يوسف شاورا \* بمائل الاقتل داود جالوتا

وقلت لقلبي ابشر اليوم بالمنى \* فقد نلت ما أملت بل خرت ماشيتا

قال وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابنى شاور الكامل وأخاه يعنى الطارى يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة وذلك انه لما قتل شاور عادوا فى القصر فكانت نزلوا فى القبر فلو انهم جاؤا الى أسد الدين سلموا وامتنعوا وعصوا فانه ساءه قتل شاور وان كان أمن بقتله ما حاذر قتل الكامل هو شجاع بن شاور وكان له اخوان طي تقدم ذكر قتل ضرغام له والآخر الطارى قال الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن أبي السرور الروحى فى تاريخه أخذ ابننا شاور شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم وأخوه الملقب بفارس المسلمين فقتلوا ودير برؤسهم قال ولماولى صلاح الدين ساس الرعية وأظهر لهم من العدل ما لم يعلموه فاجتمع أهل البلاد وكرهوه فأوقع براجلهم وأخرجهم من القاهرة فأخرجاعني فإخرج بعد ذلك وفارسهم وشئت شملهم فقتلهم بيوتهم خاوية بما ظلموا قال ولما كانت سنة ست وستين رفع جميع المكوس صادرها وواردها جليلها وحقيرها وغزا بلاد الشام غزوتين قال ابن شداد وفى المحرم من هذه السنة توفى ياروق الذى تنسب اليه الباروقية يعنى المحلة التى بظاهر حلب قال غيره وفيها احترق جامع حلب وأسواق البز وأخذ نور الدين فى عمارته آخر السنة

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة ﴾ فى أول صفر منها نزل الفرنج خذلهم الله تعالى على دمياط من الديار المصرية قال ابن الاثير كان فرنج الساحل لملك أسد الدين مصر قد خافوا وأيقنوا بالهلاك فكاتبوا الفرنج الذين بالاندلس وصقلية يستمدونهم ويعرفونهم ما تجب دمن ملك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس وأرسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركة فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح والذخائر وتابع النزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهر ايملاكون به ديار مصر فلما نزلوها حاصروها وضيقوا على من بها فأرسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالمال والسلاح والذخائر وتابع رسله الى نور الدين يشكو ما هو فيه من الخاوف وانه ان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج وان سارا اليها خلفه المصريون فى محلفيه ومخلفى عسكره بالسوء وخرجوا من طاعته وصاروا من خلفه والفرنج من امامه فجهر نور الدين اليه العساكر ارسالا كلما تجهزت طائفة أرسلها فسارت اليه يتلو بعضها ببعضها بعضا ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر فدخل بلاد الافرنج فنهبا وأغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى ما لم تكن تبلغه لخلو البلاد عن ممانع فلما رأى الافرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين بلادها ونهبها واخربها رجعا خائبين ولم يظفروا بشئ وهذا موضع المثل ذهب النعمامة تطلب قرنين فعادت بلاد اذنين فوصلوا الى بلادهم فزأوها خاوية على عروشها وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكى عنه أنه قال ما رأيت أكرم من العاضد أرسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها قال القاضي ابن شداد لما علم الافرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم ومات من استقامة الامر فى الديار المصرية علموا ان صلاح الدين يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك فاجتمع الفرنج والروم جميعا وحشدوا نفوسهم بقصد الديار المصرية والاستيلاء عليها وملكها وروا قصد دمياط لتمكن القاصد لها من البر والبحر وعلمهم انها ان حصلت لهم حصل لهم مغرس قدم بأورون اليه فاستحبوا المتجنقات والديابات والجروح وآلات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج بالشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يسمى خطيخ العبدار وذلك فى ربيع الآخر منها وفى رجب منها توفى العمادى صاحب نور الدين وأمير حاجبه وكان صاحب بعلبك وتدمر ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغاف قلوبهم فنزل على الكرك محاصرها فى شعبان من هذه السنة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية

جلب في رمضان فاشتغل قلبه لانه كان صاحب أمره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر الزلزلة فاجلب التي خربت كثير من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال من السنة المذكورة وهو يوم عشرين فصار يطلب جلب فبلغه موت أخيه قطب الدين بالموصل وكانت وفاته في الثاني والعشرين من ذي الحجة وبلغه الخبر وهو يتل بأشرف من ليلته طال بالبلاد الموصل ولما علم صلاح الدين شدة قصد العدو دمياط أنفذ إلى البلد وأودعه من الرجال والابطال والفرسان والميرة والآلات السلاح ما أمن معه عليه ووعد المقيمين فيه بامدادهم بالعساكر والآلات وازعاج العدو عنهم أن نزل عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيراً متحكما لا يراد أمره في شيء ثم نزل الفرنج عليهم في التاريخ المذكور واشتد زحفهم اليها وقتلهم لها وهورجه الله عليه يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله للمسلمين يؤيدهم وحسن قصده في نصره دين الله يسعدهم وينجدهم حتى بان لهم الخسران وظهر على الكفر الايمان ورأوا أنهم ينجون برؤسهم ويسلمون بنفوسهم فرحلوا خائبين خاسرين ففرقت مجانيقهم ونهبت آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلد بحمد الله ومنه وقال العماد أقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكه ومدار فلكه ينهض اليها المدد بعد المدد ويرسل اليها العدد بعد العدد يسهر ليله ولا يقل نهاره وقد أخلص لله سره وجهاره ولا ينام ولا ينام وعنده من ذلك المقعد المقيم وسبق تقي الدين ابن أنحى السلطان إلى دمياط فدخلها وكذا خاله شهاب الدين محمود فزلفها واتصل الحصار وتواصل الانصار ودب في الفرنج الفناء وهب عليهم البلا فرحلوا عنها في الحادي والعشرين من ربيع الأول بالذل الاكل والصغار الاشمل وكان لما وصل الخبر إلى نور الدين بوصولهم واجتماعهم على دمياط ونزولهم اغتم واهتم واستعصب الملم وأنهض من عنده عسكراً ثقيلاً مقدمة الأمير قطب الدين خسروا الهذلي وكان مقداماً مقدماً ما وهما معاً وأمره أن يسير بالعسكر ويخوض بهم بحر العجاج الاكدر فوصل في النصف من ربيع الأول قبل رحيل الفرنج بأسبوع فوقع روعه من الكفر في كل روع قلت وبلغني من شدة اهتمام نور الدين رحمه الله بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط أنه قرئ عليه جزء من حديث كان له به رواية فجاء في جملة تلك الاحاديث حديث سلسل بالتبسم فطلب منه بعض طلبة الحديث ان تبسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث فغضب من ذلك وقال اني لا استحي من الله تعالى أن يراني متبسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج وبلغني ان اماماً لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دمياط في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج قدر حلوا عن دمياط في هذه الليلة فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني فاذكر لي علامة يعرفها فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت يا رب انصر دينك ولا تنصر محموداً من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتهت ونزلت إلى المسجد وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغسل ولا يزال يترك فيه حتى يصلي الصبح قال فعرضت له فسألني عن أمرى فأخبرته بالمنام وذكرت له العلامة الا أنني لم أذكر لحظة الكلب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها وألح علي في ذلك فقلت فابكى رحمه الله وصدق الرؤيا فأرخت تلك الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة

**(فصل)** أرسل نور الدين كتاباً إلى العاضد صاحب القصر يهنيه برحيل الفرنج عن نغردمياط وكان قد ورد عليه كتاب العاضد بالاستقالة من الانراك في مصر خوفاً منهم والاقصار على صلاح الدين والزمامه وخوفاً منه فكتب اليه نور الدين يمدح الانراك ويعلمه انه ما أرسلهم واعتمد عليهم الا لعله بأن قنطار يات الفرنج ليس لها الاسهام الانراك فان الفرنج لا يرهبون الا منهم ولولا هم لادطمعهم في الديار المصرية وتحصلوا منها على الامنيه فلعل الله ييسر فتح المسجد الاقصى مضافاً إلى نعمه التي لا تحصى قلت ولعمارة النبي من قصيدة

من شاكر والله أعظم شاكر \* ما كان من نعمي بنى أيوب

طلب الهدى نصر ا فقال وقد اتوا \* حسبي فأنتم غاية المطلوب

جلبوا إلى دمياط عند حصارها \* عز القوي وذلة المغلوب

وجلوا عن الاسلام فيها كربة \* لولم يجلبوها أتت بكر وب

فالناس في اعمال مصر كلها \* عتقوا وهم من نازح وقرب



## كتاب (١٨٢) الروضتين

ان لم تظن الناس قسرا فارغا \* وهم اللباب فانت غير لبيب

وللشهاب فتیان الشاغورى من قصيدة يقول

ولا غروان عاد الفرنج هزيمة \* ولولم تعد لم يبق للشرك ساحل

فقد ايقنت اعداؤه ان حظهم \* لديه رماح اشرفت اوسلاسل

ولما اتواد دمياط كالبحر طاميا \* وايس له من كثرة القوم ساحل

يزيد عن الاحصاء والعد جمعهم \* ألوف ألوف خيلهم والرواحل

راوادونهم أسدا بأيديهم القنا \* ويضارقا أحكمتها الصياقل

وداروا بها في البحر من كل جانب \* ومن دونها سدة من الموت حائل

رجال الكلب ملك الروم اذ ذاك فتحها \* نخاف فأم الملك والروم هابل

فعادوا على الاعقاب منها هزيمة \* كانهم ذلنا نعم جوافل

وما أملاوا أن يلحقوا به بلادهم \* لتعصمهم مزارأوه المعاقل

قال العماد وسألني كريم الملك ان أعمل له أبياتا في صلاح الدين تهنته بالنصر في دمياط فقلت قصيدة منها

يا يوسف الحسن والاحسان يا ملكا \* يجده صاعدا أعداؤه هبطوا

حلت من وسط العلياء في شرف \* ومركز الشمس من افلاكها الوسط

هتيت صونك دمياط التي اجتمعت \* لها الفرنج فاحلوا ولا ربطوا

مهري يوسفها أضحت مشرفة \* وكل أمر لها بالعدل منضبط

وحين وافى صلاح الدين أصلحها \* فلامصالح من أيامه نمط

قال العماد وما سيرته الى صلاح الدين قصيدة منها

كأن قلبي وحب ماله كـ \* مصروفها المليك يوسفها

هذا بسلب الفؤاد يظلمني \* وهو بقتل الاعداء ينصفها

الملك الناصر الذي أبدا \* بعز سلطانه يشرّفها

قام باحـ والها يدبرها \* حسنا واثقالها يخففها

بعده والصـ صلاح يعمرها \* وبالنسدى والجميل يكتفها

من دنس الغادرين يرخصها \* ومن خباث العدى ينظفها

وان مصر املك يوسفها \* جنة خلد يروق زخرفها

وانه في السماح حاتمها \* وانه في الوقار أحنفها

يوسف مصر الذى ملاحها \* جاءت بأوصافه تعرفها

كتب التواريخ لا يزيناها \* الا بأيامه مصنفها

وحطت دمياط اذا حاط بها \* من برجوم البلاء يقذفها

لاقت غواة الفرنج خبيثها \* فزاد من حسرة تأسفها

أوردت قلب القلوب ارشية \* من القنا للآدماء تنزفها

وليست سقمها فاعاملها \* عاملها والسنان مشرفها

يمضى لك الله في قتالهم \* عزيمة للجهاد ترهفها

وله فيه من أخرى

فداستقرت أموري \* فيه بحسب اقتراحى

نسير شمس أياديه في سماء السماح \* وأمره مستفاد \* من القضاء المتاح

وأرسل نور الدين الى خلاط ومولوا حينئذ ظهير الدين سكيان المعروف يشاء أن من قال فلما كنت بمباردين كنت

قد نزلنا في جوارك \* وطلبنا قرب دارك وسرينا في الدياجي \* فهدانا ضوء نارك  
فتمدارك امرنا اليو \* مبطول متسارك \* وقفـرد باغتنام الشـكر من غير مشارك  
قال العماد وفي هذه السنة خرج نور الدين الى دار يافا عا دة جامعها وعمر مشهد أبي سليمان الداراني وشي بدمشق  
(فصل) في مسير نجم الدين أيوب الى مصر يباقي أولاده وأهله وقد وصف ذلك عا دة في قصيدة مدح بها  
السلطان صلاح الدين تقدم بعضها يقول فيها

صحت به مصر وكانت قبله \* تشكو سقاما لم يعن بطبيب  
عجبا المعجزة انت في عصره \* والدهر ولاد لك كل عجيب  
ردا لاله به قضية يوسف \* نسقا على ضرب من التقریب  
جاءته اخوته ووالده الى \* مصر على التدرج والترتيب  
فاسعد باكرم فادم وبداولة \* قد ساعدك رياحها بهبوب

قال العماد لما دخل فصل النير وزوزاد استأذن الامير نجم الدين أيوب نور الدين في قصده ولده صلاح الدين  
والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجماعته وسبده ولبده وخيم بظاهر البلاد الى ان بان وضوح جسده وسار في  
حفظ فوصل الى مصر في السابع والعشرين من رجب وقضى صاحب القصر العاضد من حق قدومه ما وجب وركب  
لاستقباله وزاد اقبال البلاد باقباله ولما عزم على الرحيل الى مصر شرع في تفريق املاكه وتوفير ماله في شركه على  
اشراكه وما استعجب شيئا من موجوده وجعله نية لجوده قلت ووقف رباطا داخل الدرب برقاق العونية بياب  
البريد ثم قال العماد ولما نصب نجم الدين أيوب لقصد مصر مضاربه وسحب للعلی على روض الرضى سخائبه خرج  
نور الدين الى رأس الماء بعسكره وخيامه وأرهدف للجد في الجهاد حدا اعتزاه ثم أقام بعد توديعه والوفاء بحق  
تشييعه الى ان اجتمعت اليه عساكره وحضر بادي جنده وحاضره وعب بجره وما جزاخره ثم توجهنا الى بلاد الكرك  
مستمل شعبان ونزلنا ياما باللقاء على عمان وأقنا على الكرك أربعة أيام نحاصر ها ونصبنا عليها مخنيقين فورد  
الخبر ان الفرنج قد تجمعوا ووصلوا الى ما عين فقال نور الدين رى ان نعطف أعنتنا والله نستعين فانا اذا كسرناهم  
وقسرناهم وقتلناهم وأسرناهم أدركنا المراد وما كنا البلاد فرحلنا اليهم فولوا مدبرين حين سمعوا برجوعنا وقالوا  
رحيلهم عن الحصن قد حصل وهو قصودنا وعاد نور الدين الى حوران فقيم بعشتر او عام رمضان وقال ابن الاثير  
كان سبب حصر نور الدين الكرك ان نجم الدين أيوب والصلاح الدين سار عن دمشق الى مصر فسير نور الدين معه  
عسكرا فاجتمع معهم من التجار ومن كان له مع صلاح الدين أنس ومودة ما لا يعد تخاف نور الدين عليهم فسار الى  
الكرك فزل عليه وحصره وسار نجم الدين أيوب ومن معه مسلمين ونصب نور الدين على الكرك المجانيق فأتاه الخبر  
ان الفرنج قد جمعوا وساروا اليه وان ابن الهنفرى و فليب بن الرقيق وهما فارسا الفرنج في وقتهم في المقدمة اليه  
فرحل نور الدين رحمه الله تعالى نحوهما للقاء ما ومن معهما قبل أن يلحق بهما باقي الفرنج وكانا في مائتي فارس وألف  
تركبي ومعهم من الراجل خلق كثير فلما قاربهم مار جعا القهقرا الى من وراءهم من الفرنج وقصد نور الدين وسط  
بلادهم ونهب ما كان على طريقه ونزل بعشتر أو أقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم خوفا منه  
وقال ابن شذاد أنفذ صلاح الدين في طلب والده ليكمل له السرور ويجمع القصص مشا كلة ما جرى للنبي يوسف  
الصادق عليه السلام فوصل والده نجم الدين اليه وسلك معه من الادب ما كان عادته والبسه الامر كله فأبى ان  
يلبسه وقال يا ولدى ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت كقوله فاينبغي ان نغير موقع السعادة فحكاه في الخرائن  
بأسرها وكان رحمه الله كريما يلقى ولا يرد ولم يزل صلاح الدين وزيرا محكما الى ان مات لعاضد أبو محمد عبد الله وبه  
ختم أمر المصريين وقال ابن طي الحلبي أرسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد الى نور الدين يعاتبه من تأخير  
اقامة الدعوة له بمصر فأحضر الامير نجم الدين أيوب والزمه الخروج الى ولده بمصر بذلك وحمله رسالة منه (وهذا أمر  
يجب المبادرة اليه لنحظى بهذه الفضيلة الحلية والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت لاسيما وامام الوقت

## كتاب (١٨٤) الروضتين

متطلع الى ذلك بكلية وهو عنده من أهم أمنيته) وسار نجم الدين وأصحابه نور الدين هدية سنوية للملك الناصر وخرج العاضد لتلقيه الى ظاهر باب الفتوح عند شجرة الاهليج ولم يجز بذلك عادة لهم وكان من أعجب يوم شهده الناس خلع العاضد عليه ولقبه الملك الافضل وحمل اليه من القصر الاطاف والخف واحدًا يا أظهر السلطان من برّه وتعظيم أمره مما أحرز به السكر والاجر وفر دله دارا الى جانب داره واقطعه الاسكندرية ودمياط والبحيرة واقطع شمس الدولة أخاه قوص واسوان وعيذاب وكانت عبرتها في هذه السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار وسار شمس الدولة الى قوص ولاها شمس الخلافة محمد بن مختار وكان السلطان قبل اقطاعها شمس الدولة قد سير رسلان بن دغش لحماية خراجها فخرج عليه عباس بن سادى في جماعة من الاعراب والعبيد في مرج بن هرم فغتمه رسلان وعاد الى القاهرة وفي هذه السنة ليلة عبد القطر رزق السلطان ولده الملك الافضل نور الدين على وفرح به فرحا عظيما وخلع واعطى وتصدق بما بهر به العقول ومن قصيدة للحكيم عبد المنعم قد تقدم بعضها

في مشرق المجند نجم الدين مطلعته \* وكل أنبائه شهب فلأفلاوا  
جاؤا كي عقوب والاسباط ادوردوا \* على العزيز من أرض الشام واشتالوا  
لكن يوسف هذا جاء اخوته \* ولم يكن بينهم نزع ولا زلل  
وملكوا أرض مصر في شما ختمه \* ومنلها لرجال مثلهم نزل

(فصل) وفي ذكر الزلزلة الكبرى قال ابن الاثير وفي ثاني عشر سوال كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلهما عت أكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق وغيرها الا ان أسدّها وأعظمها كان بالشام فخرت بعلبك وحص وجاه وشيرزو وبعرين وغيرها وتمت أسوارها وقلعها واسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس ما يخرج عن العدد والاحصاء فلما أتى نور الدين خبرها والى بعلبك ليعمر ما انهدم من أسوارها وقلعتها وكان لم يبلغه خبر غيرها فلما وصلها أتاه خبر باقي البلاد بخراب أسوارها وخرابها من أهلها فرتب بعلبك من يجيها ويعمرها وسار الى حص ففعل مثل ذلك ثم الى جهات الى بارين وكان شديد الخذر على البلاد من الفرنج لاسيما قلعة بارين فانها مع قربها منهم لم يبق من سورها شيء البتة فجعل فيها طائفة صالحة مع العسكر مع أمير كبير ووكل بالعمارة من يحث عليها اليل ونهارا ثم أتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد أتت عليها وبلغ الرعب من نجا كل مبلغ فكانوا لا يقدر ان يأتوا الى بيوتهم السالمة من الخراب خوفا من الزلزلة فانها عادت بهم غير مرة وكانوا يخافون يقيمون بظاهرها حلب من الفرنج فلما شاهد ما صنعت الزلزلة بها وبأهلها أقام فيها وبأشرف عمارتها بنفسه وكان هو يقف على استعمال الفعلة والبنائين ولم يزل كذلك حتى أحكم أسوارها وجرم جميع البلاد وجوامعها وخرج من الاموال ما لا يقدر قدره وأما بلاد الفرنج خذلهم الله تعالى فانها أيضا فعلت بها الزلزلة قريبا من هذا وهم أيضا يخافون نور الدين على بلادهم فاستغل كل منهم بمعاملة بلادهم من قصد الآخر قال العماد وكانت قلاع لفرنج النجا وربة لعبرين ولحص الاكراد وصافينا والعريجة وعروفا في بحر الزلزلة غرق لاسيما حسن الاكراد فانه لم يبق له سور وقد تم عليه في حور وثبور فشغلهم سوءهم عن سواه وكل اشتغل بما دهاه وتواصلت الاخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثته الزلزلة من الانهدام والانهدام قال وما سكنت النفوس من رعبها وتسلت القلوب عن كربها الا بما دهم الكفار من أمرها وعراهم من ضررها فلقد خصتهم بالامض الاشق وأخذتهم الرجفة بالحق فانها وافقت يوم عيدهم وهم في الكنائس فأصبحوا الردي فرائس شاحصة أبصارهم ينظرون فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم ذكر العماد قصيدة في مدح نور الدين ووصف الزلزلة مطلعها

هل لعاني الهوى من الاسرفادى \* ولسارى ليهل الصبا بهادى  
جنبوني خطب البعد فسهل \* كل خطب سوى النوى والبعد  
كنت في غفلة من البين حتى \* صاح يوم الاثيل بالبين حاذى  
قد حللت من مهمجتي في الدويدا \* ومن مقلتي محلل السواد  
ويخلم من الوصال باسعا \* في أما كنتم من الاجواد

## في اخبار (١٨٥) الدولتين

وبعثتم نسيبكم يتلافا \* في فعاد النسيم من عوادي  
سمة فني تجلدا واشتافا \* ومحال تجمع الاضداد  
لبقاء بعد الاحبة يا قلمي ماهذه شروط الوداد  
ذاب قلبي وسال في الدمع لما \* ذام من نار وجده في انقاد  
ما الدموع التي تحذر لها الاشواق الافتئات الاكباد  
حبذا ساكرو فوادي وعهدي \* بهم يسكنون سفع الوادي  
أتمنى بالشام أهلي ببغدا \* دواين الشام من بغداد  
ما عتياضي من حبيهم يعلم الله \* تعالي الاحبب الجهاد  
واشتغالي بخدمة الملك العا \* دل محمود العكريم الجواد  
اما منه على سرير سروري \* راتع العيش في مراد مرادي  
تمدني بالشام منه الايادي \* والا يادي للحرك الاقياد  
قد وردت البحر الخضم وخلف ملوك الدنيا به كالتجاد  
هون الم لا ذم من نائب الدهر ونعم المعاذ عن دالمعاد  
جل زره الفرج فاستبدلوا منه به بلبس الحديد لبس الحداد  
فرق الرعب منه في أنفاس الكفار بين الارواح والاجساد  
سطو قز زلت بسكانها الار \* ض وهدت قواعد الاطواد  
أخذتهم بالحق رجفة بأس \* تركتهم صرعى صروف الغوادي  
خففت من قلاعها كل عال \* وأعدت تلاعها كالوهاد  
أنفذ الله حكمه فهو ما ض \* مظهر سر غميه فهو وبادي  
أية أترت ذوى الشرك بالهداك وأهل التوحيد بالارشاد  
والاعادي جرى عليهم من الد \* مير ما قدر جرى على قوم عاد  
أشركت في الهلاك بين الفرق بين دناء الانسراك والاحاد  
ولقد حار بالقضاء فامسى \* حكمه فيهم بغير جلال  
والاله الرؤوف في السام عما \* دافع لطفه بلاء البلالاد

فالعماد ومنها معني متبكر ابتدعه في الزلزلة وهو

وبحق اصيبت الارض لما \* استكت من مقام أشل الفساد

قال والعماد في هذه السنة عند وصولنا الى حلب في الخدمة النورية كنت مع مرظا للفضائل الشهر زوريه وكان الحاكم بها القاضي محيي الدين ابو حامد محمد بن فاضل قضاء الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهر زوري وكان كمال الدين قد علق به تنفيذ الاحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والامكان في بسط العدل والاحسان ومحيي الدين ولد هينرب عنه في القضاء بحاج وبلدانها وينظر ايضا في امور ديوانها وبجاء وحص من بني الشهر زوري فاضليان وهما حاكمان متحكما كان هذان محيي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتي به في ايام الفقه ببغداد في المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلاثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد ابن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه بعلمه معلم مذهب الطراز وكانت الزلزلة تجلب قد خربت دار محيي الدين وسلمت قراه وغلبت اصطباره وحلبت افكاره فكثبت اليه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصبابة مسكيا \* لعدا على عدوى الصبابة معديا  
مات الرجاء فان اردت حيماته \* ونشوره فارج الامام المحييا  
أقضي القضاء محمد بن محمد \* من لست منه للفضائل محصيا

## كتاب (١٨٦) الروصتين

قاض به قضت المظالم نجيبها \* وغدا على آثارهن معقيا  
 يا كاشفا للحق في أيامه \* غررا يدوم لها الزمان مغطيا  
 لم تنعش الشهباء عند عثارها \* ولم تجبدك لطود حملك مرسيا  
 رجفت لسطوتك التي أرسلتها \* نحو الطاغاة لحد عزمك مهبيا  
 ونظمت من شرهم فتمللت \* عجل اجازتها عليها مبقيا  
 انفت من الثقلاء فيها اذمرت \* أثقا لها ورأتك منها ملجيا  
 حلب لها حلب الدماء مع مسيل \* ان لاقت الخطب الفظيع المبعكا  
 وبعدل نور الدين عاودا فقهها \* من بعد غم الغم جوا مفتحيا  
 أضنى ليهجتها معيدا بعدما \* ذهبت وللمعروف فيها مبديا  
 لا مورها متدبرا لشتاتها \* متألفا لصلاحها متوليا  
 فالشرع عاد بعدله مستظهرا \* والحق عاد بظله مستذريا  
 والدهر لا ذبع فوه مستغفرا \* مما جناه مطرفا مستحييا

**(فصل)** في غزوة صاحب البيرة ووفاته صاحب الموصل قال ابن الاثير كان شهاب الدين محمد بن الياس بن  
 ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار في عسكره وهم مائتا فارس الى الخدمة النورية وهو بعشتر الفما وصل الى  
 البيرة وهي من اعمال بعلبك ركب متصيها فصادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للغارة على بلاد الاسلام  
 وذلك سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا وصبر الفرسان لاسباب المساكين لان ألف فارس منهم لا تصبر  
 لجملة ثلثمائة فارس من الفرنج وكثرا التلى بينهم وانهمز الفرنج وعوهم القتل والاسرف فبقت منهم الام لا نعمة دبه ولو  
 تواعدتم لا حلتهم في الميعاد ولكن ليقضى الله امر اكان مفعولا وسار شهاب الدين بالاسرى ورؤس القتلى الى نور  
 الدين فركب هو وعسكره الى لقائه واستعرض الاسرى ورؤس القتلى فرأى فيهم رأسا مقدما الاستبارة صاحب حصص  
 الاكراد و كانت الفرنج تعظمه لشجاعته ودينه عندهم ولأنه سحى في حلق المسلمين وكذلك أيضا رأى رأس غيره من  
 مشهورى الفرنج فازداد سرورا والله الحمد قال وفيها في شوال توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل  
 وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده عماد الدين زنكي بن مودود وهو أكبر اولاده وأعزهم عليه واحبهم اليه  
 وكان النائب عن قطب الدين حينئذ والقيم بامر دولته نحر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين زنكي لانه كان قد  
 أكثر المقام عنده الملك العادل نور الدين رحمه الله تعالى وخدمه وتزوج ابنته وكان عزيزه وحبيبه وكان نور  
 الدين يبغض عبد المسيح لظلم كان فيه وبذمه ويولم اخاه قطب الدين على توليته لاموره فخاف عبد المسيح ان يتصرف  
 عماد الدين في اموره عن امر عمه فيعزله ويبعده فانفق هو والخاصون اياه حسام الدين تمر تاس زوجه قطب الدين  
 فردوه عن هذا الرأي فلما كان الغد أحضر الامراء واستخلفهم لولده سيف الدين غازي وتوفي وقد جاوز عمره أربعين  
 سنة وكان تام القامة كبير الوجه أسمر اللون واسع الجبهة جهورى الصوت وكانت ولايته احدى وعشرين سنة وخمسة  
 أشهر ونصفا ولما توفي استقر سيف الدين غازي في الملك ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين ساكيا ومستهضرا وكان  
 عبد المسيح هو يتولى أموره سيف الدين وبكم في مملكته وليس لسيف الدين من الامر الا اسمه لانه في عنفوان شبابه  
 وعزة حدائته قال وهذه حادثة تحت على العدل كان من جملة اعمال جزيرة ابن عمر قرية تسمى العقيمة مقابل الجزيرة  
 من الجانب الشرقي يفصل بينهما دجلة لها بساتين كثيره بعضها تمسح أرضه ويؤخذ على كل جريب من الارض التي  
 قد زرعت شئ معلوم وبعضها عليه خراج ولا مساحة عليه وبهضما ملق منها فاما مسح منها لا يحصل لاصحابه  
 منه الا القدر القريب وكان له ابناء عدة بساتين حكى لي والذى قال جاءنا كتاب نحر الدين عبد المسيح الى الجزيرة  
 وأنا حينئذ أنولى ديوانها يا مرام بأن تجعل بساتين العقيمة كلها مسحوة فشقي ذلك على لاجل أصحابها ففهم الناس  
 صا الحون ولى بهم أنس وهم فقراء فراجعته وقلت له لا تظن انى أقول هذا الا لاجل ملكي لا والله واما أريد أن يدوم  
 الناس على الدعاء للمولى قطب الدين وأنا مسح ملكي جميعه قال فأعاد الجواب بأمر المساحة ويقول تمسح ولا ملكك

## في اخبار (١٨٧) الدولتين

يفتدي بك غيرك ونحن نطلق لك ما يكون عليه فشرع النواب بمسجون وكان بالعقبة ترجلان صالحان بيني وبينهما مودة اسم أحدهما يوسف والآخر عادة فحضر اعندي وتضرع من هذه الحال وسألاني المكتوبة في المعنى فأظهرت لهما كتاب عبد المسيح جوابا عن كلتي فشراني وقالوا أيضا تعود تراجعه فماوت القول فأصر على المساحة فمر فتمت الحال فلما مضى عدة أيام عدت يوما الى داري واذا هما قد صادفاني على الباب فقلت لنفسى عجبا هذين الشيخين قد رأيتهم يا امرأجعتي وهما يطالبان مني ما لا أقدر عليه فملت لهما والله اني لا استحي منكما كلما جئتما في هذا المعنى وقد رأيتما الحال كيف هو فقالا لصدقت ولم نحضرا لا نعرفك ان حاجتنا قضيت فطنت انهما قد أرسلاني الموصل من يشفع لهما فدخلت الى داري وأدخلتهما معي وسألتهما عن الحال كيف هو ومن الذي سعى لهما فقالا ان رجلا من الصالحين الابدال شكونا اليه حالنا فقال قد قضيت حاجة أهل العقبة كلهم قال فوقع عندي من هذا ولكن نارة أصدقتهم لما أعلم من صلاح أحدهما وتارة أعجب من سلامة صدورهما كيف يعتدنان على هذا القول ويعتقدانه واقعا لا شك فيه فلما كان بعد أيام وصل فاصدم الموصل بكتاب يأمر فيه باطلاق مساحة العقبة واطلاق كل مسجون وبالصدقة فسألت القاصد عن الدين فأكبر ان قطب الدين شديد المرض قال فأفكرت في قولهما وتعبت منه ثم توفي بعد يومين من هذا قال ورأيت والدي اراي أحد الرجلين ببالغ في اكرامه ويحترمه ويقضى اشغاله واتخذها صديقين قال وكان قطب الدين من أحسن الملوك وأعفهم عن أموال رعيته محسنا اليهم كبير الانعام عليهم محبوبا الى صغيرهم وكبيرهم حلما عن المذنبين سريعا الانفعال للخبر حدثني والدي قال اسند عاني يوما وهو بالجزيرة وكنت أنوي أعمالها فلما في بعض الامر فقلت أخاف من الاستقصاء لودعي على بعض هؤلاء الملوك وأومات الى أولاده لكانت شعرة منه تساوي الدنيا وما فيها أولنا مواضع تحتل العمارة لو عمرت لتحصل منها أصعاف هذا فقال جزاك الله خيرا لندنحت وأدبت الامانة فأشرع في عبارة هذه الاماكن ففعلت وكبرت منزلي عنده ولم ير لي بيني على قال وكان كثير الصبر والاحتمال من أصحابه لقا صبر من نوابه زين الدين وجمال الدين وغيرهما على ما لم يصبر عليه سواه وكان حسن الاتفاق مع أخيه الملك العادل نور الدين كثير المساعدة والانجاده بنفسه وعسكره وأمواله حضر معه المصاف بحارم وفتحها وفتح بانبار وكان يجذب له في بلاده باختياره من غير خوف وكان احسانه الى أصحابه متتابعام غير طلب منهم ولا تعريض وكان يغيظ الظلم وأهله ويعاقب من يفعله قال وبالله أقسم اذا فكرت في الملوك أولادك في سيف الدين ونور الدين وقطب الدين وما جمع الله فيهم من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وحسن السيرة وعمارة البلاد والرفق بالرعية الى غير ذلك من المناسبات التي يحتاج الملك اليها اذكر قول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقت سيدهم \* مثل النجوم التي يسرى بها الساري

قلت وقرأت بخط الشيخ عمر الملاحه الله في كتاب كتبه الى بعض الصالحين وسأله فيه الدعاء لقطب الدين صاحب الموصل وقال فيه (يا أباي لو ذهبت أسرح لك سيرته في بلاده وعيش رعيته في ولايته أطلت وأنجرت غير اني أذكر لك ما خصه الله به من الاخلاق الصالحة هو من اكثر الناس رحمة وأشداهم حياء وأعظمهم تواضعا وأقلهم طمعا وأزهدهم في الظلم وأكثرهم صبرا وأبعدهم غضبا وأسرعهم رضا وهو من هذه الاخلاق على حد أحبه أنا محبة لا أقدر أصفها وبيني وبينه اخاء ومن اودة زورني وأوروه)

**(فصل)** قال ابن الاثير ولما بلغ نور الدين وفاة أخيه قطب الدين ومالك ولده سيف الدين بعده واستيلاء عبد المسيح واستبداده بالامور وحكمه على سيف الدين أنف من ذلك وكبر ليد وشق عليه وكان يبغض عبد المسيح لما يبلغه من خشوته على الرعية والمبالغة في اقامة السياسة وكان نور الدين رحمه الله لينار فبقا لاد فقال أنا ولي بتدبير بني

أخي ومالكهم ثم سار من وقته فغير الفرات عند قلعة جعبر أول المحرم

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسائة: وقصد الرقة فامتنع الناس بها شيئا من الامتناع ثم سار لهما على شئ اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرأ أمرها وسار الى الحابور فلما كمل جميعه ثم ملك نصيبين وأقام بها يجمع العساكر فانه كان قد سار جريدة فأتاهم نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وديار بكر واجتمعت عليه العساكر

## كتاب (١٨٨) الروضتين

وذكر أنك أكثر عسكره بالشام لحفظ ثغوره واطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار  
 فحصرها وأقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكاتبه عامة الامراء الذين بالموصل  
 يحذونه على السرعة اليهم ليسلوا البلد اليه وأشار وابتكر سنجار فلم يقبل منهم وتام حتى ملك سنجار وسلمها الى ابن  
 أخيه الاكبر عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل فأبى مدينة بلد وعبر دجلة في مخاضة عندها الى الجانب الشرقي  
 وسار فقتل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل قال ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور  
 الموصل بدنة كبيرة وكان عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى أتاك الملك كز صاحب بلاد الجبل  
 وأذربيجان واران وغيرها يستنجد فأرسل الملك كز رسولا الى نور الدين ينهيه عن قصد الموصل ويقول له ان هذه  
 البلاد لاسلطان ولا سبيل لك اليها فلم يفت نور الدين الى رسالته وكان بسنجار فسار الى الموصل وقال للرسول قل  
 لصاحبك أنا أرفق ببنى أخى منك فلا تدخل نفسك بيننا وعند الانراغ من اصلاهم يكون الحديث معك على باب  
 هذان فانك قد ملكك النصف من بلاد الاسلام وأهملت النغور حتى غلب الكرج عايمها وقد بلغت أنا وحدي  
 بأشجع الناس الفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه فانه يجب علينا  
 القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين فعاد الرسول بهذا الجواب وحصر نور الدين الموصل  
 فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جندي وعامى معه لحسن سيرته وعدله وكاتبه الامراء يعلمونه  
 على الوثوب على عبد المسيح وتسليم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه وتقرب به على سيف  
 الدين ويطلب الامان واقصا عايد يكون له فأجابته الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندي بالشام فاني  
 لم أأت لأخذ البلاد من أولادى عما جئت لأخلص الناس منك وأنولي أثار به أولادى فاستقرت القاعدة على ذلك  
 وسلمت الموصل اليه فدخلها نالك عشر جمادى الاولى وسكن القلعة وأقر سيف الدين غازي على الموصل وولى بقلعتها  
 خادما يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله ذردارا فيها وقسم جميع ما خلفه أخوه قطب الدين بين أولاده بمقتضى  
 الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاءت خاعته من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعهما على سيف الدين وأطلق  
 المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وأمر ببناء الجامع النورى بالموصل فبنى وأقيمت الصلاة فيه  
 سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة وأقام بالموصل نحو عشر يوما وسار الى السام فقبل له انك تحب الموصل والمقام بها  
 ونراك أسرع العود فقال قد تغير قلبي فيها فان لم أفارقها ظلمت ويمعنى أيضا اننى ها هنا لا أكون مريبا للعدو  
 وملازما للجهاد ثم أقطع نصيبين والخابور العساكر وأقطع جزيرة ابن عرس سيف الدين غاري ابن أخيه مع الموصل وعاد  
 الى الشام ومعه عبد المسيح فغير اسمه وسماه عبد الله وأقطعه اقداغا كثيرا وقال العماد استدعاني نور الدين ونحن بظاهر  
 الرقة وقال لي قد أنست بك وأمنت اليك وأنا غير مختار للفرقة لكن المهمل الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فمضى  
 الى الديوان العزيز جريته وتؤدى عنى رسالة سديدة سعيدة وتنهى الى قصدت بيتى وبيت والذى ومعنى طريقى  
 وتالدى وأنا كبيره ووارثه والذى له حديثه وحادثه فامض وخذلى اذنا فاني أعذ كل جارية لما أخطب به اذنا وامثل  
 ما يصلنى من المنال لدفع كل مكروه وكنا وأمر ناصر الدين محمد بن شيركوه ان يسيرنى الى الرحمة فى رجال مأمونى الصعبة  
 وسرت منها على البرية غرى الفرات بخفير من بنى خفاجه فذكر انه وصل وقضى الحاجة ثم رجع من عند الخليفة  
 المستنجد الى نور الدين وهو يحاصر سنجار فاخذها وسلمها الى ختمه ابن أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي  
 قال ثم رحل على عزم الموصل وقصد بلد واستوضع فيها الجدد ودل هناك فى دجلة على مخاضه وكان ذا اخلاق  
 وهم مرتاضه فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما ظن مستصعبا ومهل الله لاندالك رأياه أمر العجايب وجاء دليل  
 تركانى قدامنا وهو يقطع دجلة ارة طول اوتارة عرضا أمنا ونحن وراءه نكيط واحد لا يميل عينا ولا يسارا ولا نجد  
 لنا فى سوى ذلك الجواز اختبارا حتى عبرنا من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى برحالتنا واثقالنا وخيلنا  
 وبغالنا وجمالنا وأقنابية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا وزلنا على الموصل من شرقها وخيمنا على تل  
 توبه فاستعظم أهلها تلك النوبة وما خطر ببالهم أنا نعبى غير ما كذب وأنانا أخذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا أنهم  
 محصورون مقهورون محسورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق وتعذر عليهم الرقعة لاتساع الخرق وبسط العطا

وكشف الغطا وتكلم في المصلحة والمصلحة الوسطا ومدالجسر وقضى الامر وأنعم نور الدين على أولاد أخيه ومثلوا بناديه وأقر سيف الدين غازي على قاعدة أبيه وألبسه التشریف الذي وصله من أمير المؤمنين المستضي ثم دخل قلعه الموصل وأقام بها سبعة عشر يوما جرد من أشير أهل المناصب وتوقيعات ذوى المراتب من القضاء والقضاة وغيرهما وأمر باسقاط جميع المكوس والضرائب وأنشأ بذلك منسورا يقر أعلى الناس فنه (قد قنعنا من كنز الاموال باليسير من الحلال فسحقا للسحت ومحقا للكرام الحقيقي بالمقت وبعد ما لم يعد من رضى الرب ويقضى من محل القرب وقد استخبرنا الله وتقرنا اليه وتوكلنا في جميع الاحوال عليه وتقدمنا باسقاط كل مكس وضرب به في كل ولاية لنا بعيدة أو قريبة وازالة كل جهة مشتبهة مشوبة ومحكوك سنة سيئة سنينعه ونفي كل مظلمة مظلمة فظيعه واحياء كل سنة حسنة وانتهاز كل فرصة في الخير ممكنه واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الاموال المحظورة خوفا من عواقبها الرديئة المحذورة فلا يبقى في جميع ولايتنا جور جائر جارا ولا عمل لا يكون به الله راضيا اشارة للدواب الاجل على الحطام العاجل وهذا حق لله قضيناه وواجب علينا أذناه بل هي سنة حسنة سننناها ومحجة واضحة بينها واعدة محكمة مهندناها وفائدة مغنمة أفدناها)

**(فصل ١٠)** قال العماد وكان بالموصل رجل صالح يعرف بهر الملا سمي بذلك لانه كان يملأ تنانير الجص بأجرة يتقوت بها وكل ما عليه من قيص ورداء وكسوة وكساء قدم لك سواد واستعاره فلا يملك ثريد ولا أزاره وكان له سئ فوهبه لاحد من يديه وهو تجر لنفسه فيه فاذا جاءه ضيف قراد ذلك المريد وكان ذا معرفة باحكام القرآن والاخبار النبويه وكان العلماء والفقهاء والملوك والامراء يزورونه في زاويته ويتبركون بهيمته ويتمنون ببركته وله كل سنة دعوة يحثقل بها في أيام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر وفيها صاحب الموصل ويحضر الشعراء ويشدون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المحفل وكان نور الدين من أخص محبيه يستشير في حضوره وبكاتبه في مصالح أموره وكانت بالموصل خربة واسعة في وسط البلد أشيع عنها انه ما شرع في عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده فاشار الشيخ عمر على نور الدين بابتياعها ورفع ثمنها جامعا مقام فيه الجمع والجماعات ففعل وانفق فيه أموالا كثيرة ووقف عليه ضيعة من ضياع الموصل ورتب فيه خطيبا ومدتسا وكان قد وصل في تلك السنة وافدا الفقيه عماد الدين أبو بكر التوفائي الشافعي من أصحاب الامام محمد بن يحيى فسأله ان يكون مدرسا في ذلك الجامع وكتب له به منشورا قال وحضر مجاهد الدين قايما صاحب اربل الى الخدمة النورية بالموصل وان دخولهم اياها في بجنوحة الشفاء فكتب العماد الى بعض كبراء الموصل قضيه مدهنها

ما منع الخادم من قصده --- بخدمة غير الطرق والوحد  
كأنما موصولكم مقداع \* ما يهتدى فيه الى وصل  
وكل معروف بهامنه كسر \* كما تراه ضيق السبل  
وكل من حل بها لا يرى \* في زم من الخصب سوى المحل  
ومد دخلنا بها حصلنا بها \* كرها على خرج بلا دخل  
أسعب ما نلقاه من أهلها \* قول بلا أهل ولا سهل  
وكنتم أهواها ولكنني \* لفيت منها كل ما يسلي  
وأنت من أصبح احسانه \* حلية هذا الزم العطل

قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عمارة أسوارها ثم أتى حران وقد اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في خامس رجب قال ابن شداد دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته قال العماد وقوض القضاء والحكم بنصيبين وسنجار والخابور الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون فولى بها نوابه وحكم فيها أصحابه وقال القاضي ابن شداد ما صارت الموصل الى سيف الدين بن أخي نور الدين كان قد استولى عليه وتولى أمر البلد رجل يقال له عبد المسيح كان نصرانيا فاسلم وقيل انه كان باقيا على نصرانيته وله بيعة في داره وتبع أرباب العلم والدين فشتهم وأبعدهم وأذى المسلمين فبلغ نور الدين ذلك وكتب له قصص في ذلك فسار ونزل



## كتاب (١٩٠) الروضتين

على الموصل من جانب الشط والشط بينه وبينها وفاق لأقوات هذه البلدة وأهتك حرمتها وهي لولدى وراسل سيف الدين وقال له أنا ليس مقصودي البلد وإنما مقصودي حفظ البلد لك فإنه قد كتب إلى في عبد المسيح كذا ألف قصة بما يعمل مع المسلمين وأما مقصودي أزيل هذا النصراني عن ولاية المسلمين قال وعبد المسيح يدير البلد ويدور فيه والأمر إليه وبذل الصلح لنور الدين فقال نور الدين أنها تدجئت ولا بد لي من دخول البلد فقال نعم لا يدخل إلا من باب السر فقال نور الدين ما أدخل إلا من باب السر فخرت بين نور الدين وبين أخيه من أسلحة إلى أن علم أن نية صالحة فصالحه في السر وركب عبد المسيح وخرج بدور بين السورين فجاءه بعض أصحابه وقال له أنت تأثم ودمك قد راح وأنت غاف فقال ما الخبر فقال سيف الدين قد صالح عمه وأنت في دغايلة نور الدين فجاء ودخل على سيف الدين والفريق سر رشه بين يديه وقال له أنت قد صالحت عمك وتدملت ما علمت في حفظ بلدك وما لي طاقة بقبالة نور الدين فأثله الله في دمي فقال له مالي طاقة بدفعه عنك ولكن عليك بالسبح عمر الملاف فقال والله لومضيت إليه لم يفهم لي لعله ما جرى منه في حق المسلمين ولكن تشترأنت إليه لأنه سيف الدين إليه واستخضره وكان معه كما فاعمال له ما الخبر فقال سيف الدين لعبد المسيح بك إليه فوقك بير يد بيد يكي فالتفت إليه السبح عمر وقال من يعادي الرجال ييكي مثل الدسا فقل له قد نسكت بك وأطلب منك حق دمي فقال أنت أفس على دمك فقال وعلى مالي فقال وعلى مالك فقال وعلى أغلي فقال وعلى أغلك وكان شرف الدين بن أبي عصرون مع نور الدين حينئذ فقال سيف الدين لعمر الملا ولما تحلف نور الدين فاحضر الفقهاء وعلموا نسخة من نور الدين ونسخة من عبد المسيح فأخذها عمر وخرج إلى نور الدين فقام نور الدين وخرج من حيمته والتأه وأكرمه فقال له عمر الناس يعلمون حسن عقيدتك في وقد خرجت في كذا وكذا وأوله النسخة التي تتعلق بسيف الدين فقرأها وناوكتها ابن أبي عصرون فقال نسخة جيدة فقال له السبح عمر انبلا أي سئ تعمل في هذه النسخة فقال جيدة فقال إذا حلف بها على هذا الوجه أليس انها تقع لزمه فقال بلى فقال الحاضر من أسعدوا على السبح بذلك يسير إلى أن نور الدين كان يجري منه إيمان في وفائع وكان ابن أبي عصرون يتيه بالخروج منها فبذله القول فأجاب نور الدين إلى ذلك فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك في وإن قولي مسموع عندك وقد خرجت إليك ولا بد لي من صياقة فقال كيف لي بذلك وأنت لا تأكل طعامي ولا تقبل مني شيئا فقال تحلف لي بهذه النسخة فونف عليها وتغير وجهه وقال أما جئت إلا في هذا لا خلاص المسلمين منه فقال السبح عمر فما نطلب منك أن توليه على المسلمين فقال قد أمتته على نفسه فقال وعلى أهله فقال ومن أشبهه فقال نصاري فقال امنتم فقال وعلى ماله فقال ومن ابن لهدا الكلب مال هذا أم لوك لما فقال قد أعنت وماله وهو اليوم كان صاحب الموصل قال قد أمتته على ماله فخلف له على ذلك جميعه واستقر الصلح وخرج سيف الدين إلى خدعة نور الدين فوقف بين يديه فأكرمه نور الدين وكان وصله خلعة أمير المؤمنين فخلعها عليه فدخل إلى الموصل بها وانقل إلى جانب الشط الآخر ولم يدخل إلى الموصل إلى أن جاء مطر شديد جدا فدخل من باب السر إليها وأقام بها مدة ورتب أمورها وولى فيها كاستكسب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول له جئت إلى بلدك وبابك الممتام به وركت الجهاد وقتال أعداء الدين واستعظمت من منامه وسار سحر ذلك اليوم ولم يلبث ولم يعلم به أكره

الاس حتى خرج ولحقه ورحمه الله

(فصل) وصل الخبر موت الامام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي بالله ونور الدين محمد بن بشرق الموصل بل توبه وكانت وفاته يوم السبت تاسع ربيع الآخر وربع ابنه المستضي بأمر الله أو محمد الحس وكان مولد المستنجد بالله مسنبل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكانت خلافته احدى عشرة سنة وستة أيام وهو الثاني والملايون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه يقول بعض الادبا  
أصحت لبني العباس كاهنم \* ان عددت بحساب الجمل الخلنا

وكان اسم تمام القامة طويل اللحية وكان من أحسن الحسايرة مع الرعية كان عادلا فيهم كبير الرافق بهم وأطلق من المكوس أمير اولم يترك بالعراق مكسا وكان شديد على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس قال ابن الأثير بلغني أنه قبض على انسان كان يسعى بالناس ويكتب فيهم السعيات فأطال حبسه فحضر بعض أصحابه يشفع فيه وبذل

## في أخبار (١٩١) الدولتين

عنه عشرة ألف دينار فقال له انا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله احبسه لا كف شره عن الناس وفي أيامه توفي شيخ الشيوخ اسماعيل بن أبي سعد وصار بعده انه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ وذلك سنة احدى وأربعين وفي سنة ثمان وأربعين توفي محمد بن نصر القيسراني وأحمد بن منير الساعران وقد تقدم ذلك وفي سنة تسع وأربعين توفي الحكم أبو الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنة احدى وخمسين توفي الواو الساعر الحلبي وفي سنة ثلاث وستين توفي الشيخ أبو الجيبي الصوفي العقبة الواعظ والحمد لله جاءه بارسل دار الخلافه مبشرين بخلافة المستضيء وانفق ذلك يوم عبور دجلة وركب يوم النزول على ن توبه في الالهة الدوداء واليد البيضاء وذلك برأى ومنظر من أهل الموصل الحدباء ثم أرسل الشيخ سرف الدين بن أبي عصرون الى بغداد نائباً عنه في خدمة الامام ومما نظمها العماد فيه

قد أضاء الزمان بالمستضيء \* واراد البرد وابن عم النبي  
جاء بالحق والسريرة والعبد \* ل فيا امر حبابه هذا الجبي  
فنهى الأهل بعد ادفازوا \* بعد بؤس بكل عيش هني  
ومضى ان كان في الزمن المظلم \* لم فالعود في الزمان المضي

وله من قصيدة أخرى

لهفي على زم السباب فانتى \* بسوى الأسف عنه لم اتعوض  
نقضت عهد الغائبات وانها \* لولا نقاء شيبتي لم تنقض  
يا حسن أيام الصبا وكأها \* أيام مولانا الامام المستضي  
ذوالبهجة الزهراء يسرق نورها \* والدلعة الغراء والوجه الوضي  
قسم السعادة والسقا وقربا \* في الخلق بين محبه والمبغض  
فضل الخلائف والخلائق بالقي \* والفضل والافصال والخلق الرضي  
فانعم أمير المؤمنين بدولة \* مانتمنى وسعاده ماتة قضى

قال ووصل نور الدين رحمه الله تعالى الى دمشق وأدى فرض الصيام وخرج بعد العيد الى الخيام وأخرج سرادقه الى جسر الخشب وسرنا الى عشرين أم دكر العماد هشام بن صاحب البيرن الا لرتي باللبود وقد مضت في أخبار سنة خمس وستين فثم ذكرها ابن الاثير

**(فصل)** فيما جرى بمصر في هذه السنة قال العماد كان بمصر حبس للسجن يعرف بدار المعونة فأعادها صلاح الدين مدرسة للسفافية في أول سنة ست وستين وعمل في النصف من المحرم دار الغزل مدرسة للمالكية وولى صدر الدين عبد الملك بن دواس القضاء والحكم بمصر والشام مرة وأعمالها وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ثم خرج الى الغزاة وانار على الرملة وعسقلان وشحمر بض غرد ثم رجع الى القاهرة ثم وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله فاستنق عاينها وأحب ان يجمع بها ثم لم يفرح في النصف من ربيع الأول وكانت بالبلد قلعة في البحر قد حصنها أهل الكد فعمرها من أكب وحملها الى ساحلها على الجمل وركبها الصنائع هناك وشحنها بالرجال وفتح القلعة في العشر الأول من ربيع الآخر واستباح القتل والأسرا لها وملاؤها بالعدد والعدد وحصنها بأهل الجلال والجلد واجتمع بأهلها عليها وسار بهم على سمت القاهرة ودخلوا في السادس والعشرين من جمادى الاولى اليها وسار الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من شعبان ليشاركه ما ويرتب واعداها وهي أول دفعة سار اليها في أيام سلطانه وعم أهلها باحسانه وأمر بعماد أسوارها وبرايجها وأبدانها في النصف من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخى صلاح الدين منازل الغز بمصر وجعلها مدرسة للسفافية واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرهما من الاملاك ووقفها عليها وفي النصف من جمادى الآخرة أعاد شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد على العريان ثم دخل القاهرة في عاشر شهر رمضان وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة توفي القاضي الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخليل وكان من الاماثل الافاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء الى ان كبر وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقيام به مدة حياته يكرم عهده ويكفله وقال في الخريدة هوناظر ديوان

## كتاب (١٩٢) الروضتين

مصر و انسان ناظره وجاه مع مفاخره و كان اليه الانشا وله قوة على الترسل يكتب ما يشاء كثير او عطل في آخر عمره و اصبر و لم يبنه الى ان تعوض منه القبر ومن شعره

يا أبا الغرة حسب الدهر من \* عظة المغرور ما أصبح يدي  
تؤثر الدنيا فهل نلت بها \* لحظة تخلص من هم وكد

قلت و ذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد المعروف بابن الانير الجزري في أول كتابه المسمى بالوشى المرقوم في حل المنظوم قال حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسائة قال كان فن الكتابة بمصر في زمن بني عبيد غضا طريا و كان لا يتخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكنا و بسانا و يقيم لسلطانه بقله سلطانا و كان من العادة ان كلا من أرباب الدواوين اذا نشأ له ولد و شدنا شيئا من علم الادب احضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة و يتدرب ويرى و يسمع قال فأرسلني والدي و كان اذا نال قاضيا بنصر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ و هو أحد خلفائهم أو أمرني بالمصير الى ديوان المكاتبات و كان الذي يرأس به في تلك الايام رجلا يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان و منلت بين يديه و عرفته من أنا و ما طلي رجب بي و سهل ثم قال ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات فملت ليس عندي شيء سوى اني أحفظ القرآن العزيز و كتاب الجاسة فقال وفي هذا بلاغ ثم أمرني ببلازمته فترددت اليه و تدربت بين يديه ثم أمرني بعد ذلك ان احل شعر الجاسة فخلته من أوله الى آخره ثم أمرني ان أحله مرة ثانية فخلته

و قال ابن أبي طي في هذه السنة شرع السلاطون يعني صلاح الدين في اعادة سور القاهرة لانه كان قد تم دم اكثره و سار طريقا لا يرد داخل ولا خارجا و ولاده لقراقوش الخادم و قبض على القصور و سلمها اليه و أمر بتغيير شعار الاسماعيليه و قطع من الاذان حتى على خير العمل و شرع في تهديد أسباب الخطبة لبني العباس و فيها طلب شمس الدولة من أخيه السلطان ربيع الكامل بالاهرة و ازداد على اقطاعه بوش و أعمال الجزيرة و سمند و غير ها قلت و قد وقفت على كتاب فاضلي وصف فيه غزاه غزاهما صلاح الدين رحمه الله في زمان وزارته و كان الكتاب الى مدينة قوص و أطن هذه الغزاة هي التي أسار اليها العماد في انشاء كلامه السابق أول الكتاب (و اهلها و ابنة من الله و فضل لم يسسهم سوء و اتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظيم) وفيه (نوجهنا من بركدنا لجنب يوم الخميس الحامس عشر من ربيع الأول و وصلنا بتاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور و العساكر السهل و الوعر من غزاه و اهتم على السهل و الصعب مزدحمه و جنود الله في الارض المعلة قد أيدتها جنود السماء المسومة و صابحنا الديار يوم الاربعاء بقتال جعل كل من في حصن الندير را هبا و نصبنا عليه مخبئقا لا يزال بشهاب النذف ضاربا فلما هالي النهار ما نكأ ربه و أطلقنا فيه النيران و رملنا الرجال بالدم و ارمنا بالنسوان و زحفنا الى ابراجه و هي ابراج قد استعدت للبلاب لمبا با جعلنا لكل واحد جورة مفردة و بابا و سرحنا اليهم رسل المنايا من النشاب و تصدنا أحد الابراج و البيوت تولى في الحرب من غير الابواب و قد تم اليها نقابة الخيامية فباتت لي لمتها تساوره و تراجع به بالسنة المعاول و تشاوره و اسفر الصبح و قد أمكن تعليقه و تيسر تحريقه فأودعنا تلك العقود آلات الوقود فلم يكن المقدار اشتعالها حتى خر صريع اسريعا و عفر بين أيدينا سامعنا مطيعا و انتزعت الرجال على أشجاره و تواثبت الى أمثاله من الابراج و أنظاره فحصلت في القبضه و عجز من كان فيها عن النضه و احتكم فيها العذاب بالسيف و النار و ضاق عليهم مجال النفس و الفرار و استقبلنا يوم الخميس نقب القلعة و تقديم المنجنيق و تيسر السبل للقتال و تخليص الطريق هذا و السواب و النهوب قد انارت منها العساكر و خرجت فيها مكذرات الدخائر و أشبه اليوم يوم تبلى السرائر و ظهر الارض منهم بالدم المائل فلما كان بكرة الجمعة و ردتنا الاخبار بأن الملك قد زحف من غزوة في فارسه و راجله و راحه و نابله و حشود دياره و جنود أنصاره فركبنا مستبشرين برحنه و وقنين بمخفته و لقيناه فاحطنا من بين يديه و من خلفه و ناوشته الخيل الطراد و احدثت به احداق الاغلال بالاجياد و انتظرت حملته التي كانت لها قبل ذلك اليوم موقع و صدمته التي لها من رجال الحرب موضع فلا والله قلبه رعبا و ثني صدقه كذبا و لم يرل يخال و لا يقاتل و يواصل المسير و لا يطاول و القتل في أعقابيه و أيدى السيوف و سواعد الراح لا تنى في عقابه حتى تحصل في الدير هو و خيله و رجليه و لم يبق له من ملك الشام الا ما و طشته رجليه فناصرناه

فناصبناه الحصار في ليلة السبت مستهل ربيع الآخر بالركوب اليه والوقوف عليه لعل يبرز ويبارز ويخرج ولا يحاجز فخرست غماغم واستذابت ضراغمه فتركناه وراء ظهورنا وجعلنا بلادهم امام صدورنا فكنا في تواليته مرضين لله سبحانه لا مغضبين وفي تركه وراء ظهورنا ومباعدته من الله متقربين وواجهنا غزوة بعساكرنا المنصورة وأطفئنا بها في أحسن صوره وهي على ما علم من كونها بكر الم تفتت عنها الحوادث وحصاننا لم يطعمها أمل طامث هي معقل الديوية الذين هم جرة الشرك وداهية الافك وأتى الله بيننا وبينهم القواعد وأنجز فيها من النصر صادق المواعد ووردناها بأمن الموارد وفتحناها من عذة جوانب ووطئناها واذا هي كأمس الداهب فألقت النبال فلا ذكبتها وذخيرتها من بين مواش يخرب البلاد التي منها خرجت وخيول مسومة كانها الركونا أسرجت وألجت وحوامل أثقال وزوامل خففت عن عساكرنا وفرجت وميرة كثيرة تمكنت منها يد الاجناد وأفرجت وأسارى المسلمين فكروا من القيد والقد وأنقذوا بلطف الله من سوء المكيدة وشدة الجهد فأما الرأس المقطوعه وأسارى الفرنج الذين أيديهم الى أعناقهم مجموعهم فان الفضاء الفضي تعصف من دمائهم وتذهب وجرى من مهابه اضطرم وقد الحميم وتلهب وفي الحال أمرنا بالنار ان تشتعل بها وتشتعل وبالهدم ان ينقل عنها معاوله وينتقل فهل ترى لهم من باقيه أوتنظر الاطلاولا على عروشها خاويه وعراصام سكانها خاليه قديقية عبرة للعابرو دكرى للذاكر وموعظة سارة للمسلم مرعة للكافر ثم عدنا بقية يوم السبت الى الملك خذله الله راجين ان يحمله السكل على الاقدام ويخرجه حر النار الى مقام الانتقام فاذا شيطانه فدنيحه وقتل أصحابه قد جرحه فبنا عليه والالاسنة بفرارده تعيره واستناره يقرعه ويقرره وأصبحنا يوم الاحد ثاني شهر ربيع الآخر والكسب قد أثقل المقاتله ونصر الله قد بلغ الغاية المسبأصله ورحلنا والاسلامه لصغير عسكرنا وكبيره شامله والعدو قد غزى في عقره وعقر وأذل في دار ملكه وأحققر ووصلنا الى مستقر سلطاننا في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور فاستقبلنا مولانا صلوات الله عليه وتسريفة واستقبال ركاينهم ومشافهتنا بقبول دعائه الشريف ومحابه ما عظمت به النعم وجلت وزالت به وعشاء الطريق وتجلت وجادتها سماء انعامه التي لم تزل تجودنا واستلمت قلت ومن قصيدة للعمار في مدح صلاح الدين أولها

(فؤاد بنار الشوق والوجد محرق) يتولى فيها

لعل بني أيوب ان علموا بما \* تطلبت منه ان يرقوا ويشعقوا  
غزوا عقردار المشركين بغزة \* جهارا وطرف الشرك خزيان مطرق  
وزاروا مصلى عسقلان بارعن \* بفيض اناء البر مننه ويفهق  
وكانت عل ما شاهد الناس قبلهم \* طرائق من سوك الله ليس تطرق  
وما عصمتهم منك الامعاقل \* تأنوا على تحصيلها وتأنقوا  
جلبت لهم من سورة الحرب ما التقى \* بوادره سور عليهم وخندق  
وأخربت من أعمالهم كل عامر \* يتربه طيف الخيال فيفرق  
أضفت الى أجر الجهاد زيارة الـ \* خليل فأبشرات غازموق  
وهيئت للبيت المقدس لوعة \* يطول بهامنه اليك التسوق  
تنشق من ملقك أعظم نحة \* تطيب على قلب الهدى حين تنشق  
وغزولك هذا سلم نخوفحه \* قريبا والارائد ومطرق  
هو البيت ان تفتحته والله فاعل \* فابعده باب من الشام مغلق

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة) لإفاستفتحها صلاح الدين رحمه الله باقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بمصر لبني العباس وفي الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر خلفاء مصر وتوفى العاضديوم عاشوراء بالقصر وانقضت تلك الدولة بانتهاء مادام لها من العصر وذكر العباد أيضا في أخبار سنة اثنتين وسبعين كما سيأتي ان الذي خطب بمصر لبني العباس وأولاهو أبو عبد الله محمد بن المحسن بن الحسين بن أبي المصطفى العلبي وذكر ذلك أيضا ابن الديلمي في تاريخه وقد أشار اليه القاضي الفاضل في كتاب له الى وزير بغداد سيأتي ذكره قال ابن الاثير كان السبب في ذلك ان

صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبتت قدمه في مصر وزال الخائفون له وضعف أمر العاضد وهو الخليفة بها ولم يبق من  
العساكر المصرية أحد كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية  
فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وإنه متناعهم من الإجابة إلى ذلك ما يلهم إلى العلويين فلم يصغ نور الدين  
إلى قوله وأرسل إليه يلزمه بذلك الزمالة ففتح له فيه واتفق أن العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع  
الخطبة له فاستشار الأمر كيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية ففهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من  
خاف ذلك إلا أنه لم يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمير العالم وقد رأياه  
بالموصل كثيرًا فلما رأى ما هم فيه من الاحتجاج قال أنا ابتدى بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب  
ودعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر ذلك أحد عليه فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع  
خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عزان وكتب بذلك إلى سائر الديار  
المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك وقالوا إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن نعوض  
عليه هذه الأيام التي قد بقيت من أجله فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم قال ولما توفي جلس صلاح الدين للعرزاء واستولى على  
قصره وعلى جميع ما فيه وكان قدر تب فيه قبل وفاة العاضد بها الدن قرقوش وهو خصي لحفظه وجعله كاستبازدار  
العاضد لحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكل لحفظهم وجعل أولاده وعمومته  
وأبناءهم في الأيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان بالقصر من العبيد والاماء فاعتق البعض  
وهرب البعض وابع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره مر الأيام وتعاقب  
الدهور قال ولما استدمر صلاح الدين فظن أن ذلك خديعة فلم يرض اليه فلما توفي علم  
صدقه فندم على تخلفه عنه قلت أخبرني الأمير أبو الفتح بن العاضد وقد اجتمعت به سنة ثمان وعشرين وستائة وهو  
محبوس مقيد بقلعة الجبل بمصر أن أباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضره وأحضر زنايعي أولاده وهم جماعة  
صغار فأوصاه بما فاتلزم أكرامنا واحترامنا رحمه الله وأماند صلاح الدين فبلغني أنه كان على استجماله بقطع خطبته  
وهو مريض وقال لو علمت أنه يموت من هذا المرض ما تطعمته إلى أن يموت قال العماد وجلس السلطان للعرزاء وأغرب  
في الحزن والبكاء وبلغ الغاية في أجال أمره والتوديع له إلى قبره ثم تسلم القصر بما فيه من خزانته وفاتته وكان مذ  
نافق مؤتمن الخلافة وقتل صرف من هو زمام القصر وعزل ووكل بها الدن قراقوش بالقصر وجعله زمامه واستنابه  
مقام نفسه وإقامه فادخل إلى القصر شيء ولا خرج إلا رأى منه ومسمع ولا حصل أهل القصر بعد ذلك على صفو مشرع  
فلما توفي العاضد بطلت تلك القواعد وهت المعاهد وأمر السلطان الاحتياط على أهله وأولاده في موضع خارج  
القصر جعله برسمهم على الانفراد وقرر ما يكون لهم برسم المكسوات والاقوات والارواد قلت أخبرني أبو الفتح أنه  
جعلهم في دار بر جوان في الحارة المنسوبة إليه بالقاهرة وهي دار كبيرة واسعة كان عيسهم فيها طيبا ثم نقلوا بعد الدولة  
الصلاحية منها وابتعدوا عنها قال العماد وهم إلى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكأؤهم ويحرسهم  
بعين حزمه في ليله ونهاره وجع الباقيين من عمومتهم وعترتهم من القصر في أيوان واحترز عليهم في ذلك المكان بكل  
امكان وابتعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا فيكثروا وهم إلى الآن محصورون محسورون لم يظهروا وقد نقص عددهم  
وقلص مددهم ثم عرض من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدة والعديد والظربف والتلبد فوجد أكثرهن حرائر  
فاطلقهن وجع الباقيات فوهبن وفرقهن وأخلى دوره وأغلق قصوره وسلط جوده على الموجود وابتل الوزن  
والعدع الموزون والمعدود وأخذ كل ما صلح له ولا خله وأمرائه والخراص ممالكه وأولياته من أخائر الذخائر وزواهر  
الجواهر ونفائس الملابس ومحاسن العرائس وقلائد الفرائد والدرة اليتيم والياقوتة العالية الغالية القيمة  
والمصوغات التبرية والمصنوعات العنبرية والأواني الفضية والنسوانى الصينية والمنسوجات المغربية والمزجات  
الذهبية والمحركات النضارية والكرائم واليتائم والعقود والتمائم والنقود والمنظوم والمنضود والمحلول والمسدود  
والمنعوت والنحوت والدر والياقوت والحلى والوشى والعبير والحبير والونير والنشير والعيني واللجيني والبسط  
والفرش وما لا يعد احصاء ولا يحصى استقصاء فوقع فيها الفناء وكشف عنها الغطاء وأسرف فيها العطاء وأطلق البيع

## في اخبار (١٩٥) الدولتين

بعد ذلك في كل حدث وعميق ولبس وسحق وبال واسمال ورخيص وغال وكل منقول ومجول ومصوغ ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتنقلت الى البلاد باي المسافرين الواردين والصادرين ونقلت من ديوان العباد بخطه قال وما وصل خبر موت العاصد الذي كان بمصر في القصر موسوما بالامر في ايلة عاشوراء سنة سبع

وستين بعد الخطبة بالمستضي بالله أمير المؤمنين علمت هذه الايات فذكر قصيدة منها

توفي العاصد اندى لها \* يفتح ذوبدعة بمصر فما

وعصر فرعونها انقضى وغدا \* يوسفها في الامور محتكما

وانطعأت جرة الغواة وقد \* باح من الشرك كلما اضطرها

وصار عمل الصلاح ملتثما \* بها وعقد السداد منتظما

لما غدا معلنا شعار بني العباس حقا والباطل اكتمما

وبات داعي التوحيد منتصرا \* ومن دعاء الاشراك منتقما

وظل أهل الضلال في ظلال \* داجية من غيابة وعي

وارتبك الجاهلون في ظلم \* لما أضأت منابر العلم

وعاد بالمستضي ممتدا \* بناء حق قد كان منه دما

واعملت الدولة التي اضطهدت \* وانتصر الدين بعد ما هتظما

واهتز عطف الاسلام من جذل \* وافترق نعر الايمان وابتما

واستبشرت أوجه الهدى فرحا \* فليقرع الكفر سننه ندما

عادرهم الاعداء منتك السحى وفئ الطغاة مقتسما

قصور أهل القصور اخرجها \* عامر بيت من الكمال دما

ازعج بعد السكون ساكنها \* ومات ذلا وانفسه رغما

ومن كتاب فاضلى عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد على الخطيب عيسى الدين بن أبي المضا في بعض السنين كتب الخادم هذه الخدمة من مستقر دوين الولاء مشروع وعلم الجهاد مرفوع وسود السواد متبوع وحكم السداد بين الامة موضوع وسبب الفساد مقطوع ممنوع وقد نالت الفتوح عربا ويناوساما وصارت البلاد بل الدنيا والشهر بل الدهر حراما فاضحى الدين واحد ابدا كذا دينا والخلافة اذ اذكر بها اهل الخلاف لم يخبر واعليها الاصنام وديانا والبدعة خاسعه والجمعة جامعها والمذلة في شيع الضلال شائعها ذلك بانهم اتخذوا عباد الله من دونه اولياء وسموا اعداء الله اصدقاء وتقطعوا أمرهم بينهم شيعة وفروا أمر الامة وكان مجتمعها وكذبوا بالنار فجعلت لهم نار الختوف ونثرت اقلام الظالمين رؤسهم نثر الاقلام للبروف ومزقوا كل ممزق واخذ منهم كل ممزق وتطع دابرهم وعظا ايهم غابرهم ورعت انوفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمة تسريدا وقتلا وتمت كلمات ربك صدفا وعدلا وليس السيف عن سواهم من كفار الفرج بصائم ولا الليل عن سير اليهم بنائم ولا خفاء عن المجلس الصاحب ان من شد عقد خلافه وحل عقد خلاف وقام بدولة وقعد باخرى قد عجز عنم الاخلاف والاسلاف فانه مفتقر الى أن يشكر مانصحه ويقلدهما فتح وبلغ ما اقترح ويقدم حقه ولا يارح ويقرب مكانه وان نزع وثانية التشرىفات الشريفه وتتواصل اليه امداد التقويات الجليلة اللطيفة وتبلي دعوتها أقام من دعوه وتوصل غزوته بما وصل من غزوه وترفع دونه الحجب المعترضه وترسل اليه السحب المروضه فكل ذلك تعود عوائده وتبدد فوائده بالدولة التي كشف وجهه لنصرها وجرد سيفه لرفع منارها والقيام بأمرها وقد أتى البيوت من ابوابها وطلب النجعة من سحابها ووعدا مالها الواثقة بجواب كتابها وانقض لا يصال ملطفاته وتجزئ تسرياته خطيب الخطباء بمصر وهو الذي اختاره لصعود درجة المبروقام بالامر قيام من بر واسنفتح بلباس السواد الاعظم الذي جمع الله عليه السواد الاعظم املا انه يعود اليه بما يطوى الرجاء فضل عقبه ويخلد الشرف في عقبه

ولصاحبنا محمد الدين محمد بن الظهير الاربلي من قصيدة في مدح بعض ذرية السلطان رحمه الله تعالى

## كتاب (١٩٦) الروضين

ملك من القوم الذين رماهم \* دعائم هذا الدين في كل مشهد  
 هم نصر والتوحيد نصر ومؤزرا \* به عز في الآفاق كل موحد  
 وهم قهر واغلب الفرع بآسهم \* فداؤهم بالرغم لا عن تودد  
 وردوا إلى البيت المقدس نوره \* وقد كان في ليل من الشرك اسود  
 وهم سهل واسبل الحجج وآمنوا \* بها الركب خوفا الكافر المتشدد  
 وقد ركبت فرسانه بحرايلة \* يخوضون في بحر من الكيد مزبد  
 وهم رجعو مصر إلى دعوة الهدى \* بعزم ورأى في العظام محصد  
 وهم شيدوا ركن الخلافة بالذى \* أعادوه من حق طريف وملتد  
 وهم شرفوا قدر المنابر باسمها \* وذكر منوط بالرسول محمد  
 وهم وهبوا عز الممالك وآتفوا \* بسم العوالي والعلاء المشيد  
 فصل عن ظاههم يوم حطين كم قضت \* بمرمى الله في كل أصيد  
 وضعف حديث العدل والبأس والندى \* إذا كان عن أيامهم غير مسند

وقال ابن أبي طي الحلي قد قدمنا ذكر مكتبة نور الدين والحاجه على صلاح الدين في إقامة الخطبة بمصر للعباسيين  
 وأنه أنفذ إليه اباه الأمير نجم الدين أيوب لأجل ذلك لما كتب الخليفة المستنجد إلى نور الدين في ذلك ولما ولي ابنه  
 المستنجد قبل ابضا على مكتبة نور الدين فيه والحاج نور الدين على صلاح الدين في طلبه وافضى به الأمر إلى أنه اتهم  
 صلاح الدين وسنعه عليه بسببه وأكثر القول في ذلك ولما قدم الأمير نجم الدين حده على فعل ذلك فاعتذر إليه بأن  
 أحواله لم تستقر بعد وأمواره مضطربة وأعداؤه كثيرون وأن المصريين لهم جماعة كبيرة متمفرقة في بلاد مصر من  
 السودان وغيرهم وأن هذا الأمر لم يؤخذ على التدريج والافسدت أحواله فلما أوقع السلطان الملك الناصر  
 بالسودان والأمر ونكب أمر المصريين وقطع أخبارهم وترك أجنادهم في دورهم ثم قطع أقطاع العاضد وقبض  
 جميع ما كان بيده من البلاد واستولى على القصور وكل بها ومن فيها قرا قوش الخادم وخلت له بلاد مصر من معاند  
 ومناذ ثم شرع وأبطل من الأذان حتى على خير العمل وانكر على من يتسم بهذهم والانتساب إليهم فلما رأى أموره  
 مواءمه وأعداؤه قلبون سرع حينئذ في الخطبة لبني العباس ولما عول على ذلك أمر والده الأمير نجم الدين بالزول  
 إلى الجامع في جماعة من أصحابه وأمره دولته وذلك في أول جمعة من السنة وأمره أن يحضر الخطيب إليه ويأمره بما  
 يختاره وأما فعل الملك الناصر ذلك وكل الأمر إلى غيره استظهارا وخوفا من فادحة رما طرأت أو عدور بها نار  
 فيكون هو معتذر من ذلك ولما حصل نجم الدين بالجامع أحضر الخطيب وقال له إن ذكرت هذا المقيم بالقصر ضربت  
 عنقك فقال فلم أخطب قال للمستضي العباسي فلما صعد المنبر وخطب ووصل إلى ذكر العاضد لم يذكر  
 أحد الكنه دعا لائمة المهديين وللسلطان الملك الناصر ونزل فقبل له في ذلك فقال ما علمت اسم المستضي ولا نعوته  
 ولا تقر رمعي في ذلك شيء قبل الجمعة وفي الجمعة الثانية أفعل أن شاء الله ما يجب فعله في تحرير الاسم واللقاب على جرى  
 العادة في مثل ذلك قال وقيل إن العاضد لما اتصل به ما فعل من قطع اسمه من الخطبة قال لمن خطب قبل له لم يخطب  
 لأحد مسمى قال في الجمعة الأخرى يخطبون لرجل مسمى واتفق أنه مات قبل الجمعة الثانية قيل أنه أفكر واستولى عليه  
 الفكر والهمل حتى مات وقيل أنه لما سمع أنه قد تمت خطبته أهتم وقام ليدخل إلى داره فعثروا سقطا فقام متعللا خمسة أيام  
 ومات وقيل أنه امتص فص خاتمه وكان تحتة سم فمات ولما اتصل بموته بالملك الناصر قال لو علمنا أنه يموت في هذه الجمعة  
 ما غصصناه برفع اسمه من الخطبة فذكر أن الفاضل قال للسلطان لو علم أنكم ماتر فعون اسمه من الخطبة لم  
 يمت أشار إلى أن العاضد قتل نفسه وكان موته يوم عاشوراء قال وحكى ابن المارستان في سيرة ابن هبيرة الوزرير قال  
 أن من عجيب ما جرى في أمر المصريين أن رأى انسان من أهل بغداد في سنة خمس وخمسين وخمسة مائة كأن  
 قرين أحدهما أنور من الآخر والأنور منهما مسامت للقبلة وله لحية سوداء فيها طول ويهب أدنى نسيم فيحركها وأثر  
 حركتها وظلها في الأرض وكان الرجل يتعجب من ذلك وكأنه سمع أصوات جماعة يقرؤن بالحن وأصوات لم يسمع

## في اخبار (١٩٧) الدولتين

قط مثلها وكأنه سأل بعض من حضر فقال ما هذا افتما لو اقد استبدل الناس بامامهم قال وكان الرجل استقبل القبلة وهو يدعوا الله ان يجعله اماما برّ اتقيا واستيقظ الرجل وبلغ هذا المنام ابن هبيرة الوزير اذ كان في بغداد فغير المنام بأن الامام الذي بمصر يستبدل به وتكون الدعوة لبني العباس لمكان الخليفة السوداء وقوى هذا عنده حتى كاتب نور الدين حين دخل أسد الدين الى مصر في أول مرة بأنه يظفر بمصر وتكون الخطبة لبني العباس بها على يده وقيمت في ذلك الزمان اشعار في هذا منها قصيدة شمس المعالي أبي الفضائل الحسين بن محمد بن تركان وكان حاجب ابن هبيرة قالها حين سمع تأويله المنام

لتهنك يا مولى الانام بشارة \* بهاسيف دين الله بالحق مرهف  
ضربت بها هام الا عادي بهمة \* تقاصر عنها السهمري المثقف  
بعثت الى شرق البلاد وغربها \* بعوثا من الاراء تحبي وتلف  
فقامت مقام السيف والسيف قاطر \* ونابت مناب الرمح والرمح يعرف  
وقدت لها جيشا من الروح هائلا \* الى كل قلب من عدائك يعرف  
ملكته به أقصى المغارب عنوة \* وكادت بمن فيها المشارق ترجف  
لهنك يا مولاي فتحات تابت \* اليك به حوص الركائب توجف  
أخذت به مصر او قد حال دونها \* من الشرك ناس في لهي الحق تقذف  
وقد دنست منها المنابر عسبة \* يعاف التقي والدين منهم ويأفف  
فظهرها من كل شرك وبدعة \* أغرّ غرير بالمكارم يشغف  
فعدت بحمد الله باسم امامنا \* تتيه على كل البلاد وتشرف  
ولا غروا ن دانت لموسى مصره \* وكانت الى عليائه تشوق  
تملكها من قبضة الكفر يوسف \* وخلصها من عسبة الرض يوسف

قال يحيى بن أبي طى يريد يوسف الأول يوسف الصديق النبي صلى الله عليه وسلم ويوسف الثانى المستنجد بالله الخليفة يومئذ و قاله على سبيل الفال ألا زاه قال بعد هذا البيت

فسأبته خلقا وخلقوا وعفة \* وكل عن الرحمن في الارض يخلف

وجرى الفال في البيت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لان المستنجد مات قبل تغيير الخطبة لبني العباس وهذا من عجيب الاتفاق قلت وذكر ابن المارستانى في السيرة المذكورة وكان هذا المنام سببا الى ان كاتب الوزير ابن هبيرة نور الدين بن زنكي يحمله على التعرض لمصر والبعث اليها واتفق في أثناء ذلك نوبة شاور وزير صاحب القصر وقدومه هاربا منه الى نور الدين فترك ذلك ما كان تخمر في نفسه مما كان كاتبه به ابن هبيرة فاستطلع من شاور الاسباب التي يمكن بها الدخول على المصريين فسرّحها وأوضحها فسير اليها أسد الدين كما سبق ذكره قال ولما قطعت خطبة العاصدا استطال أهل السنة على الاسماعيلية وتبعوهم وأذلّوهم وصاروا لا يقدرّون على الظهور من دورهم واذا وجد أحد من الأتراك مصر يا أخذ ثيابه وعظمت الازية بذلك وجلى أكثر أهل مصر عنها الى البلاد وفرح الناس بذلك وكتب الكتب به الى الاقطار وتحدّث به السمار ولما وصل خبر ذلك الى نور الدين ندب للشارة الى بغداد شهاب الدين أبى المعالى المطهر بن أبى عسرون وكتب معه نسخة بشارة نقرأ بكل مدينة يترّ بها يقول فيها (اصدرنا هذه المكتابة الى جميع البلاد الاسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا راجه وأوضح لنا منها جبه وهو ما اعتمدناه من اقامة الدعوة الهادية العباسية بجميع المدن والبلاد والاقطار والامصار المصرية والاسكندرية ومصر والفاخرة وسائر اطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة وانتهت الى القريب والبعيد والى قوص وأسوان بأقصى الصعيد وهذا شرف لزماننا هذا وأهلنا نفخر به على الازمنة التي مضت من قبله وما برحت همنا الى مصر مصر وفه وعلى افتتاحها موقوفه وعزائمنا في اقامة الدعوة الهادية بها ماضيه والاقدار في الازل بقضاء أرائنا وتبجيز مواعيدنا قاضيه حتى ظفرنا بها بعد يأس الملوك منها وقد رنا عليها وقد عجزوا عنها وطامنا مرّت عليها الخقب



## كتاب (١٩٨) الروضتين

الخوالى وآبت دونها الايام والاليالى وبقيت مائتين وثمانين سنة ممنوعة بدعوة المبطلين مملوءة بحزب الشياطين سابعة  
 ظلالها للضلال مقفرة المحل الامس المحال مفتقرة الى نصرة من الله يملكها ونظرة ستدرها رافعة يدها في أشكائها  
 متظنة اليه ليكفل باعدائها على أعدائها حتى أذن الله لفتحها بالانفراج ولعلتها بالعلاج وسبب قصدها لفتح لها  
 وتوجههم اليها طمعاً في الاستيلاء عليها واجتمعوا أن الكفر والبدعة وكلاهما شديدان روعه فلكن الله تلك  
 البلاد ومكن في الارض اوقد ناراً على ما كنا نؤمل في ازالة الاحاد والرفض من اقامة الفرض وتقدمنا الى  
 من استنباه ان يستفتح باب السعادة ويستخرج باب المآل من الارادة ويقوم الدعوة الهادية العباسية عن لاهوت  
 الادعياء ودعاة الاحاد المماليك وهو كلب طويل اختصرت منه الغرض وهو هذا قال وسار شهاب الدين بن أبي  
 عسرون الى جهة بغداد ولم يترك مدينة الادخلها هذه البشارة الجليلة القدر وقرأ فيها هذا المنشور العظيم الخطر  
 والذكر حتى وصل الى بغداد فخرج الموكب الى تلقيه وجميع أهل بغداد مكرمين لظهور وروده معظمين لجليل موروده  
 ونزلت عليه دنانير الانعام وحي بكل احسان واكرام وأرسلت التشرعيات الى نور الدين وصالح الدين كما سيأتي  
 ذكره وقال العماد كان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويعمل له على القوى الامين ويرجع في جميع  
 مصالحه الى رأيد المتين وقد كان كتبه نور الدين في شوال سنة ست وستين بتغير الخطبه وتذليل أمورها الصعبة  
 وافتراح بك هذه القضية وفرع الرتبة وأبقن ان أمره متبوع وقوله مسموع وحكمه مشروع ونطقت بذلك قبل التمام  
 ألسن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين أبا المعالي المطهر ابن الشيخ شرف الدين بن أبي عسرون بهذه  
 البشارة واساعة ما تقدم له بهامس الاشاعه وأمرني بانشاء بشارة عامة نقرأ في سائر بلاد الاسلام وبشارة خاصة  
 للديوان العزيز بحضرة الامام في مدينة السلام ثم ذكر نسخة الكتابين ونظامت قصيدة مستقلة على الخطبة بمصر أولها

قد خطبنا للمستضى بمصر \* نائب المصطفى امام العصر

وخذلنا النصر العنصر العنصر \* اضد والقاصر الذي بالقصر

أراد بالعضد دوزير بغداد عضد الدين بن رئيس الرؤساء قال العماد في كتاب الخريدة قصدت بالعضد والعضد  
 المجانسة ونصره وزير الخليفة كنصرته ثم قال

وأشعنا به انعار بنى العباس \* اس فاستبشرت وجوه النصر  
 وتركنا الدعوى بدعو ثبورا \* وهو بالدل تحت حجر وحصر  
 وتباهت منابر الدين بالخطب \* به لاهاسمى في أرض مصر  
 ولدينا تضاعت نعم الله \* وجلت عن كل عاين وحصر  
 فاعتدى الدين ثابت الركن في مصر \* رمحوط الحمى مصون النغر  
 واستنارت عزائم الملك العباس \* دل نور الدين الكريم الاغر  
 وبنو الاصفر القوامص منه \* بوجوه من الخفافه صفر  
 عرف الحق أهل مصر وكانوا \* قبله بين منكر ومقر  
 قل لداى الدعوى حسبك فالله \* اقرب الحق وخير مفر  
 هو فبحرودون السرايا \* خصنا الله بافتراح البكر  
 وحصلنا بالجد والاجرو النص \* روطيب الننا وحسن الذكر  
 ونشرنا اعلامنا السود قهرا \* للعدى الرزق بالمنايا الحمر  
 واستعدنا من ادعياء حقوقا \* بدعى بينهم لزيد وعمر  
 والذي يدعى الامامة بالقاهر \* تأنحط في حضيض القهر  
 خانه الدهر في مناه ولا يط \* مع ذواللب في وفاء الدهر  
 ما يقام الامام الابحى \* ما تحاز الحسناء الابهى  
 خلفاء الهدى سرا بنى العباس \* والطيبون أهل الطهر

بسم الله الرحمن الرحيم \* ظاهر رقة قوى الطاهر  
شمس النخعي كندل بدور الهم كالسحب كالبحر الزهر

قد بلغنا بالصبر كل مراد \* وبلغ المراد عقبي الصبر  
 ليس مثري الرجال من ملك الما \* لولسنا أحوال مثري

ولهذا لم ينتفع صاحب القصص — وقد شارف الدثور بدثر  
دام نصر الهدى بملك بني العباس — حتى يقوم يوم الحشر

بالعماد في ديوانه ونقلته من خطه قال ووصل الخبر ان الخليفة قامت في الاسكندرية يوم الجمعة سابع شهر رمضان وفي مصر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان مولوا بالامام المستعني بأمر الله أمير المؤمنين ووافاهم شعاب بن العباس بها فقلت ونحن نزول بجسر الخشب من دمشق في عاشر شوال فكتبت بها الى بغداد فذكر هذه القصيدة وقال في البرق يوصل من دار الخلافة في جواب هذه البشارة ٤٤٢ الدالدين بن حنبل ومومن أكبر الخدم المقتضية من ذوى الروية والهمة لقويته وتولى استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين عضد الدين عنهما فأكرم نور الدين بارسال مثله اليه وعول في هذا الامر المهم عليه وهو اكرم رسول وصل فانجح الامل وجاء بالتشريف الشريف لنور الدين مكملاً لمعظما بمجلا باحبته لسوء العراقيه وحلله الموشيه وطوقه التقييل ولوائه الجليل وعين يوم يحضر في الرسول ونصوا على من يحضر مجلس نور الدين واغفلوا ذكر العماد فطلبه نور الدين لما حضر ووافاه لقيام الرسل له لما حضر وقصده ان يعرفهم منزله عنده وناوله الكتاب ليقرأه قال فتناوله مني الموفق بن القيسراني خالد وكان عنده في مقام الوزير له اندياسا طرائد ندرية ومما رايته وتركته يقرأ وأنا أرتد عليه وأرشده في التلاوة الى ما لا يمتد الى حته انهاء وأبالي افتيات على انهاء فأعجب نور الدين صمعي وسمعي وأحمدني فصل الثانی والتأني واجتباب الالهة ولبس الفرجية فوقها وتقلد مع تقلد السيوفين طوقها وخرج وركب من داخل القلعة وهو حال بما عليه من الحلعة واللواء منشور والنصاره من نور المركان الشريفان أحدهما موكبه والاخر بحليته مجنوبه قال وسألت عن معنى تقليده السيوفين فقيل لي هما للسام مصر وللجمع له بين السلاطين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى منتهى الميدان الاخصر ثم عاد شريف المنخر جميل المنظر جليل المحضر حميد الخبهر سعيد المورد والمصدر لبني قابلا لعظمى السرير والمنبر وكان وزن الطوق مع كرتة ألف دينار من الذهب الاحمر وجلوا لصالح الدين تشريفا فاضلا فائرا ثارعا لجمالته وكماله لثاقلا لكن تشريف نور الدين أمير وأفضل وأجل واكمل فسير تشريفه برمته اليه بمصر ليحظى به وسير أيضا بخلع من عنده يكرم بها أصحابه وصلت تلك الخلعة اليه ولبسها وأنس من السعادة دائمة ببقيتها وظاف بها في الحادى والعشرين من رجب وهى ولأهبة عباسيه دخلت الديار المصرية يعنى بعد استيلاء بنى عبيدة عليها قال وكانت وصلت مع الرسل اعلام وبنود رايات سود واهب عباسيه للخطباء في الديار المصرية فسهبت الى صلاح الدين ففرقها على المساجد والجوامع الخطباء والقضاة والعلماء والمحدثه على ما أنعم وأولى ووهب وأعطى قال ابن أبى عمير ومافرق السلطان من أمر الحديبة من القبض على القصور وجميع ما فيها من مال وذخائر وفرش وسلاح وغير ذلك فلم يوجد من المال كبير أمر لان سادس كان قد ضيعه في اعطائه الفرج في المرات التي قد منادى كرها ووجد فيها ذخائر جليله من ملابس وفرش وخيول وخيام يكثر وجواهر ومن عجيب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله سبر وكسره هو قطعة واحدة وكان سميت حجمه مقدار الانعام ووجد فيه طبل للقولنج ووجد فيه أبريق عظيم من الحجر المانع ووجد فيه سبع مائة قيمة من الجوهر فأما قضيب الزمرد فان السلطان أخذاه وأحضر صانع اليه ليقطعه فأبى الصانع قطعه فرماه السلطان فانقطع ثلاث قطع وفرقه السلطان على نسائه وأما طبل القولنج فانه وقع الى بعض الاكراد فلم ير ما هو فكسره لانه ضرب به فحبق وأما الابريق فانه فرقه السلطان الى بغداد واحتاط السلطان على أهل العاصمه وأولاده في موضع في خارج القصر جعله برسمهم على الافراد وقرر لهم ما يكفهم وجعل أمرهم الى قراقوش الخادم وفرق بين النساء والرجال ليكون ذلك أسرع الى انقراضهم واستعرض من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدّة والعديد والطريف والتليد فأطلق من كان منهم حرا وأعتق من رأى اعتاقه ووهب من أراد هبته وفرق على الامراء والاصحاب من نفائس القصر وذخائره شيأ كثيرا

## كتاب ( ٢٠٠ ) الروضين

وحصل هو على البيتمات وقطع البلخس والياقوت وقضيب الزمرد وأطلق البيع بعد ذلك في كل جديد وعميق فأقام البيع بالقصر مدة عشر سنين قال ومن جملة ما باعوا خزائن الكتب وكانت من عجائب الدنيا لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري ويقال انها كانت تحتوى على ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة شيء كثير وحصل للقاضي الفاضل قدر من أكبر حيث شغف بحبها وذلك انه دخل اليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه في بركة كانت هناك فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخدرومات ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل ما حصل من الكتب كذا أخبرني جماعة من المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى بن محمد واقتسم الناس بعد ذلك دور القصر وأعطى السلطان القصر السما لى لامرأه فسكنوه وأسسكن أباه نجم الدين في الدولة وهو قصر عظيم على الخليج الذى فيه البستان الكافورى ونقل الملك العادل الى مكان آخر منه وأخذ باقى الامراء مكان دور من كان ينتمى اليهم وزاد الامر حتى صار كل من استحسن دارا اخرج منها صاحبها وسكنها وانقضت تلك الدولة برمتها وذهبت تلك الايام بجمعتها بعد ان كانوا قد احتوا على البلاد واستخدموا العباد مائتين وثمانين سنة وكسورا قال وحكى ان الشريف الجليل وهو رجل كان قريبا من العاضد يجلس معه ويحدثه على دعوة لشمس الدولة بن أيوب أخى السلطان بعد القبض على القصور وأخذ ما فيها وانقراض دولتهم وغرم هذا الشريف على هذه الدعوة ما لا كثير أو حضرها أيضا جماعة من كبار الامراء فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدولة لهذا الشريف حدثني بأعجب ما شاهدته من أمر القوم قال نعم طلبنى العاضد يوما وجماعة من الندماء فلما دخلنا عليه وجدنا عنده مملوكين من الترك عليهم اقبية مثل اقبيةكم وقلانس كقلانسكم وفى أوساطهم مناطق كمناطقكم فلما ناله يا أمير المؤمنين ما هذا الزى الذى مارأينا قط فقال هذه هيئة الذين يملكون ديارنا ويأخذون أموالنا وذخائرا قال العماد وأخذت ذخائر القصر فقصصها كما سبق ثم قال ومن جلستها الكتب فاني أخذت منها جملة في سنة اثنتين وسبعين وكانت خزائنها مشتملة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة مؤبده من العهد القديم مخلدة وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته الايدى واقتطعه التعسدى وكانت كالمراث مع أمناء الايتام يتصرف فيها بشرة الاتهاب والالتهام ونقلت منها ثمانية اجمال الى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر وقصوره وشرع كل من سكن في تخريب معمره وانتقل اليه الملك اءادل سيف الدين لما ناب عن أخيه واستمرت سكناه فيه وخطب لاما منا المستضى فى قوص واسوان والصعيد والقاضى والدانى والقريب والبعيد وشاعت البشائر وذاعت المفاخر وسار بها البادى والحاضر وتملك السلطان أملاك أشياهم وضرب الألواح على دورهم ورباعهم ثم املكها امراءه وخص بها أوليائه وباع أماكس وذهب مساكن وعفى الآثار القديمة واستأنف السنن الكريمة وقال ابن الاثير لما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد وذهب أهله وأمرأه وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والعلاقات النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوكة قد جمع على طول السنين ومهر الدهور فنه القضيبي الزمرد طوله نحو قبضة ونصف والحبل الياقوت وغيرها ومن الكتب المنخبية بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد

(فصل) ولما خطب بالديار المصرية لبنى العباس ومات العاضد انقضت تلك الدولة وزالت عن الاسلام بمصر بانقراضها الدله واستولى على مصر صلاح الدين وأهله ونوابه وكاهن من قبل نور الدين رحمه الله هم أمرأوه وخدمه وأصحابه وفيهم يقول العرقلة

أصبح الملك بعد آل على \* مشرقا بالملوك من آل شاذى  
وغدا الشرق يحسد الغرب للقبو \* مومصر زهو على بغذاذ  
ماحووها الا بحزم وعزم \* وصليل الفولاذ فى الفولاذ  
لا كفرعون والعزير ومن كا \* ن بها كالحصيب والاستاذ

يعنى بالاستاذ كافور الاخشيدي وقوله بعد ال على يعنى بذلك بنى عبيد المستخلفين بها أظهر والناس انهم شرفاء فاطميون

فاطميون فلكوا البلاد وقهر والعباد وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء انهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف انهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القذاح المخداح المجوسى وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من أهل سلية من بلاد الشام وكان حدادا وعبيد هذا كان اسمه سعيدا فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم انه علوى فاطمى واُدعى نسب اليه ليس بصحيح بل يذكره أحد من مصنفى الانساب العلوية بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافه وهو ما قد مناذكره ثم ترقى به الحال الى أن ملك وتسمى بالمهدى وبني المهدي بالمغرب ونسبت اليه وكان زنديقا خبيثا عدا للاسلام متظاهرا بالاشيع متسترابه حريصا على ازالة الملة الاسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده اعدامهم من الوجود لتبقى العالم كلها فيهم فيمكن من افساد عقائدهم وضلالتهم والله متم نوره ولو كره الكافرون ونشأت ذريته على ذلك منظون يجهرون به اذا أمكنتهم الفرصة والأسروه والدعاة لهم منبشون في البلاد يضلون من أمكنهم اضلاله من العباد وبقي هذا البلاء على الاسلام من أول دولتهم الى آخرها وذلك من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع وستين وخمسمائة وفى أيامهم كثرت الرافضة واستحكمت أمرهم ووضعوا المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بشغور الشام كالنصيرية والدرزية والحشيدية نوع منهم وعمدكن رعائهم منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتكبروا من غيرهم وأخذت الفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة الى أن من الله على المسلمين بظهور البيت الاتاكي وتقدمه مثل صلاح الدين فاستردوا البلاد وأزالوا هذه الدولة عن ارباب العباد وكانوا أربعة عشر مستخلفا ثلاثة منهم بإفريقية وهم الملقبون بالمهدى والقائم والمنصور واحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزیز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والأمر والحافظ والظافر والفائز والعاقد يدعون الشرف ونسبتهم الى مجوسى أو يهودى حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية وانما هى الدولة المجوسية أو اليهودية الباطنية المخدعة ومن قباحتهم انهم كانوا يأمرون الخطباء بذلك على المنابر ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها وخطب عبيد الله الذى أخذهم الديار المصرية وبني لهم القاهرة المعزية بنفسه خطبة طويلة قال فيها (اللام صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العترة الهاضية المهدية معدأى نعيم الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه الطاهرين وسلائه المنتجبين الائمة الراشدين) كذب عدو الله اللعين فلا خير فيه ولا فى سلفه أجمعين ولا فى ذريته الباقين والعترة النبوية الطاهرة منهم بمعزل رحمة الله عليهم وعلى أمثالهم من الصدر الاول وقديين نسبهم هذا واضمح محالهم وما كانوا عليه من التويع وعداوة الاسلام جماعة من سلف من الائمة والعلماء وكل متورع منهم لا يسميهم الابنى عبيد الله ادعى أى يدعون من النسب بما ليس لهم ورحمة الله على القاضى أبى بكر محمد بن الطيب فانه كشف فى أول كتابه المسمى بكشف أسرار الباطنية عن بطلان نسب هؤلاء الى على رضى الله عنه وان القذاح الذى انتسبوا اليه دعى من الادعاء مخرق كذاب وهو أصل دعاة القرامطة لعنهم الله وأما القاضى عبيد الجبار البصرى فانه استقصى الكلام فى أصولها وبينها يا باشافيا فى آخر كتاب تثبيت النبوة له وقد نقلت كلامهما فى ذلك وكلام غيرهما فى محنة مصر تاريخ دمشق فى ترجمة عبيد الرحيم بن الياس وهومن تلك الطائفة الذين هم بئس الناس وهذا ان امان كبير ان من أئمة أصول دين الاسلام وأظهر عبيد الجبار القاضى فى كتابه بعض ما فعلوه من المنكرات والكفرات التى يقف الشعر عند استماعها وليكن لا بد من ذكر شئ من ذلك تنفير المن لعاد يعتقدا ماتهم ويخفى عنه محالهم ولم يعلم قباحتهم ومكابرهم وليعذر من ازال دولتهم وأما بدعتهم وقلل عدتهم وأفى أمتهم وأطفأ جررتهم ذكر عبيد الجبار ان الملقب بالمهدى لعنه الله كان يتخذ الجهال ويسلطهم على أهل الفضل وكان يرسل الى الفقهاء والعلماء فيذبحون فى قرشهم وأرسل الى الروم ويسلطهم على المسلمين وأكثرت الجور واستهفاء الاموال وقتل الرجال وكان له دعاة يضلون الناس على قدر طبعاتهم فبقولون لبعضهم (هو المهدي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجة الله على خلقه) ويقولون لآخرين (هو رسول الله وحجة الله) ويقولون لآخرى (هو الله الخالق الرازق) لا اله الا الله وحده لا شريك له تبارك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولما هلك قام ابنه المسمى بالقائم مقامه وزاد شره على شرايسه اضعافا

## كتاب (٢٠٢) الروضة

مضاعفة وجاهر بستم الانبياء فكان ينادى فى أسواق المهديّة وغيرها (ألعنوا عائشة وبعلمها ألعنوا الغاروماحوى) اللهم صل على نبيك وأصحابه وأزواجه الطاهرين والعن هؤلاء الكفرة الفجرة المحدين وارحم من أزالهم وكان سبب قلعهم ومن جرى على يديه تفريق جمعهم وأصلهم سعييرا ولقهم ثبورا واسكنهم النار جمعا واجعلهم ممن قلت فيهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (رجعنا الى الاصل) وبعث الى أبى طاهر القرمطى المقيم بالبحرين وحشه على قتل المسلمين واحراق المساجد والمصاحف وقام بعده ابنه المسمى بالمنصور فقتل أبى يزيد مخلدا الذى خرج على أبيه ينكر عليه فبجعه فعلة المقدم ذكره وسلحه وصلبه واشتغل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم خوفا من أن يشور عليه ناثر مثل أبى يزيد وقام بعده ابنه الملقب بالمعز فبث دعائه فكأنوا يقولون هو المهدي الذى يملك الارض وهو الشمس التى تطلع من مغربها وكان يسره ما ينزل بالمسلمين من المصائب من أخذ الرّوم بلادهم واحتجب عن الناس أياما ثم ظهوراً وهم ان الله رفعه اليه وانه كان غائبا فى السماء وأخبر الناس بأشياء صدرت منهم كان ينقلها اليه جواسيس له فامتلاّت قلوب العامة والجهال منه وهذا أول خائف خلفائهم عصر وهو الذى تنسب اليه القاهرة المعزية واستمدى بفقهاء الشام أبى بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملى وبعرف بابن النابلسى فحمل اليه فى قفص خشب فأمر بسلحه فسلخه واوحشى جلده تبنّا وصلب رحمه الله تعالى قال أنوذرا لهروى سمعت أبا الحسن الدارقطنى يذكره ويبكى ويقول كان يقول وهو يسلم كان ذلك فى الكاب مسطورا قلت وفى أيام الملقب بالحاكم منهم أمر بكتيب سب الصحابة رضى الله عنهم على حيطان الجوامع والقياسر والشوارع والظرفات وكتب السجلات الى سائر الاعمال بالنسب ثم أمر بقلع ذلك وأثار أتيته مقلوعا على بعض أبواب دمشق فى الامكئة العليا منقورا فى الحجر ودانى اول الكلام وأخره على ذلك ثم جدد ذلك الباب وأزيل الحجر وفى أيامه طوف بدمشق برجل مغربى ونودى عليه هذا جزاء من يحب أبابكر وعمر ثم ضربت عنقه وكان يجرى فى أيامهم من نحو هذا أشياء مثل قطع لسان أبى القاسم الواسطى أحد الصالحين وكان أذن بيت المقدس وقال فى أذانه حى على الفلاح فأخذ وقطع لسانه ذكر ذلك وما قبله من قتل المغربى وأبى بكر النابلسى الحافظ أبو القاسم فى تاريخه وما كانت ولاية هؤلاء الملاحين الاحمسة من الله تعالى ولهذا طال مدتهم مع قلة عدتهم فان عدتهم عدّ خلفاء بنى أمية أربعة عشر وأولئك بقوا نيفا وتسعين سنة وهؤلاء بقوا مائى سنة وثمانى وستين سنة فالجدل على ما يسر من هلكهم وابداء مملكتهم ورضى الله عن سعى فى ذلك وازالهم ورحم من بين مخرقتهم وكذبهم ومخالهم وتكسف أيضا حالهم الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن نصر الشاسى فى كتاب الرد على الباطنية رد كرفبايح ما كانوا عليه من الكفر والمنكرات والفواحش فى أيام نزار وما بعده ووصل الامر الى ان وصف بعضهم ما كانوا فيه فى قصيدة سماها الايضاح عن دعوة القذاح أولها

حى على مصر الى خلع الرسن \* فم تعطيل فروض وسن

وقال لو وفق ملوك الاسلام لصرفوا أعنة الخيل الى مصر لغزو الباطنية الملاحين فانهم من شر اعداء دين الاسلام وقد خرجت من حد المناقين الى حد المجاهر فى ممالك الاسلام من كفرها وفسادها وتعين على الكافة فرض جهادها وضررها هؤلاء أشد على الاسلام وأهلها من ضرر الكفار اذا لم يقم بجهادها أحد الى هذه العاية مع العلم بعظيم ضررها وفسادها فى الارض قلت ثم انى لم يقنعنى هذا من بيان أحوالهم فأفردت كتابا بذلك سمعته كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والماكر والاكيد فن أراد الوقوف على تفاصيل أحوالهم فعليه به فانى بتوفيق الله تعالى جمعت فيه ما ذكره هؤلاء الاثمة المصنفون وغيرهم ووقفت على كتاب كبير صنفه الشريف الهاشمى رحمه الله وكان فى أيام الملقب بالعزى ثانى خلفاء مصر فبين فيه أصولهم اتم بيان وأوضح كيفية ظهورهم وغلبتهم على البلاد وتبع ذكر فضائلهم وما كان يصدر منهم من انواع الزندقة والفسق والخرفة فنقلت منه الى ما كنت جمعته قطعة كبيرة وبالله التوفيق وما أحسن ما قال فيهم بعض من مدح بنى أيوب بقصيدة منها

أستم من بلى دولة الكفر من بنى \* عبيد مصر ان هذا هو الفضل  
زادقه شيعية باطنية \* مجوس وما فى الصالحين لهم أهل  
يسرون كفرا يظهرون تشيعا \* ليستروا شيئا وعهم الجهل

## في اخبار (٢٠٣) الدولتين

اما فعله هؤلاء من الانتساب الى علي رضوان الله عليه والتستبر بالتشيع قد فعله جماعة القرامطة وصاحب الزنج وخارج بالبصرة وغيرهم من المغسدين في الارض على ما عرف من سيرهم من وقف على اخبار الناس وكانهم كذبة في ذلك وانما غرضهم التقرب الى العوام والجهال واستتباعهم لهم واستجلابهم الى دعوتهم بذلك البلاء ويفعل الله ما يشاء ولا يغتربايات الشريف الرضي في ذلك فقد حصل الجواب عن في كتاب الكشف بوجوه حسنة وبالله التوفيق وقد صنف الشريف العابد المشقي رحمه الله كتابا في باطل نسبهم الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفصل ذلك تفصيلا حسنا وأطنب في ذكر أخبار اخوانهم من القرامطة لعنهم الله تعالى

**(فصل)** في ذكر غزو الفرنج في هذه السنة قال ابن شداد واستمرت الفواعل على الاستقامة وصلاح الدين كلما استولى على خزائن مال وهبها وكلما فبح له خزائن ملك انهمها ولا يفي لنفسه شيئا وشرع في التناهب للغزاة وقصد بلاد العدو وتعبية الامر لذلك وتقرر رقاؤه وأما نور الدين فانه عزم على الغزاة واستدعى صاحب الموصل ابن أخيه فوصل بالعساكر الى خدمته وكانت غزوة عرفا فأخذها نور الدين ومعه ابن أخيه في المحرم سنة سبع وستين وقال ابن أبي طي جمع نور الدين عساكره وخرج الى عرقة ونازلها وفاتلها أياما حتى فتحها واحتوى على جميع ما فيها وغنم الناس غنية عظيمة قال ابن الأثير خرجت مراكب من مصر الى الشام فأخذ الفرنج في اللادقية مر كمين منها مملوكين من الامتعة والتجار وغدروا المسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فنهكوا فلما سمع نور الدين الخبر استعظمه وراسل الفرنج في ذلك وأمرهم بعادة ما أخذوه فغالطوه واحتجوا بأمرهم ان المركبين كانا قد دخلهما ماء البحر لكسر فيه ما وكانت العادة بينهم أخذ كل مركب يدخله الماء وكانوا كاذبين فلم يقبل مغالطتهم وكان رضى الله عنه لا يميل أمرا من أمور رعيته فلم يردوا شيئا فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيرة وبث السرايا في بلادهم بعضهم نحو انطاكية وبعضهم نحو طرابلس وحصره وحصن عرقة واخبر برضه وارسل طائفة من العسكرة الى حصن صافيتا وعرصة فأخذها عنوة وكذلك غيرها ونهب وخرب وغنم المسلمون الكثير وعادوا اليه وهو بعرة فسار في العساكر جميعها الى قريب طرابلس يخرب ويحرق وينهب وأما الذين ساروا الى انطاكية فانهم فعلوا في ولايتها مثل ما فعل من النهب والخراب والتخريب بولاية طرابلس فراسل الفرنج ويدلوا أعاد ما أخذوه من المركبين ويجدد معهم الهدنة فأجابهم وكانوا في ذلك كما يقال اليهودي لا يعطي الجزية حتى يلدوا فوكذلك الفرنج ما أعادوا أموال التجار التي هي أحسن فلما نهبت بلادهم وخربت أعادوها قال وكان لو الذي في المركبين بجارة مع شخصين فلما أعادوا الى الناس أموالهم لم يصل الى كل انسان الا اليسير وكان يحمل المتاع فكل من كان اسمه عليه أو على ثوب أخذه وكان في الناس من يأخذ ما ليس له وكان أحد هذين المضارين فيه أمانة وكان نصراناسا فلما أخذ الا ما عليه اسمه وعلامته فذهب من ماله ومالنا شيء كثير بهذا السبب وكان الذي حصل من ماله أكثر من الذي حصل له فلما عاد اليه ما سلم الذي لنا الى والدي فامتنع من أخذه وقال خذ أنت الجيع فالتأجوج اليه وأنا في غنى عنه فلم يفعل فقال خذ النصف وأنا النصف واجتهد به والذي فلم يفعل فلما كان بعض الايام واذا قد جاء الغلام معه عدة من الاثواب السودسية وغيرها وقال هذا من قاشنا قد حضر اليوم وسبب حضوره ان انسانا فقرا عيما من أهل تبريز كان معناني المركب وقد أعادوا عليه ماله فرأى هذه الاثواب وأسبى عليها فلم يسهل عليه ان ردّها يعنى عليهم وسأل عني وقد قصصني وهي معي وحضر عندي الساعة وسلمها الي وقال قدر كنت طريقا تبرأ مني فأخذنا نحن ما عليه اسمنا بعد الجهد وطلب والذي الرجل وسألته ان يقيم عندنا ليسلم اليه ما لا يتخرفه فلم يفعل وعاد الى بلده قال وهذا الرجل نادى في هذا الزمان

**(فصل)** في عزم نور الدين على الدخول الى مصر قال العماد وكان صلاح الدين واعدته نور الدين ان يجتمعوا على الكرك والشوبك يتشاوران فيما يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم بالعمز الاخزم والرأى الاخزم فاتفق للاجتماع عاتق ولم يقدر للاتفاق قدر موافق فلق في تلك السفرة شدة وعدم خيلا وظهرها وعمده وعاد الى القاهرة في النصف من ربيع الاول قال ابن الأثير وفي سنة سبع وستين أيضا جرى ما وجب نفرة نور الدين من صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسيرة بها الى بلاد الفرنج والتزول على الكرك ومحاصرتها ليجمع هو أيضا عساكره ويسير اليه ويجتمعها هناك على حرب الفرنج

## كتاب (٢٠٤) الروضتين

والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعترفه ان رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك فوصل اليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فاتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد وأنه يخاف عليهم مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده ان أصحابه وخوادمه خافوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده رجزه على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارثي ومعهم سائر الامراء واعمالهم ما بلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشئ فقام ابن أخيه تقي الدين عمر وقال اداجاءنا فالتناهد وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتهم نجم الدين أيوب وأترك ذلك واستعظمه وكان ذارأي ومكر وكيد وعقل وقال لتقي الدين اقعدوسيه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ألق في هؤلاء كلهم من يجبك ويريدك الخير مثنا فقال لا فقال نجم الدين والله لو رأيت أنا وهذا خالك نور الدين لا يمكننا الا ان نترجل اليه ونقبل الارض بين يديه ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم تجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه الا التزلزل وتقبل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها فان أراد عزلك فأي حاجة به الى المجيء يا مراك بك كتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولى بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عانحن ممالك نور الدين وعبيده ويقبل بنا ما يريد ففرقوا على ذلك وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا نجم الدين أيوب بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع العظيم وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه وأولاه بالصد ولو قصدك لم ترمعك من هذا العسكر أحد او كانوا أسلموك اليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعترفون قولي وتكتب أنت اليه وترسل في هذا المعنى وتقول أي حاجة الى قصدي يجيء نجاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي فهو اذ سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو أهم عنده والا يام تندرج والله كل وقت في شأن ففعل صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين رحمه الله الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين تولى نور الدين ولم يقصده ولا أزاله وكان هذا من أحسن الاراء وأجودها

**(فصل ١٠)** في الحماة قال ابن الاثير وفي سنة سبع وستين أمر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها فاتخذت في سائر بلاده وكان سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همدان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله زمانا زلوا بعض الثغور فالى ان يصل اليه الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض حينئذ أمر بذلك وكتب به الى سائر بلاده وأجرى الجرايات لها ولم يرها فوجد بها راحة كبيرة كانت الاخبار تأتيه لوقتها لانه كان له في كل نهر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا زاروا أو سمعوا أمر اكتبوه لولته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هو منها في ساعته فتنتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليه فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا لغزاله فاتاه الخبر يومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو وفعلا ذلك فظفروا والفرنج قد آمنوا لبعث نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضي عنه فما كان أحسن نظره لرعايا البلاد وقال العماد وكان نور الدين لا يقيم في المدينة أيام الربيع والصيف محافظة على الثغور وناما من الحيف ليجي البلاد من العدو بالسيف وهو مستوفى الى أخبار مصر وأحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتدالها فرأى انخذ الحمام المناسيب وتدرجها على الطيران لتحمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى بكتب منشور لاربابها واعزاز أصحابها وهو حينئذ بظاهر دمشق مخيم بوادي اللوان ونحن مستظهِرون في ذلك الاوان عادون على أهل العدوان وذلك في سابع عشر ذي القعدة من السنة ثم ذكر نسخة المنشور ووصف فيه الحمام فقال (هي برائد الانبياء المخصوصات بفضيلة الالهام والايحاء وهي فيوج الرسائل



## في اخبار (٢٠٥) الدولتين

المأمونة الابطاء والسابقات المهورج في الاهتداء والحاملات لمطغات الاسرار في أقرب مدة الى أبعد غاية والموصلات مهمات الاخبار في وقتها من أقاصي الامصار بأكل هدايه والقاطعات في ساعتها الى البلاد أجزوار الغفار والمواحي والنفادات بنجيج المرام بعود السهام الى المرامي وهي تطوى الفراخ البعيدة والاشواط في ساعه وتنتهي الى أقصى عنايات الطاعة بأنم استطاعه وقدعهم بانفع المراطين والغزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهداء أخبار الكفرة اليهم من أمانها دالة على مكايدها ومكائدها طارة بكتبهم الى من وراءهم من الطلائع والسرايا مظهرة لهم من أحوالها خبايا الامور الخفايا وانها الميونة المطار مأمونة العثار سالمة على الاخطار مهدية في الاسفار امينة على الاسرار سابقة الى الاوکار صادرة بالاطوار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبا الكفار قلت وكل هذه اوصاف حسنة وعبارات مستحسنه وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوك من جواهرها نزول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم من جهتها خيانة فلقد أحسن فيما وصف وأبدع فيما استنبط وأنصف وهو بذلك أولى وأعرف رحم الله الجميع

**(فصل)** في باقي حوادث هذه السنة قرأت نسخة سجل باسقاط المكوس بمصر قرئ على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستين وخمسمائة عن السلطان الملك الناصر في أيام نور الدين رحمه الله فهو كان الأمر وذلك المباشر يقول فيه (أما بعد فانا نحمد الله سبحانه على ما مكن لنا في الارض وحسنه عندنا من أداء كل نافلة وفرض ونسبنا له من ازالة النصب عن عياده واختارنا له من الجهاد في الله حق جهاده وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل وألهمنا من محاسبة أنفسنا على التقير والعتيل وأولانا من شجاعة السماحة فيوما نهب ما شملت عليه الدواوين ويوما نقطع ما سقاء النيل فالشائر في أيامنا تزي شفعا ووزرا والمسار كنظام الجواهر تتبع الواحدة منها الاخرى والمساحات قدملات المسامع والمطامع واسخطت الحجة والصنابع وأرضت المنبر والجامع ولما تقلدنا أمور الرعية رأينا المكوس الديوانية بمصر والقاهرة أولى ما تقلدناها من ان تكون لنا في الدنيا الى ان تكون لنا في الآخرة وان تجرد ومنها اللبس أنواب الاجر الفاخره ونظهر منها مكاسبا ونصون عنها مظالمنا ونكفي الرعية ضررهم الذي يتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ونعبدها اليوم كامس الداهب ونضعها فلا ترفعها من بعيد حاسب ولا قلم كاتب فاستخرنا الله وبجئنا اليه ليرضى ورأينا فرصة أجرة لا تغض عليهم ابصار الابصار ولا يغضي وخرج أمرنا بكتب هذا المنشور بمساحة أهل القاهرة ومصر وجميع التجار المترددين اليهما والى ساحل المقسم والمنية بأبواب المكوس صادرها وواردها فيرد التاجر ويسد فيروغيب عن ماله ويحضر ويقارض وينجبر او بجرا من بكا ونظرا سرا وجهرا لا يحل ماشده ولا يحاول ما عنده ولا يكشف ما ستره ولا يسأل عما أورده وأصدره ولا يستوقف في طريقه ولا يشرق بريقه ولا يؤخذ منه طعمه ولا يتباح له حرمه والذي اشملت عليه المساحة في السنة من العيين مائة ألف دينار مساحة لا يشوبها تأويل ولا يتخونها تحويل ولا يعترها زوال ولا يعتورها انتقال دائما بدوام الكلام قائمة ما قام دين القيمة من عارضها ردت أحكامه ومن باقضاها قض ثمامه ومن ازالها زلت قدمه ومن أطاها حل دمه ومن تعقبها خلدت اللعنة فيه وفي عقبه ومن احتاط لديناه فيها حاط به الجحيم الذي هو من خطبه فخر قرأه وأقرئ عليه من كافة ولاية الامر من صاحب سيف وقلم ومشارف أو ناظر فليت مثل ما مثل من الامر وليرضه على عز الدهر من ضياله به مضيا لما أمر به وفيها توفي الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقرئ النحوي وهو زبل الموصل رحمه الله تعالى وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين والمنصور ومحمد بن تقي الدين وفيها في ثالث شوال توفي أبو الفتوح نصر بن عبد الله الاسكندري المعروف بابن فلاس الشاعر بعيدا وبمولده بالاسكندرية رابع ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فيكون عمره نحو من خمس وثلاثين سنة

**(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة)** فيها توفي ملك الجبال الحسن بن صافي وفيها رتب العمدالكاتب مشرفا بديوان نور الدين مضافا الى كتابة الانشاء قال وكان نور الدين ذكيا ألعبا فطن للوزعيا لا يشتبه عليه



## كتاب (٢٠٦) الروستين

الاحوال ولا يتبرج عليه الرجال ولا يتأهل لغير أهل الفضل منه الافضال قال ولما عرض صلاح الدين بعد العاضد خزائنه واستخرج دفائنه سير من اعدته من الامتعة المستحسنه والاسلحة الممنه وقطع البلور واليشم والاوانى التى لا يتصور وجودها فى الوهم ومعها ثلاث قطع من البلخش أكبر هانيء وثلاثون منقلا والثانية ثمانية عشر والاخرى دونها وقرن بها من اللآلى مصونها ومكونها وحل معها من الذهب ستين ألف دينار ووصلت من غرائب المصنوعات بما لا يجتمع مثله فى اعصار واعمار ومن الطيب والعطر ما لم يخار به لىال عطار فشكر نور الدين همته وذكركم بالكرم شيمته ووصف فضيلته وفضل صفته وقال ما كانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة الاقلال فهو يعلم انما انفقنا الذهب فى ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وما لهذا المحمول فى مقابلة ما جندنا به قدر وقيل بقول أبى تمام

لم ينفق الذهب المربى بكثرة \* على الحصا به فقر الى الذهب

لكمه يعلم ان نغور الشام مفتقرة الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد وتدعم بالفرنج بلاء البلاد فيجب أن يقع التعاقد على الامداد بالمعونة والامداد فاستنزره وما استغزره واستقل المحمول فى جنب ماحره وترى فيما يدبره وأفكر فيما يقدمه من هذا المهم ويؤخره قال ابن أبى طى لم تنفع هذه الهدية من نور الدين موقع وجرد الموفق بن القيسرى وزيره الى مصر وأمره بعمل حساب البلاد واستعلام أخبارها وارتماعها وأين صرفت أموالها فاذا حصل جميع ذلك قرر على صلاح الدين وظيفة يحملها فى كل سنة وعظم على نور الدين أمر مصر وأخذ من استيلاء صلاح الدين عليها المقعد وأكثر فى مراسلته فى حمل الاموال حدثنى أبى قال لم يخف حال نور الدين فى كراهية الملك الناصر ولقد علم ذلك جميع الاجناد والامراء وتحدث به العوام ولا سيما حين أنفذ هذه الهدية واشتد بعد ذلك فى مراسلته وأنفذ ابن القيسرى لكشف الاحوال ولوطال عمره لم يكن له بد من دخول مصر قال العماد وكان نور الدين مذمومت مصر وتوجه له فيها النصر يؤثر ان يقرر له فيها مال للحمل يستعين به على كاف الجهاد وتخفيف ماله من الثقل والا يام تماطله والاعوام تطاوله وهو ينتظر ان صلاح الدين بتدى من نفسه بما يريد وهو لا يستدعى منه ولا يستزده فلما حمل من أخائر الذخائر والمال الحاضر ماحله وعرف بمجمله ومفصله تقدم الى الموفق خالدين القيسرى الى أن مضى وبطلب ويقتضى ويعمل أيضا بالاعمال المصرية يتجزاه ولا يبيى فى نفوس ديوانه من أمرها جزاه وأرسل معه الهدايا والتحف السنيا وأقام العماد مقامه فى ديوان الاستيفاء بجمع بين الاشراف والاستيفاء ومصب النشاء ثم كان من أمره ما سياتى ذكره قال العماد وخرج صلاح الدين فى النصف من شوال ومعه الفيل والحجارة العتابة والذخائر النفيسة التى كان انتخبها من خزائن القصر وهى معدودة من محاسن العصر قد سبق ذكر تسميرها الى نور الدين وقوبلت بالاحسان والتحمين ووصات الحماره وكثرت لها النظاره وأما الفيل فانه وصل اليها فى سنة تسع وستين ونحن بحلب فى الميدان الاحضر وأهداه نور الدين الى ابن أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل مع شئ من تحفة الثياب والعود والعنبر ثم سيره سيف الدين الى بغداد هدية للخليفة مع ما سيره معه من التحف اللطيفة وسير نور الدين الحجارة العتابة الى بغداد مع هذا وتحف سنابا

(فصل) فى جهاد السلطان للفرنج فى هذه السنة قال العماد ونزل صلاح الدين على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون فبرح بها وفرق عنها عر بها وخرب عمارتها واشتت على أعمالها سراياها بغاراته ووصل منه كتاب بالمشال الفاضلى (سبب هذه الخدمة الى مولانا الملك العادل أعز الله سلطانه ومدأبدا احسانه ومكن بالنصر امكانه وشيد بالتأيد مكانه ونصر أنصاره وأعان أعوانه علم المملوك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكهار بما نقص أجنتهم وبغلل أسلحتهم ويقطع موادهم ويخرب بلادهم وأكبر الاسباب المعينة على ما يروم من هذه المصلحة أن لا يبيى فى بلادهم أحد من العربان وان ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان وما اجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده من أعظم اسباب الجهاد ترحيل كثير من أنصارهم والحرص فى تبديل دارهم الى أن صار العدو اليوم اذ انقض لا يجد بين يديه دليلا ولا يستطيع حيلة ولا يمتدى سبيلا) ثم ذكر باقى الكتاب قال ابن شداد وهذه أول غزوة غزاها صلاح الدين من الديار المصرية وانما بدأ ببلاد الكرك والشوبك لانها كانت أقرب اليه وكانت فى الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها ببلاد العدو فأراد توسيع الطريق

## في اخبار (٢٠٧) الدولتين

وتسهيله ليمتصل البلاد بعضها ببعض وتسهيل على السابلة خرج قاصدا لها في أثناء سنة ثمان وستين فحاصرها  
يجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم يظفر منها بشئ في تلك الدفعة وحصل ثراب القصد وأما نور الدين فانه  
لم يخرج من عرش في ذى القعدة من هذه السنة وأخذ بهسنى في ذى الحجة منها وقال العماد حضرت عند الملك العادل  
نور الدين بدمشق في العشرين من صفر ووجهه ينور بالبشر قد سفر والحديث يجري في طيب دمشق وحسن الاتفا  
برقة هوأئها وبهجة بهاأئها وازهارأرضها كزهر سمائها وكل مناميد حها وبهجة بمخها وكل منايطريها قتال  
نور الدين أماحب الجهاد يسألني عنها فأرغب فيها فارتجأت هذا المعنى في الحال فقلت

ليس في الدنيا جيعا \* بلدة مثل دمشق  
ويسألني عنها \* في سبيل الله عشق  
والنقى الاصل ومن \* يتركها بشق ويشق  
كم رشيق شاغل عنه — بهسهم الغزور شق  
وامتدأق البيض يغني \* عنه بالاقلام عشق

قال وسألني نور الدين أن أعمل دوبيتات في معنى الجهاد على لسانه فقلت

للعز ونشاطي واليه طربى \* مالى في العيش غيره من أرب  
بالجد وبالجهد نبح الطالب \* والراحة مستودعة في التعب  
وقلت أيضا

لاراحة في العيش سوى ان \* أغزوس في طربا الى الطلى يهتز  
في ذل ذوى الكفر يكون العز \* والقدرة في غير جهاد عجز  
وقلت أيضا

أقسمت سوى الجهاد مالى أرب \* والراحة في سواء عندى تعب

الابالجد لا ينال الطلب \* والعيش بلا جد جهاد لعب

قال واتفق خروج كلب الروم اللعين في جنود الشياطين بقصد الغارة على رؤاد من ناحية حوران وهم في جمع غلب  
كثرت الخبر والعيان ونزلوا في قرية تعرف بسمسكين فركب نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم بعساكره  
عليهم فلما عرفوا وصوله رحلوا الى الفوارم الى السواد ثم نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين في عشترا وقد سره ماجرى فأنفذ  
مربية الى أعمال طبرية واغتم خلوها فأدلت تلك الليلة وجدت في سس الغارة غدوها فلما عادت لحقها الفرنج  
عند المخاضة فوقف الشجعان وثبت من ثبته الايمان حتى عبرت السرية وانفصلت تلك القضية ورحل نور الدين  
من عشترا فنزل بظاهر زرا قال العماد وكنت راكبا في لقائهم مع الملك العادل وهو يقول لي كيف تصف  
ما جرى فحدثه بقصيدة

عقدت بنصرك راية الايمان \* وبدأت لعصرك آية الاحسان  
يا غالب الغلب المملوك وصائد الـ صيد اللبث وفارس الفرسان  
يا سائب التيجان من أربابها \* خرب الخمار على ذوى التيجان  
محمود المحمود ما بين الورى \* في كل اقليم بكل لسان  
يا واحد في الفضل غير مشارك \* أقسمت مالك في البسيطة ثاني  
أحلى أمانيك الجهاد وانه \* لك مؤذن أبدا بكل أمان  
كم بكر فتح اولدته ظباك من \* حرب لقمع المشركين عوان  
كم وقعة لك بالفرنج حديثها \* قد سار في الافاق والبلدان  
قصت قومصهم مرداء من ردى \* وقرنت رأس برنهم بسنان  
وملكت رق ملوكهم وتركتهم \* بالذل في الاقياد والاشجان

## كتاب (٢٠٨) الروضتين

وجعلت في أعناقهم أغلالهم \* وسحبتهم هوانا على الأذقان  
اذق السوابغ تحطيم السمير القنا \* والبيض تخضب بالنجيع القاني  
وعلى غناء المشرفة في الطلي \* والهوام رقص عوالى المزان  
وكان بين النقع لمع حديدها \* نار تالق من خلال دخان  
في مازق ورد الوريد مكفل \* فيه برى الصارم الظمآن  
غطى العجاج به نجوم سمائه \* لتنوب عنها أنجم الخرسان  
أوما كفاهم ذلك حتى عاودوا \* طرق الضلال ومركب الطغيان  
يا خبيبة الافرنج حين تجعوا \* في حيرة وأتوا الى حوران  
وجلوت نور الدين ظلمة كفرهم \* لما أتيت بواضح البرهان  
وهزمتهم بالرأى قبل لقائهم \* والرأى قبل شجاعة الشجعان  
أصبحت للإسلام ركنا ثابتا \* والكفر منك مضجع الأركان  
قوضت أساس الضلال بعزمك \* ماضى وشدت مبانى الإيمان  
قل أين مثلك فى الملوك مجاهد \* لله فى سرّ وفى اعلان  
لم تلقهم ثقة بقوة شوكة \* لكن وثقت بنصرة الرحمان  
ما زال عزمك مستقلا بالذى \* لا يستقل بشمله الثقيلان  
وبلغت بالتأييد أقصى مبلغ \* ما كان فى وسع ولا إمكان  
دانت لك الدنيا فقام صيهاذا \* حقيقة لنفاذاً أمر كداني  
فن العراق الى الشام الى ذرا \* مصر الى قوص الى أسوان  
لم تله عن باقى البلاد وانما \* الهالك فرض الغزوعن هذان  
للسروم والافرنج منك مصائب \* بالترك والاكراد والعربان  
اذعنت لله المهيمن اذعنت \* لك أوجه الاملاك بالاذعان  
أنت الذى دون الملوك وجدته \* ملازم من عرف ومن عرفان  
فى بأس عسرو فى بسالة حيدر \* فى نطق قس فى تقى سلمان  
سير لوان الوحي ينزل أنزلت \* فى شأنها سور من القرآن  
فاسلم طويل العمر تمتد المدى \* صافى الحياة مخلص السلطان

وهى قصيدة طويلة وصف فيها أمراء الحاضرين الجهاد معهم ومدحهم

(فصل) فى فتح بلاد النوبة قال العماد فى جمادى الاولى غزا شمس الدولة تورانشاه بن أيوب أخو صلاح الدين بلاد النوبة وأراهم سطا. المرهوبه وفتح حصنها لهم يعرف بإبريم والآل لا يريم وهى بلاد عديمة الجدوى عظيمة البلوى ثم رجع بالسبى وعاد به الى أسوان وفرق على أصحابه فى الغنائم السودان وقال ابن أبى طى الحلبي وفيها اجتمع السودان والعبيد من بلاد النوبة وخرجوا فى أعم عظيمة فاصدين ملك بلاد مصر وصاروا الى أعمال الصعيد وصمموا على قصد أسوان وحصارها ونهب قراها وكان بها الامير كثر الدولة فأنفذ يعلم الملك الناصر وطلب منه نجدة فأنفذ قطعة من جيشه مع الشجاع البعلبكي فلما وصل الى أسوان وجد العبيد قد عادوا عن باعدان أنخروا أرضها فاتبعهم الشجاع والكنز ففرت حرب عظيمة قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع الى القاهرة وأخبر بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد الصعيد فأنفذ الملك الناصر أخاه شمس الدولة فى عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد النوبة فسار قاصد بلادهم وشحن مراكب كثيرة فى البحر بالرجال والميرة وأمرها بالحقاقه الى بلاد النوبة وسار اليها ونزل على قلعة ابريم وافتتحها بعد ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها من المال والكراع والميرة وخلص جماعة من الاسرى

الاسرى وأسر من وجده فيها وهرب صاحبها وكتب الى السلطان بذلك فأشدد السلطان أبو الحسن بن الذروري يمينه  
بفتح ابريم قصيدة منها

فقد تم العزم فذا مبتداه \* يقصر عن ملك الارض منتهاه  
واسحب ذيول الجيش حتى ترى \* أنجبه طالعة عن دجاءه  
سواك من ألقى عصاه بها \* قناعة لما استقرت بواه  
عليك بالروم ودع صاحب الننا \* ج اذا شئت وتور انشاه  
فقد غدت ابريم في ملكه \* تبرم أمر افييه كبت العداه  
لابد للنسوبة من نوبة \* نرضى لسخط الكفر دين الاله  
تظل من نوبة منسوبة \* لعزمة كامنه في اناه  
تكسو الغزاة القاطني أرضها \* مانسجت للحرب أيدي الغزاه  
سود وتحمس الطباحوها \* كاعين الرمد بدت للاساه  
أولافر يحتمها القنا \* مثل دنان بزلتها السقاها  
لله جيش منك لا ينثنى \* الانصل دميت شفرتاه  
مابين عقبان ولكنها \* خميل وفرسان كتمل البزاه  
أساد حرب فوق أيديهم \* أساود الطعن فهم كالخواه

تقلدوا الانهار واستلوا موالا غدران فالنيران تجري مياه

قال ثم رجع شمس الدولة الى أسوان ثم الى قوص وكان في صحبتته أمير يقال له ابراهيم الكردى فطلب من شمس  
الدولة قلعة ابريم فاقتطعها ياها وأنفذ معه جماعة من الاكراد البطالين فها حصلوا فيها نفرت قوافرا وكانوا يشنون الغارة  
على بلاد النوبة حتى ربحوا بهم واكتسبوا أموالا كثيرة حتى عفت أرزاقهم وكثرت مواشيهم واتفق انهم عدوا الى  
جزيرة من بلاد النوبة تعرف بجيزة ذبدان فغرق أميرهم ابراهيم وجماعة من أصحابه ورجع من بقي منهم الى قلعة  
ابريم وأخذوا جميع ما كان فيها وأخلوها بعد مقامهم بها سنتين فعاد النوبة اليها وملكوها وأنفذ ملك النوبة  
رسولا الى شمس الدولة وهو مقيم بقوص ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هدية عبد وجارية فكتب له جواب  
كتابها وأعطاها زوجا ونشاب وقال مالك عندي جواب الاهداء وجهز معه رسولا يعرف بمسعود الحلبي وأوصاه ان يكشف  
له خبر البلاد ليدخلها فاسار الحلبي مع الرسول حتى وصل دنقلة وهي مدينة الملك قال مسعود فوجدت بلاد اضيقة ليس  
لهم زرع الا الذرة وعندهم نخل صغار منه ادامهم ووصف ملكهم بأوصاف منها ان قال خرج علينا يوما وهو عريان  
قد ركب فرسا عريا وقد التفت في ثوب أطلس وهو أقرع ليس على رأسه شعر قال فأنبت عليه فمخك وتغاشي  
وأمرني ان تكوي يدى فكوى عليها هيئة صليب وأمرني بقدر خمسين رطلا من الدقيق ثم صرفني قال وأما دنقلة  
فليس فيها عماراة الادار الملك فقط وباقيها اخصاص

(فصل) في وفاة نجم الدين أيوب والصلاح الدين وطرف من أخباره قال العماد وركب نجم الدين أيوب فشب به  
فرسه بالقاهرة عند باب النصر وسط الحجج يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وحل الى منزله وعاش ثمانية  
أيام ثم توفي في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي الحجة وكان كريما رحما عظوفا حلما وبابه مزدحم الوفود وهو  
متلف الموجود ببذل الجود وكان ولده صلاح الدين عنه غائبا وفي بلاد الكرك والشوبك على الغزاة مواظبا فدفن  
الى جانب قبر أخيه أسد الدين في بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنتين الى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها  
أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام والاحلال والاعظام وعلى آله وصحبه وسلم قلت وقبرهما في تبة الوزير  
جمال الدين الاصفهاني وزير المصلح المتقدم ذكر درجهم الله وقال القاضي ابن شداد ولما عاد صلاح الدين من غزاته  
بلغه قبل وصوله الى مصر وفاة أبيه نجم الدين فشق ذلك عليه حيث لم يحضر وفاته وكان سبب وفاته وقوعه من الفرس  
رحمه الله وكان شديد الرخص ولعاب لعب الكرة بحيث من رآه يلعب بها يقول ما يموت الا من وقوعه عن ظهر

## كتاب ( ٢١٠ ) الروضتين

الفرس ومن كتاب فاضلي عن السلطان الى عز الدين فرخشاه بمصر يقول فيه (صح من المصاب بالمولى الدارج غفر الله له ذنبه وسقى بالرحمة تربه ما عظمت به الاوعه واشتدت الروعه وتضاعفت لغيتنا عن مشهده الحسره فاستنجدنا بالصبر فابى وانحدرت العبره فياله فقيدا فقد عليه العزاء وهانت بعده الارزاء وانتثر شمل البركة بفقدته فهى بعد الاجتماع اجزاء وتحطفته يد الردى في غيبتى \* هبنى حضرت فكنت ماذا اصنع

قال ابن ابي طى الحلبي هو الامير نجم الدين ايوب بن شاذى ولا يعرف فى نسبه أكثر من والده شاذى وحدثني ابي رحمه الله قال كان تقي الدين عمر يزيد فيقول شاذى بن مروان قلت وسمعت أنا من يقول شاذى بن مروان بن يعقوب قال ابن ابي طى وقد ادعى ابن سيف الاسلام لما ملك اليمن انهم من بني مروان بن محمد الجعدى المعروف بالجاريعي آخر خلفاء بني أمية قال وقد نقت عن ذلك فاجمع الجماعة من آل ايوب ان هذا كذب وان جميع آل ايوب لا يعرفون جدا فوق شاذى وكذلك أخبرني السلطان الملك الناصر رحمه الله قلت ودليل صحة ذلك انى وقفت على كتاب وقف الرباط النجمي بدمشق ولم يرد فيه على نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شاذى العادلى وابن سيف الاسلام هذا هو أنوالفداء اسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شاذى بن أخى السلطان صلاح الدين ملك اليمن بعد أبيه وتعاظم الى ان ولّى نفسه الخلافة وادعى انه من بني أمية وعزم على إعادة الخلافة من بني هاشم الى بني أمية وله فى ذلك اشعار كثيرة وتلقب بالامام الهادى بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين ومدحه كثير من الشعراء بذلك وزينوا له فعله وما هو فيه من شعره

وانى أنا الهادى الخليفة والذى \* أدوس رقاب الغلب بالضمير الجرد  
ولا بد من بغداد طوى ربوعها \* وانشرها نشر السما سر السرد  
وانصب اعلامى على شرفاتها \* وأحي بها ما كان أسسه جدى  
ويخطب لى فيها على كل منبر \* وأظهر دين الله فى الغور والنجد

قال ابن ابي طى وكان نجم الدين ايوب عدلا مرصيا كثير الصلاة والصلات غزير الصدقات والخيرات يحب العلماء ويميل الى الفضلاء وكان محمدا مدحه العباد الكاتب بجملة قصائد قال وكان مولد نجم الدين ايوب ببلد شجستان كذا حكاه مؤيد الدين ابن منقذ وحدثني جماعة ان مولد نجم الدين كان بجبل جور وروى فى بلد الموصل ونشأ شجاعا باسلا وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلا وسدادا وشهامة فولاه قلة كبرت فقام فى ولايتها أحسن قيام وضبطها أكرم ضبط وأجلى من أرضها المفسدين وقضاع الطريق وأهل العيث حتى عمرت أرضها وحسن حال أهلها وامنت سبلها فلما ولّى السلطان مسعود الملك اقطع قلعة تكريت لمجاهد الدين بهروز الخادم شحنة بغداد ومولى العراق وكان هذا بهروز اميرا ينفذ امره فى جميع العراق الى البصرة الى الموصل الى اصفهان وكانت خيله خمسة آلاف فارس فاقر الامير نجم الدين فى ولاية تكريت وأضاف اليه النظر فى جميع الولاية المتاخمة له وقرر أمره عند السلطان مسعود وجعل بهروز قلعة تكريت خزانة أمواله وبيت عقائله وجعل جميع ذلك منوطا بالامير نجم الدين ومغدوقا بهيمته وكان نجم الدين عظيما فى أنفس الناس بالدين والخير وحسن السيادة وكان لا يمر أحد من أهل العلم والدين به الا حمل اليه المال والضيافة الجليلة وكان لا يسمع بأحد من أهل الدين فى مدينة الا انتداليه وقد ذكر العباد الكاتب فى سيرة السجوقية الامير نجم الدين وقرظه وأثنى عليه وذكر من دينه وعفته ووفور أمانته وكثرة خيره أشياء حسنة وحكى قضية عمه العزيز بن زحيد بن حيس عنده بقلعة تكريت من جهة الوزير الدرگز بنى وأمره بقتله فابى نجم الدين الى ان قتله بهروز بنفسه بامر الدرگز بنى ثم ان السلطان مسعود احسده وخرج فى أخذ السلطنة وطمع هو وأتابك زنكى ابن آق سنقر فى بغداد وحردا عسكريا فاختصا سارا الى تكريت طامعين فى بغداد ووقاية ايلان وتلاقيهم قراجه الساقى وهو أتابك بن السلطان محمود فجرد ألف فارس عليهم ثم اردفهم بعسكر فأنهم زمن زنكى وقتل جماعة من أصحابه وجملة من كان فى عسكره ولجأ الى سور تكريت وبه عدة جراحت وعلم به الامير نجم الدين وأخوه شير كوه فحماه الى القلعة بحبال وداو باجرحاته وخسماه احسن خدمة وتقربا اليه فاقام عندهما تكريت خمسة عشر يوما ثم سار الى الموصل وأمر زعماء الظاهر فاعطياه جميع ما كان عندهما من الظاهر حتى انهما أعطياه جملة من البحر حمل عليهما سلم معه من

## في اخبار (٢١١) الدولتين

امتنعته فكان زنكي يرى لا يوب هذه اليد ويعرف له هذه الصنيعة ويواصله بالهدايا والالطاف مدة مقامه في تكريت فلما انفصل عنها على ما سئذ كره تلقاه زنكي الى حب والسعة واحترمه احتراماً عظيماً واقطعه عدة قطائع وكان نجم الدين قد ساس الناس بتكريت أحسن سياسة حتى ملك بذلك حبات قلوبهم وكان أخوه شيركوه معه في القلعة وكان حجاجاً باسلاً ينزل من القلعة ويصعد اليهم في اسبابه وحاجاته وكان نجم الدين لا يغارق القلعة ولا ينزل منها فاتفق ان أسد الدين نزل من القلعة يوماً ببعض شأنه ثم عاد إليها وكان بينهما وبين كاتب صاحب القلعة قوارص وكان رجلاً نصرانياً فاتفق في ذلك اليوم ان النصراني صادف أسد الدين صاعداً الى القلعة فعبث به بكلمة ممضة فجرأ أسد الدين سيفه وقتل النصراني وصعد الى القلعة وكان مهيباً فلم يجاسر أحد على معارضة في أمر النصراني وأخذ النصراني برجله فالتقى من القلعة وبلغ بهرور صاحب قلعة تكريت ماجرى وحضر عنده من خوفه جراءة أسد الدين وأنه ذو عشرة كبيرة وان أخاه نجم الدين قد استخضع وذلي قلوب الرعايا وأنه ربما كان منهم أمر تخشى عاقبته ويصعب استداركه فكتب الى نجم الدين ينكر عليه ما جرى من أخيه ويأمره بتسليم القلعة الى نائب سيره بحجة الكتاب فاجاب نجم الدين الى ذلك بالسمع والطاعة وأُنزل من القلعة جميع ما كان له بها من أهل ومال واجتمع هو وأخوه أسد الدين وصمى على قصد عماد الدين زنكي بالموصل وتعلم ان أسد الدين كان خرج الى الموصل قبل نجم الدين وأعظم أهل تكريت خروج نجم الدين من بين أظهرهم ولم يبق أحد الا خرج لتويعه وأظهر البكاء والاسف على مفارقتها ولما اتصل بانابك زنكي قدمهما افرجه ذلك وأمر الموكب بلقائهما وأكرههما اكراماً عظيماً واقطعهما في بلد شهر زورا قطعاً عسناً وقبل انه اقطع أسد الدين بالموز ورجى بين أسد الدين وجمال الدين الوزير مودة عظيمة حتى حلف كل واحد منهما للاخرانه يقوم بأمره في حياته وبعد وفاته وتقرر جمال الدين في أمر أسد الدين وأمر أخيه نجم الدين حتى قريهما من قلب أنابك وجعلهما عنده بالمتلة العظيمة وخرجهما الى الشام وشهدا معه حروب الكفار وقتال الفرنج اعنهم الله وكان لاسد الدين في تلك الوقائع اليد البيضاء والنعلة الغراء وحدثني أبي رحمه الله قال حدثني سعد الدولة أبو الميامن المؤملي وكان أحد أصحاب نجم الدين أيوب قال وحدثني أيضاً هذه الحكاية بمحمد الدين بن داية الملك الصالح قال حدثني حسام الدين سنقر غلام الأمير نجم الدين أبي طالب وكان سنقر هذا يخدم مع الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي قال كنت في صحابة الأمير نجم الدين لما انفذ نور الدين بن زنكي الى ابنه السلطان الملك الناصر الى مصر من أجل قطع خطبة المصريين وأقامة دعوة بني العباس في أول سنة سبع وستين وخمسائة واتفق اني كنت حاضراً وقد اجتمع السلطان الملك الناصر ووالده الأمير نجم الدين في دار الوزارة وقد قعدا على طرحة واحدة والمجلس غاص بآراب الدولتين وعند الناس من الفرح والسرور وما قد اذهل العقول فبينما الناس كذلك اذ تقدم كاتب نصراني كان في خدمة الأمير نجم الدين فقبل الارض بين يدي السلطان الملك الناصر ووالده نجم الدين والتفت الى نجم الدين فقال له يا مولاي هذا أول مقاتلي لك بالامس حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم أخذ في حمد الله وشكره والثناء عليه والتفت الى الجماعة الذين حولوه والقضاة والامراء وقال لكلام هذا النصراني حكاية بحجية وذلك انني ليله رزقت هذا الولد يعني السلطان الملك الناصر أمرني صاحب قلعة تكريت بالرحلة عنها بسبب القلعة التي كانت من أخي أسد الدين شيركوه رحمه الله وقتله النصراني وكنت قد ألفت القلعة وصارت لي كالوطن فنقل على الخرج منها والتحول عنها الى غيرها واغتمت لذلك وفي ذلك الوقت حانى البشير بولادته فتشاءمت به وتظيرت لما جرى علي ولم افرح به ولم أستبشر وخرجنا من القلعة وانا على طريقي به لا أكاد أذكره ولا أسميه وكان هذا النصراني معي كتبا فلما رأى ما نزل بي من كراهية الطفل والتشأم به استدعى مني ان أذن له في الكلام فأذنت له فقال لي يا مولاي قد رأيت ما قد حدث عندك من الطيرة بهذا الصبي وأي شيء له من الذنب وبما استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر ولا يغني شيئاً وهذا الذي جرى عليك قضاء من الله سبحانه وتقدر ثم ما يدريك ان هذا الطفل يكون ملكاً عظيم الصيت جليل المقدار فعطفتي كلامه عليه وها هو قد وقفني على ما كان قاله فتجيب الجماعة من هذا الاتفاق وجد السلطان ووالده الله سبحانه وشكراه قلت ولعمارة في نجم الدين مدائح ومراث منها قوله

تغمر الزمان بنجم الدين مبتسم \* ووجهه بدوام العزم متسم

## كتاب (٢١٢) الروضتين

اضحى بك النيل محجوجا ومعتبرا \* كأنما حل فيه الحمل والحرم  
جاءت بسوك وشمل الدين منتثر \* فقار عوا عنه فهو اليوم منتظم  
ومادري أحد من قبل رؤيتهم \* ان الحظوظ بلثم الارض تقسم  
نامت عيون الورى فى عدل سيرتهم \* كان يقظتنا فى عصرهم حلم  
والناصر ابنك كاف كل معضلة \* اذا الحوادث لم يكشف لها غم  
اعز بالأس والاحسان حوزتنا \* فلم يلبنا خوف ولا عدم  
تبسم الدست من أيوب عن ملك \* تحط عن قدره الاقدار والهمم

وقال فى مرثيته

هى الصدمة الاولى فن بان صبره \* على هول ملقاها نضا عاف أجره  
اذم صباح الاربعاء فانه \* تبسم عن ثغر المنية فجره  
أصاب الهدى فى نجه بمصيبة \* تداعى سمالك الجؤ منها ونسره  
فلا تعذلونوا واعذرونا فى بكى \* على فقد أيوب فقد بان عذره  
اقام باعمال الفسرات وخيله \* يراع بهانبل العزيز ومصره  
الى ان رماها من أخيه بضيق \* فرى نابه أهل الصليب وظفره  
فلما قضى نحسبى حياة ودولة \* بأمرك فى ادراكها تم أمره  
تعاقتا مصرعا تعاقتا وابل \* يبيت بقطر النيل ينبل قطره  
نزلت بدار حلها حللتها \* فغناك مغناها وقطره قطره  
وواخيتنى فى البر حيا وميتا \* فقد برك فى دار القرار وقبره  
وقد شخصت أهل البقيع اليك \* والافسكان المحجون وجبره  
هتيا الملك مات والعز عزه \* وقدرته فوق الرجال وقدره  
وأدرك من طول الحياة مراده \* وما طال الا فى رضى الله عـره  
وأسعد خلق الله من مات بعدما \* رأى فى بنى ابنائه ما يسره  
شهيد تلتقى ربه وهو صائم \* فكان على أجر الشهادة قطره  
مضى وهو راض عنك لم ترم صدره \* لضيق ولا جاشت من الغمظ قدره  
سمى حوزة الاسلام والدين بعده \* ثمانية من أجلهم عز نصره  
فكيف لجس آل أيوب أسده \* لقد بان خوف الدهر منه وذعره  
رعى الله نجما تعرف الشمس انه \* أبوها ونور البدر منها وزهره  
وابقى المقام الناصرى فانه \* لدولتكم كثر الرجاء وذخره

وقال أيضا

صفوا الحياة وان طال المدى كدر \* وحادث الموت لا يبقى ولا يذر  
وما يزال لسان الدهر ينذرنا \* لو أثرت عندنا الآيات والنذر  
فلا تقل غرت الدنيا مظامعنا \* فنامع الموت لا غش ولا كدر  
كأس اذا ما الردى حيا الحياة بها \* لم ينبج من سكرها أنثى ولا ذكر  
كم شامخ العز لا فى الذل من يدها \* ما أضعف القدران الوى به القدر  
فى كل جيل وعصر من وقائعها \* شعوا يقطر منها الناب والظفر  
اودى هملى وعثمان بمخلبها \* ولم يفتها أبو بكر ولا عمر  
ومن أراد التأسى فى مصيبتها \* فالورى برسول الله معتبر

## في اخبار (٢١٣) الدولتين

نجم هوى من سماء الدين منكذرا \* والنجم من افقه يهوى وينكدر  
منظومة أبجر الجوزاء من جزع \* له وعقـد الثريا منه مثير  
وكيف ينسي مجيئه الكريم ومن \* نعماء في كل عيش صالح أثر  
جددت من أسد الدين الشهيد لنا \* حزابه يتساوى الصبر والصبر  
قد كان للدين والدنيا بعزمكما \* ذكر يعبر عنه الصارم المذكر  
ان فاح نشر كلام تمدحان به \* مسكا فعترة أيوب إلهي العطر  
تخفى ذبال مصابيح اذا طلعتوا \* صبحا وتنسى ملوك الارض ان ذكروا  
كانما صور الله الكمال بهم \* شخصا ويوسف منه السمع والبصر  
لا شوبك منه معصوم ولا كرك \* ولا خليل ولا قدس ولا زغر  
لم يرتحل قافلا الا وساكنها \* امام باح جاء أودم هدر  
مامات أيوب الابعـد معجزة \* في المجد لم يؤتمن من جنسه بشر  
مضى سعيدا من الدنيا وليس له \* في رتبة ارب باق ولا وطر  
وطول الله منه باع أربعة \* منها الندى والتقى والملك والعمر  
واشرف الملك ما امتدت مساقته \* في صحة اخواها العقل والكبر  
ومن سعادته ان مات لاسأم \* يشكوه منه معانيه ولا يخبر

**(فصل)** قال العمادوسار نور الدين قاصدا جانب الشمال لتسيده ما اختل هنالك من الاحوال فسار الى حلبسك ومنها الى حمص ثم حلب وفعل في كل منها من المصالح ما وجب وقصد بلاد قليج ارسلان ملك الروم ففتح مرعش في العشرين من ذي القعدة ثم فتح هسني وتابع في كل منها الطريقة الحسني وكتب العماد الى صديق له بدمشق وكان سافرا عنهما مع نور الدين في أطيب فصولها وهوز من الشمس

كأني فدتك من مرعش \* وخوف نوائها مرعشي  
وما مر في طرقها مبصر \* صحح النواظر الاغشي  
وما حل في أرضها أمن \* من الضيم والضر الاخشى  
ترنجني نشوات الغرا \* م كأني من كآسه منتشي  
أسرّ واعلن برح الجوى \* فقلبي يسرود معي بشي  
بذلت لكم مهجتي رشوة \* فحانكم جبكم مر تشي  
وكيف بلد الكرى مغرم \* بنار الغرام حشاه حشي  
بمرعش ابغى وبلوطها \* مضاهاة جلق والمشمش

قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة وغنى حديثه الى نور الدين قال فاستنشدنيها فأنشدته اياها ونحن سائرون في واد كبير مع بيتين بدت بهما في الحال وهما

وبالملك العادل استأنست \* فحاحا مني كل مستوحش  
وما في الانام كـريم سوا \* هـ فان كنت تذكر ذا فتش

بال ابن الاثير وفي سنة ثمان وسعين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن لبيج ارسلان بن سليمان السلجوقي وهي ملطية وسيراس وتونية واقصرا عازما على حربه وأخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصد لبيج ارسلان وأخذ لاده وأخرج به عن طاريد افريدا فسار الى نور الدين مستنجرا وملتجئا الى نطفه فأكرم نزله وأحسن اليه رجل له ما يليق أن يحمل للملوك ووعدته النصر والدمى في رد ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد ولاية أحد من المسلمين الا ضرورة أما ليستعين بها على قتال الفرنج أو للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر



وغيرها فلما قصد ذوالنون راسل قليج أرسلان وشفع اليه في اعاد ما غلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فصار نور الدين نحوه فابتدأ بكيسون وبه سني ومرعش ومرزبان فلكها وما بينهما من الحصون وسير طائفة من عسكره الى سيواس فلكوها وكان قليج أرسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من أطرافها التي تلي الشام الى وسطها خوفا وفرقا ورأسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه فتوقف نور الدين عن قصده رجاء ان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه من الفرنج ما أزعجه فاجابه الى الصلح وكان في جملة رسالة نور الدين اليه (انني أريد منك أمور وقواعد ومهمات تركت منها فلا ترك ثلاثة أشياء أحدها ان تجدد اسلامك على يد رسول حتى يحصل لي اقرارك على بلاد الاسلام فاني لا اعتقدك مؤثما وكان قليج أرسلان يتهم باعتقاد مذاهب الفلاسفة والثاني اذا طلبت عسكرك للفتنة تسيره فانك قدمك طرفا كبيرا من بلاد الاسلام وتركت الروم وجهادهم وهادتهم فاما ان تكون تجبني بعسكرك لاقاتل بهم الفرنج وأما ان تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي ولد أخي ود كر أمورا غير هذا فلما سمع قليج أرسلان الرسالة قال ما قصد نور الدين الا الشناسة على بالزندقة وقد أجبته الى ما طلب أنا أجدد اسلامي على يد رسوله واستقر الصلح وعاد نور الدين وترك عسكره في سيواس مع فخر الدين عبد المسيح في خدمة ذى النون فبقى العسكر بها الى أن مات نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد قليج أرسلان ملكها قال العماد (وفيها) وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري وهو فقيه عصره ونسب وحده فسر نور الدين به وأنزله بحلب بدرجة باب العراق ثم أطلعه الى دمشق فدرس بزاوية الجامع الغرية المعروفة بالشيوخ نصر المقدسي رحمه الله ونزل بمدرسة الجاروق وشيخ نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وأدركه الاجل دون ادراك علمه الاجل قلت هي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته وقد رأيت أنا ما كان بناء نور الدين ومن بعده منها وهو موضع المسجد والحراب الآن ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العمارة وبنائها هذا البناء المتقن المحكم الذي لا نظير له في بنية المدارس وهي المأوى وبها المشوى وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى وبقي قطب الدين الى أن توفي في الايام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها خافاتها ثمرة اذا فاتها مباشرته رحمه الله قال العماد وكان وقد في سنة أربع وستين شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح محمد بن علي بن محمد بن حمويه فأقبل عليه نور الدين وأمرني بانشاء منشور له بمشيخة الصوفية ورغبه في المقام بالا حسان اليه بالشام ومن جملة ما اتفق به عمامة باعده ذهبية كان قد انفذها صلاح الدين من مصر فبذل فيها ألف دينار بزنة ذهبها فلم يجبه من سامها الى طلبها قلت وقد سبق ذكر هذه العمامة في أخبار نور الدين أول الكتاب من كلام ابن الاثير وابن المعطى اياها وهو الشيخ تاج الدين عبد الله رحمه الله ثم ذكر العماد نسخة المنشور وفيه (فليظن في رباط السمسياطى وقبة الطواويس ورباط الطاحونة وغيرها من الرباط الذي للصوفية بدشق المعمورة وبعلبك) ثم ذكر العماد انه في آخر شعبان من هذه السنة قبل الرحيل من دمشق كان أهدي الى صديقه العاضل الاديب علم الدين الحسن بن سعيد الشاتاني قطائف وكتب اليه

ماراقدات في محزون مستوطنات في سكون \* أوكالعاقل في الخدو رقداعتقلن على ديون  
 أوكالتائم للصحا في ومانسين الى جنون \* صرعى ومادامت لها يومارحى الحرب الزبون  
 يحيين بالتغريق بل يسمن في ضيق السجون \* نضدن بالترصيع في الـجـامات كالدرالمصون  
 وقداشتملن من اللطا ثف والصفات على فنون \* يجلين أمثال العسرا ئس بين أبكاروعون  
 هنن اللذيذات الملسوا نذبالسهول من الحزون \* السكريات الغريـقات اغلائل والشؤون  
 لففن في أكفانهن على المنى لالاننون \* المستطابات الظهو رامستلذات البطون  
 المستقيمت الصفو فوقفن كالخيل الصفون \* اسمع حديثي في انبسا طى فالحدث أخوشجون

## في اخبار (٢١٥) الدولتين

﴿فصل﴾ قال العماد قد سبق ذكر ملجئ لاون مقدم بلاد الارمن والتجائه الى نور الدين وتطاوله بقوته على الروم والارمن وكانت الدروب تحت اذنه والمصيصة وسيواس يجيها كلب الروم ويضبطها بجنده حتى استولى عليها ملجئ لاون فكسرههم وقتل وأسر وساق لنور الدين من مقدى الروم ثلاثين أسيراً فأرسل نور الدين القاضي كمال الدين الشهرزوري بالأسرى والهدايا الى الخليفة المستضيء بأمر الله ومعه كتاب يشرح هذه الكسرة وما وقع من البلاد ويقول فيه (وقسطنطينية والقدس يجريان الى أمد الفتوح في مضمار المنافسة وكلاهما في وحشة ليل الظلام المدلهم على انتظار صباح المؤانسة والله تعالى بكرهه يدني قطاف الفتحين لاهل الاسلام ويوفق الخادم لحيازة مرضى الامام) وفي آخره (ومن جملة حسنات هذه الايام الزاهرة ما تبسر في هذه النوبة من افتتاح بعض بلاد النوبة والوصول الى مواضع منها لم تنظر قهاسنا بل الخيل الاسلاميه في العصور الختاليه وكذلك استولت عساكر مصر أيضاً على برقة وحصونها وتحتكرها في محكم معاقلةاومصونها حتى بلغوا الى حدود المغرب فظفروا من السؤل بعنقاء مغرب) قلت اتفق في هذه السنة وصول قراقوش غلام نقي الدين من الديار المصرية مع طائفة من الترك فانضم اليهم جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد افرقية ما خلا المهديّة وسفاس وقفصة وتونس وفي آخر ذلك الكتاب (ونسأل الله التوفيق لاستدناء قواصي المنى واقضاء عبدة الصليب الانجاس من المسجد الاقصى وان يجعل فتح البيت المقدس مفتوح مراده ومقتدح زناده ومقترحه في جهاده وان يملكه الساحل بجميع بلاده) وسير العماد معه قصيدة منها

بالمستضيء أبي محمد الحسن \* رجعت أمور المسلمين الى السنن  
في أرض مصر دعاله خطباؤها \* وأنت لخطب بكر خطبته عدن  
فالمغرب الأقصى بذلك مشرق \* وبه مصر محقق بمن اليمن  
ورأى الاله المستضيء لشرعه \* وعباده نعم الاميين المؤمنين  
مر النبوّة كما من فيه ومن \* فطر الامامة مشرق نور القطن  
تقوى أبي بكر ومن عر الهدي \* وحياء عثمان وعلم أبي الحسن  
وبجده عرفت مقالة حيدر \* لامد د أنى ولا منى الددن

ومنها في مدح نور الدين رحمه الله

هل مثل محمود بن زنكي مخلص \* متوحد بيني رضاك بكل فن  
ورع لدى المحراب أروع محرب \* في حالتيه ان أقام وان ظعن  
يمسى ويصبح في الجهاد وغيره \* يضحي رضيح سلافة وضجيع دن  
وبعزة الاسلام منتصر آخر \* وبذلة الاشراك مستنقأ فن

قال ابن أبي طي وفيها وصل شهاب الدين بن أبي عسرون من بغداد ومعه توقيع لنور الدين بدرج هارون وصريقين وخسين ديناراً من دنانير النشار التي نثرت يوم دخل الشهاب الى بغداد بالبيعة بالخطبة في مصر وزن كل دينار عشرة دنانير قال العماد وكانت ناحيته ادرب هارون وصر يفين من أعمال العراق لشكي والدنور الدين قديما من انعام أمير المؤمنين فسأل نور الدين احياء ذلك الرسم في حقه فأقيم به مال الخليفة عليه ووجه به مائة الشريفة اليه وكان من مراده ان يستوهب ببغداد على شاطئ دجلة ارضين هما مدرسة للشافعية ويقف عليها الناحيتين طلباً للاجر والذكر الباقي على مر الدهر فقيل له ما ثم موضع يصلح لهذا الادراا المثر فعاقه أمر القدر عن قدرته على هذا الامر

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسائة﴾ ونور الدين قد فتح من حصون الروم مرعش وغيرها وملجئ لاون مملك الارمن في خدمته ووصل الى خدمته ايضا ضياء الدين مسعود بن قنجاك صاحب ملطية وكان في خدمته ايضا الامر من المجدد فسرهم بالعطاء الاجزل والسمت الاجل وأظهره ينزل على قلعة الروم على الفراء فتقبله مستخلف الارض بالبراة وحمل خمسين ألف دينار على سبيل الجزية مصانعة بذل وصغار وعاد الى حلب وقد نجح

## كتاب (٢١٦) الروضتين

في كل ما طلب وأراد أن يسرع إلى دمشق فالتأت سريره لا تثبات سريره وحظي بمرض القلب أرض جسم محطيتها وجرت شكايته شكاية جارية فتصدق عنها بألوف والتزم لله في شفاها بنذرو وتوف ثم سيرها في محفة تجل على أيدي الرجال في خفة وسارت على الطريق المهييع مع العسكر يحملها من الخدم والخواص المعشر بعد المعشر ف تقرب اليه بمثل حملها والمشي معها وتقدم بحق لازم من بخدمة شيعها وتأخر نور الدين جريدة مع عتة من مماليكه وأمرائه الماحصين في ولايته وتقدم إلى أن أسأره في طريقه وأحاطه وأحضره في منزله واسأره وسرنا على طريق قبة ملاعب والمشهد وسلميه فجاء الخبر أن الفرنج قد أغارت على حوران فثنى إلى الجهاد العنان وسمي الفرنج به فتفرقوا وتلقوا بعدما كانوا أقلقوا ودخلنا دمشق قلب وفي جمادى الأولى أبطل نور الدين رحمه الله فريضة الاتبان ورأيت منشوره بذلك وعلامته عليه بخطه (الجد لله) بقول فيه (وبعد فأن من سنننا العادلة وسير أيا من الزاهر وعواد دولتنا القاهرة أساعة المعروف وأعائه الملهوف وانصاف المظالم واعفاء رسم ماسنه الظالمون من جائزات الرسوم وما نزال نجد للرعية رمانا من الاحسان يرتعون في رياضه ويرتوون من حياضه ونستقرئ أعمال بلادنا المحروسة ونصفيهما من السبه والسواب ونلحق ما يعثر عليه من بواقي رسومها الضائرة بما أسقطناه من المكوس والضرائب تقر بالي الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلوغ المطالب وقد أطلقنا جميع ما جرت العادة بأخذ من فريضة الاتبان المقسطة على أعمال دمشق المحروسة وضياع الغوطة والمرج وحبل سنين وقصر حجاج والشاغور والعقبة ومزارعها الجارية في الاملاك وجميع ما بقسط بعد المقاسمة من الاتبان على الضياع الخواص والمقطعة يسائر الأعمال المذكورة ووفرناه على أربابه طلب المرضاه الله وعظيم أجره ونوابه وهر بامن انتقامه وألم عقابه وسبيل الثواب اطلاق ذلك على الدوام وتعفيه آثاره والاستعفاء من أوزاره والاحتراز من التدنس بأوضاره وأبطل رسمه من الدواوين لاستقبال سنة تسع وستين وما بعده شاعلى تعاقب الايام والسنين)

(فصل) في فتح اليمن قال العماد وفي رجب توجه تورانشاه كبر اخوة صلاح الدين إلى اليمن فملكها وكان يحثه على المسير إليها عمارة اليمنى شاعر القصير وكان كثير المدح لتورانشاه فجهز و سار إلى مكة ثم إلى زيد فملكها وقبض على الخارجي بها وأهلكه نائبه سيف الدين مبارك بن منقذ ومضى إلى عدن فأخذها و أتاب فيها عاز الدين عثمان الزنجبيلي وفتح حصن تعز وغيره من القلاع ففتح اقليما ومنع ملكا عظيما واقترع بكرا وشيع ذكرا وقال ابن شداد ولما كان سنة تسع وستين رأى صلاح الدين قوة عسكره وكثرة عدد اخوته وقوة بأسهم وكان بلغه ان بالين انسانا استولى عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يسمى عند النبي بن مهدي و يزعم انه ينشر ملكه إلى الارض كلها واستتب أمره فرأى ان يسير إليها أخاه الاكبر الملك المعظم تورانشاه وكان كرما أريحيما حسن الاخلاق سمعت منه يعني من صلاح الدين رحمه الله الثناء على كرمه ومحاسن أخلاقه وترجيحه إياه على نفسه فضى إليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي كان بها قتل وكان أخوه هذا الخارجي قد خرج بالين قبله ذكر عمارة اليمنى في أول كتابه في وزراء مصر في أثناء كلام له قال وكان جماعة من أمثال الناس مثل بركات المقرئ وعلى بن محمد النيلي والذقيه أبي الحسن على بن مهدي القائم الذي قام بالين وأزال دولة أهل زبيد وغيرهم قد سبقوني يعني إلى صاحب عدن فذكر كلاما يتعلق به وقال العماد في الخريدة على بن مهدي ملك اليمن في زماننا هذا وسفك الدماء وسبي المسلمين وأقبل على شرب الخمر وأدعى الملك والامامة ودعا إلى نفسه وكان يحدث نفسه بالمسير إلى مكة فأت سنة ستين وتولى بعده أخوه وله شعر حسن يدل على علو همته قال ابن أبي طى كان سبب خروج شمس الدولة إلى اليمن انه كان كرما جوادا وكان اقطاعه بمصر لا يقوم بمقتوته ولا ينهض بمروته وكان قد انتظم في سلكه عمارة الشاعر وكان من أهل اليمن وكان ورد إلى مصر ومدح أصحابه ونفق عليهم فلما زالت دولتهم انضوى إلى شمس الدولة ومدحه وكان اذا خلا به يصف له بلاد اليمن وكثرة أموالها وخيرها و وضعف فيها وانها قريبة المأخذ لمن طلبها قلت فن جله شعرة في ذلك قوله من قصيدة أولها

العلم مذ كان محتاج إلى العلم \* وشفرة السيف تستغنى عن القلم  
كم ترك البيض في الاجفان ظامية \* إلى الموارد في الاعناق والقلم

## في أخبار (٢١٧) الدولتين

أما ملك الفتح من شام ومن يمن \* فلا تذر رؤس الخيل بالجسم  
فعمك الملك المنصور سؤمها \* من الفرات الى مصر بلا سأم  
فاخلق لنفسك ملكا لاتضاف به \* الى سواك وأور النار في العلم  
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته \* كما يقول الوري لجاما على وضم  
وقد ترقى الى ان امسكت يده \* من الكواكب بالانفاس والكظم  
حاسب ضميرك عن رأى أذاك وقل \* نصيحة وردت من غير متهم  
وله من أخرى

أفاح أرض النيل وهي عظيمة \* على كل راج فتحها وموئل  
متى توعد النار التي أنت قاذح \* بعمدان مشبوا بأسناها بمندل  
وتفتح ما بين الحصين وانت \* وصنعاء من حصن حصين ومعدل  
وتلك من مخلاف طرف وجعفر \* نقيضين من حزن خصيب ومسهل  
وتخلق ملكا لا يجيل بنخره \* على أحد الاعلى عزمك العلى  
وله من أخرى

فالوا الى اليمن الميمون رحلته \* فقلت مادونه شيء سوى السفر  
سير يسرى الدنيا وطيب ثنا \* وطول عمر كذا يحكى عن الخضر  
لا توفد لها النار التي خدت \* خفض عليك نيل ماشئت بالشرر  
المال ممل يد والقوم ملك يد \* ولا أطيل وهذا جلة الخبر

قال ابن أبي طى ووافق ذلك انه كاتبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم واطمعه في المعاونة لان صاحب اليمن عبد النبي كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعلم شمس الدولة أصحابه بعزمه على اليمن فاجابوه فنجحوا ثم دخل على أخيه السلطان واستأذنه في دخول اليمن فاذن له وأطلق له مغل قوص سنة وزوده فوق ما كان في نفسه وأحجبه جماعة من الامراء ومقدار ألف فارس خارجا عن سيره من حلقة وسار في البر والبحر في البراءة عساكر وفي البحر الاسطول يحمل الازواد والعدد والالات فوصل الى مكة شرفها الله تعالى فدخلها زائرا ثم خرج متوجها منها الى اليمن فوصل زبيد في أوائل شوال فقتل عليها ولقيه الشريف هاشم بن غانم الحسنى وجميع الاشراف بنو سليمان في جمع جم وعدد كبير فهجم زبيد وتسلبها واحتوى على ما فيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبي أخى على بن مهدي ثم رحل الى عدن وفي صحبته ابن مهدي ففتحها عنوة ولاها عز الدين الزنجبيلي ثم سار الى المخلاف وتسلم الحصون التي كانت في يد ابن مهدي كتعض وغيرها وسار الى صنعاء بعد فتح مدينة الجند وغيرها فاحرق صنعاء فدخلها شمس الدولة فلم يجد بها الا شيئا وامرأة عجوزا فاقام بها ثمانية أيام ثم لم يستطع المقام لقلعة الميرة فرجع الى زبيد فوجد ابن منقذ قد قتل عبد النبي بن مهدي وكان شمس الدولة قد استناب بزبيد الامير سيف الدولة المبارك ابن منقذ وأمره بجملة فلما بعد شمس الدولة خاف ابن منقذ من فساد أمره فرأى المصلحة في قتله فقتله ابن منقذ بزبيد فلما بلغ شمس الدولة قتله استصوبه ولما حصل شمس الدولة في زبيد انفذ اليه صاحب طاروصا ليه هو وباقي الملوكة على اداء المال ثم تتبع تلك الحصون والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى أخيه الملك الناصر فارسلى الى نور الدين يخبره بما أفاض الله عليه من الاحسان وخوله من ملك الديار والبلدان فارسلى نور الدين مهذب الدين أبا الحسن على بن عيسى النقاش بالشارة بذلك الى بغداد

(فصل) ذكر العمداء هاهنا الامير محمد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن منقذ المستناب بزبيد ووصفه بأنه من الكفاة والكرماء والدها ذوى الاراء وهو فاضل من أهل بيت فضل كتب العمداء من شعره لما نزلت الدبر قلت لصاحبي \* قم فاخطب الصهباء من شماسة  
فانى وفي يمناه كاس خلتها \* مقبوسة في الليل من نبراسه

## كتاب (٢١٨) الروضتين

وكان مافي كأسه من خذّه \* وكان مافي خذّه من كأسه  
وكان لده طعمها من ريقه \* وأريجها الفياح من أنفاسه  
لم أنس له سلة شربها بغناؤه \* اذ بات يجلوها على جلاسه  
اذ قام يسقين المدام وكلما \* عاتبتنه رد الجواب براسه  
قلت ومدحه أبو الحسن بن الذروي المصري بقصيدة غراء ذالمة ما أظن انه نظم على فافية الدال أرق منها لفظا وأدق معنى أولها

لك الخبير عرج بن علي ربهم فذى \* ربوع يفوح المسك من عرفها الشذى

يقول فيها

مبارك عيش الوف — دباب مبارك \* وهل منقذ القصاد غير ابن منقذ  
قال العماد ثم سير نور الدين الى بغداد بشارة بامر من أحدهما فتح الين والآخر كسر الروم مرة ثانية ومقدمهم الدوقس  
كلمان وكان قديما أسير عند نور الدين من نوبة حارم وفداه بخمسة وخمسين ألف دينار وخمسمائة وخمسين نوبا  
أطلقا وسير معه أسرى من الروم وذلك في شعبان هذه السنة وبما تضمنه كتاب البشارة (ولم ينج من عشرة ألف غير عشرة  
حمر مستنفره قرت من قسوره) وقبل ذلك بشهرين سيرت قصيدة للعماد في جمادى الآخرة على لسان نور الدين الى  
بغداد أولها

أطاع دمعى وصبرى فى الغرام عصى \* والقلب جرع من كأس الهوى غصصا  
وان صفوح حياتى ما يكدره \* الاشتياق الى أحبابى بالخلصا  
ما أطيب العيش بالأحباب لو وصلوا \* وأسعد القلب من بلواه لو خلاصا  
من ذا الذى سار سيرى فى ولائكم \* غداة قال العدى لاسير عند عصا  
قد نال عبداً محمود بها ظفراً \* ما زال يرقبه من قبل مر تبصا  
من خوف سطوته ان العود اذا \* أم النغور على أعقابها نكصا

وكلف نور الدين فى هذه السنة بإفادة اللطاف والزيادة فى الاوقاف وتكثير الصدقات وتوفير النفقات وكسوة  
النسوة والايامى فى أيامها واغناء فقراء الرعية وانجادهما بعد اعدامهما وصون الايتام والارامل ببذله وعون الضعفاء  
وتقوية المقيمين بعده ثم ذكر ما قدمنا ذكره فى أول الكتاب من مناقب نور الدين وافعاله الكريمة قال العماد فى يوم  
الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العادة وجلسنا نحن فى ديوانه حافلين فى ايوانه لبسط عدله واحسانه  
وتنفيذ أوامر سلطانه فجاءنى من أخبرى ان نور الدين نزل الى المدرسة التى اتولاها وبسط سجدته فى قبلتها لسنة  
الضحى وصلها فقمت فى الحال ومضيت على الاستجمال فلقيت فى الدهليز خارجا فى أجر العبادة ناجحاً ولنهيج  
العادة ناهجاً فلما رآنى توقفت ولقولى تسوّف فقلت له ان الموضع قد تسرف أما ترى انه من أيام الزلزلة قد تشعث فلما  
رأى حاله تلبث وقال نعيده الى العماره ونكسوه لحل النضاره ثم حملت له وجوه سكر وسديثا من ثياب وطيب  
وعنبر وكتبت معها هذه الايات

عند سليمان على قدره \* هدية الغلة مقبولة  
ويصغر الملوك عن غلة \* عندك والرحمة مأمولة  
رفى لمولانا وملكى له \* وذمتى بالشكر مشغولة  
وكيف يقضى الحق ذومنة \* ضعيفة بالعجز معلولة  
وانما شمة مولى الورى \* طاهرة بالخير مجبولة

قال وكان رأى قبله المدرسة غير مفصصة وبالترخيم والتذهيب والتزييب غير مخصصه فأنفذ لى لعمارتها فصوصا  
مذهبة وذهباً ثم حم مقدور حامه وعاق القدر عن اتمامه ودفعته الى الموصل فرأيت فى المنام وهو يجارىنى  
فى الكلام ويقول ما يعود الى المدرسة معناه وقال الصلاة الصلاة فعرفت انه أشار الى المحراب وانه لآ ن على هيئة

## في اخبار (٢١٩) الدولتين

الخراب فكتبت الى الفقيه الذي كان عنده الذهب ان يشرع في عمارة ودخلت دمشق يوم فراغ الصانع منه  
**(فصل)** قال ابن أبي طي: وفي هذه السنة وصل رسول نور الدين الموفق بن القيسراني الى الديار المصرية واجتمع  
 بالسلطان الملك الناصر وأنهى اليه رسالة نور الدين وطالبه بحساب جميع ما حصله وارفع اليه من المغل فصعب ذلك  
 على السلطان وأراد شق العصي لولا ما تاب اليه من السكينة والعقل فامر بعمل الحساب وعرضه على ابن القيسراني وأراه  
 جرائد الاجناد بمبالغ اقطاعهم ونعيمين جاميكتهم ورواتب نفقاتهم فلما حصل عنده جميع ذلك أرسل معه هدية الى نور  
 الدين على يد الفقيه عيسى قال ووقفت على برنامج شرحتها بخط الموفق بن القيسراني وهي خمس ختمات احداها ختم  
 ثلاثون جزءا مغشاة باطلس أزرق مضطربة بصفائح ذهب وعليها أقفال ذهب مكتوبة بذهب بخط يانوس وختم بخط  
 راشد مغشاة بدبياج فستقى عشرة أجزاء وختم بخط ابن البواب مجلد واحد بقل ذهب وختم بخط مهلهل جزء واحد  
 وختم بخط الحاكم البغدادى \* ثلاثة أحجار بلخس حجر وزنه اثنان وعشرون مثقالا وحجر وزنه اثناعشر مثقالا وحجر  
 وزنه عشرة مثاقيل ونصف \* ست قصبات زمرد قصبة وزنها ثلاثة عشر مثقالا وثلاث وربع وقصبة وزنها ثلاثة مثاقيل  
 وقصبة وزنها مثقالان ونصف وقصبة وزنها مثقالان وربع وسدس وقصبة وزنها مثقالان وثلاث \* وحجر ياقوت وزنه  
 سبعة مثاقيل \* وحجر أزرق وزنه ستة مثاقيل وسدس \* مائة عقد حوهر محتومة وزنها جميعها ثمانمائة وسبعة  
 وخسون مثقالا \* وخسون قارورة دهن بلسان \* عشرون قطعة بلور \* أربعة عشر قطعة جزع وذكر تفصيلها \* ابريق  
 يشم \* طشت يشم \* سقرق مينا ذهب \* صحن صيني وزبادى وسكارج \* أربعون قطعة عود طيب قطعتين كبار \* كرتان  
 وزن احدهما ثلاثون رطلا بالمصرى والاخرى احد وعشرون رطلا \* مائة ثوب أطلس \* أربعة وعشرون بيقارامذهبة  
 أربعة وعشرون ثوبا حريري \* أربعة وعشرون ثوبا من الوشي حريري بيض \* حلة فلعلى مذهبه \* حلة مرأيش صفرا  
 مذهبه وذكر غير ذلك أنواعا من القماش قيمتها مائتان وخمسة وعشرون ألف دينار مصريه وعدة من الخيل والغلمان  
 والجواري وشيئا كثيرا من السلاح على اختلاف ضربه قال وخرجوا بهذه الهدية فلم تصل الى نور الدين لانهم اتصل  
 بهم وفاته فقاما أعيد ومنهما استهلك لان الفقيه عيسى وابن القيسراني وضعوا عليهم من نهيم واستبدوا باكثرها  
 وقيل انها وصلت جميعها الى السلطان لانه اتصل به خبر موت نور الدين فانفذ من ردها قال وحديثي من شاهد هذه  
 الهدية انه كان معها عشرة صناديق مالا يعلم مقداره وقال العماد لما وصل الى صلاح الدين رسول نور الدين وهو الموفق  
 خالد اطلمه على كل ما هو فيه وأحصى له الظريف والتالذ وقال هؤلاء الاجناد فاعرضهم واثبت أخبارهم وما  
 يضبط مثل هذا الاقليم الا بالمال العظيم ثم أثت تعرف اكابر الدولة وعظماءها واهم اعتادوا من السعة والدعة على  
 نعمائها وقد تصرفوا في مواضع لا يحسن ان اذاعها ولا يسمعون بأن يقص ارتفاعها فالوارد مشفوهه والشدائد  
 مكرهه والمقاصد بدعها مجبوهه والهمم بما مشدوهه وشرع في جمع مال يسيره وحمله بجهد يذله وبخطر يحتمله  
 وحصل لحال منه ما لم يكن في خلد له وجاءه مطرف غناه أضعاف مثله

**(فصل)** في طلب عمارة الشاعر البني وأصحابه قال العماد واجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية  
 المتعصبة المتصعبة المتشددة المتصلبة وتوازر واوتزاوروا فيما بينهم خيفة وخفيه واعتقدوا أمنية عادت بالعقبى  
 عليهم منية وعينوا الخليفة والوزير وأحكوا الرأي والتدبير وتبشروا أمرهم بليل وستر واعليه بذيل وكان عمارة  
 البني الشاعر عقيدتهم ودعا للذة قريتهم وبعيدهم وكانوا قد أودعوا سرهم عندهم من أذاعه واستحفظوا من  
 أضعاه وأدخلوا عدة من أنصار الدولة الناصرية في جملتهم وعرفوهم بجهاتهم وكان الفقيه الواعظ زين الدين على  
 ابن نجاشا جهم فيما زين لهم من سوء أعمالهم ويدخلهم في عزم خروجهم مطالع على أحوالهم وتقاسموا الدور  
 والاملاك وكادت آلامهم تدنوس الادراك فجاء زين الدين الواعظ واطلع صلاح الدين على فسادهم وماسؤولوه من  
 مراد مرادهم وطلب ما لابن كامل الداعي من العقار والدور وكل ماله من الموجود والمذخور فبذل له السلطان  
 كل ما طلبه وأمره بمخاطبتهم ورغبه ثم أمر السلطان باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامة السياسة فيهم وطلب يوم  
 السبت ثاني شهر رمضان جماعة منهم بين القصرين منهم عمارة وأفنى بعد ذلك من بقي منهم ومات بموتهم الخبر عنهم  
 وكان منهم داعي الدعاة ابن عبد القوي وكان عارفا بمخبايا القصر وكنوزه فبادلوا بسمح بآبائهم وبقيت تلك الخرائن

## كتاب (٢٢٠) الروضتين

مدفونه وتلك الدفاتر مخزونه قد دفن دافنها وخن تحت الثرى خازنها الى أن يأذن الله في الوصول اليها والاطلاع عليها وجمع من أموال هؤلاء ما يحمل الى الشام للاستعانة به على حماية شعور الاسلام قال ابن أبي طى وفي هذه السنة اجتمع جماعة من دعاة المصريين والعوام وتآمر وافيا بينهم خفية وبكوا على انقراض دولة المصريين وما صاروا اليه من الذل والفقر ثم اجعوا آراءهم على أن يقيموا خيفة ووزيرا وتجمعوا وهم وجماعة عينوهم من الامراء وغيرهم وان يكاتبوا الفرنج وان يثبوا بالملك الناصر وأدخلوا معهم في هذا الامر ابن مصال وأعدوا جماعة من شيعة المصريين ليلة عينوها وكتبوا الفرنج بذلك وقرر وامعهم الوصول اليهم في ذلك الزمان المقرر فخانهم ابن مصال فيما عاهدهم عليه ونكث في اليمين وكفر عنها وصار الى الملك الناصر وعرفه بخلية ما جرى قال فأحضرهم واحدا واحدا وقررهم على هذه الحالة فأقروا واعتزفوا واعتذروا بكونهم قطعوا أرزاقهم وأخذت أموالهم فأحضر السلطان العلماء واستفتاهم في أمرهم فأفتوه بقتلهم وصلبهم ونفيهم فأمر بصلبهم وقيل ان الذي أذاع سرهم زين الدين على الواعظ وطلب جميع ما لابن الداعي من العقار والمال فأعطاه جميع ذلك وكان الذين صلبوا منهم المفضل بن كامل القاضي وابن عبد القوى الداعي والعوريس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضاء بعد ذلك وشهر ما كتب السر وعبد الصمد القشة أحد أمراء المصريين ونجاح الحمائي ورجل منجم نصراني أرمني كان قال لهم ان أمرهم يتم بطريق علم النجوم وعمارة الخي الشاعر قلت وبلغني ان عمارة كان تحريره لشمس الدولة على المسير الى اليمن ليم هذا الامر لان فيه تقيلا لسكر صلاح الدين وابعادا لآخيه وناصره عنه قال العماد في الخبرية ووقعت اتفاقات عجيبية من جلته انه نسب اليه بيت من قصيدة ذكر والله يعني في القصيدة التي حرض فيها شمس الدولة على المسير الى اليمن أوها (العلم مذ كان محتاج الى العلم)

وقد تقدم ذكرها وأما البيت فهو هذا

فكان أول هذا الدين من رجل \* سعى الى أن يدعو سيد الامم

قال العماد ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه فأفتى فقهاء مصر بقتله وحرصوا السلطان على المثلة بمثله قال ولعمارة في مصلوب بمصر يقال له طرخان وكان خرج على الصالح بن رزيك فظفر به الصالح وصلبه وكان يستحسن أيباء عمارة فيه وهي

أراد علو مرتبة وقدر \* فأصبح فوق جذع وهو عال

ومد على صليب الجذع منه \* يمين لا تظول على الشمال

ونكس رأسه لعقاب قلب \* دعاه الى الغواية والضلال

قال العماد فكانه وصف حاله وما آل اليه أمره وقال في البرق ووصل من صلاح الدين يوم وفاة نور الدين الى دمشق كتاب يتضمن هذه القضية وهو بخط ابن قريش يعني المرتضى وقال ابن أبي طى وقد كتب القاضي الفاضل الى نور الدين كتابا شرح فيه قضية المصلبين فقال بعدم طلع الكتاب (قصر هذه الخدمة على متجدد سارا لاسلام وأهله وبشارة مؤذنة بظهور وعد الله في اظهاره على الدين كما بعد ان كانت لها مقدمات عظيمة الا أنها اسفرت عن النجح وأوائل كلاله البهيمه الا أنها انفرجت عن الصبح فالاسلام بركاته البادية وفتكاته الماضية قد عاد مستوطنا بعد ان كان غريبا وضرب في البلاد بجبرانه بعد ان كان كالكة ريت عليه تخيلا عجيبا الا أن الله سبحانه اطلع على أمرها من أوله وأظهر على سرها من مستقيله والملوك يأخذ في ذكر الخبر ويعرض عن ذكر الاثر لم يزل يتوسم من جند مصر ومن أهل القصر بعدما أزال الله من بدعتهم ونقض من عرى دولتهم وخفض من مرفوع كلمتهم انهم أعداء وان تعدت بهم الايام واضداد وان وقعت عليهم كلمة الاسلام وكان لا يحتقر منهم حقيرا ولا سبق بعد منهم شرا كبيرا وعميونه لمقاصدهم موكله وخطراته في التمرز منهم مستعمله لا تتخلو سنة تمر ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه وفساد يتسرعون اليه وحيلة يبرمونها ومكيدة يتمونها وكان اكثر ما يتعللون به ويستريحون اليه المكاتبات المتوازية والمراسلات المتقاطرة الى الفرنج خذلهم الله التي يوسعون لهم فيها سبيل المظامع ويحملونهم فيها على العظام والفظائيل ومنون لهم الاقدام والقدم ويخلعون فيا ربة الاسلام خلع المرتد المحصور ويدال الفرنج بمحمد الله



## في اخبار (٢٢١) الدولتين

قصيرة عن اجابتهم الا أنهم لا يقطعون حبس طمعهم على عادتهم وكان ملك الفرنج كلما سولت له نفسه الاستئثار في مراسلتهم والتحيل في معاوضتهم سير جرج كاتبه رسولا لينظروا حالهم باطنا عارضاعلينا الجليل الذي ما قبلته قط أنفسنا وعاقدا معهم القبيح الذي يشمل عليه في وقته علمنا ولاهل القصر والمصريين في أثناء هذه المدة درسلا تتردد وكتب الى الفرنج يتخدد ثم قال (والمولي عالم ان عادة أوليائه المستفادة من أدبه أن لا يسطوا عقابا مؤلما ولا يعذبوا عذابا محكما واذا طال لهم الاعتقال ولم يخج السؤال أطلق سراحهم وخلي سبيلهم فلا يزيدهم العفو الاضراوه ولا الرقة عليهم الا قساوه وعند وصول جرج في هذه الدفعة الاخيرة رسولا لينارزهم ورد الينا كتاب من لارباب به من قومه يذكرون انه رسول مختال له لارسل مجامله وحامل بليه لاحمل هديه فأوهنناه الاغفال عن التيقظ لكل ما يصدر منه واليه فتوصل مرع بالخر وج ليلامرمة بالكوب الى الكتيسة وغير هانهار الى الاجتماع بحاشية القصر وخدا موعبا مرء المصريين وأسبابهم وجماعة من النصاري واليهود وكلاهم وكناهم قدسنا اليهم من طائفتهم من داخلهم فصار ينقل الينا أخبارهم ويرفع الينا أحوالهم ولما تكاثرت الاقوال وكاد يشتهر علمنا بهذه الاحوال استخرنا الله تعالى وقبضنا على جماعة مفسده وطائفة من هذا الجنس مفرده قد اشتملت على الاعتقادات المارقة والسرائر المنافقه فكلأ أخذ الله بذنبه فخنم من أقرطائعا عند احضاره ومنهم من أقر به دضر به فاندكشت أمورا آخر كانت مكمومه ونوب غير التي كانت عندنا معلومه وتقاريرات مختلفة في المراد متفقة في الفساد) ثم ذكر نصيلا حاصله انهم عينوا خليفه ووزيرا مختلفين في ذلك فخنم من طلب اقامة رجل كبير السن من بني عم العاضد ومنهم من جعل ذلك لبعض أولاد العاضد وان كان صغيرا واختلف هؤلاء في تعيين واحد من ولدين له وأما بنورزيك وأهل شاور فكل منهم أراد الوزارة لبنتهم من غير أن يكون لهم غرض في تعيين الخليفه ثم قال وكانوا في تقدم والملوك على الكرك والشوبك بالعسكر قد كتبواهم وقالوا لهم انه بعيد والفرصة قد أمكنت فاذا وصل الملك الفرنجي الى صدر أو الى ايلة ثارت حاشية القصر وكافة الجنود وطائفة السودان وجوع الارمن وعامة الاسماعيلية وفسكت بأهلنا وأصحابنا بالقاهرة ثم قال ولما وصل جرج كتبوا الى الملك الفرنجي أن العساكر متباعدة في نواحي اقطاعاتهم وعلى قرب من موسم غلاتهم وانه لم يبق في القاهرة الا بعضهم واذا بعثت اسطولا الى بعض الثغور انهم فلان من عنده وبقى في البلد وحده ففعلنا ما تقدم ذكره من الثورة ثم قال وفي أثناء هذه المدة كتبوا سنانا صاحب الحشيشية بان الدعوة واحدة والكلمة جامعة وان ما بين أهلها خلاف الا فيما لا يفتقر به كله ولا يجب به تعود عن نصره واستدعوا منه من ينم على الملوك غيلة أو يبيت له مكيدة وحيلة والله من ورائهم محيط وكان الرسول اليهم عن المصريين خال ابن قر حلة المقيم الآن هو وابن أخته عند الفرنج ولما صح الخبر وكان حكم الله أولى ما اخذ به وأدب الله امضى فيمن خرج عن أدبه وتناصرت من أهل العلم الفتاوى وتوالت من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من الغواة الغلاة الدعاة الى النار الخاملين لا تقالهم واثقال من أضلوه من الفجار وشنقوا على أبواب قصورهم وصلبوا على الجذوع المواجهة لدورهم ووقع التبع لاتباعهم وشردت طائفة الاسماعيلية ونفوا ونودي بأن يرحل كافة الاجناد وحاشية القصر وراجل السودان الى أقصى بلاد الصعيد فأما من في القصر فقد وقعت الحوطة عليهم الى أن يتكشف وجهه رأي يرضيهم ولا رأى فوق رأى المولى والله سبحانه المستخار وهو المستشار وعنده من أهل العلم من تطيب النفس بتقليده وتمضى الحدود بتخديده ورأى الملوك اخراجهم من القصر فانهم مهمما بقوافيه بقيت مادة لا تحسم الاطماع عن فانه حباله للضلال منصوبه وبيعه للبدع محجوجه قال المؤلف لعلها محجوبة وما يطر فبه المولى ان ثغرا الاسكندرية على عوم مذهب السنة فاه أطلع البحث ان فيه داعية خبيثا أمره محتقرا شخصه عظم كفره يسمى قديد القفاص وان المذكور مع خوله في الدار المصرية قد فشت في الشام دعوته وطبقت عقول أهل مصر فنتته وان أرباب المعاش فيه يحملون اليه جزءا من كسبهم والنسوان يعش اليه شطرا وافيما من أمواهن ووجدت في منزله بالاسكندرية عند القبض له والمجبوب عليه كتب مجردة فيها خلع العذار وصريح الكفر الذي مانعه اعتذار ورفاع يخاطب بها فيها ما تشع منه الجلود وبالجملة فقد كفى الاسلام امره وحقا به مكره



## كتاب (٢٢٢) الروضتين

وضرعه كفره قلت وفي قضية عماره هذه يقول العلامة تاج الدين السكندى رحمه الله ونقلته من خطه

عماره في الاسلام ابدى جنانية \* وبائع فيم بايعة وصليبا  
وامسى شريك الشرك في بغض احمد \* فاصح في حب الصليب صليبا  
وكان حديث الملتقى ان عجمته \* تجدم منه عو افي النفاق صليبا  
سيلقى غدا ما كان يسعى لاجله \* ويسقى صديدا في لظى وصليبا

قلت الصليب الاول النصرى والثاني بمعنى مصلوب والثالث من الصلابة والرابع ودك العظام وقيل هو الصديد  
أى يسقى ما يسيل من أهل النار نعوذ بالله منها وكان عماره مستسعر امس الغز وعم أيضا امنه لانه كان من اتباع الدولة  
المصرية ومن انتفع بها واختل أمره بعدها فلم تصف الفلوب بعضها البعض وصار يظهر في فلان لسانه في نظامه  
ونثره ما يقتضى التحرر منه وابعاده وهو يرى ذلك منهم فيزداد فسادا في نيته وان مدحهم تكلف ذلك وصرح وعرض  
فيه بما في ضميره وقد قال في كتاب الوزراء المصرية ذكر الله أيامهم بمجد لا يكل نشاطه ولا يذوى بساطه فتد وجدت  
فقد هم وهنت بعدهم وقال من قصيدة مدح بها نجم الدين أيوب

وكان لى في ملوك النيل قبلكم \* مكاتبة عرفتها العرب والعجم  
وكان بينى وبين القوم ملكمة \* في حربها الس الا ديان تختصم  
وماتزال الى دارى عوارفه — م \* يسعى الى بها الانعام والكرم  
تركتم قصدي لما قيل انك لا \* تجود الاعلى من مسه العدم  
ولست بالرجل المجهول موضعه \* ولا تنزرم الاحسان أغتم  
ولا الى صدقات المال أطلبها \* ولا عى نال اعضاءى ولا صم  
وانما أنا ضيف للملوك ولى \* دون الصيوف لسان ناطق وفم

وقال من قصيدة مدح بها صلاح الدين رحمه الله

قررت لى أبساء رزبك رزفا \* كان في عصرهم مستماهنا  
وأنت بعدهم ملوك فسنوا \* في ما كان صالح القوم سنا  
ورعو لى أما اقتداء بماض \* أولعنى فكلمهم لى يعنى

وله فيه من أخرى

فقد صارت الدنيا اليكم بأسرها \* فلان شعبا ومنها ونحن جميعا  
اذالم تريدونا فكونوا كن مضى \* ففي الناس أخبارهم وسماع  
وليس على من الفظام اقامة \* فهل في ضروع المكر مات رضاع

وقال في قصيدة مدح بها تقي الدين

هل تأذنون لمن أراد عنا بكم \* أم ليس في اعتباركم من مطمع  
ضيعتم من حقى ضيفكم الذى \* مازال قبل اليوم غيره ضيع  
وتغافل السلطان عنى حين لم \* اكشف قناع مذه وتصرع  
ورجوت نفعك بالشفا عنة \* فسمحت لى بشفا علة نفع  
واذا نطق الرزق ضاق بماله \* امسى مجال النطق غير موسع

وقال أيضا

نيمت مصرا أطلب الجاه والغنى \* فلنتم ما فى ظل عيش منع  
وزرت ملوك النيل ارتاديلهم \* فاجدم تادى واخصب مربي  
وفزت بألف من عطية فائز \* مواهبه للصنع لالتصنع  
وجاد ابن رزيك من الجاه والغنى \* بما زاد عن مرى رجائى ومطعمى

## في اخبار (٢٢٣) الدولتين

وأوحى الى سمعي ودائع شعره \* تخيرته منى بأكرم مودع  
ولست أيا دى شاور بزمية \* ولا عهدا عندي بعهد مضيع  
ملوك رعدوا الى حرمة صاربتها \* هشيمار عته النائبات وما رعى  
مذاهبهم في الجود مذهب سنة \* وان خالفوني باعته فداد التشيع  
فقل لصالح الدين والعدل شأنه \* من الحاكم المصنعي الى فادعي  
أقت لكم ضيعا ثلاثة أشهر \* أقول لصدرى كلما ضاق وسع  
وكم في ضيوف الباب من لسانه \* اذا تطعوه لا يقوم بأصبعي  
في اراعي الاسلام كيف تركتنا \* فريق صباع من عرايا وجوع  
دعوناك من قرب وبعد فهد لنا \* جوابك بالباري يجيب اذا دعي

وقال أيضا

اسقى على زمن الامام العاضد \* اسف العقم على فراق الواحد  
جالست من وزرائه وصحبت من \* أمرائه أهل الشناء الخالد  
لهقي على حجرات قصر كاذخلت \* يابن النسي من ازدهام الوافد  
وعلى انفرادك من عساكر الذي \* كانوا كأمواج الخضم الراكد  
قلدت عوتم الخلافة أمرهم \* فبكوا وقصر عن صلاح الفاسد  
فعسى اليا لى أن ترّد اليكم \* ما عودتكم من جيل عوائد

وقال أيضا

قست رافة الدنيا فلا الدهر عاطف \* على ولا عبد الرحيم رحيم  
عفا الله عن آرائه كل فترة \* كلام العدى فيها على كلوم  
وسامحه في قطع رزق بعضه \* وصلت اليه والزمان ذميم  
الا هل له عطف على فاني \* فقير الى ما اعتدت منه عديم

عبد الرحيم هو القاضي الفاضل رحمه الله وبلغني ان عمارة لما مروا به ليصلب عبروا به على جهة دار الفاضل فطلب  
الاجتماع به فتميل ليس اليه طريق فقال عبد الرحيم قد احتجب \* ان الخلاص هو العجب  
قال وعنده القصيدة بتحقيق ما ذكر من الاجتماع على مكتبة المرنج والخوض في فساد الدولة بل الله وتوضع عذر  
السلطان في قتله وتتل من شارك في ذلك وعنى

رميت يادهم كرف المجد بالشلل \* وجيده بعد حلى الحسن بالعطل  
سعيت في منهج الراى العور في \* فدرت من عثرات البغي فاستقل  
جذعت مارنك الاقنى فانفك لا \* نفل ما بين نقص الشين والخجل  
هدمت قاعدة المعروف عن عجل \* سقيت مهلا ما نمشى على مهل  
لهقي ولهف بنى الامال فاطبة \* على تخيبتنا في أكرم الدول  
قدمت مصرفا ولتني خلائفها \* من المكارم بأرني على الامل  
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن \* كالمها انها جاءت ولم أسئل  
وكننت من وزراء الدست حيث سما \* رأس الحصان يهاديه على الكفل  
ونلت من عظماء الجيش تكرامة \* وخلة حرس من عارض الخلل  
يا عاذلى في هوى أبناء فاطمة \* لك الملامة ان قصرت في عدلى  
بالله زر ساحة القصرين وابك معي \* عليهم ما لا على صفين والجل  
وقل لاهلها والله ما التحمت \* فيكم قروحي ولا جرحى بمن دمل

## كتاب (٢٢٤) الروضتين

ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة \* في نسل آل أمير المؤمنين على  
 هل كان في الامر شيء غير قسمة ما \* ملكتم بين حكم السبي والنفل  
 وقد حصلت عليها واسم جدكم \* محمد وابيكم غير منتقل  
 مررت بالقصر والاركان خالية \* من الوفود وكانت قبيلة القبل  
 فلت عنها بوجهي خوف منتقد \* من الاعداء ووجهه الود لم يعل  
 أسبلت من أسف دمعي غداة خلعت \* رحابكم وغدت مهجورة السبل  
 أبكى على مازاة من مكارمكم \* حال الزمان عليها وهي لم تحل  
 دار الضيافة كانت انس وافدكم \* واليوم أحش من رسم ومن ظل  
 وفطره الصوم ان أصغت مكارمكم \* تشكو من الدهر حيفا غير محتمل  
 وكسوة الناس في الفضل قد درست \* ورث منها جد يد عنهم وبلى  
 وموسم كان في كسر الخليج لكم \* يأتي تجلكم فيه على الجمل  
 وأول العام والعيدان كان لكم \* فيهن من وبل جود ليس بالوشل  
 والارض تهترى عيد الغدير بما \* تهترما بين قصر يكم من الاسل  
 والخيل تعرض من وشى ومن شية \* مثل العرائس في حلى وفي حلل  
 ولا جلت قري الاضياف من سعة \* طباق الاعلى الاعناق والعجل  
 وما خصتم ببرأهـل ملتكم \* حتى عمت به الاقصى من الملل  
 كانت رواتبكم للذمتين وللضيـف \* فالمقيم وللطاري من الرسل  
 وللجوامع من أحبا سلككم نعم \* لمن تصدق في علم وفي عمل  
 وربما عادت الدنيا لمعقلها \* منكم واحتجت بكم محلولة العقل

وقال العماد في الخريدة أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل كان داعي الدعاة بصرا لادعيا وقاضي القضاة  
 لاؤلك الاشقى يلقبونه بخز الامنا وهو عندهم في المحلة العليا والمرتبة الشما والمنزلة التي في السما حتى  
 انكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم وأقيم قاعدتهم وعضد عاضدهم وأخليت منهم مصرهم وأجلى عنهم  
 قصرهم فخر ابن كامل ناقص الذب عنهم والشدة منهم فامال قوماعلى البيعة لبعض أولاد العاضد ليبلغوا به  
 ماتخيلوه من المقاصد وسؤلوه من المكاييد فأنثرت بجنتهم الجذوع واققرت من جسومهم الربوع وأحككت  
 في لحومهم النسوع وهذا أول من ضمه جبل الصلب وأمه فاقره الصلب وهذا صنع الله فيمن ألحد وكفر النعمة  
 ومجد وذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكره عنده  
 بالفضل والادب ونسبوا اليه هذين البيتين في غلام رفا وأنشدهما الملك الناصر وذكرانه كان ينكرها

يارافيا خرق كل ثوب \* ويارشاحبه اعتقادى  
 عسى تكف الوصال ترفو \* مامزق الهجر من فؤادى

(فصل) في التعريف بحال عمارة ونسبه وشعره قال العماد وقد أوردت شعر عمارة ابن أبي الحسن البغوي  
 في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ونقلت الى هذا الكتاب يعنى كتاب البرق الشامى لمعا من ذلك فمن ذلك  
 ما أنشده نجم الدين أبو محمد بن مصال

لوان قلبي يوم كاظمة معى \* للمكتبة وكظمت غيظ الادمع

قال العماد انما أنشدني فيض الادمع فرأيت غيظ الادمع اليق بالكظم

قلب كفاك من الصبا به انه \* لبي نداء الظاعنين ومادى  
 ومن الظنون الفاسدات توهمى \* بعد اليقين بقائه في أضلعي  
 ما القلب أول غادر فالومه \* هي شمة الايام مذ خلقت معى

## في أخبار (٢٣٥) الدولتين

قال وأنشدني لعمارة أيضا

ملك اذا قابل بشر جبينه \* فارقه والبشر فوق جبينه

واذا لمت يمينه وخرحت من \* أبوابه ألم المملوك يمينه

قال وأنشدني له عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ يقول

لى فى هوى الرشاء العذرى أعذار \* لم يسبق لى مذكرا الدمع انكار

لى فى القما ود وفى لثم الحدود وفى \* صم النهم ولبانات وأوطار

هذا اختياري فوافق ان رضيت به \* أولا فدعنى وما أهوى واختار

لمنى جزافا وسامحنى مصارفة \* فالناس فى درجات الحب أطوار

ونخل عذلى فى دارى ودائرتى \* من المهارة قلبى لها دار

قلت ويرى (وغرغرى فى أسرى ودائرتى) والابيات العينية من تصيدة فى مدح تقي الدين والنونية فى مدح نجم الدين أيوب والرائية فى مدح شمس الدولة بن أيوب وكان عمارة هذا عريضا فقهيا أدبيا وله كتاب صغير ذكر فيه أخباره وأحواله باليمن ثم بمصر فذكر أنه أقام بن زيد ثلاث سنين يقرأ عليه مذهب الشافعى رضى الله عنه قال ولى فى الفرائض مصنف يقرأ باليمن وفى سنة تسع وثلاثين زارنى والذى وخسة من اخوتى الى زيد فأنشده شيئا من شعرى فاستحسنه ثم قال تعلم والله ان الادب لنعمة من نعم الله عليك لا تكبرها بدم الناس واستخلفنى لان أهجوم سلمابيت شعر خلفت له على ذلك ولطف الله بى فلم أجهج أحدا ما عدى انسانا هجائى بحضرة الملك الصالح يعنى ابن رزىك يبيت شعر فاقسم الصالح على ان أجيبه ففعلت متاولا قول الله عز وجل ولما انتصر بعد ظلمه فاوكلت ما عليهم من سبيل وقوله تعالى من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال ولم يكن شئ غير هذا

وحجبت مع المملكة أم فائق ملك زبيد وكانت تقوم لامير الحرمين بجميع ما يبتاعه من حاج اليمن برا وبحرا وجميع خفارات الطريق فذكر أنه حصل له وجهة عندها فانتفع بها حتى أثرى وكثر ماله وجاهه ثم طرأت أمور اقتضت ان هرب من اليمن وجمع سنة تسع وأربعين وخمسمائة قال وفى موسم هذه السنة توفى أمير الحرمين هاشم بن فليته وولى الحرمين ولده قاسم بن هاشم فالزمنى السفارة عنه والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمته فى شهر ربيع الاول سنة خمسين والخامسة بها يومئذ الصائرين الظافر والوزير له الملك الصالح طلائع ابن رزىك فلما حضرت للسلام عليهما فى قاعة الذهب من قصر الخليفة أنشدتهما

الحمد للعيس بعد العزم والهمم \* حمدا يقوم بما أولت من النعم

لا أجد الحق عندى للركب يد \* تمت اللجم فيمارتية الخنطم

قر بن بعد منار العزم من نظرى \* حتى رأيت امام العصر من أمم

ورحن من كعبة البلحاء والحرم \* وفد الى كعبة المعروف والكرم

فهل درى البيت انى بعد زورته \* ماسرت مس حرم الا الى حرم

حيث الخلافة مضروب سراقها \* بين النقيضين من عفو ومن نقم

وللامامة أنوار مقدسة \* تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم

وللنبوة آيات تنضى لنا \* على الخفيين من حكم ومن حكم

وللكارم اعلام تعلمنا \* مدح الجزيلين من بأس ومن كرم

وللعلى السن تثنى محامدها \* على الجيدين من فعل ومن شيم

وراية الشرف البذاخ ترفعها \* يدالرفيعين من مجد ومن همم

أقسمت بالمائز المعصوم معتقدا \* فوز النجاة وأجر البر فى القسم

لقد حى الدين والدينا وأهلهم ما \* وزيره الصالح الفراج للغمم

اللابس الفخر لم تنمخ غلائله \* الايدى الصنعتين السيف والقلم

## كتاب (٢٢٦) الروضتين

وجوده أوجد الايام ما اقترحت \* وجوده أعدم الشاكين للعدم  
 قدم ملكته العوالي رق مملكة \* تعير أنف الثريا غرة الشمم  
 أرى مقاما عظيم الشأن أوهني \* في يقظتي انها من جملة الحلم  
 يوم من العمر لم يحظر على أمل \* ولا ترق اليه رغبة الهمم  
 ليت الكواكب تدنو لي فانظماها \* عقود مدح فما أرضى لكم كلى  
 نرى الوزارة فيه وهى باذلة \* عند الخلافة نصحا غير متهم  
 هو اطفأ أعلتنا ان بينهما \* قرابة من جميل رأى لا الرحم  
 خليفة ووزير مدد عدلها \* ظلا على مفرق الاسلام والام  
 زيادة النيل نقص عند فضهما \* فاعسى يتعاطى منة الديم

قال وعهدى بالصالح وهو يستعيد هافى حال التشيد مرارا والاستاذون والامراء والكبراء يذهبون في الاستحسان  
 كل مذهب ثم أقيمت على خلع من ثياب الخلافة مذهبة ودفع الى الصالح خمسمائة دينار واذا بعض الاستاذين  
 قد خرج لي من عند السيدة بنت الامام الحافظ بخمسمائة دينار أخرى وحمل المال معي الى منزلي واطلقت لي من  
 دار الضيافة رسوم لم تطلق لاحد قبلي وتهادتني أمراء الدولة الى منازلهم للولائم واستحضرتني الصالح للجالسة  
 ونظمني في سلك أهل المؤانسة وانتالت على صلاته وغمرني بره ووجدت بحضرة من أعيان أهل الادب الشيخ  
 الجليس أبا المعالي ابن الخباب والموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشاء وأبا الفتح محمود بن قادوس  
 والمهذب أبا محمد الحسن بن الزبير وغيرهم وما من هذه الحلبة أحد الا وتضرب في الفضائل النفسانية والرياسة  
 الانسانية بأوفر نصيب وما زلت أأخذو على طرائقهم حتى نظموني في سلك فرائد هم فقلت

ليالى بالفسطاط من شاطئ مصر \* سقى عهدا الماضي عباد من القطر  
 ليال هي العمر السعيد وكل ما \* مضى في سواها لا يعد من العمر  
 أفادتني الاقدار فيها مواليا \* صفت بهم الايام من كدر القدر  
 توأصوا على أن لا ترد ارا دقي \* ولو ستمهم نثر الكواكب في حجرى  
 وله في الصالح من قصيدة

ولولم يكن أدري بما جهل الورى \* من الفضل لم تنفق لديه الفضائل  
 لئن كان مناقاب قوس فيبيننا \* فراخ من اجلاله ومر احل

قال وأنشدت الصالح وهو بالقبوم دار الوزارة قصيدة منها

دعوا كل برق شمس-تم غير بارق \* بلوح على الفسطاط صادق بشره  
 وزوروا المقام الصالحى فكل من \* على الارض ينسى ذكره عند ذكره  
 ولا تتبعوا ما مقصودكم طلب الغنى \* فتخبوا على مجد المقام ونفرو  
 ولكن سلوا منه العلى تظفروا بها \* فكل امرء يرجى على قدر قدره

قال ولما جلس شاورني دار الذهب قام الشعراء والخطباء ولقيف الناس الا الاقل ينالون من بنى رزيك وضرغام  
 نائب الباب ويحيى بن الحياط الاسفهلار فأشده

صحت بدولتك الايام من سقم \* وزال ما يشتكى به الدهر من ألم  
 زالت ليالى بنى رزيك وانصرفت \* والحمد والذم فيها غير منصرم  
 كأن صالحهم يوما وعاد لهم \* في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم  
 كأنظن وبعض الظن مائة \* بأن ذلك جمع غير منزم  
 فذوقعت وقوع النسر خانهم \* من كان مجتمعا في ذلك الرخم  
 ولم يكونوا عدا ذل جانبه \* وانما غرقوا في سيمك العمرم

## في اخبار (٢٢٧) الدولتين

وما قصدت بتعظيمي عدالك سوى \* تعظيم شأنك فاعذرنى ولا تلم  
ولو شكوت لىاليهم محافظته \* لعهدهم يكن بالعهد من قدم  
ولو فتحت فى يوم ابدىهم \* لم يررض فضلك الا أن يسدلى  
والله بأمرى بالاحسان عارفة \* منه ويسهى عن النحشاء فى الكلام

قال فشكرنى شاو روأبناؤه على الوفاء لبني رزيك قلت وشعر عماره كثير حسن وعندى فى قوله الحمد للعبس وان  
كانت القصيدة فائقة نفرة عظيمة فانه أقام ذلك وقام قولنا الحمد لله ولا ينبغى أن يفعل ذلك مع غير الله عز  
وجل فله الحمد وله الشكر فهذا اللفظ كالمعين لجهة الربوبية المقدسة وعلى ذلك اطراد استعمال السلف والخلف  
رضى الله عنهم

(فصل فى رفاة نور الدين رحمه الله تعالى) قال العماد وأمر نور الدين بتظهر ولده الملك الصالح اسماعيل يوم  
عيد الفطر واختلفنا لهذا الامر وغدونا يا ما قال ونظمت للهنا بالعيد والظهور قصيدة منها

عيدان فطر وطهر \* فتح قريب ونصر \* كلاهما لك فيه \* حقا هناء وأجر  
وفيهما بالتهانى \* رسم لنا مسـمـر \* طهارة طاب منها \* أصل وفرع وذكر  
فجل على الطهرنام \* زكاه منك نجـر \* محمود الملك العاد \* لالكريم الاغر  
وبابنه الملك الصا \* الخ العيون تفر \* مولى به اشتد للدين والشريعة ازر  
نور تجلى عيانا \* مادونه اليوم ستر \* أضحت مساعيك غرا \* كما أيا ديك غزر  
وكل قصدك رشد \* وكل فعلك بر \* وان حبك دين \* وان بغضك كفر  
لنا بينناك يمن \* كما يسراك يسر \* وللوالين نفع \* وللعادين ضر  
وللهاء سحاب \* وسحب كفيك عشر \* ناديك بالرفد رجب \* نذاك للوفد بحر  
للبحر مد وجزر \* وما لجودك جزر \* عدل عيم وجود \* غمرويسر وبشر  
وفى العطية حـلو \* وفى الحية مر \* قد استوى منك تقوى الدلالة سروجهر  
تقاك والملك عند الله قـياس عقد ونحر \* بأعظم الناس قدرا \* وهل لغيرك قدر  
وساها حين ناموا \* وقائم حين قروا \* ما عتدت الا وفاء \* وعادة القوم غدر  
وفعلك الدهر غزو \* للشركين وقهر \* وفعل غيرك ظلم \* للمسلمين وقسر  
يقترن كل نعر \* الى ابتسامك نعر \* روم به وقـر نـجـ \* فى شفـعهم لك وتر  
حرب عوان وفتح \* على مرادك بكر \* بنو الاصار من خشية انتقامك صفر  
لم يبق الا كفر ظفر \* لا كان للكفر ظفر \* وما دجى ليل خطب \* الا وعزمك بحر  
أصبحت بالغزو صبا \* وعنه مالك صبر \* لكسر كل يقيم \* اسعاف برك جبر  
فى كل قلب حسـود \* من حرب أسك جمر \* تمل تطهير ملك \* له الملوك تخسر  
يزهى سر بر وناح \* به ودست وصدر \* وكيف يعمل للطا \* هر المظهر طهر  
هذا الظهور وظهور \* على الزمان وأمر \* وذال الختان ختام \* بمسكة طاب نشر  
رزقت عرا طويلا \* ما طال للدهر عـر

قال وفى يوم العيد يوم الاحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد مخفوفاً من الله بالاسعاد مكثوفاً من السماء والارض  
بالاجناد والقدر يقول له هذا آخر الاعياد ووقف فى الميدان الاخضر الشمالى لطن الحلقى ورى القبق وكان  
مسجد صلاته فى الميدان القبلى الاخضر وأمر بوضع المنبر وخطب له القاضى شمس الدين محمد بن المقدم قاضى  
العسكر بعد ان صلى به وذكروا عادى القلاع طالع البهجة بهيج الطلاء وأنهب العطايا والانعام على رسم  
الانراك وأكابر الاملاك ثم حضرناعلى خوانه الخاص وله عقد كمال مصون من الانتقاص والانتقاص وما أوضع  
يشره وأضوع نشره وأضحك سنه وأبرك يمنه وفى يوم الاثنين ثانى العيد بكر وركب وجل الموكب وكان الفلك

## كتاب (٢٢٨) الروضتين

بنيره جار والطود الثابت بمرور السحاب في وقار وكانه القمر في هالته والقدر في جلالاته والبدر في دائرته سائر بين  
سيارته ودخل الميدان والعظماة يسارونه والفهساء يحاورونه وفيهم همام الدين مودود وهو في الأكبر معدود  
وكان قديماً في أول دولته وإلى حلب وقد جرب الدهر بحنكته ولا شطره حلب فقال لنور الدين في كلامه عظة  
لمن يغتر بأيامه هل نكون هاهنا في مثل هذا اليوم في العام المقبل فقال نور الدين قل هل نكون بعد شهر فأتت السنة  
بعيدة فخرى على منطقة ما جرى به القضاء السابق فأت نور الدين لم يصل إلى الشهر والهمام لم يصل إلى العام ثم شرع  
نور الدين في اللعب بالكره مع خواصه البرره فاعترضه في حاله أميراً خراسمه برتفش وقال له باش فأحدث له الغيظ  
والاستيحاش واغتناظ على خلاف مذهبه الكريم وخلقه الحليم فزجره وزبره ونهأه ونهره وساق ودخل القلعة  
ونزل واحتجب واعتزل فبقي اسبوعاً في منزله مشغولاً بنزله مغلوباً عن عاجله بحديث أجله والناس من الختان  
لا هون بأوطارهم في الاوطان فهذا يروح بجوده وذلك يجود بروحه فماتت تلك الافراح الابالأتراح وما صلح  
الملك بعده الا بملك الصلاح قال واتصل مرض نور الدين وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيباً فخار وجع  
وانتقل حادى عشر شوال يوم الاربعاء من مريع الفناء الى مرتع البقاء ولقد كان من اولياء الله المؤمنين وعباده  
الصالحين وصار الى جنات عدن أعدت للمتقين وكانت له صفة في الدار التي على النهر داخل الى القلعة من الشمال  
وكان جلوسه عليها في جميع الاحوال فلما جاءت سنة الزلزلة بنى بآزاء تلك الصفة بيتاً من الاخشاب مأمون  
الاضطراب فهو بيت فيه ويصيح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن في ذلك البيت الذي اتخذته حى من الحمام  
وأذن بناؤه لبانيه بالاهدام قال العماد وقلت في ذلك

عجبت من الموت كيف أتى \* الى ملك في سجاياء ملك  
وكيف ثوى الفلك المستدير في الارض والارض وسط الفلك

وله فيه رحمه الله تعالى

يا ملكاً أيامه لم تزل \* لفضله فاضلة فاقه  
غاصت بحار الجود مذ غابت \* أغلاك الفائضة الزاخه  
ملكك دنياك وخلقتها \* وسرت حتى تملك الآخرة

قال ابن شداد وكانت وفاة نور الدين رحمه الله بسبب خوائف أعترته بحجز الاطباء عن علاجها ولقد حكى لي صلاح  
الدين قال كان يبلغنا عن نور الدين انه ربما قصدنا بالدار المصرية وكانت جماعة أصحابنا يشيرون بأن نكاشف  
ونخالف ونشق عصاه ونلقى عسكره بمصاف يرده اذا تحقق قصده وكنت وحدي أخالفهم وأقول لا يجوز ان يقال شئ  
من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته رحمه الله ورضي عنه قال ابن الاثير وكان نور الدين قد شرع  
بتجهيز المسير الى مصر لاختداهم صلاح الدين لا يدرى منه فتوراني غزو الفرنج من ناحيته فأرسل الى الموصل  
وديار الجزيرة وديار بكر يدب العساكر ليركها بالشام لمنعه من الفرنج ليسير هو بعساكره الى مصر وكان المانع  
لصلاح الدين من الغزو والخوف من نور الدين فانه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه  
فكان يحتمى بهم عليه ولا يؤثر استنصاهم وكان نور الدين لا يرى الا الجدي غزوهم بجهده وطاقته فلما رأى اخلال  
صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه بتجهيز المسير اليه أتاه أمر الله الذي لا يرد قلت ولوعلم نور الدين ما ادخل الله تعالى  
للاسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه فانه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد  
المشركين وقام بذلك على أكمل الوجوه واتمها رحمه الله تعالى قال وحكى لي طبيب بدمشقي يعرف بالرحبي وهو  
من حذاق الاطباء قال استدعاني نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع غيري من الاطباء فدخلنا عليه وهو في بيت  
صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوائف منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبدي أكثر  
أوفاته فابتدأ به المرض فيه فلم ينتقل عنه فلما دخلنا عليه ورأينا ما به قلت كان ينبغي ان لا يؤخر احضارنا الى ان  
يشتد بك المرض الى هذا الحد فالآن ينبغي ان تنتقل الى مكان فسيح فله أثر في هذا المرض وشرعنا في علاجه فلم  
ينفع فيه الدواء وعظم الداء ومات عن قريب رضي الله عنه قال ابن الاثير وكان أسير طويع القامة لبس له الحبة

## في اخبار (٢٢٩) الدولتين

الافى حنكه وكان واسع الجبهه حسن الصوره حلوا العينين وكان قد اتسع ملكه جدا فملك الموصل وديار الجزيرة وأطاعه أصحاب ديار بكر وملك الشام وديار مصرية واليمن وخطب له بالخرمين الشريفين مكة والمدينة وطبق الارض ذكره لحسن سيرته وعدله ولم يكن مثله الا اذا نادى رجة الله تعالى عليه قال الحافظ أبو القاسم بعدما ذكر أوصاف نور الدين الجاليلة المتقدمة مفزقة ومجموعة في هذا الكتاب هذا مع ما جمع الله له من العقل المتين والرأى الساقب الرصين والافتداه بسيرة السلف الماضين والتشبهه بالعلماء والصالحين والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في حسن سمعهم والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم واسمعه وكان قد استجيزه من سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة بالاداء والتحديث ورجاء ان يكون من حفظ على الامة أربعين حديثا كما جاء في الحديث فمن رآه شاهدا من خلال السلطنة وهيبة الملك ما يهره فاذا فاوضه رأى من لطاقته وتواضعه ما يحير به يحب الصالحين ويواخيهم ويزور مساكينهم لحسن ظنه فيهم واذا احتلم مالىكه أعتقهم وزوج ذكرانهم بانانهم وررقهم ومتى تكررت الشكاية اليه من أحد من ولاته أمره بالكف عن أذى من تظلم بشكاته في لم يرجع منهم الى العدل قابله باسقاط المنزلة والعزل فلما جمع الله له من شريف الخصال تيسر له جميع ما يقصده من الاعمال وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ومكن له في البلدان والنفاع ثم قال بعد كلام كثير ومناقبة خطيره ومناحه كثيرة ومدحه جماعة من الشعراء فأكثروا ولم يبلغوا وصف آلائه بل قصروا وهو قليل الاتهام بالشعر زيادة في تواضعه لعلاء القدر ومولده على ما ذكر لي كاتبه أبو اليسر شاكرا بن عبد الله وقت طلوع الشمس من يوم الاحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي يوم الاربعاء الحادى عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى تربة تجاور مدرسته التي بناها الاصحاب أبو حنيفة رضى الله عنه جوار الخواصين في الشارع الغربى رحمه الله قلت وفي هذه المدرسة يقول العرقلة

ومدرسة سيدرس كل شئ \* وتبقى في جمى علم ونسك  
تضوّع ذكرها شرقا وغربا \* بنور الدين محمد ودين زنى  
يقول وقوله حق وصدق \* بغير كاية وبغير شك  
دمشق في المدائن بيت ملكى \* وهذى في المدارس بيت ملكى

ولما اشتهر من قلة ابتهاجه بالمدح لما علم من تزايد الشعراء وهى طريقة عمر بن عبد العزيز زاهد الخلفاء قال يحيى بن محمد الوهراني في مقامه له وقد سئل في بغداد عن نور الدين (هو سهرم لدولة سديد وركن للخلافة شديد وأمير زاهد وملك مجاهد تساعده الافلاك وتعضده الجيوش والاملاك غير انه عرف بالمرعى الويل لابن السبيل والمحلى الجديب للشاعر الاديب خاير زى ولايمزى ولاشاعر عنده من نعمة تجزى) واباه عن أسامة بن منقذ بقوله

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا \* له فكل على الخيرات منكش  
أيامه مثل شهر الصوم ظاهرة \* من المعاصى وفيها الجوع والعطش

قلت رحمه الله ما كان يبذل أموال المسلمين الا في الجهاد وما يعود نفعه على العباد وكان كما قيل في حق عبد الله بن محيريز وهو من سادات التابعين بالشأم قال يعقوب بن سفيان الحافظ حسد ثنا ضمرة عن الشيباني قال كان ابن الديلمي من أنصر الناس لاخوانه فذكر ابن محيريز في مجلسه فقال رجل كان بخيلة لا غضب ابن الديلمي وقال كان جوادا حيث يحب الله بخيلة حيث تحبون وأما شعر ابن منقذ فلا اعتبار به فهو القائل في ليلة الميلاد بمدح نور الدين رحمه الله

في كل عام للبرية ليلة \* فيها تشب النار بالايقاد  
لكل نور الدين من دون الورى \* نار ان نار قرى ونار جهاد  
أبد يصرفها نداء وبأه \* فالعام أجمع ليلة الميلاد  
ملك له في كل جيد منه \* أبهى من الاطواق في الاجياد  
أعلى الملوك يدا وأمنعهم حمى \* وأمدهم كفيا يبذل تلاد



## كتاب (٢٣٠) الروضتين

يعطى الجزيل من النوال تبرعا \* من غير مسألة ولا ميعاد  
لازال في سعد وملك دائم \* مادامت الدنيا بغير نفاد

وقد تدم من شعر ابن منير وابن القيسراني والعماد الكاتب وغيرهم من مدح نور الدين بالكرم والجود ما قليل منه يرد قول الوهراني وابن منقذ على ان ابن منقذ قد رددنا شعره كما تراء وانما الشعراء وأكثر الناس كما قال الله تعالى في وصف قوم فان أعطوا منهم ارضوا وان لم يعطوا منهم اذاهم يسخطون وما كل وقت ينفق العطاء ويفعل الله ما يشاء

**(فصل)** قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسماعيل في الملك وحلف له ولم يبلغ الحلم وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق وأقام بها واطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه فيها وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن المقدم قال العماد واخر جوا يوم وفاة نور الدين ولده الملك الصالح اسماعيل وقد أبدى الحزن والعويل وهو مجزوز الذوائب مشقوق الجيب حاسر حاف مما بخأ وجفحه من الريب واجلسوه في الايوان الشهيلى من الدست والتخت الباقى من عهد تاج الدولة تمش فاستوحى كل قلب خزنه واستوحش فوقه الناس يضطرمون ويضطربون ويتلهفون ويلتهبون ولما كفن بحلة الكرامه ودفن في روضة بابها الى باب رضوان من دار المقامه وقضوا الجزع وقضوا الفزع وغيبوا المدهمه واحضروا الربعه حضر القاضي كمال الدين وشمس الدين بن المقدم وجمال الدولة ريحان وهو أكبر الخدم والعدل أبو صالح بن الجبى أمين الاعمال والشيخ اسمعيل خازن بيت المال وتحالفوا على أن تكون أديهم واحده وعزائمهم متعاقده وان ابن المقدم مقدم العسكر واليه المرجع والمصدر قال وانشأت في ذلك اليوم كتابا عن الملك الصالح الى صلاح الدين في تعزيتة بنور الدين ترجمته (اسماعيل بن محمود) وفيه (اطال الله بقاء سيدنا الملك الناصر وعظم أجرنا وأجره في والدنا الملك العادل ندب الشام بل الاسلام حافظ ثغوره وملاحظ أموره ومقدام الجهاد مقتنى فضيلته ومؤدى فريضته ومحسى سنته وأورثنا بالاستحقاق ملكه وسريره على انه يعزان يرى الزمان نظيره وماها هنا ما يشغل السر ويقسم الفكر الأمر الفرخ خذلهم الله وما كان اعتماد مولانا الملك العادل عليه وسكونه اليه الا مثل هذا الحادث الجلل والصرف البكار المذهل فقد أذخره لكفايات النوائب واعدّه لحسم ادواء المعضلات اللوارب وأمله ليومه ولغده ورجاه لنفسه ولولده ومكنه قوته لعضده فما فقد رحمه الله الا صورة والمعنى باق والله تعالى حافظ لبيته واق وهل غيره دام سموه من مؤازر وهل سوى السيد الاجل الناصر من ناصر وقد عرفناه المقترح ليروض برأيه من الامر ما جمع والاهم شغل الكفار عن هذه الديار بما كان عازما عليه من قصدهم والنكالية فيهم على البدار ويجرى على العادة الحسنى في أحياء ذكر الوالد المتجسّد بذكرنا راغبنا في اغتنام ثنائنا وشكرنا) قلت وكان قد بلغ صلاح الدين خبر نور الدين فأرسل كتابا بالمثال الفاضلى فيه (ورد خبر من جانب العدو والعين عن المولى نور الدين أعادنا الله فيه من سماع المكروه ونور بعافيته القلوب والوجوه فاشتد به الامر وضاق به الصدر وانقص بحادثه الظهور وعز فيه التثبّت وأعوز الصبر فان كان والعياذ بالله قد تم وخصه الحكم الذى عم فللعوادر تدخر النصال وللايام تصطنع الرجال ومارتب الملوكة مال كها الا لا ولادها ولا استودعت الارض الكريمة البذر الا لتؤدى حقها يوم حصادها فالثبت والله ان تختلف القلوب والايدى فتبلغ الاعداء مرادها وتعدم الاراء رشادها وتنتقل النعم التى تعبت الايام فيها الى ان اعطت قيادها فكونوا يدا واحده واعضادا متساعده وقلوبا يجمعها ود وسىوفا يضمها غد ولا تختلفوا فتنكلا ولا تنازعوا فتنكلا وقوموا على امشاط الارجل ولا تأخذوا الامر باطراف الاعمال فالعداوة محدقة بكم من كل مكان والكفر مجمع على الايمان ولهذا البيت مناصر لا نخذله وقائم لا نسلمه وقد كانت وصيته اليه سابقة ورسالته عندها تتحقق بان ولده القائم بالامر وسعد الدين كشتكين الاتابك بين يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة فى الغيبة والحضور أدبت وفعلت والا فحن لهذا الولد يدعى من باواه وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معافاه فهو الغرض المطلوب والنذر الذى يحل على الايدى والقلوب) قال العماد وورد كتاب صلاح الدين بالمثال الفاضلى معزى لابن نور الدين وفي آخره (وأما العدو خذله الله فوراه من الخادم من يطلبه طلب ليل لنهاره وسيل لقراره الى ان يزججه من نجاشته ويستوقفه عن مواقف مغامته وذلك من أقل فروض البيت الكريم

وايسر لوازمه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذى القعدة وهو اليوم الذي أقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم والجمع الذي لا لغوفيه ولا تأثيم وأشبه يوم الخادم أمسه في الخدمة وفي ما لزمه من حقوق النعمه وجمع كلمة الاسلام عالما ان الجماعة رجه والله تعالى يخلد ملك المولى الملك الصالح ويصلح به وعلى يديه ويؤكدهود النعماء والراهنه لديه ويجعل للاسلام واقية باقية عليه ويوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشبيده ومضاعفة ملكه ومزيده ويسر منال كل أمر صالح وتقريب بعيدة ان شاء الله) ومن كتاب آخر (الخادم مستمر على بدأته من الاستشراف لاوامرها والتعرض لمراسمتها ورفع لكلماتها والباله لسكرها والتحقق بخدمتها في بواطن الاحوال وظواهرها والترقب لان يؤمر فيتمثل ويكلف فيتمثل وان يرمى به في نحر العدو فيتسدد بجهدته ويوفي أيام الدولة العالوية يوما يكشف الله فيه للمولى ضمير عبده) قال العماد لما توفي نور الدين اختل أمرى واعتل سرى وعلت حسادى وبلغ مرادهم اضدادى وكان الملك الصالح صغيرا فصار العدل ابن العجى له وزيرا وتصرف المتخالفون في الخزانة والدولة كما أرادوا ولوا وصرفوا ونقصوا وازادوا واقتصروا الى على الكتابه محروم الدعوة من الاجابه ومما نظمته في مراثية نور الدين قصيدة منها

لفقد الملك العا \* دل يبكى الملك والعدل \* وقد أظلمت الافا \* قلا شمس ولا ظل  
ولما غاب نور الدين \* عننا أظلم الحفل \* وزال الخصب والخير وزاد الشر والحمل  
ومات البأس والجو \* ودعاش اليأس والجل \* وعز النقص لماها \* بن اهل الفضل والفضل  
وهل ينفق ذوالعلم \* اذا ما نطق الجهل \* وما كان لنور الدين \* لولا نجله مثل

(فصل) وقال العماد وانتق زول الفرنج بعد وفاة نور الدين على المغرب وقصدهم بانياس ورجوا ان يتم لهم الامر ثم ظهرت خبيثتهم وبان الياس وذلك ان شمس الدين ابن المقدم خرج وراسل الفرنج وخوفهم بقصد صلاح الدين لبلادهم وانه قد عزم على جهادهم وتكاملوا في الهدنه وقطع مواد الحرب والفتنه وحصلوا بقطيعة استجملوها وعدة من اسارهم استطلقوها وامت المصالحة وبلغ ذلك صلاح الدين فأفكره ولم يحبه وكتب الى جماعة الاعيان كتب ادالة على التوبيخ والملام ومن جملتها كتاب بالمدال الفاصلى الى الشيخ شرف الدين ابن أبى عصرون يخبره فيه انه لما أنام كتاب الملك الصالح بقصد الفرنج تجهز وخرج وسار أربع مراحل ثم جاءه الخبر بالهدنة المؤدنة بذل الاسلام من دفع القطيعة واطلاق الاسارى وسيدنا الشيخ أولى من أطاق لسانه الذى تمم له السيوف وتجرد وقام فى سبيل الله قيام من يقطع عادية من تعدى وتمرد وفى آخره وكتب من المنزل بفاقوس والفجر قد هم ان يشق ثوب الصباح لولان الثريا تعرضت تعرض أثناء الوشاح وهذه الليلة سافرة عن نهار يوم الجمعة ثانى عشر ذى الحجة بلغه الله فيه املة وقبل عمله بالغاسنى المراد وأفضله وقال ابن الاثير لما توفي نور الدين قال الامراء منهم شمس الدين ابن المقدم وحسام الدين الحسين بن عيسى الجزاحى وغيرهما من أكابر الامراء قد علمتم ان صلاح الدين من مما يليك نور الدين وتوابه والمصلحة ان نشاوه فيما نفعه ولا تخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو أقوى منا لان له مثل مصر وربما أخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلم يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا أن يدخل صلاح الدين ويخرجوا هال فلم يرض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يهنيه بالملك ويعزیه بأبيه وأرسل دناير مصرية وعلمها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لوالده فلما سار سيف الدين غازى بن عمه قطب الدين وملك الديار الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا أعينوه الحال كتب الى الملك الصالح يعتبه به حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر فى خدمته ويعينه وكتب الى الامراء يهول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل نقتبه بسلم اليه مصر التى هى أعظم ممالكه ولولا ياته ولولم يجعل عليه الموت لم يعهد الى أحد بترية ولده والقيام بخدمة سوائى وأراكم قد تفردت بخدمته مولاي وابن مولاي دونى فسوف أصل الى خدمته وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرها وأقبل كلا منكم على سوء صنيعه وهال أمر الملك الصالح وه صالحه حتى أخذت بلاده فأقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء لم يكتوه من المسير الى حلب لثلاثين يوما عليه شمس الدين على بن الداية فانه كان أكبر الامراء النورية وانما تأخر عن خدمة الملك

الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وأمرها اليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة أرسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب لينزع البلاد من سيف الدين ابن عمه وأرسل الى الامراء يقول لهم ان سيف الدين قد ملك الى الفرات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما أخذ منه والا عبر سيف الدين الفرات الى حلب ولا تقوى على منعه فلم يرسلوه ولا مكنوه من قصد حلب قال وكان نور الدين من قبل ان يمرض قد أرسل عساكره فلما كان ببعض الطريق أتاه الخبر بموت عمه نور الدين فعاد الى نصيب فلكها وأرسل الشحنة الى الخابور فاستولوا عليها وسار هو الى حران فحصرها عدة أيام ثم أخذها وملك الرها والرها وسر وج واستكمل ملك سائر بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فقال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد فارق سيواس بعد وفاة نور الدين وقصد سيف الدين ظنا منه ان سيف الدين يرعى له خدمته وقيامه في أخذ الملك له من والده قطب الدين على ما ذكرناه أولا فلم يجن ثمره ما غرس وكان عنده كععض الامراء ليس بالشام من يمنعك فاعبر الفرات وأملك البلاد فاشار أمير آخر معه وهو أكبر أمرائه قد ملك أكثر من والدك والمصلحة ان تعود فرجع الى الموصل

(فصل) قال ابن الاثير قد سبق ان نور الدين كان قد جعل بقلعة الموصل لما ملكها دزدارا له وهو سعد الدين كشته كمين بعض خدمه الخصيان فلما سار سيف الدين الى الشام كان في مقدمته على مرحلة فلما أتاه خبر وفاة نور الدين هرب وأرسل سيف الدين في أثره فلم يدرك فذهب بركه ودوابه وسار الى حلب وتمسك بخدمة شمس الدين بن الداية واخوته واستقر بينهم وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار الى دمشق فاخرج ابن المقدم عسكرا ليعينه فعاد منهزما الى حلب فاخلف عليه شمس الدين ابن الداية ما أخذ منه وجهزه وسيره الى دمشق وعلى نفسها تجني براقس فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح والامراء والعلمهم ما في قصد الملك الصالح الى حلب من المصالح فاجابوا الى تسميره فسار اليها لما وصلها اوصعد الى قلعتها قبض الخادم سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى ابن الخشاب رئيس حلب قال ابن الاثير واولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ولا جرى من ذلك الخلف والوهن شيء وكان أمر الله قدرا مقدورا فاستمد سعد الدين بتدبير أمر الملك الصالح تخافه ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وكتبوا سيف الدين ليسلوا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه من وراء ظهره فلا يمكنه الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار ما أخذ به يده وبقي الملك الصالح بحلب وسعد الدين بين يديه يدبر أمره وتمكن منه تمكنا عظيما يقارب الجحيم عليه قال الحماد كان كشته كمين الخادم النائب بالموصل قد سمع عرض نور الدين فاخفاه واستأذن في الوصول الى الشام فطلب سيف الدين غازي رضاه وخرج وسار مرحلتين ومع البغي فاغذ السير والسعي ونجا بماله وبجأله وندم صاحب الموصل على الرضى بترحاله وكانت عنده ب وفاة عمه بشاره وظهرت على صفحاته منها ماره فانه لم ير من كشته كمين متشككا فانه كان لجرا الامر عليه مذكرا وكن المرحوم قد أمر ب اقامة الخمر وازالة المحظور واسقاط المكوس واعداد اقساط البوس فنودي في الموصل يوم ورود الخبر بالفسحة في الشرب جهارا ليل لا ونهارا وزال العرف وعاد النكر وأنشد قول ابن هاني (ولا تسقنى سرا فقد أمكن الجهر) وقيل أخذ المنساذى على يده دنا وعليه قدح وزمر وزعم انه خرج بهذا أمر فلا خرج على من يغنى ويشرب وعادت الضرائب وضربت العوائد فاما كشته كمين فانه وصل الى حلب بعد ان جرى ما جرى وتمثل عند الصباح بمجد القوم السرى واجتمع هناك بالامير شمس الدين على ابن الداية واخوته وأخوه مجد الدين وأظهر انه لهم من المخلصين وكان مجد الدين أبو بكر اخو رضاع نور الدين وقد تربي معه ولزمه وتبعه الى ان ملك الشام بعد والده فقوض الى مجد الدين جميع مقاصده من طريقه وتاله وحكمه في الملك ونظمه في السلك فلا يحل ولا يعقد الا برأيه وكانت حصونه محصنة وهو يسكن عنده في قلعة حلب والحاضر عنده صباحا ومساء اذا طلب وشيزر مع أخيه شمس الدين على وقلعة جعبر وتل باشر مع سابق الدين عثمان وحارم مع بدر الدين حسن وعين تاب وعزاز وغيرهما توابه فيها وهو بصونها ويحميها ولما توفي حرت اخوته في القرب والازدياد على عادته وهم أعيان الدولة وأعضاءها وابدال أرضها وأوتادها واجمادها واجوادها فلما توفي نور الدين لم يشكوا في انهم يكفلون ولده وبرونه ويحبهم لاجل سابقتهم ويحبونه فاقام شمس الدين على وهو أكبرهم وأوجههم ودخل قلعة

## في اخبار (٢٣٣) الدولتين

حلب وبها واليا شاذبخت وسكنها وأسر مصلحة الدولة وأعلنها وعرف ماجرى بدمشق من الاجتماع وانفاق ذوى  
الاطماع فكاتبهم وأمرهم بالوصول اليه في خدمة الملك الصالح وانفذ أخاه سابق الدين عثمان وكان قليل الخبرة بعيدا  
من الدهاء فاستقر الامر على ان يجهز الملك الصالح اليه ويقدموا به عليه وهو يتسلم ماله ويكون أبابكة ووصل  
كشتمكين الى دمشق في تلك الايام فوافقهم على ما دبروه من المرام وسار الصالح ومعه كشتمكين والعدل ابن العجمي  
واسماعيل الخازن فبغتموا أخوة مجد الدين الثلاثة فقبضوهم واعتقلوهم وجاء ابن الخشاب أبو الفضل مقدم الشيعة  
فسفكوا دمه وأقام شمس الدين ابن المقدم بدمشق على عساكرها مقدما وفي مصالحتها محكما وجمال الدين ربحان  
والى القلعة والشحن من قبله والامر اليه بتفصيله وجاهه والتماسى كمال الدين الشهرزورى الحاسك النافذ  
حكمه الصائب سهمه الشاقب نجمه وكان عسير الملك الصالح من دمشق في الثالث والعشرين من ذى الحجة وغازط  
صلاح الدين ما فعل بأخوة مجد الدين وقال ابن أبي طى الحلبي لما مات نور الدين اجتمع أمراء دولته واتفقوا على ان  
يكونوا في خدمة الملك الصالح بن نور الدين وكان يومئذ صبيبا وأجمعوا على منابذة الملك الناصر وقبض أصحابه  
الذين بالشام ومصلحة الفرنج على يد ابن المقدم شمس الدين مقدم العساكر وتم ذلك واستقر ركب الملك الصالح  
بدمشق وخطب له وكانت الفرنج قد تحركت الى قصد دمشق فخرج ابن المقدم ونزل على باناس في عساكر نور الدين  
وراسل الفرنج في الهدنة فأجابوه بعد ان قطعوا قطيعة على المسلمين فجعل حملها وتم أمر الصلح وعادت الفرنج الى  
بلادها وابن المقدم الى دمشق واتصل خبر هذه الهدنة بالملك الناصر وكان قد خرج من مصر أربع مراحل  
فأعظم أمرها وأكبر واستصغرها أهل الشام وعلم ضعفهم فراسل ابن المقدم وغيره من الأمراء بانكار ذلك  
والتوبيخ عليه وقال في كتابه الى ابن أبي عسرون (ورد الخبر بصلح بين الفرنج والدمشقيين وبقيعة بلاد المسلمين  
ما دخلت في العقد ولا انتظمت في سلك هذا القصد والعدو لهم واحد وصرف مال الله الذي أعد لغنم الطاعة  
ومصلحة الجماعة في هذه المعصية المغضبة لله ولرسوله ولصالحى الامه وكان مذكور الكشف الغمه فصار عوننا وان  
أسارى من طبرية وفرسانها كانت وطأنهم شديده وشوكتهم حديده دفعوا في انقطيعه وجعلوا الى السلم السبب  
والذريعة فلما بلغنا هذا الخبر وقفنا بين الورود والصدر وان أتمنا من بناتنا ما نريد وان قعدنا فالعدو ومن بقيعة  
الثغور التي لم تدخل في الهدنة غير بعيد وان فرقنا العساكر لذي ينافا اجتماعها بعد افتراقها شديد فربنا ان سيرنا الى حضرة  
الامير شمس الدين أبي الحسن على وأخوته من يعرفهم قدر خطر هذا الارتباك وانه أمر ربما يحجز فيه عن الاستدراك  
وان العدو طالب لا يغفل وجاد لا يبكل وليث لا يضيع الفرصه مجتهد لا يميل الى الرخصه فان كانت الجماعة ساخطين  
فيظهر امارات السخط والتغير ولا يمسك في الاول فبجز عن الاخير لاسيما ونحن نغار الله ونغير ونقصد للمسلمين ما نجمع  
به صلاح الرأى وصواب التدبير وقد منعنا عساكرنا ان تغترق خروفاً ان يقصد العدو ناحية حارم بالمال الذى قويت به  
قوته وثرته بثروته وانبسطت به خطوته فانه ما دام يعلم اننا مجتمعون وعلى طلبه مجتمعون لا يمكنه أن يراى مراكره ولا  
يبادر منا هذه) قال وكان متولى قلعة حلب شاذبخت الخادم النورى وكان شمس الدين على أخو مجد الدين بن الداية  
اليه أمور الجيش والديوان والى أخيه بدر الدين حسن السخنكية وكان بيده ويداخوته جميع المعاقل التي حول حلب  
فما بلغ عليا موت نور الدين سعدا الى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد ثم سكنه ابن الخشاب فامتنع من الصعود اليهم  
وترددت بينهم الرسالة فحزب الناس بحلب اهل السنة مع بنى الداية والشيعة مع ابن الخشاب وحررت أسباب اقتضت  
أن أنزل حسن بن الداية جماعة من القلعين وأهل الحاضرة وزحفوا الى دار ابن الخشاب فلكوها ونهبوها واختفى  
ابن الخشاب واتصلت هذه الاخبار بمن في دمشق وأخذوا الملك الصالح وساروا الى حلب في الثالث والعشرين من  
ذى الحجة وسار مع الملك الصالح سعد الدين كشتمكين وجرديك واسماعيل الخازن وسابق الدين عثمان بن الداية  
وقد وكلت الجماعة به وهو لا يعلم وساروا الى حلب وخرج الناس الى لقائهم وكان حسن قدر تب في تلك الليلة جماعة  
من الحلبيين ليصبح ويصلهم فلما خرج الى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه عليه ترجل لخدمته وهو وجماعته من  
أصحابه فتقدم جرديك وأخذه يده وشتمه وجذبه فأركبه خلفه ردينا وقبض سابق الدين أخوه في الحال وتخطفت  
أصحابهم جميعهم واحتيط عليهم وساروا مجددين حتى سبقوا الخبر الى القلعة وصعدوا اليها وقبضوا على شمس الدين

## كتاب (٢٣٤) الروضتين

على ابن الداية من فراشه وحمل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله أحد مماليك نور الدين المعروف بالجفنية فركله برجله ركلة دحابه على وجهه فانسقت جبهته ثم صفدوا جميعه وحبسوا في جب القلعة وقبضوا على جميع الاجناد الذين حلفوا لاولاد الداية وآخر جوا جميعا من القلعة قتل وفي آخر هذه السنة توفي مري الفرنجي الملك الذي كان حاصر القاهرة وأشرف على أخذ الديار المصرية وفي كتاب فاضلي (ورد كتاب من الداروم يذكر انه لما كان عشية الخميس ناسع ذى الحجة هلك مري ملك الفرنج لعنه الله ونقله الى عذاب كاسمه مشقة وأقدمه على نار تلظى لا يصلاها الا الشقي)

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة هـ قال ابن أبي طي في أوهاضين القطب ابن العجمي أبو صالح وابن أمين الدولة لجريدك ان قتل ابن الخشاب ردوا عليه جميع ما نهب له في دار ابن أمين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه وأخذ خاتمه أمانا لابن الخشاب ونودي عليه فحضر وركب الى القلعة فقتل وعلق رأسه على أحد أبراج القلعة وبقي الملك الصالح في قلعة حلب ومضى العماد الكاتب الى الموصل قال وعمرت على خدمة سيف الدين صاحبها وقد أخذ من بلاد الجزيرة الى حد الفرات ومضى اليه ابن العجمي للاستصلاح فأصبح بين ابن العجمي وعلق رهن أخوة مجد الدين في الاعتقال وضيقوا عليهم في الفيود والاعلال والزموهم بتسليم الحصون وتقديم الرهون الى أن غضبوا دورهم وخربوا معورهم قال وكان الموفق خالد بن القيسراني قد وصل ونحس بدمشق من مصر فلم يزل يداره ولم يدخل مع القوم فأما صلاح الدين فانه اعتقد ان ولد نور الدين لا يولد بعده أخوة مجد الدين لما جرى ما جرى ساء ذلك وقال أنا أحق برعي العهود والسعي المحمود فانه ان استمرت ولاية هؤلاء تفرقت الكلمة المنجتمه وضاعت المناهج المتسعة وانفردت مصر عن الشام وطمع أهل الكفر في بلاد الاسلام وكتب الى ابن المقدم ينكر ما أقدموا عليه من تفريق الكلمة وكيف اجتروا على اعضاء الدولة وأركانها بل أهلها واخوانها وانه يلزمه أمرهم وأمرها ويضره ضرهم وضرها فكذب ابن المقدم اليه برده عن هذه العزيمة ويقبله استحسان هذه الشبهة ويقول له (لا يقال عنك انك طمعت في بيت من غرسك ورباك وأسسك وأصفي مشربك وأصفي ملبسك وأجلى سكوتك الملك مصر وفي دسسته أجلسك فأ يلقى بجالك ومحاسن اخلاقك وخلالك غير فضلك وافضالك) فكذب اليه صلاح الدين بالانشاء الفاضلي (أما لا تؤثر للاسلام وأهله الا ما جمع من ملهم وألف كلمتهم والبيت الاتاكي أعلاه الله الا ما حفظ أصله وفرعه ودفع ضره وجلب نفعه فالوفاء انما يكون بعد الوفاء والمحبة انما تظهر آثارها عند تكاثر اطماع العداة وبالجملة اني وادوا الظانين بناطن السوء في واد ولنا من الصلاح مراد ولن يبعدنا عنه مراد ولا يقال لمن طلب الصلاح انك قاذح ولن ألقى السلاح انك جارج)

(فصل) قال العماد ثم عزم السلطان على أن يسارع الى تلافى الامر فاعترضه امران أحدهما وصول اسطول صقلية الى الاسكندرية وادراكه والثاني نوبة الكثر ونفاقه وهلاكه أما وصول الاسطول فكان يوم الاحد السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستين وانهزم في أول المحرم سنة سبعين ثم ذكر كتابا وصل من صلاح الدين الى بعض الامراء بالشام يشرح الحال وحاصله ان أول الاسطول وصل وقت الظهور ولم يزل متواصلا متكاملا الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من المتوكلين بالنظر لاعلى حين خفاء من الخبر فأمر ذلك الاسطول كان قد اشتهر وروعه ابن عبد المؤمن في البلاد المغربية وهدد به في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية فشوه في الثغر من وفور عدته وكثرة عدته وعظيم الهمة به وفريط الاستكمار منه ماملاً البحر واشتد به الامر فحمى أهل الثغر عليهم البر ثم اشير عليهم أن يقر بوا من السور فأمكن الاسطول النزول فاستزلوا اخيو ولهم من الطرائد وراجلهم من المراكب فكانت الخيل ألفا وخمسمائة رأس وكانوا ثلاثين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وكانت عددة الطرائد ستة وثلاثين طريدة تحمل الخيل وكان معهم مائتا شيني في كل شيني مائة وخمسون راغلا وكانت عددة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار وغيرها ست سفن وكانت عددة المراكب الحاملة برسع الازواد والرجال أربعين مراكب وفيها من الراجل المتفرق وغلمان الخيالة وصناع المراكب وابراج الزحف ودباباته والمنجنقية ما يتقسم خمسين ألف رجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين من البحر جموا على المسلمين جملة أوصلوهم الى السور وفقد من أهل

## في اخبار (٢٣٥) الدولتين

الثغرى وقت الحملة ما ينأهز سبعة أنفس واستشهد محمود بن البصار وبسهم جرح وحذفت مراكب الفرنج داخله الى المينا وكان به مراكب مقاتله ومراكب مسافره فسبقهم أصحابنا اليها فحسقوها وغرقوها وغلّبوهم على أخذها وأحرقوا ما احترق منها واتصل القتال الى المساء فضر براخيائهم بالبر وكان عدتهم ثلثمائة خفة فلما أصبحوا زحفوا وضايقوا وحاصروا ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثة مجانيق كبارا بالمقادير تضرب بمجخرة سود استحبوها من صقلية وتجب أصحابنا من شدّة أثرها وعظم جرحها وأما الدبابات فانها تشبه الابراج في جفاء أخشابها وارتغاعها وكثرة مقاتلتها واتساعها وزحفوا بها الى ان قاربت السور والجواري القتال عامة النهار المذكور وورد الخبر الى منزلة العساكر بقا قوس يوم الثلاثاء ثالث يوم نزول العدو على جناح الطائر فاستنفضنا العساكر الى الثغرين اسكندرية ودمياط احترازاعليها واحتياطي في أمرها وخوفنا من مخالفة العدو اليها واستمر القتال وقدّمت الدبابات وضربت المخنيقات وزاجت السور الى ان صارت منه بمقدار ما ج البحر واهاج الدور فاتفق اصحابنا على ان يفتحوا ابوابا قبالتها من السور ويتركوها معللة بالقشور ثم فتحوا الابواب وتكاثرت صالح أهل الثغر من كل الجهات فاحرقوا الدبابات المنصوبة وصدّقوا عندها من القتال وأنزل الله على المسلمين النصر وعنى الكفار الخذلان والقهر واتصل القتال الى العصر من يوم الاربعاء وقد ظهر فشل الفرنج ورعبهم وقصرت عزائمهم وفترح بهم وأحرق آلات قتالهم واستحرق القتل والجراح في رجالهم ودخل المسلمون الى المغر لاجل قضاء فريضة الصلاة وأخذوا به قيام الحياه وهم على نيّة المباكره والعدو على نيّة الحرب والمبادره ثم كر المسلمون عليهم بعبثة وقد كاد يخلط الظلام فهاجموهم في الخيام فقتلوا ما فيها وفكروا في الرحالة أعظم فتك وتسلّموا الخيالة ولم يسلم منهم الا من نزع ليلسه ورمى في البحر نفسه وتقمم أصحابنا في البحر على بعض المراكب فحسقوها وأتلفوها فولت بقية المراكب هاربه وجاءتها أحكام الله الغالبه وبقى العدو بين قتل وغرق وأسروا فرق واحتمى ثلثمائة فارس منهم في رأس تل فأخذت خيولهم ثم قتلوا وأسروا وأخذوا من المتاع والآلات والاسلحة ما لا يملك مله واقطع هذا الاسطول عن الثغر يوم الخميس وذكر ابن شدّاد ان نزول هذا العدو كان في شهر صفر وكانوا ثلاثين ألفا في ستمائة قطعة مابين شينى وطرا ده وبسطه وغير ذلك

﴿فصل﴾ وأما نوبة الكفة فقال ابن شدّاد الكفة انسان مقدّم من المصريين كان قد اتزح الى أسوان فأقام بها ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليه ويخيل لهم انه يملك البلاد ويعيد الدولة مصريه وكان في قلوب القوم من المهاواة للمصريين ما تستصغر هذه الاعمال عنده فاجتمع عليه خلق كثير وجع وافروا من السودان وقصد قوص وأعمالها فانتهى خبره الى صلاح الدين فجرت له عسكر اعظيما شاكين في السلاح من الذين ذاقوا حلاوة ملك الديار المصريه وخافوا على قوت ذلك منهم وقدّم عليهم أخاه سيف الدين وسار بهم حتى أتى القوم فلقبهم بمصاف فكسرهم وقتل منهم خلقا عظيما واستأصل شافتهم وأخذنا أثرهم وذلك في السابع من صفر سنة سبعين واستقرت قواعد الملك قال العماد وفي أول سنة سبعين مستهلها قام المعروف بالكثرة في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعيود وعداودا القريب والبعيد وكان عنده من الامراء أخ لحسام الدين الى الهجاء السمين فتمتلك به وبمن هناك من المنقطعين فغارت حمية أخيه وثار للمار وساعده أخو السلطان سيف الدين وعز الدين موسك بن خاله وعدة من أمرائه ورجاله وجاءوا الى مدينة طود فاحتت عليهم وامتنعت فأسرعت البلية اليها وبها وقعت وأتى السيف على أهلها وباعت بعد عزها بذلها ثم قصد الكنترو هو في طغيانه وعدوانه وسوءه وسودانه فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوده عدمه وارتهب دماء سوده وهجم غابه على اسوده ولم يبق للدولة بعد كثرها كثر وطل دمه ولم ينتطح فيه عز وارتدع المارقون فخار قوا بعده سلم نفاق والله لنا صرى دينه ناصر وواق وقال ابن أبى طى واتفق أيضا ان خرج بقريه من قرى الصعيد يقال لها طود رجل يعرف بعباس بن شاذى وثار في بلاد قوص ونهبها وخذ أموال الناس واتصل ذلك بالملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وكان السلطان قد استنابه بمصر فجمع له العساكر وأوقع به وبذد شمله وفرض جوعه وقتله ثم قصد بعده كثر الدولة الى أسوان وكان قصد بلد طود فقتل أكثر عسكره وهرب فأدركه بعض أصحاب الملك العادل فقتله

﴿فصل﴾ في توجه صلاح الدين الى دمشق ودخوله اليها في يوم الاثنين آخر شهر ربيع الاول قال العماد لما خلا

## كتاب (٢٣٦) الروضتين

بالحق ما تقدم ذكره تجهز لقصد الشام فخرج الى البركة مستهل صفر وافام حتى اجتمع العسكر ثم رحل الى بلبس ثالث عشر ربيع الاول وكانت رسل شمس الدين صاحب بصرى صديق ابن جادلى وشمس الدين بن المقدم عنده تستورى في الحث والبعث زنده وتستقدمه وجنده وسار على صدر واثلة ووصل السير بالسرى حتى أبح على بصرى بصير بالعلى نصيرا للهدى فاستقبله صاحب بصرى وشذازره وسدد أمره واستضاف الى بصرى صرخد وتفرّد بالسبق الى الخدمة وتوحد وسار في الخدمة معه الى الكسوة وبكر صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ الشهر وسار في موكب قوى بالعدد والعدد وحسب ان يمتنع عليه البلد وان الاطراف تونق والارباب تغلق فاقبل وهو يسوق واقباله يسوق حتى دخل دمشق وخرقها وكأن الله تعالى له خلقها ودخل الى دار العقيقى مسكن أبيه وبقي جلال الدين ربحان الخادم فى القلعة على تأييه فراسله حتى استماله وأغزله نواله وتلك المدينة والقلعة ونزل باللمعة سيف الاسلام أخو السلطان صلاح الدين وملك ابن المقدم داره وكل ما حرايتها وبذل له طلبته التى أشار اليها ونص عليها وأظهر انه قد جاء لتربية الملك الصالح وحفظ ماله من المصالح وتبدير ملكه فهو أحق بصيانته واجتمع بآعيانها وخلص لولايته اسرارها واعلانها وأصبح وهو سلطانها وزار القاضى كمال الدين ابن الشهرزورى وفواه حقه من الاحترام وافرله حظ النجيب والاعظام ونفذت الكتب بالامثلة الفاضلية الى مصر بهذا الفصح والنصر وفى بعضها (يوم وصولنا الى بصرى وقبلة وفدت وهاجرت وتراجت ونكارت وتوافت الامراء والاجناد الاراك والاكراذ والعربان وراجل الاعمال وأعيان الرجال وورد كتاب من دمشق بعد كتاب وكل مخبر وذاكر وهو غائب بكتابه حاضر يذكر ان البلاد ممكنة القياد مذعنة الى المراد وأما الفرنج حذلهم الله فان فى هذه السفرة المباركة نزلنا فى بلادهم نزول المتحكم واقتناهم الافامة الحاضر المتخير وعيونهم متناومة وجزنا وأنوفهم رائحة ووطننا وراقبهم صغر وممرنا وعيشهم من والله يزيدهم ذلا ويجعل عداوة الاسلام فى صدورهم غلا وفى أعناقهم غلا) وفى كتاب آخر (وكان رحيلنا من بصرى يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ربيع الاول وقد توجه صاحبها بين أيدينا فاعلمنا بشروط الخدمة ولوارمها ثم لقينا الاجل ناصر الدين ابن المولى أسد الدين رحمة الله عليه وأدام نعمته والامير سعد الدين ابن أتر فى يوم السبت السابع والعشرين ونزلنا يوم الاحد بجسر الخشب والاجناد المشقية الينا متوافيه والوجود على أبوابنا متراميه ولم يتأخر الامن أبقي وجهه وراقب صاحبه ومن اعتمد بالعود انه قد نظر لنفسه فى العاقبة ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ركبنا على خيرة الله تعالى وعرض دون الدخول عددا من الرجال فدعستهم عساكر بالمنصورة وصدمتهم وعرفتهم كيف يكون اللقاء وعلمتهم ودخلنا البلد واستقرت بنا دار والدار رحمة الله عليه قريرة عيوننا مستقرا سكون الرعية وسكونا وادعنا فى ارجاء البلد النداء باطابة النفوس وازالة المكوس وكانت الولاية فيهم قد ساءت وأسرفت واليد المتعدية قد امتدت الى أحوالهم وأجفت فشرعنا فى ابدال أمر الشرع برفعها واعفاء الامة منها برضعها قال ابن الاثير لما خاف من بدمشق من الامراء ان يقصد هم كسبة كين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بمعامل به بنى الداية راسلوا سيف الدين غازى لئلا يلموها اليه فلم يجبه فحملهم الخوف على ان راسلوا صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر وكان كبيرهم فى ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن أشبه أباه فاعظم فلما أتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل دمشق سلمها اليه من بهام الامراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وانما أظهر انى انما جائت لخدمته واسترد له بلاده التى أخذها من عه وجرت أمور آخرها لانه اصطلح هو وسيف الدين والملك الصالح على ما بيده وقال القاضى ابن شذاد لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلا لا ينض باعباء الملك ولا يستقل بدفع عدا الله عن البلاد تجهز للخروج الى الشام اذ هو أصل بلاد الاسلام تجهز بجمع كبير من العساكر وخلف بالديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظام أمورها وسياساتها وخرج هو سائر مع جمع من أهله وأقاربه وهو يكتب أهل البلاد وأمراءها واختلفت كلمة أصحاب الملك الصالح واختلت تدبيراتهم وخاف بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقين من فعل ذلك وسبب التنفير لقلوب الناس عن الصبي فاقضى الحال ان كتب ابن المقدم صلاح الدين فوصل الى البلاد مطابا بالملك الصالح ليكون هو الذى يتولى أمره وزيرية حاله فدخل دمشق يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر وكان أول دخوله الى دار أبيه واجتمع



الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس ما لا طائلا واطهر الفرح والسرور بالدمشقيين واطهر والفرح به وصعد القلعة واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث ان سار في طلب حلب فنازل حص وأخذ مدينتها في جمادى الاولى ولم يستغل بقلعتها وسار حتى أتى حلب ونازلها سلخ جمادى المذكرة وروى في الدفعة الاولى وقال ابن أبي طي بلغ السلطان ان ابن المقدم نفذ عهد الملك الصالح وهو كان السبب في خروج سيف الدين صاحب الموصل واستيلائه على البلاد الشرقية ومضاهيته للملك الصالح في ممالكه وقيل ان ابن المقدم كاتب السلطان ودعاه الى الخروج وقبل ان يخرج الى الشام خوفا من حركة تنشأ من جانب الفرنج بسبب اختلاف أمراء الشام وشغل بعضهم ببعض وبجواب همز ورد من ابن المقدم ولما تيقن ابن المقدم خروج السلطان الى جهة دمشق أشفق من ذلك واستدرك ما بدا منه وتذلل له ووعده تسليم دمشق اليه قال ولما حصل على دمشق وقلعتها واستوطن بقعتها نشر علم العدل والاحسان وعفى أثار الظلم والعدوان وابطل ما كان الولاية استجد به بعد موت نور الدين من القبايح والمنكرات والمون والضرائب المحرمات قلت وكان قد كتب اليه أسامة بن منقذ قصيدة بعد مصاف عسقلان أولها

تمت بأطول المسالك بدا \* في بسط عدل وسطوة وندي  
أحرار ذكر من ذلك الشكر في السدنيا \* ومن ذلك الجنان غدا  
لا تستقل الذي صنعت فقد \* قت بفرض الجهاد مجتهدا  
وجست أرض العدى وأفنت من \* أبطأ لهم ما يجاوز العدا  
ومار أين اغزا الفرنج من السـ \* ملوك في عقودارهم أحدا  
فمر الى الشام فاللائكة السـ \* لبرار تلقاك ملتي حمدا  
فهو فقير اليك يأمل أن \* تصليح بالعدل منه ما فسادا  
والله يعطيك فيه عاقبة السـ \* نصر كما في كتابه وعدا  
فاحبك الوري والهكم السـ \* عدل وأعظاك ما ملكت سدى

ومدح وحيش الاسدي صلاح الدين عذرا أخذه دمشق بقصيدة أولها

قد جاءك النصر والتوفيق فاصطبها \* فكن لضعاف هذا النصر مر تقبا  
لله أنت صلاح الدين من أسد \* أدنى فريسته الايام ان وثبا  
رأيت جلق ثغرا لا نظـ \* ير له \* فجثتها عامر امنها الذي خربا  
نادتك بالذل لما قلـ \* ناصرها \* وأزعم الخلق من أوطانها هربا  
أحيتها مثل ما أحيت مصر فقد \* أعدت من عدلها ما كان قد ذهبا  
هذا الذي نصر الاسلام فاتخذت \* سيده وأهان الكفر والصلبا  
ويوم شاور والايما قد هزمت \* جيوشه كان فيه الجحفل الجببا  
أبت له الضيم نفس مرة \* ويد \* فعالة وفؤاد قط ما وجبا  
يستكثر المدح يتلى في مكارمه \* زهدا ويستصغر الدنيا اذا وهبا  
ويوم دمياط والاسكندرية قد \* أصارهم مثلا في الارض قد ضربا  
والشام لولم يدرك أهله اندرست \* آثاره وعفت آياته حقبـ

(فصل) فيما جرى بعد فتح دمشق من فتح حص وحاه وحصار حلب قال ابن أبي طي لما اتصل بن في حلب حصول دمشق للملك الناصر وميل الناس اليه وانعكافهم عليه خافوا وأشفقوا وأجمعوا على مراسلته فحملوا قطب الدين ينال بن حسان رسالة أعددوا فيها وأبرقوا وقالوا له هذه السيوف التي ملكتك مصر يا ديننا والرماح التي حوت بها قصور مصر بين على أكثافنا والرجال التي ردت عنك تلك العساكر هي تردك وعمات صديت له تصدك وأنت فقد تعديت طورك وتجاوزت حدك وأنت أحد غلمان نور الدين ومن يجب عليه حفظه في ولده قال ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولا تلقاه بموكبه وبنفسه وبالغ في اكرامه والاحسان اليه ثم أجضره بعد ثلاثة لسماع



## كتاب (٢٣٨) الروضتين

الرسالة منه فلما فاه ابن حسان بتلك الشقايق الباطلة وقوقع بتلك التهميات العاطلة لم يعره السلطان رحمه الله طرفا ولا سمعا ولا رد عليه خفضا ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتغاضيا وترك جوابه احسانا وتجاوبا وجرى في ميدان أريحيته واستنى سنن مروته وخاطبه بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم اني وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتمذيب الامور وحياطة الجمهور وسد الثغور وترتبة ولدنور الدين وكف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لاخذ الملك لنفسك ونحن لانطاولك على ذلك ودون ما ترومه خطر القناد وقت الاكباد وإيتام الاولاد فلم ياتفت السلطان لمقاله وترا في احتماله وأوى الى رجاله باقامته من بين يديه بعد ان كان يسطو عليه ونادى في عساكره بالاستعداد لقصد السام الاسفل ورحل متوجها الى حصن فقسلم البلد وقاتل القلعة ولم يرتضي مع الزمان عليهم اقول كل بهام من يحصرها ورحل الى جهة حماه فلما وصل الى الرستن خرج صاحبها عز الدين جرديك وأمر من فيها من العسكر بطاعة أخيه شمس الدين على واتباع أمره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن وأقام عنده يوما وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه حماد وسأله أن يكون السفير بينه وبين من يجلب فأجابه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي أخو جرديك بقلعة حماه قال وسار جرديك الى حلب وهووظان انه قد فعل شيئا وحصل عنده من يجلب دا فاجتمع بالامراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه الامراء بالخيانة وردوا مشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد الدين كسطين في القبض عليه فقبض وثقل بالحديد وأخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الحب الذي فيه أولاد الداية قال ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل ودلى الى الحب وأحسن به أولاد الداية قام اليه منهم حسن وشتمه أفتج شتم وسبه الأُم سب وحلف بالله ان أنزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كسطين خضر الى الحب وصاح على حسن شتمه وتوعده فسكن حسن وامسك جرديك الحب فكان عند أولاد الداية واسمعه حسن كل مكروه قال وكب أبي الى حلب حين اتصل به قبض أولاد الداية وجرديك وكانوا تعصوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب قصيدة منها

بنوا فلانة اعوان الضلالة قد \* قضى بد لهم الافلاك والعدر

واصبحوا بعد عز الملك في صفد \* ونعر مغلطة بغشى لها البصر

وحرل الدهر في جرديك عزمه \* والدهر لا ملجأ منه ولا وزر

قال ولم يرزل السلطان مقيما على الرستن ثم طال عليه الامر فسار الى جباب الركبان فلقيه أحد غلمان جرديك واخبره بما جرى على جرديك من الاعتقال والقهر فرحل السلطان من ساعته عائدا الى حماه وطالب من أخى جرديك تسليم حماد اليه وأخبره بما جرى على أخيه وصعد السلطان الى قلعة حماه واعتبر أحواله واولاهام بارز الدين على بن أبي العوارس وذلك مستهل جمادى الآخر وسار السلطان الى حلب ونزل على أنف جبل جوس فوق مشهد الدكة ثالث الشهر وامتدت عساكره الى الحنافية والى السعدى وكان من يجلب يظنون ان السلطان لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت فخافوا من الحلبيين أن يسالوا البلد كما فعل أهل دمشق فأرادوا طيب قلوب العامة فأشير على ابن نور الدين أن يجمعهم في الميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بنفسه انهم الوزر والمجأ فأمر أن ينادى باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فقبل الصالح من باب الدرجة وصعد من الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا أهل حلب أأر بيبكم وتزياكم واللاجي اليكم كبيركم عندي بمنزلة الاب وشابكم عندي بمنزلة الاخ وصغيركم عندي يحل محل الولد قال وخنقته العبرة وسبقته الدمعة وعلانيه فافتتن الناس وصاحوا بصيحة واحدة ورموا بمعاثمهم وضجوا بالبكاء والعيول وقالوا نحن عبيدك وعبيد أهلك نقاتل بين يديك ونسذل أموالنا وأنفسنا لك واقبلوا على الدعاء له والترحم على أبيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح انه يعيد اليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وأن يجهر بحجى على خير العمل والاذان والتذكير في الاسواق وقد اتم الخنازير بأسماء الائمة الاثني عشر وان يصلوا على أمواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الاسكحة الى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسنى وان تكون العصبة مرفعة والناموس وازع لمن أراد الفتنة وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله فأجيبوا الى ذلك قال ابن أبي طى

فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره يحي على خير العمل وصلى أبى فى الشرقىة مسبلا وصلّى وجوه الحلبين خلفه  
وذكر وافي الاسواق وقد اّم الجيائن بأسماء الأئمة وصلوا على الاموات خمس تكبيرات وأذن للشرىف فى ان يكون عقود  
الحلبين من الامامية اليه وفعلوا جميع ما وقعت الايمان عليه

**فصل** قال ابن أبى طى وكانت هذه السنة شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هائجة الاهوية وكان  
السلطان قد جعل أولاد الداية علاله وسببا قطع به السنة من ينكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح  
ونقول أنا انما أتيت لاستخلاص أولاد الداية واصلاح شأنهم وأرسل السلطان الى حلب رسولا يعرض بطلب الصلح  
فامتنع كمشكين فاشتد حينئذ السلطان فى قتال البلد وكانت لى الى الجماعة عند الملك الصالح لاتنقضى الانصب  
الحبائل للسلطان والى محاملته وارسل المكره اليه فاجعوا آراءهم على مر اسلة سنان صاحب الحشيشية  
فى ارضاد المتالف للسلطان وارسل من يفتك بدو فغنموه على ذلك أموالا لجة وعدة من القرى فأرسل سنان جماعة  
من فتناء أصحابه لاغتيل السلطان فجاءوا الى جبل جوشن واختلطوا بالعسكر ففرهم صاحب بوقيس لانه كان  
مشاغراهم فقال لهم يا ايهاكم كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا العسكر ومثلى فيه فخافوا غائلته فوثبوا  
عليه فقتلوه فى موضعه وجاء قوم لادفع عنه فجرّوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر من الحشيشية أحدهم ويده  
سكينة مشهورة لى قصده السلطان ويهجم عليه فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغرل أمير جاند ارفقتله وطلب  
الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة قال ولما فات من محلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كاتبوا قص  
طربلس وضموه الى أسياء كبير مدتى رحى السلطان عن حلب وكان لعنه الله فى أسر نور الدين منذ كسرة حارم  
وكان قد بذل فى نفسه الاموال العظيمة فلم يقبلها نور الدين فلما كان قبل موت نور الدين سعى له فخر الدين مسعود بن  
الزعرى رانى حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار و فكاك ألف أسير واتفق فى أول هذه السنة موت ملك  
الفرنج صاحب القدس وطهرية وغيرهما فقتل هذا القمص بأمر ولده المجذوم فعظم شأنه وزاد خطره فأرسل  
الى السلطان فى أمر الحلبين وأخبره الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدا واحدة فقال السلطان لست بمن  
يرهب بتأب الفرنج وهما أنا سائر اليهم ثم انفض قطعة من جيشه وأمرهم بقصد انطاكية فغنموا غنيمة حسنة وعادوا  
فقصد القمص جهة حمص فرحل السلطان من حلب اليها فسمع الملعون فنكص راجعا الى بلاده وحصل الغرض  
من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القلعة ورتب فيها واليا من قبله قال وفى فتح قلعة حمص يقول  
العماد الكاتب من قصيدة وستأى

يا باب أيوب نحو السآ \* م على كل ما يرتجيه ظهور  
بيوسف مصر وأيامه \* قرّ العيون وتشفى الصدور  
رأت منك حص لها كفى \* قواتك منها القوى العسير

ومن كذب فاضلى عن السلطان الى زين الدين بن نجب الواعظ يقول فى وصف قلعة حمص (والشيخ الفقيه قد شاهد  
ما شهد به من كونها نجما فى سحاب وعقابا فى عقاب وهامة لها الغمامة عامه واعلم اذا خضها الاصيل كان الهلال  
منها قلامه عاقدة حيو صالحة الدهر على أن لا يحلها بقرعه عاهدة عصمة صالحة الزمن على أن لا يروعها بخلعه  
فاكتنفت بها عقارب مخنقات لا تطيع طمع حص فى العقارب وضربت حجارة بها الحجارة فأظهرت فيها العداوة  
المعلومة بين الافارب فلم يكن غير نالمة من الحدّ الا وقد أرت فيها جدر يا بصر بها ولم تصل السابع الا والبحران منذر  
تقها واتسع الخرق على الراح وسقط سعد ها عن الطالع الى مولدها اليها الطالع وفتحت الابراج فكانت  
أبرابا وسيرت الجمال بها فكانت سرايا فهناك بدت نقوب يرى فأمم من دونها ما وراءها وحشيت فيها النار فلولا  
الشعاع من الشعاع اضاءها) ومن كذب آخر فاضلى عن السلطان الى أخيه العادل (قد اجتمع عندنا الى هذه الغاية  
ما يراحم سبعة ألف فارس وتكاثرت الجوع الى الحدّ الذى يخرج عن العد وبعد أن ترتب احوال حص حرس الله  
نتوجه الى حماه والله المعين على مانويه من الرشاد وتنظفه من طرق الجهاد) وقال العماد لما سمع المدبرون للملك  
الصالح باقبال صلاح الدين المؤذن بادبارهم سقط فى أيديهم وراسلوا الموصلة وكاتبوهم وراسلوا الى صلاح الدين

## كتاب (٢٤٠) الروضتين

بالاغلاظ والاحفاظ وكان الواصل منهم قطب الدين ينال بن حسان وقال له هذه السيوف التي ملكتك مصر وأشار الى سيفه اليهاتر ذلك وعما تصديت له تصدك فسلم عنه السلطان واحتمله وتغافل كرما واغفله وخطبه بما أبى أن يقبله وذكر انه وصل لترتيب الامور وتمذيب الجمهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين واستنقاذاخوة مجد الدين فقال له أنت تريد الملك لنفسك ونحن لا نترع في قوسك ولا نأنس بأنسك ولا نرتاع لجرسك ولا نبني على اسك فارجع حيث جئت او اجهد واصنع ماشئت ولا تطمع فيما ليس فيه مطامع ولا تطلع حيث ما السعودك فيه مطلع ونال من تقطيع القطب ينال كل ما أحال الحال وابلى البال وابدى له التبسم واخفى الاحتمال ثم انه استناب أخاه سيف الاسلام طغتكين بدمشق وسار بالعسكر ونزل على حصص فأخذها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاولى وامتنعت القلعة فأقام عليها من يحصرها ورحل الى حماه فأخذها مستهل جمادى الآخرة ثم مضى ونزل على حلب فحصرها ثالث الشهر فلما اشتد على الحلبين الحصار واعوزهم الانتصار استغاثوا بالاسماعيلية وعينوا لهم ضياعا وبذلوا لهم من البذل أنواعا فجاء منهم في يوم باردشات من فما بهم كل عات فعر فهم الامير ناصر الدين فجار تكين صاحب بوقبيس وكان مشاغل الاسماعيلية فقال لهم لا ي شيء جئتم وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتم فقتلوه وجاء من يدفع عنه فأتخوه وعدا أخذهم ليهمج على السلطان في مقامه وقد سهر سكرين انتقامه وطغريل أمير جاندار واقف ثابت ساكن ساكن حتى وصل اليه فشكل بالسيف رأسه وما قتل الباقيون حتى قتلوا عده ولا في من لاقاهم شدة وعصم الله حشاشه في تلك الذوبة من سكاكين الحشيشه فأقام الى مستهل رجب ثم رحل الى حصص بسبب ان الحلبين كتبوا قص طرابلس وقد كان في أسر نور الدين مذ كسر تحارم وبقي في الاسر أكثر من عشرين سنين ثم فد انفسه بمبلغ مائة ألف وخمسين ألف دينار وفكك ألف أسير فتوجه في الافرنجية الى حصص فلما سمع بالسلطان رجعنا كصاعلى عقبيه خوفا مما يقع فيه ويتم عليه ومن كتاب فاضلى عن السلطان الى العادل (قد اعلمنا المجلس أن العدو وخذله الله كن الحلبيون قد استجندوا بصلبانهم واستصلوا على الاسلام بعدوانهم وانه خرج الى بلد حصص فوردنا حماه وأخذنا في ترتيب الاطلاب طلبه ولقاه فسار الى حصص الاكراد متعلقا بجبله متفحضا بجبله وهذا فتح تقمحه أبواب القلوب وظفروا ان كان قد كفى الله تعالى فيه القتال المحسوب فان العدو قد سقطت حشمته وانخطت فيه همته وولى ظهرا كان صدره يصونه ونكس صليبا كانت ترفعه شياطينه)

وقال العباد في الخريدة لما خيم السلطان بظاهر حصص قصده المهذب بن اسعد بقصيدة أولها  
 ما ما بعد البين يستحلى الكرى \* الا ليطرقه الخيال اذا سرى  
 كلف بقصر بكم فلما عاقه \* بعد المدى سلك الطريق الا حصرا  
 ومودع أمر التفريق دمعاه \* ونهته رقة كانع فقيرا  
 تردى الكمايب كنبه فاداغدت \* لم يدرا نفذ اسطرا أم عسكرا  
 لم يحسن الا تراب فوق سطورها \* الا لان الجيش يعقد عشيرا  
 فقال القاضي الفاضل لصلاح الدين هذا الذى يقول (والشعر ما زال عند الترك متروكا)

فجعل جائرته لكذب قوله وتصديق ظنه فشره وجمع له بين الخلعة والضيعة وعن الفاضل ما قاله في قصيدة في مدح الصالح بن رزيك التي أولها

يا كعبة الجود ان الفقرا قعدنى \* ورقة الحال عن مفروض حجيكا  
 من ارتجى يا كريم الدهر ينعشنى \* جدواه ان خاب سعي في رجائيك  
 أم مدح الترك أبغى الفضل عندهم \* والشعر ما زال عند الترك متروكا  
 أم مدح السوق النوكى لرودهم \* واضيعنا ان تخطتى أياديكا  
 لا تتركنى وما أملت في سفرى \* سواك أقفل نحو الاهل صعلوكا

قلت وقدمضى ذكر ابن أسعد هذا في اخبار سنة ثمان وخمسين وسبأى من شعره أيضا في أخبار سنة ست وسبعين وثمان وسبعين وما أحسن ما خرج ابن الدهان من الغزل الى مدح ابن رزيك في قوله من قصيدة أولها

يقول فيها

تمادى بنا في جاهلية نحلها \* وقد قام بالمعروف في الناس شارع  
وتحسب ليل الشيخ يمتد بعدما \* بداطالع الشمس السخاء طلاع

**فصل \*** ثم أرسل السلطان الخطيب شمس الدين بن الوزير أبي المضال الديوان العزيز برسالة ضمنها القاضي  
الفاضل كباطويلارائقا فائقا يشتمل على تعداد السلطان من الأيدي من جهاد الأفرنج في حياة نور الدين ثم  
فتح مصر واليمن وبلاد جمة من أطراف المغرب وأقامه الخطبة العباسية بها يقول في أوله للرسول (فإذا قضى التسليم حق  
اللقاء واستدعى الاخلاص جهد الدعاء فليعد وليه بعد حوادث ما كانت حديثا يفتري وجوارى أمور ان قال فيها  
كثيرا فاكثرت منه ما قد جرى وليشرح صدرها منها لعله يشرح مناصدرا وليوضح الاحوال المستمرة فان الله لا يعبد سرا  
ومن الغرائب ان تسير عرائب \* في الأرض لم يعلم بها المأمول  
كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى \* والماء فوق ظهورها محمول

فاما كنا نقبس النار با كفنا وغيرنا يستنير ونستنيط الماء بأيدينا وسوانا يستمر ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد  
التصوير ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا يدعى التصدير ولا بد ان تستر تبصاعتنا بوقف العدل الذي ترتبه  
الغصوب وتظهر طاعتنا فأنخذ بحظ الاس كالأخذنا بحظ العلوب وما كان العائق الا انا كنا نتظر ابتداء من  
الجانب الشرقي بالنعمة يضاهي ابتداءنا بالخدمة وانجبا للحقينا كل انجبالا للسبق كان أول أمرنا انا كافي الشام  
لفتح الفتوح مباشرين بانفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعماسا كرنا نحن والدنا وعنا في اى مدينة فتحنا أو معقل ملك  
أو عسكر للعدو كسرنا ووصاف الاسلام معه ضرب فما يجهل أحد صنعنا ولا يجحد عدونا انا نصطلي الجره ونملك  
الكهر وتقدم الجماعة ونرتب المعاتلة وندير التعيين الى ان ظهرت في الشام الاثار التي لنا أجرها ولا يضرنا ان يكون  
لغيرنا ذكرها وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الاحوال عليه فيها من سوء تدبير وبمبادولتها عليه من غلبة صغير على  
كبير وان النظام بها قد فسد والاسلام بها قد ضعف عن اقامة كل من قام وقعد والفرنج قد احتاج من يدبرها الى  
ان يقاطعهم باموال كثيرة لها مقادير خطيره وان كلمة السنة بها وان كانت مجموعها فانها مسموعة وأحكام الشريعة  
وان كانت مسموعة فانها متعامه وتلك البدع بها على ما يعلم وتلك الضلالات فيها على ما يقتضي فيه بفرار الاسلام ويحكم  
وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم وتلك الانصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله وتعظم وتقمم فتعالى الله  
عن شبه العباد وويل لمن غرته قلب الذين كبروا في البلاد فسميت همتنا دونهم أهل الأرض الى ان نستفتح مقفلها  
ونسترجع للاسلام ساردها ونعيد على الدين ضالته منها فصرنا اليها في عساكر فخره وجوعه وبأموال  
انتهكت الموجود وبلغت منها الجحود أنفقتنا هاهنا حاصل ذمتنا وكسب أيدينا وثمان أسارى الفرنج الواقعين في  
قبضتنا فعرضت عوارض منعت وتوجهت للمصريين رسل باستنجد الفرنج قطعت ولكل أجل كتاب ولكل أمل باب  
وكان في تقدير الله اناعما كهنا على الوجه الاحسن وتأخذها بالحكم الاقوى الامكن فغدر الفرنج بالمصريين غدرة في  
هدنة عظم خطبها واخبطها وعلم ان استئصال كلمة الاسلام محيطها فكاتبنا المسلمون من مصر في ذلك الزمان كما كاتبنا  
المسلمون من الشام في هذا الاوان باننا ان لم نذكر الامر والاخرج عن اليدوان لم ندفع غريم اليوم لم غفل الى الغد فصرنا  
بالعساكر المجموعة والامراء اهل المعروفة الى بلاد قد تهددنا بها أمرنا ونقررنا في القلوب وذان الاول ما علموه  
من اثارنا المذهب الاقوام واهياء الحق الاقدم والآخر ما ير جونه من فك اسارهم واقالة عشارهم ففعل الله ما هو  
أهله وجاء الخبر الى العدو فانتزع جبله وضاق به سبيله وأفرج عن الديار بعد ان كانت ضياعا هورا ساقها وبلادها  
واقاليها قد نفذت فيها أوامره وخفقت عليها صلبانه ونصبت بها أوثانها وايس من ان يسترجع ما كان بأيديهم حصلا  
وأن يستنقذا صار في ملكهم داخلنا ووصلنا البلاد وبها أجناد عددهم كثير وسوادهم كبير واموالهم واسعة وكثرتهم  
جامعه وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفر والحيلة في السر ففهم أنفذ من العزيمة في الجهر وبها راجل  
من السودان يزيد على مائة ألف كلهم أغتنام أنحاج ان هم الا كالانعام لا يعرفون بالاساكن قصره ولا قبله الا

## كتاب (٢٤٢) الروضتين

ما يتوجهون اليه من ركنه وامثال أمره وبها عسكر من الارض باقون على النصرانية موضوعة عنهم الجزية كانت لهم شوكه وشككه ووجه وجهه ولهم حواش لقصورهم من بين داع تلتطف في الضلال مداخله وتصيب العلوب مخايله ومن بين كتاب تفعل أقلامهم أفعال الاسل وخدام يجمعون الى سواد الوجود سواد النحل ودولة قد كبر غلها الصغير ولم يعرف غيرها الكبير ومهابة تمنع ما يكتنه الضمير فكيف بخطوات التدبير هذا الى استباحة للمخارم ظاهره وتعطيل للفرائض على عادة جارية جائره وتحريف للشريعة بالتأويل وعدول الى غير مراد الله بالتنزيل وكفر سمي بغير اسمه وشرع يتستر به ويحكم بغير حكمه فازلنا سحتهم سحت المبارد للشفار ونخيفهم تخيف الليل والنهار بجائب تدبير لا تحتملها المساطير وغرائب تقدير لا تحتملها الاساطير ولطيف توصل ما كان من حيلة البشر ولا قدرتهم لولا اعانة المقادير وفي أثناء ذلك استجدوا علينا الفرغ دفعه الى بلبس ودفعه الى دمياط وفي كل دفعة منهم ما وصلوا بالعدد المجهر والحشد الاوفر وخصوصا في نوبة دمياط فانهم نازلوا بجرا في ألف مركب مقاتل وحامل وبراني مائتي ألف فارس وراجل وحصر وهاشميرين يباكرونها ويراوحنها ويمادونها ويصاحبونها القتال الذي يصلبه الصليب والقراع الذي ينادى به الموت من مكان قريب ونحن نقاتل العدو بين الباطن والظاهر ونصابر الضدين المناقق والكافر حتى أوى الله بأمره وأيدنا نصره وخابت المظامع من المصرين والفرنج وسرعنا في تلك الطوائف من الارمن والسودان والاجناد فأخرجناهم من القاهرة تارة بالامور المرهقة لهم وتارة بالامور العاجزة منهم وطورا بالسيوف المجردة وبالنار المحرقة حتى بقي القصر ومن بدم من خدم ومن ذرية قد تترقت شيعه وتمزقت بدعه وخفت دعوته وخفت ضلالتة فهناك تم لنا إقامة الكلمة والجهر بالخطبة والرفع للواء الاسود الاعظم وعاجل الله الطاغية الاكبر بهلاكه وفنائته وبرأنا من عهد معين كان اثم حننها أيسر من اثم ابقائه لانه عوجل لفرط روعته ووافق هلاك شخصه هلاك دولته ولما خلا ذرعنا ورحب وسعنا نظرنا في الغزوات الى بلاد الكفار فلم تخرج سنة الا عن سنة أقيمت فيها براو بجرا مر بكاو ظهرا الى ان أوسعناهم قتلا وأسرا وملكنا رفاههم قهرا وقسرا وتحنناهم معاقلا ما خطر أهل الاسلام فيهم اشد من أيديهم ولا أوجفت عليها خيلهم ولا ركبهم مذمكها أعادهم فحننا ما حكمت فيه يد الخراب ومنهم ما استولت عليه يد الاكتساب ومنهم قلعة بشغرايله كان العدو قد بنى لها في بحر الهند وهو المسلوك منه الى الحرمين واليمن وغزا ساحل الحرم فساء منه خلقا وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا فكادت القبلة ان يستولى على أصلها ومشاعر الله ان يسكنها عبر أهلها ومقام الخليل عليه السلام ان يقوم به من ناره غير رد وسلام ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتنظره من لا يدين بما جاء به من الاسلام فاخذت هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد ومؤيلا لسفار البلاد وغيرهم من عباد العباد) ثم قال (وكن باليس ما علم من امر ابن مهدي الضال المخذع المبتدع المتمرد وله آثار في الاسلام وبارطالبه النبي صلى الله عليه وسلم لانه سبي السراف الصالحين وباعهن بالنس الخس واستباح منهن كل ما لا يقرب سلم عليه نفس ودان بدعه ودعا الى قبراياه وسماه كعبة وأخذ أموال الرعايا العسومة واجاحها واحل الفروج المحرمة وأباحها فانهم ضنوا اليه أخانا بعسكرنا بعد ان تكلفنا له نفقات واسعة والسحة رائعه وسارفا خذناه ولله الحمد وأنجز الله فيه القصد والكلمة هنالك بمسئة الله الى الهند سامية والى ما يقتضى الاسلام عذرتة بمقاديده ولنا في الغرب أثر أعرب وفي اعماله اعمال دون مطلبها مهالك كما يكون المهلك دون المطلب وذلك ان بنى عبد المؤمن قد اشتهر ان أمرهم قد أمر وملكهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق وأمرهم لا يشاق ونحن بحمد الله قد تملكنا كما يحاورنا منه بلادنا تزيد مسافتها على شهر وسيرنا اليها عسكر ابعده عسكر فرجع بنصر بعد نصر ومن البلاد المشاهير والاقاليم الجاهية برقه قفصه قسطيليه فوزر كل هذا اتقام فيها الخطبة لمولانا الامام المستضيء بامر الله أمير المؤمنين سلام الله عليه ولا عهد للاسلام باقامتها وينفذ في الاحكام بعلم المنصور وعلامتها وفي هذه السنة كان عندنا وفد قد شاهد وفود الامصار ورموه باسماع وأبصار مقدار سبعون راكبا كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا ويرجون ما وعدوا ويخافون وعيدا وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدها والقيت النياما ليدها وسبرنا الخلع والمناسير والالوية بما فيها من الاوامر والاقضية فاما الاعداء المحذقون بهذه البلاد والكفار الذين يقاتلوننا بالممالك العظام والغزائم الشداد ففهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الاكبر والجالوت الاكفر وصاحب

المملكة التي أكلت على الدهر ونسرت وفاء النصرانية التي حكمت دولته على ممالكها وغلبت حرت لانماعه  
 غزوات بحريه ومنافلات ظاهرة وسريه ولم تخرج من مصر الى ان وصلت نارسا في جمعة واحدة نوبتين بكتابين كل  
 واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح والغاء السلاح والانتقال من معاداة الى مهاده ومن مفاضة الى مناصحه  
 حتى انه اندر بصاحب صقلية واساطيله التي تردد ذكرها وعساكر دالي لم يخف أمرها ومن هؤلاء الكفار هذا  
 صاحب صقلية كان حين علم بان صاحب السام وصاحب قسطنطينية قد اجتمعوا في نوبه بمياط فغلبا وسرا  
 وغزما وكسرا أرادان يظهر قوته المستغلة فعمرا سطولا يستوعب فيه ماله وزمانه فله الاثنان خمس سنين تكبر عدته  
 وتغلب عدته الى ان وصل منها في السنة الحالية الى الاسكندرية أمر رافع وخطب هائل ما أنقل ظهر البحر مثل  
 حمله ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله وما هو الا قلب بل أفاليم نقله وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا ان الله  
 خذله ومن هؤلاء الجيوش البنادقة والبياسنة والجنوية كل هؤلاء باردة يكونون غزاة لا تطاق صراوة ضرهم ولا  
 تصفا سرارة سرهم وتارديهم يكونون سفارا يحتمكون على الاسلام في الاموال المجلوبة وتقتصر عنهم يد الاحكام  
 المرهوبة وما منهم الا من هو الا ان يجلب الى بلدا آلة قتاله وجهاده وبتقرب اليها بهاء طرائف اعماله وتلاذه  
 وكلهم قد قوت معهم المواصلة وانتظمت معهم المسالمة على ما يريد ويكرهون وعلى ما تضرعون ولا يؤثرن ولما  
 قضى الله سبحانه بالوفاة الدورية وكفاي تلك السنة على نية الغزاة والعساكر قد تجهرت والمضارب قد برزت ونزل  
 الفرنج على بانياس واشرفوا على احتيازا ورأوا فرصة مدوا يد انتهازها استصرخ بصاحبها فسرنا مراحل  
 اتصل بالعدو أمرها وعوجل بالهدنة الدمشقية التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ثم عدنا الى البلاد وتوافت اليها  
 الاخبار بما المملكة النورية عليه من شعب الاراء وتورعها ونشتت الامور وتقطعها وان كل قلعة قد حصل فيها  
 صاحب وكل جانب قد ضمح اليه طالب والفرنج قد بنوا قلاع عايتحوفون بها الاطراف الاسلاميه ويضايقون بها  
 البلاد الساميه وأمر اء الدولة النورية قد سجن كبارهم وعونوا وودروا والممالك الاعداد الدين خلقوا للاطراف  
 لا للصدور وجعلوا للقيام بالقعود في المجلس المحضور قدموا اليدي والاعين والسيوف وسارت سيرتهم  
 في الامر بالمشكر والنهي عن المعروف وكل واحد تحت ذعند الفرنج يد ويجعلهم لظهره سندا وعلما ان البيت  
 المقدس ان لم يتيسر الاسباب لغتجه وأمر الكفران لم يتجزأ العزم في قلعه والانبت عروقه واتسعت على أهل الدين  
 خروقه وكانت الحجة لله قائمه وهم الفاسدين بالقعود عنه والبالنتم كن عصر منه مع بعد المسافة وانقطاع العمارة  
 وكلال الدواب التي بها على الجهاد القوه واذا جاورها كانت المصلحة بادي والمنفعة جامعة واليصدقاره والبلاد  
 قريبه والغزو ممكنه والميرمة متمسعه والخيول مسترجعه والعساكر كثيرة الجمع والافوا مساعدته وأصلحنا في الشام  
 من عقائد معتله وأموار مختله وأراء فاسده وأمر امتحاسده واطماع عالبه وعقول غائبه وحفظنا الولد القائم  
 بعد أسه فانابه أولى من قوميا كلون الدنيا باسمه ويظهرون الوفاء في خدمته وهم عاملون بظلمه والمراد الاثنان  
 هوكل ما يعوى الدولة وبؤ كالدعوه ويجمع الامه ويحفظ الاثنه ويضن الرأفه ويفتح بقية البلاد وان يطبق  
 بالاسم العباسي كل ما تطبقه العهد وهو تقايع رجامع عصر واليمن والمغرب والشام وكلما تشتمل عليه الولاية النورية وكل  
 ما يفتح الله للدولة العباسيه بسموفنا وسيوف عساكرنا ولم نبقه من أخ أو ولد من بعدنا تقليدا يضمن النعمة تخليدا  
 وللدعوة تجديد مع ما ينميه من السمات التي فيها الملك بالجله فالشام لا ينتظم أموره من فيه والبيت المقدس ليس له  
 قرن يقوم به ويكفيه والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يمل السرح حتى يملوا وقرنا لا يرال محرم السيف حتى يحلوا  
 واذا شد رأينا نحن الرأى ضربنا بسيف يقطع في غده وبلغنا المني بمشيئة الله ويد كل مؤمن تحت برده واستنقذنا  
 أسيرا من المسجد الذي أسرى الله اليه بعده ومن كذب آخر فاضلى عن السلطان الى الديوان في تعداد ماله من  
 الايادي (والذي أجراه الله على يد المملوك من الممالك التي دوتها وسنى الضلال التي نسختها وعقودا الحاد التي  
 فسختها ومنابر الباطل التي رخصها وحجج الزندقة التي دحضها فله عليه المنة فيه اذا هله لشرف مشهده وما فعله  
 الالوجهه ويد الله كانت عون يده والافقه دقت اليالي والايام على تلك الامور وما تحركت للفلك في قلعهها  
 نابضه وغبرت الاحوال على تلك السدعة وما ثارت لافراسها رابضه فمشكر بالله تعالى فيما أجزاه على يده

## كتاب (٢٤٦) الروضتين

متى تجد الرى بالقرتين \* خوامص أثر فيها الهجير  
 ونحو الجليخيل أزعجى المطى \* لقد جل هذا المرام الخطير  
 ترى أنيخ بأدى ضمير \* مطايا براها الوجوا والضمور  
 وعند القطيفة والمشتهاة \* قطوف بها للاماني سفور  
 ومنها بكورى نحو القصير \* ومنية عمرى ذاك البكور  
 وياطيب بشرى من جلقى \* اذا جاءنى بالنجاح البشير  
 ويستبشر الاصدفاء الكرام \* هنالك بى وتوفى النذور  
 ترى بالسلامة يوما بكون \* سباب السلامة منى عبور  
 وان جوازى سباب الصغير \* لعمري من العمر حظ كبير  
 وما جنة الخلد الا دمشق \* وفى القلب شوق اليها سير  
 ميادينا الخضرة فح الرباب \* وسلاها العذب صافى غير  
 وجامعها الرحب والعبدة المنيفه \* والفلك المستدير  
 وفى قبلة النسرلى سادة \* بهم للمكارم أفق منير  
 وباب الفراديس فردوسها \* وسكانها أحسن الناس حور  
 والارزق فالسهم فالنيران \* فجنات مزتها فالعفور  
 مكان الجواسق مأهولة \* بروح تطلع منها البدور  
 بنير بها تستبهر الهموم \* برؤسها يتربى السرور  
 وما غتر فى الرقة العماشة \* بين بالحس الا الربيب الغرر  
 وعند المغارة يوم الخميس \* أغار على القلب منى مغير  
 وعند المنديع عين الحياة \* مدى الدهر نابغة ما تغور  
 بجسر ابن شواش ثم السكون \* لنفسى بنفسى تلك الجسور  
 وما اس لانس انس العصور \* على جسر جسرين الى جسور  
 وكنت الهوى بقرى الحبيب \* فى بيت لهما وبام الغيور  
 فاين اغتباطى بالغوطة بين \* وتنتك اللىالى وتلك العصور  
 وأشجار سطر ابدت كالسطو \* رعهى البليغ البصير  
 وأين تأملت فلك يدور \* وعين نفور وبحر يحور  
 وأين نظرت نسيم يرق وزهر يروق وروض نصير \* الام القساوة يا فاسيون  
 ومنذ ترى نوردين الا \* لم يبق للدين والشام نور  
 وللناس بالملك الناصر \* صلاح صلاح ونصر وخير  
 هو الشمس أفلاك فى البلاد \* ومطلعه سرجه والسرير  
 اذا ما سطا أو جيبى واجتنبى \* فما الليث ما حاتم ما ثبير  
 بيوسف مصر وأيامه \* تفر العينون وتشقى الصدور  
 ملكك فاسحج فما للبلاد \* سواك مجير ومولى نصير  
 وفى معصم الملك للعزم \* كسوار ومنك على الدين سور  
 لك الله فى كل ما تبغى \* بحق ظهير ونعم الظهير  
 اما المفسدون بمصر عصولك \* وهذى ديارهم اليوم فور

اما الادعياء بها اذ نشطت لابعادهم زال منك الفتور  
ويوم الفرج اذا ما قولك \* عبوس برعهم قطر بر  
نهوضا الى القدس يشقى العلي — بل بفتح الفتوح وماذا غير  
سل الله تسهيل صعب الخطو \* ب فهو على كل شيء قدير  
اليك هجرت ملوك الزمان \* فمالك والله فيهم نظير  
وجرك فيه المعرى والقرآن \* جميعا وبغرا لجمع النجور  
وأنت تربى دماء العر — فرنج وعندهم لاراق النجور

**\*(فصل)\*** في فتح بعلي بك قال العماد ولما فرغ السلطان من حصن وحصنها سار الى بعلي بك فتسلمها في رابع شهر رمضان قال ابن أبي طي وكان بها خادما يقال له يمين فلما شاهد كثر دعسا كره السلطان اضطرب في أمره وراسل من يجلب على جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلي بك الى السلطان قال العماد وهنأته بأبيات منها

بفتوح عصرك ينخر الاسلام \* وبنور نصرك تشرق الايام  
وبفتح قلعة بعلي بك تم ذنب \* هذى الممالك واستقام الشام  
وبكى المسودد ما وبغرا المعرمن \* فرح بنصرك للهدي بسام  
ففتح تسنى في الصيام كنانا \* سكرنا لما منح الاله صيام  
من ذارأى في الصوم عيد سعادة \* حلت لنا والفطر فيه حرام  
أسدى صلاح الدين والدينايدا \* سواها سوق الرجاء تقام  
فقبل فتحك واقصد الفتح الذي \* بحصوله لفتوحك الاتمام  
دم للعلى حتى بدوم نظامها \* واسلم يعز بنصرك الاسلام

قال ولزمت خدمته ارحل برحيله وأترن بنزوله وكنت ليلة عنده وهو يدكر جماعة من شعراء الزمان وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف وخاطر دعى تأمله موقف والى استحسانه مصروف وقد استحسن قصيدة له طائفة لوعاس الطائيان لا قرا بفضلهما وان خواطر المبتكرين لتقصير عن ملهها على ان الشعراء المحذئين ما هم الامن نظم على رويها ووزنها واستمد خصب خاطرهم من مزنها ففهم المعرى وابن أبي حصينة والارجاني والصالح ابن رربك وقد أوردت جميعها في كتاب الخزريدة ومطلع قصيدة المعرى (لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا)

فنظمت في السلطان ونحن على بعلي بك بتارح انسلاخ سبعان قصيدة طائفة منها

عفا الله عنكم ما لكم أيها الرهط \* قسطتم ومن قلب المحب لكم قسط  
شرطتم لنا حفظ الوداد وختمتم \* خيانتكم ما هكذا الود والشرط  
جعلتم قواد المس — تهاكم بكم لكم \* محطافعه ثقل همكم حطوا  
ملككم فانكرتم قديم مودتي \* كان لم يكن في البين معرفة قط  
فدت مهجتي من لا يذم له مجتي \* اذا حاكته وهو في الحكم مشتط  
وما كنت أدري قبل سطوة طرفه \* بان ضعيفا فاترا مثله بسطو  
واهيف للاسفاق من ضعف خصره \* يحل نطا فالله لوب به ربط  
يلازم قلبي في الهوى القبيض مثما \* يلزم كف الناصر الملك البسط  
ملك حوى الملك العقيم بضبطه \* كريم ومالال في يده ضبط  
اذ التمت أيدى الملوك فعنده \* مدى الدهر اجلاله تلثم البسط  
عناك طوعا نيل مصر ودجلة — عراق ودان الغرب والجهم والقهمط



## كتاب (٢٤٨) الروضتين

وللنيل شــــط ينتهى سيبه به \* ونبك للراجبن نيل ولاشط  
عدوك مثل الشمع فى نار حقه \* له عنق اصلاح فاسده القسط

وهى ثمانية وثمانون بيتا وسعادة الاعمى قصيدة طائية فى السلطان سياتى ذكرها فاللعماد ولما وصلت الى السلطان ورغبت منه فى الاحسان وجدته لامرى مغفلا ولشغلى مهملا ثم عرفت ان حسادى قالوا له متى أعدت ديوان الكفاية الى العماد وهو لا شك بعمل الوثوق والاعتماد وهذا منصب الاجل الفاضل وهو عنده فى أجل المنازل ربما ضاق صدره وتشعث سره فلما عرفت هذا المعنى لجأت الى الفضل الفاضلى لانه به يعنى فقام بامرى وتوه بقدرى وأراح سرى وشد أزرى

(فصل) فى ما جرى للمواصلة والحلبيين مع السلطان فى هذه السنة قال ابن شذاد ولما احس سيف الدين صاحب الموصل ما جرى علم ان الرجل قد استفتح أمره وعظم شأنه وعلت كلمته وخاف انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه فى الملك وتعدى الامر اليه فجهز عسكرا وافرأ وجيشا عظيما وقدم عليهم أخاه عز الدين مسعودا وساروا يريدون لقاء السلطان وضرب المصاف معه وردد عن البلاد فوصل الى حلب والسلطان بمحس وانضم اليه من كان بحلب من العسكر وخرجوا فى جمع عظيم ولما عرف السلطان بمسيرهم سار حتى وافاهم بقرى وجاءه وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحهم فاصالحوه ورأوا ان المصافر بما نالوا به الغرض الا كبر والمقصود الا وفر والقضاء يجزى الى أمور وهم بها لا يسعون وفام المصاف بين العسكرين فقضى الله تعالى ان انكسر وابتدئ يديه وأسرجاعة منهم ومن عليهم وأظلفهم وذلك عند قرون وجاء فى تاسع عشر شهر رمضان ثم سار عقيب انكسارهم ونزل على حلب وهى defence الثانية وصالحوه على ان أخذ المعركة وكفر طاب وبارئ قال العماد لما تسلم السلطان قلعة بعلبك عاد الى حص وقد وصل عز الدين مسعودا أخو صاحب الموصل الى حلب فنجدة ولما عرفوا ان السلطان مشغول بالحصون جاؤا الى حماه فحصرها وراسلوا فى الصلح فقدم السلطان فى خوف من أصحابه وجاء كشتكين وابن العجمى وغيرهما وأجابهم السلطان الى ما طلبوا وان رد عليهم الحصون وان بقنع بدمشق فأتباعن الملك الصالح وله خاطبا وعلى الانتماء اليه مواظبا وان رد كل ما أخذ من الحرابة وان يسلك فيه سبيل الامانة فلما رأوه مجيبا لكل ما يبتس منه وهو فى عسكر خفيف قالوا ما خبره صحيح فسرعوا فى الاستطاط فطلبوا الرحبة واعمالها فقال هى لابن عمى ناصر الدين محمد بن شيركوه وكيف الحق به فى رضا كم المكره فنفروا وجفوا وأصبحوا على الرحيل الى جانب العاصى قريبا من شيرز وجعوا العسكر وأظهروا انهم على المصاف وعزم الاتصاف فعبر السلطان الى سفح قرون وجاء خيامه وركز على مقابلتهم اعلامه ووصل العسكر المصرى فى عشرة من المتقدمين منهم فرخسأه واخوه تقي الدين والتقوا فهزمهم السلطان ونزل فى منزلتهم قال العماد وما نطمت فى هذه الواقعة فى مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه قصيدة فقد كان له فيها عناء وبلاء حسن منها

ولقد ألفت نفارها وهويتها \* اذ ليس يشكر للظباء نفار  
باجارة للأغلب جائرة دعى \* ظلمى والا قلت جار الجار  
فلبى كطرفى ما يفتق افاقة \* سكران ما دارت عليه عقار  
صب بصب الدمع مخترق الحشا \* خطرت ببال بلائه الاخطار  
لم يخش من خطر الهوى حتى حى \* ذلك القوام شبيهه الخطار  
يذرى الدموع كأنهن عوارف \* لابن الملك شيركوه غزار  
هن آل شاذى الشاذين بنا العلى \* اركانهن لسادم وشفار  
حسنت بهم للدولة الايام والـ دعمال والاحوال والآثار  
قد حاز ملك الشام يوسف الذى \* فى مصر تغبط عصره الاعصار  
نصر الهدى فتوطد الاسلام فى \* أيامه وتضعضع الكفار  
لما لقيت جموعهم منظومة \* صيرت ذلك النظم وهونار  
فى حالتى جود وبأس لم يرل \* للتبر والاعداء منك تبار

## في اخبار (٢٤٩) الدولتين

تهب الالوف ولا تهاب ألوفهم \* هان العدو عليك والدينار  
لما جرى العاصي هنالك طائعا \* بدمائهم جرت به الانهار  
وتخططت عند القرون قرونها \* بل كالت انياب والاظفار  
عبروا المعرفة مالكين معرفة \* والعار يملك تارة ويعار  
أوما كفاهم يوم حص وكفهم \* في بعلبك بثلها الانذار

قال وهنأت الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بقصيدة منها

لاتفن من فرق الفراق الادمي \* فهي الشهود على الغرام المدمي  
واستبق صبرك ما استطعت فانه \* عون لقلبك ان هابت اعدا  
قلب أصابت به العيون ولم يزل \* من مسها بالهاجسات مروعا  
ماباله قد صد عند صدودهم \* غنى ولما ودعوني ودعا  
ومن التخيير اني أبصرته \* في ظعنهم وسألت عنه الاضلا  
أصبحت اذ سبيعتهم لثلاثة \* صبرى وغضى والفؤاد مشيعا  
أوما اتقيتم حين رعتم سربه \* فيه بقي الدين ذاك الاروفا  
عمر بن شاهنشاه من هو عامر \* أركان ملك الشام حين تضعضعا  
خضع العدو وذل بعد تعزز \* لكم وحق عدوكم ان يخضعا  
من معشر غريرون جميع مالم \* يبذلوه في السماح مضيعا  
في مصر واليمن اجتلينا منهم \* في عصرنا تبع اليوسف تبعنا  
الحاويان ملك مصر ومكة \* والشام واليمن الخطا بالاربعنا  
لما عصى الاعداء العاصي جرى \* بدمائهم طوعا سبيولا دفعا

وقال ابن أبي طى لما تسلم السلطان بعلبك وأراح عللها عاد الى حص ونزل به فاقتصل به وورد عز الدين مسعود أخی  
سيف الدين صاحب الموصل نجدة للملك الصالح وكان سبب وروده ان جماعة من أمراء حلب لما كان السلطان نازلا على  
حلب أجعوا آراءهم وكاتبوا سيف الدين والزود نجدة ابن عمه وأخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا  
الموصل وأرسلوا بذلك أمين الدين هاشميا خطيب حلب وقطب الدين ينال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف  
الدين منازل لالسجار وفيها أخوه عماد الدين بن زنكي وكان عماد الدين قد أظهر الانتماء الى السلطان فانجده السلطان  
بقطعة من جيشه فكسروهم ونهبهم عماد الدين بهم وبعسكره فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين صالح أخاه عماد  
الدين وحشد عسكره وأنه نجيحهم مع أخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاغتنم  
الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا وخرجوا جميعا حتى خيموا على حماه وأخذوا في حصارها واتصل بالسلطان  
ذلك فرحل من بعلبك الى حص وبلغ عز الدين فعاد عن حماه ورل قرييما من جناب التركان الى جهة العاصي الى  
قريب من شيزر وراسل النائب بجماه على بن أبي الفوارس يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع أوزار القتال  
وسأله مكاتبه السلطان فيما يجمع الكلامه ويلم شعب الفرقة فكاتب ابن أبي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن  
له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم أبو صالح ابن العجمي وسعد الدين كشتكين لطلب الصلح فاجابهما  
السلطان الى ما أراد وقرر الامر على انه يرذلهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً  
للملك الصالح فلما عين سعد الدين أجابة السلطان الى الصلح والتزول عن جميع الحصون التي أخذها حص وحماه  
وبعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل  
الى أخذها فقام سعد الدين من بين يديه نافرا وكان ذلك برأى أبي صالح ابن العجمي لانه كان معه فاجتهد السلطان  
به ان يرجع فلم يفعل وخرج الى عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماه وحده ما دار بينه وبين السلطان وهون  
عليه أبو صالح أمر السلطان وأخبره بقلته من معه وكان السلطان لما كوتب في أمر الصلح سار في خوف من أصحابه

## كتاب (٢٥٠) الروضتين

فلما علموا بذلك طمعوا في جانبه وعولوا على لقائه واتهاز الفرصة في أمره فكانت باقي أصحابه واستعدت الحربهم وساروا إلى أن نزل على قرون جاه وأخذ في مدافعة الأيام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في التلطف للآحوال فلم ينجح فيهم حال وكانوا في كل يوم يعززون على لقائه وقتاله فيبطل عزيمتهم براسلته فيقتلها وتسويها للآوقات وتقطيعها للزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيمته قد ملأت صدره والقوم يولوا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة ونالوا منه الغرض قال وفي يوم الاحد التاسع عشر رمضان التقوا ولم يكن بعد قد وصل للسلطان من عسكره أحد فجمع أصحاب السلطان كرد وسوا واحدا واحدا ويحجلون يمينه ويسرة ويدافعون الآوقات رجاء أن يتصل بهم بعض العسكر وضري عسكر حلب والعسكر الموصل على أصحاب السلطان حين شاهدوا قتلهم واجتماعهم وكاد أصحاب السلطان يولون الادبار فوصل تقي الدين عر عند الحاجة اليه لتنام السعادة للسلطان فانه لو تأخر ساعة لانكسر عسكره فوصل تقي الدين في عسكر مصر وجماعة من الأمراء وهم غير عالمين بالحرب وقيامها فلما رأوا الناس في الكر والضرب الهبر جلوا جميعا بعد أن افترقوا في الميمنة واليسرة فصدمو عسكر الموصل صدمة ضعفتهم وكان السلطان في هذه المدة قد كتب جماعة من عسكرهم واستهسدهم اليه وحمل اليهم الأموال وهذا هو الذي ابطأ بهم إلى أن وصلت عساكره والافلو كان عسكر حلب نصيح لم يقدر السلطان على البيوت ساعة فلما اشتد القتال لم ينصح الجماعة التي كاتبها السلطان بل كانوا مبطلين مخوفين لم يقرب منهم ثم انهم بعد ذلك انهزموا وتبعهم عسكر السلطان واستباحوا أموالهم وخيامهم وأمر السلطان أصحابه أن لا يوغلوا في طلبهم ولا يقتلوا من رأوه منهم وما ولا يدفقوا على جريح ورحل حتى نزل في منزلاتهم ثم سار من وقته مجدا حتى نزل بمرج قرا حصار ولم يرل هناك حتى عيد عيد الفطر فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وأن يقر الملك الصالح على ما في يده وما هو جار تحت حكمه من الشام الأسفل إلى بلد حماه فلم يرض بذلك فجعلوا له مع حماه العثرة وكفرطاب فرضى بذلك وحلف على نسخة رأيتها وعليها خطه قال وكان في جملة الذين أنه متى قصد الملك الصالح عده وحضر بنفسه وحيوشه ودافع عنه وان لا يغير الدعاء له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولاياته وولايه أصحابه وان تكون السكة باسمه ولما حلف السلطان والملك الصالح وأمر أوه عاد السلطان فاصدا دمشق فلما وصل إلى حماد وصلت اليه رسل الخليفة المستضيء ومعهم التشرقيات الجليلة والاعلام السود وتوقيع من الديوان بالسلاطنة ببلاد مصر والشام وفي هذه الخلية يقول ابن سعدان الحلبي

يا أيها الملك الغرير فضله \* لقد غدوت بالعلي مليا  
كفي أمير المؤمنين شرفا \* انك أصبحت له وليا  
طارحك الوعد على سخط النوى \* فكنت ذاك الصادق الوفا  
أولئك من لباسه زحرته \* لم يولها قبلك أدميا  
نابت الروض سنا وبهجة \* حتى حكته رونما وريا

قال ورحل السلطان من حماه إلى بعريين وكان فيها خفر الدين مسعود ابن الزعفراني وكان خرج إلى السلطان لما وصل إلى الشام وتطارح عليه وخدمه ووطن أن السلطان يقدمه على عساكره فلم يلتفت اليه فترك السلطان وعاد إلى حصن بعريين فاغضب السلطان ذلك وسار اليه وحاصره حتى تسلم حصنه ودال العمدانزل السلطان قرا حصار بنية الحصار فجاءت رسلهم بالانقياد وأجابوا إلى المراد وقالوا اقنعوا بما أخذتموه إلى حماد ولا تسموا وبنا العداه فاستزدنا عليهم كفرطاب والمعره واستوفينا عليهم الأيمان المستقره وسألهم في المعتقلين أخوة مجد الدين فأجابوا وأفرجوا عنهم وتم الصلح وعم البجح ورحلنا ظاهرين ظافرين وزلنا جاء يوم الاثنين ثاني عشر شوال وبها وصلت اليه رسل الديوان الغرير بالتشرقيات والتقليد بما أراد من الولايات وأفاضوا على السلطان وأقارب الخلع وخص ناصر الدين محمد بن شيركوه بزيادة تفضيل على أقارب السلطان وكانه رعايته لحق والده أسد الدين رحمه الله ثم سلم السلطان حصن بعريين وكان يسد الأمير خفر الدين مسعود ابن الزعفراني وهو من أكابر أمراء نور الدين وذلك في أواخر شوال واقطع مدينته حماه لابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود وانهم يجمع على ابن عمه ناصر الدين قال العمدان ذكرا عن ابن نهر العاصي عائدين وقد انكسفت الشمس وادلهم النهار وغلب على القلوب الاستشعار

وطاحت الانوار وخفيت الرسوم وظهرت النجوم وجئنا حص ثم بعلبك ثم البقاع ووصلنا دمشق في ذي القعدة  
 (فصل) قال العماد قد سبق ذكر ما قرره حسادى في خاطر السلطان وقالوا شغله المكتبة وهى منصب  
 الاجل الفاضل وهو يستيب فيه من رآه من الافاضل وهذا تصرفه برفد جليل ووجه جميل والسلطان مع شدة  
 رغبته متوقف الى ظهور وجه النجاش في امرى متوقف وكنيت قد أنست مذة مقامى بالعسكر بذى المجد والمختر  
 ومورد الكرم والمصدر الامير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وافضل وقبول واقبال وله من السلطان ومن الاماغل  
 لجلالة قدره اجلال وقدمال الى فضله ونباهته ونبله وكان أبوه قد ورز للخافى في آخر عهده مفردا بسودده ومجده  
 وكان من أهل السنة والجماعة والبقى والورع والعفاف والباغاه وله يد عند السلطان في النوب التى قصدها فيها  
 مصر وأجل عنده الاحسان والبر لا سيما عند كونه بالاسكندرية محصورا وكان احسانه مشكورا واعتناؤه لحفظه  
 مشهورا فلما ملك أجبته واختار قر به فلزمته التودد وجعلته الوسيط بينى وبين الاجل الفاضل واتخذته من الحجج  
 والوسائل ووقعت خاطرى على تفاسيه نظما ونثرا ورسالة وشعرا فى ذلك ما كتبه اليه

لعل نجم الدين ذا الفضل \* يذكر الفاضل فى شغلى  
 ان أجل الناس قدرا فتى \* بفضل له يتعب من أجلى  
 ومثله من يعتنى بالعلمى \* ويستديم الحمد من ملى

قال وأول ما أهديته للفاضل مدحة حين لقيته بمحس فى شعبان منها

عاينت طود سمكينة ورأيت سمس فضيلة ووردت بحر فواضل  
 ورأيت سحبان البلاغة ساحبا \* بينانه ديل الخمار لوائل  
 أبصرت قسا فى النصاحه معجزا \* فعرفت انى فهاهة باقل  
 حلف الحصافة والفصاحة والسم \* حة والحجاسة والتقى والنائل  
 بحرم من الفضل العزير خضمه \* زامى العباب وماله من ساحل  
 وجميع ما فى الارض سبعة أبحر \* وبحرء تسمى بعنر أنامل  
 فى كفه قلم يعجل حربه \* ما كان من أجمل ورزق أجل  
 يجبرى ولا جرى الحسام ادا حرى \* حده بل جرى القضاء النارل  
 نابت كتابته مناب كتيبة \* كذات بهزم كتابت وجحافل  
 فعده فى عدوه ووليه \* فى عدله اكرم بعاد عادل  
 ريان من ماء التقي صاد الى \* كسب الحمامد وهى خير مناهل  
 يا واحد العصر الذى بذلورى \* فضلا بغير مشابه ومساك  
 مالى وجاه الجاهلين فاغنى \* عنهم كفيتهم وجد بالجاهلى  
 أرجوك معنيا لى السلطان بى \* كرمائك يعنى بأمانلى  
 قررتلى الشغل المجلح مليا \* بالى من الهم المقيم الشاغل

قال فدخل الفاضل الى السلطان وعرفه انه فى راغب وقال انا لا يمكننى الملامة الدائمة فى كل سفرة وغد  
 يكتابك ملوك الاعاجم ولا تستغنى فى الملك عن عقد الملققات وحل التراجم والعماد بى بذلك ولك احتقار وقد  
 عرف فى الدولة النورية مقداره وأخذلى خط السلطان بما قرره لى من شغلى وقد عرف ان الاجل الفاضل قد أجل  
 فضلى قال وخدمت أمير المؤمنين المستضى بالله فى ذي القعدة مع الرسل بهذه القصيدة

أصبح عقود الغانيات مريضها \* وافتك الحاظ الحسان غضيضها  
 ومن محب صلت لقبلة بأسهم \* رؤس أعاد من ظباهم محيضها

قال ابن ابى طى وظهر فى مشغراته من قرى دمشق رجل ادعى النبوة وكان من أهل المغرب وأظهر من التنايل  
 والنمويها ما فتن به الناس واتبعه عالم عظيم من الفلاحين وأهل السواد وعصى على أهل دمشق ثم هرب من

## كتاب (٢٥٢) الروضتين

مشغراً في الليل وصار إلى بلد حلب وعاد إلى أفساد عقول الفلاحين بما يريهم من الشعبذة والتخايل وهو امر آفة وعلمها ذلك وأدعت أيضاً النبوة قال وفيها توفي شهاب الدين الياس الارتقي صاحب البيرة وأوصى إلى الملك الناصر صلاح الدين بولده شهاب الدين محمد

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين **هـ** قال العماد والسلطان بازل بمرج الصفر من دمشق فجاءه رسول الفرنج يطلب الهدنة فأجابهم السلطان بعد أن اشترط عليهم أموراً لا ترضونها وكان الشام ذلك العام جدياً فآذن السلطان للعساكر المصرية في الرحيل إلى بلادهم وإذا استغلوها خرجوا إليه وسار معهم الفاضل واعتمد على العماد فيما كان يصدده وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل وعلى الصيد ومدحه العماد بقصيدة منها

سواك لسهم العلي لن يرشاً \* فسأل رب العلي أن تعيشاً  
من الناس بالبرصدت الكرا \* موبالأس في البرصدت الوحوشا  
وكسرت من مصر نحو العربي شش فهذمت للمشركين العروشا  
سراياك تبعث قسداً لها \* من العرب نحو الأعدى جيوشا  
ويوم حاة تركت العدا \* كما طيرت بالفلا الريح ريشاً

قال ومدحت مستهل ربيع الأول تقي الدين بقصيدة موسومة وكان قد قوض إليه ولاية دمشق ومنها بيتان ابتكرت المعنى فيهما ولم أسبق إليهما وهما

يفيد العاقل اليقظ التغابي \* ليدرك في الغنى حظ الغبي  
ولم تصب السهام على اعتدال \* بها لولا اعوجاج في القسي  
فقل للدهر يقصر عن عنادي \* أما عويت في بأس التقي  
حلفت برب مكة والمصلى \* وناوى ترب طيبة والغمرى  
لأنتم بأبني أيوب خير السورى بعد الامام المستضى

قال وفي أول هذه السنة وصل إلى دمشق الجماعة الذين خرجوا من بغداد لموافقة قطب الدين فأما زفا حذوا لأنفسهم بالتجاء إلى السلطان والاحسراز وكان قائماً زهداً محكمياً في الدولة الامامية من أول الأيام المستنجديه وقوى في الأيام المستضيئه على وزير الخليفة عضد الدين ابن رئيس الرؤسا وسامه أنواع البلاء وأخافه ورام اتلافه حتى استعاض منه برباط صدر الدين سيج السيوخ فسلم به ثمان فإما رخالف الخليفة وشق العصي وعن له حصار الدار فأمر الخليفة بالقبض عليه فلم ينجح ما أحيط به داره إلا ببيع باب في جداره وانهمز فوصل إلى الخلة في أوائل ذي القعدة سنة سبعين وهو في موسم الحج فجمع رجاله وتوجه إلى الموصل وخانه اخوانه وحذله أصحابه فتوفي في بعض قرى الموصل وتدفق أصحابه في البلاد فمنهم من رجع إلى بغداد ومنهم من أتى الشام منهم حسام الدين تمريك وعز الدين اقبورى بن ازغش وكان مهر السلطان قديماً وعنده كريماً فاقطعه في الدار المصرية وكتب في حقه إلى الديوان شفاعته في تخليص ماله واستقامته طاله وكان ذا خرائن مملوءة وخيل مسومة فلم يكن ذنبه عندهم في متابعة فأما زما يقبل الصفيح وكان اقبورى زوج أخت السلطان والسلطان خال بنته وهي زوجة عز الدين فرخساده ابن أخي السلطان قلت وفي بعض الكتب المحررة عن السلطان إلى وزير بغداد بالمشال الفاضل (وما نحسب أنامع الموالاة المتناصرة المستظهرة والمسامي التي كانت لتارات هذه الدولة بالغة غير متقاصرة ولما نزعهم الأمر قاصمه ولما جازيهم الحق واقع وبحقوق الله تعالى الواجبة لهم قائمه وكوناً ما اعنا منها بنجدة من رجال ولا بمادة من مال ولا بأعانة بحال من الاحوال يرثسوا الناس الدولة أعلاها الله ذي قري لا نستطيع دفعه ولا يقبل اسباب النفع اذا أردنا نفعه فالاجبار عندنا واسع والاغراض لدينا غير متعذرة والولايات التي نفوضها اليه عن كتابته غير مستغنية ولكنه ماباع بمكانه من الخدمة مكاناً ولا أثر غير سلطانه سلطاناً وله اعذار لا بأس ان نعيد فيها الساموايانا) ثم ذكر هاتماً قال (وهذا الأمير جزء منا فكيف يعجز منا عاصياً بالسنتناوس وفتنا يدعى الخلق إلى الطاعة وكيف نخلودار الخلافة من واحد من أهلنا ينوب عنا وعن بقية الجماعة فنحن في أنفسنا شفع وعن جاهنا ندفع ومن مكاننا سأل وبمحظنا

## في أخبار (٢٥٣) الدولتين

الذي لا نسمح به لاسلام نجعل وأنت أيها الأمير السائر ثالث رسول ندب في أمر هذا الأمير والله ولي التدبير) وقال  
العماد في الخبر يدة كشت جالسا بين يدي الملك الناصر صلاح الدين بدمشق في دار العدل ألف مذميا مريد من الشغل  
فخضر سعادة الاعمى من أهل حص وكان مملوكا لبعض الدمشقيين مولدا ويكتب على قصائده سعيد بن عبد الله  
فوقف ينشد هذه القصيدة في عاشر شعبان سنة احدى وسبعين

حيثك اعطاف القديين بها \* لما انتت تيرها على كتبها

ثم ذكر القصيدة وغزلها في وصف دمشق ثم قال

سلطانها الملك ابن أيوب الذي \* كفاه لا تكف عن هطلانها

بـواهب لولم كن نوحا لما \* نجيت يوم نداء من طوفانها

سمع بروح الى الندي براحة \* قد اشب المعروف بين بناتها

وفتي اذا زخرت بحار نواله \* غرقت بحار الارض في خجلانها

تلك السيوف المرفقات بكفه \* امضي على الايام من جدانها

ملك اذا جليت عرائس ملكه \* رصعت فريد العدل في تيجانها

فأسلم صلاح الدين وابق لدولة \* ذلت لدولتها مملوك زمانها

وانهض الى دفع السواحل نهضة \* فادت لك الاعداء بعد حرانها

وعنى طويلة قال وقام اليوم الذي يليه وقد جلس السلطان للعدل فأشده قصيدة منها

هل بعد جلق الأن ترى حلما \* وقد تحلل منها مسكل عقد

وقد أتمك كاختنار طائفة \* وقد عناك منها الحصن والبلد

قال وكان سعادة سافر الى مصر في أول ملكة الملك الناصر فحده بقصيدة طائية فاعطاه ألف دينار فنها يصف  
غارته على غزه وعوده من ذلك الغزو بالعرة

فتي مذكري بالخيال والرجل غرة \* نأى عن نواحي الرضى ودنا السخط

رباها بأسماء ما هن من ارض \* ولا أجم الا الذي تنبت الخط

ومان ضواحيها صحن بكتائب \* من الترك لا نوب طعام ولا قط

وله في السلطان قصائد اخر قال وقام اليها السنجاري وأشد الملك الناصر قصيدة في دار العدل بدمشق سنة احدى  
وسبعين في شعبان منها

يا طيبة الهرمين من مصر على الربيع السلام اذا تقوؤس أو عفا

اصبو الى عصر تعدم عهده \* فأزيد من وله عليه تلهفا

أحبنا بابا العصر لو قصرم السجرات ما شمت الحسود ولا اشقى

اتكوا الى الوادي فيحنه وانه \* من رقة الشكوى على تعظفا

وجرى بن الامل الموح فأم بن \* سلطان أرض الله طرايوسفا

الناهب الارواح في طاب العلى \* والواهب الاجال في حصن الوفا

**فصل** فيما تجدد للمواصله والخلبين قد سبق ذكر الصلح الذي جرى بين السلطان والخلبين فلما سمع به المواصله  
عقبوا عليهم ووجوههم ونسبهم الى العجالة في ذلك ومملوك غير طريق الحزم فحماوهم على النقض والنكث وأنفذوا من  
أخذ عليهم الموائيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصله من السلطان عهده ويكشف أيضا ما عنده  
قلما خلابه طالبه السلطان بنسخة الرأي فغلط واخرج من كه نسخة بين الخلبين لهم وناولها اياه فنأملها واخفى  
عنه وما أبداه واطلع على ما اتفقوا عليه وردّها اليه وقال لعلها قد تبدلت فعرف الرسول انه قد غلط ولم يمكنه  
تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الخلبيون للمواصله ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون أمر الا برأى جعتم لنا  
واستثناهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفاء من فوض وشاع الخبر عن المواصله بالخروج في الربيع

## كتاب (٢٥٤) الروضتين

فكتب السلطان الى أخيه العادل وهو نائبه بمصر يعلمه بذلك وأمره أن يأمر العساكر بالاستعداد للخروج في شعبان  
قلت وفي كتاب طويل فاضلي جليل الى بغداد عن السلطان (يطالع بان الحلبيين والموصلين لما وضعوا السلاح  
وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد ان كانت البلاد في أيدينا على استخدام عسكر الحلبيين في البيكرات الى الكفر  
وعرضنا عليهم الامانة فحملوها والايمان فبذلوها وساررسولنا وحلف صاحب الموصل محضر من قتها ببلده وأمره  
مشهده يميننا جعل الله فيها حكما وضيق في نكثها الجبال على من كان خنيقا مسلما وعارسوله ليسمع منا اليمين ولما  
حضر واحضر نسختها وأوى بيده ليخزجها فخرج نسخة من كنت بين الموصلين والحلبيين مضمونها الاتفاق على  
حزبنا والتساعدي الى حربنا والتساعدي على ازالة خطبنا والاستنفار لمن هو على بعدنا وقربنا وقد حلف بها  
كشتمين الخادم بحلب وجماعة معه يميننا قصت الاولى فرددنا اليهم الى عيين الرسول وقلنا هذين من عيين  
خارجهم وأردت عمرا وأراد الله خارجهم وانصرف الرسول عن بابنا وقد رزقنا الله ان يكون اسمه معر ضالكت العظم  
والنكت الذميمة وعلما ان النكا قد بصير والاختد قد ير والمواقف الشريفة النبوية أعلاها الله مستخرجة الاوامر الى  
الموصل ما بكتاب مؤكداً بان لا ينقض عهد الله من بعده ميثاقه واما ان تكون الفسحة واقعة لنا في تضيق خناقة ثم  
ذكر امر الفرنج ثم قال (والمملوك بين عدو اسلام يشار كونه في هذا الاسم لفظا ولا ينون لما استخفظوا وحفظا وعدوكفر  
فما يجاورهم الابلادة ولا يقارعهم الا أجناده ثم طلب خروج الامر بطلب جميع مملوك الاطراف ان يكونوا للمملوك على  
المشركين اعوانا وان يمثل أمر نبيا محمد صلى الله عليه وسلم في ان يكونوا بنا في بعض دود اذا سعى وبلهوا اذا دعا ولا  
يقعدوا عن المعاضدة في فتح البيت المأتم الذي طابت النفوس عن نار دوطأ طأت الرأس تحت عاره وصارت القلوب  
صخرة لا ترق على صخرته والعزائم قاصية عن تطهير اقصاه من رجس الشرك ومعرتنا فان قعات بهم العزائم وأخذتهم  
في الله لومة لائم فلا أقل من ان لا يكونوا أعوانا عليه بل قد نونه عن قصده حريصين على اتصال المكروه اليه) قال ابن  
شاذل لما وقعت الواقعة الاولى مع الحلبيين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على سنجار يحاصر أخاه عماد  
الدين يقصد أخذها منه ودخوله في طاعته وكان أخوه قد أظهر الانتماء الى السلطان صلاح الدين واعتصم بذلك واستند  
سيف الدين في حصار المكان وضر به بالمنجنيق حتى استهدم من سورته نلم كثيرة وأُنهرف على الاختد فباغوه وقوع هذه  
الواقعة تخاف ان يبلغ ذلك أخاه فيشد أمره ويقتوى جأته فراسل في الصلح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم  
بجمع العساكر والانفاق فيها وسار حتى أتى الفرات وعبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات السامي ورأسل كسبة تكين  
والملك الصالح حتى تستقر قاعدة يصل عليها اليهم فوصل كسبة تكين اليه وجرى مرارعات كبيرة عزم فيها على  
العود مرارا حتى استقر راجعاه بالملك الصالح وسموه بوابه وسار ووصل حلب وخرج الصالح الى لقائه بنفسه فالتقاء  
قرب القلعة واعتنقه وضمه اليه وبكى ثم أمر بالعود الى القلعة فعاد اليها وسار هو حتى نزل بعين المباركة وأقام بها  
مدة وعسكر حلب يخرج الى خدمته في كل يوم وصعد القلعة جريدة وأكل فيها خبزنا ونزل وسار اراحا الى قل  
السلطان ومعه جمع كبير وأهل دار بكر والسلطان رحمه الله قد أنفذ في طلب العساكر من مصر وشور قب  
وصولها وهؤلاء يتأخرون في أمورهم وتدبيرهم وهم لا يشعرون ان التأخير تدمير حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه  
الله حتى أتى قرون حماد فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فأخرجوا اليه ووجهوا من كشف الاخبار فوجدوه قد وصل  
جريدة الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسبق فلما أراد الله نصرته لم لقصدوه في تلك الساعة لكن صبروا عليه حتى  
سقى خيله هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعب البقية فقال وأصبح القوم على مصاف وذلك بكرة الخميس العاشر من روال  
فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم وانه كسرت ميسرة السلطان بابين زين الدين بن مظفر الدين فانه كان في  
مينة سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فانه كسر القوم وأسرى منهم جمعا عظيما من كبار الامراء منهم الامير فخر الدين  
عبد المسيح فن غلبهم وأطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده  
وامسك هو رحمه الله عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فانهم كانوا قد أبقوا الثقل على ما كان عليه  
والمطايخ قد علمت ففرق الاصطبلات وهب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين عز الدين فرخشاها وقال العمار رحلنا  
في شهر رمضان من دمشق مستأنفين فعبنا العاصي لله طائعين الى المسار مسارعين فاعرجنا على بلد ولا انتظرنا

## في اخبار (٢٥٥) الدولتين

ماوراء ناس مدد ونزلنا الغسولة وجزنا حاه وخيما في مرج بوقيدس وجاء الخبر انهم في عشرين الف فارس سوى سوادهم وسواراهم من امدادهم وانهم موعودون من الفرنج بالنجدة وانهم يزيدون في كل يوم قوة وشدة وما كان اجتمع من عسكر بأسوى ألف فارس فرتب السلطان عسكره وقوى بقوة قلبه قلبه وأمد الله بحزب ملائكته حربه ولما وصل المواصلات الى حلب أطلقوا من كان في الاسر من ملوك الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك وجوسلين خال الملك وقزروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما عيذنا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان نعيذنا العاصي عند سيزر ورتبنا العسكر وأعدنا الانقال الى حاه ثم وصف الوقعة الى ان قال وركب السلطان أكتافهم فسل مئتهم والافهم حتى أخرجهم من خيامهم وأشرقهم بمائهم ووكل بسراق سيف الدين غازي ودضار بن أخيه فرخشاه وركض وراءه حتى علم انه تعداه ووقع في الاسر جماعة من الامراء المقتدمين ثم من عليهم بالخلع بعد ان نقلهم الى حاه وأطلقهم ثم نزل في السراق السبي فتسلمه بخزانته ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسحه فبسط في جميع دلايد الجود وفرقها على الحضور واليهود وأبقى منها نصيبا للرسول والوفود ورأى في بيت الشراب بل في السراق الخاص طيور من القمارى والبلايل والهزار والبغاني الاقفاص فاستدعى أحد الندماء مظفر الاقرع فأنسه وقال خذ هذه الاقفاص واذهب بها للخلاص واذهب بها الى سيف الدين فأوصلها اليه وسلم منها عليه وقل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سلمية لا توقمك في مثل هذا المحذور قال ولما كسر القوم ولوا مدبرين الى حلب فلم يقف بعضهم على بعض وظنوا ان العساكر وراءهم ركضوا وراءهم فتنجحت خيولهم وتموجت سيوفهم وما صدقوا كيف يصلون الى حلب ويغلقون أبوابها ويسكنون اضطرابها وأما سيف الدين فانه ركض في يومه من تل السلطان الى براعه وجاور في سوقه الاستطاعة وفرق وفارق الجماعه وفي كتاب ابن أبي طي ان ميسرة سيف الدين اكسرت فتحرك الى جانبها اليكون رد الهاوود دافظ باقي العسكر اذ قد انهزم فانهمزوا لحقق ما كان وهما فسار على وجهه لابلوى على شئ وتبعهم السلطان فيملك منهم جماعة قتلا وغرقا وأمر جماعة كثيرة من وجوههم وأمر انهم ثم رجع وأمر أصحابه برفع السيف عن الناس وترك التعرض لمن وجد منهم يقتل أو نهب وفرق ما وجد في خزائن سيف الدين وسير جواريد وحظا الى حلب وأرسل اليه بالاقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها اندم مقاساء الحرب ووجد السلطان عسكر الموصول كالحانة من كثرة الجور والبرابطة والعيدان والجنوك والمغنمين والمغنيمات قال واشتهر انه كان مع سيف الدين أكثر من مائة مغنبة وان السلطان أرى ذلك لعبا كره واستعاذ من هذه البلية وكان أنفذ الامراء الذين أسرهم الى حاه ثم رددهم وخلع عليهم وأرسلهم الى حلب وهنأ العماد للسلطان بقصيده منها

فالحمد لله الذي افضاله \* حلوا الجنى على السنة واضاحه  
عاد العبدو بظلمة من ظلمه \* في ليل ويل قد خبا مصباحه  
وجنا عليه جهله بوقوعه \* في قبضة البازي فهيض جناحه  
جل السلاح الى القبال وما درى \* ان الذي يجنى عليه سلاحه  
أغنى يربدمواصله صدوده \* وغدا يجيد رداءه  
ان أفسد الدين الغلاة بجنهم \* فالناصر الملك الصلاح صلاحه  
قد كان عزمك للاله مصما \* فيهم فلاح كما رأيت فلاحه  
وكأنني بالساحل الاقصى وقد \* ساحت بخردم الفرنجة ساحه  
فاعبر الى القوم الفرات ليشربوا السموت الاجاج فقد طمى طفاحه  
لتفك من أيديهم رهن الرها \* بجلا وبدرك ليلها اصباحه  
وابغوا لحران الخلاص فكم بها \* حران قلب نخوكم ملتحاحه  
نجوا البلاد من البلاء بعد لكم \* فالظلم باد في الجميع صراحه  
واستفتحوا اما كان من مستغلق \* فيها فر بكم لكم فتاحه



## كتاب (٢٥٦) الروضتين

أنتم رجال الدهر بل فرسانه \* ولدى الخلوام الطائشات رجاحه  
فتساكنه نساككم ضاراه \* نفاعه مناعه مناحه  
وأبوالمظفر يوسف مطعامه \* مطعانه مقدمه بجراحه  
وإذا انتدى في محفل خيمه \* وإذا غدى في محفل فواحه  
قال وكان لعز الدين فرخ شاه في هذه الوقعة يديضا وهو محب للفضل وأهله باعث للحواطر على مدحه يبذله فنظمت  
فيه قصيدة منها

نصر أنار المالككم برهانه \* وعلا لذة سائلكم شانه  
مأسعد الاسلام وهو مظفر \* وأبوالمظفر يوسف سلطانه  
الملك مرفوع لكم مقداره \* والعدل موضوع بكم ميزانه  
والدهر لا يأتي بغير مرادكم \* فهل القضاء لاجلكم جريانه  
وكان الله في أحكامه \* فلك على ايساركم دورانه  
نفسرا بنى أبواب انخفاركم \* بذ الملوك السابقين رهانه  
يكفى حسودكم اعتقالاتهم \* فكأنما أشجانه أسجانه  
الدين عز الدين عز بنصركم \* والكفر ذل بعونكم أعوانه  
قد كان جيسكم كبحر زاجر \* واللابسون جواشنة أحيانه  
فطاهلهم كهم عليهم بحركم \* بأسا وغرق فلككم طوفانه  
فضل الملوك الاكرمين بفضله \* فعلا زمانهم البهيم زمانه  
في فضله في عدله في حلمه \* صديقه فاروقه عثمانه  
هو في السماح وفي اللقاء عليه \* هو في العفاف وفي التقى سلمانه  
من آل شاذى السائدين لمجده \* بينيه بيتا عاليا بنيانه  
بيت من العلياء سام شاهق \* يبنى على كيوانها اليوانه  
ياسال التيجان من أربابها \* ومن النناء مصوغه تيجانه  
والجسد مال أنتم بذاله \* والمال جسد أنتم خزانه

قال ثم ان صاحب الموصل أسرع عودته وواصل لدته والحلبيون أوثقوا الاسباب وغلقوا الابواب وسقط  
في أيديهم حين أفرطوا في تعديهم وتميثوا للحصار وخافوا من البوار وتبذوا وتلدوا وتجادلوا ثم تجددوا وقال ابن  
سعدان الحلبى من جملة قصيدة يبنى بها السلطان بهذا الكسر

وما شك قوم حين قت عليهم \* غداة التقى الجمعان انك غالب  
ولولم تقدر تلك المقائب لا غتدى \* لنفسك في نفس العدو مقائب

قال ابن أبى طى وأما سيف الدين فانه امتدت به الهزيمة الى بزاغة فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من أصحابه  
ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار الى الموصل وصار باقى عسكر حلب الى حلب فى سابع شوال فى أقيح حال وأسوئه  
عبراء حفاة فقرأيت لا ومون على نقض الايمان والعهود وخاف أهل حلب من قصد السلطان لهم فأخذوا  
فى الاستعداد للحصار وجاء السلطان وخيم عليها أياما ثم قال الراى ان نقصد ما حولها من الحصون والمعقل والقلاع  
فنتحها فاننا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان أمرها فصوروا رأيه فنزلوا على بزاغة فسلمها بالامان وولاهما عز الدين  
خشتر بن الكردى

(فصل) فى فتح جملة من البلاد حول حلب قال العماد ثم نزل السلطان على حصن بزاغة وتسلمه فى الثانى  
والعشرين من شوال ثم فتح منبج فى التاسع والعشرين منه وكان فيها الامير قطب الدين ينال بن حسان والسلطان  
لا ينال به احسان بل كان فى جر عسكر الموصل اليه أقوى سبب ولا يماذقه ولا يحفظ معه شرط أدب وبواجهه بما

## في أخبار (٢٥٧) الدولتين

يكره فسلم الفلعة بما فيها وقوم ما كان سلماء بثلاثمائة ألف دينار منها عين ونقد ومصوغ ومطبوع وصنوع ومنسوح وغلات وسامه على ان يقدم قاني وأقف وكبرت نفسه فتعبر سره وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقة فبقى فيها الى ان أخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين قال العماد

نزولك في منبج \* على الظفر المبهج \* ونجحك في المرتجى \* وتحكك للمرتج  
دليل على نبح ما \* تحاول أو ترتجى \* أمورك فيما ترو \* مواخضة المنهج  
وشأنيك دامي السؤ \* من منك شقى شجى \* ومن كان في حصنه \* ومن قبل لم يخرج  
يقال له ليس ذا \* بعشك ثم فادرج \* قرأك يستنزل السنجوم من الابرج  
فجعل عبور الفراء \* وأسر وسروا الج \* وعج نخوتك البلا \* وعن غياه اخرج  
خيران والرقما \* ن تاليستامنج \* وحل عن المسلم \* ين ليلهم المذبح

قال ابن أبي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن صعد اليه وجلس يستعرض أموال ابن حسان وذخائره فكان في جملة أمواله ثلثمائة ألف دينار ومن الفضة والاثبة الذهبية والاسلحة والذخائر ما يناهز ألفي ألف دينار فخان من السلطان التفاتة فرأى على الاكياس والانية مكشوا يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل له ولد يحبه ويؤثر اسمه يوسف كان يذخر هذه الاموال له فقال السلطان أنا يوسف وقد أخذت ما خبى لي فتعجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على عزاز ونصب عليه ساعد مجاديق وجد في القتال وبذل الاموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع رفيع محاصرة ثمانية وثلاثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فان الغيظ حملهم على مهادنة الفرنج واطلاق ملوكهم الذين تعبد نور الدين رحمه الله في أسرهم فرأى الى اذنان ان يحاط على المعادل ويصونها صون العقائل فتدلى لها احدى عشر ذى الحجة بعد مدة حصارها المذكورة وقال العماد قسيمة منها

أعطاه رب العالمين دولة \* عزة أهل الدن في اعزازها  
حاز العلي بأسه وجوده \* وهو احق الخلق باحتيازها  
يجده أفنى كنورا فنى الـ \* ملوك في الجد على اكننازها  
مهلك أهل الشرك طرارومها \* ارمها افرنجها انخازها  
تفاخر الاسلام من سلطانه \* تفاخر الفرس بابر اوازها  
تم من فتح عزاز نصرة \* أوقعت العداة في اهتزازها  
واليوم ذلت حلب فانها \* كانت تبال العز من عزازها  
وحلب تتي كشته كينها \* كما انتفت بغداد من قمازها  
بريت في نصر الهدى بحجة \* وضوح نهيم الحق في ابرازها  
كم حاصل الرمح عادم بديا \* عجز عجز والحي عن عكازها  
ارفع حظوظي من حضيض نقصها \* وعددع هازها لمازها  
والشعر لا يثله من باعث \* كحاجة الخيل الى مهمازها

قال وأغار عسكر حلب على عسكر نافي مدة تمامنا على عزاز فاخذوا على غزو وغفلة ما تجلوه وعادوا فركب أصحابنا في طلبهم فأدركوا الافارسا واخذوا من السلطان بقطع يده بحكم حرده فقلت للأموور ذلك بسمع من السلطان تمهل ساعه لعله يقبل مني شفاعه ثم قلت هذا لا يحل وقد ركب دينك عن هذا يحل وما زلت اكر رعليه الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته ورحم وأمر بحبسه وسرى سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وقال ما هذا الغش والونا وان سكتم أنتم فأسكت أنا ودمدم وزجر وغضب وزأر وقال لم لا يقتل هذا الرجل ولماذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتعطفه وتلاع عليه ولا تزر وازرة زر أخرى وأطلق سراحه وتم في نجاته فبحاحه

## كتاب (٢٥٨) الروضتين

❖ (فصل) في وثوب الحشيشية على السلطان مرة ثانية على عزاز وكانت الاولى على حلب قال العماد وفي حادي عشر ذي القعدة قفز الحشيشية على السلطان ليلة الاحد وهو نازل على عزاز وكان للا ميرجاولي الاسدي خيمة قريبة من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وترتيب المهجمات وحض الرجال والحث على القتال وهو باربث أياديه قار على الدهر يكف عواده والحشيشية في زى الاجندة وقوف والرجال عنده صفوف اذ قفز واحد منهم فضرب رأسه بسكينه فعاقته صفائح الحديد المدفونة في لمتة عن تمكينه ولتحت المدينة تحته فخدشته فقوى السلطان قلبه وحاش رأس الحشيشي اليه وجذبه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف الدين بازكوج فاخذ حشاشة الحشيشي وبضعه وقطعه وجاء آخر فاعترضه الامير داود بن منكلا ن فغنه وجرحه الحشيشي في جنبه فمات بعد أيام وجاء آخر فعاقته الامير على بن أبي الفوارس وضحه من تحت ابطينه وبقيت يد الحشيشي من ورائه لاية - كن من الضرب ولا يتأق - له كشف ما عراه من الكرب فمادى اقلونى معه فقد قتلنى واذهب قوتى وأذهلنى فلعنه ناصر الدين بن شيركوه بسيفه وخرج آخر من الخيمة منهزما وعلى الفتك بين يعارضه مقدما فنار عليه أهل السوق فقطعوه وأما السلطان فانه ركب وجاء الى سرادقه وقد خرجه الحادث وفزعه الكارث وصوته جهورى وزئيره قسورى ودم منخده سائل وعطف روعه مائل وطوق كراغنده بتلك الضربة مفكوك ونهيج سلامته مسلول وكان سلاسل لامتة وأقام القوم قيامته ومن بعد ذلك رعب ورهب واحسرز واحتجب وضرب حول سرادقه على مثل خشب الخزكاة تازيرا ووقفه تحجيرا وجلس في بيت الخشب وبرز للناس كالاحتجب وما صرف الامن عرفه ومن لم يعرفه صرفه واذار كب وأبصر من لا يعرفه في موكبها أبعده ثم سأل عنه فان كان مستعفا أو مستعدا أسعفه وأسعده ومن كذب فاضلى الى العادل (السلامة شاملة والراحة بمحمد الله للجسم الشريف الناصرى حاصله ولم ينله من الحشيشي الملعون الا خدش قطرت منه قطرات دم خفيفة انقطعت لوقتها واندمت لساعتها والركوب على رسمه والحصار لعزاز على حكمه وليس في الامر بمحمد الله ما يضيق صدرا ولا ما يشغل سرا) وقال ابن أبى طى المانح السلطان حصن رزاعة ومنع أيق من بحلب بخروج ما في أيديهم من المعاول والقلاع فعادوا الى عادتهم في نصب الخبائل للسلطان فكتبوا سنا باصاحب الحشيشية مرة ثانية ورغبوه بالاموال والمواعيد وحملوه على انفاذ من يفتك بالسلطان فأرسل لعنه الله جماعة من أصحابه فجاءوا برزى الاجناد ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وابلوا فيها أحسن البلاء وامتزجوا باصحاب السلطان لعلهم يجدون فرصة ينهزونها فبينما السلطان يوما جالسا في خيمة جاولى والحرب قائمه والسلطان مشغول بالنظر الى القتال اذ وثب عليه أحد الحشيشية وضربه بسكينه على رأسه وكان رحمه الله محتر راخائفا من الحشيشية لا ينزع الزردية عن بدنه ولا صفائح الحديد عن رأسه فلم تصنع ضربة الحشيشي شيئا المكان صفائح الحديد وأحسن الحشيشي صفائح الحديد على رأس السلطان فشدته بالسكينه الى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على وجهه فتمتع السلطان لذلك ولما رأى الحشيشي ذلك هجم على السلطان وجذب رأسه ووضعها على الارض وركبه لينحره وكان من حول السلطان قد ادركهم دهشة أخذت بعقولهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين بازكوج وقيل انه كان حاضرا فاخترط بسيفه وضرب الحشيشي فقتله وجاء آخر من الحشيشية أيضا يقصد السلطان فاعترضه الامير منكلا ن الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى منكلا ن فجرحه في جبهته وقتله منكلا ن ومات منكلا ن من ضربة الحشيشي بعد أيام وجاء آخر من الباطنية فحصل في سهم الامير على بن أبي الفوارس فهجم على الباطنى ودخل الباطنى فيه ليضربه فأخذه على تحت ابطينه وبقيت يد الباطنى من ورائه لا يمكن من ضربه فصاح على اقلونه واقلونى معه نجلاء ناصر الدين محمد ابن شيركوه فطعن بطن الباطنى بسيفه وما زال يضحضضه فيه حتى سقط ميتا ونجا ابن أبي الفوارس وخرج آخر من الحشيشية منهزما فلقبه الامير شهاب الدين محمود خال السلطان فتنكب الباطنى عن طريق شهاب الدين فقصدته أصحابه وقطعوه بالسيف وأما السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه على خده سائل وأخذ من ذلك الوقت في الاحتراس والاختراز وضرب حول سرادقه برجامن الخشب كان يجلس فيه وينام ولا يدخل عليه الامن يعرفه وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخف الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فألجأت

## في اخبار (٢٥٩) الدولتين

الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد الى خيمته وأخذ في قتال عزاز فقاتلها مدة ثمانية وثلاثين يوما حتى عجز من كان فيها وسألوا الامان فتسلمها احادي عشر ذى الحجة وصعد اليها واصبح ما تم منها ثم أقطعها لابن أخيه تقي الدين عمر وكانت عزاز أولاً للجنسية غلام نور الدين فلما ملك السلطان منيع أخذها منه الملك الصالح وقواها لعله يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان من أمر عزاز حقد على من يجلب لها فعلاوه من أمر الحشيشية فسار حتى نزل على حلب خامس عشر ذى الحجة وضربت خيمته على رأس الباروقية فوق جبل جوشن وجبى أموالها واقطع ضياعها وضيق على أهلها ولم يقسح لعسكره في مقاتلتها بل كان يمنع أن يدخل اليها شيء أو يخرج منها أحد وكان سعد الدين كشتكين في حارم وكانت اقطاعه في يد نوابه وكان انتزعها من يد أولاد الداية بعد أن عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها أن السلطان لما نزل على عزاز خاف كشتكين أن ينتقل منها الى حارم فخرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم كشتكين على كونه خارجا في حارم وخاف أن يجري بين السلطان وبين الامراء الخلبيين صلح فلا يكون له فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال ويقول لو فسح لي في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمة وأصلحت الامر على ما يرويه السلطان وراسل أيضا الملك الصالح والامراء بحلب يقول لهم قد حصلت خارجا وقد بلغتني امور ولا بد من طلبة من الملك الناصر ليأذن لي في الصيرورة اليكم فان الذي قد حصل عندي لا يمكنني الكلام فيه فراسل الملك الصالح السلطان في الاذن له في الدخول الى حلب فأذن له وطلبوا الرهائن منه فأنفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن أبي المضاطحط والعماد الكاتب الانسا وأنفذوا من حلب الى السلطان رهينة نصر الدين ابن زكي وحكي العماد الكاتب قال لما حصلنا داخل حلب أخذنا برأي العدل ابن العجي وجعلنا في بيت ومنع منا غلمانا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا في الكد عيش وفي تلك الليلة دخل كشتكين الى حلب فلما أصبحوا أحضرت أنا وابن أبي المضاطحط الى مجلس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود وجماعة من أرباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن العجي فأخذ يتحدث بثلغته ويترجم بلكته ويضرب صفحا عني ويوهم الجماعة اني واني

ومادري القوم بأني أمرؤ \* أمير التبر من التبر

قد عارك الاهوال حتى غدا \* بين الوري كالصارم العضب

قد راضه الدهر فلوأمه \* بخطبه ما ريع للخطب

قال وعرضت نسخة اليهم علينا وصرفنا ولم يلتفت اليها فلما صاروا الى السلطان واخبراه بما جرى في حقهم من اهوان علم ان ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كشتكين الى حلب فأطاق نصر الدين وقاتل أهل حلب ولم يزلنا لحلب الى انسلاخ سنة احدى وسبعين وخمس مائة ثم كان ماسيا في ذكره

**(فصل)** في بواقي حوادث هذه السنة ودخول قراقوش الى المغرب قال العماد في سابع شوال وصل أخو السلطان شمس الدولة من اليمن الى دمشق وذكر ابن شداد انه قدم في ذى الحجة قلت ولما سمع السلطان بقدومه أرسل اليه بالمال الفاضل كتابا أوله (أنا يوسف وهذا أخي قدم من الله علينا) وقال في آخره (ولقد أحسن عدنان المبشر اطلع علينا بطواع الفجر قبل شمس وغرس في القلوب ما يستره تاويستره حتى غرسه) قال ابن أبي طي كان سبب خروجه من اليمن كراهية البلاد والشوق الى أخيه الملك الناصر وان يرى ملوك الشام وغيرها وأمر للعساكر بما أنعم الله به عليه من النعم والاموال قال وحكي انه لما تحدث الناس بخروج شمس الدولة من اليمن كان باليمن رجل يقال له عباس وكان صهر ياسر بن بلال الحبشي صاحب عدنان وكان بين عباس وياسر عداوة فافعل عباس كتابا على لسان ياسر وزور عليه علامته الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعاء يقول فيه ان شمس الدولة سائر الى أخيه الملك الناصر الى الشام وسبب خروجه ضعفه عن اليمن فامسكوا ما كنتم تمهلون اليه من الاتاوة والرشوة يبق لكم واحتمال حتى وصل الكتاب الى شمس الدولة وكان بازلا على حصن يعرف بالخضرا يحاصره فلما وقف شمس الدولة على الكتاب استدعى ياسر اوقال له هذا خطك وعلامتك قال كأنه هو قال بأى شيء استحققت منك هذا وقد قربت من لثمتك وأبقيت عليك بلادك ورفعت بضبعك على أهل اقليمك وأراد الكتاب فلما وقف عليه ياسر حلف انه

## كتاب (٢٦٠) الروضتين

ما كتبه ولا يعرفه ولا املاه لاحد ولم يعلم خبره فلم يصدقه شمس الدولة وأمر به فقتل بين يديه صبرا فهاب شمس الدولة مسلولك الذين وجعلوا اليه الاموال وحلفوا له على الطاعة ثم ان شمس الدولة خرج الى تهامة وتوجه الى الشام واستخلف على تهامة سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوجه الى حضرموت ففتحها واستتاب عنه بهار جلالا كرويا يسمى هارون وكان مقامه بشبام واستقر الكروى بهامد ثم ان صاحب حضرموت تحرّك وجعل يقتل وعاث هارون في تلك البلاد واستقام أمره وولى شمس الدولة ثغر عزماء بملوكه ياقوت وجعل اليه أمر الجند وولى قلعة بعكر بملوكه فاما ز فال وكان وصول شمس الدولة الى السلطان قبل وقعة الموصل وكمسرتهم وكان شمس الدولة هو سبب الظفر واعطاه السلطان سراق سيف الدين صاحب الموصل مما كان فيه من الفرش والاثاث والآلات وولاه دمشق واعمالها والشام وأمره ان يكون في وجه الفرنج لان السلطان خاف من الحلبين ان يكتبوا الفرنج كعادتهم قال وفيه اقل صديق بن جولة صاحب بصرى وصرخ ضد قتله ابن أخيه ومملك بعده بصرى وصرخ شهراد كاتبه شمس الدولة أخوا السلطان وحلف له على ما يريد من اقطاع واقترح شمس الدولة ان يكتب هو ما يريد له يحلف عليه فانفذ من بصرى نسخة يمين كتبها فاضى بصرى وكان قليل المعرفة بالفقه والتصريف في القول فلم يستقص فيها وجوه التأويل فلما استوتق بهام شمس الدولة وخرج اليه تأويل عليه شمس الدولة في اليمين وقبضه ثم اقطعه عشرين ضيعة ثم أخذها منه بعد ان قتله قال وفيها عصي الامير غرس الدين قليم بقل خالد بسبب كلام جرى بينه وبين كشمكين فانفذ اليه من حاب عسكر الحار ودها ياما وسلم الحصن وصلحت حاله قال ولما ملك شمس الدولة اليمن سمى نفسه بن أخيه تقي الدين الى الملك وجعل يرتاد مكانا يجتمع على فأكبر ان قلعة ازبرى هي فمدرّب المغرب وكانت خرابا فأسير عليه بعمارته واقبل له متى عمرت وسكنها الجند اقوا ياء شجاعان ملك بركة واذا ملك بركة ما وراءها فانفذ بملوكه بهاء الدين قراقوش وقدمه على جماعة من اجناده ومما اليه فصار الى القلعة المذكورة وشرعوا في عمارتها واجتمع بقراقوش رجل من المغرب فخذته عن بلاد الجريد وفران وذكر له كثيرة خيرها وغزارة أموالها وضعف أهلها ورغبه في الدخول اليها فأخذ جماعة من أصحابه وسار في حادى عشر المحترم من هذه السنة فكان يكن النهار ويسير الليل مدة خمسة أيام وأشرف على مدينة أوجلة فلقبه صاحبها واكرمها واحترمه وسأله المقام عنده ليعتضده ويرتوجه بنده ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث اارتفاعها ففعل قراقوش ذلك فحصل له من ثلث الارتفاع ثلاثون ألف دينار فأخذ عشرة آلاف لنفسه وبقى على رجاله عشرين ألفا وكان الى جانب أوجلة مدينة يقال لها الازراقية فبلغ أهلها صنيع قراقوش في أوجلة وانه حرس غلالهم فصاروا اليه ووصفوا له بلدتهم وكثرة خيرهم وطيب هوائهم ورغبوه في المصير اليهم على انهم يملكونه عليهم فأجاب على ذلك واستخلف على أوجلة رجلا من أصحابه يقال له صباح وبعده تسعة فوارس من أصحابه فحصل قراقوش أموال كثيرة واتفق ان صاحب أوجلة مات فقتل أهل أوجلة أصحاب قراقوش فجاء قراقوش وحاسر هاجتى افتتحها عنوة وقتل من أهلها سبع مائة رجل وغنم أصحابها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان أصحابه رغبوا في الرجوع الى مصر وخشى قراقوش ان يفهم وحده فرجع معهم فلما حصل بمصر طاب له المقام وثقل عليه العود ووجه تقي الدين باحدى جواربه وكان استتاب بأوجلة وقال لاهلها أنا أمضى الى مصر لتجد يد رجال وأعود اليكم قال ابن الاثير وفيها في ربيع الآخر استولى على صاحب الموصل جلال الدين أبا الحسن على بن جمال الدين الوزير رحمه الله تعالى وقدم مكنه في ولايته فظهرت منه كفاية لم يظنها الناس وبدا منه معرفة بقواعد الدول وأوضاع الدواوين وتقدير الامور والاطلاع على دقائق الحسابات والعلم بصناعة الكتابة الحسابية والانشاء حيرت العقول ووضع في كتابة الانشاء وضعه لم يعرفوه وكان عمره حين ولى الوزارة خمسة وعشرين سنة ثم قبض عليه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وشفع فيه كمال الدين بن بلسان وزير صاحب آمد وكان قد رزّ وجه بنته فاطمى وسار اليه وبقى بامد يسير امره ايضا ثم فارقه وتوفى بدنيس سنة أربع وسبعين وحمل الى الموصل فدفن بها ثم حمل منها في موسم الحج الى المدينة ودفن عند والده وكان من أحسن الناس صورة ومعنى رحمه الله تعالى قال ثم ان سيف الدين استتاب دزدارا بقلعة الموصل الامير محمد الدين قايماز في ذى الحجة سنة احدى وسبعين ورد

## في اخبار (٢٦١) الدولتين

اليه أزمة الامور في الحل والعقد والرفع والخفض وكان بيده قبل هذه الولاية مدينة أربل واعمالها ومعه فيها ولد صغير لزين الدين على لقبه أيضا زين الدين فكان البلد لولد زين الدين اسما لا معنى تحته وهو لمجاهد الدين صورة ومعنى قلت وفيها في حادى عشر رجب توفي حافظ الشام أبو القاسم على بن الحسن بن عساكر صاحب التارخ الدمشقي رحمه الله تعالى وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن في مقابر باب الصغير وفيها قدم دمشق أبو الفتوح عبد السلام ابن يوسف بن محمد بن مهملد الدمشقي الاصل البغدادي المولود التنوخي الجماهري الصوفي ابن الصوفي ذكره العماد في الخريدة وقال كان صديقي وجلس للوعظ وحضر عنده صلاح الدين وأحسن اليه وعاد الى بغداد وذكر العماد من أسعاره مقطعات منها في الحقائق وأنشدها في مجلسه

يا مالكا مهجتي يا منتهى أملى \* يا حاضر اشاهد في القلب والفكر  
خلقتني من تراب أنت خالقه \* حتى اذا صرت تمثالا من الصور  
أجريت في فالي روحا منورة \* ترفيه بجرى الماء في الشجر  
جعت بين صفا روح منورة \* وهيك صغته من معدن كدر  
ان غبت فيك فيا خفري ويا شرفي \* وان حضرت فيا عبي ويا بصري  
أواحتجبت فسرى منك في وله \* وان خطرت فعلي منك في خطر

تبعدو فتعور رومي ثم نبتها \* وان تغيب عني عشت بالاثر

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة هـ قال العماد والسلطان مقيم بظاهر حلب فعرف أهلها ان العقوبة آتية والمعاقبة وخيمه فدخلوا من باب التذلل ولاذوا بالنوسل وخطبوا في التفضل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا وعف وكفى وكف وأبقى للملك الصالح حلب واعمالها واستقرى كل عثرة لهم وأقالها واراد له اعزاز فردعاه عزاز وقال ابن شداد أخرجه اليه ابنة لنور الدين صغيرة سألت منه عزاز فوجهها ياها قال ابن أبي طي لما تم الصلح وانعقدت الايمان عول الملك الصالح على مراسله السلطان وطلب عزاز منه فاشار الامر عليه بانفاذ أخته وكانت صغيرة فاخرجت اليه فاکرمها السلطان اكراما عظيما وقدم لها أشياء كثيرة وأطلق لها قلعة عزاز وجميع ما فيها من مال وسلاح وميرة وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح أخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائما وقبل الارض وبكى على نور الدين فسألت ان يردها عزاز فقال سمعنا وطاعة فاعطاها اياها وقدم لها من الجواهر والتحف والمال شيئا كثيرا وافتق مع الملك الصالح ان له من حياه وما فتحه الى مصر وان يطلق الملك الصالح أولاد الداية قال العماد وحلفوا له على كل ما شرطه واعتذر روعا عن كل ما سخطه وكان الصلح عامالهم ولما واصلته وأغل ديار بكر وكتبت في نسخة اليه ان انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه خالف كان الباقيون عليه بدوا وحده وعزيمة متعاقد حتى يفيء الى الوفاء والوفاق ويرجع الى مرافقة الرفاق فلما انتظم الصلح ذكر السلطان ثاره عن الاسماعيليه وكيف قصده وبعث اليه البليه فرحل يوم الجمعة لعسر بقين من المحرم فحصر حصنهم مصيات ونصب عليه المجانيق البكار وأوسعهم قتل وأسرا وساق ابقارهم وخرب ديارهم وهدم اعمارهم وهتك أستارهم حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماه وكانوا قد راسلوه في ذلك لانهم حيرانه فرحل عنهم وقد انتقم منهم قال وكان الفرنج قد أغاروا على البقاع فخرج اليهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وهو متولى بعلبك ومقطع اعمالها ومدير أحوالها والمتحكم في أموالها فقتل منهم وأسرا أكثر من مائتي أسير وأحضرهم عند السلطان وهو على حصار مصيات فجند منه الى غزو الفرنج والابنعاث قال ابن أبي طي وهذا أكبر الدواعي في مصلحة السلطان لسنان وخروجه من بلاد الاسماعيليه لان السلطان خاف أن تهيج الفرنج في السام الاعلى وهو بعيد عنه فرعاظفروا من البلاد بطائل فصالح سنايا وعاد الى دمشق قال العماد وكان قد خرج شمس الدولة أخو السلطان من دمشق حين سمع ان الفرنج على الخروج وباسطهم عند عين الجر في تلك المروج ووقع من أصحابه عدة في الاسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلاار ووصل السلطان الى حماه وقد استكمل الظفر واجتمع فيه بأخيه شمس الدولة ثانی صفر وهو أول لقائه بعدما أزمع عنه الى

## كتاب (٢٦٢) الروضتين

اليمين السفر وتعانق الاخوان في الخيم بالميدان وتحذنان في الحدائق وروعات الفراق ولوعات الاشواق وكان قد وصل الى السلطان من أخيه هذا عند مفارقتهم بلاد اليمين كتاب ضمنه أبياتاً اظنهم من شعراء بن النجم المصري أولها

الشوق أروع بالقلوب وأوجع \* فعـلام أرفع منه ما لا يدفع  
وحملت من وجد الاحبة مفرداً \* ما ليس تحمله الاحبة أجمع  
لا يستقر بي الذوى في موضع \* الا تقاضا الى الترحل موضع  
فالى صلاح الدين أشـكو انى \* من بعده ضنى الجوانح موجه  
جزع البعد الدار منه ولم أكن \* لولا هواه لبعـد دار أجزع  
فلاركن اليه من عزائى \* ويحببى ركب الغرام ويوضع  
حتى أشاهد منه أسعد طلعة \* من أفقهها أصبح السعادة يطلع  
قال العماد فسألنى السلطان أن أكتب له فى جوابها على رويها وورنـها فقلت فذكر قصيده منها

مولاي شمس الدولة الملك الذى \* شمس السيادة من سناه تطلع  
مالى سـوالك من الحوادث ملجأ \* مالى سـوالك من النوائب مفزع  
ولأنت خير الدين خفى فى العلى \* وملاذأ مالى وركنى الارتفاع  
الا بخدمتك المجدلة موعى \* والله ما لملك عندى موقع  
وبغـير قـربك كما أرجـو من \* درك المنى متعذر منزع  
لنصر ان أقبلت نحوى مقبل \* واليمن ان أسـرعت نحوى مسرع

قال ثم سرنالى دمشق ووصلنا اليها سابع عشر صفر وفوض ملك دمشق الى أخيه الملك المعظم شمس الدولة وعمر الى مصر السفر

(فصل) فى ذكر جماعة من الاعيان تجدد لهم ما اقتضى ذكره فى هذه السنة قال العماد فى السادس من المحرم توفى بدمشق القاضى كمال الدين بن الشهر زورى وعمره ثمانون سنة لان مولده فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وكان فى الايام النورية بدمشق هو الحاكم المحكم وصلاح الدين اذ ذاك يتولى الشحنة بدمشق وكمال الدين يعكس مقاصده بتوجيه الاحكام الشرعية وربما كسر اغراضه وأبدى عن قبوله اعراضه ويغصد فى كل ما يعرض له اعتراضه وكم صبر على جاحه بحله وراضه الى أن نقله الله سبحانه من نيابة الشحنة الى الملك وصار كمال الدين من قضاة ممالكه المنتظمة فى السلا وكان فى قلبه مما فرط فيه وما فرط منه ما فات وقت تلافيه فلما ملك دمشق يجراه على حكمه ولم يؤاخذ بجرمه واحترم نزاهه وأكرم أصحابه وقتل لـسر عبابه وخاطبه واستحسن جوابه ولم يزل استفتيه ويستهديه ويعرض على رأيه ما يعيده ويمديه وكان ابن أخيه ضياء الدين ابن تاج الدين الشهر زورى قد هاجر الى صلاح الدين بمصر فى ريعان ملكه وأذنت هجرته فى درك ارادته بدار فلكه وأنعم عليه هناك بجزيرة الذهب ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ووفر حظـه من الذهب وملكه دار بالقاهرة نفقة جميله حليلة جليمة ورتب له وظائف وخصه بلطائف ووصل مع صلاح الدين الى الشام وأمر دجار على النظام ولما اشتد بكـمال الدين المرض وكاد يفارق جوهره العرض أراء أن يبنى القضاء فى ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين ابن أخيه علما منه بأن السلطان يمضى حكمه لاجل سـؤاله ويجعله عنده من عوائد عوارفه ومات ولم يخلف مثله ومن شاهده شاهد العقل والفضل كله بارا بالابرار مختار للاخيار مكرمالا لكرام ماضيا فى الاحكام وتدفقوا نور الدين رحمه الله وولده فى أيامه وستدمر اى مرامى وهو الذى سن دار العدل لتنفيذ احكامه بحضرة السلطان فلا يبقى عليه مغز ولا ملز لذوى الشئان وهو الذى تولى له بناء أسوار دمشق ومداريتها والبيمارستان فاستمرت عادته واستقرت فاعـدته فى دولة السلطان وتوفى ونحن يحلب محاصرون وذكر العماد فى الخبر يدلـلـه محبى الدين قصيدة فى مـرئته منها

أما بسفحى فاسميون فسلوا \* على جدب بادى السنـا وترجوا  
وبالرغم منى أن أواجه بالمنى \* وأسأل مع بعد المدى من يسلم

## في أخبار (٢٦٣) الدولتين

لقد عذمت منك البرية والدا \* أحسن من الام الرؤف وأرحم  
ولا سمي اخوان صدق بخلق \* هم في سماء المجد والجد أنجم  
نشرت لواء العدل فوق رؤسهم \* فما كان فيهم من يضام ويظلم  
لقيت من الرحمن عفوا ورحمة \* كما كنت تغفو ما حيت وترحم

قال العماد وجلس ابن أخيه ضياء الدين مكانه وأحسن احسانه وابقى نواب عمه وأنفذ أحكامه بنافذ حكمه وكان  
الفقيه شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون قد هاجر من حلب الى السلطان وقد أزله عنده بدمشق في ظل  
الاحسان وهو شيخ مذهب الشافعي رضي الله عنه والاقوم بالفتيا وأعرفهم بما تقتضيه الشريعة من أمر الدين  
والدنيا والسلطان يؤثر ان يقوض اليه منصب القضا ولا يرى عزل الضيا فافضني بسر مراده الى الاجل الفاضل  
وكان الفقيه ضياء الدين عيسى يتعصب لشيخه فاستسعر الضياء من العزل وأشير عليه بالاستعفا ففعل فاعفى  
وبقيت عليه الوكالة الشرعية عنه في بيع الاملاك قال العماد وأول ما استريت منه بوكالة السلطان الارض التي  
بيستان بقر الوحش التي بنيت فيها المواضع من الحمام والدور والاصطبل والخان وكنت قد احتكرتها في الايام النورية  
هذه كلها في الايام الصلاحية تلت قد خربت هذه الاماكن في سنة ثلاث وأربعين وسفانة بسبب الحصار واستمر  
خرباها وعفت آثارها وصارت طريقا على حافة بردا وأنت خارج من جسر الصفي خارج باب الفرج مارا الى ناحية  
الميدان قال فلما استعفى ضياء الدين ابن الشهر زوري من القضاء لم يبق في منصب القضاء الا فقيه يعرف بالواحد  
داود بن ابراهيم بن عمر بن بلال الشافعي وكان ينوب عن كمال الدين فأمره السلطان ان يجري على رسمه ويتصرف  
في حكمه وكان السلطان لاحياء القضاء في البيت الزكوي مؤثرا ولد كرمناقه كثيرا وقد سبق منه الوعد للشيخ  
شرف الدين بن أبي عصرون وهو راح وبطلب نجاح عده مناح فقوض اليه القضاء والحكم والانفاذ والامضاء على ان  
يتولى محيي الدين أبو المعالي محمد بن زكي الدين والا وحدا ضامين في دمشق يحكمان وهما عن نيابته يوردان ويصدران  
وتوليتهما بتوقيع من السلطان ولم يزل الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون متوليا للقضاء منفردا بالحكم والامضاء سنة  
اثنين وثلاث وسبعين في ولاية أحي السلطان الملك المعظم نحر الدين فلما عدا الى الشام تكلم الناس في ذهاب نور  
بصره وانه لا يقوم في القضاء بورده وصدده فقوض السلطان القضاء بالاشارة الفاصلية الى ابنه محيي الدين أبي  
حامد محمد كأنه نائب أبه ولا يظهر للناس صرفه عما هو متوليه واستمر القضاء له الى انقضاء أشهر من سنة سبع  
وثمانين ثم صرف واستقل به ابن زكي الدين فأقام في مدة ولايته للشرع القواعد والقوانين وقوض ديوان الوقوف  
بجامع دمشق وغيره من المساجد والمشاهد الى أخيه محمد الدين ابن الزكي فولاها الى ان انتقل من أعمال الوقوف الى  
موقف اعتبار الاعمال ونولاها بعده أخوه محيي الدين على الاستقلال الى آخر عهد السلطان وبعده قلت وفيها  
في صفر وقف السلطان قرية خزم بالودي من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة أو بعلم يحتاج اليه الفقيه  
والخضر لسماع الدروس بالزاوية القرية من جامع دمشق المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المقدسي رحمه الله وعلى من هو  
مدرسهم بهذا الموضع من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري رحمه الله  
ورأيت كتاب الوقف بذلك على هذه الصلوة وعليه علامة السلطان رحمه الله (الحمد لله وبه توفيق) قال العماد وفيها في  
ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر ونحن في طريق الوصول الى دمشق توفي شمس الدين ابن الوزير أبي المضارب دمشق وهو  
أول خطيب بالديار المصرية لادولة العباسية وكان يتولى الرسالة الى الديوان العزيز ويقصده الشعراء ويحضره الكرماء  
فيكثر خلعهم وجوائزهم ويبعث على مدحه غرائرهم فحمل السلطان همه وقرب ولده وجبر بتر بته ثمة ثمعين ضياء  
الدين ابن الشهر زوري بعده للرسالة الى الديوان وصارت منصبه ينال فاس عليه واستتب له هذه السفارة الى آخر  
العهد السلطاني وذلك بعد المضي الى مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك حاطب في هذا المرام فأما في هذه السنة فانه  
كان في مسيرنا الى مصر في الصحبة وهو متودد الى بصفاء المحبة وفيها في آخر صفر تزوج السلطان بالخاتون المنعوتة  
عصمة الدين بنت الامير معين الدين انز وكانت في عصمة نور الدين رحمه الله فلما توفي اقامت في منزلها بقاعة دمشق  
رفيعة القدر مستقلة بامرها كثيرة الصدقات والاعمال الصالحات فأراد السلطان حفظ حرمتها وصيانتها



## كتاب (٢٦٤) الروضتين

وعصمتها فأحضر شرف الدين ابن أبي عمرو وعذوله وزوجه ياها بجحضرتهم أخوها لا ييهها الامير سعد الدين مسعود بن انرباذنها ودخل بها وابات عندها وقرن بسعد سعدا وخرج بعد يومين الى مصر ودكر العمد بعد وفاة ابن الشهرزوري وابن أبي المضال امير مؤيد الدولة بأخبار الحارث اسامة بن مرشد بن سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان فقال هذا مؤيد الدولة من الامراء الفضلاء والكرماء الكبراء والسادة القادة العظام وقد متعه الله بالعمرو طول البقاء وهو من المعدودين من شجعان الشام وفرسان الاسلام ولم تزل بنو منقذ ملاء شيزر وقد جمعوا السيادة والمنفى ولما نهرو دالم جعل منهم من تولاه لم يرد ان يكون معه فيه سواه فخرجوا منه في سنة أربع وعشرين وخمس مائة وسكنوا دمشق وغيرها من البلاد وكاهم من الاجواد الاجناد وما فيهم الا ذو فضل وبذل واحسان وعدل وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مصنوع ومن له قصيدة وله مقطوع وهذا مؤيد الدولة أعرقهم في الحسب وأعرفهم بالادب وكانت جرت له نبوة في أيام الدمشقيين وسافر الى مصر وأقام هناك سنين في أيام المصريين فتمت نوبة قتل المنعوت بالطافر وقتل عباس وزيره اخوته واقامة المنعوت بالفائز ومارد في ذلك من الهزاهز فعاد مؤيد الدولة الى الشام وسار الى حصن كيفا وتوطن بها ولما سمع بالملك الصالحى جاء الى دمشق وذلك في سنة سبعين وقال

جئت على طول عمرى المشيبا \* وان كنت أكثر فيه الدنوبا

لانى حبيت الى ان لقيت بعد العدو صدقا حبيبا

قال وكنت أسمع بفضلها وأنا باصبهان فى أيام السببية وأنشدنى له محمد العرب العامرى باصفهان فى سنة خمس وأربعين هذين البيتين وهما من مبتكرات معانيه فى سن قلعهما

وصاحب لا أمل الدهر رحيمته \* يسقى لنفقى ويسعى سعى مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا حين بدا \* لنا طرى افترقنا فرفة الابد

قال فما لقيته بدمشق فى سنة سبعين أنشدنيهما نفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه قلت ومن عجيب ما اتفق الى وجدت هذين البيتين مع بيتين آخرين المجموع أربعة أبيات فى ديوان أبي الحسين أحمد بن منير الاطرابلسى ومات ابن منير سنة ثمان وأربعين وخمس مائة قرأت فى ديوانه وقال فى الضرس

وصاحب لا أمل الدهر رحيمته \* يسقى لنفقى وأجنى ضربه يدى

أدنى الى القلب من سمى ومن بصرى \* ومن تلادى ومن مالى ومن ولدى

أخلى بي من خال بوجنته \* مداده زائد التقصير للدد

ثم قال (لم ألقه مذ تصاحبنا البيت) فالأسبى ان ابن منير أخذها وزاد عليها ولمذا غير فيما كلمات وقد وجدت هذا البيت الاول على صورة أخرى حسنة (وصاحب ناصح لى فى معاملتى) ويجوز ان يكون أسامة أنشد هاهما متصلا فنسبا اليه لما كان مظنة ذلك ويجوز ان يكون اتفاقا والله اعلم قال العماد وشاهدت ولده عضد الدين أبا الفوارس من هفا وهو جليس صلاح الدين وأتيسه وقد كتب ديوان شعر أسامة لصلاح الدين وهو لشغفه به يفضل له على جميع الدواوين ولم يزل هذا الامير العضد مرف مصاحبا له بمصر والشام الى آخر عصره وتوطن مصر فلما جاء مؤيد الدولة أنشده أنزله ارحب منزل وأورده أعذب منزل ولملكه من اعمال المعرة خبيعة زعم انها كانت قديما تجرى فى املاكه وأعطاه بدمشق دارا وادارا واذا كان بدمشق جالسه وأتيسه وذا كره فى الادب ودارسه وكان ذارأى وتجربه وحكمة مهذبه فهو يستشير فى نوابه ويستشير برأيه فى غياضه واذا غاب عنه فى غزواته كاتبه واعلمه بواقعاته ووقعاته واستخرج رأيه فى كشف مهماته وحل مسكلاته وبلغ عمره ستا وتسعين سنة فان مولده سنة ثمان وثمانين وأربع مائة وتوفى سنة أربع وثمانين وخمس مائة قلت وقد تقدم من اخباره فى قتل الاسد فى شبابه أيام كونه بشيزر وكرت أيضا له ترجمة حسنة فى تاريخ دمشق

(فصل) فى رجوع السلطان الى مصر خرج من دمشق يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول قال العماد لما استتمت

## في اخبار (٢٦٥) الدولتين

للسلطان بالشام أمور مما لكه وأمن على مناهج أمره ومسا لكه أزمع الى مصر الا ياب وقد أمحلت من بعده من جود  
جود السحاب وتقدمه الامراء والملوك وخرج بكرة الجمعة ونزل برج الصفر ثم رحل عنه قبل العصر الى قريب الصنمين  
وخرجت معه وقلبي مروع الى أهلي فانزلت منزلا الانظمت أيبا تافقلت يوم المسير وقد عبرت بالخياره

أقول لرب بالخياره نزل \* أثيروا لى فى المقام خيار  
هم رحلوا عنك الغداة وما دروا \* بأنهم قد خلفوك وساروا  
حليف اشتياق لا يرى من يحبه \* وفى القلب من نار الغرام أوار  
أجبروا من البلوى فؤادى فعندكم \* ذمام له ياسادى وجوار

وقلت وقد نزلنا بالقميع

رايتنى بالقميع منفردا أضى — مع من فقع قاعها الضائع  
بعث بمصر دمشق عن غرر \* مئى فياغبن صفقة البائع  
صيرى والقلب عاصيان وما \* غير همومى وأدمى طائعى

وقلت بالفوار

تحدربالفوار دمعى على الفور \* فقلت لجيرانى أجبروا من الجور  
وأصعب مالا قيت انى قانع \* من الطيف مذنبتم بزور من الزور

وقلت بالزرقا

ولم انس بالزرقاء يوم وداعنا \* أنامل تدمى حيرة للنتدم  
أعدتلك يازرقاء جراء انى \* بكيتك حتى شيب ماؤك بالدم  
تأخر قلبى عندهم متخلفا \* وخالفتم فى عزمى والتقدم  
فيا ليت شعرى هل أعود اليهم \* وهل ليت شعرى نافع لى لهم  
قال وقلت وقد عبرنا على مسالك قريبة من قلعة الشوبك وفيها تختطف الافرنج القاصدين الى مصر

طريق مصر ضيق المسلك \* سالكه لاشك فى مهلك  
وحب مصر صار حبا لى \* أوقعه فى شبك الشوبك  
لكنما من دونها كعبه \* محجوجة مبرورة المنسك  
بها صلاح الدين يشكى الذى \* اليه من أيامه يشتكى

قال ونظمت فى طريق مصر قصيدة مشتهرة على ذكر المنازل بالترتيب وأراد البعيد منها والقريب واتفق ان  
السلطان سيرا الى مصر الملك المظفر تقي الدين وكان لا يستدعى من شاديه الا انشاده فى ناديه ويطرب لسماعها  
ويجب بابداعها وكان قد فارق أهله بدمشق كما فارق بها أهلى وجمع الله بهم بعد ذلك شملى وهى هذه

هجرة كم لاعن ملال ولا غدر \* ولكن لمقدور أنجى من الامر  
واعلم انى مخطئ فى فراقكم \* وعذرى فى ذنبى وذنبى فى عذرى  
أرى نوبالدهر ترحصى ولا أرى \* أشد من الهجران فى نوب الدهر  
بعينى الى لقياسوا كم غشاوة \* وسمعى عن نحوى سواكم لذو وفر  
وقلبي وصبرى فارقا لى بعدكم \* فلا صبر فى قلبى ولا قلب فى صدرى  
وانى على العهد الذى تعهدونه \* وسرى لكم سرى وجهرى لكم جهرى  
تجبرعت صرف الهم من كاس شوقكم \* وهأنأ فى صحوى تريف من السكر  
وان زمانا ليس يعمر موطنى \* بسكنأكم فيه فليس من العمر  
واقسم لولم يقسم البسبين بيننا \* جوى الهم ما أمسيت مقتسم الفكر  
أسير الى مصر وقاسى أسيركم \* ومن عجب أسرى وقلبي فى أسر

اخلاى قد شط المزار فارسواالا — خيال وزور وافي الكرى واربحواجرى  
 مذكرت أحبابي بخلق بعدما \* ترحلت والمشي — تاق يأنس بالذكر  
 وناديت صبرى مستغيثا فلم يجب \* فاء بملت دمعى البكاء على صبرى  
 ولما قصدنا من دمشق غباغبا \* وبتنا من الشوق المض على الجمر  
 نزلنا برأس الماء عند دواعنا \* موارد من ماء الدموع التى تجرى  
 نزلنا بصحراء الفقيع وغودرت \* فراقع من فيض المدامع فى العدر  
 ونهنت بالفوار فيض مدامعى \* ففاضت وباحت بالدم من سرى  
 سرينا الى الزرقاء منها ومن يصب \* او انا يسر حتى يرى الورود ويسرى  
 مذكرت حمام القصير وأهله \* وقد جرت بالجمام فى البلاد — فقفر  
 وبالقريتين القريتين وأين من \* مغانى الغوانى من منزل الادم والعفر  
 وردنا من الزيتون حسمى وايلة \* ولم نسهرح حتى صدرنا الى صدر  
 غشيننا الغواشى وهى يابسة النرى \* بعيدة عهد العطر بالعهد والعطر  
 ووض علينا بالندى ثمد الحصى \* ومن يرتجى رياء من الثمد النزر  
 فقلت اشرحى بالنفس صدرامطيتى \* بصدر والاجادك الزيل للعشر  
 رأينا بها عيين المواساة لنا \* الى عيين موسى نبذل الزاد للسفر  
 وما حسرت عيني على فيض عبرة \* اكفككها حتى عبرنا على الجسر  
 وملنا الى أرض السدير وجنة \* همالك من طلع نصيد ومن صدر  
 وجبنا الفلاح حتى أصبنا مباركا \* على بركة الحب المبشر بالعصر  
 ولما بدا الفسطاط بشرت رفقتى \* بمن يتلقى الوفد بالوفر والبشر  
 بكت أم عمرو وسيلك ترحلى \* فيا خجلتى من أم عمرو ومن عمرو  
 تقول الى مصر تصير تعجبا \* وماذا الذى تبغى ومن لك فى مصر  
 فقلت ملاذى الناصر الملك الذى \* حصلت بجداواه على الملك والنصر  
 فقالت اقم لا تعدم الخير عندنا \* فقلت وهل تغنى السواقى عن البحر  
 تبقى برجوع يضمن الله نجيحه \* ولا بقنضى ان تبدل العسر باليسر  
 عطية قد ضاعفت منه الرجا \* ونعمته قد أصعفت منه الشكر

قال وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت سادس عشر ربيع الاول بالزى الاجل والعز الاكمل وتلقى السلطان  
 أخوه ونائبه الملك العادل سيف الدين الى صدر وعبر اليها عند بحر العظم الجمر وثلة ناحير مصر ووصلت اليها اثراتها  
 وجلبت علينا زهراتها فظهر بنا نشاطها وزاد اغتباطها ودخل السلطان داره ووفق الله فى جميع الامور ايراده  
 واصداره وكانت قد صعبت على مفارقة دمشق وأهلها لقلبة لولوق باني احصل بمنلها فظمت يوم خرج منها  
 أبناتالى ناصر الدين محمد بن شيركوه منها

ههجتى خنث العطف مستلذ الدلال \* يقول لى بانكسار \* ورة واعتلال  
 معاتبنا بحديث \* اصفى من السلسال \* ما مصر مثل دمشق \* بعث الهدى بالضلال  
 فقلت عنت أمور \* عجبية الاشكال \* أسير فى طلب ال — عزم مثل سير الهلال  
 لم يبلغ البدر لولا ال — مسير أوج الكمال \* وكيف أترك شغلى \* وانه رأس سالى  
 صلاح حالى صلاح الدين الغرير النوال \* مالى أفارق ملكا \* ملصكته أمالى  
 يا ناصر الدين قلبى \* عليه فى بلبال

## في أخبار (٢٦٧) الدولتين

ثم ذكر العماد المحسنين اليه بالقاهرة وسيدهم المولى الاجل الفاضل وقدمه بقصيدة منها  
 كيف لا يغتدى لي الدهر عبدا \* وأنا عبد عبد عبد الرحيم  
 بدوام الاجل سيدنا الفا \* ضل يادولة الافضل دومي  
 اذ اراه ينوب عني لدى الملك مناب الارواح عند الجسوم  
 مالا الحل في الممالك والعقد وحكم التحليل والتعريم  
 معمّل للنفاذ في كل قطر \* قلما حاكما على اقليم  
 بتلقى الملوك في كل أرض \* كتبته القاد مات بالعظيم  
 ناحل الجسم ذو خطاب بدبص \* فغرا الدهر كل خطب جسم  
 ثم ذكر الاخوين تقي الدين عمر وعز الدين فرخ شاه وهما ابنا أخى السلطان وهو شاهنشاه بن أيوب وهما من الدين  
 برغش السبباني والى القاهرة ومدح فرخ شاه بقصيدة حسنة منها

سادن كالنضيب لدن المهزه \* سلبت مقتلته قلبي بغمزه  
 كلما رمت وصله رام هجرى \* واذا زدت دله زاد عجزه  
 للصبا من عذاره نسج حسن \* رقم المسك في الشقائق طرزه  
 وعزير على ان اصطببارى \* فيه قد عرده الغرام وبره  
 ما رأيت ما رأيت مجنون ليلى \* في هواه ولا كمير عزه  
 ما ذكرنا الفسطاط الانسينا \* ما رأينا بالنير بين والارره  
 فها الجيزة الحدوارى لها المية \* مرة حسنا على ظباء المزه  
 ونصيرى عليه مائل عز الدين \* ذى الفضل خلد الله عزه  
 فرغ الكس من ذخائر مال \* مالتا من نفائس الحمد كثره  
 همة مسومة بالمالى \* لادنا يا أيها مشتهره

قال العماد وتوفرا على الاجتماع في المعاني لاستماع الاغانى والتتزه في الجزيرة والجيزة والاماكن العزيزه  
 ومنازل العز والروضة ودار الملك والنيل والمعياض ومراعى السفن ومجارى النملك والقصور والغرافه وربوع  
 الضيافه ورواية الاحاديث النبويه والمباحثه في المسائل الفقيهيه والمعاني الابيه قال واقترحنا على القاصي  
 صياء الدين ابن الشهرزورى أن يفرجنا في الاهرام فقد سغنا بأخبارها في الشام فخرج بنا اليها وادربنا حوا اليها ودرنا  
 تلك البرابي والبرارى والرمال والبحارى وأخذنا المنقار والمقارى وهما لنا أبو الهول وضاق في وصفه مجال القول  
 ورأينا العجائب وروينا الغرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما لم نستعظمانه وتداونا الحديث في الهرم  
 ومن بناه فكل يأتى في وصفه بما نقله لا بما عقله واجتهدوا في الصعود اليه فلم يوجد من توفقه وحارت العقول  
 في عقوده وطارت الافكار عن توهم حدوده فيماله من مولود لادهر قبل الضرفان انقرضت القرون الحيايه على  
 آثائه وجدوده وسمار الاخبار بذلك حديث اجدان رادده وثموده وبدا لكاهم وعلوهم على همة بانيه في بأسه  
 وجوده وان في الارض الهرمين كما ان في السماء الفرقدين وهما كل طودين الراسخين وكل جبلين الشاخصين  
 قد فنت الدهور وهما باقيان وتماصرت القصور وهما اقيان وكأنهما الام الارض ثديان وعلى ترائب التراب  
 نهذان والسلطان العالم عثمان والى مراعى الاملاك سلمان وهما الليل والنهار رقيبان ولرضوى ولشعاع نسيبان  
 ومن زحل والمرجج قريبان واعوادى الخطوب خطيبيان ولشور العلك روفان ولشخص الكرهه الترابيه ساقان  
 قلت ثم ذكر العماد جماعة ممن كان يقيم الضيافه له ولمن له من الفضلاء والاعيان فذكر منهم الناصح مؤدب اولاد  
 السلطان وله دار مشرفه على النيل وذكر منهم الحسن الصوفي البلخي وكان له صحبة قديسه بنجم الدين أيوب والد  
 السلطان وله دار ايضا على شاطئ النيل برسم ضيافه من نزل به قال ثم وقف السلطان داره على الصوفييه من بعده  
 وانتقل بعد سنين الى النعم وخلده

## كتاب (٢٦٨) الروضتين

**(فصل)** في بيع الكتب وعمارة القلعة والمدرسة والبيمارستان قال العماد وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بأرخص الأثمان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفرسة بالمعروف فقيس لأمير بها الدين قراقوش متولى القصر والحال والعاقلة لأمير هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينا والغث ولاغنى عن ترويته وانفضها وأخرجها من بيوت الخزانة إلى أرضها وهو تركي لا خبرة له بالكتب ولا درية له بأسفار الأدب وكان مقصود دلالى الكتب أن يوكسوها ويخزموها ويعكسوها فأخرجت وهي أكثر من مائة ألف من أمائها وغربت من مساكنها وخربت أوكارها وزهبت أنوارها وشتت شملها وبنت حبيلها واختلط أدبيها بنجومها وشرعها بمنطقها وطبيها بهندسيها وتوارى عنها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الأمصار ومصنفات الأخبار ما يشتمل كل كتاب على تحسين أو ستين جزءا مجلدا إذا تقدم منها جزؤا لا يختلف أبدا فاختلفت واختبضت فكان الدلال يخرج عشرة عشره من كل فن كتبها مبرته فتسام بالدون وتباع بالهون والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عده ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها وقد شارك غيره في ابتاعها حتى إذا لفق كتابا تدقّم عليه بعشره باعه بعد ذلك لنفسه بمائه قال فلما رأيت الأمر حصرت القصر واشتريت كما اشتروا ومررت بالطباء كما مروا واستكثرت من المتاع المبتاع وحوت نفائس الأنواع ولما عرف السلطان ما بعتته وكان بئس أنعم على بها وأبرأ ذمتي من ذهابها ثم وهب لى أيضا من خزائنه القصر ما عينت عينه من كتبها ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر وهو ينظر في بعضها ويسط يدى لقبضها قال وكنت طلبت كتب اعينتم أفعال وهل في هذه شئ منها فقلت كلها وما استغنى عنها فأخرجتها من عنده بحمال وكان هذا منه بالإضافة إلى سماحه أقل نوال

قال وكان السلطان لما تلك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعها فقال أن أفردت كل واحدة سور احتاجت إلى جند مفرد يحميها وإنى أرى أن أدبر عليهم سور أو أحدا من الشاطىء إلى الشاطىء وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وانتهى به إلى أعلى مصر يروج وصلها بالبرج الأعظم ووجدت في عهد السلطان بيتا رفعة النواب وتكل فيه الحساب ومبلغه وهو دأثر البلد من مصر والقاهرة بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وذراعا من ذلك ما بين قلعة المقسم إلى شاطئ النيل والبرج بالكرم الأحمر ساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع ومن القلعة بالمقسم إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ودأثر القلعة بجبل مسجد سعد الدولة ثلاث آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قوسه في أبدانه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع الفاسمى بتولى الأمير شهاب الدين قراقوش الأسدى وبني القلعة على الجبل وأعطاهما حقهما من إحكام العمل وقطع الخندق وتعميقه وحفر واديه وتضييق طريقه وهناك مساجد يعرف أحدها بمسجد سعد الدولة فاشتملت القلعة عليها ودخلت في الجبل وحفر في رأس الجبل بئرانية فيها بالدرج المنحوتة من الجبل إلى الماء المعين ولبيتا لهذا كله في سنين متقاربة لولا أن حارب المعين وتوفى السلطان وقديقى من السور ومواضع والعمارة فيه مستمرة ووظائف نفقاتها مستدرة قال وأمر ببناء المدرسة بالتربة المقدسة الشافعية ورتب قواعدها بفرط الإيعام وتولاها الفقيه الزاهد نجم الدين الجبوشانى وهو الشيخ الصالح الفقيه الورع التقي النقي قال وأمر باتخاذ دار في القصر بيمارستان المرضي وأستغفر الله بذلك وأسترضى ووقف على البيمارستان والمدرسة وقوفا وقد أبطل منكر أو أشاع معروفا وأضرب عن ضرائب فحشاها وهب إلى مواهب فأسدأها واهتم بقرائض ونوافل فأذاها

**(فصل)** في خروج السلطان إلى الاسكندرية وغير ذلك من بواقى حوادث هذه السنة قال العماد ثم خرج من القاهرة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان واستصحب ولديه الأفضل عليا والعز بن عثمان وجعل طريقه على دمياط ورأى في الحضور بالثغر المذكور ومشاهدته الاحتياط وكان له بهاسى كثير جلبه الاسطول فامتد بظاهر البلد يومين وهب لى منه جارية ثم وصلنا إلى ثغر الاسكندرية وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبى طاهر

أحمد بن محمد السلفي وداودنا الحضور عنده واجتلبنا من وجهه نور الايمان وسعده وسعنا عليه ثلاثة ايام الخيس والجمعة والسبت رابع شهر رمضان واعتمة نافرة الزمان قتلك الايام الثلاثة هي التي حسبناها من العمر فهي آخر ما اجتمعنا به في ذلك الثغر وشاهدنا ما استجده السلطان من السور الدائر وما أبقاء من حسس الآثار والمآثر وما انصرف حتى أمر باتمام الثغور وتعمير الاسطول قال ابن أبي طي ولما نوى السلطان المقام بالاسكندرية ليصوم فيها رأى انه لا يجلي نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد الى بلاد الكفار والجهاد في المشركين فرأى الاسطول وقد أخلفت سفته وتغيرت آلاته فأمر بتعمير الاسطول وجمع له من الاخشاب والصناعات أشياء كثيرة ولم يتم عمل المراكب أمر بجعل الآلات فنقل من السلاح والعدد ما يحتاج الاسطول اليه وشكّنه بالرجال وولى فيه أحد أصحابه وأفرده اقطاعا مخصوصا وداودنا مفردا وكتب الى سائر البلاد يقول القول قول صاحب الاسطول وان لا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج اليه وأمر صاحب الاسطول ان لا يبارح البحر ويعزى الى جزائر البحر قال العماد وقلت في معنى تنقل في البلاد

يوما بجي ويوما في دمشق وبالسفسطاط يوما ويوما بالعرفين  
كأن جسمي وقلبي الصب ما خلقا \* الا ليقسمه بالشوق والبين

وقلت يوم الخروج من القاهرة

يا باخلا عند الوداع بوقعة \* لو سامني روي بهالم بأجل  
ما كان ضرك لو وقفت لسائل \* ترك القواديد في المنزل  
هلا وقفت لقلب من أحرقت \* مقدار اطفاء الحريق المشعل  
ان أسمر تحت لاف في أسرهوى \* قلبي لديك مقيد الم يرحل  
عذب العذاب لدى فؤادى المبتلى \* اذ كنت أنت معذبى والمبتلى

وقلت وقد نزلنا بين منية غمر ومنية سمند

نزلت يارض المتيسين ومنيتي \* لقاءكم الشافي ووصلكم المجدى  
سابلي ولا تبسلى سريرة ودمكم \* وتؤنسنى أن مت في وحشة الحد

قال وعدنا من الاسكندرية في شهر رمضان فصعدا بقية الشهر بالقاهرة وتوفروا في ليلة ونهاره على نشر العدل وانشاره وافاضة الجود واغزاره وسماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخباره وأشاعه العلم والاعلان بأسراره وأبد اشعار الشرع واطهاره وابقاء المعروف على قراره وافناء اعلام الباطل وانكاره وقال ومن مدائحى في السلطان ما أشدته يا ه سادس شوال

فديتك من ظالم منصف \* وناهيك من باخل مسرف  
أبلغ دهرى قصدى وقد \* قصدت بمصر ذرا يوسف  
ويوسف مصر بغير التقي \* وبذل الصنائع لم يوصف  
فسروا فتح القدس واسفك به \* دماء متى تجبرها ينظف  
واهد الى الاسبثار البنا \* وروهد السقوف على الاسقف  
وخلص من الكفرة تلك البلا \* ويخلصك الله في الموقف

وفيها وصل رسول الموصل وصاحب الحصن وماردين الى دمشق فاستوثقوا بتجليف أخى السلطان شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ثم قصدوا مصر ووقع رسول صاحب حصن كيقاني الاسراق ابن أبي طي وصل رسول الموصل الفاضل عماد الدين بن كمال الدين بن الشهرزورى بهدية وقود فخرج الموكب الى لقائه وأكرمه السلطان واحترمه وقدم بعده رسول نور الدين قرا أرسلان ورسول صاحب ماردين بهذا يا واجتمعوا في دمشق وخرجوا الى السلطان بمصر فاعترضهم الفرنج فامر رسول صاحب الحصن ولم يزل في الاسرح حتى فتح السلطان بيت الاجران فأطلقه وأحسن اليه قال وفيها رجع قراقوش الى أوجلة وذلك البلاد فجمع أموالا ورجع الى مصر ثم أراد الرجوع فغناه العادل ثم خلصه

## كتاب (٢٧٠) الروضتين

فرخشاہ فرج و فتح بلاد فرغانہ باسرها قال العماد ثم خرج السلطان الى مرج فاقوس من أعمال مصر الشرقية لارهاب العدو وهو ركب الصيد والقنص والتطلع الى أخبار الفرنج لانتهاز الفرص واقتراح على ان أمدح عز الدين فرخشاہ بقصيدة موسومة ألزم فيها الشبن قبل الهاء فعملت ذلك في وأخرى الخطة فقلت

مولای عز الدین فرخشاہ \* الدهر من برجك لا بجشاه  
تلقاه سمح الكف دفاقيا \* طلق المحيا كرم ابشاه  
ان شئت فوبا بالردى فائقه \* أوسئت فوزا بالعلی فاعشاه  
ديم بالایدی وبالابد فی \* خزی لهاء والعدی بطشاه  
كم ملك عاداكم لم یبت \* الا جعلتم عرشه نعشاه  
خوفتم السرك فلاقصه \* أمنتم يوما ولا فنسناه  
أورثك السردد بالاس العلی \* والدك السید شاهنشاه

وقال فی الخريدة كما تخمين مرج فاقوس مصممین علی الغزاة الى غزو قد وصلت أساطیل بغری دسباط والاسكدریة بسبی الكفار وقد أوفت علی ألف رأس عتة من وصل فی قید الاسار فخر ابن راحة مشداه مهنة ابعيد البحر سنة اثنتين وسبعین ومعرضا بها وهبه الملك الناصر من الاماء والعبيد قصيدة منها

لقد خبر التحارب منه خزم \* وقلب دهره ظهر البص  
فساق الى الفرنج الخيل برا \* وأدركم علی بحر بسف  
وقد جاب الجوارى بالجوارى \* يمدن بكل قدم من بحر  
يريدهم اجتماع الشمل بؤسا \* فخریان یوح علی مرن  
زهدت اسكندريه يوم سيقوا \* ودسباط الى المینا بغین  
یرون میاله كالطیف یسرى \* فلو شجعوا أناهـم بعدوهن  
أبادهم مخوفه فامسى \* مناهم لو تبیتهم یامن  
تملك ولهم سرا وغرنا \* فصاروا لاقتناص تحت ره  
أفاد بآل أیـ ویر باطنا \* رأته الفرنجه صیق سجن  
رجا أقضى الملوك السلم منهم \* ولم يرجهده فی البأس بغنی

وفیها أبطل السلطان المكس الذي كان نكة علی الحاج وسيأتی ذكر فی أخبار سنة أربع وسبعین قال ابن الاسیر وفي سنة اثنتين وسبعین سرع مجاهد الدين یعنی فایم اردردار قلعة المروصل فی عماره جامعه بظاهر الموصل بباب الجسر وهو من أحسن الجوامع ثم بنی بعد ذلك الرباط والمدرسة والبیمارستان وكلاهما امتحاران قال وتوفی فی شهر ربیع الاول من سنة خمس وتسعين بقلعة الموصل وهو متوليها والحاکم فی الدولة الاتاكية النورية وكان ابتداء ولايته القلعة فی ذی الحجة سنة احدى وسبعین ثم قبض علیه سنة تسع مائین وأعيد الى ولايته باعد الافراح عنه وبقي الى الآن وكان أصله من أعمال شنجان وأخذ منها وهو طفل وكان عاقلا خيرا دينا فاضلا تعلم النقة علی مذهب الامام أبی حنیفة رضی الله عنه وكان یحفظ من الاشعار والحكايات والنوادر والتواريخ شيئا كثيرا الى غیر ذلك من المعارف الحسنة وكان یكثر الصوم وله وردي صامیه كل لیله وكثير الصدقة وبني عدة جوامع منها الذي بظاهر الموصل وبني عدة خانقاهات منها التي بالموصل ومدارس وتناظر علی النهار الى غیر ذلك من المصالح ومناقبه كکثرة قال العماد فی الخريدة نزلنا ببركة الحب لقصه فرض الجهاد وعرض الاجناد فكتب الاسعد بن محامی الى قصيدة فی الملك الناصر ویرض بالشر فحانہ كان يشتغل به وذلك فی ذی القعدة سنة اثنتين وسبعین

یا کریم الخیم فی الخیم \* أشفی کریم ذو شیم \* بحبی للشمس اذا طلعت \* منه فی داج من الظلم  
کیف لا تصمی لوحظه \* ورماء الطرف فی العجم \* لا تصد قلب المحب لکم \* لا یجمل الصيد فی الحرم  
یا صلاح الدین یا ملکا \* مذهب راء الله للامم \* أضحت الکفر فی نغم \* وغدا الاسلام فی نغم

## في اخبار (٢٧١) الدلتين

انك الشطر نيج مشغلة \* لعلى القدر والهمم \* فهى في ناديك تذكرة \* لامور الحرب والكرم  
فلركم ضاعفت عدتها \* بالعطاء الجسم لا القلم \* ونصبت الحرب نصبتها \* فانتنت كفاك بالهمم  
فابق للاقدار ترفعها \* وأمر الاقدار كالخادم

وفيهما توفي بالاسكندرية الفاضل الشريف أبو محمد عبد الله العثماني الديباجي من ولد الديباج محمد بن عبد الله بن  
عرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم ويعرف بان أبي الياس من بيت القضاء والعلم وكان واسع الباع في علم  
الاحاديث كثير الرواية قويا لادب متصرفا في النظم والنثر الا انه مقل من النظم أو حد عسره في علم الشرط وقوله  
المقبول على كل الدول ذكرك العباد رحمة الله في الخريدة

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسائة \* والاساطان فخيم عمرح فاقوس فنظم العباد في الاجل الفاضل  
قصيدة ميمية في منتصف المحرم وخدمه بها هناك في الخيم أولها

ريم هضيم بروم هضمي \* من سقم عينيه عين سقي

ان رمت باعاذلى صلاحى \* فخلنى والهوى وزعى

لومك يدكى الغرام قللى \* أنت نسيجي أم أنت خصمى

ايا زمانى العشوم اقصر \* انك لا تستطيع غشمى

عبد الرحيم الرحيم أنصبي \* عوفى على خطبك الملم

العاضل الافضل الاجل المفضل الاسرف الاشم

غيث غيان وجود جود \* وبجر علم وطود حلم

يراعه فى اليمين منه \* تسخر جالدر من خضم

قال وكان عندنا بالبحيم بالعباسة في المحرم علم الدين الساتاني وهو من ادباء الموصل وشعرائها وفخائمها ووظرفائها  
وفدسنة اثنتين وسبعين الى مصر وأهدى النظم والنثر واصطنعه عز الدين فرخ شاه وأثره في جواره وجمع له من رفته  
ومن الامراء الفدينار فخرج السلطان بالبحيم بكلمة مطلقها

غدا النصر مع قد ابرائيك الصبرا \* فسروا نوح الدنيا فأنت بها أحرى

قلت لم يذكر العباد من هذه القصيدة غير هذا البيت وأنه لقائمه قام قصائد كثيرة والساتاني هو أبو علي الحسن بن  
سعيد له ترجمة في تاريخ دمشق وذكره العباد في الخريدة وذكر فيها من هذه القصيدة

يمينك فيها الين واليسرى فى اليسرى \* فبسرى لمن يرجو الندى منها بشرى

والعباد وكتاب الاعلام السلطانية صفرا لا يفارق نذر هانمرا قلت وفيها يقول بعض الفضلاء

واسود خطب دونه الموت أجمر \* أنت بالأيدي اليه أعلامه الصفر

وقد ظهرت منصوبة تجرمت بها \* ظهور العدى من رفعها الخفض والجمر

واضحت تجوز الارض سرى وعربا \* ولله فى اعلاء رتبته سر

وقال العباد عاد السلطان الى القاهرة وأقام بها ثم اهتمت بالغزاة همه الى غزوة وعسقلان فخرج يوم الجمعة ثالث جمادى  
الاولى بعد الصلاة وخم بذا نهر بليس في خامسه بجندسه ثم تقدمت مناهمه الى السدير وخيمنا بالبرزغم نودى خذوا زاد  
عشره أيام أخرى زادة للاستظهار ولا عواز ذلك عند توسط ديار الكمار قال العباد فركبت الى سوق العسكر للابتياح  
وقد أخذ السعر فى الارتفاع فقلت لعلنى قد بدالى وقد خطر الرجوع من الخطر بالى فاعرض للبيع اجمالى وأتقالى  
واتهز فرصة هذا السعر العالى وأنا صاحب قلم لاصاحب علم وقد استعرت نفسى فى هذه الغزوة من عاقبة ندم  
والمدى بعيد والخطب شديد وهذه نوبة السيوف لاثوبة الافلام وفى سلامتنا سلامة الاسلام والواجب على كل  
منا ان يلزم شغله ولا يتعدى حده ولا يتجاوز محله لاسيما ونواب انديوان قد استأذنا فى العود وأظهر وأقله العده  
وأظهرت سرى للمولى الاجل الفاضل فسرده ذلك اسفا فاعلى واحسانا الى وكان السلطان أيضا يؤثر ايشارى ويختار  
اختيارى فقال لى أنت معنا أو عزمت ان تدعنا ولا تتبعنا فقلت الامر للمولى وما يختاره لى فهو أولى فقال تعود



وتدعولنا وتسأل الله ان يبلغنا من النصر سؤلنا وكنت قد كتبت آياتنا الى المخدوم الفاضل ونحن بالمبرز في العشرين من الشهر

قيـل في مصر نائل عـدد الرـمل ووفر كـنيلها الموفـور  
فاغـترنا بها وسرنا اليها \* ووقعنا كما ترى في القـرور  
وحظينا بالرمل والسـير فيه \* ومنعنا من نيلها الميسـور  
وبرزنا الى المـبرز نشـكو \* سـدرا من نزولنا بالسـدير  
قيـل لي سر الى الجهاد وماذا \* بالغ في الجهاد جهـدمسـير  
ليس بقوى في الجيش جاشي ولا قو \* سيـرى مسـوتورا الى مـوتور  
اما للكتب لالاكتـاب اقـدا \* عـى وللصـحف لالاصفـاح حـضوري  
كاد فضلي يضيع لولا اهتمـام الفاضـل الفاضـل الندي بأمـوري  
فاما منـه في مـلابس جاـه \* رافلا منـه في حـبير حـبوري  
فهو رقي من الحـضيض حـظوظي \* وسـماني الى سرير السـرور

وقال وما انقطعت عن السلطان في غزواته الا في هذه الغزوه وقد عظم الله فيها من النبوه وكانت غزوات السلطان بعد هاموئيه والسعادات فيها مجده \* وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت وتشوقت الى اصدقائي وتشوقست وكنت من الخيم بلبس الى القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراس وقد أقام بالقاهرة وكان صاحبالي من الايام النورية واستشرته في التأخر عن السلطان فكتب في الجواب رافقه ولا تفارقه فكرهت رايه فكتبت اليه

اذا رضىتم بكم وهي فذاك رضا \* لا أبتغي غير ما تبغون لي غرضا  
وان رأيتم شفاء القلب في مرضي \* فاني مستعطب ذلك المرضا  
أنتم أشرتم بتعذبي فصرته \* مستعذبا استلذأ لهم والمضضا  
أصبحت متمتعاً بى في محبتكم \* فحاش لله ان أبغى بكم عوضا  
لله عيش تقضى عنكم ومضى \* وكان مثل سحاب برقه ومضضا  
العيش دان جناء الغض عنكم \* والقلب محترق منى بمجر غضا  
ما كنت أعهد منكم ذا الجفاء ولا \* حسب ان ودادى عنكم رفضا  
قد أظلم الافق في عيني لغيبكم \* فان أذنت لشخصي في الحضورا  
واست أول صب من أحبتـه \* لما جفوا ما قضى أوطاره وقضى  
مر وابعاشتم من محنة واذى \* فقدر أيت امثال الامر مفترضا  
طوبى لكم صروا لى قضيت \* فيها المآرب والعيش الذى خفضا  
بعيكم ان خـلوتـم بانـبساطكم \* تذكر واضجر بالعيش منقبضا  
رضيتـم سـفـرى عنكم واعهدكم \* بسفـرى عنكم لا تظهرون رضـا  
هـلـا تـكـلفـتم قـولا أسـر به \* هـيـهات جـوهركم قد عـادلى عـرضا  
تفضلوا واشر حواسـدى بقر بكم \* أو فاشـر حـوالى ذا المعنى الذى غـضا .

فكتب الى في جوابها آياتنا منها

لا تنسبوني الى ايشار بـعدكم \* فـلست أـرضى اذا فـارقتكم عـوضا  
ولى وداد نولى الصدق عقـدته \* فـما تـراه على الايام منتقبضا  
يلقـاك قـلبى على سـبيل العـتاب له \* بـصـحة لـيس يـخشى بـعد هـامـرضا  
وصرت كالدهر يجنى أهله أسفا \* وـيلتـقى من عـتاب المـذنب المـضضا

قال ثم ودعت وعدت ونهضوا وقعدت

**(فصل)** في نوبة كسرة الرمل وكانت على المسلمين بالجله وذلك يوم الجمعة غرة جادى الآخرة أوثانيه ورحل السلطان بعساكره فنزل على عسقلان يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى فسبى وسلب وغنم وغلب وأسرو قسر وكسب وكسر وجمع هناك من كان معه من الاسارى فضرب أعناقهم وتفرق عسكره في الاعمال مغيرين ومبيدين فلما راوا ان الفرنج خامدون استرسلوا وانبطوا وتوسط السلطان البلاد واستقبل يوم الجمعة مستهل جادى الآخرة بالرمله را حلالا لقصده بعض المعاقل فاعترضه نهر عليه تل الصافيه فازدحت على العبور أثقال العساكر المتوافيه فهاشعروا الا بالفرنج طالبة باطلا بها حازبة باخزا بها ذابئة بذئابها عاوية بكلا بها وقد نفر نفيرهم وزفر زفيرهم وسرايا المسلمين في الضياح مغيره وريح الحرب عليهم في دورهم مسديره فوقف الملك المظفر تقي الدين وتلقاهم وباشرهم ببياضه وسمره فاستشهد من أصحابه عدة من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام وهلك من الفرنج اضعافها وكان لتقى الدين وليد يقال له أحد أول ما طر شاربه فاستشهد بعدما أوردى فارسا قال وكان لتقى الدين أيضا ولد آخر اسمه ساهنشاه وقع في أسر الفرنج وذلك ان بعض مستأمنى الفرنج بدمشق خدعه وقال له تجي الى الملك وهو يعطيك الملك وزور له كتابا فسكر الى صدقه وخرج معه لما تقرب به سد وثاقه وغله وقيدوه وحمله الى الداوية وأخذ به مالا وجدده عندهم حالا وجملا وبقي في الاسرا أكثر من سبع سنين حتى فككه السلطان بمال كثير وأطلق للداوية كل من كان لهم عنده من أسير فغلظ القلب القوى على ذلك الولد لجره لأك أخيه ولما عاد من الغزوة زرنانه للتعزية فيه قال ولوان لتقى الدين رداء لاردى القوم لكن الناس تفرقوا ورأه ألقاهم ثم نجوا راحلهم وصوب العدو بجملتهم جملتهم على السلطان فثبت ووقف على تقدمه من تخلف وسمعته يوما يصف ذلك النوبة ويشكر من جماعته الصحبه ويقول رأيت فارسا يبحث نحو حصانه وقد صوب الى نجرى سنانته فكاد يلقى طعانه ومعه آخران قد جعلوا شأنا مشاهه فرأيت ثلاثة من أصحابي خرج كل واحد الى واحد منهم فبادروه وطعنوه وقد تمكن من قربى فما مكثوه وهم ابراهيم بن قنابر وفضل الفيضى وسويد بن غشم المصرى وكانوا فرسان العسكر وشجعان المعشر واتفق السعادة السلطان ان هؤلاء السلافة ارقوه وما فارقوه وفارعوا العدو ودونه وضايقوه فمارال السلطان يسير ويقف حتى لم يبق من طس انه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماء ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل وتفسقوا السلوك في تلك الرمال والاعاث والاعار وبقوا أياما ولا الى بغير ماء ولا زاد حتى وصلوا الى الديار وأذن ذلك بتلف الدواب وترجل الركاب ولغوب الاحصاح وفقد كثير من لم يعرف له خبر ولم يظهر له أثر وفقد الفقيه ضياء الدين عيسى وأخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فضل الطريق عنهم وكانوا سائرين الى وراء فأصبحوا يقرب الاعداء فاكثروا في مغاره وانتظروا من يدهم من بلد الاسلام على عماره فدل عليهم الفرنج من زعم انه يدل بهم وسعى في أسرهم وعظيهم فأسروا وساخلص الفقيه عيسى وأخوه الابعدين بستين اوسبعين ألف دينار وفكك جماعة من الكفار قال وما استدتت هذه النوبة بكسره ولا عدم نصره فان النكاية في العدو وبلاده بلغت منتهاها وادركت كل نفس مؤمنة مشتها لكن الخروج من تلك البلاد است السمل وأوعر السهل وسلك مع عدم الماء والدليل الرمل وما قدره الله تعالى من أسباب السلامة والهداية الى الاستقامه ان الاجل الفاضل استظهر في دخول بلاد الاعداء باستحباب الكناية والادلا وانهم ما كانوا يفارقونه في الغداء والعشا فلما وقعت الواقعة خرج بدوابه وعلمانه وأصحابه وأدلته وأثقاله وبث أصحابه في تلك الرمال والوهاد وانتلال حتى أخذ خبر السلطان وقصده وأوضح بأدلته جدده وفترق ما كان معه من الازواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة السلطان أجمعين فسهل ذلك الوعر وأنس بعد الوحشة القفر وجبر الكسر وكان الناس في مبدأ توجه السلطان الى الجهاد ودخول الاجل الفاضل معه الى البلاد ربما تحدثوا وقالوا الوقعد وتختلف كان أولى به فان الحرب ليست من دأبه ثم عرف ان السلامة والبركة وانجاة كانت في استحبابه وجاء الخبر الى القاهرة مع نجابين خلع عليهم وأركبوا وأشيع بأن السلطان نصره الله وان الفرنج كسروا وغلبوا فركبت لاسمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين واذا هم يقولون ابشروا فان السلطان وأهله سالمون وانهم واصلون غائون فقلت لرفيقي مباشر بسلامة السلطان الا وقد دمت كسره وما ثم

## كتاب (٢٧٤) الروستين

سوى سلامته نصره ولما قرب خرجنا لتأقيمه وشكرنا الله على ما سره من ترقيه وتوقيه ودخل القاهرة يوم الخميس منتصف الشهر ونابت سلامته مناب الدهر وسيرنا به البشائر وأنهم ضنا بطاقتها الطائر لآخراس السنة الراجيف وابدال التأمين من التخويف فقد كانت نوبتها هائله ووقعتم اغائله قال القاضي ابن سدد اخرج السلطان يطلب الساحل حتى وافي الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الاولى وكان مقدم الفرنج البرنس ارناط وكان قديبع بحلب فانه كان أسيرا بها من زمن نور الدين رحمه الله وجرى خلل في ذلك اليوم على المسلمين ولقد حكي السلطان قدس الله روحه صورة الكسرة في ذلك اليوم وذلك ان المسلمين كانوا قد تبعوا تعبئة الحرب فلما قارب العدو رأى بعض الجماعة تغيير المينة الى جهة الميسرة والميسرة الى جهة الغلب ليكون حال اللقاء وراء ظهورهم تل معروف بأرض الرملة فبينما استغلوا بهذه النعبة هجم الفرنج وقد رآه كسرهم فاندكسروا كسرة عظيمة ولم يكن لهم حصن قريب يأوون اليه فطلبوا جهة الديار المصرية ووضوا الى الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى وكان وهما عظيما جبهة الله تعالى بوقعة حطين المشهورة ولله الحمد قلت وذلك بعد عشر سنين فكسرة الرملة هذه كانت في سنة ثلاث وسبعين وكسرة حطين كانت في سنة ثلاث وثمانين قال العماد الكاتب وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة منها

سقى الله العراق وساكنيه \* وحياه حيا الغيث الهتون  
وجيرانا امت الجور منهم \* وما فيهم سوى وافي أمين  
صفوا والدهر ذكرو قدما \* وفوا بالعهد في الزمن الخؤون  
بنو أبوب زانو الملك منهم \* بخليعة سودد وتقي ودين  
ملوك أصبحوا خير البرايا \* لخير رعية في خير دين  
أسانيد السيادة عن علاهم \* معنعة محمجة المتون  
بنو أبوب مثل قرش مجدا \* وأنت لها كثر عها البطين  
أخفت الشرك حتى الدعر منهم \* يرى قبل الولادة في الجنين  
ويوم الرملة المارهب بأسا \* تركت الشرك منزع القطين  
وكنت لعسكر الاسلام كهفا \* أوى منه الى حصن حصين  
وقد عرف الفرنج سطالما \* رأوا آثارها عين اليقين  
وأنت ثبت دون الدين تحمي \* حماه أوان ولي كل دين

قال واهتم السلطان بعد ذلك بإفاضة الجود وترفق الموجود وافتعاد الناس بالقرى والنا بالصادقة الوعود وجبر الكسير وفك الأسير ونوفير العدد وكبير المدد وتعويض ما نفق من الدواب فسلموا ما بهاهم ولم يأسوا على ما أصابهم قال ابن أبي طي وقال ابن سعد ان اخلى يمدح السلطان ويدكر ما فعله على عسقلان ويهون عليه أمر هذه الكسرة من قصيدة

قرمت من عسقلان كل نائبة \* بانت تقل بوكاف من الأسل  
فاض النجيع عليها وهي محملة \* فأصبت مر تعال الخيل والابل  
قل للفرنجية الخذلى رويدكم \* بالنار أخرج السعري من الجبل  
ترقبوها من الفوارط العسة \* خوارق الارض تمحور ونق الاصل  
كأننى بنوا صيهن يقدمها \* كاس من الجود عريان من الجبل  
حسب العدا يا صلاح الدين حسبيهم \* أن يقر فوك بجرح غير مندمل  
وهل يخاف لسان النخل ملتس \* مرت على أصبعيه لذة العسل

(فصل) في وفاة كشتكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج قال العماد وقعت المنافسة بين الحلبيين مدبري الملك الصالح واستولى على أمره العدل ابن العجي وكان سعد الدين كشتكين الخادم مقدم العسكر

وامير المعشر وهو صاحب حصن حارم وقد حسده امشاله من الامراء والخدام فسلموا لابن العجى الاستبداد بتدبير الدولة فقفز عليه الاسماعيلية يوم الجمعة بعد الصلاة في جامع حلب فقتلوه واستقل كشتكين بالامر فتكلم فيه حساده وقالوا للملك الصالح ما قتل وزيرك ومشيرك ابن العجى الا كمشتكين فهو والى حسن ذلك للاسماعيلية وقالوا له انت السلطان وكيف يكون لغيرك حكم أو امر فإزالوا به حتى قبض عليه وطالبوا بتسليم ثلثة حارم وأوقعوا به بالاجله العظام فكتب الى نوابه بها فقبوا وأبوا فخلعوه وقفوا به تحت العلعة وخوفوه بالصرعه فباطال أمره قصر عمره واستبد الصغار بعدد بالامور الكبار وامتعت عليه قلعة حارم وجرد اليها العزائم ونزل عليه الفرنج ثم رحلوا بقطيعة بذلها لهم الملك الصالح واستنزل عنها أصحاب كشتكين وولى بها مملوكا لا يهتدى به لغيره وقال ابن الاثير سار الملك الصالح من حلب الى حارم ومعه كشتكين فعاقبه ليا أمر من بها بالتسليم فلم يجيب الى ما طلب منه فعلى مذكوسا ودخن تحت أنفه فمات وعاد الملك الصالح عن حارم ولم يملكها ثم أخذها بعد ذلك قال ابن شداد أما الملك الصالح فانه تخبط أمره وقبض كشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقطل ولما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الآخرة وقاتل عسكر الملك الصالح العساكر الفرنجية ولما رأى أهل القلعة خطرهما من جانب الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان ولما عرف الفرنج بذلك رحلوا عن حارم طالبين بلادهم ثم عاد الصالح الى حلب ولم نزل أصحابه على اختلاف بميل بعضهم الى جانب السلطان قدس الله روحه قال العماد ووصل في هذه السنة الى الساحل من البحر كند كبير يقال له اقلندس أكبر طواغيت الكفر واعتقد خلو الشام من ناصري الاسلام ومن جملة شر وطهده الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك أو كبير ما لهم في دفعه تدبير انهم يعاونونه ولا يبايونه ويحالفونه ولا يخالفونه فاذا عادت الهدنة كما كانت وهانت الشدة ولانت وبحكم هذا الشرط حشدوا الحشود وجندوا الجنود ونزلوا على جمادى العشر من جمادى الاولى وصاحبها شهاب الدين محمود الحارمي مريض ونائب السلطان يدمى في يومئذ أخذوا الاكبر تورانشاه وهو الامراء مشغولون بذانهم وكان سيف الدين على بن أحمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للحرب واجتمع اليها رجال الطعن والضرب وجرت ضروب من الحروب وكادت الفرنج تهجم البلد فاخرجوهم من الدروب ونصر الله اهل الاسلام بعد حصارهم لهم أربعة أيام فانهم هزم الملاحين ونزلوا على حصن حارم كما بعد ذلك ذكره فحلهم عنه الملك الصالح بعد حصار أربعة أشهر ومن كتب فاصلى الى بغداد (خرج الكفار الى البلاد الشامية فاصبح لعقد كان محكما غادري غدار صريحا مقدربن ان يجهز واعلى الشام لما كان بالجانب جريحا ونزلوا على ناهر جمادى يوم الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الاولى وزحفوا اليها في نايه فخرج اليهم أصحابنا وتضمن كتاب سيف الدين (يعنى المشطوب) ان القتل من الفرنج تزيد على ألف رجل ما بين فارس وراجل شفى الله منهم الصدور ورزق عليهم النصر والظهور ثم انصرفوا مجموعا لهم بين تكليس الصلب وقحطم الاصلاب مفرقة أحرابهم عن المدينة المحروسة كما افترقت عن المدينة الشريفة النبوية الاخزاب) قال العماد وتسمع الحلبيون ببوم رحيلنا من مصر لقصد السام لنصرة الاسلام وقالوا أول ما يصل صلاح الدين نسلم حارم فراسلوا الفرنج وفاربوهم وأرغبوهم وأرهبوهم وقالوا لهم صلاح الدين واصل وما لكم بعد حصوله عندكم حاصل فرحل الفرنج بقطيعة من المال أخذوها وعدة من الاسارى خلعوها ثم توفى خاله السلطان شهاب الدين محمود بن نكش الحارمي في جمادى الآخرة وتوفى ولده نكش بن خال السلطان قبل ثلاثة أيام وذلك وأن وقعت الرملة ولما سمع السلطان بنرول الفرنج على حارم رحل من البركة يوم عيد العطر بعساكره ووصل ايلة في عاشر الشهر واستتاب بمصر أخاه العادل وأقام بها ايضا القاصى العاضل بنية الحج في السنة القابلة ووصل السلطان الى دمشق في الرابع والعشرين من شوال ومما نظمه العماد في التشوق الى مصر قوله

ساكنى مصر هنا كم طيبها \* ان عيشى بعدكم لم يطب  
لاعدمتم راحة من قربها \* فاما من بعدها في تعب  
بعد العهد باخباركم \* فابعثوا اخباركم في الكتب  
ليت مصرا عرفت انى وان \* غبت عنها فالهوى لم يغب

## كتاب (٢٧٨) الروضتين

ولو عرفت لظي سطوات عزى \* لكأنت من سطاي على حذار  
تقيم لحين تبصر من أناني \* تبات الطود تسرع في الفرار  
تفارقني على غير اغتسال \* فلم أحلل لزورتي إزارى  
أياشمس المسالك بقيت ثمسا \* تنير على المسالك والديار  
أجلك استعارت لفتح نار \* لعزك لم ترل ذات استعار

**(فصل)** قال العماد وفي العشر الأول من ذي القعدة قتل عضد الدين بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة ببغداد على أيدي الملاحدة وكان قد توجه إلى الحج فوقف له في مضيق وطفة غربي دجلة كهل في يده قصة يزعم أنه يريد رفعها إلى الوزير من يده إلى يده فأولم ليوصل قصته فانتهاز فيه فرصته فقتله وبدر كمال الدين أبو الفضل بن الوزير فقتل قاتل أبيه بسيفه وكان مع ذلك الجاهل المخدرفيقان له فجر أحدهما حاجب الباب ابن المعوج فأتى وجرح آخر ولد القاضي القضاة وقاطع الملاحدة وأحرقوا واسقل ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار صاحب المخزن بالدولة وكان للسلطان خدنا مصافيا قتل وابن العدار هذا هو المرجوم المسحوب بعد موته ببغداد كما سيأتي ذكره في آخر حوادث سنة خمس وسبعين قال ابن الأثير وكنت حينئذ ببغداد عارما على الحج فعبر عضد الدين دجلة في شبارة فلما ركب دابته والناس معه ما بين راكب وراجل تقدم إليه بعض العامة ليدعوا له فتنعه أصحابه فزجرهم وأمرهم أن لا يمنعوا أحدا عنه فقدم إليه الباطنية فقتلوه بالجانب الغربي فتوفي بها قال العماد ووردت مطاعة الفاضل إلى السلطان فتضمن التوجع لقتل الوزير عضد الدين وفيها (ومار بك يظلام للعبيد فقد كان عفا الله عنه قتل ولدي الوزير بن هبيرة وأزهق أنفسهم ما وجعا لا تحصى (من ذا يسر بذنبه \* والدهر لا يغتر به) وهذا البيت بيت ابن المسلمه عريق في القتل وجده هو المقتول به بالبساسيري في وقت إخراج الخليفة القائم في أيام الملقب بالمستنصر تصرفه ومن ذرئته لم نزل قاتله مقوله وما زالت السيرة يوف عليها ومنهما مسأله فهم في هذه الحادثة المسماة المعصية كما قال دريد (أبى الموت إلا لاه) والاسات المولى يحفظها وهي في الجماسة وقد ختمت له السعاده بما ختمت به له الشهاده لاسيما وهو خارج من بيته إلى بيت الله قال الله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يذكره الموت فقد وقع أجره على الله

ان المسماة قد تسرور بها \* كان السرور بها كرهت جديرا  
ان الوزير ير آل محمد \* أودى فن يشناك كان وزيرا  
وهذان البيتان قبلاني أبي سلمة الخلال أول وزير لبني العباس تلمت وبلغني ان الفاضل قال في ذلك وأحسن من نسل الوراثة للفتي \* حياة تزيه مصرع الوزراء  
قال العماد وكان ضياء الدين بن الشهرزوري قد سار في الرسالة إلى بغداد وتوقف في الموصل لحادثة الوزير ووافق وصوله إلى الموصل وفاته ابن عمه القاضي عماد الدين أحمد بن القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وكان سبابا وجاء كتاب الفاضل يذكر ذلك وفيه (يدلى ابن عشرين في لحده والتسعون صاحبها راع اغتبط الولد مع نضارة الشباب المقتبل وعمر الولد مع ذبول المشيب المشتمل ليعلم ان الشيب ليس بمسلم وان الشباب الغض ليس بمانع وليكون العبد حذرا من بغفات الآجال في كل الاحوال والله يطيل للمولى العمر كما أطلاله في القدر ونسمع منه ولا نسمع فيه ويبقيه سندا  
للدين الحنيفي  
فان بقائه  
يكفيه

## في أخبار (٢٧٩) الدولتين

وهذا آخر الجزء الاول من كتاب الروضتين في أخبار الدولتين يتلوه ان شاء الله تعالى في الجزء الثاني ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة قال العماد وكان شمس الدين ابن المقدم من أكابر الامراء الى آخره قال ناسخ نسخة الاصل التي حصل عليها تمثيل هذا الطبع ووافق الفراغ من نسخه يوم الاربعاء الثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على يد أضعف الخلق وأوجههم الى عفوانه أحمد بن العلم بن عبد الله غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وازواجه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا

وعلى نسخة الاصل المذكورة أيضا نص هذه العبارة المستورة شأدت على نسخة الاصل المنقول منها هذه النسخة وهي جميعها بخط فاضل الفضاة نجم الدين المصري السافعي رحمه الله ماصورت يقول شأدت على آخر الجزء الاول من الاصل المنقول منه هذه النسخة بخط المؤلف في آخر المجلد الاول من كتاب الروضتين فرغ منها مصنفها نسخا في حادى عشر شهر رمضان المبارك سنة احدى وخمسين وستائة واشتملت هذه النسخة المبيضة على زيادات كثيرة فأتت النسخ المتقدمة على هذا التاريخ المنقولة من المسودة وكل متبقل من هذه النسخة هو الاصل الذي يعتمد عليه ويركن اليه كتبه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم السافعي مصنفه عفا الله عنه

وشأدت عليه ماصورته مختصرا سمع جميع هذا المجلد على مؤلفه الشيخ نهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي ولده محيي الدين الواهدى أحمد وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح الاسيلى وزين الدين على بن أحمد بن يوسف القرطبي وشمس الدين اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المالكي وابنه محمد وعفيف الدين محمد بن ابى بكر ابن ابراهيم المؤذن الشاغورى ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الكنجي وسمع آخرون بفوات عينوا في الاصل وصح ذلك بقراءة يوسف بن محمد بن عبد الله السافعي في مجالس آخرها ثامن محرر سنة أربع وستين وستائة بدار الحديث الاسرفيه كتبه هارثه يوسف بن محمد حامد الله مصليا على نبيه محمد ومسلم نقل ذلك كله مختصرا أحمد بن صصرى التغلبى الشافعي غفر الله له

وشأدت عليه أيضا بخطه ماصورته مختصرا قرأ على هذه المجلد جميعها الامام الناضل محمد الدين محمد بن أحمد ابن عمر الاربلى سمعه بقراءة شهاب الدين أحمد الامام بن الدين أبى ركر يا يحيى الحصرمى وآخرون بفوات ذكر وافي الاصل وفرغ من ذلك يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستائة في أربعة عشر مجلسا كتبه مصنفه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي عفا الله عنه

يقول العبد الذليل المعروف بابن السعد أفندى محرر صحيفة وادى النيل قد تم بحمد الله وحسن توفيقه بطبعة وادى النيل في اواخر سنة ١٢٨٧ طبع هذا الجزء الاول من كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين الذي هو

كما لا يخفى على كل ذى فضل فضيل كتاب جليل وسفر جميل ولقد اعتنى هذا العبد الضئيل باحياء مواته وتصحيحه واستحياء وفاته وتصلحه على قدر الطاقه حتى جاء

بعون الله كروضة الغيا وقد صاح فيها البابل وغنى من اطلال

الاسلام بعض دوارسها ويعيد من آثار السلف الصالح شيئا من

مغارسها والمرجو من المولى سبحانه ان يتم احسانه

ويعين على نجاح الجزء الثانى كما أعان على

تمام طبع هذا الجزء الاول وصلى

الله على سيدنا محمد وسلم

وشرف وعظم

وكرم

وبجل



(ما لا يد من التنبيه عليه من الخطأ والصواب في الجزء الاول من هذا الكتاب)

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٥	٢٩	جارم	حارم	٨٦	١٣	توجهت شهباءها	توجت شهباءها
٦	٣٦	سياتكم	سيئاتكم	٩٧	٠٩	المنجي-منج	المنجي-منج
١٤	٢٧	بكا	بكي	٩٧	٢٠	معدا	معدا
١٧	٠٧	بجبل	بجبل	١٠١	٢٥	جحت	جحت
٢٢	١١	باسوطه	باسوطه	١١٥	١٨	وخذ العيس	وخذ العيس
٢٢	١٦	بثم	بثم	١٢٢	١٠	الجفار	الجفار
٢٢	٣٠	الغار	الغار	١٣٠	٣٦	حنك	حنك
٢٤	٢٤	نم	تم	١٣٢	٠٢	جبيل	معقل
٢٥	١٥	منقد	منقد (وهكذا)	١٣٤	٠١	لاؤف	لاؤف
٢٦	٣٦	وحفظا	وحفظا	١٤٩	٢٨	السابعه	الرابعه
٢٨	٢٥	شجر	شجر	١٥٢	٢٧	بلك	فلك
٢٨	٢٨	قليج ارسلان	قليج ارسلان (وهكذا)	١٥٣	٠٢	ملك	فلك
٣٤	١٠	انابك	أتابك (وهكذا)	١٦٤	٣٠	ناشرة	ناشرة
٣٤	١٦	ليه الهريز	ليه الهريز	١٧٠	٣٣	واصله برسالة	واصله برسالة
٣٤	٣٧	مقترع	مقترع	١٧١	٣٧	اصحابه	اصحابه
٣٩	١٥	بغا	بغا	١٨٥	٢٧	قال والعماد في	قال العماد في
٤٠	١٦	فاخلتها	فاخلتها	١٩١	٣٣	منازل العز	منازل العز
٤٠	٣٥	البثره	البثره	١٩٦	١٥	المستضي	المستضي
٤٧	٣٠	اسعدرد	اسعدرد	١٩٨	٠٦	استنباه	استنباه
٥٠	١٧	البستاني	البستاني	٢٠٧	٠٤	الانها	الانها
٥١	١٢	اعتقت	اعتقت	٢١٥	٣٠	مثاله	مثاله
٥٦	٢٢	عبد اوتهم	عبد اوتهم	٢٤١	١٠	عرائب	عرائب
٦٥	٣٤	الى مراك في المجد	الى مراك في المجد	٢٦٢	٢٦	مرامى مرامه	مرامى مرامه
٦٦	٠٢	وملائتنا	وملائتنا	٢٧٢	٢٠	السعاده	لسعاده
٦٦	١٣	الرد	الردى	٢٧٢	١٥	تستجد	تستجد
				٢٧٧	١٥	عف	عفا

هذا ولربما لم يزل يوجد في طبع هذا السفر اشياء يف بعض تحريف وتصحيف كنقص بعض نقط أو عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تخفى على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده هو المنزه عن الغلط والسقط وهو العالم الخبير





صفحة	
٢	خطبة الكتاب
٢	مقدمة الكتاب
٥	فصل في الدولة النورية وسلطانها
١٨	فصل في مدح نور الدين رحمه الله تعالى بأشعار كثيرة وأوصافه فوق ما مدح به
٢٤	فصل في أصل البيت الأنايكي
٢٥	فصل في قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق
٢٦	فصل عاش السلطان ملك شاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوما
٢٧	فصل ذكر أخبار زنكي
٢٨	فصل في ولادة الملك المعادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله
٢٩	في تولية السلطان محمود السلطنة وإقرار أخيه مسعود على الموصل
٣٠	في ولاية زنكي الموصل وغيرها من البلاد
٣٢	في جهاد زنكي للفرنج
٣٣	في فتح شهر زور وبعليك وحصار دمشق
٣٤	في مسير أتابك الشهيد إلى بلاد الفرنج وأغارته عليها
٣٦	في مسيره إلى بلد الهكارية وكان يبدد الأكراد
٣٦	في فتحه الرها
٤٠	في مسيره إلى قلعة البيرة بعد فراغه من خذل الرها وإصلاح حالها واستيلائه على ما وراءها من البلاد والولايات
٤٢	في وفاة زنكي رحمه الله
٤٣	في بعض سيرة الشهيد زنكي
٤٦	فيما جرى بعد قتل زنكي من تفرق أصحابه وتملك ولديه غمازي ومحمود
٤٨	فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والأفرنجي المخذولين
٥٠	في توقيع كتب عن خليفة مصر الملقب بالحافظ
٥١	في نزول الفرنج على دمشق ورجوعهم مخذولين
٥٢	في اجتماع كل من بالشام من الفرنج بملك الأمان لما وصل إلى الشام وقصدهم دمشق
٥٣	في رؤية الفقيه العذلاوي في المنام وذكر موضع قبره وقبر عبد الرحمن الحول
٥٥	في رحيل الفرنج عن دمشق وما مر بعد ذلك
٥٥	في مسير نور الدين إلى بصرى وقد اجتمع بها الفرنج وقد عزه مواعلي قصد بلاد السلام
٥٧	في ورود الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بإبطال حى على خبر العمل
٦٢	في مسير نور الدين إلى حصن قامة وهو للفرنج
٦٤	في وفاة معين الدين أتربد دمشق وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة
٦٥	فصل في وفاة سيف الدين غمازي بن زنكي صاحب الموصل

## (ب)

مصحفه

٦٦	فصل فيما جرى بعد وفاة سيف الدين
٦٧	فما جرى بعد تولية قطب الدين على الموصل
٦٩	في اتصال الخبر الى نور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحورانية
٧١	في فتح عزاز
٧٢	في صفة أسرجوسلين
٧٦	في ذكر مسير نور الدين الى قلعة جوساين وملك بعضها واجتماع الافرنج والتفائهم به
٧٧	في توجه مجاهد الدين بران الى حصن صرخه لثقة قدأحواله وما جرى في غيابه واطاعة الخال
	لرجوعه وما فعل بعد ذلك
٨٣	في بقية حوادث سنة خمس وأربعين
٨٦	فما جرى في سنة سبع وأربعين
٨٧	في ولادة ابن لنور الدين سماه أحمد
٨٩	فيما جرى في سنة ثمان وأربعين
٩٠	فيما عرض من المشاحنات بين الرئيس ابن الصوفي وبين اخويه عر الدولة وري الدولة
٩٩	في وصول الامير محمد الدين أبوبكر نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج
١٠٠	في حوادث سنة احدى وخمسين وخمسمائة
١٠٣	في توجه نور الدين الى حلب في بعض عسكره عند انتهائه خبر الافرنج اليه بعيشهم في اعمالها
١٠٧	في توجه نور الدين الى بعلبك لثقة قدأحوالها
١٠٩	في تواصل الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كبير لازول على انطاكية الى آخر ما ذكر
١١١	في ذكر حصن شيرزو ولاية تبن منقذ
١١٤	في يوافي حوادث سنة اثنتين وخمسين
١٢٠	فيما ترتب على الزلزلة الهائلة التي حدثت بناحية حلب
١٢١	في تجمع قوم من السفهاء النعوام وعزمهم على التخريب لنور الدين على اعادته ما كان أبطل وسامع
	به أهل دمشق من الرسوم الى آخر ما ذكر
١٢٢	في دخول سنة أربع وخمسين
١٢٣	في وصول رسول ملك الروم بهدية اتخف بها الملك العادل
١٢٤	في حوادث سنة ست وخمسين وخمسمائة
١٢٧	في حوادث سنة سبع وخمسين وخمسمائة
١٢٧	في حوادث سنة ثمان وخمسين
١٢٩	في حوادث سنة تسع وخمسين
١٣٣	في فتح حارم
١٣٤	فصل في ذكر وزير الموصل ووفاته
١٣٩	في حوادث سنة ستين وخمسمائة
١٤١	في حوادث سنة احدى وستين وخمسمائة

- ١٤٤ فصل في قدوم عماد الدين الكاتب الى دمشق الى آخر ما ذكر
- ١٤٧ في طلب نور الدين من أخيه قطب الدين ان يعبر الفرات بعسكره
- ١٤٩ في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسمائة
- ١٥٢ في وفاة زين الدين
- ١٥٢ في حوادث سنة أربع وستين
- ١٥٤ في فتح الديار المصرية
- ١٥٥ فيما فعله نور الدين
- ١٥٦ في التهبض على شاور وقتله
- ١٤٠ في وفاة أسد الدين شيركوه
- ١٦٤ فيما ذكر من قصة شاور وما جرى بسببه في الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين
- ١٧٤ في ذكر بعض قصائد مدح بها نور الدين وهنئ بها حين تملك مصر
- ١٧٨ في تتل مؤتمى الخلافة بالخرقانية ووقعة السردان بين القصرين وغير ذلك
- ١٨٠ في حوادث سنة خمس وستين وخمسمائة
- ١٨٠ أرسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب القصر يهنته برحيل الفرنج عن بغداد مياط الى آخر ما ذكر
- ١٨٣ في مسير نجم الدين أيوب الى مصر يباقي أهله وأولاده
- ١٨٤ في ذكر الزلزلة الكبرى التي عمت أكثر بلاد الشام
- ١٨٦ في غزو صاحب البيرة ووفاته صاحب الموصل
- ١٨٧ في عبور نور الدين الفرات لتدبير أولاد أخيه سيف الدين بعد وفاته
- ١٨٩ في ذكر رحيل صالح الموصلي يسمى عمر الملا
- ١٩٠ في وصول الخبر بموت الامام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المتقي
- ١٩٠ في بقية ما جرى في سنة ست وستين وخمسمائة
- ١٩٣ في حوادث سنة سبع وستين
- ٢٠٠ فيما جرى بعد موت العاضد وانقراض دولة الفواطم واعادة الخديعة بالديار المصرية لابي العباس
- ٢٠٣ في ذكر غزو الفرنج في سنة سبع وستين
- ٢٠٥ في باقي حوادث هذه السنة
- ٢٠٥ في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة
- ٢٠٦ في جهاد السلطان الفرنج في هذه السنة وفي فتح بلاد النوبة
- ٢٠٩ في وفاة نجم الدين أيوب والصلح الدين وطرف من أخباره
- ٢١٣ فصل في مسير نور الدين قاصدا جانب الشمال
- ٢١٥ في بقية ذكر المصالحين لاون مقدم بلاد الارمن والتجائنه الى نور الدين الى آخر ما ذكر
- ٢١٥ في حوادث سنة تسع وستين وخمسمائة
- ٢١٦ في فتح اليمن
- ٢١٧ في ذكر امير محمد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن عمدة

- ٢١٩ فصل في صلب عمارة الشاعر اليمني وأصحابه
- ٢٢٤ في التعريف بحالة عمارة ونسبه وشعره
- ٢٢٧ في وفاة نور الدين رحمه الله
- ٢٣٠ في جلوس الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في الملك بعد وفاة أبيه
- ٢٣١ في قصد الفرنج على الثغور وصددهم بانياس بعد وفاة نور الدين الى آخر ما ذكر
- ٢٣٤ في دخول سنة تسعين وخمسمائة
- ٢٣٤ في عزيم السلطان على ان يسارع الى تلافى الامرا الى آخر ما ذكر
- ٢٣٥ في نوبة الكنتز
- ٢٣٥ في توجه صلاح الدين الى دمشق ودخوله اليها
- ٢٣٧ فيما جرى بعد فتح دمشق من فتح حصص وحماها
- ٢٣٩ فيما حصل من البرد العظيم وكثرة البلج في هذه السنة
- ٢٤١ في ارسال الخطيب شمس الدين بن الوزير من طرف السلطان الى الديوان الى آخر ما ذكر
- ٢٤٤ قال العماد وكانت بالموصل فسلئت نظم مرثية في نور الدين الى آخر ما ذكر
- ٢٤٨ فيما جرى للمواصلات والحلبين مع السلطان في هذه السنة
- ٢٥١ في طلب الفاضل العماد الكاتب من السلطان ان يكون معه وبلازمه بالديوان
- ٢٥٢ في حوادث سنة احدى وسبعين وخمسمائة
- ٢٥٦ فصل في فتح جملة من البلاد نحو الى حلب
- ٢٥٨ في وثوب الحشيشية على السلطان
- ٢٥٩ في بواقى حوادث سنة احدى وسبعين وخمسمائة
- ٢٦١ في حوادث سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
- ٢٦٢ في ذكر جماعة من الاعيان
- ٢٦٤ في رجوع السلطان الى مصر
- ٢٦٨ في بيع الكتب وعمارة القلعة والبيمارستان
- ٢٦٨ في خروج السلطان الى سكندرية وغير ذلك
- ٢٧١ في حوادث سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
- ٢٧٣ في نوبة كسرة الرمله
- ٢٧٤ في وفاة كشتكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج الى آخر ما ذكر
- ٢٧٨ في قتل عضد الدين بن رئيس الرئساء وزير الخليفة ببغداد

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين  
تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الكامل  
الأوحد فريد عصره وحيد دهره مجموع الفضائل  
سهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل  
ابن إبراهيم المفيد الشافعي  
توفاه الله تعالى  
برجته  
آمين  
م

رواه الشيخ الإمام محمد الدين أنى المطهر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي سمعاه عنه

﴿الجزء الثاني﴾

(طبعة جديدة)  
مطبعة وادي النيل بمصر القاهرة  
سنة ١٢٨٨

## (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) (النورية والصلاحية)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة ﴾ قال العماد وكان سمى الدين ابن المقدم من أكابر الامراء وهو السابق الى مكتبة السلطان في تصويب رأيه في الوصول الى الشام وتدارك امر الاسلام وكان السلطان عند تسلم يعلبك انهم بها عليه وردوا مورها اليه فاقام بها مستقرا ولا خلاف انما كانت مستدرا ولما وصل السلطان في هذه الذنوبة الى الشام لم يحضر كما جرت العادة للخدمة والسلام فانه كان غي اليه ان الملك المعظم محمد الدين سمى الدولة تورانشاه ابن ايوب طلبها من اخيه وانه لا يمكنه الردخاف من الحضور ان تتم الامور وروجع في ذلك مرارا سرا وجهارا والترم له ان يعوض عنها ما هوافي منها فالى الا لا با وسارف السلطان منه ومن اخيه الحيا وسمى الدولة لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه سبيرا ثم استأذن أخاه في التوجه اليها فأذن له وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور وسار السلطان الى جنس وزل على العاصي عارما على الجهاد ووردت من الفاضل كتب من بعض فصولها (وأما سور القاشرة فعلى ما أمر به المولى شرع فيه رطهر العمل وطلع البنا وسلكت به الطريق المؤدية الى الساحل بالقسم والله يعمر المولى الى ان يراه نظافا مستدرا على البلدتين ومورابل سوارا يكون به الاسلام محلي اليدين محلا للضدين والامير به الدين قراقوش دلائم الاستحسان خفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف أمثاله قليل لتثقيل مع حمله لاجباء التدبير وانفاله) ونهائي حق نغل القضاء من شرف الدين بن أبي عمرو ن لما ذهب بصره الى ولده (لن يخلو الامر من قسمين والله يختار للمولى خيرة الاقسام ولا ينسى له هذا التخرج الذي لا يبلغه ملك من ملوك الاسلام اما اباء الامراء هم الوالد بحيث يبقى رأيه ومشاورته وفتياه وبركته ويتولى ولده النيابة ويشترط عليهم المجازاة لا ولزله وترك الافالة لأول عثره فطام المبعث حب المسافة الراجحه على اكتساب الاخلاق الصالحة واما ان يعوض الامر الى الامام قطب الدين فهو بيقية المشايخ وصدر الاصاب ولا يجوز ان يقدم عليه في بلد الامم هو أرفع طبقة في العلم منه) ومنه في اقامة عذر التأخر عن الجهاد (وأما تأسف المولى على أوفات ينقضي عاظمها من الفريضة التي خرج من بيته لاجلها ويجدد العوائق التي لا يوصل الى آخر حبلها فلما مولى نية رشده وألبس الله العالم بعبدته وهو سبحانه لا يسأل الفاعل عن تمام فعله لانه غير مقدوره ولكن عن النية لانها محمل تكليف

### في أخبار (٣) الدولتين

الطاعة وعن مقدور صاحبها من الفعل بحسب الاستطاعة وإذا كان المولى آخذاً في أسباب الجهاد وتنظيف الطرق إلى المراد فهو في طاعة قدامت الله عليه بطول أمدها وهو منه على أدل في نجح موعدها والثواب على قدر مشقته وأما عظام الخ لاجل جهده وبعد مشقته ولأن المولى فتح الفتوح العظام في أقل الأيام ونصل القضية بين أهل الإسلام وأعداء الإسلام لكأن تكليف الجهاد قد قضيت وصحائف البراءة مكتسبة بالمرابطة والانتظار طويت ومنها في ذكر أولاد السلطان (وقبل الاجابة عن الفصول فنبدش عما جرت العادة به لاقطع الله تلك العادة من سلامة وصحة وعافية شملت موالينها وأولاده السادة أطاب الله الحبر اليهم عن المولى وإلى المولى عنهم ومجمل لقاءهم ولقاءهم له فانهم من تلق منهم بل كل منهم ملك دسته برجه وفارس مهده سرجه فهم بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحانة الحياة وزهرتها وأن فؤاداً واسع فراقهم لو واسع وأن قلباً قنع بأخبارهم لقانع وأن طرفاً نام على البعد عنهم لم حاجع وأن ملكاً ملك تصبره عنهم لم أزم وأن نعمة الله فيهم لنعمة بها العيش ناعم أما يشاق جيد المولى أن يتطوق بدررهم أما تظمي عينه إلى أن تروى بنظرهم أما يحس تلبه على قلبه أما يلتقط هذا الطائر بتقبيلهم ما خرج من حبه وللمولى أبقاها الله تعالى أن يقول

وما مثل هذا الشوق تجمل مضغة \* ولكن قلبي في الهوى متقلب

وفي أخرى (والمولوك الأولاد في كفالة العافية لا رفعت عنهم كمالتها وعليهم جلالة السلطنة لا فارقهم جلالها وكل من المولى السادة الأمراء الأولاد والولد القادة كلهم جوهر وكلهم المقدم وليس فيهم بحمد الله من يؤخر على ما عود الله من صحة وسلامه وكفاية ووقايه ولزوم المستقل منهم لسهل الكاب ولوقوف الآماج ومخائل الخفر فيهم من تحت ليل الصبا النور دلالة من ضوء السراج والله تعالى يمد في عمر المولى إلى أن يرى من ظهورهم ما رأى جدتهم رجاء الله في أهل بيته من البطن الرابع فوارس الحرب الرائعة ومولوك الإسلام التي منهم للإسلام أكسرة وتبابعة وكافهم عند العلاء صغير وصغير ابن الكبار كبير نجوم الأرض وذريه بعضهم من بعض والخلف الصالح المحض وهم في الدنيا والآخرة فرسان القوة والحق في يوم الحرب ويوم العرض) ومنها في ذم ماء دمشق ووجها (عرف المولوك من الكتب الواصلة للتيان جسم المولى الأبرع عثمان والحقير ما يسال ذلك الجسم الكريم يوقد في قلوب الأولياء الأثر العظيم وقليل قذاة العين غير قليل وماذا يقول في بلد لو صحت الجية من مائه لكأن من أكبر أسباب صحة المحتج وشفاؤه فانه ماء يؤكل وبقية المياه تشرب ويجدد وخامته من ينصف ولا يتعصب) ومنها (وأما المأمورية في معنى المنكرات الظاهرة والارالة أسبابها وأغلاق أبوابها وتحصين كل مبتوتة من عصمه وتطهير كل موسومة بوصمه فانه ينبغي للمولى ثواب من غضب ليرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وادبه) ثم أورد العمد فصولاً كثيرة وقال إنما

أوردت الفصول الفاضلية لأن في كل فصل منها ذكر سيره وفوائده  
(فصل) قال العمد آدم من جملة ما أغلته ذكر ما أسقطه السلطان من مكس مكة شرفها الله تعالى عن الحاج وتعويض أميرها بجلاب غلة تجمل إليه في كل سنة وتعير ضياع موقوفة عليها بالأعمال المصرية كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرؤس ما ينسب إلى الضرائب والمكوس فإذ دخل حاج حبس حتى يؤدي مكسه ويفك بما يطالبونه منه نفسه وإذا كان غير الأيملك فهو يحبس ولا يترك ويفوته الوقفة بعرفة ولا يدرك فقال السلطان نريد أن نعوض أمير مكة عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال وأن أعطيناه ضياعاً استوعبها ارتفاعاً وانتفاعاً فلا يكون لأهل مكة فيها نصيب فقر رعمه أن يحمل إليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح إلى ساحل جده فإن الأمير بها يحتاج إلى بيعها للانتفاع بآمنائها ويثق أهل الحرمين من الدولة بدوام إحسانها وقرر أيضاً جل الغلات إلى المجاورين بالحرمين والعقرا ومن هناك من الشرفا ووقف لها وقفا وخلدها إلى قيام الساعة معروفا فسقطت المكوس واغتنبت النفوس وزاد البشر وزال العبوس واستمرت النعمي وزال البوس وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومن كلام الفاضل في ذلك في بعض كتبه (من البشائر التي لا عهد لها ديار مصر مثلها ولا عهد للملك من ملوك الديار المصرية بالحصول على فخرها وأجرها انقضاء المكاسين عن جذة وعن بقية السواحل ويكفي أن تمام هذه المنوبة موجب الاستطاعة مقيم بحجة الله في الخ فقد كانت الفتياع على سقوطه مع وجود الحامل وما



کتاب (۴) الروضتین

أكثر ما جرى الله للحلائق على يد المولى من الارزاق التي تفصل عن الاستحقاق ومأواه بان يتوخي بالمعروف مكانه من هذين الحرمين الشريفين المهرجرين من اسعاف أهل الاقتدار والمحروم من قدر فيهما على خير فاضاع فرصته بترك البدار وغير خاف عن مولانا همة الفرنج بالقدس براوحرا ومربكا وظهرا وسماوحريا وبعداوقريا وتوافيهـم على حاسه وهو أنف في وجه الاسلام ومسارعهم الى نصره أهليه بالارواح والاموال على مر الايام ومعاذ الله ان يستبصر وافي الضلال ونصرف نحن عن الحق ويضيق بنا في التوسعة على أهله سعة المجال والمملوك في مستهل رجب بمشيئة الله معول على السفر الى الجحاز القضاء الفريضة قولاً وفعلًا والسائر في هذه السنة بطعمة ووقته الجمعة وبفسحة وضع المكس خلق لا يحصى والمولى شريك في أجرهم فليهنه ان المملوك عمرت بيوتها فحربت وان المولى عمرت بيوت الله فن كرمه سبحانه ان يعمر بيت المولى وما أشد حجل المملوك من النبي صلى الله عليه وسلم في التقصير في قوت جيرانه في هذه السنة وما هكذا أوصى للطبيع ولكن الغائب حجتة قلت وفي هذه المكرمة التي فعلها صلاح الدين رحمه الله بالحاج يقول السمع الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي من قصيدة له يمدح بها صلاح الدين وستأتي فيما بعد أخبرني بها ثقة نعلمها من خطه

رفعت مغارم مكس الخجا \* زيانعالمك الشامل الغامر  
 وأمنت أكلف تبت البلاء \* دفهان السبيل على العابر  
 وسحب أيا ديك فياضة \* على وارد وعلى صادر  
 فكس لك بالسرق من حاد \* وكل بك بالغرب من شاكر  
 زك بالدعاء لكم كل عا \* مبعدة من معس جاهر  
 وقد بقيت حسبة في فلا \* ن وتك الدحية للداخر  
 يعنف حجاج بيت الاله \* ويسدو بهم سطوة الجار  
 ويكشف عما بأيديهم \* وباشيك من موقف صاغر  
 وقد وقتوا بعد ما كسفوا \* كأنهم في يد الآسر  
 ويلزمهم حلما باطلا \* وعقبى الجهن على العاجر  
 وان عرضت بينهم حرمة \* فليس لها عنه من سائر  
 أليس يخاف غدا عرضه \* على الملك الفادر العاير  
 أليس على حرم المسلمة \* بل لك المساهد من غابر  
 الحاضر بافع زجره \* فيأذله الشاهد الحاضر  
 الا اصبح مبلغ نصح \* الى الملك الا صرا انظافر  
 ظلموم تضم مال الزكا \* قلعت تحت صفعة الخاسر  
 يسرا الحية انك في طاب \* ويدي النصيحة في الظاهر  
 فاوقع به حادثا انه \* يقبح أحدىثة الداكر  
 فما للمناكير من زاجر \* سواك وبالعرف من آمر  
 وحاشاك ان لم تزل رسمها \* فمالك في الناس من غادر  
 ورفعت أمتها موسع \* رداء فخارك للنائمه  
 وأتارك الغر تبقي لها \* وتلك الماثر لا أثر  
 نذرت النسيجة في حقكم \* وحق الوفاء على الناذر  
 وحبك أنطقني بالقريب \* وض وما بتني صالة الشاعر  
 ولا كان فيما مضى مكسبي \* وبئس البضاعة للتاجر  
 اذا الشعر صار شعار الفتى \* فنناهيك من لقب شاعر

## في اخبار (ه) الدولتين

وان كان نظمي له نادرا \* فقد قيل لاحكم للنادر  
واسكنما خطرات الهوى \* تعنت فلعب بالخاطر  
وأما وقد زان تلك العلى \* فقد فاز بالشرف الباهر  
وان كان منك قبول له \* فتلك العكرامة للرائر  
ويكفيه من سامع \* ويكفيه لحظك من ناظر  
وبرهنى على الروض غب الحيا \* بما حاز من ذكر كرك العاطر

قال العماد وفي المحرم من هذه السنة توفي الحكيم مذهب الدين أبو الحسن علي بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق وكان كنعته مهذباً ومن المملوك لتفرد به بفضله مقرباً وهو مبتز في فنه حتى ان من شدى أشياء من الطب تنجح بانه قرأ عليه وتردد لاستفادته اليه وقد راصته العلوم الرياضية وأحكمت أخلاقه المعارف الحكيمه وفي الثاني عشر من جمادى الاولى توفي الامير نجم الدين بن مصال بمصر وحناناً عليه وبحسن بجمع خفا وازاغتمام السلطان برزته حده وجلس في بيت الحسب مستوحشاً وحده وقال لا يتخلف الدهر لي صديقاً ما لبده بعده وأحرى ما كان له جميعه لولده وحفظه عنه وده وكان لجماعة من الاعيان والسعراء والامثال والادباء بعناية ووساطته من السلطان رزق ابناءه عليهم كما نده عليه مستحق وفي العشر الاول من ربيع الآخر أعارت طائفة من الفرس على بلاد حماه فخرج اليها متولى عسكري حماد الامير باصر الدين منكور بن حمارة كسر صاحب حصن بوقيدس فأمر المقتدمين وسفل بسيفه دم المقتنين وجاء الى الخدمة السلطنة بخاخر حصن وساق معه الاسارى فأمر السلطان بضرب أعناقهم وان يتولى ذلك أهل التقى والدين من الحاضرين فتمت ذم امامه الضياء البهري وضرب عنق بعضهم وولاه الشيخ سليمان المغربي ثم الامير ايدوغان بن ياروق واستدعى العماد وأمر بذلك فلم يفعل والمب ان يملكه السلطان ان منهم صغيراً فغوض عنه ثم رحل السلطان على طريق الزراعة الى بعلبك فنار لها حماد صرام غير قتال فطال أمرها ولم يسلم بها صاحبها ودخل فصل الشتاء فرحل السلطان عنها الى دمشق وكل بها من يحصرها بالمانع من الخروج والدخول من غير قتال وهم جماعة مع طغرل الجباجدار ودخل الى دمشق في العشر الاواخر من رجب وتماضى الامر الى ان رضى ابن المقتدم بخصم يورن وأعماله وبلد كهرطاب وأعيان نواحي وقرى من بلاد المعرة وسلم بتسليم بعلبك من المصرة والمعرة وكان الذي أخذه أثار وأنفع مما خلاه وما حذر جاله ما حصل له ولا ترجاه ولا تمناه

**فصل** كالأدي قبه لده في حوادث وتفرد به قال العماد كتب النواب بدمشق الى السلطان ان الاموال ضائعة وان الاطماع فيها رائحة وان في أرباب الصدقات أغنياء لا يستحقونها وما لهم رغبة من الله يتقونها وان أرباب الغنى ان استوعبوها وما استوجبوها وان المستحقين تتفضى افراد جهات لما سخر من مهمات وكانت الصدقات مبلغاً عديداً في دينار فعال الى كتب عليها جميعها بالامضاء ولا تكتدر على دوى الآمال موارد العطاء فغلب أما أتوا عليك الامناء فقال لا بل نرهنى عن هذه الاشياء فبقيت تلك الرسوم دارة والآمال بها سازه قال وفي شعبان من هذه السنة توفي متولى المقياس بمصر فتؤم السلطان منصبه الى أخيه قال وهذا المقياس موضع مبنى من عهد خلفاء بني العباس ليعرف ريادة الماء ونقصانه بالقياس وهناك عود في الماء مقسوم بالادرع والادرع مقسومة بالاصابع في مسجد ينوب في الجر ردم الجامع تصل فيه الجماعات والجمع ويتولاهم العهد القديم متول من ولد أبو الرقاد من هو معروف بالزراعة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار قلت بلغنى ان أبو الرقاد هذا كان معتمداً من أهل الصدق والصلاح ربه جعفر المتوكل على الله في ولاية المقياس وبقى من بعده على ولده وقرأت في تاريخ انجرا الذين قدموا مصر لابي سعيد بن يوسف قال (عبدالله بن عبد السلام بن الرقاد العجمي بصري قدم مصر وحدث بها وكان قد جعل على قيادة النمل توفي بمصر لسبع بقس من رجب سنة ست وستين ومائتين وذكره أبو سعيد في أهل مصر أيضاً وقال فيه ولده هو وأبوه مصر) قال ابن الاثير وفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة استبد الغلاء وعم أكثر البلاد العراق ومصر وديار بكر وديار الجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد ودوام الى ان انقضى سنة خمس وسبعين وخرج الناس في البلاد يستسقون فلم يسقوا ثم ان الله تعالى رحم عباده ولطف بهم وأنزل عليهم الغيث وأرخص الاسعار ومن

## كتاب (٦) الروضتين

عجيب ما رأيت تلك السنة اني كنت في الجزيرة فأقبل انسان تركاني قد أنرفيه الجوع وكأنه قد أخرج من قبر فيكي وشكا الجوع فأرسلت من اشترى له خبزاً فتأخرا حضاره لعدمه وهو يبكي ويتبرغ على الارض فتغيت السماء وجاءت نقط مطر متفرقة وضح الناس ثم جاء الخنزير فأكل التركاني وأخذ الباقي معه ومضى واستد الماطر ودام من تلك الساعة فرخصت الاسعار ووجدت الاقوات بعد ان كانت معدومة ثم تعقب الغلاء وباء شديد كبير وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو سر سام فمات فيه من كل بلد أمة لا يحصون كثرة ولقي الناس منه ما أعجزهم حمله ثم ان الله تعالى رفعه في سنة ست وسبعين وخمسائة وقد وضع العالم

**(فصل ١٠)** في عارضة حصن بيت الاخرن ووقعة الهنفرى قال العماد في مدة مقام السلطان على بعلبك واشتغاله بامرها انتهز الفرنج الفرصة فبنوا حصنا على محاذة بيت الاخرن وبينه وبين دمشق مسافة يوم وبينه وبين صفد وطبرية نصف يوم وقيل للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحكم من البغرا الاسلامي الوهن وغلق الزهن فتقول اذا أتموز لنا عليه وهدمناه الى الاساس وجعلناه من الرسوم الادراس فكان الامر بعد سنه على ما جرى لفظه من عدة حسنة فلما انقضى امر بعلبك وصل السلطان دمشق فأقام بها وأمر الحصن من همه وقصد حصاره من عزمه وكان العام مجديا والجدب عاما وقيل للسلطان ايس هذه سنة جهاد فان استحوك السلامة فامنع وان جنحو والمسلم فاجنح فقال السلطان ان الله أمر بالجهاد وكفل بالرزق فأمره واجب الامتثال ووعدته ضامن الصدق فتأتى بما كلفناه فوز بما كفله ومن أغفل أمره أغفله قال ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة وهو الخادم فاضل وكان من أفضل الخدم نذب بافضل الخدم وفرح السلطان به واستحبه معه الى الغراء ووقف على الحصن الذي استجده الفرنج بالمشهد يد العقوبى وتخطف من حوله من الفرنج جماعة وأقام على أهل المعصية بجهاده الطاعة وعاد وقد عرف ما يعزم عليه من أمر فتحه قال وفي مستهل ذي القعدة كانت وقعة هنفرى ومقتله وذلك ان الاحبار تواترت بان الفرنج قد تجمعوا في جنح عظيم واهم عارمون على الخروج على المسلمين على غرة فقدم السلطان ابن أخيه فرخساء على عساكر دمشق وأمره ان يخرج الى النعرة فعمل وأمره ان علم بخبر وجهه ان ينفذ الى السلطان يعلم بذلك ولا يلقاهم بل يتركهم حتى يترسطوا اليه لادفلم يشعروا بل لافرخشاه الاو قد خالطوهم على غرة ف وقعت الوقعة فقتل صاحب الناصرة وجماعة من مقدميه وطلب الملك فطرح حصانه وجرح فرسانه وجاء الهنفرى ليحميه فوقع فيه جراحات أحدها نسيبة وقعت في ماله فجذعته ونفذ الى فيه وموت بضرسه فقتله وخرجت من تحت فككه ووقع في مشط رجله فنفذت الى أحصه وأخرى في ركبته وضرب ثلاثا في جنبه فكسره ضلعين وقتلت عدة من الرجال والخيالة ورجعت الفرنج بجزي عظيم ايس فيهم المجرع وكل يوم ترد البشرى بموت مقدم من جراحة أصابته ووردت بطاقة الطير في ذلك اليوم الى دمشق فخرج السلطان فواصل الى الكسوة الاور ووسم وأسراؤهم قدجى بها فرجع مظفرا منصورا وذل الفرنج بعدها وانكسرت بموت الهنفرى ثم سار السلطان الى الحصن الذي بنوه فأزججهم وذعرهم وعاد على عزم العود اليه قال ثم وجه السلطان أخاه الاكبر تورانشاه من السام الى مصر بمن ضعف من الاجناد لاجل محل البلاد قرب في بعلبك ثوابه وودعه السلطان من مرج الصفر وذلك في أوخر ذي القعدة ومصر على بصرى ومنها الى الازرق ومنه الى الجفر الى المد الى صدر ووصل معه خلق كثير من التجار والرجال والنساء والاطفال

**(فصل ١١)** قال العماد وسافر الفاضل الى الحج في هذه السنة وركب البحر فكتب اليه كتابا فيه (طوبى للبحر والجون من ذى الحجر والحجى منيل الجدا ومنير الدجى ولندى الكعبة من كعب الندى وللهذا يا المشعرات من مشعر الهدى وللقيام الكريم من مقام الكريم ومن حاطم فقار الفقر للخطيم ومتى رأتى هرم في الحرم وحاتم مئذ زمر ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس الى عكاظه وعاد قس بحفاظه ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضل ولقبلة يستقبلها قبلة القبر والاقبال) قالت ومدحه أبو الحسن بن الذرورى عند عودهم من الحج بقصيدة حسنة منها

علم البحرائك المخلوق واما \* فامسى حشا يخفق رعبا

## في أخبار (٧) الدولتين

وغدا درّه لديه حقيرا \* اذ رأى الدرّ منك ينشأ سحبا  
ولو احتاز قطرة منك يا بحر لا ضعى أجابه الملح عذبا  
هائج لم يزل دعاؤك حتى \* هون الله منه ما كان صعبا  
ولقد نام اذ ركبت والريح هبوب وجئت أرسيت هبا  
حبذا ما صنعتك من أياك \* عاد جذب الحجاز منق خصبا  
رمت كتمانها فذاعت وهل يقدر غيث يخفى عن الأرض سبكا  
فدرأت منك كعبة الله لما \* جثمت احاطا وان شئت كعبا  
بل رأى منك بيته بيت محمد \* أحرم الجود حوله تم لحي  
ورأى الركن من يمينك ركنا \* جاء للشم أبيض اللون رطبيا  
وزهت زمزم بشربك منها \* وبجيب ان يظهر الماء عجبا  
وتوجهت للمدينة عن مكة لما تشاء وكافيك حسبا  
وأنت السأم تلو فتوح \* سار شرفاه الهناء وغربا  
ان تكن غبت عنه والله يقيك \* لا مثاله فاغبت قلبا  
سرت والرأى فيه منك مقيم \* وبعث الدعاء في الليل كئيبا

وتدوّقت على الرقعة التي كتبها القاضي الفاضل رحمه الله بخطه الى السلطان يلتمس منه الاذن له في سفر الحج فأحببت نقلها هنا وما كتب السلطان رحمه الله عليها وما كتب بسببها الى بعض نوابه نقلت من خط الفاضل رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) كتب المملوك هذه الرقعة بعد ان استخار الله سبحانه من مستهل رجب في اكثر لياليه والى آخر هذه الساعة وهو ينهى انه قد شارف الاربعين وما يدري لعلها عقبة اللقاء وفرض الله في الحج قد تعين ووعد المولى بدق سبق عند ايلة ومدة الغيبة قصيرة والنائب ينفذ ما يحتاج اليه في السفر والحضر والثقة به حاصلة في المرادين من الكتائب وهما الكتمان والمعرفة وحظ المولى في حجه ولله أضعاف حظه في مقامه لانه ان كان ينفع بها في الدنيا فهو ينفع هناك في الآخرة وان لم يكن أهلا لان يستجاب منه فالله أهل لان يجيب في المولى والمملوك فما ثمل قط في سؤال وليس لان المولى لا يقضيها ولكن لانه يغنيه عن السؤال فيها وهذه حاجة الدنيا والآخرة وبعدها يسد

متى يأتي هذا الموت لا يلف حاجة \* لنفسى الا قد قضيت قضاها

وما أراد المملوك ان يستشفع بمن يشارك المولى في الاجر وما يريد الدستور اعن نفس طيبة ورضى ظاهرو باطن ولا يريد خلاف الغرض فما بقي له بقضاء المقتضى والله المعير برحمته الحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وسلامه

وعلى رأس الرقعة في سطر البسملة بخط السلطان رحمه الله ما صورته (على خيرة الله تعالى ياليتني كنت معكم فافوز فوزا عظيما) نقلته من خطه ونقلت من خط بعض الكتاب ما نقله من خط السلطان رحمه الله الى بعض النواب فصل من كتاب لهم بالخط العالي الناصري أعلاه (ورد بتاريخ السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة اربع وسبعين وخمسمائة) (وصلني كتاب القاضي العاضل وهو يذكر انه مصمم على الحج الله يجعله بارك ميمون ولكنه لا أفسح له فيه الا بعد ثنتين واحدة انه لا يركب بحر يسير من العسكر الى ايلة ومنها يتوجه ويقوم العسكر على ايلة ليلة وعلى ارم ليلة ودون ارم ليلة وقاطع ارم ليلة فيكون هو قد بعد وما يبقى عليه خوف ان شا الله تعالى وثانية تأخذه وتعلمه براسي انه لا يجاور وثالثة تعطيه من مال الجوالى ثلاثة آلاف دينار وتقول له لا بد ان يخرج هذا عنى لا عنك في المجاورين بمكة والمدينة وفي أهلها هذا أمر لا بد منه فان الناس لا بد لهم من الطلب ولا بد لك من العطا وان قال ان الشيء قليل فانت تقرضني مثل هذا المبلغ من مالك وتعطيه اياه فلا بد ولا فلاذن له في الراح الى الحج الاعلى هذه الشروط التي قد شرطها أو ما يجيئه فيجئ الى السام فانا ما بقي لى دار الاهى حتى يقضى الله بيننا وبين الفرنج وهو خير

## كتاب (٨) الروضتين

الحاكمين) وكتب الفاضل الى بعض مشايخ مكة بعد رجوعه (سقى الله الخجاز وحيا كعبته ويا طول ما ترشقى سهام الشوق الذى أصبح الذكر جعلته أهأعلى تلك المواقف وتبالم ن رضى ان يكون مع الخوالم فرعيما ونمى وحسنة وحسنى لمجاورى ذاك الحرم ولعامرى ايامه التى هى الايام لأأيام ذى علم فيالمهف الصدور وطول ظمأها الى ورود ماء رمزمه وطوبى لمن استضاء فى مضال الظلم بعلمه ومهما نسيت فلا أنسى برد الكعبد بجر صيفها وموسم الانس بثلاث مناهها وخفها

أها عليها ليال ما ترك لنا \* الا الاسمى وعلالات من الحلم

عسى الراح ادا سارت مبلغة \* توفى فقد غدر الاحباب بالذم

ثم قال فاما الطريق المباركة فقد جرى فيها خطوط وسؤرون وأحاديث كلها تتجبن وكانت العقبي الى سلامة ولما قربنا الكرك نهض العدو فلم تكن الرجعة ولا التعر مج جاناسم من الله تعالى بالنجلاء النبوة ووصلنا الى بلاد السلطان ولقينا ذلك الوجه فلا عدنا بفسره وذلك الفضل فلا قارب أعيننا بفسره ووجدناه فى العزاة جاهدنا للعدو ومجاهدا وأوفاته مستغرقه وعزماته محققة

(فصل) فيما فعل مع الفرنج فى باقى هذه السنة وأول الأخرى ووقعة مرج عيون قال ابن أبى طى كانت

الفرنج قد عثرت بيت الاحران وكان على المسلمين منه ضرر عظيم فراسل السلطان الفرنج فى هدمه فاجابوا انه لا سبيل الى هدمه الا ان يعطينا ما غرمنا عليه فبذل لهم السلطان ستين ألف دينار فامتنعوا وازادهم الى ان بلغ مائة ألف دينار وكان هذا الحصن للداوية وكانوا يقدرون من فيه بالاموال والنفقات لقطع الطرقات على قوافل المسلمين

فاشارتقى الذين على السلطان ببذل هذا المال لاجناد المسلمين ويخرج بهم الى الحصن ويهدمه فتعزل ذلك كما

سندكره قال العماد ولما ودع السلطان أخاه ورجع أعار فى طريقه على بلاد الفرنج وقصد الحصن الذى بنوه ورجع

بالاسراء وانغنا ثم وخيم السلطان بمرج السعراء ثم اتهم الى باس وس بلغت الختم الى حدود بلاد الكفرة وأضرم عليهم

لهب النيران المستعرة وكان كل يوم يركب بحجة الصيد وينزل على النهر ويجرد فرسان الجلاذ والقهر ويسير قبائل

العرب الى بلد صيدا ويرت حتى يحصدها واغلات العدو وما يبرح مكانه حتى يعودوا بمجاهلهم واحملها موققة باقلاها

حتى جف زرع الكفار قال وفى هذه السنة اتحدى رأى الفرنج ان يرعبوا المسلمين فى كل ناحية خوفا من

اجتماعهم على جهة واحدة فغدر ابرنس انطاكية وأغار على سيزر وغدر الفمض بطرابلس بجماعة من التركمان

بعد الامان فرتب السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر فى نعرجه ومعه خمس الدنانير المقدم وسيف الدنانير على

المشعوب ورتب ابن عمه ناصر الدين فى نعرجه فى مقابلته فكتب السلطان الى أخيه العادل وهو نائبه بمصر

ان يتخبط له من عسكر مصر ألفا وخمسمائة فارس يقوى بهم مع عسكر الشام على العدو

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين) والسلطان نازل على تل الفاضل بباناس فاجمع رأيهم مع بقية المسلمين على ان

يقحموا على الكفار ديارهم ويستوعبوا ما بقى فى أيديهم من الغلات فى يوم واحد ثم رجعوا فرحلوا صوب البقاع

فهمصوا تلك الليلة وهى ليلة الأحد نال المحرم فلما أصبح السلطان جاءه الخبر بان الفرنج قد خرجت فالتقاهم وأنزل

الله نصره على المسلمين وأمر فرسانهم ومجبعانهم وانهمزمت رجالهم فى أول اللقاء فكان من جملة الاسرى مقدم الداوية

ومقدم الاسبتارية وصاحب طبرية وأخو صاحب جيل وابن النعمانية وابن بارزان صاحب الرملة وصاحب جينين

وقسطلان يافا وابن صاحب مرقية وعدة كثيرة من خيالة النفوس وعكاس البارونية وغيرهم من المقتدئين الاكابر

ما زاد على مائتين ونيّف وسبعين سوى غيرهم ثم قدمت الاسارى وهم يتهادون كأنهم سكارى قال العماد وأنا

جالس بقرب السلطان استعرضهم بقلبى ومن أظاف الله تعالى أواخر اصره الحاضرين لم نزد على عشرين والاسراء قد

أنافوا على سبعين وقد أنزل الله علينا السكينه وخصهم بالذلة المستكينه وطمع الصباح ورفع المصباح وقنا وصلينا

بالوضوء الذى صلينا به العشاء ثم عرض الباؤون من الاسرا ثم نقلوا الى دمشق فاما ابن بارزان فانه بعد سنة ببذل

فى نفسه مائة وخمسين الف دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين عيسى من نوبة الرملة

عندهم من المأسورين فالترزم ادراكه وان يؤذى من قطيعة المذكور والقطيعة التى قرر بها فذكاه وأما ابن

## في اخبار (٩) الدولتين

القمصية فانه استفكته أمه بخسة وخسين ألفا من الدنانير الصوريه وأما أودمقدم الداويه فانه انتقل من سجنه الى سجين فطلبت جيفته فاخذوها باطلاق أسير من مقتدى المؤمنين وطال أسرا الباقيين فهنم من هلك وهو عان ومنهم من خرج بقطيعة وأمان وهذه هي وقعة مرج عيون وكان العدو في عشرة آلاف مقاتل وانهزم ملكهم مجروحا وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الوقعة بلاء حسن حكى حسام الدين تيسر بن يونس وكان مع عز الدين قال كفاي أقل من ثلاثين فارسا قد تقدمنا العسكر فشاهدنا خيل الفرنج في ستمائة فارس واقفين على جبل وبيننا وبينهم الماء فاشار عز الدين بان نغير النهر اليهم ففعلنا ولحقنا عسكر السلطان فهزمناهم ومن أحسن ما اتفق انه في اليوم الذي كسرت فيه الفرنج مرج عيون ظفر الاسطول المصري بشدة كبير فاستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى الثغر مستحجبا ألف رأس من السبي فأقرب ما بين النصرين في المصريين وما أعذب عذاب الفتنة وتجربتهما الامرين الامرين لقد عم النصر ونساوى فيه البر والبحر وهما مدح به السلطان في هذا الفتح مدحة سيرها من مصر اليه نحر الكتاب أبو علي الحسن بن علي العراقي الجوزي أولها

للكرب السماء خير معين \* وكفاه بما تحب ضمين  
فله الحمد أي نصر عزيز \* قد حبا بابه وفتح مبين  
أدرك النارحين بازله المغر \* وارحيف الكفار ليث العرب  
الهام الغضنفر الملك النسا \* صرمولى الورى صلاح الدين  
بامليكا أضخى الزمان بنا جيم \* بلفظ المذل المسكين  
قذفت أهله الحصون الى بأ \* سلك حتى عوضتهم بالسجون  
وأراهم رب السماء باسما \* فك ما لم يجبل لهم في ظنون  
للك قلب عند اللقاء مكين \* وله من تقاه ألف كمين  
بامليكا تلقى الحروب بحول الله مستعصما وصدق اليقين  
ان هذا الفتح المبين شفاء \* لصدور وقرعة عيون  
هو يوم أصبح كيوم حميس \* سهل الله نصره في الخزون

قال العماد وكان تقي الدين غائب عن هذه الوقعة راى تغل عنها بغيرها وذلك ان سلطان الروم قلع ارسلان طلب حصن رعبان وادعى انه من بلاده واعاأخذ منه نور الدين رحمه الله على خلاف مراده وان الملك الصالح ولده قد انعم به عليه ورضى بعوده اليه فلم يفعل السلطان وكان هذا الحصن مع ابن المقدم فارس قلع ارسلان عسكر اجمعها في عشرين ألفا صار الحصن فلقهم تقي الدين ومعه سيف الدين على المشطوب في ألف مقاتل فهزمهم قال ولم ير تقي الدين يذلهم بدد النصر فانه حرم بأخذ ألوفها وارغم باعدا دم الاعداء أنفوا وقال ابن أبي طى وانصل بالسلطان ان قلع ارسلان قد طمع في أخذ رعبان وكبسوا لما دخل دمشق وصد رسولهم بطلهم امامه ويدعى ان نور الدين ابن زنكي اغتصبه امامه وان الملك الصالح قد أنعم عليه بما فاغتصا السلطان وزجر الرسول وتوعد صاحبه فعاد الرسول واخبر قلع ارسلان فغضب وسير عسكرا الى رعبان فحاصرها وسمع السلطان فندب تقي الدين عن عرفى جماعة فارس فسار فلما قارب رعبان أخذ معه جماعة من اصحابه مقدار مائتي فارس وتقدم عسكره وسار حتى أشرف على عسكر قلع ارسلان لئلا يفرأهم قد سدوا الصاء وهم فارون آمنون وادعون فقال تقي الدين لا يصحابه هؤلاء على ما ترون من الظمأينة والامس والغفلة وقد رأيت ان نجل الساعة فيهم بعد ان تنفر في جوانب عسكرهم ونصيب فيهم فانهم لا يثبتون لنا فاجابوه الى ذلك فانفذ واحدا من اصحابه الى باقى عسكره وامرهم ان يتفرقوا أطلاوا وان يجعل في كل طليعة من الكوسات والبوقات فاذا سمعوا الضجة ضربوا بكوساتهم وبوقاتهم وجدوا في السير حتى يلحقوا به ففعلوا ما أمرهم ثم انه حمل في عسكر قلع ارسلان وصرخ اصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قلع ارسلان ثلاثة آلاف فارس فباصعوا الضجة وحس الكرات والبوقات وشدة وقع حوافر الخيل وجلبة الرجال واصطكاك الاجرام الحديد هالهم ذلك وظنوا ان قد فوجئوا بها عظيم فلم يكن لهم الا ان جالوا في كواثب خيولهم

## كتاب (١٠) الروضتين

عربا وطلبوا النجاة وأخذتهم السيوف فتركوا أخياهم واثقالهم بحملها وأكثرت في الدين فيهم القتل والاسر وحصل على جميع ما تركوه فلما أصبح جمع الأسرى من ومن عليهم باموالهم وكراهم وسرحهم الى بلادهم قال وقيل ان الخبر بهذه الكسرة وصل الى السلطان في اليوم الذي كسره في السلطان الفرنج على مرج عيون فتوافت البشارتان الى البلاد قال وقدم مدح ابن التعاويذي السلطان الملك الناصر بقصيدة أنفذها اليه من بغداد يذكر فيها واقعة مرج عيون بقول فيها

كاد الا عادي ان يصيبك كيدها \* لولم تكدك برأيها المأفون  
تخفى عداوتها وراء بساشة \* قدشف عن نظرها مشفون  
دفنت حبائل مكرها فردتها \* تدري بغيظ صدورها المدفون  
وعلمت ما أخفوا كأن قلوبهم \* أفضت اليك بسرها المخزون  
كنواوكم لك من كين سعادة \* في الغيب تظهر من وراء كين  
فهوت نجوم سعدهم وقضى لهم \* بالنخس طائرهم بمرح عيون  
قلت هكنا أنشدته وهو حسن وقد كسسته في نسخة من ديوان ابن التعاويذي فوجدت آخر هذا البيت (طائر جديك الميمون) وأول هذه القصيدة

ان كان دينك في الصبا بديني \* فقف المطى برملتي بيري

ثم قال بعد تمام الغزل

ليت الضنين على المحب بوصله \* لقن السماحة من صلاح الدين  
ملك اذا عقلت يدنما مـ \* عقلت بحبل في الحفاظ ممتين  
فاد الجياد معاقلا وان اكنتي \* بمعاقل من رأيه وحصون  
سهرت جفون عدا خيفة ماجد \* خلقت صوارمه بغير جفون  
لوان ليلث الهـ زرسنا لم \* يلخا الى غاب له وعـرين  
أخنت دمشق وقد حلت بجوها \* مأوى الطريد وموئل المسكين  
لك عفة في قدرة وتواضع \* في عزرة وشراة في لين  
وأرنتنا بحبل صنعك ماروى الـ راوون عن أم خلت وقرور  
وضمنت ان يحيي لسا ايامهم \* بالمكرات فكنت خير ضمن

قال ابن أبي طي نزل السلطان على تل القاصي بانياس على المرج الذي يعرف مرج عيون وأنشد في ثاني المحرم قطعة من عسكره مع عز الدين فرخنده لسن الغارة على بلاد الفرنج لما أصبح ركب يستوقف اخبار فرخنده فاشاءوا الا ان خرج من الخنم حتى رأى اغنام بانياس قد أقبلت من المراعي هاجرة على وجوهها من الغياض والاودية فقال هذه غارة فأمر بلبس السلاح والاستعداد للحرب فوصل بعض الرعا فأخبر ان الفرنج قد عبروا واصر واقر بياضه على هيئة المتقلبة فسار حتى أشرف على الفرنج فاذا هم في ألف مرح فأخذتهم السيوف والدايـس حتى فرشت الارض منهمم والقي جماعة منهم سلاحهم وسلموا أنفسهم اسارى وبجاء ملك الفرنج هنفرى هاربا ويقال انه وقع به فرسه فحمله أحد خيالاته على ظهره ثم رجع السلطان الى معسكره وسيفه يقطر دما وجلس لاستعراض الاسارى وذكر نحوه ما سبق وفي كتاب المناضل الى صاحب له بمكة وقد سبق بعضه قال (وجرت نوب منها قتل الهنفرى لعنه الله وتمايم سبعين فارسا من كبار الخيالة وطرح ملك الفرنج من على ظهر رابته وتمايمه بآخر مرق مع بقية من نجاة من خيالاته ومنها نوبة وادى الحريق وقد جمع الله العدة وقارسه وراجله ومنها نصر الله الذي ما كن قبله ملك من ملوك الارض قتل ابن بارزان ومقدم الداوية وابن صاحب طبرية وأخواسقف صور وصاحب جبيل وأصحاب الحصون والقلاع ومقطعو الاقاليم والضيايع وحصل تحت اليد الناصرية أعلاها الله مائة وسون كاهم ثني عليهم الخناصر وقطر بهم العساكر ومنها دخول العساكر الى عـل بيروت وصور وغارتها على غرة من أهلها وقطع كل شجرة مثمرة من أصلها قال

## في اخبار (١١) الدولتين

وكانت الاساطيل المنصورة قد تضاعفت عدتها الى أن بلغت ستين سفينة وعشرين طريفة فسارت الشواني خاصة فدخلت البلاد الرومية ودوّخت السواحل الفرنجية وأسرت ألف عبيد أحضرهم اميرى في قيد الاسار وقتلت الرفاق الكبار وغنمت من هذه الغزوة أموال كانت أعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار

**(فصل ١٠)** في تخريب حصن بيت الاخران وذلك في شهر ربيع الاول قال العماد جمع السلطان جموعا كثيرة من الخيالة والرجال فوصل الى المحاصرة يوم السبت التاسع عشر الشهر والحصن مبنى منى دونها من الغرب تخيم منها بالقرب وضاق ذلك المرجع عن العسكر واحتاج الى نصب ستائر لاجل المنجنيقات فركب السلطان بكرة الا حد الى ضياع صفد وكانت قلعة صفد يومئذ للدوايه وهو عشر البليه وأمر بقطع كرومها وحمل أخشابها فأخذ كل ما احتاج اليه ورجع بعد الظهر وروحفرا الى الحصن بعد العصر فأمرسى المساء الا وهم قد استولوا على الباشورة وانتقلوا بكايتهم اليها وباتوا طول الليل يحرسون وخافوا ان يقع الفرنج الابداب ويغيروا عليهم على غرة واذا بالفرنج قد أوقفوا خلف كل باب نارا ليأمنهم من المسلمين اغترارا فاطمأن المسلمون وقالوا ما بقى الا نقب السبرج ففرقه السلطان على الامراء فأخذ فرخشا الجانب القبلى وأخذ السلطان الجانب الشمالى وقصد ناصر الدين بن شيركوه بقريندقبا وكذلك تقى الدين وكل كبير فى الدولة جعل له قسما وكان البرج محكم البناء فصعب نقبه لكس ما انقضى يوم الاحد الا وقد تم نقب السلطان وعلق وحشى بالحطب ليله الاثنين وحرق وكان النقب فى طول ثلاثين ذراعا فى عرض ثلث اذرع وكان عرض السور تسع اذرع فمات ثريدك فاحتاج السلطان صبيحة يوم الاثنين الى اطفاء النيران لئيم نغمة وقال من جاء بقرينة ماء فله دينار قال العماد فرأيت الناس للقرب حاملين ولاوعية الماء ناهلين حتى اغرقوا تلك الثقوب فحصدت فعاد نقاها وقد بردت فخرقوه وحقوه وفتحوه وفتحوه وسقوا حجارة وقلعوه ثم حشود وعلقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثاء والاربعاء ثم أحرقوه واشتد الحرق عليه لان الحبر أتاهم بان الفرنج قد اجتمعوا بنهرية فى جمع كثير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الاول وتعالى الله ما انقض الجدار وتباشرت الابرار وكان الفرنج قد اجتمعوا وراء ذلك الواقع خطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فردت النار عليهم وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وطلبوا الامان فلما جدت النيران دخل الناس وقتلوا وأسروا وغنوا مائة ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الاسلحة وشيئا كثيرا من الاقوات وغيرها وجرى بالاسارى الى السلطان فى كثر من مر تدأورا ما ضربت عقه وأكثر من أسرقته فى الطريق الغزاة المأخوذة وكان عدة الاسارى نحو سبعمائة وخلص من الاسرى أكثر من مائة مائة لم يسيروا بالاسارى الى دمشق وأقام السلطان فى منزله حتى هددوا الحصن الى الاساس وطم جيب ماء معين كذا حفر وفي وسطه ورمى فيه القتلى وكان عددا السلطان رسول القمص معافى وهو يشاهد بلبه أهل ملته وقد كان السلطان بدل لهم فى هدمه ستين ألف دينار فلم يفعلوا فزادهم حتى بلغ مائة ألف فأبوا وكان مدة المقيم على الحصن فى أيام فتحه وبعدها أربعة عشر يوما وبعد ذلك سار السلطان الى اعمال طبرية وصور وبيروت وغيرها فأغار عليها وأرجف تلويهم بوصوله اليها ورجع السلطان الى دمشق يوم الاربعاء ومرض جماعة من ذلك الوباء لان المركان شديد او أنتنت جيف القتلى وذل السلطان المقام عليه بعد فتحه لاجل تقيم هدمه فتوفى أكثر من عشرة أمرا وعاد المشهد اليعقوبى كما كان مزورا وبكبير المسلمين وصلاتهم معمورا وهنأ الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فى ذلك ما أنشده نشوا الدولة أجدن نقادة الدمشقي من جملة مدائحهم

هلاك الفرنج انا عاجلا \* وقد انكسر صلبانها

ولولم يكن قد دنا حنقها \* لما عسرت ربت اخزانها

ولابى الحس على بن محمد بن رسم الساعاى الخراسانى ثم الدمشقي من قصيدة أولها

يعدك اعضاء القنات عطف \* وطرف الاعادى دون مجدك بطرف

شهاب هدى فى ظلمة الشك ثاقب \* وسيف هدى فى طاعة الله مرهف

وقنت على حصن المخاض وانه \* لموقف حقيق لا يوازيه موقف

فلم يدوجه الارض بل حال دونه \* رجال كآساد الشرى وهى ترجف



## كتاب (١٢) الروضتين

وجرداء سلهوب ودرع مضاعف \* وأبيض هندي ولدن مقف  
ومار جعت اعلامك الصفرساعة \* الى ان غدت بكادها السود ترجف  
كبا من أعاليه صليب ويعة \* وساد به دين حفيف ومصحف  
صلية عباد الصليب ومنزل النزال لقد غادرته وهو صفف  
أيسكن أوطان النبين عصبه \* تمين لدى ايمانها وهي تحلف  
نصحتكم والدين في النصيح واجب \* دروايت يعقوب فقد جاء يوسف

ومن قصيدة لسعادة الصرير الحمصي

حلت فكنت الاملى المسددا \* وسرت فكنت الشمري المؤيدا  
وقت باعبياء الممالا، بادضا \* فأقعدت اعداء ولم تخش مقعدا  
تعودت ضرب السيف والطعن بالقنا \* وكل امرء مغري بما قد دعوا  
نصرت الهدي لما تناذل خربه \* فماد الخرب الله يا ناصر الهدي  
غصبت لدين أنت حقاص لاجه \* فارصيت لما ان غصبت شجدا  
فيا يوسف الحدير الذي في عينه \* من الحير ما قد غار فينا وأنجدا  
وصلت لدى سلم وصلت لدى وغي \* ففهمت جميع الناس بالبأس والندی  
وقدت الى الاعداء جيشا عرمرما \* اذا أترقت فيه الصوارم أوعدا  
فلم تبق للظغيان شمل لاجعها \* ولم تبق للايمان سلا مبددا  
فناهيك من جيش نهضت بعينه \* فأقعدت لما ان نهضت به العدي  
حلت ذبالا في ذواب سمره \* فلما حيل ليل العجاج توقدا  
وزرن به الحص الذي لو قصدت \* فوارسه بانجم أوردته الردي  
قصمت به صلب الصليب ورعته \* وشمدته لما غفا فشمدها  
هبت اليه هبة يوسفية \* تعيده هباء كل ما كان جمدا  
وفض بما قد فضه من سهامه \* نواحد غرا منه مري وقددا

قال ومنهم الامير نجم الدين محمد بن الحسن بن بهار العراقي من أشهل الحلة المزبانية وكان حاضرا في نوبة ابن بارزان له  
من قصيدة أولها

هنيئا صلاح الدين بالفتح والامر \* ونيل الاماني الغر الغر العنكة البكر  
وما خرت فيها من خمار ومن علا \* وحسن ثناي في آخر الدهر  
سموت لها بالمشرفية والقنا \* سموأبي لا ينال عـلى وزر  
وصلت بها حبل المنابر مملا \* قطعت بها يوم الوعى دابر الكهر  
سلكت بياض الصبح وهو صوارم \* وخضت سواد الليل وهو دم يجرى  
وقد عرف الافرنج بأسن في الوعى \* وحرعتم منه أمر من الصبر  
وظنوا بساء الحصص صونا للملكهم \* فأصبح بالسعواء منهمك الستر  
فما قبضت منهم يد الغدر قطعت \* أناملها الاعلى صفقة الحسر  
هي الفتكة الغراء لازلت فائما \* بادنا لها في الدين في السر والجهر  
وأصبح في أقصى خراسان ذكرها \* وفي كل قلب منه جيش من الدعر  
فلا ترض منهم بعدها بدل طاعة \* فما خلقوا الاعلى شعبة الغدر  
فسروا ملك الارض التي لو تركتها \* لا غضت عيون المجد منها على أمر  
فيما آل أيوب حويتم مناقبا \* باخضها نعا وعلى الانجم الزهر

## في أخبار (١٣) الدولتين

اذاع أرباب الفخار فأنتم \* ذوو الفعلات الغر والنائل الغمر  
وأنت الذي أصبحت بالبأس والتقى \* وبذل الله على السنا عطر الذكر

من كتاب فاضلي الى بغداد في وصف الحصن (وقد عرض حائطه الى ان زاد على عشر أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها من سبع أذرع الى ما فوقها وما دونها وعدتم ازيد على عشرين ألف حجر لا يستقر الحجر في مكانه ولا يستعمل في بنيانه الا بربعة دنانير فما فوقها وفيما بين الحائطين حشور من الحجارة الدم المرغم بها أنوف الجبال الشم وقد جعلت سقمية بالكس الذي اذا حاطت قبضته بالحجر ما زجه بمنزل جسمه وصاحبه باوئق وأصلب من جرمه وأوعز الى خصمه من الحديد بان لا يتعرض لهدمه) ومنه في وصف النار قال (وبات الناس في ليلة الجمعة مطيعين بالحصن والنار به مطيعة وعليه مشتملة وعدبات السنتها على تاجه مسدلة ومن خلفه مسدلة ونارهم قد اطفأها الله بتلك النار الواقده ومنعتهم قد أذهب الله بتلك الاربعة الساجده وبنعسج الظماء قد استحال جلمنارا والشفق قد عم اليه فلم يمتص أصالا ولا امحارا ونفحاتها حميمة وقودها الناس والحجارة والمنادى ينادى بلسان مصابها اياك أعني فاسمعي يا جاره فوجلت النار والجميع يقيق منها الكمر ويجزع عنها الابري ونقلت النبأ من العين الى الاثر وقال الكفر انها لا حدى اليك كبير وخولف الممل ان السعادة لتلحظ الخجر وأغنى ضوءها لسان كل أمتة ان يسأل هذا وهذا ما الخبر وقد فت بسر كالجالات الصفر ورفرت بغيظ تعمر له خدود الجبال الصعر وتحققها بالكسب العفر وبات الليل والهاري نله وكلما أعمدته الجود جعل الوقود يله الى ان بدا الصباح ككأنه منها امتار الانوار وانشق السرق ومن عصرها صبح الارار فيئذ تقدم الخادم فاقبلع سده الاحجار من أسها ومخاروف البنيان من طرسها وتبعه الجيش وراقه وكافة من اسفل عليه نطاقه) وفي كتاب آخر (وكان مني على بل وفيه صهر يحلما في المصنوع الحصن روافيه ما ياهر ألى قتيل ودابة محرقة بالنار فاستدت عرضته ولا ملأت حمرته وكان فيه نحو الف زردية والمائة ثمانون فارسا بعلم انهم وحسه عشر مائة للرجال مع كل مقدم حشون رجلا هذا الى الصنائع بابس باء ومعمار وحداد ونجار وصيقل وسيوف وصنائع أنواع الاسلحة وكان به من أسرى المسلمين ما يزيد على مائة رجل نزع القمود من أرجلهم وجعلت في أرجل الفرنج وكانت فيه أقوات لعدة سنين وأنواع اللحوم الطيبة والخبيثة فيها بلاغ ومتاع الى حين ولما قوتل أول يوم هجم حوشه وفيه جماعة من المقاتلة فضربت رفاهم وأحدث دواهم وفي الحال علقت النقب على خمس جهات وحشيت بالنيران وتأخر وقوع الجدران لفرط عرض البنيان ولم ترل النار توقد ثم فخرح ثم تشعل ثم تمحمد الى ان تمكنت النقب وحشيت بالاحطاب وأطلقت فيها النيران في يوم الخميس فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت الارصة فمضى يومئذ واهية وملاك المسلمون الحصن بما فيه ومن فيه واشتملت النيران في أرجائه ولواحيه وكان اذا غيه مقدم الحصن شاهد ما حل بنيانه وسائر من البلاء بصحابه وأعوانه ولما وصلت النار الى جهته ألقى نفسه في النار صابرا على حرها ففي الحال نقلته ههنا الى تلك النار ولما أخذ أسارى الفرنج وهم عدة تزيد على ستمائة بعد المقبولين وما يفصر عدتهم عن مدلهما توفرت المهمة على هدم هذا الحصن وتعميره أثره وازالة ضرره فالحقت أعاليه بقواعده وصار أثر بعد عين في مساهدة عين هذا والفرنج محتمون في طهرية يشاهدون الامر عيانا وينفرون الى الحصن وقدموا على نيرانا وارتفع دخانها وسارت العساكر الى اعال صيدا وبيروت وصور فأنشبت مغيرة فاستنارت كل غامضه ووصلت الى كل ذخيرة وصارت بلاد الفرنج لا يسكن فيها الا قلعة أو مدينة ولا يقيم فيها الامر نقه لشد الخوف معقل في نفسه أو مشحونه) ومن كتاب آخر فاضلي عن السلطان الى وزير بغداد (تأخر فلان لضرورات منها أمر اض كانت قد عمت بها البلوى وكثرت بها الشكوى وكان أكثرها خاصا بالعائدين من العساكر من نوبة فتح الحصن وكان خادما المجلس السامي ابن أخيه تقي الدين وابن عمه ناصر الدين قد جدها وأثننا وبلغ حد الأس وامحنا وكذا يسبقه ان من ضمير المتني فن الله تعالى بالشفا وهذه البشرى بفتح الحصن وان كانت شريرة مواضعها عامة منافعها فعدت تجددت بعد هابسارة طاعت بشارقة راقه وجاءت في مكان الرديف لاخرى لا فرق بينهما الا ان تلك سابقة وهذه لاحقة وذلك ان الاسطول المصري غرازوثة ثانية غير الاولى وتوجهه عن السواح الاسلامية مرة أخرى من الله فيها مائة أخرى وكانت عدته في هذه السنة قد أضعفت وقوت واستفرغت فيها عزا

## كتاب (١٤) الروضتين

الجهاد واستقصيت واحتلت به الرجال الذين يعملون في البحر ويفتكون في البر ومن هو معروف من المغاربة بغزو بلاد الكفر فسارت على سوارهي كائن الانها تمرق مروق السهام وروا كدهى مداثن الانها تمر السحاب غير الجهام فلا أعجب منها تسمى غربا وتشر من ضلوعها أجنحة الحمام وتسمى جوارى وكلم بشر مجريها من النصر بغلام فطرقت في الاحد حادى عشر جمادى الاولى مينا عكا وهي قسطنطينية انفرنج ودار كفرهم أبدها الله من الكفر اسالما وخاع عنها الشرك البالى وخلع عليها من التوحيد اعلاما وكانت مفرسة فاصبحت مقترسه وباتت جميع الفرنج محترسه وغدت مترسه فهاهى الان حذفت والجة على المينا وفيه المراكب والبضائع فاستولت على عذة من المراكب تحطيمها وتكسيرا ونضا حيا قتل ولو كان ثبيرا واخلت ساحل انفرنج بقتالها وباشت مثمل الماء بنزولها ونزالها وهذا الم بعهد من الاسطول الاسلامى مثله فى سالف الدهر لافى حالة قوة اسلام ولا ضعف كفر وما سبيله ان تطرزا السير الكربة بفخره كما طرزا الله الصخيفة السريعة باجرة وقتل على قلعة عكا ثلاثة نفر بألم السهام أبعد ما كانوا وقوا عنها وآمن ما كانوا منها فصر عتهم الايدى والافواه وخروا ساجدا على الجباه سجودا لا يرفعون منه الرأس ولا ينتقلون منه الى حالة الجلوس ولا يرفع فيما يرفع لهم من عمل ولا لهم فيه من قبلة ولا لهم به من قبل وأقامت المراكب يومين تقابلها وتقاتلها وتناضلها

(فصل) في باقى حوائج هذه السنة منها حجة الفاضل الثمانه ووفاء الخليفة المستضى بالله وغير ذلك قال العماد وفي العشر الاخير من شوال سنة خمس وسبعين خرج الفاضل من دمشق الى الحج ثم عاد الى مصر من مكة قلت وفتت على نسخة كتاب الفاضل الى الصفي بن القابض نصف له مالى فى طريقته الى مصر وركوب البحر وكانت جماله ذهبت بمكة فى خمس عشر ذى الحجة فقال (خرجنا من مكة شرفها الله يوم الخامس والعشرين من ذى الحجة وفى هذه الايام زاد تبسط المعسدين واسراف المسرفين وظهر من هوان أمير الحاج العراقى ومن ضعف نفقه وانخفاض جناحه ما أطمع المفسد وأخاف المتسلخ ووصلنا الى جدة يوم الاحد السابع والعشرين من ذى الحجة وركبنا البحر فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه وبنا فيه ليلتى الاربعاء والخميس وروا الى جزرته بالقرب من بلاد اليمن تسمى دباب وكانت احدى الليلتين فى البحر من لىالى البلاء وبالله أقسم لقد شاب بعض رؤس أصحابنا فى تلك الليلة واسوام الانفس وغنما معاجلة الامر وتقصير العذاب وظنوا انهم أحيط بهم وتبوا أنفسهم ثم احتجوا عليهم بالاقدار التى لا حيلة فيها وصبرنا الى ان قرع الله سبحانه ووزلنا البرية حيث لاماء شرب ولا جل يركب وانفذنا الى الجحاة النازلى على ساحل البحر با حضرة واجمالا ضعيفة أجرتها أكثر من ثمنها وثنى ما تجل فركبناها ووصلنا الى عيذاب بعد عشرة أيام وتدهلكنا ضعفا وتعبا وجوعا وعطشا لان الخلق كانوا كثيرا والرادسيرا وركبنا البرية من عيذاب الى اسوان فكانت أسقى من كل طريق سلكا غاما ومن كل مسافة قطعناها لانا وررنا الماء فى احدى عشرة ذليلة مرتين وكانت الهمة فاصرة فى المزار فكانت البلوى عظيمة فى العطش فاما الحزون والوعور فهى تزيد على ما فى برية الشام بكونها طريقا بين جبائس كالدرج المتضائق والزقاق المتقارب وحر الشمس شديد وقرب الوعد بينهما بعيد ولطف الله الى ان وصلنا مصر فى السبع عشر من صفر قلت وللوجيه بن الذرورى فى الفاضل

للك الله اما حجة أو وفادة \* فى مشهد يرضى الاله وموسم  
نرى تارة بين الصوارم والقنا \* وطورا ترى بين الحطيم وزمزم  
وكذلك يا عبد الرحيم مآثر \* لها فى سماء النحر اشراق النجم  
كانك لم تخلق لغير عبادة \* واطهار فضل فى الورى وتكرم

قال العماد وفى هذه السنة طهر الملك العزيز أبو الفتح عثمان عماد الدين ابن السلطان وكان أحب أولاده اليه وهو الذى قام بتدبير الملك بعده وولد بمصر ثامن جمادى الاولى سنة سبع وستين وخمسة مائة كسابق ذكره وكان السلطان لما قدم الشام زاد شوقه اليه فاستقدمه فقدم عليه عاشر رجب سنة احدى وسبعين وأنشد العماد السلطان عند قدمه قصيدة منها

## في اخبار (١٥) الدلتين

يأسد ايجي عرين العلي \* هنتت جمع الشمل بالشبل  
عثمان ذى النورين بين الورى \* من سود سام ومن فضل  
يحكيك اقدامو بأسا فدا \* أشبه هذا الفرع بالاصل  
مخائل الرشدة على بشره \* شاهدة بالفضل والنبل  
ملك قضى الله له انه \* على ملوك الارض يستعلي  
بالمك الناصر سلطاننا \* طالت يد الاحسان والعدل

ثم لم يفار فنه واستصحبه الى مصر في سنة اثنتين وسبعين ثم عاد به معه الى الشام في شوال سنة ثلاث وسبعين واتخذ له معلما من مصر وهو نجم الدين يوسف بن الحسين المجاور فحصل من محبة رزقا واسعا لاسيما في عام الظهور فانه عم فيه السرور والخبور وكان متولى الانفاق في الظهور وص في الدين بن القبايض لانه كان متولى الخزنة والديوان والاعمال بدمشق قال وجي يعني ابن القبايض سنة أربع وسبعين وفيها حج الفاضل من مصر يعني حجة الاولى وعاد الى الشام ومعه ابن القبايض قلت فلما رجع جاءه في حجة الفاضل الاولى الى الشام ثم انفرد الفاضل بالحلج ثانيا من العام المقبل وهو سنة خمس وسبعين وتم له في رجوعه ماتم كاتبه بالكباب الذي سبق ذكره يصف له مالتى في رجوعه وكانت حجة الفاضل الاولى من مصر ورجع الى الشام وكانت السانية من الشام ورجع الى مصر وفي هذه السنة توفي الملك المنصور حسن ابن السلطان صلاح الدين وتبره القبر القبلى من القبور الاربعة بالقبة التي فيها ساهن شاه بن أيوب بالمقبرة النجمية بالعونية ظاهر دمشق قال العماد وفيها خرجوا الى بعلبك لتسليمها الى عز الدين فرخ شاه فساد كواطريق الرواديف وهى طريق شافة وفيها أغار عر الدين على صفد ثامن عشر ذى القعدة وكان قد جمع لهم من رجال بانباس وما حولها ورجع غاما سالما قال وفي مسهل ذى القعدة وبانيه توفي ببغداد الخليفة الامام المستضى بالله أمير المؤمنين واستخلف ولده الناصر لدين الله أبو العباس أحمد وكان رسول السلطان صياء الدين الشهرزورى حاضر الحضر وبايع وأخبر بجلية الحال فبادر السلطان الى الخطبة له في جميع البلاد ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل من بغداد رسولا الى بلوان وألزمه حتى خطب بهمدان وأصفهان وعت الدعوة المهادني في جميع بلاد خراسان ثم ما رجع شيخ الشيوخ جاءه الينار سولا في سنة ست وسبعين وأخذه السلطان معه الى مصر وجن منها وركب البحر كما سيأتى ذكره وللعماد في مدح الامام الناصر قصائد منها قصيدة بائمة مدحه بها سنة فتح القدس وسيأتى منها ابيات عند ذكر فتحه ومنها

الدهر ينصرى مادام ينسبني \* لخدمة الناصر المنصور نساب  
بطاعة الناصر بن المستضى \* أبى السعاس أحمد للايام اصحاب

وبال محمد بن القمادسي في تدليل تاريخ أبي الفرج بن الجوزي مولد المستضى ثالث عشر شعبان من سنة ست وثلاثين وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وواحد عشر يوما نوبع تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وكان كرميا رحوما بارا بالرياسة يعفو عن الجرائم الكبار عاد لا ظهر يوم مبايعته من رد المظالم والاملاك المقبوضة والافراح عن المسجونين واسقاط الضرائب والمكوس ماشاع واشتهر قال وتقدم الى شيخ الشيوخ عبد الرحيم والى عبد الرحمن بن الجوزي فصايا عليه ثم بايع الناصر أخوه الأمير أئوم صورها ثم بنوا عمامه وخواصه ثم الولاية وأرباب المنصاحب والاعيان والوافدون للبحر من بلاد خراسان وغيرهم وكان والده المستضى قد عهد اليه قبل وفاته بيوم واحد قلت كذا نقلته من خطه ولعله أراد باسبوع واحد فسبق به قلبه فان ابن الديبشي ذكر انه خطب للناصر بولاية العهد يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال ثم قال ابن القادسي وفي سابع ذى القعدة قبض على صاحب الخزن ظهير الدين أبي بكر بن العطار ووكل به وتبع أصحابه ومن يتعلق به وقتل النقيب مسعود الذي كان بين يديه وكان أحد الاعوان بباب النوى قد نزع الرحمة من قلبه فقطع قطعاً وشدت في رجله جيل وسحبته العامة في الدروب ثم أحرقه بعد ذلك قال وفي حادى عشره حمل ابن العطار ميتا وعلمه العامة فربجوا تابوته بالآجر فألقاه الجمالون وهربوا فأخذوه العامة وشدت وفي رجله شريدنا وصحب في جميع بغداد ومنافذها ودروبها ومحالها

## كتاب (١٦) الروضتين

وقطع لجه قطعا قال وتوجه شيخ الشيوخ أبو القاسم عبد الرحيم الى البهلوان بن ايلدكش شحنة هذان لاجل الخطبة فتوقف عن ذلك فهاجت العامة عليه ووثب أهل المذكور وخطبوا وجاء كتاب شيخ السيوح الى الديوان سطرها فلان والحال في الجنوح كقصه نوح من قرأ السورة عرف الصورة قال وفي هذه السنة استد الغلاء وكثر الوباء بغداد وغيرهما من البلاد وذكرا ن رجلا بواسط ذبح بنتاله وأكلها وآخر بقر بطن صبي وأخذ كبده وسواها وأكلها قال وفي رابع عشر ربيع الآخر زلزلت الارض بعد العتمة فوق بلاد اربل فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال فتصادمت ووقع منها الخسارة وسقطت قلاع كثيرة وهلكت قرى من فيها وكان يكون بين الجبل والجبل عشرون ذراعا فقد هما الزلزلة في متصا دمان ويعودان الى مكانهما قال ابن أبي طي وفيها أحرقت الاسماعيلية أسواق حلب وافترأ أهلها بذلك وكانت احدى الجوائح التي أصابت حلب وأهلها قال وفيها خرج قراقوش الثقوي الى طرابلس المغرب ففتح بلاد اوصلى حروبا مع ابراهيم السلطان الذي دخل بلاد المغرب أيضا من أصحاب تقي الدين لان نفسه أطعمته ان يفعل فعل قراقوش في تلك البلاد ثم أصح بينهما

ثم دخلت سنة ست وسبعين (١٢٦٦) وفيها توفي الخافض أبو طاهر السلفي رحمه الله بالاسكندرية وقد زرت قبره بها داخل الباب الاخضر قال العماد وفيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وتوجه الى بلاد الروم فاصلى بين نور محمد بن قرا ارسلان بن داود بن أرثقي صاحب حصن كيفا وبين زوج ابنته السلطان عز الدين قلمج ارسلان بن مسعود بن فلمج ارسلان واجتمعوا على نهر يقال له كوك سو وكثرت ثم الهدايا والدعوات والافراح والتهبات وفيها دخل السلطان بلاد الارمن لقمع ملكهم ابن لاون لانه كان استمال قوما من التتر كان حتى برعوا في مراعى بلاد بالامان ثم صبحهم بغدره وحصلوا باسهم في أسره فدخل السلطان بلاده وأذل أعوانه وأجذاه ونصر الله المسلمين بالرعب باحرق من الخوف قلعه شامخة تعرف بالمناقير وبأدرا المسجونين الى اخراج ما فيها من الآلات والغلات وتقووا بها ونعموا هدمها الى الاساس قال ابن أبي طي ووجد المسلمون في أرضها صهر يجامعوا آلات نحاس وفضة وذهب لها من طول قال وبذل للسلطان جملة من المال وانه يطلق من عنده من الاسارى فلم يررض السلطان بما بدله فزاد في المال وانه يشتري خمسة مائة أسير من بلاد الفرنج ويعتقهم فأجاب السلطان وأخدمهم رغبة على ذلك قال العماد وأدعى الارمنى ودل وأطلق ما بيده من الاسارى ورجع السلطان مؤيدا منصورا ووصل الى حماه في أواخر جمادى الآخرة وكان الجلال الواسطي أبو غالب محمد بن سلطان بن الخطاب المقرئ شاهد هذه الغزاة فنظم قصيدة في السلطان منها

لقد جعل الله منك الورى \* بأوفى مليك وفي هيجان  
تمش الى نعمات السيو \* في الهام لانعمات القيان  
أزرت ابن لاون لأواءه \* فاضحى به خبرا عن عيان  
ودان من الدل لا يرعى \* حذارا من الراعات اللدان  
فلا قدم عنده للثبا \* ت وليس له بسدا كمدان  
وأخلى اليكم مناقيره \* وعادرا لهدم تلك المياني  
وأرسل بالاسراء اعنا \* عيسأل اطلاقه فهو عاني  
رتقت بعز زمك والمكرما \* ت فوفا من الارتقي الهيمان  
ورعت ابن سلجوق في ملكه \* ففجع من رعبه بالشنان

قال ولما وصل السلطان الى حصن وخيم بالعاصي أتاه النقيب مهذب الدين عبيد الله بن أسعد الموصلى وأنشده وله في السلطان مدائح منها قصيدة غراء مطلعها

أما وجه فونك المرضي الصحاح \* وسكرة مقلتيك وأنت صاحي  
لقد أصبحت في العشاق فردا \* كما أصبحت فردا في الملاح  
يمز الغصن فوق نقي ويرنو \* بمحذ ظبي وييسم عن افاح  
وقد غرس الفضيب على كنيب \* فأنمر بالظلام وبالاصباح

## في أخبار (١٧) الدولتين

ومال مع الوشاة ولا يجيب \* لغص ان يميل مع الرياح  
 قطعنا الليل في عتب وشكوى \* الى ان قيل حتى على للفلاح  
 ولاح الصبح يحكي في سناه \* صلاح الدين يوسف ذا الصلاح  
 ولما ضاق حـد عن مداه \* لفينا به بأمال فساح  
 فنهرم وكعب وابن سعدي \* رعاء الشاء والنعم المراح  
 جواد بالبلاد وما حوته \* اذا جادوا بالبيان اللقاح  
 ليفد حياء وجهك كل وجه \* اداسئل الندى جهم وفاح  
 ملوك جلهم مغرى بظلم \* ومشغول بلهواً ومزاح  
 اذا ما جالت الابطال ولي \* ويقدم نحو حائلة الوشاح  
 ويون بين مالك بيت مال \* ومالك رق املاك النواحي  
 هم جمعوا وقد فرقت لـكن \* جمعت به الرجال مع السلاح  
 وما خضع الفرنج لـديك حتى \* رأوا ما لا يطاق من المكفاح  
 وما سألك عقد الصلح ودا \* ولكن خوف معاملة رداح  
 ملات بلادهم سهـلاً وحزنا \* أسودا تحت غابات الرماح

وقال ابن شداد لما عاد السلطان بعد الكسرة يعني كسرة الرملة الى الديار المصرية وأقام بهار ثم انما الناس شعهم  
 وعلم تخبط الشام عزم على العود اليه وكان عوداً للغزاة فوصله رسل قليج ارسلان يلتمسون منه الموافقة ويستغيث اليه  
 من الارمن فاحتمل نحو بلاد ابن لاون لنصرة قليج ارسلان عليه ونزل بقر احصار وأخذ عسكر حلب في خدمته لانه  
 كان قد اشترط في الصلح ذلك واجتمعوا على نهر الازرق بين بهسني وحص منصور وعبر منه الى النهر الاسود طرف  
 فلادابن لاون فأخدمهم حصنا وأخر به وبذلوا له أسارى والتسوا منه الصلح وعاد عنهم ثم راسله قليج ارسلان في صلح  
 الشرقيين بأسرهم واستقر الصلح في عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين ودخل في الصلح قليج ارسلان والمواصلة  
 واهل ديار بكر وكان ذلك على نهر شيخه وهو نهر يري الى الفرات وسار السلطان نحو دمشق

**(فصل ١٨)** في وفاة صاحب الموصل قال العماد في أوائل هذه السنة توفي صاحب الموصل سيف الدين غازي بن  
 مودود بن زكي صاحب الموصل والسلطان مخيم على كركس ومن حدود بلاد الروم وجلس مكانه أخوه عز الدين مسعود  
 ابن مودود وجاء رسول مجاهد الدين فإيمار وهو الشيخ الفقيه فخر الدين أبو شجاع ابن الدهان البغدادى الى السلطان  
 وطلب منه ان يكون معه كما كان مع أخيه من ابقاء سر وج والرها والرفقة وحران والخابور ونصيبين في يده فلم يفعل  
 السلطان وقد كانت له باطلاق الخليفة وأما جعله في يد سيف الدين غازي بالشفاعة على شرط أنه يقوى السلطان  
 بالعساكر فلما مات سيف الدين كتب السلطان الى الخليفة الناصر يعلم بذلك وان هذه البلاد لم تزل تتقوى بها  
 ثغور الشام فقوضت اليه على ما أراد وكان الكتاب الى صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ من انشاء العماد وفيه (قد  
 عرف اختصاصنا من الطاعة والعبودية للدار العزيزة النبوية بالمختص به أحد وامتدت اليه من اقامة الدعوة  
 الهادية بمصر واليمن والمغرب بالميتة اليه يد وأرسلنا من الافاليم الثلاثة أدعيا وخلفناهم للردا حيث دعوا  
 بلسان الغواية خلفا ولا حفاء ان مصر اقليم عظيم وبلد كريم يعتم مائتين وخمسين سنة مصيه وعانت كل هضيه  
 وعانيت كل عظيم حتى أنقذها الله عز وجل بنا من عبيد بنى عبيد وأطلقها بمطلقات أعنتنا اليها من عناء  
 كل قيد وفيها شيعه القوم وهم غير مأوى الشر الى اليوم وطوائف أفاليم الروم والفرنج من البر والبحر بهام طميفة  
 فنحدها ان يتوفر عسكرها فلو حصل والعياذ بالله بها فتق لا عضل رتقه واتسع على الرافع خرقة واحتجنا  
 في حفظ بلاد الشام وثغور الاسلام الى استحباب العسكر المصرى اليها وله مدة خمس سنين في بيكارها منتقاه من  
 كفارها متحملا لمشاقها على غلاء اسعارها وانما أوحى الى ذلك ان بلاد هذا الثغر قد اقطعت عنه وعساكرها  
 اخذت منه وكانت في تولى نور الدين رحمه الله ثم ذكرها كما سبق فقوضت اليه كما سيأتى وقال ابن الاثير توفي

## كتاب (١٨) الروضتين

سيف الدين يوم الاحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وكان مرضه السل وطال به فال ومن الجائبات ان الناس لما خرجوا يستسقون بالموصل سنة خمس وسبعين للغلاء الحادث في البلاد خرج سيف الدين في موكبه فزار الناس وقصدوه مستغيثين به وطلبوا منه ان يأمر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين وخرى ابراهيم ونهبوها وأراقوا الخمر وكسروا الاواني وعملوا ما لا يحل فاستغاثت أبواب الدور الى نواب السلطان وخصوصا الشكوى رجلا من الصالحين يقال له أبو الفرج الدقاق ولم يكن له في الذي فعله الناس من الذنب فعل انما هو أراق الخمر ومارأى فعل العادة نهاهم فلم يسعوا منه الماسكي احضر بالقلعة وضرب على رأسه فسقطت عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الرأس فارادوا تعطيته به بعمامة فلم يفعل وقال والله لا غطيته حتى ينتقم الله من ظلمي فلم يرض غير قليل حتى توفي الدزدار المباشر لاداءه ثم تعقبه مرض سيف الدين ودام مرضه الى ان توفي وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولادته عشرين سنين وشهورا وكان من أحسن الناس صورة تام القامة ملتح الشمايل ابيض اللون مستدير الخية متوسط البدن بين السمين والدقيق وكان عاقلا وقورا قايلا للفتنات اذا ركب واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه نبي من الاسباب التي تنافي العفة وكان غيورا شديد الغيرة لم يترك أحد من الخدم يدخل دور نسائه اذا اكبرا ما دخل عليهم الخدم الصغار وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الاموال مع سخط فيه قال ولما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لولده معز الدين سنجر شاه تخاف من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكك بالشام وقويت شوكمته وامتنع أخوه عز الدين من الادعان والاجابة الى ذلك فأشار الامراء الكبار ومجاهد الدين فيما يماز بان يجعل الملك بعده في أخيه لما هو عليه من كبر الس والشجاعة والعمل وقوة النفس وحسن سياسة الملك وان يعطى ابيه بعض البلاد ويكون مرجعهم الى عهدهما عز الدين ليبقى لهما ذلك ففعل ذلك وحلف الناس لآخيه فلما توفي سيف الدين كان مجاهد الدين هو الممدد للدولة والنائب فيها والمرجع الى قوله ورأيه فركب الى الخدمة العزمية وعزاه وركبه الى دار المملكة راجلا فدخلها وجلس للعرء وكانت الرعية تخافه قبل ان يملك لاقدامه وحرأته وحده كانت فيه وكان لا يلتفت الى أخيه سيف الدين اذا أراد امر فلما ولي تغيرت اخلاقه وصار رفيقا بالرعية محسنا اليهم قريبا منهم قال ابن شداد وفي عاشر المحرم سنة ست وسبعين بل الملك الصالح بن نور الدين عصيان غرس الدين قلع بقل خلد فخرج اليه العسكر ثم بلغه وفاة ابن عه صاحب الموصل ثالث صفر

**فصل** في وفاة شمس الدولة بن أيوب اخي السلطان الاكبر وقدوم رسل الديوان بالتفويض الى السلطان فيما طلبه قال ابن طي كان السلطان قد أنفذ اخاه شمس الدولة الى الاسكندرية وجعل اليه ولايتها فلما حصل بهالم توافقه وكان يعتاده القولنج فهلك به ودفع بقصر الاسكندرية وكان أحد الاجواد الكرماء الافراد شجاعا باسلا عظيم الهيبة كبير النفس واسع الصدر محمدا فيه يقول ابن سعدان الحلبي من قصيدة

هو الملك ان تسمع بكبرى وقصر \* فانهم في الجود والبأس عبده  
وما حاتم ممن يماس بمناله \* فخدمنا رأينا دوع ماورينا  
ولد بذراه مسجيرا فانه \* يحيرك من جور الزمان وعدواه  
فلا تحمل للسجائب منة \* اذا غفلت جودا سجنائب جدواه  
ويرسل كفيه بما اشقى منها \* فلامن يمناه ولليسر يسراه

وقال العماد وفيها في المحرم توفي بغير الاسكندرية تورانشاه أخوه لآخ الدين ووصل الخبر بذلك الى السلطان وهو نارل بظاهر حصن فخرن عليه خزائن ايد او جعل يكبر انسابات المراثي وكان كتاب الحسانه من حفظه وكان صلاح الدين لما ملك مصر أرسله الى اليمن فأكبها ثم استناب فيها وقدم السام سنة احدى وسبعين فلما وصل تيمنا منه كتاب وفيه أبيات لشاعر ابن المنجم منها

فهل لآخي بل مالكي علم اني \* اليه وان طال التردد راجع  
واني بيوم واحد من لقائه \* ملكي على عظم المزية بائع  
ولم يبق الا دون عشرين ليلة \* وتجننى النى أبصارنا والمسامع

## في أخبار (١٩) الدولتين

لدى ملك تعنو الملوك اذا بدا \* وتخشع أعظامه وهو خاشع  
كتبت واشواق اليك ببعضها \* تعلمت النوح الحمام السواجع  
وما الملك الا راحة انت زندها \* تضم على الدنيا ونحو الاصابع

قلت وقبر تورا نشاء الان بالنزبة الحسامية بالعوية ظاهر دمشق نقلته اليها اخته ست السام بنت أيوب وبنت القبر عليه وعلى زوجها ناصر الدين محمد بن شير كوه وهو ابن عمها وعلى قبرها وقبر ابنها حسام الدين عمر بن لاچين وسيأتي ذكره واليه تنسب التربة فهي ثلاثة قبور القبي لنورا نشاء والاوسط لابن شير كوه والشامى لست السام وابنها رجبهم الله قال العماد وفيه في رجب وصلت رسل الديوان العزيز الناصرى صدر الدين شيخ الشيوخ ابو القاسم عبد الرحم ومعه مناب الدين بشير الخاص بالفويض والبقليد والتشريف الجديد تلقيناهم بالتعظيم والتعجيد وركب السلطان للتلقى وعلى صفحاته بشارت الرقى فلما ترائى له الرسل الكرام ووجب لهم الاجلال والاعظام نزل وترجل وايدى الخضوع وتوجه ل ونزل الرسل اليه وسماوعن أمير المؤمنين عليه فتقبل الفرض وقبل الارض ثم ركبوا ودخلوا المدينة قال ابن ابي طي وكانت هذه أول خلعة قدمت من الامام الناصر على الملك الناصر وكانت ثوب أطلس أسود واسع الحكم مذهب وبقار أسود مذهب وطيلسان أسود مذهب ومشدة سوداء مذهبة وطوق ونخت وسرفسار وجوان كيت من مراكب الخليفة عليه سرح أسود وسلال أسود وطوق مجوهر وقصبة ذهب وعلم أسود وعدة خيول وبقج وركب السلطان بالخلعة وزين له دمشق وكان يومًا عظيمًا قال العماد ونظر السلطان من صدر الدين بصدق صدوق وكان قد عزم على قصد الديار المصرية وسأله طريق ابلة والبريه فحسن لشيخ الشيوخ مصاحبة ورغبه بارة قبر الشافعي رضى الله عنه فقال قد عزم في هذه السنة على الحج فاصل معكم الى القاهرة بشرط اقامة يومين ولا أدخلها وانما أسكن بالتربة الشافعية واسير منها الى بحر عيذاب فعلى ادرك صوم رمضان بمكة فالترم له ذلك واعاد أضيائه ليأتوه من طريقها الى الحجاز ورجع شهاب الدين يسير في جواب رسالته ومعه رسوله ضياء الدين ابن الشهر زورى وأنشأ العماد كتابا في الجواب الى الديوان وفيه (وقد توجه الخادم الى الديار المصرية لتجديد النظر فيها ثم يستنجر الله في الحج وادائه ويعود الى مجاهدة أعدائه)

﴿فصل﴾ في رجوع السلطان الى مصر مره ثالثة قال العماد ولما عزم السلطان على الرحيل استناب بالسام ابن اخيه عز الدين فرخشاه وكان عزرا المثل غزير الفضل وقال فيه العماد عند توديعه قصيدة منها

اسأل الله ذا العلي ان يعيشا \* الف عام لنصره مستحيشا

لست أكدي شيأ سوى فرونة منى \* وابغى لسفركى اكديشا

كيف يخلمون دف عظه ووظهر \* سالك طرق ابلة والعربشا

ووقفت على ثلاثة كنب للفاضل عن الملك العادل الى الولاية بالين يعلمهم ان ملوك الشرق قد دخلوا في طاعة السلطان وانه عازم على القدوم الى مصر وصوم رمضان بها والحج الى بيت الله الحرام منها وبأمرهم بالاستكثار مما يحل لاجله الى مكة من المال والازواد والخلع مما تستمل عليه ذلك الاعمال ووقفت على كتابين آخرين أحدهما الى أمير مكة والآخر الى أمير ينبع يعلمها بذلك لينأهبا القدومه ووقفت على كتاب سادس للفاضل الى السلطان في ذلك يقول فيه (جعل الله الملوك دمة لسيده وتترد من اعداء منهم بظيغه وامن أهل الاسلام بعدله من جور الدهر وحيغه واشهد موقف الحج الاكبر وزان يحضره مشه دخيغه وجعل وفدة الانام وضيغ بيتيه في هذه السنة في وفده وضيغه) ثم هناء بما فح الله عليه من محبة الجهاد وما أثره في بلاد الارمن وغيره من البلاد وما تبع ذلك من نية الحج ببلغه الله منه المراد ودخول السلطان بلاد الارمن كان في هذه السنة كما سبق فلعله نسخ له الحج مع شيخ الشيوخ ثم حصل له ما منه منه قال العماد ورحل السلطان الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب ثمعه صدر الدين شيخ الشيوخ فافام يومين كما ذكر ونوجه منها الى مكة على البحر فادرك الصوم قال العماد ووصلنا الى القاهرة على طريق ابلة ثالث عشر سعيان واستقبلنا اهلا ولقينا الاكابر والاعيان والملك العادل اخو السلطان حينئذ باناء به وتلقنا



## كتاب (٢٠) الروضتين

مواكبهم ومواهبه وخدمته بقصيدة ذكرت فيها المنازل والمناهل من يوم الرحيل من دمشق الى الوصول بالقاهرة منها

احبة قلبي طال ليلى بعدكم \* اسى فنى ألقي بوجهكم الفجرا  
فقدت حياتي مذ فقدت لقاءكم \* فهل يجياني منكم نشأة أخرى  
اجيران جيرون المجبرون جارهم \* من الجور حوزوا في مشوقكم الاجرا  
محبكم قد خانه الصبر فاطلبوا \* محبا سوا، عنكم يحسن الصبرا  
ومذغبت عن مقرى مقرى قد نبأ \* سقى ورعى ربي مقرى في مقرى  
احق الى عذرا وعذرى واضح \* لان الهوى العذرى منى في عذرا  
اذا التقدرا المحتوم من خلق بنا \* الى مصر اسرى فالقلوب بها أسرى  
رحلنا فباحث باسرا ناسوى \* عبارة عين خوف يوم النوى عبرى  
تركنا دمشقا والجنان وراعا \* وقد أمننا بالكسوة الرفقة السفرا  
وجئنا الى المرج الذى طاب نشره \* فلا زال من أحبابنا طيبا نشرنا  
رحلنا بمرج الصفر بالعيس غدوة \* فسارت وحطت في محجتم اظهرا  
وقد قطعت تبنا الى الدبر بعدها \* وما عرست حتى اناخت على بصرى  
نزلنا الدناح والجلاعب بعدها \* وبعدها غدر البشامية الغزرا  
ورأس الحشا والقريةتين وكها \* موارد فيها السحب قد غادرت غدرا  
وردنا من الزيتون حسمى وابلة \* وجزنا عقاما كان مسلكها وعرا  
الى قـلـة الراعى الى نابيع الى \* جراول فالنخل الذى لم يزل قفرا  
الى منزل في روضة الجبل اغتدت \* به عيسنا فى صدر شارحه صدرا  
ودون حثاما حثنا ركبنا \* عيون لموسى لم يزل مأوئها مرا  
هناك تلقاها الوفود بيرهم \* فسر وابنا نفسا وزادوا بنا بشرا  
قطعنا الى بحر الندى بحر تلزم \* ومن قصده بحر الندى يقطع البحر  
عبرنا الى من كثر الرمل جوده \* وجزنا اليه ذلك الرمل والجسرا  
ولم يرونا ماء النمامد بجمرد \* ولم يفتنع بالقل من يأمل الكثر  
وجبنا البويوب والمصانع قبله \* الى بركتنا لجب التي قربت مصر  
الى عزمة فى المجد غير قصيرة \* وكان قصارى أمرنا ان نرى القصر  
ولما نزلنا مصر فى شهر رطوبة \* وردنا بكف العادل النيل فى مسرى  
غدا قاصرا عن قصره قصه قصير \* وايوان كسرى عندا يوانه كسرى

قال العماد فى هذه السنة بمصر عرت كتاب كيمياء السعادة تصنيف الامام أبى حامد الغزالى فى مجلدين وفرت من تعريبه وعلم ما فيه بسعادتين وذلك بامر فاضلى لزمى امتثاله وشملى فى انعامه اقباله قال وفيها فى خامس عشرى سؤال توفى صاحب المعتمد ابراهيم بدمشق وأنا بصير قلت وهذا غير والى دمشق المعروف بالمبارز ابراهيم بن موسى ويلقب أيضا بالمعتمد ورثى العماد صاحبته بقصيدة منها

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته \* ولو كان فى خنى من يرد لزدته  
تغيرت الاحوال بعدك كلها \* فلست أرى الدنيا على ما عهدته  
عقدت بك الايمان بالنجى وانقا \* فقلت يد الاقدار ما قد عقدته  
وكان اعتقادى انك الدهر مسعدى \* ففاننى الايام فيما اعتقدته  
أردت لك العمر الطويل فلم يكن \* سوى ما أراد الله لا ما أردته

## في أخبار (٢١) الدولتين

وداع دعاني باسمه ذاكره \* فاطر بني ذكرا سمه فاستعدته

فقدت أحب الناس عندي وخيرهم \* فن لا تفي فيه اذا ما شئته

قال ورثته بيتين وذكرت العناصر الاربعة في بيت واحد منها

لطف على من كان صبحي وجهه \* فعدمت حين عدمته أنواره

سكن السراب وغاض ماء حيماته \* مـذا طفت ريح المنية ناره

قال ابن أبي طي وفي هذه السنة سافر قرا قوش الى قابس فذكر محاصرته لجملة من القلاع وقتله جماعة من البربر وما ذكره انه أسر جماعة على حصن وأمر بقتلهم وفيهم صبي أمر دفن في أهل القلعة عشرة آلاف دينار على ان لا يقتله فأبى فزادوه الى مائة ألف فأبى وقتله فما استتم قتله حتى نزل شيخ من القلعة ومعه مفتاحها وقدمها لقرا قوش فسأله عن الخبر فقال هذا الصبي الذي قتله ولدي ولم يكن لي سواء ولا جله كنت أحفظ هذه القلعة فلما قتله علمت ان بقيت هذه القلعة في يدي وموت صارت الى أولاد أخي وأنا أبغضهم فردته الى القلعة وأخذ منه أموالا

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ﴾ قال العماد والسلطان مقيم بالقاهرة وقد عين لسماع الاحاديث النبوية بقراءة الامام تاج الدين النبذهي المسعودي ميقانا وجمع به من أهل العلم والعلماء عنده اشتاتا وورد كتاب عز الدين فرخ شاه من الشام يذكر ما من الله به على الانام من الانعام بكثرة ولادة الدوام في ذلك العام وجبر الله به ما كان قبله من الوباء وتفاؤلوا بالخصب بعد الجذب والغلاء قال ودخلت الحمام الذي بناه زين الدين أبو الحسن علي بن نجاة الواعظ في داره خارج باب زويلة بالقاهرة في ذي القعدة فقلت

ما منزل من يرى في نفسه غير عار فعار \* به تماط الاذايا \* وترحض الاوضار

والعيش فيسه قرر \* والطيش فيه وقار \* والسبت في كل يوم \* لمن يرى مختار

نار تطيب الأناجب \* لجنه هي نار

وله في نفسه

ومنزله يدخله \* لشغله كل أحد \* يوجد فيه السبت في \* كل خيس واحد

﴿ فصل ﴾ في ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين رحمه الله وما تم في بلاده بعده وذلك بحلب قال ابن شداد وكان مرضه بالقولنج وكان أول مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين منه أغلق باب قلعة حلب لشدة مرضه واستدعى الامراء واحدا واحدا واستخلفوا العزيز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه توفي رحمه الله وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وقال ابن أبي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر سقاه سمعا في عنقه ودغيب وهو في الصيد وقيل الذي سقاه ياتوت الاسدي في شراب وقيل انه أطعمه خشكا نكه وهو في الصيد قال ودفن بالمقام الكبير الذي في القلعة وحن الناس له خزا عظيمًا وكان من أحسن الناس صورة والابغهم اعطافا قلت وبلغني انه كان يقال ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات نور الدين رحمه الله فانه سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من أجزائه بالنار ولده جزؤه فبات قبل ان يداول عمره على أحسن سيرة وحالة رحمه الله قال ابن الاثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما استمدرضه وصف له الاطباء شرب الخمر تدوايها فقال لا أفعل حتى استفتي الفقهاء وكان عند علماء الدين الكساساني الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة يعتقدونه اعتقادا حسنا ويكرهه فاستفتاه فافتاه بجوار شربها فقال له يا علاء الدين ان كان الله سبحانه وتعالى قد قرب أجلي أيؤخره شرب الخمر قال لا والله قال والله لا لقيمت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه على قلت يحتمل انه ذكر له ان من العلماء من ذهب الى جواز ذلك لانه كان يرى ذلك فان مذهب به بخلافه والله أعلم ثم قال ابن الاثير فلما ايس من نفسه أحضر الامراء كلهم وسائر الاجناد واستخلفهم لابن عمه أبا بكر عز الدين وأمرهم بتسليم مملكته جميعها اليه فقال لبعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها من البلاد من همدان الى الفرات فلو أوصيت بحلب لمولوي عماد الدين ابن عمك لمكان أحسن ثم هورتية والدك وزوج أختك وهو أبيضاء ديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الاعراق وطهارة الاخلاق والخلال التي تفرد بها فقال ان هذا الميغب عني ولكن قد علمت تغلب صلاح الدين على

## كتاب (٢٢) الروضتين

عامة بلاد الشام سوى ما يدي ومعى فان سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين فان ملكها صلاح الدين فلا يبقى لاهلنا معه مقام واذا سلمتها الى عز الدين أمكنه ان يحفظها الكثرة عساكره وبلاده وأمواله فاستحسن الخاضعون قوله وعلما بصحته وعجبوا من جود رأيه مع شدة مرضه ومن أشبهه بأباه فاضلم فلما بوي أرسل دزدار حلب وهو شاذ بنحت وسائر الامراء الى أتابك عز الدين يدعونه الى حلب ليسلوا اليه فورد الخبر ومجاهد الدين قايمار قدسار الى مارد بن لهم عرض فلقى القاصدين عندها فاخبروه بالخبر فسار الى الفرات وأرسل الى أتابك عز الدين ويشير بتجليل الحركة وأقام على الفرات ينتظره فسار أتابك مجدافا ووصل الى المنزلة التي بها مجاهد الدين أقام معه وأرسل الى حلب يستحضر الامراء فحضروا كلهم عنده وجددوا اليمين له فسار حينئذ الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفرات كان تقي الدين عرس أئني صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها ربا الى مدينة حماه وثار أهل حماه ونادوا بإشعار أتابك وكان صلاح الدين عصر فأشار عسكر حلب على عز الدين بنصده دمشق وأطمعوه فيها وفي غيرها من البلاد الشامية وأعلوه بحبة أهالها البيت الاتاكي فلم يفعل وقال بيننا يمين فلان غدر به وأقام بحلب عدة شهو ر ثم سار منها الى الرقة فأقام بها وجاءه رسول أخيه عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ منه عوضها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين وقال ان سلمتم الى حلب والاسلمت اناسنجار الى صلاح الدين فأسار حينئذ الجماعة بتسليمها اليه وكان أكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايمار فانه في تسليمها الى عماد الدين ولم يمكن أتابك عز الدين مخالفته لئلا يكتفه في الدولة وأكثر عساكره وبلاده فوافقه وهو كاره فسلم حلب الى أخيه وتسلم سنجار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايسر من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز عن القاهرة الى الشام فلما سمع أتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسارع الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الامراء الاكبر مال الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه فلما رأى أتابك ذلك لم يبق بعده الى أحد من أمرائه اذ كان ذلك الامير او نعمهم في نفسه فعاد الى الموصل وعبر صلاح الدين الفرات وملك البلاد الجزرية ونازل الموصل فلم يتمكن من النزول عليها وعاد الى حلب وحصرها تسليها عماد الدين اليه وسبب ذلك ان عز الدين لما تسلم حلب لم يترك في خزائنها من السلاح والاموال شيئا الا نقله الى الموصل وتسليمها عماد الدين وهي كما يقال بطر حمار فهو كان السبب في تسليمها قال ابن شداد ولما توفي الملك الصالح سارعوا الى اعلام عز الدين مسعود بن قطب الدين بذلك وبما جرى له من الوصية اليه وتخليف الناس له فسارع سائر الامراء الى حلب مبادرا خوفا من السلطان فكان أول قادم من أمرائه الى حلب مظفر الدين بن زين الدين وصاحب سر ورج ووصل معهم من خلف الامراء له وكان وصولهم في ثالث شعبان وفي العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرهما وترواح أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة المذكورة ثم أقام عز الدين بقلعة حلب الى سادس عشر شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان والى عليه الامراء في طاب الزيارات وروا أنفسهم انهم قد اختاروه وضاق عطنه وكان صاحب أمره مجاهد الدين قايمار وكان ضيق العطن لم يعتد مقاساة أمر الشام فرحل من حلب طالب الرقة وخلفه ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فاتي الرقة ولهيه أخوه عماد الدين عن قرار بينهما واستقر مقايضة حلب بسنجار وحلف عز الدين لآخيه عماد الدين على ذلك في حادي عشر شوال وسار من جانب عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين صعد عماد الدين قلعة حلب قلت ووقفت على كتاب فاضلى عن السلطان الى عز الدين فرخشاه وهو نائبه بدمشق (وقفنا على كتابه وعلمنا ما تجد من الخبر مرض الملك الصالح واشتداد حاله وانقطاع الداخل عليه) ثم أشار بتنفيذ عسكر الى جهة أخيه تقي الدين على اظهار فاعده النظر في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا أرسلان والتوجه لفصلها قال (فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب المتقدم وباطنها لهذا السبب المتأخر وقد كتب الولد تقي الدين ان يتوجه الى منبج على الظاهر والباطل المذكورين وان يحفظ المغازي ويرابط الفرات ويمنع المعابر ولنا بالاس وقعة جعبر ومنبج وتل باشروهي جهوز الطريق قبل كلها وقد أوعدنا الى تقي الدين بأن يكون حمام حماه في حلب وحمام دمشق في حماه والى الاجل ناصر الدين بأن يكون حمام دمشق في حمص وحمام حصص في حلب وولدا

## في اخبار (٢٣) الدولتين

عز الدين يؤمر بأن يكون حمام بصري في دمشق وقد بعثنا نجاب بن يكونون منبج بن بصري فان تحققت الوفاة فحقن اسبق اليكم من الجواب قولاً وفعلاً وورعاً ونجماً فالعلة مزاحه والعساكر مستريحه والظهر قد استعد والمصلحة في الحركة ظاهره ويحج انتقاد المنقدين في هذه القضية ساقطه وقال العماد كان قصد السلطان اصلاح حال الملك الصالح وانه القائم مقام أبيه فصد عنه مما يليكه فأخذت بلاده بالجماجم ومروست دولته لسوء علاجهم فاستمع بحلب الى ان توفي ووصل ابن عمه عز الدين مسعود صاحب المرحل الى حلب فجمع ظاهره وباطنه واخذ خزائنه واستخرج دفائنه وأخلى كائنه ثم عرف انه لا يستقر له بها أمر فرغب أخاه عماد الدين زكي صاحب سنجار في تعويضها بحلب فقال الى بذله ورغب ولما سمع السلطان في مصر ن وفاة الملك الصالح تحرك عزمه ونظم على التزوج من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن أخيه تقي الدين وهو يتولى له المعرة وجماه وأمره بالتأهب للهنوز وكذلك سجد عزائم نوابه بالشام بتحديد المكنات لهم وبمعهم على الاستعداد وحملهم وكان نائبه بدمشق ابن أخيه عز الدين فرخ شاه قد نهض في مقابلة الفرنج بالكر ك فان الارنس الكر كى كان يحشد بنفسه بقصد تيمنا في البرية فمال زال فرخ شاه في مقابلاته حتى زكس العيين على عقبيه ذليلاً ولم يجد الى ما حدثته به نفسه سبيلاً فعرف السلطان استغاله بهذا المهم فكتب كتاباً يشرح الحال الى بغداد باللفظ العمادى يقول فيه (وشاع الخبر بغارة فرنج انطاكية على حارم وأوامر السبي والهلب بالعظام وشاع أيضاً ان عسكر حلب أعار على الزاوندان وهى في علمنا ورسولهم عند الفرنج يستجدهم ويغريهم بنا وقد راسلوا الحشيشية والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعتاد منه كاف وابن أخى غائب فى أقصى بلاد الفرنج فى أول برية الجحاز فان طاغية منهم جمع خيله ورجله وحدته نفسه الخبيثة يقصد تيمنا وهى دهليز المدينة على ساكنها السلام واغتم كون البرية معشبة مخضبة فى هذا العام والعجب ان انجاس عن قبر النبي صلوات الله عليه وسلامه مشتغلين بهم والمذكور (يعنى صاحب الموصل) ينازع فى ولاية هى لنالها خذها بيد ظلمه وكهين من يحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الأجل وبين من يتخذهم بظانته دون المؤمنين ويحمل اليهم كراهم الاموال هذا مع ما تعدى الدولة الحنبلية والدولة الهادبة العباسية من آثار لا يعد منها أولاً لا ثانياً مسلماً لانه أقدم ثم خامس والى ثمولى ولا آخراً لطغريك فانه نصر ونصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلما الله به عليهم فى نصر الدولة وقطع من كان ينار الخلاقه رداهها وتطهير المنابر من رجس الاعداء ولم يفعل ما فعلنا لاجل الدنيا غير ان التحدث بنعمة الله واجب والتبجح بالخدمة الشريفة والافتخار بالتوفيق فيها على السجبة غالب ولا غنى عن بروز الامور الشريفة الى المذكور بأن يلزم حده ولا يتجبر وزحقه فان دخول الايدى المختلفة عن الاعداء المتنفقة شاغل ويحتاج الى مغرم ينفق فيه العمر بغير طائل فان الاعمار ترمز للسحاب والفرص تمض ومضى السراب ويقاونا فى هذه الدار القليل اللبث النصير المكث يؤثر ان نغمته فى مجاهدة العدو والكافر الذى صار به البيت المقدس محملاً للارجاس ومضت عليه دهور ومولوك لم يحصوا من رجاء تطهيره الى على الياس وان كان الفوم قد بدلول الدار العزيزة بدول معارفة فقد أسلف الخنادم خدمات ليست بهوار فانهم لو بدلول بلادهم كلها ما وقت بفتح مصر التى رحل عنها أسامى الادعياء الراكية أعوادها وأعاد الى عندها بعد يياض عماؤها من نور السعار العباسى سوادها فان اقتضت الامور الشريفة ان يوعز لئذ كورنى حلب بتقليد فالاولى ان يقدا الجميع فرغبة فيما لا يؤمن معه شر الشريك ولما لك الامر الحكيم فى ممالك الممالك) وكان فى الكتاب أيضاً ما عناه ان حلب من جمل البلاد التى استمل عايماته لتليد أمير المؤمنين المستضى بأمر الله له واعمار كهان يد بن نزار الدين لا جل أبيه وألان فليرجع كل الى حقه وليقنع برقه ومن كذاب فاضلى (فقد صرف وجهنا فى هذا الوقت عن جهاد لو كباصده وعن فرض لو وصلنا يومه بغده لكان الاسلام قد أعفى من شركة الشرك وانك أهل من ربة أهل الافك ولكنك الاسماء الشريفة قد قرعت منابر طامعا عزلت الصلب خطباءها ولكن الدين المالص قد خلس الى بلاد صرار المشرق كون متوطنها والمسلمون غرباءها) وفى كتاب آخر له (وقد علم الله الهادنهم كارهون وفى مصلحة أهل الاسلام وفى مصالحهم راغبون ولا كباينا يقوم كالفراس أو أخف عقولا ولا نعام أو أضل سبيلا ان بنى معهم فعلى غير أساس وان عدد الغدر منهم فهو أكثر من الانفاس) وفى كتاب آخر (والخنادم والحمد لله يعذرسوا بقى فى الاسلام والدولة العباسية لا يعدها أولية أبى مسلم لانه

## كتاب (٢٤) الروضتين

والى ثم وارى ولا آخرة طغربك لانه بصر ثم حجر والخدام بمحمد الله خلق من كان يتنازع الخلافة رداءها وأساع  
 الغصة التى ذخر الله للاساعة فى سيفه ماءها فرحل الاسماء الكاذبة الراكبة على المنابر وأعز بتأييد ابراهيمي فكسر  
 الاصنام الباطنة بسمفه الظاهر الاسار وفعل وما فعل للدينا ولا معنى للاعتداد بما هو متوقع الجزاء عنه فى اليوم  
 الآخر ومن كتاب آخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستيلائه عليها وكانت داخله فى تقليد السلطان السابق  
 فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بهامعتديا وعقود الخلفاء لا تحل والسيوف فى أوجه أوليائهم لا تسلم وانه ان فتح  
 باب المنازعة أدنى من ندامه وأبعد من سلامه وخرق ما يعي على الراقع وجذب الرداء فلم تغص فيه الاحيلة الخالغ  
 وليس الاستيلاء بحجة فى الولايات لطالها ولا الدخول الى الدار بموجب ملك غاصبها الا ان تكون البلاد كالديار  
 المصرية حين فتحها الخدام وأهلها حيث الجمعية مسترييه والخلافة فى غير أهلها غريبه والعقائد لغير الحق مستحبييه  
 قتلك الولاية أولى من منحها من فتحها وكان سلطانها من أدخل فى كان شيطانها وأما حلب فان الكلمة فيها عالية  
 والمنابر فيها بالاسم الشريف حاله فاعما تكون لمن قلدها لمن تورد لها ومن الحق تسلمها لمن بالباطل تسفها  
 ولو كانت حلب كما كانت مصر لدخلها الخدام ولم يشاور ولولجها ولم يتناظر ولكنه أى البيوت من ابوابها واستمطر  
 القطار من سحبها) ثم ذكر ان المراسلة زاسلوا الملاحدة الحشيشية واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين وواسطة بينهم  
 وبين الفرنج الكافرين ووعدوهم بقلع من يد الاسلام قلع وضياع من فى المسلمين توضع وبادر عوة بحلب ينصب  
 فيها علم الضلالة ويرفع وبالشجب من الخصم يهدم دولة حتى وهى تبنيه ومن العبد يبنى ملكها بنفسه وماله وذوبه وهى  
 نراقب أعلاه فيه ودعواه فى رسائلهم وغوائلهم ليست بدعوى لا يقوم شاهدها ولا هى بشناعة لا يهتدى فأندها  
 بل هذارسولهم عند سنان صاحب الملاحدة ورسولهم عند القمص ملك الفرنج وهذه الكتب الواصلة بذلك قد  
 سبرت ولاستيجاب الولاية طرق أما السبق الى التقليد فللخدام السابق وأما العدالة والعدل فلوقوع الفرق وقوع الحق  
 وأما بالانار بالطاعة فله فيها مالولا معونة الخالق فيه لقصرت عنه أيدى الخلق ومتى استمرت المشاركة فى الشام افضت  
 الى ضعف التوحيد وقوة الاشرار وزامت الى اخطار يعجز عنها اخطار الاستدراك واحوجت قايض الاعنة الى ان  
 يعلمها الحدود برسلها العراك وطريقى الصلاح والمصالحات الايمان والمشار اليهم لا يلزمون ربقتهما ولا يوجبون صفقتها  
 وكفى بالتجرب ناهبا عن الغره ولا يلدغ المؤمن من الامره واذا اجتمعت فى الشام أيدى ثلاث يد عادية ويد محددة ويد كافرة  
 نهض الكفر بتبليغه وقصرت عن الاسلام يد مغيبه ولم ينفع الخدام حينئذ تصحيح حسابه وتصديق حديثه وما يريد  
 الخدام الامن تكون عليه يد الله وهى الجماعه ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعه ولا يتوخى الا ما يقوم به الحاجة  
 اليوم ويوم يقوم الساعة) ومن كتاب آخر (قد أحاط العلم بما طالع به أولا عند وفاة ولد نور الدين رحمه الله ان التقليد  
 الشريف المستضى لما وصله بالبلاد وكان قد فتح أكثرها قلاعاً وأمصارا وحصونا وديارا ولم يبق الا قصبة حلب  
 وهو على أخذها عدل ولد نور الدين عن القتال الى النوال وعن النزال الى الاستئزال وقصد القصد الذى ما أوجبت  
 المحافظة ان يتلقى بالرد فاقدر على الولاية فرعا لأصلا وناثبا لاستقلا وسلم اليه البلاد ويده الغالبة لا المغلوبة  
 وسيوفه السالبة لا المساوية ومشى الامر معه مستقيما رائلا وجائر اوعادلا الى ان قضى نحبه ولقى ربه فبدأ من  
 المواصلة تنقض الايمان والابتداء بالعدوان والتعرض للبلاد والتصرف فيها بغير حجة يكون عليها الاعتماد  
 فطالع الديوان بالقضيه واستشهد بدلالات قوائمه الجلبه فى هذا التقليد الذى تهادته المحاضر وأشاعته المنابر  
 وسمرت الى الشرق والغرب نسخته وغلط الايدى التى تحدث أنفثها أنها نسخته)

(فصل) قال العماد وتوجه السلطان بعد شهر رمضان الى الاسكندرية على طريق البحيرة وخيم عند السوارى  
 وشاهد الاسوار التى جددتها والعمارات التى مهدها وأمر بالانعام والاهتمام وقال السلطان يغتنم حياة الشيخ الامام  
 أبى طاهر بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك رضى الله عنه بروايته عن الطرطوشى فى العشر الاخير من  
 شوال وتم له ولولاده ولنا به السماع والوالى يومئذ بها نحر الدين قراجا قلت ووجدت للقاضى الفاضل كتابا كتبه الى  
 السلطان يهنئ به هذا السماع يقول فيه (أدام الله دولة المولى الملك الناصر صلاح الدين والدين سلطان الاسلام والمسلمين  
 محي دولة أمير المؤمنين وأسعده برحمة لاهم وأثابه عليها وأوصل ذخائر الخير اليه وأوصله اليها وأوزع الخلق شكرا

## في أخبار (٢٥) الدولتين

لنعمته فيه فانه نعمة لا توصل الى شكرها الا بابرارعه وأودع قلبه نور اليقين فانه مستقر لا يودع فيه الا ما كان مستندا الى ابداعه ولله في الله رحلتاه وفي سبيل الله يومه وما من منجى الا أغر بحجل والمجد لله الذي جعله ذايومين يوم يسفك دم المحارب تحت ذلمه ويوم يسفك دم الكافر تحت علمه ففي الاول يطلب حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم يجعل أثره عيننا لا تستر وفي الثاني يحفل لنصرة شريفة هذه على الضلال فيجعل عينه أثر لا يظهر وقد استغرق الناس هم العلماء في رحلتهم لنقل الحديث وسماعه والموالات في طلب ثقتهم واتجاعه وصنفوا في ذلك تصانيف قصدوا بها التخريض للهمم والتنبية والرفع من اتداد أهلكه والتنويه فقالوا زحل فلان لسماع مسند فلان وسارزيداني عمرو على بعد المكان وهذا صاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره ووقف عليه فكره فلا يتجاذب عذان همة الكبائر فما القول في ملك خواطره كانوا به مطروقه وأمر خلق الله كموادينه به معذوقه اذ هاجر الى بقية الخير في أضيق أوقاته وترك للعلم أشد ضروراته ووجب له أياما مع اعداء في الغزاة بحاسب لها نفسه على لحظاته وساعاته وما يحسب المسلول ان كاتب اليقين كتب قطلملث الرحلة في صلب العلم الا لشر شيدهارون رحمة الله عليه على انه خلط زيارة نبوته بطلب ورحل بولديه الى مالك رحمة الله عليه لسماع هذا الموطأ الذي اتفقت المهتمات الرشيدية والناصرية على الرغبة في سماعه والرحلة لانجباعه وقد كان الرشيد ساما لكارحه الله ان يجعل له ولولديه الامين والمؤمن مجلسا خاصا لسماع مصنفه فقال له ما معناه انها سنة ابن عمك صلى الله عليه وسلم وغيرك من سترها ومثلك من نشرها فهذه رحلة ثانية في الزمان وأولى في الايمان يكتبها الله للمولى بقلم كاتب اليقين ويقوم فيها مقام الرشيد ويقوم عليه وعمامته مقام ولديه المؤمنين والامين وكان أصل الموطأ لسماع الرشيد على مالك رحمة الله عليه في خزانة الكتب المصرية فان كان قد حصل بالخزانة الناصرية فهو بركة عظيمة ومنقبة كريمة وذخيرة قديمة والا فليتلس وكذلك خط موسى بن جعفر في قتيبا المؤمنين رجما الله كان أيضا فيها وكلاهما يتبرك بثله ويعلم به فضل العلم لا خلا للمولى أبقاه الله من فضله وقف المملوك على ما بشر به من صنع المولى وتوفيقه وصحة مزاجه في طريقه وانقطاع ما كان من دم واستراح القلب من كل هم وقد استفتحت هذا الطريق بكل قال مباركة البكر والقال مأثورة عن سيد البشر فمن ذلك صحة جسمه فلتنه الصحة وفصح قلبه دامت له الفصح وانقطاع الدم وطريقة الى الشام ينقطع بها الدم ويتصل النصر له وينتظم السلم وأخرى انه رحل الى الموطأ رحم الله مالكة ورحل فيما يطلب من الشام الى الموطأ أسعد الله به مالكة والله تعالى يحقق الخير ويصرف الضير ويبارك مولانا في المقام والسير ان شاء الله قلت هكذا يقع في كتب الفاضل رحمه الله كثيرا وهو لا يخفى بالادعية متصلة بقوله ان شاء الله والتعليق بالمشيئة غير لا ثق بالادعية ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت اللهم ارزقني ان شئت لي عزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له

**(فصل ١٠)** في أمور تتعلق بولادة الجن في هذه السنة قال العماد كان الامير محمد الدين سيف الدولة مباركين كامل بن منقذ نائباً لشمس الدولة أنحى السلطان زبيد وحصل له من أموالها الطريف والتلبد ثم ابتاع من السلطان الناحية المعروفة بالعدوية بمصر لما عاد اليها وبقي أخوه حطان زبيد واليا عليها فصنع دعوة عظيمة بها ذكر العماد انه حضرها هو وغيره من الفضلاء الاعيان فيمنها هم عنده في أسر حال اذ أحق بهم الامير بهاء الدين قراقوش فقبض على سيف الدولة واعتقل بالصر وكان سببه ان أقارب السلطان وخواصه اكثر واعليه عنده انه استوعب مال زبيد وان له كنوزا لا يتبدد وأشاروا عليه بتقبضه وهو يدافع عنه الى ان أكثر واوقيل فيه ان لم تذكره فأت امر به فاعتمل فسمع للسلطان خاصة من النقد المصري ثمانين ألف دينار لم يظهر فيها بيع متاع ولا استدانة من تجار وغرم لاخوى السلطان العادل وتاج المملوك ما حافظه على نسيج الكرم المسلول وخرج مشرفا مكرما مصر فاحترما وزاد السلطان في تكريمه وانفذ اليه بما قبضه منه خط يده بأن المبلغ دين في ذمته ثم باعه املا كما بمصر بتقدير ثلاثين ألف دينار وبذل له كل ما طلب عن ايشار واختيار وزاد في اقطاعه وبارك الله في أشيائه وأشياعه قال العماد وكان هذا الامير من راحة عقله وحصافة فضله ما سمعت منه شكوى ولا حكاية في بلوى وقتل أخوه حطان زبيد وأخذ ماله فلم يظهر منه للسلطان كراهه وكل شيمته نراه ونباهه قال وكان لما توفي الملك المعظم شمس الدولة أشفق

## كتاب (٢٦) الروضتين

السلطان من نوابه باليمن وذكر ما بين ولائهما من الاحن ووصل الخبر بما يجري بين الامير عثمان بن الزنجبلي والى عدن وبين الامير حطان والى زبيد من الفتى فندب الى زبيد عدة من الامراء لحفظ البلاد واصلاح الامور التي يخشى عليها من الفساد ومن جملتهم والى مصر صارم الدين خطيبا وبقيت الولاية له بها في غيبته يقوم بها نوابه ويرجع الى رأى أهله أصحابه فسرعت زوجته في عمارة دار مخفية سنه وذكر العماد انه حصل له ولغيره من الاعيان بها ضيافة جلييلة اتفاهقه وقال ابن أبي طى كانت نفس سيف الاسلام طعنت كمين أخى السلطان تشرّب الى اليمن من حيث مات أخوه شمس الدولة وبشتمه ان يصير اليها فامر ابن سعدان الحلبي ان يعمل قصيدة يعرض فيها بانفاذ سيف الاسلام الى اليمن فعمل القصيدة التي يقول فيها

جرّدها السيف الضفيل فتنة \* فالسيف لا يذخر الا للفتى  
شدّبه أزر العلى فانه \* نعم فتى من سرع الجود وسن  
القائل المسموع في معاله \* والصادق النذب الامين المؤتمن  
بادى الفؤاد كيماس سيرة \* حسن الى دار الوغى ثمتان

وفيها يقول

يا ابن الكرام الجباء والذى \* تلقف العلياء فيها ولقى  
لا تعد عينك عن الملك فما \* يخاف العلياء الامن ومن  
قد فسد الملك وقد طال العدى \* واقتمه وابعدك أموال اليمن

قال فلما سمع السلطان هذه القصيدة أذن لسيف الاسلام في المسير الى اليمن وقال العماد وفي هذه السنة تقرر مع سيف الاسلام ظهر الدين طعنت كمين بن أيوب ان يمضى الى بلاد اليمن وزبيد وعدن وان يقطع بها الفتى ويتولاها ويولى ويعزل ويحسن ويعدل فسار بعد مسيرنا الى الشام وجرت مملكته فيها على أحسن نظام وذلك في سنة ثمان ووصل الى زبيد وحط حطان عن رتبته وأمنه وطمنه ثم أذن له في الانفصال الى الشام فجمع حطان كل ماله من سبد ولبد ومطرف ومتلد ولجين وعسجد وياقوت وزبرجد وآلات وعدد وحصن وجور عراب ومال اعتقده من اليمن بغير حساب ثم أتاح جماله ورحل عليها احماله وقدم قدماه اثقاله وظن انه نجح افاز وركب الافاز فردّه اليه ليودّعه ثم يشيعه وركب معه فلما دخل عليه اعتقله وسير وراء ماله من أقتله والى خزانته نقله ثم أنفذه الى بعض معاقله فحبسه ثم قتله وفيما ذكر للسلطان من خبر ذمّه وماله الداهب ما يعجب بحصر تفاصيل جملة أغل الحساب ان نيفا وسبعين غلاما من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الاحمر المنقذ وتقوم المأخوذ بقيمة ألف ألف دينار وأما صاحب عدن الامير عز الدين عثمان بن الزنجبلي فانه لما سمع بسيف الاسلام توجه الى الشام قتلت ولهذا الامير أوقاف وصدقات بمكة واليمن ودمشق فاليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة والمدرسة التي خرج باب توما بدمشق رحمه الله ومن كتاب فاضلي عن السلطان اليه (البلاد لك فيها عدة سنين وأنت فيها مومن على مال الله فاده الى من يجاهد به أعداء الله ويقم به كلمة الله ويحفظ به البيضة ويذب به عن الملة ويقاقل به أعداء القبلة ويضرب بالاسد ادين الكفر والاسلام وينصب وجهه بين الهجير والزهر رعا ما في أترعاه وما نطلب منك الباطل الذي لا يجوز لنا ان نطلبه ولا لك ان تدفعه ولا تريد الحق الذي لا يحل لنا ان نتركه ولا لك ان تمنعه)

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد وفي هذه السنة وصل السلطان من دمشق العلم خطيب المزة وكان قد زور على السلطان مثلا لا يتضمن له منالا ورفعته الى عز الدين فرخشاه فاخفى تزويره عليه وهم بالانقاع به فقصد السلطان بمصر واطلعه على حاله فأكثر ثبه وقال تحقّق ما زورت وأمر ان يكتب له توقيع بضعف ذلك الادرار قال وكان له امام يصلى به وهو كتب مثل خطه فاطلق به اموالا وأسلح وأنجّع بتزويره لا صدقائه أحوالا وما يشك صاحب ديوان ولا متولى خزانة في انه صحيح فلما دام سنين انكشف وشارف التلف وجلس اخوه السلطان وأمر أوه عنده يغرونه به فقلت له بالعجبة سرائره للقرآن فقال نعم فنفس من خناقه وأمر باطلاقه وأبقى عليه خيره حتى استبدل به غيره وصار بعده للعادل اماما وبقي شغله معه مستداما قال وفيها غدر الفريخ ونقضوا عهدهم واستولوا على تجار في البحر

## في اخبار (٢٧) الدولتين

وغيرهم وسهل الله تعالى بطائفة لهم عظيمة من المراكب الفرجية متعلقة من بلد لهم يقال له بوليه تحتوى على الفين وخمسمائة نفس من رجال القوم وابطالهم فالتفتهم الرجح الى تغرد مياط ففرق منهم الشطار وشمل الباقيين الاسر فحصل في الاسر منهم زهاء ألف وستمائة وست وسبعين نفسا واتفق ذلك امام الادلج بالمرسى الى الشام قال ابن ابي طي وفيها ولد للسلطان الملك المعظم تورانشاه والملك المحسن أحمد بينهما سبعة أيام واتصل الفرح بهما أربع عشرة يوما وفيها سار قراقوش الى افريقية فاوغل في بلاده واوتنب ما قدر عليه وحارب عدوك ابن عبد المؤمن بالقيروان ثم باعنه ابن ابراهيم السلاح دارا احتوى على أهل قراقوش وبلده فرجع اليه فهرب ابراهيم وسار الى خدمة ابن عبد المؤمن وملك قراقوش ما كان يسد ابراهيم قال ابن القادسي وفيه اعسمية الخيمس ثامن شعبان توفي الامام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعد الازناري النحوي وكان فقيها نحو زاهدا عابدا حسن العيش صبوراً على الفقر وكان يسرد الصوم ولا يقبل من أحد شيئاً وكان يحضر في نوبة الصوفية بدار الخلافة المعظمة في الوقت فينفذ اليه بالتشريف والذهب فيعيد ولا يقبله وكان يجتمع اليه الوزير ابن رئيس الرؤساء بقيل لولده شيئاً ما كان يفعل وكان بفطر على الخبز الحنكسكار وبيتاع برغف أرزوماشا وكان بابيه معتزلاً بالعلم يعلمهم لوجه الله تعالى وكان اذا أحضر أحداهم في الصعيص من وحة يتروجها فاذا خرج يقول له خذ مروءتك معك فيجتهد به ذلك ان يجعلها عنده الى غدا بفعل وءنف تصانيف كثيرة ودفع في تربة أبي اسحاق الشيرازي رضي الله عنه قلت وفيها توفي بمصر الشاعر ابن الذروري وهو أبو الحسن علي بن يحيى المصري وسنة حول الأربعين وتقدم من شعره في حج الفاضل وفي مدح ابن منقذ وغيرهما من خريف شعره قوله في أحدب

يا أنحى كيف غيرتنا الى كـيف حانت ما بيننا بالجمال  
حاش لله ان أصافي خلا \* فيراى في وده الاختلال  
زعـ وانى اتيت بهجو \* فيك نقته بسم حلال  
كذبوا انما وصفت الذى خـ \* ت من النبل والسما والكمال  
لاتنن حذبة الظهور عيبا \* فبني الحسن من صفات الهلال  
وكذلك القسي محذورات \* وهى انكى من القاب والعوالى  
ودنانى القضاة وهى كما تعملم كانت موسومة بالجمال  
واذا ما علا السنام فقيه \* لقروم الجمال أى جمال  
وارى الاتمناء فى مشر السـ كما سرى لمقى ومحب الربى بال  
وأبر الغص أنت لاسك فيه \* وهرب الغوام والاعتدال  
قد تحليت بالحناء فانت السـ راكع المستقر فى كل حال  
وتجلىت حل وزرك فى الطاهر رقام فى موتف الاحوال  
ان حمل الذنوب اهون فى الدنيا عيبا على انه من الاتعمال  
كون الله حذبة فيك ان سئمت من الفضل اومر الافضال  
فانت ربوة على طرد حلم \* منك اوموجة بهجر نوال  
مارأيتها النساء الا تمت \* لوعدت خلية لكل الرجال  
عد الى وذننا القديم ولا تصغى لقليل من الوشاة وقال

﴿فصل﴾ في عود السلطان من الديار المصرية الى الشام قال العماد وعدها من الاسكندرية الى القاهرة في ذى القعدة وشرع السلطان في الاستعداد لفسر الشام فجمع العساكر والسلاح واستحجب نصف العسكر وأبقى النصف الآخر يحفظ ثغور مصر وأمر قراقوش باتمام الاسوار الدائرة على مصر والقاهرة قال وكان السلطان عشيّة توديعه لاهل مصر جالساً في سرداق قهوكل بنشد بيتاً في الوداع فخرج أحد مودبى اولاده رأسه وانشد مظهر الة فضله ورافعاه محله



## كتاب (٢٨) الروضتين

تمتع من شميم عرار نجد \* فما بعد العشية من عرار

فلما سمعه خد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض ولا يقضى العجب من مؤدب ترك الادب فكأنه نطق بما هو كائن في الغيب فانه ما عاين بعد هذا الى الديار المصرية حتى اتصل بنجح أننى الى المنية قال ومن جلة تسمع الميامين في القول ما حكاه لنا شيخنا ابو محمد بن الخشاب قال وصلت الى تبريز فاحضرني يوم اريد سها في داره وأجلس ولد دليق رأيت بعض ما تلقته على فقلت فرخ البط ساج فقال معلمه وكان حاضرا نعم وجرى الكلب بناج ففجئت من خطأ خطابه واذابه على دابه في سوء آدابه ومقصوده ان يذكر قرينه ولا يبالي بعينه فبررة ام شخصيه ودأب أدباء اولاد الملوك لا جتر انهم على أعزاة اولادهم الاجتراء على الآباء ويحتمل ما يصدر منهم لعزة الابناء وانما يصلح لمجالسة الملوك من يحفظ في كلامه ويتقظ حتى في منامه

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين قال العاد في المحرم من هذا دخل السلطان من البركة قاصدا الى الشام ولم يعد بعدها الى مصر حتى أدركه الحماهم وأخذ على طريق صدر واية في المفاز فبات بالبويب ثم كانت منازلها على الجسر ووادى موسى وحشا وصدروا بعد خمس ليال وصل عقبة ايلة وهناك سمع باجتماع الكفار بالكرك لقصد قطع الطريق فاحترز بحفظ الاطراف وانحاز بجحى ثم عقبة سنار ثم القريتين وأغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان في كانه وسلك بهم سميت الكرك الى الحسى وأمر أخاه تاج الملوك بوري على الناس وأمر به ان يسير بهم عنه منه ثم اجتمعوا بالسلطان بالازرق بعد اسبوع ووصل الخبر بظفر الملك المنصور عز الدين فرخ شاه قال العباد ويلقب ايضا معز الدين بما غنمه ايضا من بلاد العدو وذلك ان الفرنج لما سمعوا بمسير السلطان من مصر ومعه خلق من التجار اجمعة ووالي الكرك للقرب من الدار يق لعالم ينتهزون فرصه فيقتطفون من القافلة قطفه فخرج فرخ شاه من دمشق واغتم خلود ديارهم فاعار على بلاد طبرية وعكا وفتح دبورية وجاء الى حبيس جلدك بالسواد وهو شقيف يشرف على بلاد المسلمين ففتحهم واسكاه المسلمين فبقى عينا على الكفار بعدما كان لهم ورجع بالاسرى والغنائم مظهرا منصورا ومعه ألف أسير وعشرون ألف رأس من الانعام ثم وصل السلطان بصري ودخل دمشق سابع عشر صفر قال وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول خرج السلطان وأغار على بلاد طبرية وييسان والتحم بينهم القتال تحت حصن كوكب واستشهد جماعة من المسلمين ولكن كانت الدائرة على الكافرين ورجع السلطان بمجد الله ظافرا وكتب بالمال العاصي الى الديوان (كان الخادم طالع بخروج وجهه من مصر طالبا للفرار المفضة والمسافهين مصر والشام لم يرفق في المسير لا تقصر عن ثلاثين يوما فخذ الفرنج وزر لوالي الكرك على ارجاف بالمصاف ولم يزل الخادم على مداومة الاعمال الى اوساط الاعمال فحل بها ورس الغارة فابعد واذكى النار فاوقد وطلب الماء المحي أزرقه بازرقه ثم فاورد وسفك دم الخصب بالنار وأخذ وفيها عدل السيف الجار بالجار وعلم ان العريضة قد تسلاوا لو اذا وتعللوا بالحصون احتجازا ولياذا وانهم لا يقاتلون الا في قري محضه ولا يقاتلون الا على نجاته متيقنه وسرح الخادم الى تلك الدار واستقر لها من كل فرقة منهم طائفة وساروا في طريق على العدو وغير خافية ومنهم غير خائفه وركب هو وحمية الاسلام الحامية التي تستنض ارواح الكفر الى نار الله الحامية وسلك البلاد المؤدية اوديتها الى سيول الشرك الظاميه وسيوف الضلال الداميه فخنموا جثوم الكسير وجذعوا أنوف الانف جذعا قصير فيه رأى قصير وجاز الخادم المسافة المقابلة لهم التي كانت تجاز في يوم واحد في أيام واورد عليهم طيف الخوف غير لابس ثياب الاحلام ويسر الله الوصول ورفاب عصبه الكفر تكاد تموت عليهم ارقا قها وعيون الاعيان منهم قد قيدها للذل أطواها وتوجه يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول ونزل امام طبرية ليلة الثلاثاء التاسع عشر ربيع الاول فجاءه الخبر بان الفرنج رحلوا في ليل ركبوهم جلا ولبسوه سترادون الالقاسم بلا وأصبحت الاطالاب الاسلامية طالبة الاردن وأشرف عليهم الملوك فرخ شاه وكان على ميرة الاسلام فاخرج منهم من أخرج كفا ولا تظرف منهم من اجل طرفا ولا ركض طرفا ولم يزل الخادم مقيما ينادي للخروج الصم الذين لا يسمعون الدعاء الى ان طوى النهار ملائته ومد عليهم كلامه فانه رعى ما بينه وبين مناسبة وجوههم وصحائفهم بسواده ولا ن الليل يدعى كافرين فها هم وخباهم في فؤاده وانبرى لهم من المليك ذووسهم كل رمية منها طعنه وكل انه من قوسه انتجاوبها بالخير انه فاستخرجوا ضماثر كنانهم

## في اخبار (٢٩) الدولتين

وقصدوا بها ضمما أرض غنائمهم فرت كأن التوفيق يقودها الى حيث أمت فاماتت وطارت جرادات زرع الحياة فبتت وما أبانت ولم يروا مضاجع ذوات حسك كضاجع حسكها السهام ولا ليلة لهم ذات أحلام كليلة حلمها يفظه الحمام وأصانت خيولهم صوابها وتعلمت نصالهم بدهمها فكأنهم في ظلماتها كواكبها فلما انشق الصبح غيظا من شقاق كفرهم شؤم وعدوانا زاب من حصنهم الذي كانوا اليه آوين وطالبي التبعاء عدنه الى حصن الطور الذي كانوا اليه ناوين فساقط اليهم اطلاب الميرة منجبة المملوك فرخشاه وساق المملوك عمر من المينة طالب بالحومة القتال فرأوا الخطاة عليهم متضايقه وشهادات البلاء الى فتنتهم متناسقه وأنزل الله النصر من سمائه على مطيعه في أرضه ومنح نافله الموهبة لمن قام في الجهاد بفرضه وتوالت من الفرج حملات الجأهم اليها الاضطراب الى الاختيار وثبت من دنائهم من المسلمين من الاطلاب ولقوهم وهم الاعداء لقاء الاحباب وتعانقت لغبر الوداد فصارت أيديها أو شحجه وطارت الى أقرانها فصارت أرجل الخيل لها أجنحه وصرعت لافرنج أبطال وخياله وتمت الحملة الاسلاية على من كان وراءهم من الرجال فاخذ القتل كثيرا وقليلا نرك وفرت روح الكافر من الجسد وعلت النار ية سلاك والجأهم البلاء الى حصن يعرف بعفر بلا وسع الخوف منه ما هو ضيق وتعلق بالحياة منهم من هو متعلق ولم تتصرف صدور الخيل دون ان اعتقلتهم في سجنه وألزمهم به فصاروا قرا في أذنه وكان ذلك اليوم من الايام الذي اضطرت فيها نيران الجحيم ارتياحا لمن قدمها من أرواح الكفار وكان قائم الظهيرة في الغورة منع من استقام عودة المغار ومورد الماء بعيد من غريمه والرى ولوانه من حميم أحب الى المرء من حميم خالت الجند ردى المياهل متفرقة عليها ومنصرفه اليها وحافقها من حوالها وأذعن الكفار بالحصر والنداء من الاسحار والاعتماد على المطاولة والاضحار والاستعصام بالابطاق من أنفاس المحجر الجزار وبات الحشام والمسلمون على الحرس المذكور الذي يأتونه نارلين قد حقه قروا من أحوال اللقاء ما كانوا به جاهلين وفعل الله سبحانه وتعالى في هذه النوبة ما عواقبه مسفرة عن المراد ودلائله محقة لقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفرنا في البلاد وان الكفر مذهب فائمه والشام مذلة ظالمه لم يعبر أحد من ولادة الامر هذا الجدا لا على حين غفلة من أهله ولم يواجه الكفر وهو مجتمع في خيمه فضلا عن رجله ولم يهذد العدو بضرب مصاف الا واستكانت العزائم لتهديده ولم يجمع أسره على اللقاء الا صرفه عنه الامر يصرف ذهبه لا بجديده فاما الآن فقد أنس المسلمون بحربه وتمرتوا بحربه

(فصل) في مسير السلطان الى بلاد الشرق مرة ثانية قال العماد ثم ان السلطان عزم على المسير الى حلب وبلغه ان المواصلة كاتبوا الفرنج ورغبوهم في الخروج الى الثغور ليشغلوا السلطان عن قصدهم فتوجه على سمت بعلبك وختم بالبقياع وكان قد واعد اسطول مصر ان يجهر الى بلاد الساحل فبلغه الخبر انه وصل الى بيروت فبادره السلطان بعسكره جريدة قبل ان يفوت فلما وصل رأى ان أمر بيروت بطول وكان قد سبى الاسطول منها وسلب وظفر من غنيمتها ما يطلب فأغار السلطان على تلك البلاد ورجع وأعاد فرخشاه الى دمشق ورحل الى بعلبك ومنها الى حمص فخرج الفقيه المذهب عبيد الله بن أسعد بن الدهان وله في السلطان مدائح منها قصيدة أولها

أعلمت بعددك وقفتي بالاجر \* ورضى طاولك عن دموى الجمع  
مطرت غصافي منزلتيك فذاويا \* في أربيع ومؤججا في أضلع  
هل بعلم المتحـ ملون لجمعة \* ان المنازل أخصبت من أدعى  
دعنى وما شاء التلذذ والاسى \* واقصد بلمك من يطبعك أوبى  
لاقابلى فاعى السلام فأننى \* أودعته بالامس عند مودى  
قل للنجيلة بالسلام توزعا \* كيف استبجت دى ولم تتوزى  
وبديعة الحسن التى في وجهها \* دون الوجوه عناية للبدع  
مابال معتمر بربعك دائبا \* يقضى زيارته بغير تمتع  
ومنها

ووعدتني ان عدت عود وصالنا \* هيهات ما أتيت الى ان ترجى

## كتاب (٣٠) الروضتين

هل تسمعين بيـئـد أيسر نائل \* ان اشدتكي وجدى اليك وتسمى  
فتميقبني الى بحبك مغرم \* ثم اصنعي ماشئت بي ان تصنعي  
ومنها

عنى الربيع الجون ربعا طاما \* أبصرت فيه البدر ليلة أربع  
ولو استطعت سقيته سبيل الغنى \* من كفى يوسف بالادر الانفع  
بيدى فتى لوان جود يمينه \* للغيث لم يك مسكا عن موضع  
فاذا تبسم قال يا جـودا ندق \* فيضاو يا سحـب الندى لانهلى  
واذا تنـمـر قال يا أرض ارجني \* بالصاهـلات ويا جبـال تزعزعي  
واذا دعا فى المجدد اعلى غابة \* قالت له اللهم الجسام ترفع  
كم وقفة لك فى الوغى مـسـودة \* أبدا وكم جود حـمـد الموقـع  
والناس بعدك فى المكارم والندى \* رجـلان اما سارق أو مدعى

قال ثم رحل السلطان الى حماد واستعجب معه ابن أخيه تقي الدين فلما قرب من حاب أقبل مظفر الدين كوكبرى بن  
على كوجك صاحب حران حينئذ فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جملة الاعوان وأشار عليه ان يعبر الفرات  
ويجوز ماوراها ويترك حلب الى ما بعد ذلك اثنتا عشرة ليلة عن غيرهما فاستصوب السلطان رأيه وعبر الفرات  
وقال القاضي ابن شداد نزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين فأقام ثلاثة أيام  
ورحل في الحادى والعشرين منه يطاب الفرات واستقر الحال بينه وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب  
حران وكان قد استوحش من جانب الموصل وخاف من مجاهد الدين فالتجأ الى السلطان وعبر اليه فاطع الفرات  
وقوى عزمه على البلاد وسهل أمرها عنده فعبر الفرات وأخذ الرها والركة ونصيبين وسروج ثم شحن على الخابور  
وأقطعه وقال ابن أبى طى فى أول السنة أراد مظفر الدين بن زين الدين وكان اليه شحنة حلب الاستيلاء على قلعة  
حلب بأن يجمعها فلم يتمكن وظهر أمره وبعده هذه الواقعة اجتمع الاحوان عز الدين وعماد الدين على الركة وتحالفوا  
على بساط واحد وسلم عماد الدين ما كان يهدم من سنجار وغيرها الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فسار اليها  
ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار الى الفرات فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على  
جباب التركان وأشار على السلطان بعبور الفرات والاستيلاء على بلاد الشرق وتأخير أمر حاب ففعل ورحل عن  
حلب بعد ان أقام عليها ستة أيام وأقام على قلعة ثلاثة أيام ثم رحل الى البصرة وفيها شهاب الدين محمد بن الياس  
الارتقى فنزل اليه وقبل الارض بين يديه وسأله الصعود الى قلعة البصرة فأجابته وقدم له مفاتيح القلعة فردّها اليه  
ووعده باستخلاص ما كان صاحب ماردين في ردّها عليه ورحل السلطان الى سروج فنزل اليه صاحبها ابن مالك مستأمنا  
فأعاده الى بلده وراسل صاحب ماردين في ردّها ما كان تغلب عليه من أعمال البصرة ففعل ثم أخذ الرها ثم الركة ثم سلم  
الرها الى ابن زين الدين والركة الى صاحب الرها لانه سأل ان يكون في خدمة السلطان ومن كتاب فاضلى  
عن السلطان الى عز الدين فرخ شاه يعلمه بالجمال وفي آخره (ولتجمل بجمل ما هنالك من الاموال فكلما افتحت البلاد  
أبوابها قد فتحت المطاعم أفواها واستوعبت الخزائن اخرجوا وانفقا واستغفد الحواصل اعطاء واطلاقا وقد منّا  
على بحر لا يسده الا بحر وعلى أيدان كان بها الغنى ففى أنفسهم الفقر) ومن كتاب آخر الى العادل (يعلم مقدار الحاجة  
الى الانفاق وكثرة الخرج الذى اشترك فيه أهل الآفاق وانتم متى نصبت المواد وقت الامور التى قد شارفت نهايتها  
وتفرقت الجموع التى تناذرت الاعداء نكاتها وما دون تلك البلاد الا الوصول اليها والنزول عليها) قال العماد  
وقال مظفر الدين للسلطان ما زلت شوقا اليك فى حران حران والى الرى من ورد خدمتك ظمآن وهى لك مبدولة  
وبأولئك من أهل الدين والديناماء هوله والرها لا يعسر أمرها والركة لرك وبعض حقل والخابور فى انتظار خبرك  
ودار دارك ونصيبين نصيبك وملك الموصل موصلك الى الملك وماذا أو ان الونا فادن اليها وكل بعيد قد دنا فال  
ووصل البحر الى الفرات وخيم عليها من غربى البصرة ومد الجسر وكانت البصرة قد طمع فيها صاحب ماردين واستولى

### في اخبار (٣١) الدلتين

على مواضع من أعمالها فلما سمع بالسلطان تخلى عنها فأعاد اليها صاحبها شهاب الدين محمد بن الياس الأرتقي وكتب السلطان بالمثل العاضلي الى الديوان عند عبور الفرات كتابا فاقطاعوا ويل يقول فيه (خدم الخادم متواليه الى الانواب السريفة خلد الله سلطنتها اشار حاله وحواله ومعتد بها من صالح أعماله ومتوقعا من الاجوبة عنها ما يبهي له من أمره رسدا ويفرق الاعداء اذ كادوا يكفون عليه لبدا فان الاراء السريفة لولم تقصع عنها الانشأت وتتمعها الاجابات والابتداء آت لا فتمت عنها مالا الخادم التي استفتحت الدولة بعدة قائل الفتوح قبل خطبتها وردت الاسماء السريفة الى أوطانها من المنابر بعد طول غربتها فذلك الاعمال كالهجرة واكمل مهاجرا مهاجرا اليه ونية المراء ثوبه فلا يلبس الا ما خلعت له النية عليه وكتاب الخادم الآن من البيرة بعدما قطع الفرات وكان من لا تقرب عليه العزائم ما هو بعيد ولا يليق السمع وهو شهيد بظن ان ساسا كس النيل يحول الفرات بينه وبين قصده وأنه ينسى عزيمة رأيه اذ اذ كرت طول مدته وهول مذه وكيف ما كان هذا المخرج المخرج فقد أحسنت الى الخادم اساءة اليه وقربه من محل دار السلام بل الاسلام فإأ كثر ما قال السلام عليه واستشف حنانه من جنابه امانا وذرأ أوجبتهما الموالاة والمهاجبة وطالعت عينه أنواء وانوارا تنسب الى بركاتهما كل سبحانه وكاد ينزل عن السروح والا كوار ويقبل الثرى لا جل شرف الجوار ويستند علة ماء الفرات لانه يمر تلك الديار ويقرأ من صفاته صفاء تلك الخواطر العظيمة الاخطار ومن عذوبته عذوبة ذلك الانعام الذي هو أعم وأغز لا قطار من القطار وتنو دار السلام من منزلته فأدناه النظر العالي واسلفته ماله حوز الفوز بما قربه نجما من قربه والاسمال أمالي والله تعالى يسرف أرضاه واطمأنا وبرعى سر وحاو كاليتها ويسعد به امة هو بارها بطاعة من هو بارها بالتحقق الخادم ان المواصلة قد واسلوا الفرج مواصلة أخلصرافها الضما ثم لم يستطيعوا فيها كتمان السرائر وخصتهم خطوط الايدي المتسكة بعصم الكوافر وعقدوا معهم عقد أشهد من هو حاضره ونقله الى من سمعه من هو ناظره وكان عقدهم احدى عشرة سنة والمستقر لهم في كل سنة عشرة آلاف دينار على ان تسلم ثغور المسلمين الى الكفار منها بانياس وشقيف ترون وحبيس جلدك وأسارى الفرنج في كل بلدة بأيديهم وفي كل بلد يسترجعون من الخادم مساعده الفرنج ولما تم لهم هذا العقد وجلوا الى الفرنج ذلك النقد ظنوا ان الحق يجادله الباطل فيدحضه وان يدالكفر تنبسط الى الاسلام فتقبضه وان الخادم لا يمكنه أن يتوجه اليهم الا ان يكون للفرنج سلما ولا يستطيع أن يقسم العساكر فيجعل بازاء الفرنج قسما وبازاءهم قسما وعلموا على هذا الوهم وبنوا على هذا الحكم استنصوا الفرنج على تنافق الخطوة واستخرجوهم على ما بهم من كلوم الغزوة بعد الغزوة فتحاملت أرجل الكفار على ظلعها وخرجت على طمعها الى فرعها وانفقت في رجا لها لاجلهم اليهم بما ورجت الى الاسلام جيشا جهزه من يدعى الاسلام لفظا وبقارقه حكما وتواعد المواصلة مع الفرنج ليل طلبوا ولاية الخادم من جانب ويطلبها الفرنج من جانب ونظر وافيا يوصل المشاة الى الخادم ولم ينظر والا سلام في العراق فوصل المواصلة الى نصيبين مجتدين محمدلين وحر كوا الفرنج للغروج الى الشام متطرفين ومتوغلين فلاجرم ان أمر اء جانبهم وخواص صاحبهم لم يسعهم المروق من الدين ولا الخروج عن امره الموحدين فارضوا الله باسخطهم واشفقوا على دينهم اشفاقا دل على تحرزهم له واحتياطهم فاتبعوا الحق وسلوكوا سبيله ورفع لهم الهدى منارته فاقفوا دليله لاتبعد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فاستعان الخادم عليهم بالله الذي استعانوا على ديه باعدائه ولما رأى انهم قد أمالوا النصر من أرضهم أهله من سمائه فرتب الخادم في رأس الماء بدمشق بازاء الفرنج المملوك فرخا دابن أخيه وابقى عسكر الشام وحامية فيه واستنص أخاه من مصر الى ما يليه من بلاد الكفر فنقض وقام الخادم بما أقامه له ولله عز وجل بما فرض وسار الخادم بالعسكر المصري الى هذا الجانب الذي هو الآن فيه وكان أيسره يكفيه وتناقض في الطريق انتظارا لان يأتيوا البيوت من أبوابها ويفرجوا عن الولاية أيدي اغتصابها ويعتدروا الى السيف بالسنة يشفق على رفاها فأتوا الا ابااء وروا الملك ارضا ما ادعوا فيه تقليم الخلق بل الالباء ولما قرب الخادم من الفرات وصل اليه صاحب حران ابن زين الدين على كوجك ومقدم عسكرهم وابن أمير معشرهم وكذلك صاحب سروج وصاحب البصرة وكل بيده مغانج بلده وأماه أمان الخادم له قد استبدله من مقلده ووراءه عسكره على كمال عدده وعدده وتوات كتب أمرائهم الذين يأخذون اقطاعاتهم خدما ومصابعات ورعا ياهم الذين يأخذون أرواحهم جبايات

## كتاب (٣٢) الروضتين

ومقاطعات ومكوسا وعشورا واحتكارات يرغبون الى الخادم في الانفاذ ويحمونه في المسير على الاغذاذ ويشكون انهم مع جواردار الخلافة المعظمة لا يسلك فيهم سبنا ولا يقتنى فيهم شرائعنا وسبنا ونهى الى الخادم من تفاصيل المغارم التي تلزم الفريقين ويعدل بها عن أقصد الطريقين ما يروق السامع ويسمع الرائع ويسجل عليهم بالخلاف ويشهد لهم بالانحراف لانهم ان ادعوا تقليدا فقد نقضه كونهم ابتدعوا وما اتبعوا ونقضوا وما اقتضوا ومثلوا بالحق وما امتثلوا وأمر وأبكف الأيدى وقد بسطوها وبأخذ الاموال من حلها وقد خلطوها ورعاية أمة النبي صلى الله عليه وسلم وقد انحطت فيها وانحطت فيها وابن الدعوة العباسية من رعاها لا من ادعاها والعهود وصايا وما الأولى بها من سمعها بل من وعها وأى عهد لم لا عهد له بالطاعة وأى ولاية لم لا مور بأن يجمع أهل الفرقة ففرق أهل الجماعة فالجندى توكل الارض باسمه ولا شئ بعده والعامى رفع الى السماء استغاثه لا ما بهل الله عليه ولقد أعجب الخادم من اشغاف النفس الغنية الا انها فقيرة والارتفاق بثلث الطعم الجليسه وهى على الحقيقة الفقيرة يوم يحجى عليها في نار جهنم فتكوى بها جماهم ووجنوبهم وظهورهم الا يذهب هذا الى غمامة أخرى لا تفر عليها الجنوب ولا تدر عليها الحلوب ولا ينم على سمر بارقها وان كان الحلوب وجوان الخادم بلغه انهم كاتروا جهة من الجهات التي الدولة منخرقة عنها وبدلوا الطاعة لها وقد أمر وابل امتناع منها وهذا نصر في الخلاف لا يدخله التأويل وقول قد أحاط به العلم فلا يحتج به التقويل وكل صغيرة من هذه الكبر وكل واحد من هذا الجمع المتكاثر ينقض الولايه ويجرح العدالة ويسلب الرشد ويثبت الضلالة ويمسئ نية الولي فيما هو له ماض ويهت عزمه فيقضى ما هو قاض ويسخطه وكيف لا يسخط والمولى غير راض ويعيظه بما لا عذر له لمغناط متغاض وما نهى الخادم مما اتصل به الا الاوائل والاطراف وما عول الاعلى ما يحجته انفس دون ما خيله الارجاف واذا قد ساق الله الى هذه الولاية حفظها من معدلة كان الزمان بها طويلا مطلة وانشأها سخاب احسان كان بعيدا عليها هطله فقد كفت الخواطر السريفة ما كانت به على اهتمامها كلما يجب للامة على امامها واليه بتقويض الله يرجع أمرها ويده يلجبل نفعا ويجلى ضررها وقد تجددت للدولة الشريفة قوة واستظهار وبسطه واقترار وسيف به يناضل من يسئ الجوار ولسان يجادل به من يريد الدار وكان الخادم طالع لوصول الاسطول المصري الى الشام الفرنجي وما فعله في موانيه وسواحه وما غنمه من مرا كبه وقوافله وورد كتاب من مصر بأنه كسب بطشة فرنجية خرج من فيها هاربا من القسطنطينية لثمنه وقعت فيها بين رومها وفرنجها قتل منهم خمسون ألف فرنجي واقلت منهم بطش منها هذه البطشة وفيها رجال أكابر ومقدمون لهم ذكر سائر وغم المجاهدون منهم ماملا أيديهم من سبي وذخائر واقتلبوا بنعمة من الله وفضل وحازت القبضة من الاسارى ما يزيد على أربعمائة بعد من درج بالقتل

**فصل** قال العماد ثم كاتب السلطان الملوك بالوفود لا تقا فم جاء مستسلما سلمت بلاده على ان يكون من اجناد السلطان واتباعه في جهاد الكفار بجاء رسول صاحب حصن كيفا بالاذعان وهو نور الدين محمد بن قولا ارسلان ثم رحل السلطان من البصرة ونزل على الرها وكان فيها خفر الدين مسعود بن الزعفرانى فاذعن وانقاد وتسلمها مظفر الدين مضافه الى حران ثم وصل السلطان الى حران فرتبها وانصل منها الى الرقة وفيها الامير قطب الدين بنال ابن حسان فاذعن أيضا وسلم ولم يوافق مر اعاذ لصاحبه فاصحها السلطان ورحل منها الى مذهب الرمان ثم الى عرابان فتسلمها وأصلح من شأنها وتواصلت أخبار وصول السلطان بالخابور وما نشر من العدل في البلاد التي فتحها فاقتحت رأس عين ودورين وما كسين والشمسانيه والغدين والمجدل والحصين قال وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التنجين الى نصيبين فاستعصت قلعتها أياما ثم فتحت استسلاما وولاه السلطان حسام الدين أبا الهيثم السمين وولى الخابور رجال الدين خورشترين ثم سمرنا الى الموصل وقطعنا الاعمال بين النهرين ثم أعمال البقعة ثم سمرنا الى بلد وأشر فنا على دجله وكأوردنا خيما لنا في أشهر من تلك السنة نيل مصر والقرات ودجله ثم صممنا على قصد الموصل فلما قربنا من الوصول كبرنا تكبير من ظفر بالسول وتقدم السلطان في الامراء ذوى الاراء ودار حول السور وعين لكل مة مة مقاما فنزل هو وراء البلد وبقى الدين من شرقيه وأخوه تاج الملوك بوري عند باب العمادية فحصلت المحاصرة والمضايقة وتولى مجاهد الدين قايمار حفظ البلاد بأحسن تدبير وكتب الديوان العزيز في ان يشفع لهم الى

الى السلطان فقدم في ذلك صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير في الشفاعة فرحل السلطان عنها في شعبان وقصد سنجار وتقدم امامه تقي الدين وقال القاضي ابن شداد كان نزول السلطان على الموصل في هذه الدفعة يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وكنيت اذذاك بالموصل فسيرت رسولا الى بغداد قبيل نزوله بأيام قلائل فسرت مسرعا في دجلة وأتيت بغداد في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستجيدين بهم فلم يحصل منهم سوى الانفاذ الى شيخ السيوخ وكان في تحيته رسولا من جانبهم يأمرونه بالحديث معه وتلطيف الحال معه وسير الى بهلوان رسول من الموصل يستجده فلم يحصل من جانبه سوى تشرط كون الدخول تحته أخطر من حرب السلطان ثم أقام السلطان على الموصل أياما وعلم انه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة على هذا الوجه ورأى ان طريق أخذه أخذ قلاعها وما حوله من البلاد واضعافه بطول الزمان فرحل عنه ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان فأقام يحاصرها وفيها شرف الدين ابن قطب الدين وجماعة واشتد عليه الامر حتى كان ثاني شهر رمضان فأخذها عنوة وخرج شرف الدين وجماعته محترمين محفولين الى الموصل وأعطاها السلطان ابن أخيه تقي الدين ورحل عنها الى نصيبين وقال العلماء قصد السلطان سنجار نزل بارتجان فوجد عسكرا من الموصل سائرا اليها فأحاط به وأخذ خيلهم وعددهم وردهم الى الموصل رجاله ووصل الى سنجار ومعه رسل دار الخلافة ونور الدين صاحب حصن كيفا وكان في سنجار شرف الدين أخو صاحب الموصل فامتنع من تسليمها لفرص ورمت القلعة بالمنجنيق فانهدم منها ثلثة من السور فوكل بها من يحفظها ودخل شهر رمضان فكف السلطان عن القتال ثم جاءه الخبر ليلة ان الموكلين يحفظ تلك الثلثة نيام فأرسل اليهم من أوثقهم وحملهم اليه وكان فيهم جماعة من المتقدمين والاعيان فلما أصبح صاحب سنجار اذعن وسلم ورحل بأهله وماله ودخل السلطان القلعة وربتها وأمر بحمارتها وولاشا الامير سعد الدين مسعود بن ابرو كان السلطان يعتمد عليه وأخته ابنة معين الدين كانت في حباله السلطان وكان رئيسا سنجار بن يعقوب فترك الرياسة فيهم وولى القضاء منهم نظام الدين نصير المظفر بن محمد بن يعقوب ثم رحل السلطان الى نصيبين فأقام بها الايام كانت باردة ومنها ودع رسل دار الخلافة وشكا أهل نصيبين من أميرها أبي الهيثم السمين فاستنجد به السلطان معه وسار الى دارا وأمرها صمصام الدين بهرام الارتقي فقتل السلطان بأحسن ملق فأكرمته وسار الى حران وأقام بها للاستراحة وعاد كل الى بلده وسارت تقي الدين الى حماه هذا والمواصله في جدم من جمع الجوع وابتغاء الغوائل للسلطان

**(فصل ١٠)** في وفاته فرخشاه بن شاهنشاء بن أيوب قال العماد في هذه السنة في جمادى الاولى توفي بدمشق الملك المنصور عز الدين فرخشاه ووصل خبره الى السلطان عند عبوره الفرات فأقر السلطان ولده الملك الألب محمد بهرام شاه على بعلبك وأعمالها مكان أبيه وانفذ شمس الدين ابن المقدم واليامكانه على دمشق وأعمالها قال ابن أبي طي كان فرخشاه من أكرم الناس يداووا طهرهم اخلاقا وأسدتهم رأيا وأنجعهم قلبا ومما يحكى من كرمه انه دخل الحمام يوما فرأى رجلا قد قعد دبه الزمان وكان يعرفه من أهل اليسار وشاهد عليه ثيابا رثة يبين منها بعض جسده فاستدعى بجميع ما يحتاج الرجل الى لبسه وأمر له بغلام وبغلة مسرجة وبألف دينار وقال لبعض غلمانه اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل وخذ ثيابه واجعل هذا الغلام والبغلة له ففعل فلما تغسل الرجل وخرج رأى موضع ثيابه تلك الثياب وسأل الخدم عن ثيابه فقال انبدلت بهذه الثياب فتقدم اليه الغلام وأخبره بجميع ما صنعته عز الدين وأخبره بأنه قد أجرى عليه معيشة عشرين دينارا في كل شهر فلبس الثياب وخرج من الحمام وهو من أغنى الناس قال وكان فرخشاه ممدحا مدحه ابن سعدان بعدة قصائد من جملتها التي يقول فيها

تخذ الساري لبدا وعود الزان نابا والهندوانى ظفرا  
أنجمي الانساب قصرت الاعراب عنه سجعها ونظما ونثرا  
هزمت كتبه الكنائس جفلا \* وأعادت دجى الحوادث جفرا

{ فهو كالمازنى علما وكالاحسنف حلما وكالفرزدق شعرا }

قال وكان فرخشاه مضافا الى شجاعته كونه عالما متفننا كثير الادب مطبوع النظم والنثر فن شعره قوله

## كتاب (٢٤) الروضتين

أنا في أسر السقام \* من هوى هذا الغلام \* رضاء ترشق عينا \* هفواًدى بسهام  
كلما أرشفنى فا \* دعلى حر الاوام \* ذقت منه الشهد فى الثلج المصفى فى المدام

قلت ونبغ ابنه الاحبى أيضاً شاعرا وكن السلطان كثيرا لا اعتماد على فرخ شاه وفى بعض الكتب الفاضلية عن السلطان اليه (وصل كتابه يتضمن خروج الفرنج وباديره من الاحوال واعده من مكائد القتال ولسمنا استبعد ان يدنى الله به كل بعيد من المراد وان يقلل بتدبيره تغلب الدين كفروا فى البلاد وان يجرى على يده أول النخل الذى توعد به اخرصا وان يصب به على المشركين موت عذاب ان ربك (بالمراصد) وقال العباد كان عز الدين فرخ شاه من أهل الفضل والفضل على أهله يغنى الكرام عن الالة ذال بكر مدله ومن أخص خواصه وذوى اصطقائه واستخلاصه الصدر الكبير العالم تاج الدين أبو الين الكندى أو حد عصره وسج ووحده وقرع دهره وعلامة زمانه وحسان احسانه ووزير دسته ومشير وقته وجليس أنسه ورفيق درسه وشعاع شمسه وحبيب نفسه ولى فى هذا الملك قصائد منها قصيدة هائية مرسومة مدخنة بها فى أول سنة صحبت فيها السلطان الى مصر وهى سنة اثنتين وسبعين وعارضا تاج الدين أبو الين بكلمة بديعتى وزنها ورويها وحسن ريها فأما كلتى فهى

بين أمر حلاوة العيش الشهى \* وهوى حال غصارة الزمن البهى  
وصبابة لا استقل بشرحها \* عن حصرها حصر البليغ المدرة  
أأحبتى ان غبت عنكم فالهوى \* دان لقلب بالغرام موله  
انهى اليكم ان صبرى منتهى \* بل منتهى والشوق ليس بمنتهى  
أما عودى ودمى معى فقد وهت \* وأبت عقود الودى منى ان تهى  
ولقد ذهبت بينكم فاستقمتم \* يامى لمسايق بينكم مدهى  
فى شوقكم أبدأ الزمان تمكرى \* وبدرككم عند الكرام تهكوى  
لوقيل لى ما تشتهى من هذه الدنيا لقلت سواكم لأشتهى  
ما كان أرفه عيشتى والدها \* من دالدى يبقى بعيش أرفه  
ومن السفاهة اننى فارقتمكم \* من أين ذوالحلم الذى لم يسفه

ومنها

وعقاب ايله ما يفارق جلقا \* أحسد اليها غير غرابله  
مالى ومصر والمصامع انما \* ملككت قىادى حيث لم أنزله  
لا تنهى يا عادلى فأنا الذى \* تبع الهوى وأتى بما عذبه نهى  
قد قلت للحادى وقد نادته \* فى مهمه اقصروا صلت مهمه  
حتام جند بك للزماء فأرخه \* فلقد أنخت الى ذرى فرخه  
متكرم بالطبع لا متكره \* سستان بين تكرم وتكره  
احسان ذى محمد وهمة ماجد \* محمد وتهوى عابدمناؤه

وهى ثلاثة وثمانون بيتا والقصيدة الساجية تسعة وأربعون بيتا أولها

هل أنت را حرم عبدة وتوله \* ومجير صبا عندما منتهى  
هيئات يرحم قاتل مقتوله \* وسنانه فى القلب غير مهنه  
من بل مرداء الغرام فأنى \* مذحل لى مرض الهوى لم أنقه  
اننى بليت بحب أغيد ساحر \* بلحاظه رخص البنان برهره  
أبغى شفاء تدهى من دله \* وموتى يرقم دلدله  
يامفردا بالحسن انك منتهى \* فيه كما أنا فى الصبابة منتهى  
قد لام فيك معاشرا فاتهى \* باللوم عن حب الحياة واتهى

## في أخبار (٣٥) الدولتين

ابكى لديه فان أحس بلوعة \* ويشمقة أو ما يطرف مقهقه  
 امان محاسنه وحالى عنده \* حيران بين تفكه وتفكه  
 صدان قد جمعا بلفظ واحد \* لى فى هواه بهنيين موجه  
 قلت يقال تفكهت بالشئ أى تمتعت به وتفكهت تعجبت. ويقال أيضا تفكهت تدمت ومنه قوله تعالى فظلمت  
 تفكهون فهو فى تفكه أى تمتع بالمحاسن وفى تعجب من حاله وتدم عليه اثم فال

أنا عبد من شهد الزمان بعجزه \* عن ان يجيئه له بند مشبه  
 عبد لعز الدين ذى الشرف الذى \* ذل الملوك لعز عبد فرخشه  
 طابت موارده فغص فداؤه \* وشدا الحداة بذكرة فى المهمه  
 يفد بك كل ملك متايه \* أبدا بالسنة الرعامه  
 لا يفقه النجوى اذا حد رنته \* وادانى بحديثه لم يفقه

قلت وذكر العلامى ديوانه أسيانا حسنة فى مدح الشيخ تاج الدين أبى الين رحمهما الله قال

تذاكر من وزاد مصر عصابة \* حديث فتى طاب الندى بذكره  
 وقالوا رأينا فاضلا ذابها \* أدبيا يفوق الفاصلين بفخره  
 يدين حبيب والوليد لنظمه \* ويمجده عبد الحميد لنثره  
 ولو عاش قس فى زمان بيانه \* لكان مسندا فى البيان بشكره  
 فضايله كالشمس نورا ولم تزل \* مناقبه فى الدهر اعداد زهره  
 بيان هو السحر الحلال واننا \* نرى مجزما من فضله حل سحره  
 ذو الفضل هم عند الحقيقة أبحر \* ولكنهم أنجبوا جد اول بحره  
 يضوع مهيب الحمد من عرف عرفه \* وتأرجح أرجالها بنشوره  
 فقلت لهم هذا الذى تصفونه \* أبو الين تاج الدين أوجه عصره

قلت وبلغنى ان أول معرفة فرخشاه به انه كان فى مجلس القاضى الفاضل بالقاهرة فرخشاه الى الفاضل  
 جفرى ذكر بيت من شعر أبى الطيب المتنبى فتكلم فيه تاج الدين بما يليق به فأعجب فرخشاه وسأل القاضى الفاضل  
 عنه فقال هذا فلان وعرفه بفضله فلما قام فرخشاه من مجلس الفاضل أخذ بيد الشيخ تاج وخرجه ولزمه الى ان  
 توفى رحمه الله أجمعين

﴿فصل﴾ فى أخذ السالكين البحر لقصد الجزار قال العماد فى شوال سنة ثمان وسبعين كانت نصرة الاسطول  
 المتوجه الى بحر القلزم والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ لطلب الفرنج السالكين بحر الجزار وذلك ان الابرئس  
 صاحب السرك لم اصعب عليه ما توالى عليه من نكاية أصحابا المقيمين بقلعة ايلة وهى فى وسط البحر لاسيلى عليها  
 لاهل الكفر أفكر فى أسباب احتياله وفتح أبواب اغتياله فبنى سفنا ونقل أخشابها على الجمال الى الساحل ثم ركب  
 المراكب وشحنها بالرجال وآلات القتال ووقف منها مركبين على جزيرة القلعة فخنق أهلها من استقاء الماء ومضى  
 الباقيون فى مراكب نحو عيذاب فقطعوا طريق التجار وسرعانى القتل والنهب والاسار ثم توجهوا الى أرض الجزار  
 وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاد وأعضل الدواب وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر ووصل  
 الخبر الى مصر وبها العادل أخو السلطان فأمر الحاجب حسام الدين لؤلؤ فعمر فى بحر القلزم مراكب بالرجال البحرية  
 ذوى التجربة من أهل النخوة للدين والجمية ومدار الى ايلة فظفر بالمركب الفرنجى عندها فخرق السفينة وأخذ  
 جندها ثم عدى الى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع  
 بها وواقعها وأطلق الأسرى من التجار ورد عليهم ما أخذ منهم ثم صعد الى البر فوجد اعرابا قد نزلوا منه شعابا  
 فركب خيلهم وراء الهاربين وكافوا فى أرض تلك الطرق ضارين فحصرهم فى شعب لاء فيه فأسرهم بأمرهم  
 وكان ذلك فى أشهر الحج فساق منهم أسيرين الى منى كما يساق الهدى وعاد الى القاهرة ومعه الاسارى فكتب



## كتاب (٣٦) الروضتين

السلطان اليه بضرب رقابهم وقطع أسباهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف قلت ولابي الحسن ابن الذرؤى فى الحاجب لؤلؤ بسبب هذه الواقعة اشعار منها

مر يوم من الزمان عجيب \* كاد يبدى فيه السرور والجماد  
اذأى الحاجب الاجل بامرى \* قرنتهم فى طيها الاصفاد  
يجسمال كانهن جبال \* وعلوج كانهن أطواد  
قلت بعد ذلك كبير ما تبدى \* هكذا كذا يكون الجهاد  
حبذا لؤلؤ يصيد الاعادى \* وسواه من اللآلى يصاد  
ومنها

قلت وقد سافرت يا من غدا \* جهاده بعض من حجه  
اذ قيل سارا الحاجب المرتجى \* فى البحر يارب السماء نجده  
البحر لا يعدو على لؤلؤ \* لانه ككون من ثلجه  
ومنها

يا حاجب المجد الذى ماله \* ليس عليه فى الندى حجه  
ومن دعوه لؤلؤا عندما \* صحت من البحر له نسبته  
لله ما تم عمل من صالح \* فيه وما تظهر من حسبه  
كفيت أعمل الحرمين العدا \* وذدت عن أجدواك كعبه  
ومنها

لئن كنت من ذا البحر يا لؤلؤ العلى \* نمت فان الجود فى ذلك وفيه  
وان لم تكن منه لاجل مذاقه \* فانك من بحر السماح أخيه  
ومنها

اءأنت لؤلؤا للمعالى \* جاء من أبحر السماح العذاب

وكتب السلطان الى العادل من كلام النفاصل (وصل كتابه المؤرخ بن خماش ذى العدة المسفر عن المسفر من الاخبار المنبسم عن المنبسم من الآثار وهى نعمة تضمنت نعماً ونصرة جعلت الحرم حراماً وكفاية ما كان الله ليؤخر مجزة نبيه صلى الله عليه وسلم بتأخيرها وعجبية من عجائب البحر التى يحدث عن تسييرها وتسييرها وما كان الحاجب لؤلؤ فيها الاسمها أصاب وجده مسدده وسيفاً قطع وتكر مجرده ورسولاً عليه البلاغ وان لم يجهل ما أثرته يده وقد غبطناه بأجر جهاده ونجح اجتهداه ركب السبيلين برا وبحرا وامتطى السابقين من كآؤظها وخطاها وسع الخطا وغزا فأنجح الغزو وحيد الغنان الذى فى هذه الغزوة أطلق والمال الذى فى هذه الكزة أنفق وهؤلاء الاسارى فهد ظهر وأعلى عورة الاسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبيلة وتطوفوها ولو جرى فى ذلك سبب والعياد بالله لضاعت الاعذار الى الله والخلق وانطلقت الاسل بالمذمة فى الغرب والشرق ولا بد من تطهير الارض من ارجاسهم والهواء من انقاسهم بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين وان هذا العدد القليل قد نال ذلك المنال الجليل وهذا مقام ان روى فيه حراسة الظاهر والوفاء للكافر حدب الفتى الذى لا يمكن فى كل الاوقات سد ورتقه ولدغ المؤمن مرتين والاولى تكفى لمن له فى النظر تفقه) وفى كتاب آخر الى العادل أيضاً (ونحن ننهى المجلس السامى بظنره ولم لا يكله وينصره ولم لا يجعله ويشكره وليس فى قتل هؤلاء الكفار مراجعه ولا للشرع فى ابقائهم فسيحه ولا فى استبقاء واحد منهم مصالحة ولا فى التناصى عنهم عند الله عذره قبول ولا حكم الله فى أمثالهم عند أهل العلم شك ولا شهول فليض العزم فى قتلهم ليتناهى أمثالهم عن فعلهم وقد كانت عظيمة ما طرق الاسلام بمثلها وقد رأى الله بعد هذا بلطفه أجزاه على يد من رآه من أهلها) وفى كتاب آخر أيضاً الى العادل (قد تكرار القول فى معنى أسارى بحر الحجاز فلا تذر

## في أخبار (٣٧) الدولتين

على الارض من الكافرين ديارا ولا توردهم بعد ما البحر الانارا فاقلمهم اذ بقى جنى الامر الاصعب ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالاشق الاتعب) ومن كتاب آخر الى بغداد (وسارت المراكب الاسلامية طالبة شوكة المراكب الحربية المتعرضة للمراكب الخجارية واليمنية وكانت مراكب العدو قد أغلقت في البحر ودلها على عورات الساحلين من العرب من أشبه زكاهي الكفر فوصلت الى عيذاب فلم يزل منها مراد اغيران ما وجدته في طريقها أوفى فرضة عيذاب نالت منه وشعثت وفسدت فيه وعثت وتمادت في الساحل الخجاري الى رابع الى سواحل الحوراء وهناك وقع عليها أسحان وأوقعوا بها السديقاع وأخذوا المراكب الفرنجية على حكم البدار والاسراع ففر فرنجية الى الساحل فركب أسحان وأرآهم خيول العربان التي وجدوها وأخذوا الكفار من شعاب وجبال اعتصموا بها وقصدوها وكفى المسلمون أسد فساد في أرضهم وأقطع فاطع لفرضهم وانبطت آمالهم بقبضهم وعميت على الكفار هذه الطريق التي لو كشف لهم غطاؤها قدما ولو أحاطوا بها علما لاشتطت نكايتهم واشتدت جنائيتهم وعز على قداماء ملوك مصر ان يصرعوا هذه الاقران ويطفئوا هذه النيران ويركبوا غوارب الحج ويرخصوا غوا الى المهج ويقتنموا هذا الطائر من جوه الذي لا يدرك لوحه ويدركوا هذا العدو الذي لا يدرك الان تستخذ عليه ملائكة الله وروحه) وفي كتاب آخر الى بغداد (كان الفرنج قد ركبوا من الامر نكرا واقترضوا من البحر بكرا وعمروا مراكب حربية شخنها بالماقاتلة والاسلحة والازواد وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز وانحنوا وأوغلوا في البلاد واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلد لما مض اليهم من خلل العواقب وما ظن المسلمون الا انها الساعة وقد نشر مطوى اشراطها والذيا وقد طوى من شوربساطها وانتظر غضب الله لفناء بيته المحرم ومقام حليته الاكرم وزان أنبيائه الاقدم وضح نبهه الاعظم صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تشهد البصائر آية كآية هذا البيت اذ تصده أسحباب الهيل ووكوا الى الله الامر وكان حسبيهم ونعم الوكيل وكان للفرنج مقصدان أحدهما قلعة ايلة التي هي على فوهة بحر الخجاز ومدخله والاخر الخوض في هذا البحر الذي تجاوره بلادهم من ساحله وانقسموا فرقتين وسل كوا طريقين فاما الطريق الذي قصد قلعة ايلة فانه قدّر ان يمنع أهلها من مورد الماء الذي به قوام الحياه ويقاطلهم بار العطش المشوب الشباه وأما الفريق القاصد سواحل الخجاز واليمن فقدّر ان يمنع طريق الحاج عن حجه ويحول بينه وبين حجه ويأخذ تجار اليمن واكارم عدن ويلبسوا سواحل الخجاز فيستبيح والعباد بالله المحارم ويبيع جزيرة العرب بعظيمة دونها العتائم وكان الاخ سيف الدين بمصر قد عمر مراكب وفرقها على الفرقين وأمرها بان تطوى وراءهم السقمتين فاما السائرة الى قلعة ايلة فانها انقضت على مراكب الماء انقضا سواحل الجوارح على سيات الماء وقد فتراف في شهب السماء مسترقى سمع الظلماء فاخذت مراكب العدو رمها وقتلت أكرمتها لتلتهما الامن تعلق بهضة وما كاد أودخل في شعب وما عاد فان العربان اقتصوا آثارهم والتزموا احضارهم فلم ينجح منهم الامن بنهي عن المعاودة ومن قد علم ان أمر الساعة واحده وأما السائرة الى بحر الخجاز فتمادت في الساحل الخجاري الى رابع سواحل الحوراء فاخذت تجارا وأخافت رفاقا ودلها على غوارب البلاد من الاعراب من هو أشد كفرا ونفاقا عما كتبت عليها أسحاننا وأخذت المراكب بأسرها ووفر فرنجها بعد اسلام المراكب وسل كوا في الجبال مهاوى المهالك ومعاطن المعاطب وركب أسحان وأرآهم خيل العرب يشلونهم شلا وبقتنصونهم اسرا وتلا ومازوا لاتباعهم خمسة أيام خيلا ورجلا نهرا واولا حتى لم يتركوا عنهم خبرا ولم يبقوا لهم أثرا وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقيد منهم مائة وسبعون أسيرا) ومن كتاب آخر (ومن جملة البشائر الواصلة من مصر عود الاسطول من ثمانية كلسرا كاسبيا غاما غالبا بعد نكايتهم في أهل الجزائر واخراب ما وجدته فيها من الاعمال والعماثر ومن جملة ما ظفر به في طريقة بطشهم من مراكب الفرنج تحمل أخشابا منجورة الى عكا ومعها تجارون ليبنوا منها شواى فاسر التجارون ومن معهم وهم نيف وسبعون وأما الاخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها المؤمنين وللخادم في المغرب عسكر قد بلغت اقصى افريقية فتوجه وعاود به شخص الدين في تلك البلاد وروحه

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد في هذه السنة وهي سنة ثمان وسبعين انعم السلطان على نور الدين

## كتاب (٣٨) الروضتين

محمد بن قرا أرسلان بأعمال الهيثم وكانت جارية في عمل الموصل فلما تسلمها جعلها من نصيبه وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله حين توجه إلى الموصل في أوائل سنة ست وستين عند وفاة أخيه مودود وودع ابن قرا أرسلان بقلعة الهيثم ثم سلمها إليه دون أعمالها لتحمله ليمينه ووفاء بوعده الكريم ودينه ولما جاء لمساعدتنا في هذا العام خصه السلطان عاجلاً بهذا الانعام ثم وهب له قلعة جديدة وهي قريبة من نصيبين ووعده بفتح أمد له فوفى بوعده كما سيأتي قال وكان ساء أرم من صاحب خلط ظهر الدين سكران وهو خال صاحب مارد بن بغلازي بن أبي تمر تاش وصاحب مارد بن هذا هو ابن خلط صاحب الموصل عز الدين بن مسعود بن مودود بن زنكي فأنفذ شاه أرم يشفع إلى السلطان في الموصل وسنجار وهو على سنجار وأرسل إليه سيف الدين وهو من أعرأ أصحابه عليه فلم يسمع السلطان شفاعته فاجتمع هو وصاحب مارد بن وصاحب الموصل وصاحب ارزن وبدليس وغيرهم من عسكر حلب وجعوا جوعاً وعزموا على لقاء السلطان وتزولوا ضيعة من أعمال مارد بن يقال لها حرم جمع السلطان عساكره وجاءه تقي الدين من حماه إلى حران في خمس ليال فساروا إليهم بعد العيد الأكبر فلما وصل السلطان رأس عين وسمعوا بجيئته فرقوا وأفرقوا وعاد الخلاطى إلى خلاطه باختلاطه ورجع الموصل إلى موصله لمواصلته احتياطه واعتصم الماردى بحصنه المارد وهتكوا حرم حرم للصادر والوارد وهاب عسكر حلب العود إليها ونحى على طريقه فاذن جمعه بتفرقه ومضى معظمهم إلى الموصل فغير الفرات عند عانه ولم يجدوا عانه ونسقتهم ريحناوهم جبال وذهبوا لقلب النساء وقد جاؤا وهم رجال ثم نزل السلطان منزلة القوم بحرم وفيها قصر لصاحب مارد بن كان يتنزه فيه فافام فيه تاج المملك أخو السلطان قال ابن أبي طى وفي هذه السنة نزل قراقوش على بالذالوت وفاتله إلى أن انهزم منه أهله ودخل المدينة ليقضى بها أيام الشتاء فصبح يوماً فاذا حول المدينة عسكر مقداره خمسة آلاف رجل فقاموا فقتل أصحابه فلم يجد إلا جماعة من البوابين والركابدارية وباقي الناس سكارى ورأى أحد البوقية فامرهم أن يضرب بالبوق وفتح الباب وخرج فظن العسكر أن قراقوش وعسكره قد شعروا بهم فاهزموا قال ثم اند قصد طرابلس فحاصرها وضيق عليها وكان شيخها عبد المجيد ابن مطروح قد راسل قراقوش وطلب منه الأمان وسأله أن ينفذ إليه قوما يقر معهم أمر التسليم فأنفذ إليه وزيره وثلاثة من وجوه أصحابه فأخذهم عبد المجيد وأزله في دار أخلاها لهم وأمر لهم بجميع ما يحتاجون إليه فلما خلا لهم الليل أخذوا الخناد وتصافوا بها حتى قطعوها وفام بعضهم إلى صهر مخرج ملوء ماء للشرب فأحدث فيه فأخبرت الرقاب عبد المجيد بما كان منهم فأحضر وجوه البلد وقص عليهم ما كان منهم وقال إذا كان هؤلاء خيارهم فما ظنكم بغيرهم وكان أهل البلد قد أشاروا على عبد المجيد بتسليم البلد فامتنعوا وحينئذ وحضر ابن مطروح من الغد إليهم إلى الدار ومعهم وجوه البلد فمال أصحاب ضيافته لم أحضر هؤلاء السادة محادثة مقطعه فقال ما أحضرنا لهم إلا محاد جندا ولكن النعم أكلوا طعام الصوفية الذي لا نعرفه في بلادنا فاسخى القوم وعلموا أنهم قد فطنوا بحالهم ونزل رجل إلى الصهر مخرج فرأى العذرة على وجه الماء فقال من فعل فلم يرد واحد منهم جواباً فقال ابن مطروح يا قوم ما أدخلناكم إلينا إلا عازمين على تسليم البلد إليكم وان نكون لكم رعايا وقد شاهدنا منكم أفعالا ما نرضاها فان قلتم ان هذا الفعل من علمائنا وعبيدنا فما أقيم هذه الاحدثة عن خيار أصحاب هذا الرجل وان كان عنده من هو خير منكم فلم يسمعكم إلينا هذا طعن في عقله ثم أمر بإخراجهم فأخرجوا من المدينة فلما صاروا إلى قراقوش وعلم القصة عظم عليه الأمر وأراد الفتك بهم وعلم أنهم قد فتقوا عليه فتم لا يمكنه رقه أبداً وتيقن أنه لا يملك البلد أبداً وأنفذ عبد المجيد إلى قراقوش أنك لست بمادر على أخذ هذا البلد لاجل ما نقر به أصحابك لقلب أهله فان رأيت ان نجعل لك جعلاً لتحملها إليك في كل سنة وترحل عنا فعلننا فأجاب إلى ذلك ورحل عنهم بعد أن احتوى عليهم قال وتوافت إليه الفرسان من مصر حتى صار في ثمانمائة فارس من الأتراك وسار من جبل نفوسة إلى قابس في يومين ثم إلى قصر الروم وغيره من المواضع والقلاع فهاجم ونهب وغنم وغلب وخافه أهل تلك النواحي

﴿فصل﴾ في فتح أمد قال العماد ثم سار السلطان إلى آمد ونزل عليها يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة بعد أن استأذن الخليفة في ذلك فأذن له فنصب السلطان عليها المجانيق وضايقهم وطال حصارهم ثم أخذها في السنة

الآتية كما سيأتي

### في اخبار (٣٩) الدولتين

ثم دخلت سنة تسع وسبعين \* قال ابن أبي طي والساطان منازل لا آمدوا شتد قتال العامة بها فأمر السلطان بكتب رقاع فيها اوراق عداد ووعدها واعداد وان داموا على القتال لنستأصلن شافتهم وان اعتزلوا وسلموا البلد لنحسن اليهم ولنضعن ما عليهم من الكلف والضرائب وأمر أن تعلق تلك الرقاع على السهام وترمى الى آمد فرمى من ذلك شيء كثير فكفوا عن القتال وأشاروا على ابن تيسان بطلب الامان فأومن على أن يخرج بجميع أمواله دون الذخائر والسلاح واهل ثلاثة أيام فلما عول على نقل أمواله قعده به أصحابه فأرسل الى السلطان فأنفذ اليه غلمانا ودواب وضربت له خيمة بظاهر آمد وجعل ينقل ما يفدر على نقله من المال والقماش وآلات الذهب والفضة مدة ثلاثة أيام بعلم عظم كائنا من يريدون على ثلثة مائة انسان ولم ينقل عسرها كان له وسرق من أمواله أكثر مما حصل له لانه ما أخرج أحد شيئا الا وأخذ نصفه أو أكثر وكان ابن تيسان قد حصل في آمد أشياء كثيرة لا يمكن وصفها من الاسلحة والاموال والغلال والكتب ولما انقضى الاجل أخذ ما حصل وسارقا صيدا بلاد الروم وتسلم السلطان مدينة آمد بأموالها وذاخيرها ونصبت أعلامه على أسوارها وذلك في رابع عشر المحرم ووجد فيها من الغلال والسلاح وآلات الحصار من الخنايق واللعب والزوائد أشياء كثيرة لا يمكن أن يوجد في بلد مثلها ووجد فيها برج من ابراجها فيه مائة ألف سمعة وبرج مملوء بنصول النساء وأشياء يطول سرها وكان فيها خزانة كتب كان فيها ألف ألف وأربعون ألف كتاب فوهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل فانتخب منها حل سبعين حزمة ويقال ان ابن قرا ارسلان باع من ذخائر آمد وخزائنها ما لا حاجة له به مدة سبع سنين حتى امتلأت الارض من ذخائرها وكان السلطان لما تسلم آمد وهبها للنور الدين محمد بن قرا ارسلان بما فيها وكتب له بها وأعمالها توقيعا وفي له بما وعد به وفيل للسلطان انك وعدته بأمد وما وعدته بما فيها من الاموال والذخائر وفيها من الذخائر ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار فقال لأضن عليه بما فيها من الاموال فانه قد صار من اتباعنا وأصحابنا قال وفي فتح آمد يقول سعيد الحلبي من قصيدة في السلطان

رمى آمد بالاصافات فأذعنت \* له طاعة آكامها ووعورها  
فاعرز ناديهما ولا اعتاص ثغرها \* ولا جاش طاميهما ولا رد سورها  
وأترلت بالكراه ابن تيسان محرجا \* كما أنزل الزباء كرها قصيرها  
نهضت لها حتى اذا انقاد صعبها \* تقضى على طول الشماش نفورها  
سمحت بها جودا لمن ظل برهة \* يغاورها طوراً ويطوراً يغيرها  
ومدكت ما مدكت منها تحولا \* وكان قليلا في ندادك كثيرها  
وان بلاد انجدت تكملوها \* لاجدران يرجونداك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فيا ساكني الرعاء من سفع آمد \* أرى عارضاً ينهل بالموتها طله  
لئن غضبت يوما عليكم عروشها \* فهذا ابن أيوب وهذى معاقله  
ولوراهما يوما سواه لقطعت \* أباهره من دونها وأباجله

قلت وقال آخر

لوعرفت آمد من جاءها \* يخطب في الاسلام تسليمها  
لصيرت أعلى سراريفها \* لمن على الارض سلاليمها

قال العماد وأما آمد فحصل فتحها يوم الاحد في العشر الاول من المحرم وكان مدبر آمد ابن تيسان فهو رئيسها والفائم بأمرها وكان لا آمد أمير قديم يقال له ايكلكدى من أيام السلاطين القداما وولده محمود شيخ كبير عنده بيطعمه ويسقيه ويدعى انه من غلماناه ووهصطنعيه وانه يحفظ البلدة وانه لا يغدر به ولا يؤثر بده واذا جاء رسول يحضره عند أميره ويسند ما يديره الى تديره ويقول انه غلام ومامعه كلام وحافظ على سر هذه السريره وآمن باحتياطه من جور الجيره بل مامنهم الامن يخاف مكره ويحفظ منه وكره وينكر عرفه ويعرف نكره ولم ينزل الحصار عليهم الى أن

## كتاب (٤٠) الروضتين

أذعنوا للأنقياد وخرجت نسائهم بجر إلى المخيم الفاضل يطلبن الأمان فأنهن -م السلطان على أنهم يخرجون بعد ثلاث ويحملون ما قدر واعلمه من المال والاثاث وأعانهم السلطان على نقل الاموال بالدواب والرجال فلما انقضت مدة الأمان تسلمها السلطان وسلمها إلى نور الدين بن قرا ارسلان بأعمالها وما فيها وكان السلطان وعده بها قبل ذلك فأنجزه الوعد وقد كان أبوه عاناها مده وتمناها فاقدر عليها ثم وصف العماد ما كان في قلعة آمد من الذخائر والاموال والحواصل والامتنع وان أصبح بها لم يقدر وافي تلك الايام الثلاثة الا على تحويل ما خفي منها واستغنى المساعدون لهم في تحويلها اليهم وكتب العاضل عن السلطان إلى الديوان بعداد (ورد إلى الخادم التقليد الشريف بولاية آمد فلما رآه مستقرا عنده قال هذا مفتاحها وسمع الوصايا فاستضاء بها في ظلمات العصد وقال هذا مصباحها وتناولها فاطنه الا كتابا أنزل عليه من السماء في قرطاس وما يقنه الانوار يسمى به في الناس فسار به ولولا العادة ما استحب جند يا وعول عليه ولولا الرتبة لما تقلد هندا ووطرق بابها بقليدته ولولا ما استطاع للاولياء أن يظهره وما استطاعوا له تقبلا وناشد المقيم بتعليمه ثلاثة أيام بثلاث رسائل فلو كان ذاسع أصغى ولو كان ذالب لبي فلما انقضت ضيافة أيام النذارة واحتقر من يأمر دار الحرب جاهلان وقودها الناس الجبارة عمد لها في اليوم الرابع فزلزل عمدها وقائلها فزال جلدتها وزيل جلدتها ثم رأى ان الشوك كثيرا أصابت غير ذات السوكة من جندتها وان المسلم قد امن عذاب الحرب ولا يأمن أن تحرقه القسي من سهام بشار زندها فعبدل إلى المنجنيقه الذي أمل صاحبها منه منجانيقه ورأى ان سوط سطوته يضرب الحجر ويضرب عن أن يياشر البشر وتلك الابرجة قد شمتت بأنفها ونأت بعطفها وتأهت على وامةها وغضت عين رامةها فهني في عقاب لوح الجو كالطائر الآن المنجنيق أغرى بها عقابيه وضعفها غلبه وخضم امامها يخاصمها وقام إلى الغير يحاكمها ويضرب بعصاه الحجر فتنجس من النقوب أعين لا ترسل الماء ولكن تروى العطاس إلى منهل المدينة وتهل الطمأى كذلك أياما حتى محى من الشرفات شنب ثغرها وتناوبها كاس فقلق تبين بهز ابراجها آثار سكرها وعلت الايدي الحامية عنها فلم يبق على سورها من يقف جفنا وش المنجنيق عليها غارة إلى أن صارت شبا وفضت صناديق الحجارة المقفلة وفصلت منها اعضاء السور المتصلة ووجب التمال لتلايط بالخادم ان لا جندله الا جندله فأوعزنا للتقدم إليها ودخول النفائين فيها فانحنت جراحا بالنقوب وهتك الخباب من أضالع البلد فكدت تصل إلى ما وراءها من القلوب وخشيت معرفة الجديس في وقت شجعه وروسل صاحبها بأنه كشف له الخذلان حتى نصر على شكه بعلمه فاعاد الرسول مستنكها تحجب النجاد بارسال دوات الخباب وابرارهن رمتكم اليد العلى بن لم يكن جوابه غير احرازه واحرازهن ولم يعارض في نفسه ولا في قومه ولا في أمراله وهى ماهى ذخائر موفره ومكاسب من أرباح خسرته كانت الحقوق عنهما مذوده والامال دونها مطروده وغض الخادم كل عين عن عنقه وورقه وصانته في منجنيقه من النقر صيائنه في ذات سوره وخندقه واستوفى شرط الوفاء بما أعطاه من موثقه وشده آمد فهى مدينة ذكرها بين العالم متعالم وطالما صادم جانبها من تقدم فرجع مجذوعا أنه وان كان فخا وقرعها فربدا الهمة واستحب جفلا ورأى حجرها فقدر انه لا يفك له حجر وسوادها فحسب انه لا ينسج من جفرو حمية أنف أنغها فاعتقد انه لا يستجيب من حجر من ملوك كلهم طوى صدره على الغليل إلى موردها ووقف بها ووقف المحب المسائل في يفزعا أمل من جواب معهدا) ثم ذكر تسليمها إلى ابن قرا ارسلان ثم قال (ولما رأى صاحب ميافارقين ان أخت صاحبته قد ابنتى بها خاف ان نجعل له بين الاختين فراسل ببذل الخدمة التي يكون فيها النور الدين ثاى اثنين) ثم ذكر اجتماع المواصله وساه أرم من وصاحب ماردين وصاحب أرزن وبديس وغيرهم على قصد الخادم ونزلوا تحت الجبل فلما صح عندهم قصده ظنوا انه واقع بهم فأخذوا عنه الفرار نقوة وذكروا ما في لقائه من عوائد كانت عندهم مخوفة وعنده من جود وسار كل فريق على طريق بنية عدو وقيل صديق والخادم يقول مهما أرادت فيه الاراء الشريفة أتاه ومهما نوت فيه من احسان قرب عليه ما نواه فهذه آمد لما أرسل اليه مفتاحها وهو التقليد فتحها وهذه الموصلة لما تأخر عنه المفتاح منعها وما منحها ولوا عين به لعظمت على الاسلام عائدته وظهرت في رفع مناره فائدته لان اليد كانت تكون به على عدو الحق واحده والهمة لآلات النصر واجده فان رأى أمبر المؤمنين ان يميز بين أوليائه وينظر أيهم أبر وأوليائه وأشد على أعدائه وأقوم بحقه وحق

## في اخبار (٤١) الدولتين

آبائه وأهيم أن ترك للفراش المهد واهتمك للطريق الممدد واهجر في سبيل الله لراحه واصبر في جهاد عدو الله على مضض جراحه واسلى عن ربحانة فؤاد وأكثر ممارسة لحمة واد فيختار لهذه الامة التي جعله الله لها اماما وأماما أسعد من أجرى في طاعته ضامرا وملا بولايته ضميرا فخن عدله أن يولى عليه العدل الذي يقر عينها ومن فضله أن لا ينسى الفضل بينها وقد ورد ذلك المنشور بآمدافاورد الميسور فان ورد المنشور المشار اليه بالجزيرة وما وسعت فانه نور على نور وما يحسب الخادم ان كيدا للعدو والكافرا كيد ولا جهدا لاهل الضلال اجهد ولا عائدة بغيظ رؤساء أهل الاتحاد أعود من تخميم أمر الخادم بزيد الاستخدام والا فلينظر هل يشق على الكفار مزيد أحد سواء من ولاية الاسلام فكل ذي سلطان هو الطاعم الكاسي المحبي بالماض لا الحاسي بالمكفي لا الكافي يقضى عمره وهو لا يشهد الطعن الا في الميدان ولا يتمل الهام طائرا لولا الكثرة في الصولجان ولا يشقى بسهمه الا قرطاسه ولا يحظى برفده الا يكاسه فأعاد الله بأمر المؤمنين هذا الدين الى معالم حقه الاولى وأطال يد سلطانه الطولى الى ان تأخذ الامة ورما أخذها عدلا واعتدالا وسلموا وقتالا فيعود الى الاسلام عوايد ارتياحه وأيام منصوره وسفاحه) ومن كتاب آخر فاضلى عن السلطان الى وزير بغداد (أصدر هذه الوصيلة الى المجلس السامى معولا على كرمه فيما حلت من اللبانه مستغنيا بشهرة الحال المتجددة عن الابانه فان آمد قصر الامد في الظفر بها وانقادها من المظالم التي كانت تلبس نهارها بقبة غيها وسار اليها ببقية العساكر بعد الذين ساروا الى الشام وأقاموا قبالة الكفار بعدة اقتصر عليها أكثرها من عساكر الديار المصرية على بعد تلك الديار ليظهر لمن نوى المناواه ويتبين لمن كان على منافاة الملاقاه ان رجلا من مصر فتحوا آمد بعد سنة من البيكار وبعد غزوتين قد طولع بهما في توار يخهما الى الكفار ففي ذلك ما يغص الحاسد ويغض الحاقد ويعلم ان في أولياء الدولة ما رد كل مارد فلما حل بعقوتها أراد ان يجرى الامر على صوابه ويلج الامر من باب به وان ينذر المغترو بوقظه ويعظه بالقول الذي رأى من الرقى ان لا يغلظه فبعث اليه ان يهب من كراهه وبعد لتضيف التقليد قراه ويجوب نفسه منجأ الذئاب ولا يتعرض بان يكون منجبا للذئاب فاذا عريكته لا تلبس الا بالعراك وطريدته لا تصاد الا بالاشراك فهناك رأى عاجلا ما هنالك وقول حق القتال في يوم واحد عرف ما بعده من الايام ووقع الاشفاق من روعة الحريم وسفك الحرام ونصب المنجنيقات فأرسل عارضها مطره وفطر السور بقدره الذي فطره وخطب امامها خطيب خطبه وأغمد الصارم ككتفا يضربه وترقه أهل الحرب لحسن المناب منه عن خزبه فصار في اقرب الاوقات جيلها كتيبها مهيبلا وعفرت الابرجة وجهاتر ما ونظرت القلعة نظرا كليبلا حتى اذا أمكنت النقب ان تؤخذ وكبد السوران تقلد رأى الذي لا يصبر على بعضه واعتذر اليه البناء الذي بناه ان لم يقضه فلا بد من نقضه وسأل فأجيب الى الامان على نفسه وخرج منها وانما أخرجه الظلم وسلم وهو يرى السلامة امامن الحلم وامامن الحكم) ثم قال (ولو لا تقليد أمير المؤمنين لما فتح له الباب الذي قرعه ولا أنزل عليه النصر الذي أنزل معه ولا ساعد سيفا ساعد ولا نلت يد مددت من مصر فأخذت آمد ومن بآمد وكو قبلت مسألته في تقليد الموصل لكان قد دلجها ولوبدلجة أدلجها وأخذها ولوبحصاة تنبذها وهو توقع في جواب هذا الفتح ان يمد بجيش هو الكلام وربما هي الاقلام ونصر هو وافدا الامر وترشيد هو فك انجر وليس ذلك لوسائل من دولة أقامها بعد ميل عروشها ولا لدعوة قام فيها بما تصاغر دونه جيوشها ولكن لان هذه الجزيرة الصغيرة منها تنبعث الجزيرة الكبيرة وهي دار الفرقه ومدار الشقه ولوانتظامت في السلك لانتظم جمع عسكر الاسلام في دار الشرك ولكان الكفر يلقى بيديه وينقلب على عقبه ويعشاد الاسلام من خلفه ومن بين يديه وبغرى من مصر برا وبحرا ومن الشام سراجها ومن الجزيرة مداو جزرا ويكون خادمه قد وجب ان يتمثل بقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة أخرى) ومن كتاب آخر (كتابها هذا والمدينة قد فحمت أبوابها وعذقت بدوائن أسبابها وتكلم لسان علمنا في فم قلعتها وبعد ان لبستها دلتنا وفتينا جوعا عدلنا فالحمد لله الذي تتم النعم بحمده ونجيب الامل بقصد ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) قال العماد ثم دخل السلطان مدينة آمد وجلس في دار الامارة وحلف نور الدين بن قرا ارسلان على انه يظهر بها العدل ويقع الجور ويكون سامعا مطيعا للسلطان من معاداة الاعداء ومصافاة الخلان في كل وقت وزمان وانه متى استمد من آمد لقتال الفرنج وجده لذلك يقظان

## كتاب (٤٢) الروضتين

واليه عشان قال وكان هذا نور الدين في خدمة السلطان بنفسه وعسكره منذ عبر الفرات ثم ان رسل ملوك الاطراف اجتمعت عند السلطان كل يطلب لصاحبه الامان وان يتخذ من جملة الاعوان منهم صاحب ماردين وصاحب ميافارقين وهما قريبا بن قري أرسلان فرد السلطان كل رسول بسوله وأجاب اقباله بقرله ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات لقصده حلب وولايتهما قسم في طريقه قل خالد بالعرب ولم تكن منهم بالقرب فأقراهم فيها ثم نزل على عين تاب فبادر صاحبها ناصر الدين محمد بن خمارت كين الى خدمة السلطان فأعادته الى مكانه بالاحسان وقال ابن أبي طي تسلم السلطان تل خالد في رابع عشر المحرم وسلمها الى بدر الدين دلدرد ومن كتاب فاضلي (نزلنا تل خالد يوم الثلاثاء ثاني عشر المحرم وكان قد تقدمنا الاجل تاج الملوك اليها وأناخ عليها وفابلها وقتلتها وعالجها ولوشاء لعالجها ولما أظلمت عليها راياتنا التي من فيها يده وانجز النصر صادق مواعده وأرسلتها حلب مقدمة لفتحها وقد أنعم الله علينا بنعم لا تحصيها تعدادا ولا نستقصيها اعتدادا ولا نستوعبها ولو كان الممارطسا والبحر مردادا ورايتنا المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها بضعها وسيموفا قد صارت مهادج الامصار تفتحها بنصر الله لاجدها ولا يقطعها قلت وما أحسن ما قال البلغوي من قصيدة له في السلطان

قل للملوك نخو اعن مالكمكم \* فعدأق آخذ الدنيا ومعطيها

**(فصل)** في فتح حلب قال القاضي ابن شداد لما عاد السلطان بدأ بتل خالد فنزل عليها وعالجها وأخذها في ثاني عشر المحرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى حلب فنزل عليها في سادس عشر المحرم وكان أول نزوله بالميدان الاخضر وسير المقاتلة يقاتلون وبياسطون عسكر حلب بياقوسا وباب الجنان غدوة وعية وفي يوم نزوله جرح اخوة تاج الملوك وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرج وخرب قلعة عزاز في تاسع جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخرب حصن كفر لانا وأخذها من بكمش فانه كان قد صار مع السلطان وقتل بل باشر فلم يقدر عليها وجرت غارات من الفرنج في البلاد يحكم اختلاف العساكر قال ولما نزل السلطان على حلب استمدى العساكر من الجوانب فاجتمع خلق كثير وقتلها ما لا يحصى وحقق عماد الدين زنكي انه ليس له به قبل وكان قد ضرس من افتراح الامر اعليه وجبههم اياه فأشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له نزع السلطان في اعادته بلاده وتسلم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشعر أحد من الرعية ولا من العسكر حتى تم الامر ثم أعلمهم وأذن لهم في تدبير أنفسهم فأنفذوا عنه عز الدين جريدك وزين الدين بك فبقوا عنده الى الليل واستخلفوه على العسكر وعلى أهل البلد وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الاخضر ومقدموا حمل وخلع عليهم وطيب قلوبهم وأقام عماد الدين بالقلعة يقضى اشغاله وينقل أقدسه وخزائنه الى يوم الخميس ثالث عشر صفر وفيه توفي تاج الملوك أخو السلطان من الجرح الذي كان أصابه وشق عليه أمر موته وجلس للعزاء قلت وكان أصغر أولاد أيوب ذكر ابن القادسي ان مولده سنة ست وخسين في ذي الحجة فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وأنشده شعرا وقال العماد الكاتب في كتاب الخريدة انه لم يبلغ العشرين سنة وله نظم لطيف وفهم شريف ثم قال القاضي أبو المحاسن وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزاه وسار معه بالميدان الاخضر وتقرررت بينهما قواعد وانزله عنده بالخيمة وقدم له تقديمة سنوية وخيلا جميلة وخلع على جماعة من أصحابه وسار عماد الدين من يومه الى قرا حصار سائر الى سنجار وأقام السلطان بالحنيم بعد مسير عماد الدين غير مكثر بأمر حلب ولا مستعظم لشأنها الى يوم الاثنين سابع عشر صفر ثم صعد في ذلك اليوم قلعة حلب مسرورا منصورا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنوية وكان قد تخلف لخدمته مختلف لعماد الدين من قماش وغيره وقال العماد وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين زنكي بن مودود الذي كان صاحب سنجار وقد تحصن بكثرة الاجناد والعدد وأراد مقابلة السلطان ومقاتلته وأراد السلطان ان يظفر بها بدون ذلك من القتال وعداوة الرجال لكن الشباب وجهال الاحباب راموا القتال وأحبوا النزال وتقدموا وأقدموا والسلطان ينههم فلا يهتمون وكان فيهم تاج الملوك بوري أخو السلطان قطع في نخذه ثم مات بعد ذلك بأيام بعد فتح البلد وكان السلطان ذلك اليوم قد صنع وليمة لعماد الدين زنكي وكان السلطان أول ما نزل على حلب نزل في صدر الميدان الاخضر وذلك في زمن الربيع الانصر ثم رحل ونزل على جبل جوشن ونهى عن القتال وقال نحن هاهنا

### في اخبار (٤٣) الدولتين

نستغل البلاد وما علينا من الحصن الذي بلغ منه هذا العناد وانفذ رسول الترهيب اليهم ففكر عماد الدين زكي في أمره ورأى ان الصواب مصالحة السلطان فانفذ رسلا اليه حسام الدين طمان وصالحه وحلفه على أن يسلم اليه حلب ويرد عليه بلده سنجار ففعل وزاده الخبايا ورو نصيبين والركة وسروج واشترط عليه ارسال العسكر في الخدمة للغزاة ومن كتب فاضليه (تسليم مدينة حلب وقلاعها لم يوضع بها الحرب أو زارها وبلغت بها اللهم أوطارها وعوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لانه مشترط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومختمل بالجلية فهو أحد الاولياء في مغيبه ومحضره وعوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والخبايا والركة وسروج فهو صرف بالحقيقة اخذنا فيه الدينار وأعطينا الدراهم وزننا عن المنجيات وأحرزنا بالعواصم وسرنا اننا انجلت والكفار المحارب والمسلم هو والمسلم واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في موافق الغزو والمصاربه فانظم الشغل الذي كان نثيرا وأصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشعب وأخذ اللهب واتصل السبب وأخذت للغزاة الالهب ووصلت الى غاية همة الطلاب والالفة واقعه والمصلحة جامعه واشعة أنوار الاتفاق شاعره) ومنها (فتحنا مدينة حلب بسلم ما كشفت بجرمها قناعا وتسليما فقلعتها التي ضمنت أن تسلم بعدها بمشيئة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه به الخدمة في الجهاد بالعدة الموفوره فبى بيدنا بالحقيقة لان مرادنا من البلاد رجالاتها لأموالها وشوكتها لازهرتها ومناظرتها للعدو لانضمتها وان يعظم في العدو الكافر نكابتها لان تعذق بالولى المسلم ولايتها والاوامر بحلب نافذه والرايات بأطراف قلعها آخذة وجاء أهل المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤملون وامنوا ما كانوا يخشون وعوض صاحبها ببلاد من الجزيرة على أن تكون العساكر مجتمععة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاد بأيدنا نامغنها ولغيرنا مغرمها وفي خدمتنا ما لا نسمح به وهو عسكرنا وفي يدها ما لا نرضى به وهو درهمنا شرطنا على عماد الدين الخدمة في أوقاتها والمظاهرة على العدة عند ملاقاتها فلم يخرج منا بلدا الا لينا عا د عسكره وانما استبقينا فيه من يحمل عناء مؤتمه ويذره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافه ونتمثل قوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ومنها (نشعر الامير بما من الله به من فتح مدينة حلب التي هي مفتاح البلاد وتسلم قلعها التي هي أحد ما رست به الارض من الاوتاد فقلله الحمد وايسر يقع الحمد من هذه المنه ونسأل الله الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية وهي الجنة وصدرت هذه البشرية والموارد قد أمضت الى مصادرها والاحكام في مدينة حلب نافذة في بادياها وحاضرها وقلعتها قد أرف لواءا على أنفها وقبضت على عقبه بكفها واعتدرت من لقائه أمس برشقها ورأينا أن نقشاغل بما بورك لنا فيه من الجهاد وان توسع المجال فيما نضيق به تغلب الذين كفروا في البلاد) قلت ولابي الحسن بن الساعاتي في مدح السلطان عن اذادة فتح حلب قصيدة منها

ما بعد انقياك للعافين من أمل \* ملك الملوك وعذى دولة الدول  
فانقض الى حلب في كل سابعة \* سروجها قلل تغنى عن القل  
ما فتحها غير اقلد الممالك \* ادعى اليه جميع الخلق والممل  
وما عصت منعة لكنه غضب \* علام أهملتها الهمال مبتذل  
غارث وحقك من جاراتها فشكت \* ما باله فيصا صى غير محتفل

وللقاضى السعيد بن سناء الملك من قصيدة

بدولة الترك عزت دولة العرب \* وباب أنوب ذلت ببيعة الصلب  
ان العواصم كانت أى عاصمة \* لنفسها بتعال - بها عن الرتب  
جليلة النجم في أعلى مراتبه \* وطاما غاب عنها وهي لم تعب  
ومانعته كمعشوق تدمعه \* أحلى من الشهدا وأشهى من الضرب  
فصرعها بلا غيظ ولا حنق \* وسارعها بلا حقد ولا غضب  
نطوى البلاد وأهلها كآئبه \* طيا كما طوت الكتاب للكتب  
أرض الجزيرة لم تظفر ممالكها \* بمالك فطس أو سائس درب



## كتاب (٤٤) الروضتين

ممالك لم يدبرها مدبرها \* الأيرأى خصي أو بعقل صبي  
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحت \* من الفساد كما صحت من الوصب  
وقد حواها وأعطى بعضها هبة \* فهو الذي يهب الدنيا ولم يهب  
ومذرت صدء عن ربعة حلب \* ووصله لبلاد الغير بالحلب  
غارث عليه ومدت كف مفتقر \* منها اليه وأبدت وجهه مكثب  
واستعطفته فوافتها عواطفه \* وأكتب الصلح اذ نادته عن كتب  
وحل منها بأفق غير مخفض \* للصاعدن وبرج غير منقلب  
ففتح الفتوح بلامين وصاحبه \* ملك الملوك ومولاها بلا كذب  
وقال ابن أبي طى \* وكان كثير من الشعراء يحرضون السلطان على فتح حلب منهم أبو الفضل بن حميد الحلبي له  
من قصيدة

يا ابن أيوب لا برحت مدى السدد رفيع المكان والسلطان  
حلب الشام نحو مرآك ولهى \* وله الصب ريع بالهجران

وقال ابن سعدان الحلبي من قصيدة

دونك والحسناء أم القرى \* ونارها الاشهب والطود الاشتم  
واركب الى العلية كل صعبة \* أبيت لعنا وخلاك كل ذم  
وارم فكل الصيد في جوف العرى \* لا صارم السهم ولا بابي الحكم  
مدى الى أخت السماء زورة \* لا فرق يعقها ولا ندم  
فيها لها شماء مسخرة \* تطارح البرق وساحات الديم  
ايه صلاح الدين شذا زرها \* وعزم عليها فالزمان قد عزم  
ودونك المنعة من قباها \* وبابها المغلق في وجه الام

قال وفي آخر يوم السبت ثامن عشر صفر نشر سحقي السلطان الاصفهري على سور قلعة حلب وضربت له البشائر وفي ذلك  
الوقت تخفى عماد الدين وخرج من القلعة ليلا الى الخيم وأخذ في اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح وأثاث وكان  
استناب الامير حسام الدين طمان في القلعة حتى توافى رسله بتسليم سنجار ونصيبين والخاوير الى نوابه وأعطى السلطان  
طمان الرقة لوساطته في أمر عماد الدين وكان السلطان شرط انه ما يريد من حلب الا الحجر فقط وأذن لعماد الدين في  
أخذ جميع ما في القلعة وما يملكه من حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيئا وياع في السوق كل ماله مية كن من حمله وأطلق له  
السلطان بغالا وخيلا برسم حل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الاحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة في الميسدان  
الاخضر وأحضرها جميع الامراء ومقدمي حلب قال وبينما السلطان على لذته بالدعوة والاخذ والاعطاء والانعام  
والحبا اذ حضر اليه من عرفه وفاء أخيه تاج الملوك بسبب الضربة التي أصابته على حلب فلم يتغير لذلك ولا اضطرب  
ولا انقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الاحسان وأمر بسترد ذلك وتوعد عليه ان يظهر وكظام خزنه  
وأخفى رزيته وصبر على مصيبتة ولم يزل على طلاقته وبشاشته الى وقت العصر وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة  
وتفرق الناس فحينئذ قام رحمه الله واسترجع وبكى على أخيه ثم أمر به فغسل وكفن وصلى عليه وأمر به فدفن بمقام  
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم حمله بعد ذلك الى دمشق ودفنه بها قال وكان تاج الملوك شابا حسن الشباب  
ملج الاعطاف عذب العبارة حلوا الفكاكة ملج الرمي بالقوس والطعن بالرمح وكان شجاعا باسا لا مقداما على  
الاهوال وكان قد جمع الى ذلك الكرم واليتيم في الادب وله ديوان شعر حسن متوسط فنه

يا هذه وأمانى النفس قربكم \* ياليتها بلغت منكم أمانيه  
ان كانت العين مذفارتكم نظرت \* الى سواكم فخايتها أمانيه

قال ولما انقضت تعزية السلطان بأخيه خلع على الناس في اليوم الرابع وفرق في وجوه الحليبين الاموال وفي

## في اخبار (٤٥) الدولتين

سادس عشرى صفر ورد أصحاب عماد الدين وأحضروا اليه العلام ثم بتسلم سنجار ونصيبين والخابور ففي ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل منها الأمير طمان وأصحابه ولما سلمها الى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه أصحابه وأمرائه وخرج الى خدمة السلطان ظاهراً وركب السلطان الى لقائه فاجتمعوا عند مشهد الدعاء الذي بظاهر حلب من جهة الشمال ولم يتجرأ أحد منهم ما صاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب الدين فترجل للسلطان وترجل السلطان له واعتنقه وعاد افر بكاوسار هو وأبوه في خدمة السلطان الى المحيم بالميدان الا خضر فأجلس السلطان عماد الدين معه على طراحتيه وقدم له مقدمة حسنة عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب من العنابي والاطلس والمعتيق والممرس وغير ذلك وعشرة جلود قندس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قبا ومائة كمه وحجرتين عربيتين بادانها وبغلتين مسر وجنتين وعشرة كاديش وخمس قطر بغال وثلاث قطر جمال عربيات وقطار بنحت ولما فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام لما أصاب منه عماد الدين نهض للركوب وخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه الى قريب من بابلي وودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده قال وفي يوم الاثنين سابع عشرى صفر ركب السلطان وصعد الى قلعة حلب وكان صعوده اليها من باب الجبل وسمع وهو صاعد الى قلعة حلب يقرأ قل اللهم مالك الملك توفى الملك من ثناء الآتية وقال والله ما سررت بفتح مدينة كسر وري بفتح هذه المدينة والآتية قد بينت اننى أملك البلاد وعلمت ان ملكي قد استقر وثبت وقال صعدت يوماً مع نور الدين رحمه الله تعالى الى هذه القلعة فسمعت به يقرأ قل اللهم مالك الملك الآتية قال ولما بلغ السلطان الى باب عماد الدين قرأ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضهم تطوؤوها ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع القلعة ثم عاد الى المحيم وأطلق المكوس والضرائب وسامح بأموال عظيمة وجلس للهناء بفتح حلب وأنشده جماعة من الشعراء منهم يوسف البراعى له من قصيدة

شرفت بسامى مجدك الشهباء \* وتجلتها بهجة وضياء

ألفت اليك قيادها وبها على \* كل الملوكة ترفع وأباء

ومنها سعيد بن محمد الحريرى له من قصيدة وتقدم بعضها

وصبحت شهباء العواصم مصلتنا \* قواضب عزم لا يفيل شهرها

فامطيت منها غار بافيك راغباً \* وعاد يسيراً في يديك عسيرها

وأوطأت منها الخصميك تنوفة \* بعز على الشعري العبور عبورها

وردد اليها روح عدلائها وحها \* وكانت رميماً لا يرجى نشورها

قال وقال والدى أبو طى النجار من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زيد \* تاج لا لا بيوسف وجمالاً

هى اس الفخار من نال أعلا \* هاتعالى فخامة وتغالا

ومحل العلاء من حل فيها \* تاه كبراً وعزة وجلالاً

من حواها ملكاً ملك الار \* ضاقت ساراسم ولة وجلالاً

فافتترعها مهناً فحمل \* سمك الانجاسم الوضاء وطالاً

قال وحدثني جماعة من الحلبيين منهم الركن بن جهبل العدل قال كان الفقيه محمد الدين بن جهبل الشافعى الحلبي قد وقع اليه تفسير القرآن لابي الحكم المغربي فوجد فيه عند قوله تعالى الم غلبت الروم الآية ان أبا الحكم قال ان الروم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت المقدس ويصير دار الاسلام الى آخره لا بد واستدل على ذلك بأشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه المجدين جهبل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين فيه الزمان الذي يفتحه فيه واعطى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى عليها لم يجاسر على عرضها على السلطان وحدث بما في الورقة لمحبي الدين بن زكى الدين القاضي الدمشقي وكان

## كتاب (٤٦) الروضتين

ابن زكي الدين واثقاب عقل ابن جهيل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه ويثقي به فعمل فصيده مدح السلطان بها حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر \* قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح البيت المقدس خرج اليه المجدين جهيل مهنثا له بفتحهم وحدثه حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك محبي الدين بن ركي الدين غير اني أجعل لك حظا لا يزاحك فيه أحد ثم جمع له من في العسكر من النخهاء وأهل الدين ثم أدخله الى القدس بعدما خرج الفرنج منه وأمره ان يذكر درسا من الفقه على الصخرة فدخل وذكر درسا هنالك حظى بما لم يحظ به غيره تلت وسيأتى في فتح بيت المقدس في فصل المنبر ذكر ما قاله أبو الحارث في تفسيره وغيره مما يناسبه وبالله التوفيق وقال العماد ثم فتح حلب في صفر من هذه السنة ومدح القاضي محبي الدين بن الزكي السلطان بأبواب منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر \* مبشر بفتح القدس في رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره فكان أنه من الغيب ابتكره قال ويشبهه هذا انني في سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبي الاسطول المنصور في آيات وهي

يؤمل المملوك مملوكة \* تبدل الوحشة بالانس

تخرجه من ليل وسواسه \* بطلعة تشرق كالشمس

فوحده العزبة قد حركت \* سواك البلبال والمس

فلا تدع يد دم شيطانه \* ما أحكم التقوى من الاس

فوقع اليوم بطوبه \* مما سبى الاسطول بالامس

لازلت وهابا لما حازه \* سيفك من حور ومن لعس

وانني امس من بعدها \* كراغ السبي من القدس

قال فياء الامر على وفق الامل فوهب لي ما أملت عام القدس

(فصل) فيما جرى بعد فتح حلب قال ابن أبي طي كاتب الوالي بحارم الفرنج واستدعاهم اليه مظمعا لهم في الاستيلاء على حارم بشرط ان يعصموا من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم مما عزم عليه فتوأمروا بينهم في القبض عليه وكان هذا الوالي يرسل من القلعة ويصعد اليها في أموره ولدااته فاتفق انه نزل منها لبعض شأنه قوئب أهل القلعة لما خرج وأغلقوا بابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان راسل والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه في أشياء كثيرة منها ولاية بصرى وضيفة في دمشق يملكه اياها ودار العقيق التي كان نجم الدين أنوب والدا السلطان يسكنها وحمام العقيق في دمشق وثلاثون ألف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتعالى في العوض فأنفذ اليه السلطان وتوعده وتهده فكتب الفرنج يطلب نجدهم وقيل ان نقيب القلعة أراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويحصل منه شيئا فكتب السلطان بالعمل على الوالي فكتب اليه السلطان بتتبع ذلك ووعدته بأشياء سكن اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي وقيل ان النقيب وأهل القلعة لما أغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بكتابة الفرنج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقد فود بالحجارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال أنفذت في الدين الى حارم ليدخلها فامتنع النقيب وأهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما أشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضره وعند السلطان حديثه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضرا فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالي وكذبوا عليه حتى قوتوه ما كان السلطان وعدده وما قلت هذا الا عن تجربة فاني لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى علي من كذبهم في حق وتحرزهم على أمور كدت بها أهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا أرى ان السلطان يقرهم في القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وأمرهم بما كان وعدهم به وأفضل عليهم وولى في القلعة غيرهم وقال لابن الداية

## في أخبار (٤٧) الدولتين

ان بين أيدينا أمكنة نريد أخذها ومتى لم نف بمناعد ونحزل العطاء لم يثق بنا أحد وبات السلطان بقلعة حارم ليلتين وعاد الى حلب في ثالث ربيع الأول فرتبها وقرر ولده الظاهر سلطانا بها وقرر له في كل شهر أربعة آلاف درهم وعشرين كمة وقيامها يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين أركش الاسدي وولى حسام الدين بريك الخليفة شحنة حلب وولى الديوان ناصر الدين اسماعيل بن العميد الدمشقي ودار الضرب فضرب الدرهم الناصري الذي سكته خاتم سليمان ونقل الخطابة من بنى العديم الى أبي البركات بن الخطيب هاشم بسفارة الفاضل ولى القضاء المحسبي الدين ابن زكي الدين الدمشقي فاستناب فيه ابن عتسه أبا البیان بنأبى البنايسى وولى الجامع والوقوف لابي علي بن الجعي وقال العماد كان في قلعة حارم مملوك من ممالك نور الدين فعصى وتآبى عن تسليمها فأخرجه منها أهلها لما أنهم موه بمكاتبة الفرنج وأرسلوا الى السلطان فقتلها ودبر أمرها وأحكمها وقال ابن شداد انفذ الى حارم من يتسلمها وادفعهم الوالى فأنفذ الاجناد الذين بها يستخلفونه فرصل خبرهم اليه يوم الثلاثاء من عشرى صفر فخلف لهم وسار من وقته الى حارم فوصلها تاسع عشرى صفر فتسلمها وبات بها ليلتين وقرر قواعدها وولى فيها ابراهيم بن شروه وعاد الى حلب فدخلها ثالث ربيع الأول ثم أعطى العساكر دستوراً فاسار كل منهم الى بلده وأقام يقرر قواعده حلب ويدبر أمورها قال العماد ورجفت انطاكية بعد ذلك رعباً فأرسل صاحبها جماعة من أسارى المسلمين وانقاد وسارع الى أمان السلطان وولى السلطان القضاء بحلب محسبي الدين بن الزكي فاستناب فيها بنى الدين بنأبى الفضل بن سليمان المعروف بابن البنايسى وكشف السلطان عن حلب المظالم وأزال المكوس وولى قلعتها سيف الدين ياز كوج وولى الديوان ناصر الدين اسماعيل بن العميد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى وكان استعجبه من مصر عند وصوله الى الشام وأقر عين تاب على صاحبها وأعطى قل خالد وتل بانسر بدر الدين دلدريم بن بهاء الدولة بن ياروق وأعطى قلعة عزازة لم الدين سليمان بن جندر تلت وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام الفاضل عن السلطان (وانتهى البناء بمدينة حلب رسوماً استمرت الايدي على تناولها والالسة على بداولها وفيها بالراحة ارفاق وبالرعاية اضرار ولها مقدار الا عند من كل شيء عنده بمقدار منها ما هو على الاثواب المجلوبة ومنها ما هو على الدواب المركوبة ومنها ما هو فى المعاش المطلوبة وقد رأينا بنعمة الله ان نبتلها ونضعها ونعطلها ونضعها ونضرب عنها فى أيامنا ونضرب عليها بأفلامنا ونسلط ما هو وأهدى سبيلا ونقول ما هو أقوم قبيلا ونكره ما كره الله ونحظر ما حظره الله ونتأجره سبحانه فانه من ترك شيئاً لله عوضه الله أمثاله وأرجح مجره فى الرعية اليوم بما يوضع عنهم من أصرها ولنا غداً عشية الله ما يرجع من أجرها فعلى كافة أوليائنا ولا تأوأمراثنا والمتصرفين من قبلنا ان لا يهروا اليها ولا يردوا ولو بلغ الظلم منهم موزدا ولا يثقلوا بها ميزان المال فتخف ميزان الاعمال ولا يرغبوا فى كثير الحرام فان الله يغنى عنه بقليل الحلال وليعلم ان ذلك من الامر المحكم والقضاء المبرم والعزم المتمم) وفى منشور أهل الرقة بمثل ذلك (ان أشقى الامر ائمن سمن كيسه وأهزل الخلق وأبعدهم من الحق من أخذ الباطل من الناس وسماه الحق ومن ترك لله شيئاً عوّضه ومن أقرض الله قرضاً حسناً وفادماً أقرضه ولما انتهى أمرنا الى نفع الرقة أشرفنا منها على سحت يؤكل وظلم مما أمر الله به ان يقطع وأمر الظالمون ان يوصل فأوجبننا على أنفسنا وعلى كافة الولاء من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم باسمها ويلقوا الرعايا من بشارت أيام ملكنا بأسرها ونعتق بلد الرقة من رقها ونثبت أحكام المعدلة فيها بمحو هذه الرسوم ومحققها وقد أمرنا بأن نسد هذه الابواب ونعطل ونسحق هذه الاسباب وتبطل وتضطرسحائب الخصب بالعدل وتستتزل ويعفى خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعها جميع الاغنياء والمساكين مسامحة ماضية الاحكام مسطرة الايام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة التمام موصولة على الاحقاب مسنونة فى الاعقاب ملعونان بطمع اليها ناظره وتتناولها يده او يمسك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده) قال العماد وورد على السلطان وهو بازل على حلب بشارتان احدهما ان الاسطول المصرى غزى خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة أيام وقد ظفر ببطشة مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون عجباً من خيالة وتجار والثانية ان فرنج الداروم نهضوا فنذر بهم والى الشرقية فخرج اليهم فالتقوا على ماء يعرف بالعسيلة فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عظاماً لان الفرنج كانوا قد ملكوا الماء فأرواهم الله بماء

## كتاب (٤٨) الروضتين

السمااء قالت وكتب الفاضل عن السلطان الى بغدادتين البشارتين وبفتح حلب وحارم كتابا شافيا أوله (أدام الله أيام الديوان العزيز ولا زالت منازل مملكته منازل التقديس والتطهير والوقوف بأقصى المضارح من أبوابه موجبا للتقديم والتصدير والامة مجموعة الشمل بأمامته جمع السلامة لاجع التكسير الخادم ينهى ان الذى يقتحبه من البلاد ويتسلمه اما بسكون التعمد أو بحركة ما فى الاغداد انما يعده طريقالى الاستنفار الى بلاد الكفار ويحسبه جاحا يمكنه به المطار الى ما يلبسه الكفار من الاقطار وعلى هذه المقدمة فهو يستفتح بذكر ظفرين للاسلام برى وبحرى شامى ومصرى أحدهما وهو البحرى عوداً أحد الاسطولين اللذين أغزاها أخواله آدم أبو بكر بمصر وكانت مدة غيبته من حين خروجه الى وقت عوده الى دمياط تسعة أيام فظفر بيضة مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون علجا منهم خيالة ذووشكة وازعه وتجارا ولو ثروة واسعة والثانى وهو البرى نهوض فرنج الداروم الى أطراف بعيدة فنذرهم الى الشرقية فركب اليهم الليل فرسا كبار كموه جلا وسروا يفتلا وسروا زملا فتوافى الفريقان الى ما يعرف بالعسيلة سبق الفرنج الى موردته والسابق الى الماء محاصر للمسبق وورد والرزقه فتعصب لارزقهم فظن المؤمن ان الكافر مرزوق واشتد بالمسلمين العطش ثم ثابوا الى الفرنج بقوة انجاء السماء بالماء فلبث من الفرنج الارجلان احدهما الدليل والثانى الدليل وعاد المسلمون برؤس عدوهم فى رؤس القنا وقد اجتنوا ثمراتهما وبارواهم فى رؤس الظبا وقد أطفأوا بجانها جراتها) ثم قال (ويبنى الخادم بذكر ما امتلئه من الاوامر العلية فى اغداد سيف مجرّده من استمدعى تجريده ومورده من عرض له وريده) ثم (ذكر تسلمه حلب وانه لا يؤثر الا ان تكون كلمة الله هى العليا لا غير وتغور المسلمين لها الرعاية ولا ضير ولا تختار الا ان تغدو جيوش المسلمين متحاشدة على عدوهم لا متحاشدة بعتوها ولو ان أمور الحرب تصلحها الشر كتمانها عليه ان يكون كثير المشاركين ولا أساءة ان تكون الدنيا كثيرة المتكين وانما أمور الحرب لا تحتمل فى التدبير الا الوحده فاذا صبح التدبير لم يحتمل فى اللقاء الا العدة فعوض عماد الدين من بلاد الجزيرة سنجار وخابورها ونصيبين والرقعة وسروج على ان المظالم تموت فلا ينشر مقبورها والعساكر تنشر راية غزوها فلا يطوى منشورها وأجاب الخادم عماد الدين الى ما سأل فيه من ان يصلح المواصلة مهما استقاموا لعماد الدين لانه لم يثق بهم وان كان لهم أخطأ ولم يطمئن الى مجاورتهم الى ان يضرب بينه وبينهم من عنايته برزخا قليلا الى ان عذر الاجنبى اذا لم يثق ولتكن هذه نصيحة من عوتب فى شكره بحسن الطق فلم يثق ومن شرطه على المواصلة المعونة بعسكرهم فى غزواته والخروج من المظالم فاذا دعى الى ان فال ساللوا مسلما وحاربوا كافرا واسكنوا الكون الرعية ساكنة وأظهروا ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة الجهاد فى سبيل الله والكف عن مظام عباد الله والطاعة لخليفة الله هى مراد الخادم من البلاد اذا فتحها ومعنمه من الدنيا اذا منحتها والله العالم انه لا يقاتل لعيش ألى من عيش ولا لغضب يملأ العيان من زرق ولا طيش ولا يريد الا هذه الامور التى قد توشم انها تلزم ولا ينوى الا هذه النية التى هى خير ما يسطرفى العجيبة ويرتم وكتب الخادم هذه الخدمة بعد ان بات بحلب ليلة وخرج منها الى حارم وكانت استخففت مملوكا لا يملكه دين ولا عقل غرّما هذبته نفس ولا أهل فاعتقد ان يسلمها الى صاحب انطاكية يسر الله فتحها اعتقادا صرح بفعله وشهره بكتبه ورسله وواطأ على ذلك نفر من رجال يعرفون بالسمة ولا يعرفون خالقا الامن عرفوه رازقا ولا يسجدون الا لمن يرونه فى نهر النهار ساجدا وفى بحر الظلام غارقا فشعر به من فيهما من الاجناد المسلمين فسترده ومن تابعه على فعله وظفر به المملوك عمر بن أخيه فى ضواحي البلد فأخذه وأرسله الى قلعة حلب وسار الخادم اليها فتسلمها ورتب بها حامية ورابطه ولم يعمل على انها لل عمل طرف بل انها له قد واسطه والخادم كطالع بما ضيه الذى حازه الامس المذكور يطالع بمستقبله الذى ينجزه بمشيئة الله الغد المشكور فهو متأهب للخروج نحو الكفار لا تأسأ رايته النصب ولا جهة سيره الرفع ولا جيشه الجر ولا يصنى الى قول خاطر الراحة المنفذ لا تنفروا فى المار ولا يجيب دعوة الفراش المههد ولا يرجع على الظل الممدد ولا دمية القصر المشيد ولا يعطف على ربحانة فؤاد يفارقه حولا ويلقاه يوما ولا يقسم على زهرة ولد استحل فتى ذكره الفطر على راحته قال انى نذرت للرحمن صوما) ومن كتاب آخر أنفذ من نصيبين سنة ثمان وسبعين الى بغداد (سبيل الخادم ان يبنى ولا يهدم ويوفر جانبه ولا يئلم وان يفرق بينه وبين من يمسكون أعنة الجياد المسومة ولا يطلقونها

## في أخبار (٤٩) الدولتين

ويكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها فقد علم ان الخادم سيوت أمواله في سيوت رجاله وان مواطن تزوله في مواقف نزاله ومضارب خيامه أكنة ظلاله وانه لا يذخر من الدنيا الا شكسته ولا ينال من العيش الا مسكته وعدوا الاسلام شديد على الاسلام كلبه مضطرم على أهله لهبه زجل اذا أصغت اسماع انتأمل لجبه ولوان أحد من بدعي الملك ميراثنا ويعتد البلادله ترانا دفع الى مدافعة هذا العدو الكافر والى منافرة هذا الفريق النافر لعرقته الايام ماهو جاهله ولقلدته الحرب ماهو قاتله ولجلته الاحوال ماتحوز تحته محابله) وفي كتاب آخر (واذا أولاده أمير المؤمنين نغر المبيت في وسطه وأصبح في طرفه واذا سوغه بلداً هجر في ظل خيمه وليقيم في ظل غرفه واذا بات بات بسيف له ضجيجاً واذا أصبح أصبح ومعتك القنال له ربيعاً لا ك الذين يغبون أبواب الخلافة اغباب الاستبداد ولا يؤامرونها في تصرفاتهم مؤامرة الاستعباد وكأن الدنيا لهم اقطاع لا ايداع وكأن الامارة لهم تخليد لا تنقيد وكأن السلاح عندهم زينة لحامله ولا بسه وكأن مال الخلق عندهم ودعة فلا عذر عندهم لما نعه ولا لحابسه وكانهم في البيوت دمي مصورة في لزوم جذرها لافي مستحسنيات صورها راضين من الدين بالعروة اللقبية ومن اعلى كلمته بما يسمعون على الدرجات الخشبية ومن جهاد الخارجين على الدولة باستحسان الاخبار الملهية ومن قتال الكفار بانه فرض كفاية تقوم به طائفة فيسقط عن الاخرى في آخرها ومن طاعة الخلافة بذكر اسمها والخروج عن سماها فلا يقنعون بانهم لا يجاهدون الى ان يمنعون من يجاهد عنهم ويثاغر وبانهم لا يساعدون المسلمين الى ان يساعدوا عليهم عدوهم الكافر فقد توالوا الشيطان تليد او طريقاً ووطئوا الاسلام وأهله وطاء عنيفاً فاذا جاء وعد الآخرة جاء الله بهم في زمرة الشيطان لفيقاً) وقال في هذا الكتاب (ان المواصله ما فرغوا الى دار الخلافة الا بعد ان فرغوا والافطام اطعم اولهم كما طعموا وقدمادعوا الى طاعتها فاسمعوا وسمعوا فأتبعوا حتى ان الاولين منهم علموا أولياء الدولة من الانراك ضد ما جبلت اخلاقهم عليه من عقوقها وسنوا لهم اضاعة حقوق الله باضاعة حقوقها فابن كان التعلق بالدار العزيزة وهم يحاصرون دار الاسلام باخراهم ويرامون التاج الشريف بنشابههم ويمدّون محاصرتها بالاسلحة والمنجنيقات والازواد والافامات ويصافون الخلفاء مضافاً للمواقف ويكاشفونهم مكاشفة المخالف ويعززون دزدار تكريت وهي من أهون بلاد الله بجوار الجوار ويجعلونها سجن المالك الخلافة ذوى الاقدار ولوتحرك اليوم متحرك لكانوا له كانه ولكانت بلادهم له خزانه ويرجوا الخادم بالموصل ان يكون الموصل الى القدس وسواحه ومستقر الكفر من القسطنطينية على بعد مراحله وبلاد الكرج فلوان لهم من الاسلام جارا الاستباح الدار وبلاد اولاد عبد المؤمن فلوان لهاماء سيف لاطفاء ما فيها من النار الى ان تغلوكلمة الله العليا وتملاء الولاية العباسية الدنيا وتعود الكنائس مساجد والمذابح المستعبدة معابد والصليب المرفوع خطبا في المواقف والناقوس الصاهل آخرس اللهمجة في المشاهد ويضيف الى الديوان بمشيئة الله تعالى ما يجاور اكنافه ويمد اطرافه مثل تكريت ودقوقا والبواريج وخوزستان وكيش و عمان والذى وقع أعظم من الذى يتوقع والذى طلع أكثر من الذى يتطلع والذى رؤى أمس أكثر من الذى يسمع) قلت يعنى ان ما فتحه من البلاد أعظم من هذه التى يرجوها وأشار بفعل المواصله الى ما سبق من فعل زنكى في حصار بغداد ومساعدته للسلاجقية على العادة في ذلك الزمان والله أعلم وفي آخر كتاب فاضلى الى حطان بن منقذ باليمن عن السلطان (فتح الله علينا ممالك وأضافها وبلاداً آمننا بها ما أخافها وبلغنا غرائب صنع لا يبلغ أحد أو صافها منها بلاد الشام بانهرها ومملكة حلب بجملتها والمدينة بقلعتها وبلاد الجزيرة بدجلتها فنها ما أعيد على من اشترط عليه استخدام عسكره في بيكارنا ومنها ما استقر في السد وولاه من أوليائنا وأنصارنا ولما لم يبق في البلاد الاسلامية الا ما هو في يدينا أريد مطيع لنا كان من شكر هذه النعمة ان نصر في القوة وثنى العزيمه ونجد الشوكه ونلبس الشكه للفرنج الملاعين فننازلهم ونقارعهم ونخاصهم الى الله وننازعهم فنظهر الارض المقدسة من رجسهم بدمائهم الى ان ترق السيوف للصخرة الشريفة لما هم بهم من قسوة كفرهم واعتدائهم ف نحن نرجوان نكون عين الطائفة من الامة التى أخبر نبينا صلوات الله عليه انها لا تزال على الحق ظاهره وبشواب الله وعدوه ظافره والله تعالى يعيننا على ما يعيننا ويظهرنا الاستجابة لدعوته الى ما يحيينا

**(فصل)** في رجوع السلطان الى دمشق وخروجه منها للغزاة بمخاضة الاردن رحل السلطان من حلب فرعلى جاء ثم حص ثم بعلبك ثم دمشق قال القاضي ابن شداد لم يقم السلطان في حلب الا الى يوم السبت الثاني والعشرين من ربيع الآخر وانشأ عزما على الغزاة فخرج في ذلك اليوم الى الوضيحي مبرزا نحو دمشق واستأنف العساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماة فوصلها ثم رحل في بقية يومه ولم يواصل بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الاولى فاقام بها ثمانية ايام ثم رحل في ثامن جمادى الآخرة حتى أتى القواروت عبي فيه على جسر الخشب وتبعته العساكر مبرزة وأقام به تسعة أيام ثم رحل في ثامن جمادى الآخرة حتى أتى القواروت عبي فيه للحرب وسار حتى نزل القصير فبات به وأصبح على المحاض وعبر وسار حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد نزل حوا عنها وتركوا ما كان من ثقل الاقشة والغلال والامثلة فيها فنهبا العسكر وغنموا وأحرقوا ما لم يمكن أخذه وسار حتى أتى الجالوت وهي قرية عاصره وعند هاهنا جارية فخيم بها وكان قد قدم عز الدين جديك وجماعة من المماليك النورية وجاءوا بمملوك أسد الدين حتى تكشفوا خبء الفرنج فاتفق انهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين نحو بلدة للفرنج فوقع أصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتله عظيمة وأسروا منهم زهاء مائة نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد يدعى بهرام الشاويوس فوصل اليه في بقية يوم الكسرة الواقعة وهو العاشر من جمادى الآخرة وفي حادي عشره وصل الخبر الى السلطان ان الفرنج قد اجتمعوا في صفوريه ورحلوا الى القولة وهي قرية معروفة وكان غرضه ان يصف فلما سمع ذلك تعجب للقتال وسار للقاء العدو وقتلوا وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة وجرح جماعة وهم ينضم بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم ولم يخرج والمصاف ولم ير الواسئين حتى أتوا العين فقتلوا عليها ونزل السلطان حولهم والقتال والجرح يعمل فيهم ليجرحوا الى المصاف وهم لا يخرجون خوفاً من المسلمين فانهم كانوا في كثرة عظيمة فرأى السلطان الانتزاع عنهم لعلهم يرحلون فيضرب معهم مصاف فرحل نحو الطور سابع عشر جمادى الآخرة فنزل تحت الجبل مترقبا رجليهم لئلا يخدمهم فرصة فاصبح الفرنج راجعين وعلى اعقابهم ناصين فرحل رحمه الله نحوهم وجرى من رمي النشاب واستنصاهم للمصاف أمور عظيمة فلم يخرجوا ولم يزل السلطان حولهم حتى نزلوا القولة راجعين الى بلادهم وعاد السلطان منصورا وقد مال منهم قتلا وأسرا وخرب كفر بلا وبيسان وزرعين وقرى عديدة فقتل القواروت وأعطى الناس دستوراً رفعا من آثار المسير وأتى هو دمشق يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة قال فانظر الى هذه المهمة التي لم يشغلها عن الغزاة أخذ حلب ولا الظفر بهابل كان غرضه رحمه الله عليه الاستعانة بالبلاد على الجهاد والله يحسن جزاءه في الآخرة كما وثقه بالعمال المرضية في الدنيا وقال العماد خرج السلطان الى الغزو ورابط العدو بعين الجالوت وعبر المخاضة الحسنية تاسع جمادى الآخرة فوصل الى بيسان وقد أخلها أهلها فاطلق الناس فيها النيران ونهبوا ما فيها وكذلك فعلوا بارج وتلاع وغيرها وصادفت مقدمة العساكر خيلا ورجلا للفرنج عابرين من نابلس ومقدمهم ابن هذغري فقتل منهم وأسروا وتوكل الباقون في الجبال ووصل الخبر بان الفرنج قد أقبلوا في ألف وخمسمائة ومعهم ثلثون كلبا وخمسة عشر ألف راجل فأتاهم المسلمون وذلك على عين الحالوت فأخذهم الرعب وقهوا مراعى الأقدام عليهم فخذلوا أحوالهم وأسندوا ظهورهم الى الجبل وأقاموا كذلك خمسة أيام فلما رأى المسلمون منهم ذلك رجعوا عنهم فتنفس خناقهم ونكصوا على اعقابهم الى الناصرة وعاد المسلمون بالغنائم والأسارى لم يخلص العدو منها شيئا وذلك يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة وقد كانوا مدة مقامهم يتخطفهم المسلمون من كل جانب ويرمونهم بالنبل وينتظرون ان يمحوا أولا كما هو عادتهم فما فعلوا ومن كتاب فاضل عن السلطان الى بغداد (لما كان بتاريخ الثامن من جمادى الاولى سار الخادم من أدنى المنازل من بلاد الاسلام الى بلاد الكفر وقد تكاملت جنود الاسلام وتعبت ميامنه ومياسره وأخذت أهله وسحذت قضبه وباعوا الله ما اشتره ومثل لا عينهم ثوابه فكما نها تراه وساروا تحت ليل عجاج ستر السائر تحت سراه وأصبح الخادم وياهم بعين الله في سبيله على ماء الاردن وهو النهر الفاصل بين الاسلام والكفر والمخاضة المضروب منها بسور على ذلك القطر فحاض ذلك البحر وذلك النهر وامتدته نطف الحديد فاذا الماء يمر على السور ويقذف بالجرم وذلك يوم الخميس ثاني يوم المسير وهو تاسع الشهر ولما جاز المخاضة أخذ البلاد ضرب المخاض وزلزلت أرضها فهوى بالقوم ترض وللغنيمة



تراض وأخذت رجال الاسلام تقص الارض من أطرافها وتقلع قلاع الجبال وتطير رؤسها من أكافها فاذا البلاد قد انهمز أهلها فالحقها المسلمون مساكنها في الهزيمة وعقلوا فيها على سيف المعاول فاذا هي راحلة وكأنها مقيمة وهذه البلاد مدمن ما كان عزم قبل منها مدنيا وعمارات ما كان أمل اليها مفضيا بل طال ما كان عنها مفضيا مثل بيسان وكفر بلا وزرعين وجنين كلها بلاد مشاهير لها قرى مغلة وبساتين منظر وأثمار مظه وأسوار قد صارت على جهاتها وأحاطت بجنباتها واتخذتها المدن سياجا على قصباتها فغم المسلمون ما فيها من أقوات مخترنه وسفوا منها خزائن القلوب المضطغنة وأحرقوا أوعية كهرها بالنار وعذبوها عذاب أهلها من الكفار وقتلوا وكأنت الضرام كأن لها دما وكتبوا عليها الخراب وكأن السيف كان فيها قلما فاجلوا عن حماها جما وتساقطت جدرها فكأنما أسارت فيها النوى لما ولما كان يوم السبت الحادى عشر ورد الخبر بان عسكر الكافرين قد ركب من مكان مجتمعه وزحف بلا بسه ومدبره فركب الخادم وسوى المؤمنين في مواقف القتال ومنارل النزال فن متسرع يطوف عليهم بصفاح ليطاف عليه بصحاف ومن مثبت يمشى الى الموت مذى العروس ساعة الزفاف وهذا لما منظر ورد المؤمنين لو ان أميرهم له ناظر كما هو به أمر ولا غرو ان يصفه الخادم ليسر الخدم لا ليوصف الخادم ومن وصف ضربة السيف فأنما وصف الضارب ولم يصف الصارم ونزل العدو الى الارض من خطا عن سرجه ومنحازا عن جفه وسال كأنه ساجد غير نجيحه وأحرقه راجلا وهو زهاء عشرين ألف راجل وركز صليب صلبوته فاستوى في البحر المحول والحامل ونزل محصورا وخندق فكأنما أصبح الكافر في حفرة ذلك الخندق مقبورا وأقام بازائه خمسة أيام تماسيه الوقائع وتصابجه وتماشيه للروائع وتصابحه ويفزع فيه الى الحفير ويتكرر اليه في اليوم الواحد ان يفري ويبعث اليه السم وهو في الحرب السفير فيقبل تحية الضرب مترددة ولا يردّها وتتسم اليه صفحية النصل متوددة فلا يودّها ويجهت في استخراجه وقد رأى العزائم ولم يخرج لدعوتها والمكارم ولم يرحل لبغيتها) ومن كتاب آخر الى وزير بغداد (اناروا على يوم الكفر ليلية عجاج جعلت ليل من وراهم من الاسلام سكا وصبروا وصابروا فكأنما كان السيف لهم أليفًا وكان المعتكرك لهم وطنًا وأخذت في البلاد النار ماخذها ونفذت فيها العير منافذها وثلت عروشها وثلت غروسها وحليت في مصبغات النيران عروسها وأصبحت تناجي العيون ثراكها وتصف النوازل منازلها دمناعلى الاطلاع مطالوله وصرى بسوف البلاء ممتوله وجاء العدو فأحرقه الابطال وتجزت عادة حله فطالت وما كان خلقها المطال فلما كثرت الله المسلمين في عيونهم ورأوا بها ما لم يكونوا يرونه قبلها بنظنهم واستمدوا مغالى الشكوى لتبوح بها ألسنتهم اذا دخلوا الى شياطينهم فأخذوا الى الارض زارلين وقعدوا عن الجملة تاكين واتقى فارسهم براجله وراحمهم بنابله ولاذ سيفهم بجفنه ولاذ خير في حامله ولاذ جفنه باطرافه خوفا من كحل بسهم قاتله وأقاموا محصورين لا يستطيعون وردا ولا صدرا ولا يجبدون متقدما ولا متأخرا فما كان للكفر فئنة ينصر ونه من دون الله وما كان منتصرا وعرف النصل في لحن السيف ان الشجاعة والذكول أمر ان يقذفه ما الله في القلوب فلا يقل الناس كيف

(فصل) في ولاية الملك العادل حلب وولاية تقي الدين مصر وغير ذلك قال العماد وقد كان العادل نائباً بمصر فلما فتح السلطان حلب كتب العادل اليه يطلبها منه مع أعمالها ويدع الديار المصرية فكتب السلطان اليه ان يوافيه الى الكرك فانه سائر الى فتحه فأشار القاضي الفاضل على السلطان ان يستنصب في الديار المصرية موضع أخيه العادل ابن أخيه تقي الدين فاستصحبه السلطان معه في رجب الى الكرك هذه السنة وحاز في طريقه قبل وصوله اليها غنائم وخيم على الربة ثم حصر الكرك ورماه بالمجانيق صباحا ومساء وتناوب عليه الامراء حتى خرج شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عظمت النكايه في الكفار بأخذ أموالهم وتحترب الديار ووصل الخبر ان الفرنج قد استجمعوا وتجمعوا بالموضع المعروف بالواله على قصد المسلمين وخلاص الكرك من أيديهم ورأى السلطان ان أمر حصره يطول فغول على الرحيل الى دمشق ووصل العادل الى السلطان وهو بعد على الكرك فجهرت في الدين الى الديار المصرية واليساعليها وقرى عضده بصحبة القاضي الفاضل له وتولى العادل حلب وأعمالها ومنهج جميع قلاعها فسار اليها في رمضان ورجع منها الى دمشق الملك الظاهر وأواب السلطان قلت وكتب العادل الى الفاضل



## كتاب (٥٢) الروضتين

يستشير به في التعوض عن مصر بحلب فكتب إليه الفاضل كتابا فيه

انما أنت كغيث ماطر \* حيثما صرفه الله انصرف

(والمولي أعلم وبسياسة الدنيا أقوم وقد تكرر الكتاب الناصري اليه بما نص عليه وكشف له النطاء وسنى له العطاء وقالت له المخطوبة هيت لك وأدى اليه مالا لا امر ما قدم لك فلزالث سعادته أنور من شمس وأدور من فلك ولا زال راجحا على الدهر ان امرء خسر وباقيان امرء هلك) ومن كتاب آخر اليه (أدام الله دولة حامى الحى وثبت الدولة الناصرية التى يقوم بها ملكان هما مانها هذا صلاح يمنع فساد او هذا سيف يحقق دما) قال ابن أبى طى كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه فى جميع أموره ويتبين بسورته ولا يعلم بأنه أشار على السلطان بأمر خالفه حدثني قاضى البين جمال الدين قال كان السلطان يجمع الامراء للمشورة فان كان العادل حاضر سماع من رأيه وان لم يكن حاضر لم يقطع أمر فى الله مات حتى يكتبه بجملة الاحوال ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثني أبى قال حدثني جماعة قالوا كان السلطان ليس له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل بمصر وبعد عن السلطان هناك صار السلطان يتكلف فى مكاتبة بالاعخبار ويؤخر الامور الى ان يرد عليه جوابه فيفوت بذلك كثير من المنافع الحاصلة للدولة وللجهاد فلما حصر الكرك فى هذه السنة كتبه بالحضور اليه بعياله وأمواله وجميع أصحابه وولى مصر تقي الدين ولما حصل العادل عند السلطان وتبع فى نفسه ان يعوضه عن ولاية مصر ثم حارفى ولاية يوليها ياها قال وحدثني علم الدين قيصر الصلاحى قال اغتا قدم السلطان العادل من مصر لاجل ولاية حلب وبذلك كتبه ولهذا خرج العادل بأمواله وبعياله وأنقاله قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله وأنقاله كانت الاموال قد قلت على السلطان وقد حصلت عند عساكر عظيمة فأحضر العادل ليله لا وقال أريد ان تقرضى مائة وخمسين ألف دينار الى الميسور فقال السمع والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه بقول أموالى جميعها بين يديك وأنا بموكك وأشتهى ان أحل هذا المال الى خدمة السلطان ويككون عوضا عنه مدينة حلب وقلعتها فأحابه السلطان انى والله ما أقدمتك الا لوليك حلب واذ قد افترحت ذلك فقد وافق ما عندى فلما أصبح العادل أنفذه وسأل السلطان ان يكتب له بمدينة حلب كتابا ويجمع له ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعا والمال على له فاعتمر العادل الى السلطان ولما اجتمعوا قال له السلطان أذنت ان البلاد تتبعاع أو ما علمت ان البلاد لا تملكها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ورعاة للدين وحراس لاموالهم أو ما علمت ان السلطان ملك شاه السجوقى لما وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به أحد من القضاة ولا من الفقهاء ثم قرّر السلطان ولاية العادل لحلب وأعمالها الى رعبان الى الفرات الى حماه وكتب له التوقيع وقرّر عليه مالا يجمعه برسم الزردخانات وخزانة الجهاد ورجالة من الحلبيين ورحل السلطان الى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر أمره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقى بالرسن وباتاقية فكانت ولاية الظاهر بحلب فى هذه النبوة ونحو ستة أشهر ولما وصل الظاهر الى دمشق أقبل على خدمة والده والتقرّب اليه الا ان الانكسار لخروج حلب عنه ظاهر عليه وهو مع ذلك لا يظهر شيئا الا الطاعة لوالده والانقياد الى مرضاته حدثني أبى عن محمد الدين بن الخشاب قال حدثني الملك الظاهر قال لما بلغنى ان السلطان أعطى حلب للملك العادل جرى على ما قدم وما حدث وأصابنى من الهم ما لم أقدر على النهوض به ووددت انى لم أكن رأيته ولادخلت اليها لان قلبى أحبها وقبلها وطاب لى هواؤها ولما فارتها كنت أحن اليها وأشتاقها قال ودخل العادل حلب فى رمضان وحل على المتقدمين والاعيان وكان قد قدّم بين يديه كاتبه المعروف بالصنعية لتسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين برغش وولى الديوان والاقطاعات شجاع الدين بن البيضاء صباغ ذنته وولى الانشاء وما يتعلق بأموال السر للصنعية ابن النحال وكان نصرانيا ثم أسلم على يد العادل فولى ابن النحال الوظائف لجماعة من النصارى وفى ذلك يقول الشاعر

فاقدين المسيح فى دولة العا \* دل حتى علا على الاديان

ذا أمير وذا وزير وذا و \* ل وذا مشرف على الديوان

## في أخبار (٥٣) الدولتين

قال ولم يزل الملك العادل يهذب أمور حلب الى سادس عشر ذى القعدة ثم خرج متوجها الى دمشق بسبب ان السلطان اجتمع عنده في ذى القعدة عدة رسل منهم رسل الخليفة ورسول طغرل بن البهلوان ورسول قزل أخى البهلوان ورسول شاه أرمين صاحب خلاط ورسول الموصل ورسول عماد الدين صاحب سنجار ورسول قليج ارسلان صاحب الشمال فاراد السلطان احضار العادل لسماع الرسائل ولحضور الاجوبة عنها ولتقرر أمور الفرنج ويوم وصل العادل الى دمشق أحضره السلطان لسماع الرسائل وسمع ما عنده في الاجوبة ولما قضى أجوبة الرسل ودع السلطان وعاد الى حلب قال ولما بلغ سيف الاسلام ان السلطان كتب لثقي الدين عهد ابولية مصر عتب لاجل ذلك فكتب السلطان له عهد ابولية لابن جميعها قال وأقطع السلطان ثقي الدين الاسكندرية ودمياط وجعل لخاصة البحرية والفيوم وبوش ثم عوضه عن بوش بعمدود وحوف دمسيس وذكر غير ذلك قال العادل نعم السلطان على ثقي الدين بالاعمال الفيومية وسائر نواحيها بجميع جهاتها وحواليها وزاده القبيبات وبوش وأبقى عليه بالبلاد الشامية مدينة حماه وقلعتها وجميع أعمالها ولما وصل ثقي الدين الى مصر اقتدى بالتدبير الفاضل وكان السلطان لا يؤثر مفارقتها فنام يجد من توحيه ثقي الدين الى مصر بدا وكانت فيه حدة لم تكرر في العادل احتاج في تقويمه الى نذبه لاجل الفاضل قال القاضي ابن شداد وقتل على الذكر في هذه الكرّة ثم ف الدين بزغش النوري شهيد ارحمه الله ثم رحل السلطان عنها مستحبة أخاه العادل الى دمشق فدخل دمشق في رابع عشر شعبان وأعطى العادل حلب في ثاني شهر رمضان فسار في ذلك اليوم نحوها فوصلها وعقد القلعة في يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان وكان بها ولد السلطان الملك الظاهر ومعه سيف الدين يار كوج يدبر أمره وابن العميد في البلد وكان الظاهر أحب أولاده الى قلبه لما قد خصه الله به من الشهامة والفطنة والعقل وحسن السمعة والشغف بالملك وظهر ذلك عليه وكان من أبر الناس بوالده وأطوعهم له ولكن أخذ منه حلب لمصلحة رآها فخرج من حلب لما دخلها معه العادل ويار كوج سائر من الى خدمة السلطان فدخل دمشق يوم الاثنين ثامن عشر شوال فأقام في خدمة والده لا يظهر له الا الطاعة والانقياد مع انه كسار في باطنه لا يخفي عن نظره والده قال وفي ذلك الشهر ورد على السلطان رسلا من جانب الموصل وكنا قد ترسلنا الى الخليفة الناصر لدين الله في انفاذ شيخ الشيوخ صدر الدين رسولا وشفيعا الى السلطان فسيره معنما من بغداد وكان عزيز المروءة عظيم الحرمة في دولة الخليفة وفي سائر البلاد وكانت مكانته عند السلطان بحيث يتقدم اليه اذا كان عنده في معظم الايام قال وكان الشيخ قد وصل الى الموصل وسار منها بعد ان سار في صحبته القاضي محي الدين بن كمال الدين وكان بينهما صحبة من الصبا وكنت مع القوم وسرنا حتى أتينا دمشق وخرج السلطان الى لقاء الشيخ ونحن في خدمته وأقفاً يا مانرا جمع في فصل حال فلم يتفق صلح في تلك الدفعة وخرجنا راجعين الى الموصل وخرج السلطان الى وداع الشيخ الى القصر واجتهدوا في ذلك اليوم ان يتقضى شغل فلم يتفق وكان الوقوف من جانب محي الدين فان السلطان اشترط ان يكون صاحب اربل والجزيرة على خيرتهم ما في الانتماء اليه أو الى صاحب الموصل فقال محي الدين لا بد من ذكرها في النسخة فوقف الحال وكان مسيرنا يوم المجلس سابع ذى الحجة قال وفي تلك الدفعة عرض على السلطان مواضع اليها بصرة على لسان الشيخ فاعتذرت ولم أقبل خوفا من ان يحال توقف الحال على ومن تلك الدفعة ثبت في نفسه السرية مني أمر لم أعرفه الا بعد خدمتي له وأقام السلطان بدمشق ترد عليه الرسل من الجوانب فوصله رسول سنجر شاه صاحب الجزيرة فاستحلفه لنفسه وانتمى اليه ورسول اربل وحلف لهم وساروا ووصل اليه أخوه العادل يوم الاثنين رابع ذى الحجة فأقام عنده وعيدوا عاد الى حلب قال العادل وصلت رسل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ورسول صاحب اربل زين الدين يوسف ابن علي كوجك بن بكتمكين ورسول صاحب الحديثة وتكريت يشكون من صاحب الموصل ويطلبون ان يكونا من أولياء السلطان المنتهين اليه ففعل السلطان ذلك وكان أبو سنجر شاه سيف الدين غازي هو صاحب الموصل بعد والده مودود كما تقدم ذكره فعهد الى أبيه سنجر شاه بها فغلبه عليها معه عز الدين مسعود بن مودود بقبعة الجزيرة بيد سنجر شاه وهو من تحت يده وفي تلبه منه ما فيه وكانت اربل وأعمالها وما يليها كلها مضافة الى الموصل وصاحب الموصل هو الخاصكم على جميعها فن ثم طلب هو الانحياز الى خدمة السلطان فأجابه وسمع بذلك صاحب الموصل

## كتاب (٥٤) الروضتين

فاستشفع بدار الخلافة الى ان ارسل منها شيخ الشيوخ وشهاب الدين يشير الى السلطان ان يجدد لصاحب الموصل الايمان ويكون له من جملة الاعوان حربا لمن حاربه سلما لمن سالمه وجاء رسول صاحب الموصل قاضي القضاة محيي الدين أبو حامد محمد بن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري وترفع في أداء الرسالة وأغلظ في الكلام فالان له السلطان وقال أنا أقضي حاجته علي ما أورد لك قد سبق مني ليس لاولئك السلاطين فانا استثنىهم وأردهم الى اختيارهم لي أوله فإني ذلك وأرا ان تكون الصداقة له دون سائر ذوى الممالك وأشار الى ان لهم من ينصرهم من جهة الهمدان ملك الجعم فعظم ذلك على السلطان وكان ذلك محر كاله الى ان يعود الى الموصل ورجعت الرسل على ذلك غير ظافرين بطائل وكان منزل شيخ الشيوخ بالرباط على المنيبوع ومنزل القاضي محيي الدين في جوسق بستان الخلدان وشهاب الدين بشير بجوسق الميبدان وتوفي ولد شيخ الشيوخ بدمشق وكان في صحبته دفنه في المقبرة المحاذية للرباط وحضر عنده السلطان وجاعة الامراء والعزاء

**(فصل)** في باقى حوادث هذه السنة قال العماد وكانت شتوة هذه السنة كثيرة الامطار وكثرت مكاتبات العماد للفاضل وأورد في بعضها أياتا منها

عذر الزمان بأى وجه يقبل \* ومحكم بالصدف فيه يقتل  
مالى سوى انسان عيني مسعدا \* بالدمع انسان عليه أعول  
الدهر ليل كاه في ناظرى \* لاصبح الا وجهك المنهل  
خير تم بين النعمة والمسخى \* لا تمجر وافالموت عندى أسهل  
يا غائبين وهم يفكرى حضر \* يارا حليين وهم بقلبي نزل  
ماللسلو الى فؤادى منهبج \* مالى صبابة غير قلبي منهل  
لا تعدلوا عني فالى معدل \* عنكم وليس سواكملى موئل  
كل الخطوب دفعتها بتجلى \* الا التفريق فهو حطب معضل  
ان لم يجدنى طيفكم فى زورة \* فلانى منى أدق وأنحل  
لا صبرى لا قلبلى لا غمضى لى \* لا علم لى بالبين ماذا أفعل

قال ابن الاثير وفي جمادى الاولى من سنة تسع وسبعين قبض عز الدين أتابك على مجاهد الدين قايمار وهو حينئذ نائبه في بلاده واتبع في ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة صاحبه وكان الذى أشار به عز الدين محمود زلقندار وشرف الدين أحد بن أبى الخير الذى كان أبوه صاحب الغزاف وهما من أكابر الامراء فلما قبضه كان يسيده أربل وشهرزور ودوقا وخزيرة ابن عمر وكان بهامعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين صغيرا والحقكم فيها الى مجاهد الدين ولهم أيضا قلعة العقر فحين قبض امتنع زين الدين يوسف بن زين الدين على باربل وكان فيها لاحكم له مع مجاهد الدين وامتنع معز الدين بالجزيرة وأرسل الخليفة الناصر ليد الله عسكرا حصر دوقا فلما كها ولم يحصل لعز الدين الا شهرزور وصارت هذه البلاد التى كانت يسيدها أرض شتى على الموصل وبقى مقبوضا فآخذه وأعادته الى ولاية قلعة الموصل الا ان الذى أخذ من البلاد لم يعد الى طاعته وقبض عز الدين على من كان أشار عليه بقبض مجاهد الدين قال ابن الاثير وعلى الحقيقة ليس على الدول شئ أصرم من ازالة مدبر لها واقامة غيره فان الاول يكون كالطبيب الحاذق العارف بسراج الانسان ومرضه وعلاجه وما يوافقته ويؤذيه فالى ان يعرف حاله ينفسد أكثر مما يصلح قال ابن القادسي وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الابله الشاعر وهو من أسماء الاضداد واسمه أبو عبد الله محمد بن مختيار بن عبد الله وكان فصيحاً هجاء وله أشعار رقيقة منها

زار من أحياء زورته \* والدجى فى لون طرته  
بالهامن زورة قصرت \* فأما ت طول جفوته

**(ثم دخلت سنة ثمانين)** قال العماد وقد تقرر اص لبرد فلما طاب الزمان تجهز السلطان بالعساكر المنصورة الى الكرك مرة أخرى وأرسل الى تقي الدين بجاء بالعساكر المصرية والاجل الفاضل وتتابع العساكر المشرقية والملك العادل

## في اخبار (٥٥) الدولتين

وجاء نور الدين بن قرا ارسلان صاحب الحصن وآمد وصاحب دارا وأخو صاحب سنجار وعسكر ماردين فاجتمعت العساكر برأس الماء وأشفق السلطان على ابن قرا ارسلان من اقتحام المساق فأقامه برأس الماء بجوران الى حين العود وأمر العادل بالأقامة معه وقال القاضي ابن شداد سير السلطان الى العساكر يطلمها فوصل ابن قرا ارسلان نور الدين الى حلب ثامن عشر صفر فأكرم الملك العادل أكراما عظيما وأصعد القلعة وباسطه ورحل معه طالبا دمشق وكان السلطان قد مرض أياما ثم شفاه الله تعالى وبما بلغه وصول ابن قرا ارسلان خرج الى لقائه وكان رحمه الله يكارم الناس مكارمة عظيمة فالتقاء على الجسر بالبقاع في تاسع ربيع الأول ثم عاد الى دمشق وخلف نور الدين واصلا مع العادل فتأهب للغزاة وخرج مبررا الى جسر الحشب ووصل العادل وابن قرا ارسلان دمشق فأقاما بها أياما ثم رحلوا ليتحققوا بالسلطان ورحل السلطان من رأس الماء ثاني ربيع الآخر طالبا للكرك فأقام قريبا منها أياما ينتظر وصول الملك المظفر من مصر الى ناسع عشر الشهر فوصل تقي الدين واجتمع به ومع بنت العادل وخزائنه فسيرهم اليه وتقدم اليه والى بقية العساكر بالوصول اليه الى الكرك فتتابع العساكر الى خدمته حتى أحدقوا بالكرك في رابع عشر جمادى الاولى وركب المجانق عليه وقد التقت العساكر المصرية والأشامية والجزرية ولما بلغ الفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم الى الد عن الكرك وكان على المسلمين فيه ضرر عظيم فانه كان يقطع عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج الا مع العساكر الجثة فاهتم السلطان بأمره لتكون الطريق سابلة ويسر الله ذلك وله الحمد والمثني ولكن كان فتحها بعد ذلك ولما بلغ السلطان خبر خروج الفرنج تفرغ للقتال وأمر العساكر ان تخرج الى ظهر الكرك وسير النفل نحو البلاد وبقي العسكر جريدة ثم سار السلطان يقصد العدو وكان الفرنج قد تنزلوا بموضع يقال له الواله وسار حتى نزل بالبلقاء على قرية يقال لها حسان قبالة الفرنج في طريقهم ورحل منها الى موضع يقال له ماء عين والفرنج مقيمون بالواله الى السادس والعشرين من جمادى الآخرة ثم رحلوا قاصدين الكرك فسار بعض العسكر وراءهم فقاتلهم الى آخر النهار ولما رأى رحمه الله تصميم الفرنج على الكرك أمر العسكر ان يدخل الساحل لخلوه عن العساكر فجمعوا على نابلس ونهبوها وغنموا فيها ولم يبق فيها الا حصاهما وأخذوا جنيين والتحقوا بالسلطان برأس الماء قلت وقد وصف القاضي الفاضل حصن الكرك في بعض كتبه فقال (هو شجبا في الجناجر وقذا في المحاجر قد أخذ من الآمال بمنغفها وتعد بارصاد العزائم وطرقها وصار ذنبا للهدى في ذلك الفج وعذرا لتارك فريضة الله من الحج وهو حصن الشوبل يسر الله التحريك والواصل للاسدين

ما من يوم الا وعندها \* لحم رجال أو يولغان دما

وفي كتاب آخر (وأما الكرك فكفاته المنجنيقات عليه متعارفه وحجارتها على من فيه حاجر وقد جذعت أنوف الابرجه وأسبلت قناع الستائر وجوهها المتبرجه وكل جوانبها وعذر المرتقى صعبة المحتظى والسلطان يستعذب المشقات التي تنفادى منها الهيم ويباشر جرات الشتاء الكالح بوجهه المبتسم) ومن كتاب آخر (وقد جمعت الحجارة في الاسقاط ببرؤس الابراج ورؤس الاعلاج فرمت الشراريق والواقفين عليها لجأيتها وأرت الفرنج باهتدائها الى اردائها غاية غوايتها ما أخرج أحد منهم رأسا لا دخل في عينه نصل وما هجر قراب الاسلام سيف الاول مع رقاب الكفر غمد قطعها وصل وما على الخرفى الاسراف والتبذير حجر ولكل ليلة من تقع الحوافر ومن سنا الاسنة فجر ولقد أخذنا من العدو بالمنحني وشرعنا في طم الخندق والحائط واقع والوانعة بهم محيطه والدروع بالسيوف مفصله وبالجرح محيطه) ومن كتاب آخر (عذاب الله بالحصن وأهله واتع ماله من دافع وان دليل النصر قد ظهر ومادونه من مانع وأما المنجنيقات فقد نكأت في الابراج بالهدم وفي الاعلاج بالهتك فلم تبق لها الحجارة الطائرة اليها حجارة قائمه وان لها من امطارها عابها ليلا ونهارا ديمة دائمة واطفئنا عليها بالزرجون حتى وقعت الاسوار من سكرها وضربنا دونها الستائر حتى ترمت لصخرها وعاطتها كفة المنجنيق عقار عقرها فالسور المقابل للمنجنيقات قد انهدمت ابراجه وأبدانه وانهدت قواعده وأركانه ولولا الخندق الذي هو واد من الاودية واسع عميق لما تاعذر الى الزحف اليهم والهجم عليهم طريق) ومن كتاب آخر (الحصن الذي نحن حاضره وحاصره في حصانة الحصانة

## كتاب (٥٦) الروضتين

قد هذت الحجارة منه ما أحكموه بالحجارة وعدا عليه بالتخريب ما أعدوه للجمار فغسى المنجنيقات ترمى ولا ترم  
سهماها ويستديم من أعداء الله ومعقلهم بالقتل والهدم انتقامها فاقابل المنجنيقات من الابراج والابدان قدأق  
التخريب على ما فيه من العمران فلم يبق الاطم الخندق والاخذ بعد ذلك من العدو بالخندق والقلوب وأثقة بحصول  
الفتح وقد علم كل واحد من ان متجربه قد فاز بالبحر فما يسمع منابجده الله من أحد ملل ولا ضجر ولا تسفر هذه النوبة  
ان شاء الله تعالى الا عن نصر وظفر وقال العمار دخل السلطان من رأس الماء على طريق الظليل والزرقا وعان  
والبلقا ثم الرقيم وزير والنقوب واللجون ثم أدر ثم الزبة وذلك في بلد ماب فلما تلاحقت العساكر نزل على وادي  
الكرك ونصب عليها تسعة مجانيق صفا قد ادم الباب فهدمت السور والمقابل لها ولم يبق مانع الا الخندق الواسع  
العميق وهو من الاودية الهائلة والمهاوى الحائلة والمهاالك الغائرة الغائلة وليكن في الراى الاطمه ولمؤه بكل  
ممكن وردمه فعد ذلك من الامور الصعاب وتعذر لخزونة الارض وتجزعها حفر الاسراب فأمر السلطان بضرب  
اللبن وجمع الاخشاب وبناء الحيطان المقابلة من المربض الى الخندق وتسقيفها وتلقيق ستائرهما وتأليفها فتمت  
دروبا واسعة لا يزحم فيها الجاني الذاهب وتوافدت رجال العسكر واتباعه وغلماؤه وأشياعه على نقل ما يرمى في  
الخندق وهان طم الخندق بالدابيات التي قدمت والاسراب التي بنيت وأحكمت فوجد الناس الى الخندق طريقا  
مهيعا فهم يزدحمون آمنين من الجراح عاملين بالالشراح والناس يجيب القلعة على سفير الخندق لا يستشعرون حذرا  
ولا يخشون سهما ولا حرا وقد اتمت الخندق حتى ان أسير امقيدا رعى بنفسه اليه ونجا بعد ما اتوا الى من رمى الفرنج  
رمى الحجارة عليه) وفي بعض الكتب العمادية (لولا الخندق المانع من الارادة وانه ليس من الخنادق المعناده بل هو  
واحد من الاودية واسعة الافنيه لسهل المشرع وهجم الموضع فلم يبق الا تدبير طم الخندق والاخذ بعد ذلك من العدو  
بالخندق فعملنا دبابات قد مناهنا وبيننا الى سفير الخندق ثلاثة اسراب باللبن سقفتناها وأحكمناها فصارت منها الى  
طرف الخندق طرق آمنه وشرع الناس في طم الخندق منها ونقومهم مطمئنة وقلوبهم ساكنه وكان الشروع فيه يوم  
الخميس سابع جمادى الاولى وقد تسنى طمه ونهيأ ردمه وتسارع الناس اليه وازدحموا عليه ولم يبق صغير ولا كبير  
الا وهو مستبشر بالعمل منتظر لبشرى نفع الامل وقد تجاسروا حتى ازدحموا تحت القلعة نهارا كازدحامهم في المصلى  
يوم العيد وليلا كحضورهم في جامع دمشق ليلنا نصف السعيد وهم بمجد الله من الجراح ساملون والنصر موقنون  
عالمون وان أبطأ العدو عن النجدة فالنصر سريع والحصن ومن فيه صريع قد خرقت الحجارة حجابيه وقطعت  
بهم اسبابه وناولته من الاجل كلبه وجرت لسان سورة وحلت نقابه فاناف الارجة مجدوعه وثنايا الشرفات  
مقلوعه ورؤس الابدان محزوزة وحروف العوامل مهموزة وبطون السقوف مبقورة واعضاء الاساقف  
معقورة ووجوه الجدر مسلوخة وجلود البواشر منسورة والنصر أشهر من نار على علم والحرب أقوم من ساق على  
قدم قال واشرف السلطان على أخذها فوصل الخبر ان الفرنج قد تجمعوا و اجاؤا منجدين لاهل الكرك ليزخر خود  
عن حصارها فبنى السلطان عنان العزم اليهم وكانوا في منزلة الواله وتلك المواضع ضيقة صعبة المسلك فانتظر  
السلطان ان يخرجوا الى البلقا وتقدم عنهم بامميا لفرج عوا و فرقوا ولم يقده واوعلى قصد الكرك عزموا ولما  
رأى السلطان ان الفرصة من الفتنتين فانت مر على نابلس فاغار وغنم وفي طريق عودته نزل على سبسطيه وفيها  
مشهد ذكر يا عليه السلام وقد اتخذته الفرنج كنيسة وأودعوها امتعة نفيسة وبها من الفرنج اسقف وقسس ورهبان  
فقدوها باسارى مسلمين ولاذوا بالامان معتمدين ثم أناخ على جينين فاهبط اوجها وهدم برجها وآب بالنهاب  
والسبايا والمرباع والصفايا واجتمع باصحابه على الفوار وتحدث بالايجاد لحوادث الغور في الغوار

## في اخبار (٥٧) الدولتين

على سمت الرحبه فاغتنم الامير طمان بركه تلك المحبسه فادركت المنيسه شهباي الدين بشيرا بالسجنه ووصلوا بشيخ الشيوخ الى الرحبه وهناك لقي ربه قال ولقد توفاه الله على الوفاء بعهده والوفاء لعقده مشيم الكرم كريم الشيم صالح العمل ناجح الامل مفارقا للدنيا في حياته مقبلا على الآخرة قبل وفاته فهو ومن رفعت سريره الملائك ووضعته في عشرين الارائك وكانت وفاته في شعبان بؤاء الله الجنان قلت كان صدر الدين هذا أحد السادة وأبوه وجده من أكابر الأعيان وشيوخ مشايخ الزمان وهو عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعد احمد بن محمد النيسابوري وقد ذكرت ترجمة والده في تاريخ دمشق والحقتها من أخبار جده بما ذكره أبو سعد السمعاني في تاريخه وقال ابن القادسي توفي صدر الدين في رجب برحمة مالك بن طوق ودفن في قبة إلى جنب تهر الشيخ موفق الدين محمد بن المتقنة الرحبي وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان وخمسائة وكان شيخا طائلا في العلم والدين والسداد ثابت الجنان في الحوادث المستعجبه والوقائع الباغضة المجلية سديد البديهة صافي الفكره جمع بين نظم الشعر ونثر الترسل وكان يرسل إلى الأطراف ورتب في مشيخة الشيوخ منذ توفي والده في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسائة ولم يزل على ذلك إلى أن توفي وتولى بعده مشيخة الرباط صفى الدين اسماعيل ومن شـعره، يعنى صدر الدين

ولم أخضب مسيبي وهــوزين \* لا يشارى جهالات النصابى  
واكـن كنى يرانى من أعادى \* فارهبه بوثبات الشباب

قلت ووقفت على كتاب فاضلى اليه جوابا عن كتاب عتب فيه (وقف على التحية الطيبة والكرامة الصديه والالفاظ العذاب الا انها الغضاب والتعجب الا انه العذاب والمساخمة الا انها الحساب والمتشابهات اللواتى أولها أحسن تأويلها والمحكمات اللاتى هن أم الكتاب ويكنى انه مخرج الصاب بعسله وارغف قلبه بما لا يرغفه الشجاع من انوف أسله وهذا باب قد آن سده وسبيل قد وجب صدّه وعين دهر أصابت هذه الموده وقد آن لها أن تنطرف وتنصرف وبادرة هم قد حان ان تنكشف وتنكشف فلانظر بعد هالعين التى اصابت ولاخط فى أثرها للخطرة التى آبت ولا كان لا بام فى فضل سيدنا على عبده نصيب ولاعدا أبدا على شباب الرضى عنه شيب ولا تمكن من حبيب وذه الى القلب رقيب ولا ملك رقه غير تلك اليد الكريمة ولا سمعت حديث الحوائث تلك المودة القديمة) قال العماد وخرجنا من دمشق في شعبان وخجنا على سوسع ودعا تقي الدين فأمره ان يرجع بالعسكر الى مصر فسار في منتصف الشهر ثم رجعنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام بدمشق ورجع كل عسكر الى مـركـزه ومدح العماد تقي الدين في هذه الكرة بقصيدة نائية نحو خمسة وثمانين بيتا أولها

اذا سئمتا عن غير قلبي تحـدنا \* فاحل فيه الهمم الا ليلبثا  
خذنا ما هدى صدقي على صحة الهوى \* ضنا ساكنا منى ووجدا محدنا  
مر يصحكا أشقى على الناس سقمه \* فلا تجحلا فى أمره وتربشا  
رئى لى عدوى من جفاء احبتي \* وناهيك من حال عدوى هارنى  
عهدكم بعد النوى ما تنسعت \* وحاشى لداك العهد ان تنسعا  
واملك بالملك المظفر ظافـرا \* من الجد والجودى قديما ومحدنا  
مخوف السطا صعب الـاباحس النـا \* مرجى الندى سهل الرضى طيب النشا  
صفـا آخر العمرين من عمر الذى \* به العمران اليوم بالعدل نلنا  
هم أحد نراقع الضلالة بالهدى \* فذملىك والمو تلى فى الدين محدنا  
غنائى وغنى أنت حامل نقصه \* بفضلك ان البحر يحتمل القضا

ومنها في وصف القصيدة

وقد سملت والشاء أو عمر مرتقى \* فلا فرق عندى بين ناء وبين نا

(فصل) لا يمتوى على ذكر المفاضلة بين مصر والشام والتعريف بحال زين الدين الواعظ الذى كان صلاح الدين

## كتاب (٥٨) الروضتين

يكتبه بوقائعه وهو الذي هم على عمارة وأصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة الناصرية المصرية كما سبق وسبب ذكره هنا أنه هو الذي شرع في تفضيل مصر بكتاب كتبه إلى السلطان في هذا العام وقد تقدم للقاضي الفاضل كلام في تفضيل مصر ودم الشام في أوائل أخبار سنة أربع وسبعين وله من كتاب آخر (فدعونا من بعلبك البلد الأعسر ومن رأس عينها الضيقة المحجر ومن تلجها الذي تنفش الجبال بعنه ومن بردها الذي لا يشفع الجمر عنده إلا باذنه وعودوا إلى ما أترقتم فيه ومساكنكم فإنها قد علمتها وحشة لقطيعها فسألت مطالع دسوتها عن أقار سلاطينها وأذكروا النيل الذي وفي لكم في هذه السنة قصه وأبي أن يكون ماؤه ذخيرة لغير جودكم الذي أحصاه الله ولم نخسه وأذكروا قضيضها وماء طوبيتها فقد كان يقيم الحجة على ثبغ الشام ووجهه وتغلغل برده فيسرى إلى قلب العليل وكان جاريا على غير طريقه واذكروا حجة هوائها وتعصبه لا يأمكم حتى أنعم الله عليكم قبل صحة أجسامنا بصحة أجسامكم) ومن كتاب آخر (وأما أحوالي فأنني لم أزل ملثما ما مذ دخلت دمشق لغير ماثها وهوائها وأبنتها وأبنائها وأوديتها وأدوائها وقرأها وقرنائها ومن لي بمصر فاني أقتع بما تنبتة أرضها من بقلها وقنائها وأتبع بردي وما عساه بشربة من مائها وامتنطي متن السيف في هجر سوادها وسودائها فالذل هائل ولا طائل وما كان مع به من تلك الفضائل متضائل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فهي بلاد تستجدي ولا تجدي وفعل المال بها لازم التعدي) وقال الأعماد هذا زين الدين علي بن نجما الواعظ من أهل دمشق ومن ساكني مصر وهو ذو طهجة في الوعظ فصحه وبحة للفصل صحيحة وقبول من القلوب وفصول في فصل الخطاب للخطوب وقد تأتت وتأتل وقيل وأقبل وأحسن السلطان إليه بالأعطيات والاقطاعات وأجل واعطاءه وأجل وأتم له مراده وأكل وكان السلطان يستشيره ويروقه بتدبيره ويميل إليه لتقديم معرفته وكرمه سجيته ووصل في هذه السنة منه كتاب إلى السلطان يشوقه إلى مصر ويطلبها ونعيمها وسلبيلها ودار ملكها ودارة فلاكها وبحرها وخليجها ونشرها وأريجها ومقسمة ومقاسها وأنيبها ناسها وقصور معزها ومنار عزها وجيزتها وجزيرتها وخيرتها وجيزتها وبركتها وبركتها وعدوتها وعدويتها وتعلق القلوب بقلوبها واستلاب النفوس بأسلوبها وملتي البحرين ومرتقي الهرمين وروضة جنانها وجنة رضوانها ومساجدها وجوامعها ومشاهدها ومرابعها ونواظر بساكنيها ومناظر ميادينها وساحات سواحلها وآيات فضائلها ورحاب شوارعها وحلاب مشارعها وشروق غربيتها وغروب شرقيتها وطيب طوبيتها ومسار مسراها ومجرى فلاكها ومرساها وعجائب بناها وغرائب مينائها وبيان عيائها باسان بلسانها وكياسة أخلاقها ونفاضة أعلامها وشتاؤها في الفضل ربيع نضير وغبارها عبير وماؤها كوشري وزراها عنبري ثم وصف العماد غير ذلك ثم قال وذكر زين الدين الواعظ في كتابه ما دل به على فضيلة تلك الديار من الآيات والاحبار والاداب والآثار ولوظفرت به لاوردته بلفظه وجلوته بوعظه أكنني فقدته فعزمت معانيه وأحكمت مبانيه قال فكتمت إلى زين الدين الواعظ في جوابه عن السلطان (عرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها ونحن نسلمه المسئلة في طيبها وتوفير نصيبها ورقة نسيها ورائق نسيها لكن لا ريب أن الشام أفضل وأن أجرسا كنه أجزل وأن القلوب إلى قلبه أميل وأن الزلال الباردة أعلى وأنهل وأن الهواء في صيفه وشتائه أعدل وأن الزهر به اشب والنبت به أكمل وأن الجمال فيه أكمل والسكال فيه أجمل وأن القلوب به أروح والروح به أقبل ودمشق عقيلة المنشوطة وعقلته المنشوطة وحديقته الناضرة وحديقته الناضرة وهي عين أنسانه بل أنسان عينه وصير في نقوده في عين نضاره ولجينه فستاهما مستهام وما على محبها لأم وما في ربوتها ريبه وفي كل حبة حبيبته ولكل شائب من نورها شبيبته وعلى كل ورقة ورقا وعلى كل معانقة من قدود البانات عثقا وشادياتها على الاعواد تطرى وتطرب وساجعاتها بالآراء تنجم وتعرب وكفيها من جوارس اقيات وسواق جاريات وأثمار بلاثمان وروح وريحان وفا كهة ورمات وخيرات حسان وجميع ما في سورة الرحمن ونحن تتلوع عليه الآهالي أن يرجع البنا فتلوع على منكرها فبأي آلاء ربكم تكذبان وقد تمسكتنا بالآية والسنة والاجماع وغنينا هذه الادلة عن الاختراع والابتداع أما أقسم الله تعالى بدمشق في قوله (والتين والزيتون) والقسم من الله لها أدل دليل على فضلها المصون أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام خيرة الله من أرضه يشوق إليها خيرته من عباده) هذا أوضح برهان قاطع على أنه خير بلادها أما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على اختيار السكنى بالشام أما فنج



## في أخبار (٥٩) الدولتين

دمشق بكر الاسلام ومانكر ان الله تعالى ذكره مصر وسماها أرضاً للذكر والتسمية في جنب فضيلة القسم ولا الأخبار عنها دليل على الكرم وانما كتبت الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه أفضل الصلاة والسلام ثم المقام بالشام أقرب للرباط وأوجب للنشاط وأجمع للعساكر السائرة من سائر الجهات للجهاد وأيسر قطوب المقطب من سناء سنير وأين ذرى منف المشرف من ذروة الشرف المنيف المنير وأيسر الهرم الهرم من الحرم المحترم وبينهما الرق ما بين الفرق والقدم وهل للنيل مع طول نيله وطول ذيله واستطال قسيه برد بردى في نفع الغليل ونفع فعليل ومال ذلك الكثير طلاوة هذا القليل وسيل هذا السلسيل وإذا فخرنا بالجماع وقبة السرظهر عند ذلك قصر القصر على أن باب الفراديس في الحقيقة باب النصر وما رأس الطابية كباب الجابية ولو كان لناسها باباس لم يحتاجوا الى قياس المقياس ونحن لانجفوا الوطن كما جفاه ولا نأبى فضله كما أباه وحب الوطن من الايمان ومع هذا فلا ننكر ان مصر اقليم عظيم الشأن وان مغلها كثير وماءها غرير وان عدها غدير وان ساكنها ملك أو أمير وليكن نقول كما قال المجلس السامى الاجلى الفاضلى اسماء الله ان دمشق تصلح ان تكون بيتنا لمصر ولا شك ان أحسن ما في البلاد البستان وزير الدين وفتحه الله قد تعرض للشام فلم يرض ان يكون المساوى حتى شرع في عدا المساوى ولعله يرجع الى الحق ويعيد سعدا وسعادته وفاقه الى الاوفق ان شاء الله) قلت وقد قيل في وصف دمشق ومدحها شئ كثير من النظم والنثر واشتمل ما جمعه في أول تاريخ دمشق على قطعة كبيرة حسنة من ذلك ما وصف شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوى رحمه الله في مقامة تستمل على المفاخر بين دمشق ومصر ووصف كلا من البلدين بما يليق به وكان أول ما قدم دمشق يذمها في مكاتباته الى مصر نظماً ونثراً حباً للوطن ثم لما استقر فيها قرت عينه وفضلها في بعض مكاتباته وقد ذكرنا كل ذلك في جزء مستقل به وأما القاضي الفاضل رحمه الله فقد قال في بعض مكاتباته الى مصر (وما أسر به تلبه الكريم انني وصلت الى دمشق المحروسة حين شررد بها وورد دهرها واخضر بنتها وحسن نعتها وصفامؤها وصفادواؤها وتغنيت أطيافها وتبسمت ازهارها واقتزهر اقمونها فحكي ثغور غزلانها ومالت قضب بانها فاندت ثنتي ولدانها فلما قربت من بساتينها ولاح في فبح ميادينها وتوسطت جنة واديها ورأيت ما أبدعه الله فيها سمعت عند ذلك حما ما يغرد وهزارا يشدد ويردد وقرى يأنوح وبلبل باشجانها يروح فوقفت اثني على ياديهما وأكاد بالدمع أباديهما أسفا على أيام خلت بعدما حلت منها وفيها فعد ذلك عادت روى وزال أنيني ونوحى

وكانت النفس قد ماتت بغصتها \* فعند ذلك عادت روحها فيها

قلت ووصف أيضاً دمشق من أهل مصر من يرجع الى قوله وبرضى بحكمه الفضله وفصله وهو الوزير العادلى صفى الدين أبو محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر في كتاب البصائر له فقال (دمشق زهرة الابصار وعروس الامصار ومجرى الانهار ومغرس الاشجار ومعرس السفار ومعبد الاررار المستغفرين بالاسحار ظلها الممدود ومقامها المحمود وماؤها المسكوب وعيها المسلوب ومحاسنها المجموعة وفضائلها المروية المسموعة ودرجتها المرفوعة وفاتها الكثيرة لامةظوعة ولا منوعة ونسبها العليل وهجيرها الاصيل وماؤها السلسيل وقد شرفها الله تعالى بالذكر في كتابه وآوى اليها من أئبيائه وأحبابه فقال تعالى في كتابه المبين (واويناها الى ربوة ذات قرار ومعين) ولم تزل مقر البركات ومعادن النبوات ومثل الرسالات ومسكن ارباب الكرامات وورد في تفصيل بقعتها من الاخبار ما لا يشك في صحة اسناده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام صفوة الله من بلاده فيها اخيرة الله من عبادته) وبه في خبر آخر على عظم فضله فقال ان الله تركملى بالشام وأهله وبارك في سكانها وركب في سكانها أهل الاسلام بقوله عليه السلام (البركة في الشام) وذهب بعض المفسرين من أهل الاجتهاد الى انها ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) قال (ولما أنعم الله تعالى على باسكانى في فنانها وتخيري لبنائها ونزهي في افنانها وانسى بانسانها مضيت الى جامعها الجامع وشفعت بادراك البصر منه ادراك المسامع فلما وصلت اليه وحلت الحبي لديه رأيت مرآى صغرا روايه وروفا حصل من الحسن على النباه ونورا يحلوا الابصار وجعيا يفضل



## كتاب (٦٠) الروضتين

على جموع الامصار وعبادة موصولة على الاستمرار وقرآنا يلى في آناء الليل وأطراف النهار ومنقطعين اليه قد انفقوا في الاعتكاف به نفائس الاعمار والبركات تحف بجوانبه والعلوم تنشر في زواياه ومحاربه والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسندت وى والمصاحف بين ايدي التالين تنشر فلا تطوى واعلام البر فيه ظاهرة فلا تخفى ولا تزوى والخلق منقسمون الى خلق قد نذأ أهلها ما وراءهم من العلق والاسلام فيه فاش والجهل به متلاش وهو مما بناه الاولون لعبادتهم وجعلوه ذخرا لا آخرتهم وسابح معبدا لكل مله اتخذته المجوس واليهود والنصارى قبل الاسلام هيكله وقبله وهو بيت المتقين وسوق المتصدقين ليله للمتجدين ونهاره للعلماء المجتهدين) قال (وعاشرت أهلها وباشرتهم ثم كآثرتهم وكأشفتهم فرأيت سادة ادباء وعلماء نجباء رأيتهم يتناظرون في الفقه مناظرة الوالد مع ولده ويقفون عند كتاب الله فلا يعبدون عن واضح جده ويفسر منه عن علم واستبصار ويحتمطون في علمهم بصحح الاخبار ويتبعون ما وردت به ثقة الآثار وعامتهم مشغولون بالمعاش آخذون من زينتهم عند كل مسجد أفضل الرياش لا يخوضون في لفظ ولا أكار ولا يجتهدون على فسادية في مقم ولا بعيد الدار) قال (فأقت منها في أشرف البلدان التي هي انموذج الجنان وعنوان الداراتي خازنهارضوان والقلوب فيها عند ذكر الله حاضرة والنفوس بالخير دون الشر أمره)

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد كانت أربل وما يجرى معها من البلاد والقتل مع ولايات الموصل معدودة في ولاية السلطان فأراد صاحب أربل ان ينفرد عنه ويستمد بالبلاد فاذع الى السلطان ان كاتبه وطلب منه منشورا ببلاده فكتبه له وفيه (ان الله لما مكن لنا في الارض ووقفنا في اعزاز الحق واطهاره لاداء الفرض رأينا ان نقدم فرض الجهاد في سبيل الله فنوضح سبيله ونقبل على اعلاء كلمة الدين وننصر قبيله وندعو أولياء الله من بلاد الاسلام الى غز واعدائه ونجمع كلمتهم في رفع كلمته العليا في أرضه على استئزال نصر من سمائه فنساعدا على اداء هذه الفريضة واقناة هذه الفضيلة يحظى من عوارفنا الجزيلة بحسن الصنيعة ونفج الوسيلة ومن أخلد الى الارض واتبع هواه وأعرض عن حق دينه بالاقبال على باطل دنياه فان اناب قبلناه وان أصر على غوايته ارلنا يده وعزلناه) وتفصيل ما كتب في منشوره أربل وقلعتها وأعمالها جميع ما قطعته الزاين الكبير شهر زور وأعمالها معايش بيت قنجاك معايش بيت الفرابي الدست والزر زاربه قال وفي هذه السنة مسهل جمادى الآخرة توفي صاحب ماردين وهو قطب الدين ايلغازي بن ابي بن تمر تاش بن ايلغازي ابن ارتق والامراء الارتقية هم الذين رتقوا فتوق الاسلام أولا وكانوا يتولون بيت المقدس وجوه من الافرنج قبل المصريين وانما أخذ الفرنج سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من المصربين فبقى الساحل كله مع أهل الشر كحمت الارتقية ديار بكر وما والاها وحلب وأعمالها وتوارزاد ياربكر كابر اعن كابر الى ان انتهى الى هذا قطب الدين أعمال ميا فارقين وماردين فلما مات بقيت على ولده وله عسرسنين وانتهى الى ابن عمه نور الدين محمد بن فرا ارسلان ابن داود بن سليمان بن ارتق حصص كيفا وخرتبرت والبلاد التي تناسبها وأضاف السلطان اليه أمدوقد كان قطب الدين أولا على مصافاة صاحب الموصل لما بينهما من القرابه ثم أذعن للسلطان ودخل تحت طاعته قلت وفي هذه السنة أيضا توفي خاتمة المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وولى ابنه يعقوب قال القاضي ابن شذاد وبعد عدد السلطان من حصار الكرك وصل رسل الخليفة ومعهم الخلع فلبسها السلطان وألبس أخاه العادل ابن أسد الدين خلعا جاعن لها ثم خلع السلطان خلعة الخليفة على نور الدين بن قرا ارسلان وأعطاه دستورا فصار الى بلاده ووصلت رسل زين الدين مستصرخا الى السلطان يخبران عسكر الموصل وعسكر قزل نزولوا على أربل مع مجاهد الدين قايماز وانهم نهبوا وحرقوا وانه نصر عليهم وكسبرهم فلما سمع ذلك سار من دمشق يطلب البلاد وتقدم الى العساكر فبجته وسار على طريق المغار ويوس البقاع الى بعلبك ومرض العماد فائق قطع بها وسار السلطان الى حصص ثم الى حماء فأقام بها الى ان شفى العماد ولحقه بها وكان الاجل الفاصل بدمشق فأرسل الحكيم ابن المطران واسمه أسعد بن اليس الى العماد ببعلبك لما سمع بمرضه فصار من دمشق الى بعلبك في يوم وليلة وعمل معه عمل من طب لمن حب فبرئ بعون الله تعالى فرجع الى دمشق فلما استقام من اجاره رحل الى السلطان فواقفه بجماء

## في اخبار (٦١) الدولتين

﴿ودخلت سنة احدى وثمانين﴾ **الحال** العاماد والسلطان مخيم بظاهر جمار فسار الى حلب وتلقاه أخوه العادل واجتمعت له بها العساكر فخرج منها في صفر لقصده الموصل فسار وقطع الفرات وأقام العسكر ثلاثة أيام للعبور بها وكان السلطان قد سير الى معاقل الفرات وقلعاه ونواحيه وضياعه وأمر أهلها بالجماعة كل سفينة في الفرات وزورق ومركب وجميعها من كل مشرق ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو أخوزين الدين يوسف صاحب اربل وقد كان أول من دخل في خدمة السلطان وأول ما قصده تلك البلاد في المرة الاولى واقتدى به أخوه وغيره من أصحاب الاطراف في الانتماء الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وآمد وحلب وأظهر من المودة فوق ما كان في الحسب وكان كثير الحث للسلطان على السير الى الموصل هذه المرة برسوله وكتبه وقال رسوله للسلطان ان مظفر الدين اذا عبرتم الفرات يستدرك كل مافات ويقوم بكل ما يحتاج اليه في تلك البلاد من النفقات والغرامات والازواد وتقدم يوم الوصول الى حران خمسين ألف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه ما التزمه الرسول فارتاب به وظن انه مال مع الموصل ووشى الاعداء فيه بذلك وأن نيته قد تغيرت فغضب للسلطان انه لم يتغير وان ما التزمه الرسول لم يكن بأمره وهو ابن ماهان فانعزل عنده عن مرتبة وهان فقبض السلطان على مظفر الدين ليمتحن أمره وساور فيه أصحابه فأشار بعضهم بالتلافه وبعضهم باستبقائه واستتلافه فعفا السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران ففعل ذلك وهو مسرور ببقاء نفسه ثم أعيدت اليه القلاعتان في آخر السنة لما رأى السلطان من حركته المستحسنة فالانقاذي ابن سداد وسار السلطان حتى أتى حران على طريق اليه والتقى مظفر الدين بالبصرة في ثاني عشر المحرم وكان قد وصل اليه عز الدين بن عبد السلام يعني الموصل على رسوله واسمه ابراهيم بن علي بن عبد السلام ويكنى بأبي الخليل فلقية بجماعة يعتذر مما جرى فأعطاه دستورا بعد ان أكرمه وسار من غير غرض قلت وصحب ابن عبد السلام في هذه السفرة من الموصل عمر بن محمد المعروف بابن السحنة فخرج السلطان بقصيدة أولها

على الحى من وادى الغصا انذروا \* سلام مشوق قد براه التشوق

فلما بلغ مديحها الى قوله

وفالت الى الآمال ان كنت لاحقا \* بانباء أيوب فانت الموفق

قال له السلطان لقد وفقت وأجازة جائزة سنينه ثم قال الفاضل وتقدم السلطان الى سيف الدين المشطوبان يسير في مقدمة العسكر الى رأس عين ووصل السلطان حران في الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض على مظفر الدين لئلا كان جرى منه وحديث كان بلغه عنه رسوله ولم يقف عليه وأنكره وأخذ منه حران والرها ثم أقام في الاعتقال ناديا به الى مستهل ربيع الاول ثم خلع عليه وطبب قلبه وأعاد عليه قلعة حران وبلاده التي كانت بيده وأعادته الى فانونه في الاحترام والاکرام ولم يختلف له سوى قلعة الرها ووعده بها ثم رحل السلطان ثاني ربيع الاول من حران الى رأس عين ووصل في ذلك اليوم رسول قلمح ارسلان يخبره ان ملوك السرق بأسرهم قد اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعدد الموصل وما ردين وانهم على عزم ضرب المصاف معه ان أصر على ذلك فرحل السلطان يطلب دنيسر فوصله ثامن ربيع الاول عماد الدين بن قرا ارسلان ومعه عسكر نور الدين فالتقاهم السلطان واحترمهم ثم رحل من دنيسر نحو الموصل حتى نزل بموضع يعرف بالاسماعيليات فرتب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جريده فتحاصر الموصل فبلغ عماد الدين بن قرا ارسلان موت أخيه نور الدين فطاب من السلطان دستورا طمعا في ملك أخيه فأعطاه دستورا وقال العماد خرج السلطان من حران في ربيع الاول فر على رأس عين ودارا فخرج أميرها بأصحابه في الخدمة وقدم عماد الدين أبو بكر بن قرا ارسلان بعساكر ديار بكر وآمد نيا بة عن أخيه نور الدين فانه كان مر يضام بحل الى انصيبين وقدم صاحب الجزيرة سنجر شاد ابن أخي صاحب الموصل فأكرمه السلطان ثم سار من أقرب الطرق من دجله وتكبد طريق الدولة فزل على بلد آخر ربيع الاول ثم توجه الى الموصل ونхим على الاسماعيليات وقدم على السلطان زين الدين صاحب اربل وأول ما بدأ به السلطان يوم نزوله على بلد قبل

## كتاب (٦٢) الروضتين

الاسماعيليات ارسال ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الى الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل فان أهلها موصلون الاعاجم وخطابون لسلطانهم القائم وناقشوا في الدنانير والدراهم وانهم يتعززون بالهلوان ويجزون الاعن الطاعة والاذعان وانهم يرسلون الى الفرنج ويقوون نفوسهم على قصد الشغور وتفريق الجمهور وانه ما جاء طمعاً في استضافة ملك ولا استزادة ملك ولا تلغ بشت قديم ولا تطع أصل كريم واما مقصوده الاصلى ومطلوبه الكلبي ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وكشف ما اعتادوه واعتدوه من الظلم والظلام وكظمهم عن استغلال الحرام وقطعهم عن مواصلة الانحجام والزمامم بما يجب عليهم من حفظ الجار وصلة الارحام فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخي صاحب الموصل ولي عهد أبيه لم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحقه بالارث والتولية وحرمة ما يستوجب من التريبة والتلبية وأخاف حرمة وقطع رحمة ولو تمكن منه لاطاح دمه ولولا خوفه من جانبه وتوقيه من ديب عقاربه لما التجأ الى هذا الجانب ولما اختار الجانب على الاقارب وهذا صاحب اربل جار الموصل أبوه زين الدين على هو الذي حفظ بيتهم وخلف في احيائهم ميتهم وهذا ولد في جوارهم مسكوه بجورهم وحديث صاحب الحديث في حادثة لا تخفى وعين من يتكبر من مخافتهم وأفتهم لا تكري قلت وفي بعض الكتب الفاضلية عن السلطان الى الديوان (وكان قد تحبب الى الخادم في وقت حركته صاحب تكريت والحديثة وهو يستأذن في استتباعهم بما يحكم التقليد الذي تساول هذا وغيره ولم يستأذن في ذلك استئذانا مخصوصا لا لمخلصهم من جواردار الخلافة ولا نهما مما يرى الخادم اصابه الى ما يجري في خاص الديوان العز بزع غيرهما ما يجري مجراهما في القرب من الجوار والدخول في زمام شرف تلك الدار فان أذن له استئذنها في صلح انهم معهم أوجهاها مع مباينيه ان اختار المشار اليهم البقاء عليها وهذا برد شرف قد أعوزه علمه وتاج اذا أسلمه الخط الشر يف نظم النحار منتظمه) وفي كتاب آخر (وما كتاب شهادة الله في قتال المدكوريين الا كقاطع كفه ليسلم سائر جسمه وكراكب حد السنان مضطرا في حكمه) وأحب العباد الرسول قصيدة مدح بها صاحب مجد الدين أبا الفضل أو لها

قضى الوجدلى ان لا أفيق من الوجد \* فياضلة اللاحى اذا ظن ان يهدى  
محببكم جلد على كل حادث \* ولكن على هجر انكم ليس بالجلد  
بغداد خط وارحلكم ليخصم \* أبو الفضل مجد الدين بالفضل والمجد  
راه الامام الناصر الدين ناصرا \* فحاول تعويلا على نجده المجدى  
ومنها

اليك صلاح الدين الجاء أمره \* فخطر كنه والعقد بالشد والشد  
مليك على حرب العدو ومهم \* وما زال فيه غالب الجد والجد  
تساور أفواه الجراح رماحه \* مساورة الاميال للاعين الرمد  
يحمل المنايا الجرب الكفر محريا \* دم الاصفر الروى بالايض الهندى  
ومن لامير المؤمنين كيوسف \* فتى في مرضيه بهجته يندى

قال وشرع السلطان في اقضاع البلاد والتوقيع بها على الاجناد وسير الامير سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكبرى ومعه الامراء من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد الهكارية وجماعة من الامراء الحميديه الى العقروا عاها لاستتقاع قلاعها واستغلال ضياعها ونصب الجسر وملك الامر وعبر مظفر الدين صاحب حران وغيره من الامراء وخيموا بالجانب الغربى وكان الحراد الكشدي فامر السلطان بالصبر عن القتال الى ان يطيب الزمان وأهل الموصل في الحصار وأشير عليه بتحويل دجلة وكان ماؤها قد قل بطريق ذكره خبر بها زعم انه يمكن سد دجلة وسكرها وثبق فرضة أخرى وكسرها ونقلها وتحويها الى دجلة تينوى وتغش الموصل اذا الماء عنها انزوى وعرض ذلك على رأى الفقيه العالم فخر الدين أبي شجاع ابن الدهان البغدادى وكان مهندس زمانه وانسان عين الفضل وعين انسانه وكان منذ عهد قديم سكن الموصل في ظل كبير من أصحاب زين الدين على ولما سمع يكرم

## في اخبار (٦٣) الدولتين

السلطان تقياً بظله وتعرف الى فضله فصدق المشير بذلك وقال هذا يمكن ولا يتعذر ويتيسر ولا يتعسر ومن كتب عمادى الى بغداد (وذكر المهندسون أهل الخبرة انه يسهل تحويل دجلة الموصل عنها بحيث يبعد مستقي الماء منها وحينئذ يضطر أهلها الى تسليمها بغير قتال ولا حصول ضرر في تضيق ولا نزال)

(فصل) فيما فعل السلطان في أمر خلاط وميافارقين وغيرهما من البلاد قال العماد ثم وصل خبر وفاة شاه أرمين صاحب خلاط فتحول اليها العزم وترجع بها الحزم وكان ورود خبر موته في العشرين من ربيع الآخر وكان موته في التاسع منه ولم يخلف ولدا ولا ذاق ربة يكون خلفه فيها ووردت كتب الالوياء من أهل بدليس وغيرها الى السلطان يخبطونه لها وهم خائفون من العجم ان يتولوها فاختلف الناس على السلطان فن مشير بالاقامة الى انفصال أمر الموصل ومن مشير بالمسير الى بلاد الارمن فان الموصل غير فائقة ومن قائل بانقسام العسكر في الجهاتين فترجر رأى السلطان على المسير اليها فكتب الى الخليفة يطلب منه كتاب تقليد ببلاد الارمن وديار بكر والموصل فجاءه بعد فتح ميافارقين مثال شريف بتقليده النظري في أمر ديار بكر والنظر في مصالح أيتام ملوكها ثم رحل السلطان عن الموصل في أواخر شهر ربيع الآخر وقدم في مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن عمه ومظفر الدين صاحب حران وأمرهما ان يسيرا الى خلاط من أثرب الطرق فلما وصلوا وجد أسيف الدين بكتمر أحد ماليك شاه أرمين قد دخلها وجماعها وتقلب عليها وجاء بهلوان في عساكر الشرق وهو شمس الدين أنوجعفر محمد بن ايلدكر متولى تلك البلاد فقتل من الجانب الآخر وكان وزير خلاط محمد الدين بن الموفق بن رسيق يظهر للسلطان المودة والمناصحة وهو على خلاف ذلك وكتب الى ناصر الدين ان يقيم على القرب فهو أشد للارهاب والرعب ففعل ولو خلاه لسبق اليها وقيل ان هذا الوزير أيضا انفذ الى بهلوان وأمره بالاتيان وأظهر له المودة والاحسان ولما تداى الزمان وقرب منها بهلوان راسله بكتمر وحمل اليه مع ابنته زوجة شاه أرمين الاموال التي أودعت المحزن ونذب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتخلها وتأنلها وتكلم مع الوزير وشاوره فأحال الحال على بهلوان وانه جاء ليقمك المكان ولو استجلمت لسهل ما صعب الآن وهان ثم جرت مراسلة بين السلطان و بهلوان وانفصل الامر كأنهما كان وقال القاضي ابن شداد في ربيع الآخر توفي صاحب خلاط وولى بعده غلام له يدعى بكتمر وهو الذي كان وصل رسولا الى خدمة السلطان بسنجار فعدل وأحسن الى أهل خلاط وكان متصوناً في طريقته فأطاعه الناس وماوا اليه ولما ملك خلاط امتدت نحوه الاطماع فسار نحوه بهلوان بن ايلدكر فلما بلغه ذلك سيرا الى خدمة السلطان من يقر مرعه تسليم خلاط اليه واندراجة في جلته قطع مع السلطان بخلاط وارتحل عن الموصل متوجها نحوها وسير اليه الفقيه عيسى وغرس الدين قليج له تقرير القاعدة وتحريضها فوصلت الرسل و بهلوان قد فارب البلاد جدا فخوف بهلوان من السلطان وأشعره انه ان قصد سلم البلاد الى السلطان فطلب بهلوان اصلاحه وزوجه بينت لهم وولاه وأعاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان وعادوا من غير زبدة وكان السلطان قد نزل على ميافارقين فحاصرها وقتلها قتلا عظيما ونصب عليها محجياتي وملكها في آخر جمادى الاولى قال العماد واستشعر ملوك ديار بكر من حركة السلطان وكان قد مات صاحب ماردين كاتبة دم و بقيت الولاية لولده الكبير وله عشر سنين وكان القائم بتدبير ملكه نظام الدين ابن البقش ومات أيضا صاحب آمد نور الدين محمد بن قرا ارسلان رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة وتولى ابنه قطب الدين سكرمان فاحترزوا من السلطان وخافوا ان يسترد بلاد آمد منهم فنفذ السلطان اليهم شمس الدين بن الفراهي ليختبر حالهم في المحاربة والمسالمة فوجدهم على الطاعة مقيمين واليه راغبين ومنه راهبين ووصل السلطان في جمادى الاولى الى ميافارقين وكان دخلها من أمراء صاحب ماردين أسد الدين يرتقش واستعصى فيها على السلطان فحاصره فائلة ثم رأى ان القتال يطول فراسل أميرها الاسد ورغبه في المودعة ونهاه عن المقاطعة وكان في المدينة خاتون ابنة قرا ارسلان وهي زوجة قطب الدين صاحب ماردين الذي توفي فأحال الاسد الامر على الخاتون فراسلها السلطان ورغبها وضمن لها كل ما طلبه منه ووعد لها ان يصاهر اليها فزال بها وبالاسد حتى لا ناظر السلطان لها كل ما كان باسمها واسم خدامها وطلبت حصن الهتاسخ ليكون لها عشا للافراخ وزوج السلطان ابنه ممز الدين اسحاق باحدى كرائمها و أبرم العهد وأحكم العقد وسارع السلطان اني نداء كل

ما اقترحوه وفتحت ميا فارقين وأقبل صاحب آمد قطب الدين سكران بن نور الدين على صغرسنه الى خدمة السلطان فآكرمه وأعادته الى منصبه وكان معه وزيره قوام الدين أبو عبد الله محمد بن سماعه وقتل غيلة في رمضان من هذه السنة كما سيأتي ثم سار السلطان لقصد الموصل وولى تلك الديار مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى فنزل السلطان على دجلة بكفر زمار بقرب الموصل في شعبان وعزم على انه يشقى في ذلك المكان فخرجت من الموصل نساء اتين اليه بكتاب متعريضات للشه فاعة فآكرمه السلطان ووعدهن بالاحسان وقال قد قبلت شفاعتكن لكن لا بد من مصلحة تتم ومصالحته نفعها يعم واستقر الامر على ان يكون عماد الدين زنديكى صاحب سنجار أخو صاحب الموصل وسيطافى اصلاح ذات البين وحكما فيما يعود لمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقة ورأى بهذا رأى قضاء الحقين وتعطف وتلطف لاجلهم واجلالهم وأنى بالكرامة بما يليق بأمثالهم وكن ظنانه لا يقيم لحرمة قصدهن ولا يصدق ظنونهن وانه لا يعرف حقوقهن ويقضى بمكارمه ديونهن ولا يستغل بأمر لا يؤذن بمرادهن فدخلن البلد متلومات متذمعات ويلطف الله لاذات معتصمات

(فصل) في انتظام الصلح مع أهل الموصل ومرض السلطان المرضة المشهورة بجران قال العماد وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القرآن وحفظه واشتغل بالصيام والتقليل من الطعام فظهر انزعاجه وتعير مرضه وجهه وتعذر علاجه وطال مرضه وندم على رد السفراء وسير الى عماد الدين صاحب سنجار في انفاذرسله ليوعد بكل ما يعود بسؤله فوصل رسوله شمس الدين بن الكافى وكان من قبل قد سبق القول في تسليم بلاد شهر زور ورواها لهما وحصولها وضماها وكذلك ما وراء الزاب من البواريج والريستاق وبلاد القرابلية وبني قنجا فدخل شمس الدين بن الكافى وشمس الدين قاضى العسكر من جانبنا الى الموصل لاختلاف العهد على هذا الملتزم ورحل السلطان قبل عيد الفطري يوم وهو من بحر بخرانه في عوم وخيما على نصبيين في سؤال ولم تترقب عود الرسول بنجاز الاشغال بل كان الارتجال على الارتحال ثم استمر الصلح وصلاح الامر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبة السجوقية وفي ديار بكر أيضا والولايات الارتقية وضرب باسمه الدينار والدرهم وانحل الاشكال وكشف المبهم وكتب العماد عن السلطان كتابا الى أخيه سيف الاسلام بالين بشرح الحال وفيه (ونزل لنا صاحب الموصل عن جميع ما وراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون والضمايع وشهر زور ومعاقها وأعمالها وولايته بنى قنجا وولايته العراقى والبواريج وعانته وقرنا عليه الموصل وأعمالها على انه يكون بحكمنا وينفذ عسكرا الى خدمتنا وتكون الخطبة والسكة باسمنا وان يطلق المظالم ولا يرتكب المأثم وقد حصل لنا من صاحب الموصل ومن جميع من بالجزيرة وديار بكر الطاعة والسكة والخطبة وعت الهبة والرهبة والعزائم الى الجهاد في سبيل الله نوازع وقد زالت العوائق وارتفعت الموانع) قال ونفذ السلطان الى شهر زور مملوكه مجاهد الدين أيارسريك فتلاها وتملك ونال المقاصد وأدرك وكان الزكيان الايوائية مستولية بها فشتت شملها ونذب للمظفر في تلك الاعمال الفاضلى شمس الدين بن الفرائش وأقطع البواريج لبعض خواصه الممالك وسير الى البلاد نوابه ورتب فيها لانه سنن العدل والاحسان أعجابه ووقف ضيعة في البواريج تعرف بنافيل على ورثة شيخ الشيوخ ببغداد وقال القاضى بن شداد لما ايس السلطان من أمر خلاط عاد الى الموصل فنزل بعيدا عنها وهى الدفعة الثالثة بموضع يقال له كفر زمار وكان الحرس شديدا فاقام مدة وفي هذه المنزلة أتاه شجر شاه من الجزيرة واجتمع به وأعادته الى بلده ومرض السلطان بكفر زمار مرضا شديدا خاف من غائلته فرحل طالب حران وهو مريض وكان يتجلى ولم يركب في محفة ووصل حران شديد المرض وبلغ الى غاية الضعف وايس منه وأرجف بموته ووصل اليه أخوه العادل من حلب ومعه الاطبا قال وكان سبب صلحه مع المواصلة ان عز الدين صاحب الموصل سهرى الى الخليفة يستجديه فلم يحصل منه زبدة وسير الى العجم فلم يحصل منهم زيدة فلما وصلت من بغداد وأذيت جواب الرسالة ايس من نجده فلما بلغه هم مرض السلطان رأوا ذلك فرصة وعلوا رقة قلبه وسرعة انقياءه في ذلك الوقت فندبوا في ذلك الامر وبهاء الدين الريب وفوضوا الى أمر النسخة وقالوا امض ما يصل جهدكم وطاقتكم اليه فسرنا حتى أتينا العسكر والناس كلهم آيسون من السلطان وكان وصولنا في أوائل الحجة فاحترمنا احتراما عظيما وجلس لنا وكان أول جلوسه من مرضه وحلف

وحلف في يوم عرفة وأخذنا منه بين النهرين أخذها من سنجر شاه وأعطاها الموصل وخلقته مينا تامة وحلفت أخاه العادل ومات قدس الله روحه وهو على ذلك الصلح لم يتغير عنه وسرنا عنه وهو بحران وقد تمائل ووصله خبر موت ابن أسد الدين صاحب حص وكانت وفاته يوم عرفة ونحن في العسكر وجلس العادل في العز آوى تلك الأيام كانت وقعة التركمان والاكراد وقتل بينهم خلق عظيم وفي هذا الشهر وصل خبر وفاة بهلول بن ايلدرك وكانت وفاته في سلخ ذي الحجة قال العماد وأقام السلطان على نصيبين أياما قلائل ثم رحل الى حران فالقينا بهما عصي النوى والقلوب بمرض السلطان متخاذلة القوى متواصلة الجوى والفضل خائف من كساده أسف على عتاده مشفق من انخفاض قدره وانقراض عصره والسماح يقول هذا أو أن كسوف سمائي ونضوب مائي والدين يندب والمالك يصخب والأيدي الى الله تعالى مرفوعة والنيات بالاخلاص مشفوعة والكفر في أراجيف والقدر في تصاريف والسلطان كلما زاد الله راد في لطف الله أملة وكلما بان ضعفه قوى على الله توكله وأما ملازمه ليملا ونهارا سرا وجهارا وهو على في كل وقت وصاياه ويفرق بقلبي على عفاته عطاياه ومن جملة ذلك أنه اشتد به الحال ليلة ايس بهامنه الاطباء وغلب القنوط وعدم الرجاء فلما أصبح اجتمع المعتفون والوافدون الى بابه والقاصدون المرتجون جنى جنباه وضجوا ضجة أرقت منها الدهما ولانت لسماعها الصخرة الصماء فسأل عن ذلك فقيس هؤلاء وفدك قد اجتمعوا على بابك متأسفين على ما بابك فدعاني وأمرني بكتب أسمائهم وتقريب ما اجتمع في خزانته من المال عليهم وأمسينا وما على الباب سائل وكنا نلظ ان بابنا من الامشغل شاغل فوجد بترك السماحة راحه واستمر مدته استمرار مرضه على بذل جوهر ماله وعرضه وكان خلقه أحسن ما كان في حال الصحة يخاطبنا بسجايه السهلة السمجة ولا يخلو مجلسه من ذوى فضل وأولى نباهة ونبل يتحاذون بحضرة أطراف الفوائد ويهزون لمكارمه أعطاف المحامد فارة في أحكام شرعيه ومسائل فقهيه وأونة في صناعات شعريه وألفاظ عربيه ومعان أدبيه ومرة في أحاديث الاجواد وشيم الانجناد ودفعة في دكر فضائل الجهاد وفرائض التأهب له والاستعداد وينذر انه ان خلصه الله من نبوة هذه النبوة وأعفاده من كدر هذه المروضة ومرارته بالعافية للصافية الخلوه استغل بفتح البيت المقدس ولو بسبب ذلك نفائس الاموال والنفوس وانه لا يصرف بقية عمره الا في قتال أعداء الله والجهاد في سبيله واتحاد أهل الاسلام والاقبال على قبيله وانه لا يترك شئ من الجود والسماحة بالموجود والوفاء بالعقود والمحافظة على العهد وانجاز الموعد قال وربما استروح في بعض ساعات الليل أو النهار الى السماع لشارة الاطباء به لاجل التفرج والامتناع ولقد كان ذلك المرض محييا صام الله للذنوب وتنزيها وتذكرة موقظة من سنة الغفلة وتنبيهها قال ولما سمع العادل في حلب مرض أخيه السلطان ووصله الى حران باد بالوصول وصادف وقت القبول وقام بضبط الامور وسياسة الجمهور والجلوس في كل يوم في التوبة السلطانية اتولى مصالح الرعية واقامة وظيفة السعاط والعمل في كل يوم بالاحتياط والتصدى لكشف المظالم وبث المكارم وتنفيذ ما يخرج من المراسم ورقع كل خرق ورتق كل فتق وحفظ المهابة والقيام عن السلطان في كل مهم بحسن النية ولقد نفعنا حضوره ورفعتا نديره فقد كذا على خوف من ارجاف يقوى وانتشار خبر سوء لا يطوى لاسيما اذا خرج الاطباء وقالوا ما فيه أمل والسكل عراجل فهناك ترى الناس يستشعرون وبابعد ما يعز عليهم من اعلاقهم ودوابهم يستظهرون فرال بحضور العادل كل مخافه وسلم الله برأفته من كل آفة وكان الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع أبيه مقتدا بامعاليه مقتفيا لمراضيه وكان من جملة وصاياه عند اشفاؤه وارجاء ترجى شفاؤه ان ادر كنى الاجل المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد خلفت أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وكلهم اراد بمرادى في اقامة الجهاد ملها فغنى بأبي بكر سيف الدين أخاه وبمير تقى الدين ابن أخيه وبعثمان وعلي ولديه المكيين العزيز والفضل ورأى عليهم ما بكفالة سيف الدين وتقى الدين في الشام ومصر المعول وأقام العادل الى ان وضع المزاج وضع المنهاج وطابت القلوب وغابت الكرب ثم وصل مع أخيه الى حلب وتم معه الى حص ودمشق وهب له نسيم مصر فاستحدث الى نشره النشق وسياق ذكر مضيه الى مصر مع الملك العزيز في سنة اثنتين وثمانين ووصول الملك الافضل من مصر وبعده الملك المظفر تقى الدين قال العماد وكانت صداقته الراتبة داره وبالابرار باره على ان جوده مستوعب للموجود ولا يترك فضلا للوفود ولما مرض وعرض له

## كتاب (٦٦) الروضتين

من الام ما عرض قال لي اكتب الى الولاة والثواب بالديار المصرية والشامية ان يتصدقوا على الفقراء والمساكين من المال المعد للعمل بما نص علي قدره في التعيين فلم يبق في الممالك الام وصل اليه نصيب ودعا بالصالحات ومن الله لدعائه مجيب فدفع بالصدقة البلاء ورفع باصدق الولاء ونظر ايله الى النيات واسنى سنامننه السنيات ومن جملة تلك الصدقات انه امرني ان اكتب الى نائبه بدمشق الصفي بن القبايض ان يتصدق بخمسة آلاف دينار صوريه فقلت ما عنده غير دينار مصرى فقال يتصدق بهامصريه خمسة آلاف لمفوز من الثواب باضعاف قال ولما امتد زمان مرضه امر ببناء دار عند سرادقه وحمام فبنيت في أربعة وخمسة أيام وكان قد استخضر من دمشق ولديه الصغيرين تورانشاه وملكشاه وامهما فأسكنهم فيهما مدة مقامه وسميها دار العافية للبرء فيها من سقامه ثم اخلاها لمن ينزل بها ضيفا وجعلها للاروين اليها وقفا وبعدها اتصلت المواسلة بين السلطان والمواصلة فاهدى السلطان لهم هذا يا عظيمة لصاحب الموصل ولوالدته ولصاحبته ولابنه نور الدين رحمه الله وقومها سيره اليهم بما يربى على عشرة آلاف دينار سوى الخييل والطيب والشئ البديع والغريب وجرى أمر المواسلة على السداد وتجهزوا في النصر الناصرية على ماسياتي شرحة الى الجهاد وأول ركاب الانفاق فبح البيت المقدس وسائر البلاد وتجددت الفتوح وانجدت الملائكة والروح وامتحنت باليسر العسرة وصحت بحظين الكسرة وخص الله السلطان بفضيلة فتح القدس وقضى حاجاته التي كانت في النفس وسيأتى ان شاء الله شرح كل فتح في موضعه وكيف أشرق سناء النصر من مظهره وكتب الفاضل من دمشق الى تقي الدين بمصر (ان العافية الناصرية قد استفاضت أخبارها وفاضت أنوارها وأثارها ووات العلة والمجد لله واطهنت نارها وانجلي غبارها وخمد شرارها وما كانت الا فلتة وفي الله شرها وعظيمة كفى الاسلام أمرها ونوبة امتحن الله بها نفوسنا فرأى أقل ما عندها صبرها وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب ولا يوقف الا جابة وان سدت طريقها الدنوب ولا يخلف وعد فرج وقد ايسر صاحب والمصحوب

نعي زاد فيه الدهر ميمًا \* فأصبح بعد بؤسائه نعيًا

وما صدق النذير به لاني \* رأيت الشمس تطلع والنجوم

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية غصة جديدة والعزيمة ماضية حديده والنشاط الى الجهاد والجنة مبسوط البساط وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط وعرضنا نحن على الاله وال التي من خوفها كاد الجبل يلج في سم الخياط) ون كتاب آخر (الاحوال بالحضرة مستقيمة والنعمة بالعافية عظيمة والبقية الموهوبة من العمر الناصري كريمة القيمة عرف وعرف الناس شكرها ولزم ولزموا قدرها فسيوف الجهاد قد كادت تهتز في اغمارها وخيل الله قد كادت تنادي أهلها اركبي لمعاد طرادها والمسجد الاقصى مبشر تأنيسه بما استوحش منه من القرآن وتظهره مما استولى عليه من رجس الصليبان)

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة ومن توفي بها من الاعيان قال العماد في هذه السنة توفيت الخاتون العصمة بدمشق في ذى القعدة وهي عصمة الدين ابنة معين الدين انرو كانت في عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله فلما توفي وخلفه السلطان بالشام في حفظ البلاد ونصرة الاسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وهي من أعف النساء وأعصهن وأجلهن في الصيانة وأخزهن متمسكة من الدين بالعروة الوثقى ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وادارات بنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا قلت وكلاهما ينسب اليها فالمدرسة داخل دمشق بحملة حجر الذهب قرب الحمام السركسي والرباط خارج باب النصر راكب على نهر باناس في أول الشرف القبلي وأمام مسجد خاتون في اخر الشرف القبلي من الغرب فهو منسوب الى خاتون أخرى قديمة تقدم ذكرها وهي زمرد بنت جاولي أخت الملك دقاق لأمه وزوج زنكي والد نور الدين رحمه الله قال العماد وذلك سوى وقوفها على معتقها وعوارفها وأيادها وكان السلطان حينئذ بجحزان في بحر المرض وبحرانه وعنف الام وعنفوانه فأخبرناه بوفاها خوفا على تزايد علته وتوغلته وهو يستدعي في كل يوم درجا ويكتب اليها كتابا طويلا ويلقى على ضعفه من تعب الكتابة والفكر حملا ثقيلًا حتى سمع نعي ناصر



## في أخبار (٦٧) الدولتين

الدين محمد بن شيركوه ابن ٤٤ فنعيت اليه الخاتون وقد تعدت عنه اليهما المئون وكانت وفاة ناصر الدين مجص في ناسع ذي الحجة فجأة من غير مرض وأجرى السلطان أسد الدين شيركوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عوائده قلت وقبرا الخاتون المذكورة في النربة المنسوبة اليها بسفح جبل فاسيون قبلي المقبرة السركسية وأما ناصر الدين فنقلته زوجته ابنة عمه ست الشام بنت أيوب فدفنته في مقبرتها بدمرستها بالعربية فهو القبر الاوسط بين قبرها وقبر أخيها راجهم الله وكانت ست الشام كثيرة المعروف والبر والصدقات وكتب الفاضل الى تقي الدين (ورد الخبر عشية يوم الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجة من محسن بأنه لما كان عشية يوم الاحد وقت الوقفة انتقل الى رحمة الله ورضوانه المولى الاجل ناصر الدين محمد بن المولى أسد الدين راجهما الله بمرض حاد انجل من لمح البصر ومرد النظر فانا لله وانا اليه راجعون وشاهد المملوك كتابا من ولده أسد الدين شيركوه أحياء الله الى كتاب أبيه راجه الله يقول فيه وكتبته وتدصر في حفرة واستقر في قبره ففسأل الله حسن المرجع والخلاص من هول المطلاع والمعونة على ساعة هذا المصراع ونشكر الله ثم نشكره ونذكر بأحسن ما يذكر به من يذكره اذ وفي النفس الكريمة العالية الشريفة الناصرية وقد تم قبلها من لا يسره التقدّم بين يديه وجعل الله أنفسنا فذاها فان تلك نعمة علينا كما هي نعمة عليه ولا فرق في الله لهذا البيت ثملا ولا قضبله حبلا وأعظم الله أجرا الملك المظفر في ابن ٤٤ وأتمعه بقاء ٤٤ وأعاده من مقابلة مقدور الله بهمه وودعه فليس الا التسليم لما لا يستطيع الخلق له دفعا وتفويض أمر هذه النفس اليه تعالى فانا لا نملك لها ضرا ولا نفعا والخوف المملوك ان يلتبس الخبر في مطالعه ويحترف الكلم عن مواضعه يجمل بالانهاء والاشعار وسبق بما لا يسرد السبق به من هذه الاخبار قال العماد وفيها في جمادى الآخرة توفي أخو الخاتون المذكورة سعد الدين مسعود بن ابرو ونحن قد فتحنا ميافاارقين بها ولقد كان من الاكارم الاكابر ومن ذوى الآثار والمفاخر وما رأيت أحسن منه خلقا وأزكى عرفا ولم يزل في الدولتين النورية والصلاحية أميرا مقدما وعظيما كراما ولفور فضائله ووفور فواضله وجدته شهادته وحدصر امته رغب السلطان وهو زوج أخته ان يكون هو أيضا زوج أخته فزوجها بالتي تزوجها مظفر الدين كوكبرى بعده قلت وهي ربيعة خاتون بنت أيوب عورت الى ان توفيت بدمشق بدار أبيها وهي دار العتيقي في شهر رمضان سنة ثلث وأربعين وسمائة وهي آخر أولاد أيوب لصلبه موتا وكان يحترمه المملوك من أولاد اخوتها وأولادهم وزورونها في دارها قال وفيها توفي الامير عز الدين جاولي وهو من أكابر الامراء وله مواقف حميدة في الهجاء يحس بلاؤه ويصدق غناؤه ولما دعا نابع دفع ميافاارقين الى الموصل طرقه البلاء في طريقه فقبض بحصانه على بعض السواني فعبث به وانكسرت رجله ثم عملت عليه قدمه واشتد آله وطال به سقمه وانتقل الى دمشق وتوفي بها في آخر هذه السنة أو في سنة اثنتين وثمانين ولقد جفع الاسلام منه بدمر مسج لذار الكفر متبع قال وفيها يوم الاربعاء ثامن رمضان قتل بآمد وزير ابن قرا ارسلان وهو قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سماقة قتله مماليك محمودة غيلة وتحالوا له في مباغتته بالعتل حيلة وذلك انه كان جالسا في ديوانه وايوانه متصدرا بمكانته في مكانه وعنده الاكابر والامثال فدخل عليه واحد منهم وقال له الملك يدعوك وحدك فقام فدخل الدهليز وقد أغلق الباب الذي يصل منه الى الامير وأغلق وراءه الباب الآخر وقتلوه ثم أخرجوا الصلاح من حبسه وهو أحد الامراء الاكابر فقتل أولئك القتالين وكانوا به واثقين قال وفيها توفي الفقيه مذهب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي وكان المدرّس بها وكان علامة زمانه في علمه ونسجه وحده في نظمه وقد أوردت من شعره في صدر الكتاب ما يستدل به على فضله وانه من عقم الدهر مثله واشتريت كتبه باغلي الاثمان ولكم أخرج بحره ثلاثا للؤلؤ والمرجان قال وفي هذه السنة رد السلطان قلعتي الرها وحران الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لتوفره في الخدمة على حفظ القوانين وظهر منه كل ما حقق به الاستظهار وأوجب لامر الامراء ورغب في مصاهرة السلطان وقلده طوق الامتنان قال وكان السلطان قد سكنت نفسه للقيام وأراد ان تصك ون حركته بعد استكمال السكون وعنده أولاده الا صاغر والملك العزيز والملك الظاهر بدمشق والانضل بمصر ولما ورد نعي الخاتون وناصر الدين وخلاشبله أسد الدين بعد في العرين وخيف على بلاده لصغر اولاده واحتج أيضا الى الاحتياط على ما في خزائنه واستخراج دفائنه وكذلك الخاتون خلفت املاكا وراثا وأوقافا وأمتعة وأثاثا لم يكن من الحركة بة وقدّم الكتب الى



## كتاب (٦٨) الروضتين

البلاذ بما صمم عليه عزمه وأجرى به حكمه وأمر بالاستعداد لترقب الاستدعاء ووصاهم في سائر المقاصد والانحياز  
وكتب (إلى ولدنا ناصر الدين قد عرفنا المصاب بوالده رحمه الله وعظم أجراً وأجره فيه وإن مضى لسبيله فولدنا أسد الدين  
أحياه الله نعم الخلف الصالح وإن انتقل والده إلى دار البقاء فهو في مكانة المستقر من المجد والعلاء والولايات والبلاذ  
والمعاقل باقية عليه مسئلة إليه مقرر في يديه وما مضى من والده رحمه الله إلا عينه وولدا ناقة العميون وبه استقرار  
السكون والمجد لله الذي جبر به كسر المصاب وألبسنا وإياه أثواب الثواب فليشرح ولدنا صدره ولا يشغل سره ويعرف  
خواصه وأصحابه ولاته ونوابه بمحسب والرحبة وغيرهما بأنهم باقون على عادتهم) وكان المندوب إليه القاضي نجم الدين  
أبو البركات بن الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون ولم يغارق الخدمة السلطانية في هذه السنة قال وفي هذه السنة لما كا  
على ميسافارقين وقد فتحناها وورد للسلطان مثال شريف امامي ناصري بتفويض ولاية ماردین والحصن وهو حصن  
كيفا والعلامة الشريفة الناصرية في ثاني سطره بالقلم الشريف (الناصر لدين الله) قلت وفيها في جمادى الاولى توفي  
الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد المديني الاصبهاني محدث مشهور له تصانيف كثيرة وفي هذه السنة توفي بمصر  
في شعبان الشيخ جمال الدين أبو الفتح أبو النشاء أبو محمد محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن المجودي  
المعروف بابن الصابوني ودفن بسارية من العرافة ومولده ببغداد سنة خمس مائة ووجدت له من كتب لا مشيخة الاسلام أبو عثمان  
اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني فيه عرف بابن الصابوني وكان جدّه صاحب السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ونسبته  
بالمجودي اليه ودخل ابن الصابوني هذا دمشق زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله واجتمع به ونزل إلى  
زيارته وسأله الإقامة بدمشق فذكر له أن قصده زيارة الامام السافعي رضي الله عنه بمصر فحضره وسيره بحبة الامير  
نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سنة سار إلى ولده بمصر وصار بينه وبينه محبة أكيدة ومحبة عظيمة بحيث أنه ما كان  
يصبر عنه ساعة واحدة وأقبل عليه ولده الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله مصر لم يمكنه من العود إلى الشام  
ووقف عليه وقفا بالدار المنصرية وعلى عقبه وغوياق بأيديهم إلى الآن وترأف بخط صلاح الدين رحمه الله ما كتبه في  
حقه إلى الملك العادل لما كان نائبه بمصر (الاخ الاجل الملك العادل أدام الله دولته غير خاف عنه تضيعة الوقف الذي  
أوقفه الوالد نجم الدين نعمده الله برحمته ورضوانه على الشيخ النقيع ابن الصابوني وإنه لما جرى له من المحاسبة مع الشيخ  
النقيع نجم الدين (يعني الخبوشاني) ما جرى أقضت المسألة لتسحب من الفتنة وتقطع الكلام انتقله إلى موضع غيره  
لتنقطع الفتنة والمنصومة بينهم بأمرنا إليه مع بقاء الوقف في تصرفه وتصرف من عنده من العقهاء والاخ الاجل  
الملك العادل يقدم رعايته وحفظ جانبه وبمكينة من التصرف في الوقف المشار إليه ومنع من يعتز به فيه بوجه من  
وجود التأويلات وحسم مادّة الشكوى منه من يتعدى عليه إن شاء الله تعالى) وترأف بخط الشيخ عمر الملا الموصلي رحمه  
الله كتابا كتبه إلى ابن الصابوني هذا بسيرار يطلب منه فيه الدعاء ويصف حاله أوله أخوه عمر بن محمد الملا يقول فيه  
(وبعد الذي يتطلع إليه من معرفة أحوال جملتها خير وسلامة غارق في بحار النعماء ومغمور في هواطيل الآلاء  
غير أن أيدي البلاء بالنعم ترفعني باردة إلى مقام الصديقين وتضعني تارة أخرى إلى مقامات المتخلفين ومع هذا  
فطلب الجادة لا يفتقر والحركة في طلب الفور لا تسكن والعمر ينقص بالعماء والمني وما أشبهه حالى بحال القائل  
أمل في يومى ادراك المنى \* حتى إذا ولى تمنيت غدا  
لا وطرا أقضى من الدنيا ولا \* أفعل للأخرى فعال السعدا  
والعمر مضى بين هاتين فلا \* ضلالة خالصة ولا هدى  
يا أخى ما أخبرنا بأحوال هذه الأرباء أن تحرك همتك لي بالشفقة والرأفة فتدع الله لي بقلب حاضر منور نور الشفقة  
والرحمة ويؤمن على دعائك من حضر من السادة الاخوان وتقول اللهم عبدك الضعيف عمر بن محمد الملا يدعوك  
ويقول

لا تنهني بعدا كرامك لي \* فشد يد عادة منقطعه

وقد توسل بالملك نسألك أن تبلغه آماله وأن تحييه حياة السعدا وأن تميمته موت الشهداء وتحشره في زمرة السعدا  
وأن تجعل خير عمره آخره وخير أعماله خواتمها وخير أيامه يوما يلقاك فيه)

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين قال العماد فرحل السلطان الى الشام وودع مظفر الدين صاحب حران من الفرات ورحل صوب حلب والعاقل صاحبها على المقدمة وقد هيا أسباب التكرمه فوصل حلب في العشر الاوسط من المحرم ثم رتب العاقل في حلب نوابه ومحج السلطان فوصلوا حاه وفيها نائب تقي الدين ناصر الدين منكور بن ناصر الدين بخار تكيين وهو صاحب بوقيس وقد جمع النهضة والامانة ثم وصل السلطان الى حمص وقرر أمر المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه بن ناصر الدين وكان عمره اذئذ ثلاث عشرة سنة سماه أبوه باسم جدّه ولقبه بلقبه وكتب له منشورا بما قرر عليه من البلاد وذلك بمحج وسلميه وندمر ووادى بنى حصين والرحبة وزليبا وكتب منشورا آخر باسقاط المكوس بالرحبة وفيه (وهذا أب السلطان في جميع البلاد اقتصر منها على الرسوم التي يبيعها الشرع وهي الخراج والاجور والزرع) واعتمد على الأمير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شروذ الهكاري في ولاية قلعة حصن ثم نقله الى قلعة حلب واليا بها ست سنين ورتبه العز في آخر عهد السلطان بقوص زال ورتب السلطان مع أسد الدين بمحج أميران الاسدية يعرفان بارسلان بوغاق قدم على أصحابه بتولى مصالح بابيه حتى تعذر الاسد بالامر لسداده وبلغ مدى رشاده ونعت بالملك المجاهد ونمض بمحامل المجاهد قال وأقنا بمحج أياما حتى استعرضنا خزائن ناصر الدين وقسمه ما ميراثه وكانت أخت السلطان الحسامية زوجة ناصر الدين وهي مستحقة للثمن والباقي بين البنات والابن وخلف عينا وورقا بمجتمعا ومفترا فبلغ التراب في الملك والعين والانات ما عظم عن ان يقدر بمقدار واناف عن ألف ألف دينار فأغاراه السلطان طرفه بل تركه على أهل الترك قال ولما شاع بدمشق خبر دنوا احتفل أهلها واجتمع بالمسار شملها وطلعت أعيانها ونبت عيونها ووافت ابكارها وعونها وظهر مكنونها ومخزونها وتراحت الشباخر انما مكرما تسهوها وخزونها ودخلنا المدينة وزينة الدنيا خارجة وسكينة النعيمي فارجه ودمشق كاهدى مزفوفه وبالهدي محفوفه وبالحسن موصوفه وكان الناس قد ساء لهم خبر المرض فسرهم عيان السلامة وأسهرهم الهم لاشفاق فراجعوا لشفاء كرى الكرامه وما ألد الرجاء بعد الابلال والثرى غب الافلاس والامل عقيب الياس وانهم ظفروا في حالة الايحاش بالاياس وأنمو بمشاهدة الانوار السلطانية حنادس الوسواس واجتمع السلطان في القلعة بأهله وأقنع المرجف عن جهله وحسنت الاحوال وأمنت الاهوال وشاهدنا الفضل والكرم بالمساهدة الفاضلية الكريمة وعدنا الى عادة السعادة القديمة واجتمع السلطان به فبته أسراره واستزال بصفورا يها كداره ودخل جفنه وجنى غماره وزاره مرة واستزاره وراجعته في مصالح دولته واستنارته وجلس السلطان في دار العدل لكشف المصالح وبث المكارم واحياء المعالم واقامة مواسم المراسم وقال الفدادى ابن سداد ولما وجد السلطان نساطا من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها يوم الاحد رابع عشر المحرم وكان يوما من هود الشدة فرح الناس بعافيته ولقائه فأقام بها أربعة أيام ثم رحل في ثامن عشره نحو دمشق فلقية أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه أخته وقد صحبه خدمة عظيمة وقرب زائدة ومن عليه بمحج وأقام أياما يعتبر تركذابه ثم سار يطلب جهة دمشق وكان دخوله اليها في ثاني ربيع الاول وكان يوم ام رمثله فرحوا وسرورا

(فصل) في ذكر ما استأنفه السلطان بمصر والشام من نقل الولايات بين أولاده قال العماد وكان السلطان ملالمة أخيه العاقل له قدمال الى رأيه وكان الملك الافضل نور الدين على بمصر وهو ولده الاكبر وقد بدا يظهر وعلى تجويد الخط والادب وسماع الاحاديث النبوية بتوفر وقد مالت اليه بمصر جماعه وله منهم طاعه ورجاء فقامت تقي الدين النائب هناك من أحد أمر افوقعت منه فيه شاعه فكذب يشك كومي اختلال أمره واستغال سره وكان في نفس السلطان ان ينقل ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ليهكون عز يزها ولا يحزما لكتها ويحوزها وشومفكر في طم يقي نديره ووجه تقرر به حتى بداله نقل الافضل الى الشام فكاتب اليه يتشوقه ويستدعيه بجميع أهله وجماعته ووالدته وحشمه وأصحابه فخرج ووهل دمشق يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى وخرج السلطان لاستقباله وأزله بالقلعة في دار رضوانه وكتب الى تقي الدين انه قد استقل أمره وزال عذره فاتبه مع بتفرده وخفي عنه انه كان في نمة ولدا السلطان وعصمته وان تمام حرمة بجرمته قال ولما وصلنا الى دمشق كان بها من أولاد السلطان الملك الظاهر غازي غياث الدين فزار عه العاقل وهو صهره وقد اشتد بمصاهرتة ظهره فقال له قد نزلت عن حلب

## كتاب (٧٠) الروضتين

لك وأنا أقنع من أخی باقطاع أين كان وألزم الخدمة ولا أفارق السلطان فاطلبها من أيك ان كانت ترضيك وجاء الى السلطان وقال هذه حلب مع رغبتى فيها ومحبتى لتوليها أرى ان أحداً ولادك بها أحق وهذا ولدنا الملك الظاهر أحب ان اوثرها فقال السلطان المهم الآن تدبير ولدى الملك العزيز فان مصر لا بد ان يكون لى بها ولداً يعتمد عليه وأسند ملكها اليه ورحل الى الزرقا ومعه ولده العزيز والظاهر وأخوه العادل فالتبس العادل عوض حلب بلادا عينها ونواحى مصر بينها وكان قد مال الملك العزيز اليه لاسفاه عليه فسأل أباه ان يسير معه العادل فانه نعم الكافى الكافل فأعطاه السلطان بمصر البلاد المعروفة بالسرقية واعتمد عليه فى نيابته فى سائر الملك المصرية ولماسمع تقي الدين هذا الخبر نبأ ونفر وذم الغير واستبدل من الصفو والكدر وغار من تغير الرأى فيه واذا تولى أبو بكر فلا عر فغير الى الجيزة مظهر انه مضى الى بلاد المغرب ليمتلكها وكتب بسأل السلطان ان لا يمنع من سلوك مسلكتها وسمت همتها الى مملكة جديدة وأقاليم ذات ظلال مدبده وبلاد واسعة ومدن شاسعه وقد كان أحدهما ليكه المعروف بقراقوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد بركة فلاكها وهزته الامنية للنفائس من بلاد نفوسة فادركها وتجاوز الى افر بقة وهو يكتب أبدا الى مالكة الملك المظهر يرشبهه فى تلك المملكة ويقول ان البلاد سائبة فلما تجددت لى الدين ما تجدد وقمده لعمه العادل ما تمهد عادله ذكر المغرب فغير بعسكره ومالت اليه عساكر مصر لبذله وقدم مملوكه يوزنا فى المقدمة فلما انتهى الى السلطان خبر عزمه قال لعمري ان فسخ المغرب مهم لكن فتح البيت المقدس أهمم والفتاىة أتم والمصلحة منه أخص وأعم واذا توجهت تقي الدين واستعجب معه رجالنا المعروفه ذهب العمرى فى اقتناء الرجال اذا فتحنا القدس والساحل طويلا الى تلك الملك المراحل وعلم نحتاج تقي الدين فى ركوب تلك البية فكتب اليه يأمره بالقدم عليه وجهز ولده العزيز الى مصر وترأه قوس وأعمالها وسار ومعه عمه العادل فدخل القاهرة فى خامس شهر رمضان وأما الملك الظاهر فسيرد السلطان الى حلب وأنعم عليه بها وبسائر قلاعها وأقاليمها وندب معه الحاجب شجاع الدين عيسى بن بلاس ووعاد السلطان ومعه الافضل وقدم تقي الدين فى آخر شعبان وتلقاه السلطان وخيم على المصرى فوق قصر أم حكيم فلما قرب ركب الى موكبه ورحب به ودخل دمشق وعاد الى ما كان له من البلاد ومنع والمعرد وسائر أعمالها ثم أضاف اليه مياقارقين وجميع فى ذلك الاقليم من المعامل وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخير عزم المغرب بل ابطاله فامتلوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى مملوكه ربن الدين يوزنا فانه رتب له عسكر الى المغرب حصى واستعجبه وغلب على بلاد افر بقة ثم قصده صاحب المغرب فاخذه بأسورا ثم أغزاه مع الغزو فى نغرم المغور فالقاده مشهورا مشكورا فقدمه عليهم قلت وكتب الفاضل الى تقي الدين (سبب هذه الخدمة ما اتصل بالمملوك من تردد رسائل مولانا فى التماس السفر الى الغرب والدستور اليه (يكفى الزمان فالناستعجل) فامولانا ما هذا الواقع الذى وقع وسأهدا الغريم من الهم الذى ما اندفع بالامس ما كان لكم من الدنيا الا البلغة واليوم قد وهب الله هذه النعمة وقد كان الشمل مجموعا والهم مقطوعا عن مجموعا فتصيح الآن الدنيا بركة علينا وقد وسعت والاسباب بنامة مقطوعة ولا والله ما انقطعت فامولانا الى اين وما العناية وهل نحن فى ضائقة من عيش أوفى قلعة من عدد اوفى عدم من بلاد أوفى شكوى من عدم كيف نختار على الله وقد اختار لنا وكيف ندبر لانفسنا وهو قد دبر لنا وكيف ننتقم الجذب ونحن فى دار الخصب وكيف نعبد الى حرب الاسلام المنمى عنها ونحن فى المدعو اليها من حرب أهل الحرب معاشر الخدام والجنش وأرباب العقول والاراء أليس فيكم رجل رشيد

تعب الرأى وانظر فى أواخره ❀ فطالما تممت قدما وأوائله

لارال مولانا مضى الاراء صائيه ويلحظها بادية وعاقبه ولا خلت منه ديار ان خلت فهبات ان تعمر ولا عدته أيام ان لم تطلع فيها تسم وجهه دخلت فى عداد الالامى فلم تذكر وقال القاضي ابن شذادوفى سابع عشر جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وصل الملك الافضل الى دمشق ولم يكن رأى الشام قبل ذلك وكان السلطان رأى رواح الملك العادل الى مصر فانه كان أنس باحوالها من الملك المظفر فخاله يفاوضه فى ذلك وهو على حزان مريض وحصل ذلك فى نفس العادل فانه كان يحب الديار المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بعافية سير يطلب العادل

## في اخبار (٧١) الدولتين

الى دمشق فتحه من حلب جريدة وأقام بدمشق في خدمة السلطان بجري بينهما أحاديث ومراجعات في قواعد تقرر الى جمادى الآخرة فاستقر عود السلطان الى مصر ويسلم بلاد حلب الى الظاهر وسلم السلطان اليه ولده الملك العزيز وجعله أنابكاه قال ولقد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعده اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للعزيز اعلم يا مولاي ان السلطان قد أمرني ان أسير في خدمتك الى مصر وأنا أعلم ان المفسدين كثير وغدا فما نخلوهم يقول ما لا يجوز عني ويخوفك مني فان كان لك عزم تسمع فقل لي حتى لا أجي فقال لا أسمع وكيف يكون ذلك ثم التفت وقلب للملك الظاهر انا اعرف ان أهلك ربما سمع في أقوال المفسدين وأنا فالي الأنت وقد صنعت منك بمنهج متى ضاق صدرى من جانبك فقال مبارك وذكرك خير ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى حلب وأعاده اليه وكان رحمه الله يعلم ان حلب هي أصل الملك وجرنومه وفاعدته ولهذا أدب في طلبها ذلك الدأب ولما حصلت له أعرض عما عداها من بلاد الشرق وتنعم منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد فسلمها اليه علما منه بحذاقته وحزمه وحفظه فسار حتى أتى العين المباركة وسير في خدمته سحنة حسام الدين بشاره وواليها سراج الدين عيسى بن بلاش ووزل يوم الجمعة بالعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة السبت تاسع جمادى الآخرة وصعد القلعة ضاحي نهاره وفرح الناس به فرحاً شديداً وودع الناس جناح عدله وأفاض عليهم وابل فضله وأما الملك العزيز والعادل فان السلطان قرر حالهما وكتب الى الملك المظفر يخبره بمسيرهما الى مصر ويأمره بالوصول الى الشام فسق ذلك عليه حتى ظهر للناس وعزم على المسير الى ديار الغرب الى بركة فقبج ذلك عليه جماعة من أكابر الدولة وعرفوه ان عمه السلطان يخرج من يده في الحال والله يعلم ما يكون منه بعد ذلك فرأى الحق بعين البصيرة وأجاب بالسمع والطاعة وسلم البلاد ورحل واصلا الى خدمة السلطان فسار السلطان الى لقائه فلقاه بهج الصفر وفرح بوصوله فرحاً شديداً وذلك في الثالث والعشرين من شعبان وأعطاء حياه وسار اليها وكان عقد بين الظاهر وبعض بنات العادل عقد نكاح فتم ذلك ودخل بها يوم الاربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان ودخل الملك الافضل على زوجته بنت ناصر الدين محمد بن شيركوه في سؤال من هذه السنه ومن كان فاضلي الى السلطان (الملك العادل والملك المظفر المذكوران ماهما أخ وابن أخ بل هما ولدان لا يعرفان الا المولى والداؤم معاً وكل واحد منهما له عش كثير الغراخ وبيت كركعة السطرنج فيه صغار وبكار كالبيادق والرخاخ فلا يقنع كل واحد منهما الا طرف بلد كه وأقليم يتفرد به فيدبر مولانا في ذلك بما يقتضيه صدره الواسع وجوده الذي ما نطر مثله الساطر ولا يسمع السامع ولا ينس قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه مروا القراية ان يتزاورا ولا يتجاورا وما على مولانا بحجة لته في تدبيره ولا في أمر بيته (وستبدى لك الايام ما كنت عارفاً) وفي غمد ما ليس في اليوم والله أقدر ولما امدوقد رزق الله مولانا ذرية توفد لو قدمت أنفسها بين يديه ولوا تخملت اجفائها بغير قدميه ما فيها من بشكى منه الا التزيد في الطلب وهو من باب الثقة بكم المنعم ولهم أولاد والمولى مدال لهم كما قال مولى الامه (تأخروا تناسلوا في مكثر بكم الامم) طالما قال لهم المولى لداو على تجهيز الالباب وغنى الذكور وسواء على أفق هذا البيت طلوع الشمس والبدور) قال العماد ومدحت تقي الدين بقصيدة سينية سبيه قطوفها دانية جنبه تشمل على مائة واربعين بيتاً أنشدته اياها في ثالث شهر رمضان من هذه السنه بدمشق وأوردت بعضها ومطلعها

عفا الله عنكم عن ذوى الشوق نفسواي \* فقد بلغت مناقب وانفس  
ألم تعلموا الى من الشوق مؤسر \* ألم تعلموا الى من الصبر مجلس  
ظننتم بعيني انها تألف الكرى \* فهـ لا بعين طيفكم بتجسس  
وليس قلبي في السرور تصرف \* فقلبي على الاخران وقف محبس  
لفتك محبيه تيقظ طرفة \* وتنسبه من سقم عينه ينعس  
له ناظر عند الخلاف مناظر \* يقول دليل الدل عندى اقبس  
اذا درست ألاحظه السحر أصبحت \* رسوم اصطباري درسا حين درس

## كتاب (٧٢) الروضتين

ولم أنس أنسى بالحمى رعى الحمى \* عشيّة لى مجنى ومجلى ومجلس  
 لى الله أبناء الزمان فكلهم \* صميقة أودى بها الماتمس  
 ولولا ابتسامات المظفر بالندى \* لما راق نفسي صحبه المتنفس  
 جلت شمس لفياء الحنادس بعدما \* عرتنا وهل يبقى مع الشمس حنّس  
 وصار به هذا الزمان جيعه \* نهرا راقا للناس ليل معس  
 اذا صال فالمغلول الف مدرع \* وان جاد فالمبذول ألف مكس  
 وليس يغفون على فضل رأيه \* ويغبن في الاموال منه ويخس  
 اذا أطلق الملك المظفر في الوعى \* اعنته فالشمس بالنقع تحبس  
 فذاك ملوك لا يلبون داعيا \* وكلهم عن دعوة الحق يخس  
 تشكى اليك الغرب جور ملوكه \* فاسكته والجور بالعدل يعكس  
 سيهدى الى المهديّة النصر والهدى \* بهديكم فيها وتونس تونس  
 رددت كراديس الفرنج وكلهم \* لدى الاسرى غل الصغار كرس  
 ويبيض وجه الدين يوم لقيتهم \* وأيضكم من اسود القصر اسوس  
 أفاددم الانجاس طهر سيوفكم \* وما يستفاد الظهور لولا التجسس  
 شمس ظبي تغدولها الهام سجدا \* فقله نصرانه تقيس  
 وكل كفى الاسلام سوءا لملككم \* كفيتم على رغم المعادين كل سوء  
 ولا يفتح البيت المقدس غيركم \* ويبتكم من كل عاب مقدس  
 لهم كل يوم في جهاد مثلث \* اذا نصر والوحيد في خمس  
 اذا مات في الدين صال تساقطت \* لا قدامه من عصبة الشرك اروس  
 وماء الاشياء به سميحه \* سديد على الاعداء ثبت عرس

**(فصل ١٠)** في باقي حوادث هذه السنة قال العماد كان المنجمون في جميع البلاد يهتفون بخراب العالم في هذه السنة في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في سائر البلدان وحوقا بذلك من لا يوفق له باليقين ولا احكام له في الدين من ملوك الاعاجم والروم وأشعروهم من تأثيرات النجوم قشر عوا في حفر مغارات في التخوم وتعميق بيوت في الاسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها ونقلوا اليها الماء والازواد وانقلوا اليها وانتظروا الميعاد وكلما سمعنا بأخبارهم استعربنا في الضحك من عقولهم وسلطاننا متغر من اباطيل المنجمين موقن ان قوههم مبني على الكذب والتخمين فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون لمثل ريح عاد وقد شارقنا الميعاد ونحن جلوس عند السلطان في فضاء واسع وادلّ السموع المزهرات جامع وما يتحرك لنا نسيم ولا لمرح الهواء في رعى منابت الانوار مسيم فآراينا ليلة ملها في ركودها وركونها وهودها وهودها قال ابن القادسي وحدهم أصحاب النجوم ان في الشام والعمرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تقصر الكواكب السيارة الخمسة والشمس والقمر في برج الميزان ويؤثر ذلك هواء عظيم وغيا سموميا وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين تهلك البلاد وتعمل الرمل ونهبوا ذلك الى الخارمي (١) وفالوا يكون أشد ذلك من ليلة الثلاثاء الى نصف ليلة الاربعاء فاستعد لذلك أقوام في البلاد وجعوا الركع وحفروا السراويل فأهل رجب وما جرى مما قالوا شيء نفري أهل التنجيم لذلك ولم يهب في ذلك اليوم هواء البتة وكان الزمان حارا واشتد الحر في ذلك اليوم وبعده ولم يظهر مما قالوا شيء وعمل الشعراء في ذلك شعرا يرون عليهم في حكمهم منهم نجم الدين أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلى الهرنسي ونفر الدين عيسى بن مودود دزدان قلعة تكريت وأبو الفتح سبط ابن التعاويذي قال أبو الغنائم بن المعلى

(١) وعلى هامش الاصل المنقول منه لعله الخوارزمي

## في اخبار (٧٣) الدولتين

قل لابي الفضل قول معترف \* مضى جادى وجاء نار جب  
وما جرت زعرعا كما حكموا \* ولا بدا كوكب له ذنب  
كلا ولا أنظمت ذكاء ولا \* أبدت أذى في قرانها الشهب  
يقضى عليها من ليس يعلم ما \* يقضى عليه هذا هو العجب  
فارم بتقوىك الفرات والاصططراب خير من سفرة الخشب  
قد بان كذب المنجمين وفي \* أى مقال فالواغما كذبوا  
مدبر الامر واحد ومنى \* للسبع في كل حادث سبب  
لا المشترى سالم ولا زحل \* باق ولا زهرة ولا قطب  
تبارك الله حصص الحق وانجا \* ب التماذى وزالت الرب  
فليبطل المدعون ما وضعوا \* في كتبهم ولتخرق الكتب

وقال عيسى بن مودود

منزق التقويم والزيج فقد بان الخفاء \* اما التقويم والزيج هواء وهباء  
قلت للسبعة ابرا \* مومنع وعطاء \* ومتى ينزل في الميزان يستولى الهواء  
وتشير الرمل حتى \* يتلى منه الفضاء \* ويعم الارض خسف \* وخراب وبلاء  
وبصير القاع كلقف وكالطود العراء \* وحكمتم فأبى الحما \* كم الا ما يشاء  
ما أتى الشرع ولا \* جاءت بهذا الانبياء \* فبقية ضحكة تضحك منها العلماء  
حسبكم خزيوا عارا \* مات قول الشعراء \* ثم ما أطمعكم في السعكم الا الامراء  
ليت اذ لم يحسنوا في الدين ظننا ما اساءوا \* فعلى اصطراب بطليموس والزيج العفاء  
وعليه الحزنى ما \* جادت على الارض السماء

ولم يذكر شعر سبط ابن التعاوىذى قال وفي السابع والعشرين من شوال توفي محمد أبو عبد الله بن برى بن عبد الجبار  
النحوى وكان آية في النخوة عالم صالحا وكان ميلدا في أمر دنياه حدث عن ابن الخطاب ومرشد بن صادق وغيرهما  
قال الحماد وفي هذه السنة جاء نبي أنا بل محمد بن أنا بل ايلد كز المعروف بالهلوان وهو الذى كان نزل على خلاطى العالم  
الماضى وكانت حياته متصلة بالجد والجسدى واضطربت من بعده تلك الممالك واختربت اصفهان والى اليوم من  
سنة أربع وتسعين ما وضعت الحرب أوزارها وبلى بعده أخوه قزل ارسلان فازال مهابة الملك السلجوقى وسلك  
نمى السعيد الشقى الى ان ذهب فاتضع الملك وانقطع السلك واتسع الهلاك وطمعت خراسان فى العراق وعدمت  
الافاق من الاتفاق وأظلمت مطالع الاشراق قال واشتغل السلطان فى بقية سنة اثنتين وثمانين بدمشق بالصيد  
والنص والانتهاز فيه لبوادى الفرس وكان يركب الى نل رهاط للصيد بالبراة والشواهين مع مماليكه الخواص الميامين  
وله شاهين يجرى كانه بحر اذا خلق فشرار وان أحرق فجمر فكم صا دليوسف يعقوبا وعقر بانجواز وعد صيده عرقوبا  
فطلبته من السلطان فقال أنت للقاء والدواوين فمالك والسير والشواهين فقلت يكون فى ملكى وكل ما ينقصه  
بأمرى به المولى وهذا أرجى لى وانفع وأولى فقال نعم فلما أصبح سيرا لى سبع عشرة قطعة من طير وحجل وقال  
هذا صيد شاهينك فى طلق واحد على بحل فليكت ذلك الشاهين خمس ست سنين والسلطان بصطاديه  
ولى قصصه وله مطالع ولى مخلصه فإزال لى على هذا الحق محافظا ولهذا النكتة ملاحظا الى ان أودى الجارح  
وانقطعت تلك المناجم فإلله درهم من سلطان لم ينس ذكر هذه القضية التى أعاد من حجاجا واعتده لى حقا معدا  
فدون حقه على مثله ان يوسف ومن حقنا بعده ان تسلى (بأسفى على يوسف) قال ولما دخل شهر رمضان نوع  
أقسام الانعام واتفق ان بعض التجار كانت بضاعته بياقير ريعه وماله منافق وهى أكثر من مائة قطعة فعملها الى  
الخزانة السلطانية فى بضاعات وقال خذوها واكتبوا بآثمانها فى مصر على بعض الجهات فاشتريت منه  
بما كان يرجوه من الربح وكان من كرم شيم السلطان اذا عرف فى خزائنه موجودا انه لا يستطيع تلك الليلة حتى

## كتاب (٧٤) الروضتين

يفرقه جودا فقال لي قد اجتمعت لنا بياقير وعائش وقد تفاضتني نفسي بخلعهما على أهل الفضل والمكارم فنبذ بأهل الدين والتقوى ونجعل لهم أوفر حظ من الجدوى وكان في الوافدين ومن أهل البلد وعاظ وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكرة نوبة لمن يتكلم على المنبر ويذكرنا بالحلال والحرام والبعث والحشر ثم يخلع عليهم وعلى القراء فاشتغل مدة اسبوعين بالمواعظ ووضع المنبر في ايوان القلعة فقلت بقي احضار النقلة في المدة الباقية من الشهر فقال انهم يمضون بهم الخلاف الى التشاجر والتضاعن فقلت أنا أضمنهم ولا يحضر الا أقرهم وأرزنهم فاستدل أول يوم برهان الدين مسعود مدرس الحنفية في المدرسة المعمورة النورية واعترض عليه الإمام الكاتب وفي اليوم الثاني استدل أكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكروا واعترض عليه قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي فكان السلطان يجاس في كل يوم لطائفة فلما دنا العبد أمر بابتعاغ العامة وغيرها وصرها اليهم قال القاضي بن شداد وفي شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وقعت وتعاتت كثيرة بين التركان والاكراد بأرض نصيبين وغيرها وقتل من الفتيين خلق عظيم وبلغ السلطان ان معين الدين بن معين الدين قد عصى بالراوندان فكتب الى عسكر حلب ان حاصره وكان نزولهم عليه في العشر الأول من سنة اثنتين وثمانين وأعطى يرح الرصاص لتدميرك في بقية ذلك الشهر وفي ثاني جمادى الأولى وصل معين الدين من الراوندان وقد سلمها الى علم الدين سليمان ثم مضى الى خدمة السلطان قال ابن الفادسي وقد قدم الحاج في عاشر صفر فأخبروا ان سيف الاسلام أخا صلاح الدين ملك مكة وضرب الدنانير فيها باسم أخيه ومنع من قولهم حتى على خير العمل وشرط على العبيدان لا يؤذوا الحاج وأخبر الحاج ان قفل باب الكعبة تعسر حتى فتح وما فزع مات في المدوسة أربعة وثلاثون شخصا من بين رجل وامرأة قال ووصل الخبر ان رجا هبت بالبصرة فكسرت نخيلا كثيرا ومات بها ثم كسيرة ووصل الخبر الى بغداد بقتل البهلوان وان القتال وقع هناك واحترق المحال ونهبت الاموال واقتتل أهل المذاهب واحترقت مدارس وبقي الامر على ذلك من سابع محرم الى ربيع الآخر فاحصوا من القلي أربعة آلاف رجل وسبع عشرة امرأة بعد ان احترق اطفال في المهود بالليل وقام قتل أخوال البهلوان فكيف الناس وكان قتل قدر تب شحنة في اصفهان بعد الفتنة التي وقعت بها ومعه ألف فارس فما زال يهذب البلد والرساتيق بالقتل والصلب وصادروهم وأشير على قتل بان يلزم أهل البلد سبعين ألف دينار فقال له ان الشحنة أهل البلد فقراء فقال بعض المصالحمة لقل ما نأخذ الا من الاغنياء فوثب عيار فقتل المصلحي وكان العيار متعلقا على قاضي البلد فوكل الشحنة بدار القاضي فجاء ابن الخجندی الى دار القاضي فحسن له اخراج الموكلين به وتحالفوا على اخراج الشحنة من البلد وان يقطعوا خطبة السلطان الذي نصب قتل ففعل ذلك في سابع شوال ثم كثر القتل في البلد فبكل من في قلبه على أحد شروث عليه فقتله من رجل أو امرأة وكان القتل الكثير في أصحاب ابن الخجندی وكان الحرق والنهب واحراق الدور في أصحاب القاسي وجرى القتال يوم عرفة ويوم العيد ودام وبطل الناس من المعاش وخرب الاسواق وتوقع الغلا ومات الناس من الجوع وبقي أهل اصفهان على قدم الخوف وأخذت ثياب الناس فلا يتجاسر أحد ان يلبس ثوبا جديدا والعيارون يأخذون أموال الناس مقاومة وهرب الناس من اصفهان

**(فصل)** قال العماد مما قدره الله تعالى من أسباب ندمه في الاسلام ووهن الكفر ان قص طربلس ورغب في مصافاة السلطان والاتجاء اليه والمساعدة له على أهل ملته بسبب انه كان تزوج بالقمصية صاحبة طهيرة وكان أخوها الملك المجذوم لما هلك أوصى بالملك لابن أخته وهذا هو صغير قنوج القمص أمه ورباه فأت الصغير وانتقل الملك الى أمه ثم انها مدت عينها الى بعض المتقدمين من العرب فتزوجته وفوضت الملك اليه فسرع يطلب حساب البلاد من القمص فوقع الاختلاف بينهم لذلك فالتجأ القمص الى ظل السلطان فصار له من جملة الاتباع فقبله السلطان وقواه وشد عضده باطلاق من كان في الاسر من أصحابه فقبولت مناصحته للمسلمين حتى كادوا لا خوف أهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان وملكه يقدم ومال اليه من الفرنج جماعة وظهرت له منهم للطامعية طاعة ودخلت الى بلادهم من جانب السرايا وخرجت بالغنائم والسببايا وأعطى الدنية في دينه بما استدانها من العطايا فصار الفرنج يدفعون شره ويحذرون مكره فتارة يدارونه وأونة يمارونه وللقمص قوم صدق يساعده في كل حق

## في اخبار (٧٥) الدولتين

وباطل فبلى منهم أهل الساحل بشغل شاغل وهذا الملك المجذوم هو ابن الملك أماري بن فلك وهو مري الذي تقدم ذكره وتوفي أماري في آخر سنة تسع وستين سنة مات نور الدين رحمه الله تعالى وخلفه المعون هذا الولد المجذوم فبقي بينهم زهاء عشرين ملكا مضاعا فلما حضر الموت أوصى لابن أخيه بالملك قال وكان ابن رنس الكرك ارناط أغدر الفرنجية وأحبها وأخذها عن الردي والرداءة وأبجها وأقنعها للمراثيق المحسكة والايامن المبرمة وأنكها وأحنها ومعه شزيمة لها شر ذمه وهي من شر أمه على طريق الحجاز ومن نهج الحج على الحجاز وكنا في كل سنة نغزوه وبالوائقي نعروه ويصيبه منا المكروه فاطهره على الهدنة وخرج لاسلم وأخذ الامان لبلده وأهله وقومه وروجه وبقي الامن له شاملا والقفل من مصر في طريق بلده متواصلا وهو يمكن الجاني والذاهب حتى لا تحت له فرصة في العدر فقطع الطريق وأخاف السبيل ووقع في فاقة ثقيلة معها نعم جليله فأخذها بأسرها وكان معها جماعة من الاجناد فأوقعهم في الشرك وجمعهم الى الكرك وأخذ خيلهم والعذه وسامهم السد والشدة فأرسلنا اليه وذهبنا فغاله وقبحنا احتياله واغيبه فأنى الا الاصرار والاضرار فنذر السلطان دمه ووفى في اراقة دمه بما التزمه وذلك في السنة الآتية كماله ما أتى ان شاء الله تعالى وأقام السلطان بدمشق بقية هذه السنة وهو في الاستعداد للجهاد وقد أرسل في طلب العساكر من البلاد المشرقية والمصرية فانتظمت أموره على أحسن قضيه ومن كاب فاضلي الى بعض اخوانه (كتب هذه المكتبة من جسر الحشب ظاهر دمشق وقد ورد السلطان أعز الله أنصاره للغزاة الى بلاد الكرك في عسكر فيه عساكر وفي جمع البادي فيه كأنه حاضر وفي حشد يتجاوزان بحصه الناظر الى ان لا يحصيه الخاطر وقد نهضت به همة لا يرجي غير الله لانها ضما وبجحت به عزمة الله المسؤل في حسم عراض اعتراضها وباع الله نفسا يستمتع أهل الاسلام بصفقتها ويذهب الله الشرك بهيبتها وأرجوان يتحصن عن زبده وتستريح الايدي بعد هاعن المحض وان يكون الله قد بعث سقبة نصره الاسلام وسلطانة قد نهض للقبض)

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين) وهي سنة كسره حدين ونخ الساحل والارض المقدسة للمسلمين قال العماد في كتاب البرق وهي السنة الحسنة المحسنة والزمان الذي تقضت على انتظار احسانه الازمنة وطهر فيه المكان المقدس الذي سلمت لسلامته الامكنه وخلصت بمحنة الله من المحنة الارض المقدسة المحمّنة وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة بالسفك ونصرت الدولة الناصرة وخذلت الملالا صرانه وانتقم التوحيد من التثليل وشاع في الدنيا بحسان الايام الصلاحية حدى الاحاديث ثم ذكر في كتاب البرق بالجملة ان قال فبرز السلطان من دمشق يوم السبت أول المحرم في العسكر العرمم ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم فلما وصل الى رأس الماء أمر ولده الملك الافضل بالاقامة هناك يستدنى اليه الامراء الواصلين والاملاك ويجمع الاعارب والاعاجم والائراك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلامه وأقام على ارتباب اقرب الحاج وكان فيهم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين والدة أحت السلطان مع جماعة من الخراس وقد تقدم ذكر غدر ابن رنس الكرك وهو على طريق العسكر المصري والحاج ووصل الحاج في آخره فروخلاسر السلطان من شغلهم ثم سار ونزل على الكرك وأخاف أهله وأخذ ما كان حوله ورعى زرعهم وقطع أشجارهم وكروهم ثم سار الى الشوبك وفعل به مسئل ذلك وصل عسكر مصر فمققاء بالقرتين وقرقه على أعمال القلعتين وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين والملك الافضل ولده مقيم رأس الماء في جمع عظيم من العظماء وعنده الحمافل الحافلة والحواصل الحاصلة والعساكر الكاسرة والقساور القاسرة وهو ينتظر أمرا من أبيه ويكتب اليه ويقتضيه وانقضى من السنة شهران وطالبهم انتظار السلطان فانهم سرية تسريه وأمرها بالغارة على اعمال طبرية ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدر بن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايماز النخعي فساروا مدججين وسروا مدججين وصبحوا صفورية وساء صباح المنذر نخرج اليهم الفرغ في حشد هم فأتاهم الله النصر الهني والظفر السنن وشقوا منهم حنين الحمايا وأدركوا فيهم منى المنايا وفازوا وظفروا وقتلوا وأسرهم وهلك مقدم



## كتاب (٧٦) الروضتين

الاستتار وحصل جماعة من فرسانهم في قبضة الاسار وأفلت مقدم الداوية وله حصاص ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك خلاص وعادوا سالمين سالكين غابطين فكانت هذه كورة البركات ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات وجاءتنا البشرية ونحن في نواحي الكرك والشوبك فسار السلطان ووصل السير بالسرى وخيم بعشرا والقدر يقول له تعيس وزرى وقد غصت بخيل الله الوها والذرى وأمة العسكر فرائخ عرضا وولا وملا بالملأ خرونا وسولا وما رأيت عسكر أبرك منه ولا أكبر ولا أكرث للكفر ولا أكثر وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض وما شاهده الامن تلا (ولله جنود السموات والارض) وعرض العسكر في اثني عشر ألف مديح في ليل الجحاح مديح ولما تم العرض حسم الفرض وسالت بأفلاك السماء والارض وتعين الجهاد وتبين الاجتهاد ثم رتب السلطان للعسكر اطلابا وخزبه احزابا وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر ازماعا على دخول الساحل فاناخ ليلة السبت على خسفين ثم سار في الاردن الى ثغر القحوة وأقام هناك خمسة أيام وقد عين مواقف الامراء وعشعرهم وأحاط بحيرة طبرية ببحره المحيط وضاق بسائط خيامه ذلك البسيط ولما سمع الفرنج اجتماع كلمة الاسلام عليهم وسير ذلك الجيش اليهم علموا انه قد جاءهم بالعهدهم بماله وان الايمان كلمة قد رزى الشرك كله فاجتمعوا واصطلمحوا وحشدوا واجمعوا وانتخا ودخل القمص معهم بعد ان دخل عليه الملك ورمى بنفسه عليه وصفوا راياتهم بصفوريه ولوا الاولويه وحشدوا الفارس والراجل والراحم والنبال ورفعوا صليب الصليبوت فاجتمع اليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا في نواحي اهل اقاليم اهل الافانم وصلبوا الصليب الاعظم بالتعظيم وما عصاهم مرله عصي وخرجوا عن العدد والاحصا وكانوا عدد الحصى وصاروا زهاء خمسين ألفا اوينزون ويكيدون ما يكيدون قد توافوا على صعيد ووافوا من قريب وبعيد وهم هناك مقيمون لا يريون والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويتعرف عليهم ورامهم وينكي فيهم ويتعرض لهم لية تعرضه ويردواع رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله فربضوا ومانبضوا وقعدوا ومانبضوا فلورزوا والمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف فلما رأى السلطان انهم لا يبرحون ومن قرب صفوريته لا يترحون أمر أسعدان يقيموا في مقابلتهم ويديموا على عزم مقاتلتهم ونزل هو في خواصه العسسية على مدينة طبرية وعلم انهم اذا علموا بزوله عليها بادروا للوصول اليها فحينئذ يتمكن من قتالهم ويجهد في استئصالهم ثم أحضر الجنادرية والبقاين والخرسانية والحجارين وأطاف بسورها وشرع في تخريب معورها وأخذ النابون في النقب في برج فهدوه وهدموه وتسلفوا فيه وتسبوه ودخل الليل وصباح الفتح مسفر وليل الويل على العدو معنك وامتدعت القلعة بن فيها من القمصية وبنها ولما سمع القمص بفتح طبرية وأخذ بده سقط في يده وخرج عن جلد جلده وسمح للفرنج بسبده لبده وقال لهم لا تعود بعد اليوم ولا بد لنا من لقاء القوم واذا أخذت طرية أخذت البلاد وذهبت الأطراف والتلال وما بقي لي صبر وما بعد هذا الكسر لي جبر وكان الملك قد بالغه فاخالفه ورافقه فنانا فقه ورحل بمجمعه وأتباعه وشياطينه وأشياعه فادت الارض بحركة وغامت السماء من غيبته ووصل الخبر بأن انه فرنج ركبوا ووثبوا فخرج السلطان وقال جاءنا مزيد ونحن أولو بأس شديد واذا حمت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونه مانع ولا عن فتحه وازع واستحار الله تعالى وسار وعدم القرار فذلك يوم الخميس ثالث عشر ربيع الآخر والفرنج سائرون الى طبرية بقدومهم وقضيضهم وهم كالجبال السائرة والبحار الراخرة أمواجه متلظمة وأفواجها من دجة فرتب السلطان في مقابلتهم اطلابه وحصل بعسكره قدامهم وحجز بينهم وبين الماء واليوم قيظ وللقوم غيظ وحجز الليل بن الفريقين وحجز الخيل على الطريقين وهيئت دركات النيران وهشت درجات والجنان وانتظر مالك واستبشر رضوان فملى ليلة القدر خير من آب شهر تنزل فيها الملائكة والروح وفي سحره انشر الظفر في فوج وفي صباحها انفتوح فأتى بجناياتك الليلية لا اخره فقد كنا من قال الله تعالى فيهم فأتاهم الله ثواب الدينار وحسن ثواب الآخرة وبتنا والجنة معروضه والسنة مفروضه والكثرة وافدة سقائه الخلد قاطفة جناته والسلبيل واخضع سيده والاقبال ظاهرقيله والظهور قائم دليله والله ناصر الاسلام ومديله ومهر السلطان تلك الليلة حتى عين الجبال الشية من كل طلب وملا جعابها وكثمت بالنبال وكان ما فرقه

## في أخبار (٧٧) الدولتين

من الشباب أربعمائة رجل ووقف سبعين جازة في حومة الوغى يأخذ منهم من خلت جعابه وفرغ نشابه حتى إذا أسفر الصباح خرج الجاليشية تمحرق بنيران النصارى أهل النار ورنّت القسي وغنت الاوتار أذذاك واليوم ذاك والجيش شاك وللقبط عليهم فيض وما يغيط منهم غيض وقد وقدا الحر واستشري الشر ووقع السكر والفر والسراب طافح والظاء لافح والجوى محرق والجوى مقلق ولا وثلك الكلاب من المثلث وبالعيت عيث وفي ظنهم انهم يردون الماء فاستقبلتهم جهنم بشرارها واستظهرت عليهم الظهيرة بنارها وذلك في يوم الجمعة بجمع أهلها المجتمعة ووراء عسكرنا بحيرة طبرية والورد بعد وامنه بعد وقد قطعت على الفرنج طريق الورود وبلوا من العطش بالنار ذات الوقود فوفوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين فكلموا على ضراوتهم وشرابوا في اوتهم وشفهوا ما حولهم من موارد المصانع واستترفوها حتى ماء المدامع وأشرفوا على المصارع ودخل الليل وسكن السيل وباتوا حيارى ومن العطش سكارى وهم على شغف البحيرة بحيرة وقوا أنفسهم على الشدة واستعدوا بالعزائم المحتدة وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقاضيهم الى القواضب القواضي فأجدوا عزم البلاء وطلبوا البقاء بالتورط في الفناء وأما عساكرنا فأنفأها اجترأت ومن كل ما يعوقها رثت فهذا السنانة شاحذ وهذا العنانة أخذ وهذا سهم مفوق وهذا سهم موفق وهذا مكبر لا كبير ومنتهظر لا تكبير وهذا تاج للسعادة وهذا راج للشهادة فيالله تلك من ليلته حراسها السلاكة ومن سحر انفسها الطاف الله المتداركه والسلطان رحمه الله قد وثق بنصر الله فهو يضي بنفسه على الصفوف ويحصرهم ويعددهم من الله بنصره المألوف وبغري المئين بالالوف وهم يشاهدته اياهم يبيدون ويحذون ويصدون العدو ويردون وكان لاسلطان مملوك اسمه متكورس جل في أول الناس وكان حصانه قوى الراس فابعد عن اخوانه ولم يتابعه أحد من أقرانه فانفرد به الفرنج فابث في مستنقع الموت رجلاه وفاتل الى ان بلغوا قتله فلما أخذوا رأسه ظنوا انه أحد أولاد السلطان وانتقل السعيد الى جوار الرحمن ولما شاهد المسلمون استشهاده وجلده وجلاده حيث جثيتهم وخلصت لله نيتهم وأصبح الجيش على تعبته والنصر على تلبيته وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الآخر وهو يوم النصر ووقع الكسرة وبرح بالفرنج العطش وأبت عثرتهم ان تفتح وكان النسيم من امامها والحديث تحت أقدامها فرمى بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش فتأجج عليهم استعارها وتوهج اوارها فلبوا وهم أهل التسليث من نار الدنيا بثلاثة اقسام في الاضلال والاضطلام نار الضرام وار الاوام ونا السهام فرجا للفرج فرجا وطلب طلبهم المخرج مخرجا فكلمنا جوارحوا وبرح بهم حرا حرب فارحوا وهم ظمأى وما لهم ماء سوى ما اباديهم من ماء الفرنج فشوتهم نار السهام واسوتهم وصممت عليهم قلوب القسي القاسية وأصممتهم وأبجزوا وأبجزوا وأخرجوا وأخرجوا ونما جوارحوا واوردوا وكلما ساروا واشدوا وأسروا وسدوا وما دبت منهم غيلة ولا ذبت عنهم جملة واعظم مواضعهم واثمهم النشاب فعدت أسودهم قنابذ وضائقهم السهام فوسعت فيهم الحرق النار فآوا الى جبل حطين ليعصمهم من طوفان الدمار فاحاطت بحطين بوارق البوار ورشتهم اللبي وفرشتهم على الرى ورشقتهم الحنايا وقشرتهم المنايا وقشرتهم البلايا ورقشتهم الرزايا ولما أحسن القمص بالكسرة حصر عن ذراع الكسرة وأتال من العزيمة واحتال في الهزيمة وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطراب الجرح فخرج بطلبه يطلب الخروج واعوج الى الوادى وما وذا يعوج ومصى كومض البرق ووسع خساخره تهب اتساع الحرق وأفلتت عدة معدوده ولم يلفث الى مودة مردوده وكان قال لا صعبه انا أسبغكم بالجملة وأفضلكم في الجملة فاجتمع هو ومؤازروه وجماعته من المتقدمين مضافروا وصبيبه صاحب صيدوا بالبن بارزان وتواسر واعلى انهم يحملون ويلغون الشعان فحمل القمص ومن معه على الجانب الذى فيه الملك المنظر تقي الدين وهو مؤيد من الله بالرفيق والتمكين ففتح لهم طريقا ورمى من اتباعهم فريقا ففضوا على رؤسهم ونجوا بنفوسهم ولما عرف الفرنج ان القمص اخذ بالعزيمة ونفذ في الهزيمة وهنوا وهانوا ثم استبدوا وما لا نوا وثبتوا على ما كانوا واستقبلوا واستقبلوا واستلمحوا وحلوا وقعة عليهم وقوع النار في الحلفاء وصبيبه امام الحديد للاطفاء فزاد في الاذكاء خطوا خيامهم على غارب حطين حين رأوا ناهيهم محيطين فأعجبتهم عن ضرب الخيام بضرب الهام ثم استحضر الحرب واستمر الضعن والضرب وأحيط بالفرنج من حوالهم ودارت الدوائر عليهم وترجوا خيرا فترجوا عن الخيل

## كتاب (٧٨) الروضتين

وجرفهم السيف جرف السيل وملك عليهم الصليب الاعظم وذلك مصابهم الاعظم ولما شاهدوا الصليب سليمان ورقيب الردى قريبا أيقنوا بالهلاك وأتخنوا بالضرب الدراك فابرحوا يؤسروا ويقتلون ويخمدون ويخملون ولوثوب يخفون وبالجراح يشقون ومن مصارع القتل الى معاصر الاسرى ينقلون ووصلوا الى مقدمهم وملاهم وابرنسهم فتم أسر الملك وابرنس الكرك وأخى الملك جفرى واولد صاحب جبيل وهنفري بن هنفري وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مرقية وأسروا من نجا من القتل من الداويد وقدمها ومن الاستبتيارية معظماها ومن البارونية من اخطاه البوار فأصابه وساءه الاسار وأسرا الشيطان وجندوه وملك الملك وكنوده وجبر الاسلام بكسرهم وقتلوا وأسروا بأسرهم فن شاهد القتلى قال ما هنالك أسير ومن عاين الاسرى قال ما هنالك قتيل ومذاستولى الفرنج على ساحل الشام ماشى للمسلمين كيوم حطين غليل فالله عز وجل سلط السلطان وأقدره على ما عجز عنه المسلول وهذا من التوفيق لا امتثال أمره ومن اقامة فرضه للشيخ المسلول وظلم له في ختوف أعدائه والفتوح ولاياته السلوك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الابرواين الاسر والحج الادر ولولم يكن له الا فضيله هذا اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة فكيف ملوك العصر في السموات والسوم غير ان هذه النوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمه ولعاقدا النصر وقواعده مبرمة محكمه ومن عجائب هذه الواقعة وغرائب هذا الدفعة ان فارسهم مادام فرسه سالما لم يذل للصرعة فانه من لبسه الزردى من قرنه الى قدمه كان كانه قطعة حديد ردراك العرب اليه غير مفيد لكن فرسه اذا هلك فرس وملك فلم يغنم من خيلهم ودوابهم وكانت الوفاما هوسالم ومات رجل فارس والاطعن والرمي لمركوبه كالم وغنما ما لا يحصر من بيض مكنوز وزغف موضعون وبلاد وحصون وسهول وخزون وابتدلت انماهم لهذا الفتح كل اقليم مصون وذلك سوى ما استبيح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون وصحت هذه الكسرة وتمت هذه النصر يوم السبت وصربت ذلة أهل السبت على أهل الاحد وكانوا أسودا فعداوا من النقد فما أدلت من تلك الآلاف الاحاد ومانجاس أولئك الاعداء الأعداد وامتلأ الملا بالاسرى والقتلى وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذى تجلى وقيدت الاسارى فى الحبال واجبة القلوب وفرشت القتلى فى الوهاد والجبال واجبة الجنوب وحطت حطين تلك الجيف عن متنها وطاب نصر النصر بنتنها وعبرت بها فالفتية تحمل الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الاتيال باهل الادبار وعانيت أعيانهم خبرا من الاخبار ورأيت الرأس البائر والنفوس البائرة والعيون غائرة والجسوم رسمتها السواني والرسوم درستها العرواى واسلاء المسلولين فى الملتقى ملقاة بالعراء عراة مفرقة بالمازق مفصلة المفاصيل مفرقة المراقق مقلقة المفارق محدوفة الرقاب مقصرة الاصلاب مقطعة الهام موزعة الاقدام مجذوعة الاناف منزعة الاطراف مقلقة العيون مبعوجة البطون منهضة الاجساد مقصصة الاعضاء مقلصة الشفاء مخلصة الجباه سائلة الاحداق مائلة الاعناق عديمة الارواح شمية الاشباح كالاجبار بين الاحجار عبيرة لاولى الابصار ولما أبصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا آرابا تلوت قول الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) فما أطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث وما ألهب عذبات العذاب فى تلك الجثث وما أحسن عمارات القلوب بفتح ذلك الشعث وما أجزأ صلوات البشار بوقوع ذلك الحادث هذا حساب من قتل فقد حصرت السنة الامم عن حصره وعدته وأما من أسرف لم تكف اظناب الخنم لقيده وشده ولقد رأيت فى الجبل الواحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس وفى بقعة واحدة مائة ومائتين يحيمهم حارس وهناك العتاة عتاه والعداة عراه وذو الاسره أسرى وألوالا اثره عثرى والقوامص فنائص والفوارس فرائس وغوالى الارواح رخائص ووجود الداوية عوايس والرؤس تحت الاخامص فكما أصيد صيد وفائد قيد وقيد وملك مملوك وهاتك مهتوك وحر فى الرق ومبطل فى يد الحق ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت وأهلك دونه الطاغوت وهو الذى اذ انصب وأقيم ورفع سجد له كل نصرانى ور كع وهم يزعمون انه من الخشبة التى يزعمون انه صلب عليها معبودهم وقد غلبوه بالذهب الاجر وكلوه بالدر والجوهر وأعدوا دليوم الروع المشهود وامسح عيدهم الموعود فاذا أخرجته القسوس وحملته الرؤس تبادروا اليه واتوا عليه ولا يسع أحدهم عنه التحلف والمخلف عن اتباعه فى نفسه التصرف وأخذه عندهم أعظم من أسر الملك وهو أشده مصاب لهم فى ذلك المعترك فان الصليب السليب ماله عوض ولا هم فى سواء

## في اخبار (٧٩) الدولتين

غرض والتأله عليهم مقترض فهو آلههم تعفر له جباههم وتسج له أفواههم يتعاشون عندا حضاره ويتعاشون لا بصره ويتلاشون لاظهاره ويتعاضون اذا شاهدوه ويتواجدون اذا وجدوه ويذلون دونه المنهج ويطلبون به الفرج بل صاغوا على مثله صليبا ناعبدونها ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها فلما أخذ هذا الصليب عظم مصابهم ووهت اصلاهم وكان الجمع المكسور عظيما والموقف المنصور كريما فكانهم لما عرفوا الخراج هذا الصليب لم يخلف أحد عن بومهم العصب فهل كواقتلا وأسرا وما صكوا قهرا وقسرا ولما صبح الكسر وقضى الامر وتمكن النصر وسكن البحر ضرب السلطان في تلك الحومة دد ليل السراق وتوافت اليه حمة الحقائق ونزل السلطان اوصلى للسكرك وسجد وجدد الاستبشار بما وجد واحضر عنده من الاسارى الملك والبرنس وأجلس الملك بجانبه وقال في كذب الفخ وجلس السلطان لعرض أكبر الاسارى وهم يتهادون في القيسود تهادى السكارى فقد تم بداية مقدم الداوية وعذة كبير تممهم ومن الاسبنارية واحضر الملك كى وأحوه جفري وأوك صاحب جليل وهنرى والابرنس ارنات صاحب الكرك وهو أول من وقع في الشرك وكان السلطان نذر مداه وقال لا تجلس عند وجدانه عنده فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والمالك بجانبه وقرعه على غدره وذكره بذنبه وقال له كم تحلف وتحنث وتعهد وتنكث وتبرم الميثاق وتنقض وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال التبرجان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وما سلكك غير السنن المسلوكة وكان الملك يابث ظمأ ويميل من سكرة الرعب منتشيا فأنسه السلطان وحاووه وقتأسورة الوجمل الذى ساوره وسكن رعبه وامن قلبه وأمر له بما مشلوج فشر به وأطأ بأبه لوبه ثم باول الملك الابرنس الصدح فاستشفه وبرد به لطفه فقال السلطان للملك لم تأخذنى في سقيته منى اذا فلا يوجب ذلك له منى أمانا ثم ركب وحلاهما وبنار الوهل اصلاهما ولم ينزل الى ان ضرب سرادقه وركرت اعلامه وبارقه وعادت الى الجنى عن الحومة فيا لقه فلما دخل سرادقه استحضر الابرنس فقام اليه و تلقاه بالسيف فلما عاتقه وحين صرع أمر برأسه فقطع وجرحه قد ام الملك حتى أخرج فار تاع الملك وانزعج فعرف السلطان انه خامر الفزع وساوره الهاص وساوره الجزع فاستدعاه واستدناه وأمنه وطمنه ومكنه من قربه وسكنه وقال له ذاك ردائه أردته وغدرته كما تراه غادرته وقد هلك بغيه وبغيه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والى قلعة دمشق الناصح العيسى فقال لهم أنتم تحت قيسدى وسلمهم الى أصحابه فسلمهم الى ايدى وأمرهم ان يأخذوا خط الصفى ابن القابض فى دمشق بوصولهم ويحتاط عليهم فى اغلالهم وكبوتهم فتفرق العسكر من ضمته أيدى السبي أيدى سبا وبهاتهم الوهاد والربى قال ولما أصبح السلطان يوم الاحد استقام على الجسد وخيم على طبريه وراسل القمصية وأخرجها من حصنها بالامان ووفى لها والفرسان بنيتها بشرط الايمان فخرجت بما لها ورحلتها ونساءها ورجلها وسارت الى طرابلس بلد زوجها القمص بما لها وحالها وولى طبرية قائما ز النجمى وكانت طبرية فى عهد الفرج تفرغ تفرغ على نصف مغل البلاد من الصلص والبلقا وجبل عوف والحياينة والسواد وتناصف الجولان وما يقربها الى بلد حوران فخلصت المناصفت وصفت الصفات وأمنت الآفات هذا والسلطان نازل ظاهر طبريه وقد طب البريه وعسكره قد طبق البريه فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح بيومين طلب الاسارى من الداوية والاسبنارية وقال أنا أظهر الارض من هذين الجنسين النجسين فاجرت عادتهم بالفساد ولا يقلعان عن المعاداة ولا يخدمان فى الاسر وهما أخص أهل الكفر فتمقدم باحضار كل أسير داوى واستبارى ليضى فيه حكم السيف ورأى البقية عليه عين الخيف ثم علم ان كل من عنده أسير لا يسع به وانه يرض بعظبه فجعل لكل من يأتيه بأسير منهم امن الذانير الجر خمسين فأتوه فى الحال بمئين فأمر باعطائهم وضرب رقابهم ومحو حسابهم وكان يحضره جماعة من المتطوعة المتورعه والمتصونة المتصوفة والمتعممة المتصرفه ومن تمت له المعرفة بالزهد والمعرفة فسأل كل واحد فى قتل واحد وسل سيفه وحسر عن ساعد والسلطان جالس ووجهه باشر والكفر عابس والعسا كرفوف والامراء فى السماطين وقوف فثم من فرى ويرى فشكر ومنهم من أبى ونبأ وعذر ومنهم من يضحك منه وينوب سواه عنه وشاعت هناك الضحوك القتال ورأيت منه القوال الفعال فكعدا أنجزه وحدا أنجزه وأجر استدامه بدم اجراه وبراعتى اليه بعنق براه

## كتاب (٨٠) الروضتين

وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفرى وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا السجون وتستبدل حركاتهم بالسكون ونفرت العساكر بما حوت أيديهم من السبي وسبق بهم الى البلاد أناس ولم يتبع على عددهم القياس فكاتب الى الصفي بن القبايض نائبه بدمشق ان يضرب عنق من يجده من الداوية والاسبتارية فامتثل الامر في إرهابهم وضرب أعناقهم فما قتل الامن عرض عليه الاسلام فأبى أن يسلم ومأسلم الآحاد حسن اسلامهم وتأكده بالدين عزامهم قال العماد ومارلت أبحاث عن سبب نذر السلطان اراية دم البرنس حتى حدثني الامير العزيز عبد العزيز بن شاذ بن تميم بن المعز بن باديس وهرذ والبيت الكبير والحب الجليل وكان جده صاحب افريقية والقيروان وكانوا يوارثون ملكه الى قريب من هذا الزمان ذكر ان الاجل الفاضل حدثه ان السلطان لما عاد الى دمشق من حران بعد المروضة التي صار بها كل قلب عليه حران وذلك في سنة اثنتين وثمانين وهو من عقابيل ستمه لا يفارق الاثني فقلت له ما معناه فذا يقول الله وما يعيدك من هذا السوء سواء فانذر انك اذا أبلت من هذا المرض تقوم بكل ماله من المعترض وانك لا تغتافل من المسلمين أحدا أبدا وتكون في جهاد أعداء الله مجتهدا وانك اذا نصرك الله في المعترك وظفرت بالقمص وابرنس الكرك تتقرب الى الله بارة دمه ما ذايتم وجود النصر الا بعدهما فأعطاه يده على هذا النذر ونجى الله ببركة هذا العذر من الدعر وخلصه اخلاصه في مرضاة الله فأبل من مرضته واستقل بنضته واستقبل السنة القابلة بسنة الغزو وفرضته ثم جرى من مقدمات الجهاد وتأنجها ما جرى وخيم السلطان في جوع الاسلام بعشرا وركب يوما في عسكره وعزم على نشر الفساطل وطى المراحل ودخول الساحل والقذف بالحق على الباطل فبدأ بقاء الطاعة المباركة من الاجل الفاضل فقال له ليكن نذرك على دكرك واستزد نعمة الله عنده بزيدي شكرك ولا تحط غير قع أهل الكفر بفكرك فما أنذرك الله من تلك الورطه وانعشك من تلك السقطه الا ليوفر حظك من هذه الغبطة فتوكل على الله عازما وجازا لاردن جازما وارعب حاش الكفر وكسر جرموشه وتل عروشه ووقع في الشرك أبرنس الكرك فوفي بصره عنقه نذره وأما القمص فانه أخذني بالهزيمة حذره ولما وصل الى طرابلس أخافه في منامه العذر وجاء في صفوه الكدر وتسلمه مالك الى سقر

**(فصل ١٠)** هذا الذي تقدم من وصف كسره حطين هو عين ما ذكره عماد الدين رحمه الله في كتابيه الفتح والبرق اختصرته منهما وهو موطول فيهما وقد وقفت على كلام لغيرة في ذلك فاجبت ايراده على وجهه لما فيه من شرح ما تقدم وتقويته وربما اشتمل على زيادات من فوائد تتعلق بذلك لم يتعرض العماد لها أو لمخالفة لبعض ما ذكره قال القاضي أبو المحاسن بن شداد لما كان المحرم سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على قصد الكرك فسير الى حلب من سيحضر العسكر وبرز من دمشق في منتصف المحرم فسار حتى نزل بارض الكرك منتظرا لاجتماع العساكر المصرية والشامية وأمر العساكر المتروكة اليه بشن الغارة على ما في طريقهم من البلاد الساحلية ففعلوا ذلك وأقام رحمه الله بارض الكرك حتى وصل الحاج الشامي الى الشام وامنوا غائلة العدو ووصل قنل مصر ومعه بنت الملك المظفر وما كان له بالديار المصرية وتأخرت عنه العساكر الحلبية بسبب اشتغالها بالفرنج انطاكية وبلاد ابن لاون وذلك انه كن قدمات ووصى لابن أخيه لاون بالملك وكان الملك المظفر بجاء وبلغ الخبر السلطان فامر بالذخول الى بلاد العدو واتخذ نائره فوصل تقي الدين حلب ونزل في دار العفيف بن زريق وانتقل الى دار طمان وفي ناسع صفر خرج عسكر حلب الى حارم ليعلم العدو ان هذا الجانب ليس بهممل وعاد السلطان فوصل الى السواد ونزل بعشرا سبع عشر ربيع الأول ولقيه ولده الافضل ومظفر الدين وجميع العساكر وكان تقدم الى الملك المظفر بمصالحة الجانب الحلبى مع الفرنج ليتفرغ البال مع العدو في جانب واحد فصالحهم وتوجه الى حماه يطلب خدمة السلطان للغزاه فسارت العساكر الشرقية في خدمته وهم عسكر الموصل يقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر ماردين الى ان أتوا عشترا فلقيهم السلطان وأكرمهم ثم عرض السلطان العساكر منتصف ربيع الآخر على تل يعرف بتل تسيل ورتبهم واندفع قاصدا بلاد العدو في وسط نهار الجمعة وكان أبدا يقصد بوقعاته الجمع لاسيما أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر فرما كانت أقرب الى الاجابه وبلغه ان الفرنج اجتمعوا في مرج صفرية بأرض

## في اخبار (٨١) الدولتين

عكا فقصده نحوهم للمصاف معهم فسار ونزل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبره ورحل من هناك ونزل غربي طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب منتظرا ان الفرنج اذ بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلتهم فنزل جريده على طبرية وترك الاطلاب على حالها اقبالة وجهه العدو ونزل طبرية وزحف عليها فجمعها وأخذها في ساعة من نهار وامتدت الايدي اليها بالنهب والاسر والحريق والقتل وامتنت الفلعة وحدها فرحل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع عنها فاخبرت الطلائع الاسلاميه الامراء بحركة الفرنج فسيروا الى السلطان من عرفه ذلك فنزل على طبرية من يحفظ قلعتها ولقي العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربي منها وحال الليل بين الفئتين فباتتا على مصاف شاكيتين في السلاح الى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وذلك بارض قرية تسمى اللوبيا ولم تنزل الحرب الى ان حال بينهم الظلام وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمه والامور الجسيمه ما لم يحك عن من تقدم وبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أفضته التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذي بورك فيه فطلب كل من الفئتين مقامه وعلمت كل طائفة ان المكسورة منهم ما مدحورة الجند معدومة النفس وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينجيهم الا الله وكان الله قد قدر نصر المسلمين فيسرهم وأجراهم على وفق ما قدره فحملت الاطلاب الاسلاميه من الجوانب وجعل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فالتقى الله الرعب في قلوب الكافرين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكان القمص ذكي القوم وأعلمهم فرأى امارات الخذلان قد نزلت بأهل دينه ولم يشغله ظن مجاسنة جنسه عن يقينه فهرب في أوائل الامر قبل اشتداده وأخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجوا وحده وامن الاسلام كيده واحتاط أهل الاسلام بأهل الكفر والاطغيل من كل جانب فانزمت منهم طائفة فتبعها ابطال المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت الطائفة الاخرى بتل حطين وهي قرية عنده وعند هاقبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون على التل وأشعلوا حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون للاسرخوفان القتل فاسر مقدموهم وقتل الباقيون وأسروا وكان الواحد العظيم منهم يخذل الى الاسرخوفان على نفسه ولقد حكى لي من أتى به انه لقي بحوران شخصا واحدا ومعه طنب خيمة فيه ثيف وثلاثون أسيرا يجرحهم وحده بخذلان وقع عليهم وأما القمص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس وأصابه ذات الجنب فاهلكه الله بها وأما مقدموا الاستبارية والداوية فان السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة أبيهم وأما البرنس ارناط فكان السلطان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك انه كان عبر به بالشوبك فقل من الديار المصرية في حالة الصلح فنزلوا عنده بالامان فغدر بهم وقتلهم فنادى الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال قولوا لحمدكم يخلصكم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمة على انه نذر ان ظفر به قتله فلما فتح الله عليه بالنصر والظفر جلس في دهليز الخيمة فانها لم تكن نصبت والناس يتقربون اليه بالاسارى ومن جدد ومن المقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحاسر ورأى اشكر المأثم الله به عليه ثم استحضر الملك جفرى وأخاه والبرنس ارناط وناول الملك شربة من جلاب يشلج فشرب منها وكان على اشدها من العطش ثم ناول بعضها البرنس ارناط فقال السلطان للترجاء قل للملك انت الذي تسقيه والا أنا مسقيته وكان على جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصده بذلك الجرى على مكارم الاخلاق ثم أمر بمسيرهم الى موضع عين لنزولهم فخصوا وكلوا شيئا ثم عاد استحضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فاقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس ارناط ووقعه على ما قال وقال ها أنا انتصر لمجد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل ثم سل البيجاد وضر به بهاخل كتفه وتم عليه من حضرو بجعل الله بروحه الى النار فاخذ ورمى على باب الخيمة فلما رآه الملك قد أخرج على تلك الصورة لم يشك في انه ينثى به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك وأما هذا فانه جاوز حده جفرى ماجرى وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور وأكمل حبور ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الاحد فنزل رحمه الله على طبرية وتسلم في بقية ذلك اليوم قلعتها وأقام بها الى يوم الثلاثاء قلت وذكر محمد بن القادسي في تاريخه انه ورد في هذه السنة كتب الى بغداد في وصف هذه الواقعة منها كتاب من عبد الله

## كتاب (٨٢) الروضتين

ابن أحمد المقدسي يقول فيه (كتب هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء الثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة) وفيه (ولو جئنا الله عز وجل طول أعمارنا ما وفينا بعشر معشار نعمته التي أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فانا خرجنا الى عسكر صلاح الدين وتلاحق الاجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر واربيل فجمع صلاح الدين الامراء وقال هذا اليوم الذي كنت أنتظره وقد جمع الله لنا العساكر وانا راجل قد كبرت وما أدري متى أجلي فاغتموا هذا اليوم وقاتلوا الله تعالى لا من أجلي فاختلفوا في الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فغرض جنده ورتبهم وجعل تبقى الدين في المينة ومظفر الدين في الميسرة وكان هو في القلب وجعل بقية العسكر في الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الاقحوانة فتر كوابها انقلاهم وساروا حتى نزلوا بكفرسبت فأقاموا يومين ينتظرون ان يبرز لهم الكفار وكان عسكر الكفار على صفورية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فتم فرسانه وحماته ورماته والنقايون فدخلوا تحت الحصن فلما تمكن النقب منه انهال من غير وقود نار ودخل المسلمون فاتهبوا يوم الخميس وأصبحوا يوم الجمعة فشرعوا في نهب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر ان الكفار قد توجهوا اليها فارتحل صلاح الدين على صفوره فلقبهم ثم لم يزالوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فتراوا ساعة وبات كل فريق على مصافهم ثم أصبحوا فاسار الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حولهم ليحون عليهم بالرمي فاقطع المسلمون منهم فوارس وقتلوا خيالة ورجالهم فانهزوا عنده ونصبوا الخيام وأقام الناس حولهم الى ان انتصف النهار وهبت الرياح فهجم المسلمون عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء ولم يفلت منهم مائتين وكانوا كما قيل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وعشرين ألفا لم يتركوا في بلادهم من يقدر على القتال الا قليلا وكان الذي أسره الملك هو درباس الكردي و غلام الامير ابراهيم المهراني أسره البرنس وقتل صلاح الدين البرنس بيده لانه كان قد غدر وأخذ ذوا فلة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين الى طبرية فأخذ قلعتها بالامان ثم ضرب أعناق الاسارى الذين كانوا في العسكر وأرسل الى دمشق فضربت أعناق الذين بها منهم) قال وورد كتاب آخر فيه هذه الفتوح التي ما سمع بها قط هذا ذكر بعضها مختصرا مع انه لا يقدر احد يصف ذلك لان الامراء اكبر من ذلك الذي يبشر به المسلمون ان مدينة طبرية فتحت بالسيف وأخذت فلغتم بالامان واجتمع عسكر الافرنج جميعهم والتقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وقتل من الافرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الافرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس وراجل وأسروا منهم ثلاثون ألفا وبلغ ثمن الاسير بدمشق ثلاثة دنانير واستغنى عسكر الاسلام من الاسرى والاموال والغنائم بحيث لا يقدر احد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قص اطرابلس مع أربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع أمراء الفرنج وكما قدسى من النساء والاطفال يباع الرجل وزوجته وأولاده في المناداة ببيعة واحدة ولقد بيع بحضوري رجلا وامرأته وخمسة أولاد ثلاث بنين وابنتان بثمانين دينارا وأخذ صليب الصليب فعلق على قنطارته منكسا ودخل به القاضي ابن أبي عصرون الى دمشق وكل يوم يرى من رؤس الفرنج مثل البطيخ وأخذ من البقر والغنم والخيول والبغال ما لم يجيئ من يشترها من كثرة السبي والغنائم قال وفي كتاب آخر (وكان الفرنج خمسة وأربعين ألفا فلم يسلم منهم سوى ألف وقتل الباقون واستأسروهم وكذلك المسلوكة) قلت وبلغني ان بعض فقراء العسكر وقع بيده أسير وكان محتاجا الى نعل فباعه بها فقيل له في ذلك فقال أردت ان يذكر ذلك ويقال بلغ من هوان أسرى الفرنج وكثرتهم ان يبيع منهم واحد بنعل والله الجد وما أحسن ما قال أبو الحسن ابن الذروري من قصيده

شرحت لمتن الدين بالسعر والطبي \* من المجد معنى كان من قبل يغمض

وما كاد جيش الروم يهرم كيده \* الى ان سرت منك المهابة تنقض

حيث تغور المسلمين فأصحت \* تغورا بأمواء الحسد يد تفضض

أسرت مسلوكة الكفر حتى تركته \* وما فيه عرق عن قوى النفس ينبض

وكان القاضي الفاضل غائبا عن هذه الكسرة بدمشق فلما بلغته كتب الى السلطان (لئن المولى ان الله قد أقام به الدين القديم وانه كما قيل أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وانه قد أسبغ عليه الشمتين الباطنة والظاهرة وأورثه

### في أخبار (٨٣) الدولتين

الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة كتب الملوكة هذه الخدمه والرؤس الى الآن لم ترفع من سجودها والدموع لم تسمع من خدودها وكلما فكر الخادم ان البيع تعودوهى مساجد والمكان الذى كان يقال فيه ان الله ثالث ثلاثه يقال اليوم فيه انه الواحد جدد الله شكرا تارة يفيض من لسانه وتارة يفيض من جفنه وجزاء يوسف خيرا عن اخراجه من سجنه والمماليك ينتظرون أمر المولى فكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عول على دخول حمام طبريه تلك المكارم لاقعيان من لبن وذلك الفتح لآيمان واليمن وذلك السيف لاسيف ابن ذى يزن والاسنة بعد في هذا الفتح شرح طويل وقول جليل) ولعالم درجه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين لم يذكر منها شيئا هنا بل ذكر بعضها عند ذكر فتح نابلس وبعضها عند فتح القدس فنقلت الى هذا المكان منها ما يتعلق به والباقي يذكر في مكانه قال

يا يوم حطين والابطال عابسة \* وبالعجاجة وجه الشمس قد عابسا  
رأيت فيه عظيم الكفر محتقرا \* معفرا خدّه والانف قد تعسا  
يا طهر سيف برى راس البرنس فقد \* أصاب أعظم من الشوك قد نجسا  
وغاص اذ طار ذاك الرأس في دمه \* كانه ضفدع في الماء قد غطسا  
ما زال يعطس من كوما بعد رته \* والقتل تسميت من بالغدر قد عطسا  
عزى ظباه من الانعام مهرة \* دسا من الشوك ردا هابه وكسا  
من سيفه في دماء القوم منغمس \* من كل من لم ينزل في الكفر منغمسا  
افتناهم قتلهم والاسراف تنكسوا \* وبيت كفرهم من خبثهم كنسا

وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله

سحبت على الاردن ردنا من القنا \* ردينية ملدا وخطية ملسا  
حططت على حطين قدر ملوكهم \* ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا  
ونعم مجال الخيل حطين لم تكن \* معاركها البحر دخر سا ولا دها  
غداة أسود الحرب معتقوا القنا \* أساودت بني من نخور العدائنا  
أنواشكس الاخلاق خشنا فلينت \* حدود الرفاق الخش اخلاقها الشكسا  
طردتهم في الملتقى وعكستهم \* مجيد ابحكم العزم طردك والعكسا  
فكيف مكست المشركين رؤسهم \* ودأبك في الاحسان ان تطلق المكسا  
كسرتهم اذ صبح عزمك فيهم \* ونكستهم اذ صار سهمهم نكسا  
بواقعهم رجت بها الارض جيشهم \* دمارا كما بست جباههم يسا  
بطون ذئاب الارض صارت قبورهم \* ولم ترض أرض ان تكون لهم رمسا  
وطارت على نارها مواضي فراشهم \* صلاء فزاد من نخودهم قبسا  
وقد خشعت أصوات ابطالها فا \* يعي السمع الامن صليل الطيها  
تقاديد أماء الدماء ملوكهم \* أسارى كسفن اليم نطت بها القلسا  
سببا يا بلاد الله ملوءة بها \* وقد شربت نجسا وقد عرضت نجسا  
يطاف بها الاسواق لا راغب لها \* لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا  
شككها يسار أس البرنس الذي به \* تندى حسام حاتم ذلك اليبسا  
حسامه ماض الغرار لغدره \* وما كان لولا غدره دمه يحسى  
فلله ما هدى يدا فتكت به \* وأطهر سيفها مدمار جسده النجسا



## كتاب (٨٤) الروضتين

نسفت به رأس البرنس بضربة \* فأشبهه رأسي رأسه العهن والبرسا  
تبوّغ في أوداجه دم بغيه \* فصال عليه السيف يلحسه لحسا  
بعثت امام أمة النار نحوها \* فزار امام أرناطها ذلك الحبسا  
ولله نص النصر جاء لنصله \* فلا فونسا ابقي لرأس ولا قنسا  
حكى عنق الداوى صلل بضربة \* طرير السباع ود المضرا به حسا  
أيوم ونغي تدعوه أم يوم نائل \* وأنت وهبت الغائين به الخسا  
وقد طاب ريانا على طبرية \* فيما طيها رايوا باحسنها مرسى  
وللهاب فتيان الساغورى من قصيدة سيأتى بعضها فى مديح صلاح الدين رحمه الله

جاست جيوش الشرك يوم لقيتهم \* يتدامرون على متون الضمر  
أوردت أطراف الرماح صدورهم \* فولغن فى علق النجيمع الاجر  
فهنالك لم يرغـير نجم مقبل \* فى أثر عفريت رجيم مدبر  
فن الذى من جيشهم لم يخترم \* ومن الذى من جمعهم لم يؤمر  
حتى لقد بيعت عقائل أرهقت \* بالسبي بالثمن الاخس الاحقر  
سقت الممالك الكرام مالهكم \* كأصابه سقت اللثيم الهنفرى  
وعجمت عود صليبهم فكسرت \* وسواك الفاد صليب الماكسر  
أغلى الاداهم من أسرت وأرخصت \* بيض الصوارم من نهاب العسكر  
وجعلت شرق الارض يحسد غربها \* بك فهو داع دعوة المستنصر  
لا يعد منك المسلمون فكيدا \* أوليتهم معروفها لم تنكر  
آمنت سربهم وصنت حرمهم \* ودرأت عنهم فاصمات الاظهر  
ما ان رأك الله الا آمرا \* فيهم بمعروف ومنكر منكر  
متواضع الله جل جلاله \* وبك أضحمت سطوة المتكبر  
لم يخل سمع من هناء مهئ \* للمسلمين ومن سماع مبشر  
واستعظم الاخبار عنك معاشر \* فاستصغروا ما استعظموا بالخبر  
مضت الملوكة ولم تنل عشر الذى \* أوتيتهم من منجى أو منخر  
وقال أبو الحسن على بن الساعاتى فى فتح طبرية

جلت عزوماتك الفتح المبينا \* فقد قرت عيون المؤمنيننا  
رددت أخيد هذا الاسلام \* غدا صرف القضاء بها ضمينا  
وهان بك الصليب وكان قدما \* يعز على العوالى ان يهونا  
يقاتل كل ذى ملك رياء \* وأنت تقاتل الاعداء دينا  
غدت فى وجنة الايام خالا \* وفى جسد العلا عقد اثميننا  
فيا لله كم سرت قلوبا \* وبالله كم أبكت عيوننا  
وما طبرية الا هدى \* ترفع عن أكف اللامسينا  
حصان الذيل لم تقذف بسوء \* وسل عنها اللبالي والسفينا  
فضضت ختامها قسرا ومن ذا \* يصد الليث ان يلج العرينا  
لقد أنكبتها صم العوالى \* فكان نتائجها الحرب الزبونا  
هنالك ندى أهل الارض طرا \* سواك ومقل أعيان القرونا  
قست حتى رأت كفؤا فلانت \* وغاية كل قاس ان يلينا

## في أخبار (١٥) الدولتين

قضيت فريضة الاسلام منها \* وصدقت الاماني والظنون  
تهز معاطف القدس ابتهاجا \* وترضى عنك مكة والمجونا  
فلوان الجهاد يطيق نطقا \* لنادتك ادخلوها آمينا  
جعلت صباح آهلها ظلاما \* وأبدلت الزئير بها أنينا  
تخال حياة حوزتها نساء \* يخوضون الحديد مقنعينا  
لبيضك في جباههم غناء \* لذيد علم الطير الخينا  
تميل الى المثقة العوالي \* فهل أمست رماح أم غصونا  
يكاد النقع يذللها فلولاً \* بروق القاضيات لما هدينا  
فكم حازت قدود قناك منها \* قدودا كالفنا لونا ولينا  
وغيد كالجاذ رآنسات \* كغيد نذاك ابكارا وعونا  
ولما باكرتها منك نعي \* بنان تفضح الغيث الهتونا  
أعدت بها الليالي وهي يئس \* وقد كانت بها الايام جونا  
فليس بعام مرعى خصيبا \* اخوسغب ولا ماء معين  
فلا عدم الشأم وساكثوه \* ظبي تسقى بها الداء الدفينا  
سهاد جفونها في كل فيج \* سهاد يمزج الغمض الجفونا  
فالم بالسوا حل فهي صور \* اليك والحق الهام المتونا  
فقلب القدس مسرور ولولا \* سطاك لكان مكتنبا خزينا  
أدرت على الفرج وقد تلاقى \* جوعهم عليك رحي طحونا  
ففي بيسان ذاقوا منك بؤسا \* وفي صفد أتوك مصفدينا  
لقد جاءتهم الاحداث جمعا \* كان صروفها كانت كينا  
وخانهم الزمان ولا ملام \* فلست بمبعوض زمانا خونا  
لقد جردت عزمنا صريا \* يحدث عن سناه طور سينا  
فكنت كيوسف الصديق حقا \* له هوت الكواكب ساجدينا  
لقد أتعبت من طلب المعالي \* وحاول ان يؤس المسلمين  
وان تك آخر وخلاك ذم \* فان محبة في الاخرينا

قال ابن أبي طي حدثني والدي عن أحد التجار قال كنت بالموصل في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فزرت الشيخ عمر الملا فدخل اليه رجل فقال أيها الشيخ رأيت البارحة في النوم كاني بارض غربية لا أعرفها وكأنها مملوءة بالخنازير وكأن رجلا في يده سيف وهو يقتل الخنازير والناس ينظرون اليه فقلت لرجل هذا عيسى بن مريم هذا المهدي قال لا فقلت من هذا قال هذا يوسف مازادني على ذلك قال فتعجب الجماعة من هذه الرؤيا وقالوا انه سيقتل النصارى رجل يقال له يوسف وحده الجماعة انه يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب وكان المستنجد بالله قدولى الخلافة تلك السنة فحس بعض الجماعة عليه قال وانسيت انا هذه الواقعة فلما كانت سنة كسرة حظين ذكرتها فكان يوسف الملك الناصر رحمه الله قال وحدثتني ظمري من نساء الحلبيين كانت تدخل أخت السلطان الملك الناصر قالت كانت والدة السلطان تخبرنا انها اتيت في نومها وهي حامل بالسلطان فقبل لها ان في بطنك سبي فامس سيوف الله تعالى

(فصل) في فتح عكا وغيرها وهي بالالف الممدودة ويدل على ذلك انه يقال في النسبة اليها عكاوي وقد وجدت ذلك في شعر قديم ومنهم من يقول عكها بالهاء ومثل ذلك حصن عرقه وبعضهم يقول عرقا بالالف ونهر تورا وبعضهم يقول نهر توره بالهاء قال القاضي ابن شداد ثم رحل السلطان طاباعكا وكان نزوله عليها يوم الاربعاء سلخ ربيع الآخر

## كتاب (٨٦) الروضتين

وقاتلهابكره الخبيث مستهل جمادى الاولى فأخذها واستنقذ من كان فيها من الاسارى وكانوا زهاء اربعة آلاف نفر واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر والبضائع والتجار فانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعه فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصره وكان ذلك لخلو الرجال بالقتل والاسر قال العماد ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز من الخبيث ونزل بأرض لويه عسبيه وأعادها بازهار بنوده وأنوار جنوده روضه موشيه ثم أصبح سائرا الى عكا فاشيا مسرعه باراباهل الدين برة وكان أمير المدينة النبويه صلوات الله على ساكنها في موكنه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرا الى نصرته من يثرى به من يثريه وهذا الامير عز الدين ابن فليته القاسم ابن المهنا الحسيني قد ودفد في تلك السنة أو ان عود الحاج وهو ذو شبيهة تقدر كالسراج ومابر مع السلطان مأثور الماثر ميمون الصخبه مأمون المحبه مبارك الطلعه مشاركا في الوقعه فاتم فتح في تلك السنين بالبحضوره ولا أشرق مطلع من النصر الانوره فرأيت في ذلك اليوم للسلطان مسائرا ورأيت السلطان له مشاويرا محاورا وأنا أسير معهما وقد دونت منهما ليسمعاني وأسمعهما ولاحت أعلام عكا وكان يبارق الفرنج المركوزه عليها السنه من الخوف تتشكى وكان عذبات النيران تصاعدت لعذاب أهلها وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من وعرها وسملها ولما أشرفنا عليها مستظهرين أيقنا بفتحها مستبشرين فما كان فيها من يحميها فاصدقنا كيف غلكتها ونحوها وظهر على السور أهلها لاجل المنافع والنبات على المدافعه وخفقان ألويتها يشعر بقلوبها الخافقه وأرواح جلدتهم الزاهقه ووقفنا تأمل طولها ونؤمل حصوها وخيم السلطان بقرها وراء التل وانبت عساكره في الوعر والسهل وبنينا تلك الليلة وقد هزتنا الاطراب نقول متى يجمع الاصباح والاصحاب فما هجدا ولا غرارا ولا وجدنا من الفرع قرارا والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحض جنده ويقدر معهم في اقتباس الارآزده ومنامن يستحضر وعده ومنامن يستعجز رفرده ومنامن يواصله بالدعاء ومنامن يشافهه بالهناء وأصبح يوم الخميس فركب في خميسه ووقف كالاسدي في عتريسه ووقفنا بازاء البلد صفوفا وأطلنا على اطلاله ووقفا فخرج أهل البلد يطلبون الامان ويبدلون الاذعان فأمنهم وخبرهم بين المقام والانتقال ووهب لهم عصمه الانفس والاموال وكان في ظنهم انه يستبج دماءهم ويسبي ذريتهم ونساءهم وأهلهم أياما حتى ينتقل من يختار النقلة فاعتجموا تلك المهله وفتح الباب للخاصه واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوى الخصاصه فان القوم ماصدقوا من الخوف المزعج والفرق المخرج كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون وعندهم انهم اذا انجوا بأنفسهم انهم يغفون فلما دخل الجندر كركل واحد منهم على دار رمحه واسام فيها سرجه فحصلوا على دور اخلاها ربابها واموال خلاها اصحابها وكالاجل الامان نهاها فطاب لا وثلك نهاها وجعل السلطان للفقير عيسى الهكاري كل ما كان للداوية من منازل وضياع ومواضع ورباع فأخذها بما فيها من غلال ومتاع واستخرجوا الدفائن ووجوا المخازن وداروا الاماكن وكذلك مما ليك الملك الافضل وأصحابه وولاته ونوابه بنشوا المحارز وقتشوا المراكر واستباحوا الاهرا واجتاحوا الاشيا وكان السلطان قد قوض عكا وضياعها ومعاقها وقلاعها الى ولده الاكبر الملك الافضل نور الدين على ثم ذكر العماد أنواع ما استولوا عليه من الاموال ثم قال ومن جملة ذلك انهم احتاطوا بغير على على دار باسمي فباعوا منها مائة عابيه مائة دينار وأخلوها بما كان فيها من آلات وأذخار وقلدوني المنه في تحصيل تلك الدار فانها كانت من أنفس الثمار وسلموها الى غلام صديق لي يصونها ويقوم بحفظها والذب عنها والدفاع دونها فذكر ان الغلام انتفع من آلتها بعد خلوها بما قيمته سبعون دينارا وان الاولين نقلوا منها من الذخاير أوقارا قال وانما وصفت هذا ليعلم ما غنوه والتهبوا على حيازته والتموه وتصرف الملك المظفر تقي الدين في دار السكر فافنى قنودها واستوعب موجودها ونقل قدورها وانقاضها وحوى جواهرها واعراضها وقال في كتاب الفتح وخلى سكان البلد دورهم وبخز ونهم ومذخورهم وتركوها لمن أخذها ونسبوا ما حووه لمن حواها وما نبذها واقتقر من الفرنج أغنياء واستغنى من أجنادنا فقراء ولوذخرت تلك الحواصل وحصلت تلك الذخائر وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان عده ليوم الشدائد وعمدة

## في اخبار (٨٧) الدولتين

لنجمع المقاصد فترعت في خضرائها بل في صفرائها وبيضاؤها سروح الاطماع وطال لمستحلبها ومستحلبها الامتاع بذلك المتاع قال في البرق وقرئ على السلطان ليلة من كتاب الفتح ونحن بالقدس يعني هذا المكان وذلك سنة ثمان وثمانين فقال السلطان هذه رفيعه على ثلاثة اثنان منهم في جوار الرحه والاخر باقى مقر العزمه يعنى بالاثنتين الفقيه عيسى وتقى الدين وبالاخر الباقي ولده نور الدين قال ولعمري هو كما ذكره لكن الافضل ما حصل له ولخواصه بل لذوى اختصاصه واستخلاصه وفتحوا البلد يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى ففتحنا الى كنيسها العظمى فازحنا عنها البؤسى بالنعمى وحضر الاجل الفاضل فرتب بها المنبر والقيلة وهي اول جمعة أقيمت بالساحل بعد يوم الفتح وكان الخطيب والامام فيها الفقيه جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ أبى النجيب الشهر وردى وولاه السلطان مناصب الشريعة بعكا تولى الخطابة والقضاء والحسبة والوقف ومن كتاب فاضلى الى بغداد بعد فتح عكا يصف كسرة حطين (صبح الخادم طبرية فافتض عذرتها بالسيف وهجم عليها بهجوم الطيف وتفرق أهلها بين الاسر والقتل وعاجلهم الامر فلم يقدرروا على الخداع والختل وجاء الملك ومن معه من كفاره ولم يشعرا نيل الكفر قد آن وقت إسفاره فاصرم الخادم عليهم نار اذات شرار أذكرت بما أعد الله لهم في دار القرار فترجل هو ومن معه عن صهوات الجياد وتسخطوا هضبة رجاء ان تخيمهم من حر السيوف الحداد ونصبوا الملك خيمة حمراء وضعو على الشرك عمادها وتولت الرجال حفظ اطنابها فكانوا أو تادها فاحذ الملك أسيرا وكان يوما على الكافرين عسيرا وأسر الأبرنس لعنه الله فحصد بذره وقتله الخادم بيده وفي ذلك نذره وأسر جماعة من مقدمى دولته وكبراء ضلالتهم وكانت القتلى تزيد على أربعين ألفا ولم يبق أحد من الذبوية فقلته هوم يوم تصاحب فيه الذنوب والانسر وتداول فيه القتل والاسر اصدر الخادم هذه الخدمة من ثغر عكا والاسلام قد اتسع مجاله وتصرف انصاره ورجاله والكفر قد ثبتت أوجاله ودنت آجاله) قال العماد ومن جملة البشائر بكسرة حطين (ولما أحيط بالقوم وى ملكهم الى جبل يعصمه من العوم فاسمعه السيف لا عاصم اليوم واستولى الخذلان عليهم بأسرهم وبردت أيدى المؤمنين بجر قتلهم وأسرههم ولم يبق لهم باقية وغصت بقتلاهم في الدنيا والآخرة أرض الله الواسعه ونار الله الحامية فما يطاء من يصل الى مخيمنا الا على رءمهم الباليه وأسرا الملك وأخوه وبارونته ومقدموه ولم يفلت منهم الا القمص وهو مسلوب ولا بد ان نذكره فهو مطلوب وقد كنا نذرا ضرب رقبة الأبرنس صاحب الكرك الغدار كافر الكفار ونشيدة النار فلما رأينا هاضم بنا عنقه سر يعاوسرنا الى عكا وهي بيضة ملكهم وواسطة سلكهم ومركز دائرة كفرهم وجمع جمع برهم وبجرهم فسلمنا بها بالامان والصخرة المقدسة الا ان بنا تصرخ وتستغيث وعباد الله الصالحون قد وصلت اليهم بوعد الله الصادق المواريث والبشارة بفتح القدس لا تتأخر والهم بعد هذا الفتح السنى على ذلك تتوفر والحمد لله الذى تم الصالحات بحمده ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا امرسل له من بعده)

(فصل) في فتح نابلس وجملة من البلاد الساحليه بعد فتح عكا وطبرية رذك بعض كتب البشائر الشاهدة لذلك قال العماد وأقام السلطان أياما بعد فتح عكا على النل مخيما وعلى سائر بلاد الساحل مصما وكان قد كتب الى أخيه العادل بمصر بما فتحه الله عليه فوصل بعسكره وفتح في طريقه حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة فقصده من عسكرنا القصاد ووفد اليه الوفاد وأمره السلطان بأن يقيم في ذلك الجانب جامعاً لكتائب ليجمع به الواصلون من مصر الالهون معه بالنصر قال وتوجه عدة من الامراء والعسكريه الى الناصرة وقيساريه والبلاد المجاورة لعكا وطبرية ومضى كل فريق في صوب وآبوا بالغنمة والسبي خيرا وب قال فأما الفولة فهي قلعة للداوية حصينة وفيها ذخائرهم وأمواهم فلما خرج الداوية منها وقتلوا المبقى فيها الاتباع وغلان فسلموها وجميع ما يجاورها كدبوزيه وجنينين وزرعين والطور زاد في كتاب الفتح واللجون ويسان والقيون وجميع ما لعكا وطبرية من الولايات والزيب ومعليا والبعنه واسكندرونه ومنوات قال وتوجه مظفر الدين كوكبرى الى الناصرة فاستباحها وصفرت صفورية من سكانها وتوجه بدر الدين دلدريم وغرس الدين قليج وجماعة من الامراء الى قيسارية فافتحوها بالسيف وسلمت بعدها حيفا وارسوف واستولى على تلك الشومس والاخبار الكسوف

والخسوف وحيثما بين عكا وقيسارية على البحر قال وأما نابلس فإن أهل ضياعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين وفي سلك الرعية مع الفرنج منتظمين وهم يحبون كل عام منهم فرارا ولا يغيرون لهم شرعا ولا شعارا فلما عرفوا كسرهم وانهم لا يرجون جبرهم خافوا من مساكنة المسلمين فتفرقوا وكسبهم أهل الضياع في الدور والرباع وغنموا ما وجدوه من الذخائر والمتاع وأوقعوا بضعا فائهم وضايقوا الحصون على أقويائهم وطلبوا من السلطان ابن أخته حسام الدين عمر بن محمد بن لاچين وهو عزيز عند خاله ملئ بفضل له وأفضاله فاقطعه السلطان نابلس وأعمالها وضياعها ونواحيها وقلاعها فتوجه إليها بعسكره فأول ما ناخ على سبسطية وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذها الأقسا كنيسة منذ فارقها الاسلام وهو متعبد بهم المعظم والمشهد المكرم وقد حجبوه بالاستار وحاولوه بالفضة والنضار وعينوا له مواسم الزوار وقومته من الرهايين فيه مقيمة ولا يؤذن في الزبارة الا لمن معه هدية لها قيمه فدخله وحوى ما فيه وأبقى ما لا يحسن أن يخولون مثله المسجد وفتح للمسلمين أبوابه وأظهر للمصلين محرابه ثم سار الى نابلس ففتحها بالامان واستمال من سكانها من ضرب عليه الجزية بعد زمان واجراهم على ما لهم من العمارة والبنيان وبقيت بيده الى آخر عهده وعمرت بعده ورفعه قال العماد وأشدته يوم فتح القدس قصيدة أولها

استوحش القلب مذ غبت فأنسا \* وأظلم اليوم مذ بذنت فأنسا  
ما طبت نفسا ولا استحسننت بعدكم \* شيئا نهى سا ولا استعذبت لى نفسا  
قلبي وصبرى وغمضى والسباب وما \* الفتم من نسا طى كله خلاسا  
وكيف يصبح أو يمسي محبكم \* وشوقكم يتولاه صبا حسا  
عادت معاهدكم بالجزع دارة \* وان معهدكم فى القلب مادرسا  
وكنتم أحسن منكم كل داهية \* ومادها نمانا المهجران ماحدسا  
لما هدت نار شوقى ضيف طيفكم \* قريته بالكرى اذ رار مقتبسا  
ورمت تأنيسه حتى وجمت له \* انسان عيى أفديه فأنسا  
انا الخيال نحو لا فالخيال ادا \* مازارنى كف يلقى من به التبسا  
لهفى على زمن قضيته طربا \* اذ لم أكن من صروف الدهر محترسا  
عسى يعود شيبا بى ناضرا ومتى \* أرجوا نضارة عود السباب عسا  
وشادن يفرس الآساد ناظره \* فديته شادنا لاسد مفترسا  
فى العطف لين وفى اخلاقه شوس \* بالين عطفه جنب خلقه الشوسا

ومنها فى المدح

ان بان لبس مضيئا لا جئين الى السفى الحسام بن لاچين نابلسا  
يمت اعداءه بأسا وناثله \* يحى رجاء الذى مى نجيحه أيسا  
مزمق المازق المنسوج عثميره \* وقدح اليوم ليل النقع فانطما  
لازلت مستويا فوق الحصان وفى \* حصن الحفاظ ومن عاد الكمتكسا

وسياتى منها أيضا أبيات عند فتح القدس فى مدح السلطان صلاح الدين رحمه الله ومن كتاب عن السلطان الى سيف الاسلام أخيه (كذبنا أننا العادل أن يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب فلما بشر بكسر الفرنج وفتح عكا وطبرية كان قد واصل الى السواد فجاز العريش وزار الداروم وأجملت قدامه البلاد ووصل الى يافا ففتحها عنوة ثم حصر مجدل يابا فطلبت منه الامان وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة بعد وعى

طبرية عكا الزيب معلما اسكندرونه تبين هوتين الناصره الطور صفوريه الفوله جينين اربعين دبوريه عفرىلا بيسان سبسطيه نابلس اللجون اريحا سنجل البيره يافا ارسوف قيساريه حيفا صرفند صيدا بيروت قلعة أبى الحسن جبيل مجدل يابا جبل الجليل مجدل حباب زداروم غزه عسقلان تل الصافيه التل الأحمر الاطرون بيت جبريل جبل الخليل بيت لحم

## في اخبار (٨٩) الدولتين

لذ الرملة قرتيا القدس صوبا هرمز سلع عفرا الشقيف قال ولم يذكر ما تخلفها من القرى والضيايع والابراج الحصينة الحارية بحرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من هذه البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع واماكن ومواضع قد جاسوا خلخالها واستوعبوا ثمارها وغلالها قال العماد ومما أنشأته من شرح الفتوح وكتبت به الى الديوان وبدأ بقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الخفيف من قبل ومن بعد وجعل بعد عمر يسرا وقد أحدث الله بذلك أمرا وهون الامر ادى ما كن الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوطف الدين بقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى فالاولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والاخرى هذه التي عنت فيهما من رق الكآبة فهو قد أصبح حرا ريان الكبد الحرا والزمان كهيئته استدار والحق بجمته قد استدار والكفر قد رما كان عنده من المتاع المستعار فالحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه بعد ان كان جديدا حمله مبيضا نصره مخضرا نصله متسعا فضله مجتمعا ثمله والخادم يشرح من بناء هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين ويمنع الحبور لكافة المسلمين ويود البشرى عما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر الى يوم الخميس منسحقه وتب سبع ليال وثمانية أيام حسوا سخرها الله على الكفار فتري النجوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وادارت ثم رأيت البلاد على عروشها خالية ورأيتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية فيوم الخميس الاول فتحت طبرية ويوم الجمعة والسبت نورل المربيع فكسر والكسرة التي ما لهم بعدها قائمه وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهى ظالمه وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالامان ورفعت بها أعلام الايمان وهى أم البلاد وأخت ارم ذات العماد وقد أصدر هذه المطالعة وصيلب الصلבות مأسور وقلب ملك الكفر الاسير بجيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذى كان في يد الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديدا مسليما وقطوع الكفر عن الاقدام وأنصار الصليب وكباراه وكل من المعمودية عمدته والدير داره قد أحاطت به يد القبضة وغلق رهنه فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام عايتها وكسعت من عكا ملة الكفر على عقيبتها وعمرت الى أن شهدت يوم الاسلام وهو خير يومها وقد صارت البيعة مساجد يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذابح مواضع لخطباء المنابر واهتزت أرضها لموقف المسلم فيها وطما المارتجت لموقف الكافر فأما القتلى والأسرى فانها تزي على ثلاثين ألفا وأما فرسان الداوية والاستبارية فقد أمضى حكم الله فيهم وقطع بهم وقنار الجحيم ورحل الراحل منهم الى السقاء المقيم وقتل البرنس كافر الكفار ونشيد النصارى من يده في الاسلام كما كنت يد الكليم والبلاد والمعاقل التي فتحت هى طبرية عكا الناصره صفوريه تيساربه نطلس حيفا معليا انقوله الطور السقيف وقلاع بين هذه كبيرة والملك المظفر تقي الدين نظره الله مضايق لسور وحصن تبنيين والاخ العادل سيف الدين نصره الله قد كتب بالوصول عن عنده من العساكر الى زل في طريقه على غزوة وعسقلان وبجهز مر اكب الاسطول المنصورة الى عكا وما يتأخر النصوص الى القدس فهذا هو وان فتحه ولقد دام غايه ايل الضلال وقد آن ان يسفر فيه الهدى عن صحبه

(فصل) في فتح تبنيين وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها ومحى المراكيس الى صور قال العماد أرسل السلطان الى تبنيين لابن أخيه تقي الدين فضايقها وكتب الى السلطان أن يأتيه بفضة فوصل اليها في ثلاث مراحل ونزل عليها يوم الاحد الحادى عشر من جمادى الاولى فراسلوا السلطان وسألوا الامان واستمهلوا خمسة أيام ليسئلوا بأموالهم فاهلوا وبذلوا رهائن من مقدمهم ووفوا بما بذلوا وتقرر بواطلاق الاسارى المسلمين فخرج الاسارى مسرورين فسير بهم السلطان وسير بهم وأقرهم وقر بهم وكساهم وحباهم وأناهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم وهذا أنه في كل بلد يفتح وملك يربحه انه يبدأ بالاسارى فيفك قيودها ويعيد بعد عدمها وجودها فخلص تلك السنة من الاسرى أكثر من عشرين ألف أسير ووقع في أسره من الكفار مائة ألف ولما أخذوا القلعة وأخذوا البقعه سيرهم ومعهم من العسكر المنصور من أوصلهم الى صور وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى وكان شرط عليهم تسليم العود والدواب والخزائن وقال القاضي ابن شداد فتحها السلطان عنوة وكان بهار جال أبطال

## كتاب (٩٠) الروضتين

شديدون في دينهم فاحتاجوا الى معاناة شديدة ونصر الله عايمهم وأسر من بقي بها بعد القتل ثم رحل منها الى مدينة صيدا فنزل عليها ومن الغد تسلمها وهو يوم الاربعاء الحادى العشرون قال العماد سخط له صيدا فتصدى لصيدها وكانت همة في قيدها وبادرها الشايقا من مكر العداة وكيدها ووصلنا في يومين الى صيدا الى المنهل فتحها صادين وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل صادين ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ما توعر وصفنا من الامر ما ظن انه تكدر فصرقنا الاعنة الى صرفند وهي مدينة لطيفة على الساحل مورودنا المناهل ذات بساتين وأشجار ورياحين وازهار فأخذناها وخيمنا على صيدا وقد جاءت رسل صاحبها بما فتحها وطلعت الراية الصفراء على سورها وأقيمت بها الجمعة والجماعة واستدعت بها بعد العصيان لله الطاعة ثم سار في يومه على سمت بيروت فنزل عليها يوم الخميس وضايقةها وحاصرها ثمانية أيام ثم طلبوا الامان فأمنهم وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى ومرض العماد فاملى كتاب صلح بيروت ورجع الى دمشق للداواة ثم وجد الشفاء وعاد الى السلطان يوم فتح القدس كما سيأتى قال وسمت بيروت بحضوري فكان من سبب ابلاى سرورى بفتحها وحبورى ونرج منها ومن قلعتها الفرنج وامتلأ بهم الى صور النهج وعاد الاسلام الغريب فيها الى وطنه وتوطن الدين بها في مأمنه وسكن في مسكنه وأما جبيل فان صاحبها أولك كان في جملة من نقل الى دمشق مع الملك الاسير فضاق ذرعا بسجنه الذى تجل له فيه عذاب السعير فتحدث مع الصفي بن القابض في أمره وباح اليه بسرره وقال مالكم فى أسرى فائده ولا غنيمة على فتح جبيل زائده وأنا أسلمها بشرط سلامتى فخذوها ولا تفقدوني فقد قامت قيامتى فأنهى الصفي حاله واستصوب ما قاله فأمر باحضاره في قيده والاحتراز من كيدهم فوصل به ونحن على بيروت فسلم جبيل وسلم ورجع نجاته وغنم ومضى اليها من تولاهما وانسل منها صاحبها وسلاها وتبعها فتح بيروت وتلاها فانتظمت هذه البلاد المتناصرة بالساحل في سلك من الفتوح متسقى وأمر من الاستقامة متفق وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين مساكين لمساكنة الفرنج مستسلمين فذاقوا العزة بعد الدله وفاقوا الكثرة بعد القله وصدقت البشائر وصدحت المنابر وظهر عيب البيع وشهر جمع الجمع وقرئ القرآن واستشاط الشيطان وخرست النواقيس وبطلت النواميس ورفع المسلمون رؤسهم وعرفوا نفوسهم وكان كل من استأن من الكفار بمضى الى سور محجى الذمار فصارت صور عرش غشهم ووكرم كرمهم وملجأ طريدتهم ومنجأ شريدتهم وهى التى فر القمص اليها يوم كسرتهم بل يوم حسرتهم ولما عرف القمص قرب السلطان منها اخلاها واخلها وآوى الى طرابلس وثاها فامتاع بها ملكا وكان كما قيل (راح يبنى نجوة من هلاك فهل لك) وتعوضت صور عن القمص بالمر كيس كما تعوض عن الشيطان بابليس فأدرك ذمار الكفر بعدما أشقى وأيقظ روع الروع بعدما أغفى وضبط صور عن فيها من مهزومى الفسوخ ومنفيها وكان المراكيس من أكهروا غيت الكهروا غول شياطينه واضرى سراحينه وأخبث ذئابه وانجس كلابه وهو الطاغية الداهية الذى خلفت له ولا مثاله الهياويه ولم يكن وصل الى الساحل قبل هذا العام واتفقت وصوله الى ميناء عكا وهو بفتحها جاهل وعن فيها من المسلمين ذاهل فعزم على ارساء الشينى بالمينا ثم تعجب وقال ما نرى أحدا من أهلها يلبثنا ورأى زى الناس غير الزى الذى يعرفه فارتاب وارتاع وحدث عن الدخول توقفه وبان تنذمه وتأخر تقدمه وسأل عن الحال فأحبرهم افه كفى النجاة والهواء راكد والقضاء عنه راقد فانه لو خرج اليه مراكب لا خذه ولو وقف له فاصد لوقذه فاحتمل كيف يخرج بسفينته ولا يدخل مع فقد سكينته فسأل عن متولى البلد وقال خذوا الى منه أسانا حتى أدخل وأرفع ما معى من المتاع وانقل ما عندى من النقل فجئ اليه من الافضل بالامان فقال ما أثق الا بخط يده ولا أنزل الا بعهدته الى بلده وهو ينتظر هبوب الريح الموافقة فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فأقنع وأقلت من الشرك بعدما وقع وصار في صور فزم الامور وجراء الكفر بعد خوره وبصر الشيطان بعد دعاه وعوره وأرسل رساله الى الجزائر وذوى الجزائر يستعدى ويستعدى ويستودع ملة الصليب عباده ويستريح ويستشير ويستزير ويستنفر ويستنصر وثبت في صور ونبت وجع اليه من الفرنج من تشنت وما فتح بلد بالامان الاسار أهله في حفظ السلطان حتى بصيرا

بصور ويأمنوا المحذور فاجتمع اليها أهل البلاد المفتوحة بالقلوب المقعدة المغلوبة المقروحة فامتلات وكانت خاليه وانتاشت وكانت باليه وتعلت وكانت معتلته وتعقدت ودت منخله ولا يحتفل بها فأخر فتحها فاستحدثت رمقا بالمهله وتصعبت بعد مقابلتها السهله والهي عن طلبها طلب ما هو أشرف وهو البيت المقدس فان فتحه من كل فتح أنفس والمركيس في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكه ويعقد الموثق ويبرمه ويجمع المتفرق وينتظمه

**(فصل ١٠)** في فتح عسقلان وغزة والداروم وغيرها قال العلاء لما فرغ السلطان من فتح بير وت وجبيل ثنى عنانه عائداً على صيد او صر فندو جاء الى دوزناظر اليها وتابرا عليها غير مكثرت بأمرها ولا متحدث في حصرها ودلته الفراسة على ان محاربتها تصعب ومنزواتها تعب وليس بالساحل بلد منها أحصن فعطف الاعنة الى ما هو منها أهون وكان قد استخضر ملك الفرنج ومقدم الداوية في قودها وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية متى تمكن باعائتهما من البلاد البقية وعبر والعيون صور الى صور وما شك المركيس انه بها محصور محسور فلما رضى من وثاقه واتسع ضيق خنقه حلق في مطار او طاره وحرك لغواته أوتار او باره واجتمع السلطان بأخيه العادل واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل فبزل على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وشديدها قد لان فجلد من بها على الحصار وتربصوا وتصبروا فنصب السلطان عليهم الجانيق ورماهم بها وجسر النقب فحسر النقب وباشر بالاشورة فرفع الخجاب واشتد القتال واحتد المصال وراسلهم عند ذلك الملك المأمور وقال قد بان عذركم بين نقب السور وجرت حالات وتكررت حوالات وترددت رسالات وقال لهم الملك الاسير لا تخالفوا ما به اشير واحفظوا رأسي فهو رأس مالكم ولا تخطروا غيري بآلكم فاني اذا تخلصت خلاصت واذا استنفذت استنفذت وخرج المقتدمون وشاوروا الملك ونجحوا في التسليم فخرجهم الى سلاطهم وسلموا عسقلان على خروجهم بأموالهم سالمين واستوفوا بذلك الميثاق واليمين ولما يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة وخرجوا بنسائهم وأموالهم ومن استشهد على عسقلان من الامراء الاكابر حسام الدين ابراهيم بن حسين المهراني وهو أول أمير افتتح بالشهادة واختتم بالعهده وكان السلطان قد أخذ في طريقه اليها الرملة وتبين بيت لحم والحليل وأقام بها حتى تسلم حصون الداوية وغزة والنظرون وبيت جبريل وكان قد استعجب معه مقدم الداوية وشرط معهما انه متى سلم معانئهم أطلقهم فسلم هذه المواضع الوثيقة كما أخذ مرأته كذا قال العادل في كتاب الفتح وقال في كتاب البرق وما برح السلطان مقبلاً بظاهر عسقلان حتى تسا المعازل المجاورة لها والبلاد المتخللة فيما بينها فذكر الداروم وغزة والرملة وتبين بيت لحم ومشهد الحليل عليه السلام ولد بيت جبريل والنظرون قال ابن شداد لما فرغ من السلطان من هذا الجانب يعني ناحية بيروت رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ومارسها لان العسكر كان قد تفرق في الساحل وذهب كل انسان يأخذ لنفسه شيئاً وكانوا قد ضرر سوا من القتال ومن ملازمة الحرب والنزال وكان قد اجتمع في صور يسر الله فتحها كل فرنجي بقي في الساحل فرأى قصد عسقلان لان أمرها كان أسير وتسلم في طريقه مواضع كثيرة كالرملة وتبين والداروم فأقام عليها المجتنيات وفاتلها قتالاً شديداً وتسلمها سلخ جمادى الآخرة وأقام عليها الى أن تسلم أمحباب غزة وبيت جبريل والنظرون بغير قتال قال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فان العدو لم يكن في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسائة وذكر ابن القادسي نسخة كتاب كتبه السلطان الى بعض أهله وفيه (انقلنا الى الجانب الذي فيه القدس وعسقلان ففتحنا قلاعها وحصون جميعها ومعاقلة يجمعتها ومدنه بأسرها وهي حيفا وقيسارية وارسوف ويافا والرملة ولد وتل الصافية وبيت جبريل والدير والحليل ونازلنا عسقلان وهي المعقل المنيع والحصن الحصين والتل الرفيع وفيهم من القوة والعدة والعدد مائة قاصر الا مال عن نيل مثله فافتحنها اسبعا لتمام اربعة عشر يوماً من يوم نزولنا عليها ونصبت اعلام التوحيد على ابراجها واسوارها وعمرت بالمسلمين وخلت من مشركيها وكفارها وكبر المؤذنون في اقطارها ولم يبق في الساحل من جبيل الى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور والعزم مصمم على قصد القدس فآله يسلمه ويحمله فاذا يسر الله تعالى فتح القدس ملنا الى صور والسلام) وفي كتاب آخر تقدم ذكر بعضه قال (وقد تفرق العسكر وتوجه قوم الى القدس وابن زير الدين وتقي الدين نارلان على صور وفتحت هونين بالسيف وتبين



## كتاب (٩٢) الروضتين

بالسيف واسكندرونه بالسيف) وفي كتاب آخر (وزنوا على صور وكان بهم ملك بيت المقدس يطلب الامان فقال له صلاح الدين أنا أجيء اليكم فقال له المنجيمون على نجمك ان تدخل بيت المقدس وتذهب عين واحدة منك فقال قدر ضيت بأن أعمى (وأخذ البلد) قال (ولم يمهعه من ذلك الا فخم صور وما هي شيء يقف عليه وقد خطب لامير المؤمنين الناصر لدين الله على ثلاثين منبراً من بلاد الفرنج) قال العمادوفوفض السلطان القضاء والحكم والخطابة وجميع الامور الدينية بمدينة عسقلان، وأعمالها الى جمال الدين ابي محمد عبد الله بن عمر الدمشقي المعروف بقاضي اليمن قال ووصل الى السلطان من مصر ولده الملك العزيز عثمان واجتمع به على عسقلان فقتر عينه بولده واعتضد بعضه وضع يده بتأييد الله في يده وكان قد استدعى بالاساطيل المنصورة فوافقت كالفنح الصواسر بالفلك المواخر وجاءت كأنها أمواج تلاطم أمواجاً وضرب غام غابها رهاهما فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه وسياق ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

بفتح البيت المقدس سرفه الله تعالى

قال القاضي ابن شداد لما تسلم السلطان عسقلان والاماكس المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجند والاجتهاد في قصده واجتمعت اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد قضاء لبساتهم من النهب والغارة فسار نحوه معتمداً على الله مقوضاً أمره الى الله منزهاً فرصة فتح باب الخير الذي حدث على انتهازه اذا فتح بقوله عليه السلام (من فتح له باب خير فليستز به فانه لا يعلم متى يلقى دونه) وكان نزولاً عليه قدس الله روحه يوم الاحد الخامس عشر من رجب فنزل بالجانب الغربي وكان مشحوناً بالمال من الخيالة والرحالة ولقد تجاوز أهل المدينة عسقلان من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفاً ماعدا النساء والصبيان ثم انتقل رحمه الله تعالى لمصلحة رأها الى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم الجمعة العشر من رجب ونصب عليه المخنقيات وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم في فترة شماليه ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الامر الذي لا يندفع وظهرت لهم أمارات نصره الحق على الباطل وكان قد ألقى الله في قلوبهم مما جرى على أبطالهم ورجالهم من السي والتقتل والاسرو وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والاخذ علموا انهم الى ما صار واليه صابرون وبالسيف الذي قتل به اخوانهم يقتلون فاستكانوا وأخذوا الى طلب الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين وكان تسلمه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليته كانت ليلته للمعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر الى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله عوده الى أيدي المسلمين في مثل زمان الاسرا بينهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى قلت هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج وفي ذلك اختلاف كثير ذكرناه في مواضع غير هذا والله أعلم ثم قال القاضي وكان فرحاً عظيماً بشهده من أهل العلم خلق عظيم ومن ارباب الخرق والحرف وذلك ان الناس لما باغهم ما من الله به على يدهم فتوح الساحل شاع قصده للقدس فقصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الاصوات بالصيحه والدعاء والتهليل والتكبير وخطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شدة كلاً عظيماً ونصر الله الاسلام نصر عزيزاً مقدراً وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمس دنانير وعن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً قلت كذا قال وسياق في كلام العماد ان على كل صغير دينارين وكذا قال ان الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتحه وسب أي في كلام العماد التصريح بأن يوم الفتح ضاق عن ذلك فصليت في يوم الجمعة الآتي ثم قال العماد في أحضر الفطيمة سلم بنفسه والا أخذ أسيراً وخرج الله عن كان فيه من أمرى المسلمين وكانوا حقة عظيماً زهاء ثلاثه آلاف نفس وأقام عليه رحمه الله يجمع الاموال ويقرها على الامراء والعلماء ويوصل من دفع قطيعته منهم الى مأمله وهو وور قال ولقد بلغني انه رحمه الله رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء وكان مائتي ألف دينار وعشرين ألفاً وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي

(فصل) هذا الذي ذكره القاضي في أمر فتح بيت المقدس مختصرا مجموعا وقد بسطه العماد فقال رحل السلطان من عسقلان المقدس طالبا وبالغزم غلبا وللنصر مصاحبا ولذيل العز صاحبا والاسلام يخطب من القدس عروسا ويبدل لها في المهر نفوسا ويحمل اليها نغمي ليحمل عنها بوسى ويهدى بشري ليزهد عبوسا ويسمع صرخة الصخرة المستديمة المستعدية لا أعدائها على أعدائها واجابة دعائها وتلبية ندائها واطلاع زهر المصابيح في سماءها واعادة الايمان الغريب منها الى وطنه وردة الى سكونه وسكنه واقصاء أعداء الدين أقصاهم الله تعالى بلعنته من الاقصى وجذب قياد فقهه الذي استعصى واسكات انما قوس منه بانطاق الاذان وكف كه الكفر عنه بايمان الايمان وتطهيره من أنجاس تلك الاجناس وأدناس أدنى الناس وطار الخبر الى القدس فطار قلوب من به رغبا واطاشت وخدقت أفئدتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها عاشت وكان به من مقدمي الفرنج باليان بن بارزان وهو ملاكهم في التسلط شيئا ن بارزان والبطرك الاعظم وهو النشائي العظيم الشأن والذين أعطتهم حياة خطين به من النمرسان الداوية والاسنارية والبارونية من ذوى الكفر والشنان وقد حشروا وحشدوا ونشروا ونشروا وحشيت حشيتهم وانت الضيم آتيتهم وحارت غيرتهم وغارت حيرتهم وتبلدوا وتلدوا وقاموا وقعدوا وضووا وصعدوا فاشتغل بال باليان واشتغل بالنيران وخدمت نار بطر البطرك وضافت باقوم منازلهم فكانت كل دار منها شركا للشرك وقاموا للتدبير في مقام الادبار وتقسمت افكار الكفار وايس الفرنج من النرج وأجمعوا على بذل المذبح وقالوا عاهتنا نروح الرؤس ونسلو النفوس ونسفق اندما ونهلك الدهما ونصبر على انتراح القروح واجترأ الجروح ونسمع بالارواح نحا عمل الروح فهذه الاماكن فيها قمامتنا ومنها نتوم قيامتنا ونصنع هامتنا ونصنع علامتنا وبها غرامنا وعلما غرامتنا وبأكرامها كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا وفي استقامتها استقامتنا واذا تخايضا عثا الزمت لامتنا ووجبت ملامتنا ففيها المصلب والمطلب والمذبح والمقرب والمجمع والمعبود والمهيبة والمصدر والمرفق والمقرب والمسر والمعب والمحق والمذهب والمطلع والمقطع المرب والمرع والمرخم والمخترم والمحلل والمخترم والصور والاشكال والانظار والامال والاشباه والاشباح والاعمد والالواح والاجسام والارواح وفيها عصور الحواريين في حوارهم والاحبار في اخبارهم والراغبين في صوابهم والاقصاء في جماعهم والسحرة رجبها ومثال السيدة والسيد والميكل والمولد والمادة والحوث والمعوث والمخوث والمليذ والمعلم والمهدو والصي المثلّم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار والنواقيس والنواميس قالوا وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتحسد اللاعوث وقالوا الناسوت واستقام التركيب وقام الصليب ونزل النور وول النديجور وارودجت الطبيعة بالاقنوم وامترح الموجود بالمعدوم وعدت معمودية المعبود ومخضت البتول بالمولود واضافوا الى متعبدهم من هذه المملالات ماصلا وفيه بالسبب عن نسيج الدلالات وقالوا دون مقبرة ساعوت وعلى خوف فوتمنا من انفقوت وعثمان دافع وعلما تثارع ومالنا لا نقاتل وكيف لاننازع ولا ننازل ولاى معنى تتركهم حتى يأخذوا وندهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا وتأهبوا وابتاهوا وما انتهبوا بل نناعوا ونصبوا المجانبى على الاسوار وسترنا بظلمات الستائر وجوه الانوار واستشاطت شياطينهم وسرحت راحيتهم وطغت طواغيتهم وأعلست مصليتهم وهاج هائجهم وماج ما تجهم وحضنتهم قدوسهم وحضنتهم رؤسهم وحركتهم نفوسهم وجاءتهم بنجوى السوء وجواسيسهم ونصبوا على كل نبيق مخنيتا وحفروا في الخندق حفرا عميقا وشادوا في كل جانب ركنا وثيقا وفرقوا على كل برج فريشا وجعلوا الى كل طارق بالدى للرد طريقا وأعادوا كل نرج واسع بما عروده وعوروه بمضيقا وتمحل كل منهم ما لم يكن له من قبل مطيقا وخرج جماعة منهم على سبيل اليك فأدبلوا ليلالا واعترضوا عتمة من أنحبا بنا غاره على طريق السلامة ماره وكان قد شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم ومانحز ولا تحزم وما ظن ان قدماه من لهجاة الاقدام ومن يعتقد ان ربح كفره خسارة الاسلام وهو الامير جمال الدين شروين بن حسن الزراري فوق عوا عليه في موضع يعرف بالقيديات فاستشهد رحمه الله ولما بلغ السلطان خبره ساءه وعمه ثم أجبل باقبال سلعائه وأبзал شجعانه وأقبال أولاده واخوانه واشبال ماليا كنه وغنامه وكرام أمرائه وعظام أوليائه وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه الادنى وطريقه الاسنى ويذكر

## كتاب (٩٤) الروضتين

ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى وقال ان أسعدنا الله على اخراج أعدائنا من بيته المقدس فأسعدنا وأرى يذله عندنا إذا أدينا وأنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يقبل الله فيه من عابده حسنه ودامت لهم المملوك دونته وتسونه وخلت القرون عنده متخليه وخلت الفريخ به متوليه فساد خزاله فضيلة فقهه الا لآل أيوب ليجمع الله لهم بالقبول القلوب وكيف لا يهتم بفتح البيت المقدس الاقوى والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبياء وموقف الاولياء ومعبد الاتقياء ومزار أبدال الارض وملائكة السماء ومنه المحشر والمشر وبه وافد اليه من أولياء الله المعسر بعد المعسر وفيه الصخرة التي صيغت جدتها بها جهام من الانهاج ومنها مناج المعراج لها القبة السماء التي هي على رأسها كالساج وفيه ومض البارق ومضى البراق واضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الاتقاق ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الى الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وفيه عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود وهو أول القبلة وثاني البيتين وثالث الحرمين وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي إنها تشد اليها الرحال وتعقد الرجا بها الرجال ولعل الله يعيده بنا الى أحسن صورته كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة فقال عز من فائل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) وله فضائل ومناقب لا تحصى ومنه كان الاسراء ولارضه ففتح السماء وعنه تؤثر أنباء الانبياء وآلاء الاولياء ومشاهد الشهداء وكرامات الكرماء وعلامات العلماء وفيه مبارك المبار ومسارح المسار وصخرة الطولى والقبلة الاولى ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية وعندنا صلى نبينا بالنبين وحبب الروح الامين وصعد منها الى اعلى عشرين وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا المحراب وانها رآه النعبد وليلة الحيا وهو الذي أسسه داود وأوصى بنيائه سليمان ولاجل اجلاله انزل الله سبحانه سبحانه وهو الذي افتحه الفاروق وافتحت به برة من الفرقان فأجله وأعظمه وأشرفه وأفخمه واعلاه وأحلاه واسنائه وأكرمه وأمين بركاته وأبرك ميامنه وأحسن حالاته واحلى محاسنه وأرين مباحجه وأبهج مزاينه وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله الذي باركنا حوله وكف فيه من الآيات التي أراها الله نبيه وجعل سمعنا تمام فضائله مرويه ووصف السلطان من خصائصه ومزاياه ما وثق على استعداد الآيه موائمه وآلاه وأقسم لا يبرح حتى يبرفسمه ويرفع باعلاه عنه وتحطرى رياره موضع القدم النبوية قدمه وتصغى الى صرخة الصخرة اذ نهوا راثقا بكمال النصرة

**(فصل)** في نزول السلطان على البيت المقدس وحصره وما كان من أمره قال العماد نزل السلطان على غرب القدس يوم الاحد خامس عشر رجب وكان في القدس حينئذ من الفريخ مئتين ألف مقاتل من فارس وراجل وسائف وبابل فاستمد فواللهام واستوقفوا الحمام وفالوا نزل واحدا منا بعشرين وكل عشرة بمئين ودون العمامة تقوم انقيامه وبحب سلامتها قل السلامه وأقام السلطان خمسة أيام بدور حول البلد ويقسم على حصاره أهل الجبله وأبصر في شماليه أرضا راضيها للحصار متسعة المجال للاسماع والابصار مكملة لدنونه للنقب ان صار من حيز الانصار فانتقل الى المنزل السعالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب فصار أصبح يوم السبت الاعلى منجنيقات قد نصبت بلانصب قدام القتال والنزال وفرسانهم في كل يوم يباشرون دون الباشورة امام جوعهم هم المحصوره المحسورة المحشورة ويبرزون ويبارزون ويطاعنون ويحاجزون والمنذيعون لله عليهم يحجلون ومن دماهم يبنلون ويبنلون كما قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ومن استشهد مبارزا ولم يشهد بينه وبين الجنة حاجزا الامير عز الدين عيسى بن ملك كان أبوه صاحب قلعة جعبر فانه حارلها هادته في المحشر المنخر وأكثروا الموت الى ان ورد الكوثر وكان في كل يوم يفرس فوارس وبلقي يشروجه وجوه المنون العوايس فاغتم المسلمون من صرعه وهان عليهم آتلاف المهج بعد تلاف مهجته فركبوا اكثاف الرهج حتى وصلوا الى الخندق فخرقوه وبددوا جمعهم وفرقوه والتصقوا باله ورفق بعوده وعلقوه وحشوه واحرقوه وصدقوا وعد الله في القتال لاعدائه وصدقوه ولما غصتهم الحرب ووقع السور واتسع النقب فصعب عليهم الهين وهان لنا الصعب عقدوا ما بينهم مشوره وقعدوا ما بينهم ضروره وقالوا ما لنا الا الاستئمان فقد أخذنا بخطة الخذلان والحمران واخرجوا كبراهم ليؤخذوا لهم

## في أخبار (٩٥) الدولتين

الامان فأبى السلطان الا قتالهم وتدميرهم واستنصاهم وقال لا أخذنا القدس الا كما أخذوه من المسلمين منذ احدى وتسعين سنة فانهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفا يستزير سنه فانا افنى رجالهم قتلًا واحوى نساءهم ميذا فبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بوثقه وطلب الامان لفومه وتمتع السلطان وتسامى في سومه وقال لأمن لكم ولا أمان وما هو انا الا ان نديم لكم الهوان وتأخذكم ككم قسرا ونوسعكم قلا وأسرا ونسفك من الرجال الدما ونساط على الذرية والنساء السبا وأبى في تأميرهم الا الابا فتعرضوا للتعرض وخوفوه عاقبة التسرع وفالوا اذا أيسنا من أمانكم وخفنا من سلطانكم وخبننا من احسانكم وأيقنا انه لا نجاة ولا نجاح ولا صلح ولا صلاح ولا سلم ولا سلامه ولا نعمة ولا كرامه فاننا نستقل فنقاتل قتال الدم والندم ونقابل الوجود بالعدم ونلقى أنفسنا على النار ولا نلقى بأيدينا الى التهلكة والعار ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة وانا تحرق الدور ونحرب القبة ونترك عليكم في مدينا السبه ونقلع الصخره ونوحكم عليها الحسره وقبة الصخره تزميها وعين سلوان نعميها والمصانع نخسفها والمطالع نكسفها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكري ووضيع فبدأ بقتلهم وشت شملهم وأما لاموال فاننا نعطيها ولا نعطيها وأما الدراري فاننا نسارع الى اعدامها ولا نستبطيها فلا يحصل لكم سبي ولا يقبل لكم سبي ولا يسلم عرو ولا عماره ولا نصار ولا نصاره ولا نساء ولا صبيان ولا جماد ولا حيوان فأى فائدة لكم في هذا السخ وكل خسر لكم في هذا الربح ورب خيبة جاءت من رجا النجوع ولا يصلح السوء سوى الصلح فشاور السلطان أصحابه فقيل له الصواب ان نحسبهم اسارى فتبعتهم نفوسهم ونعم لصغار الجزية رؤسهم ويدخل في القذبة مرؤسهم ورؤسهم واستقر الحال بعد مر اودات ومعادات ومعاوضات وتقويضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تكمل بها الغبطة ويحصل منها الخوطه اشترى وابها من أنفوسهم وأموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطعاهم على انه من يجز بعد أربعين يوما الزمه أو امتنع منه وسلمه ضرب عليه الرق ونبت في تملكه لنا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنائير وعن كل امرأة خمسة وكل صغيرة أو صغيرة ديناران الذكر والانثى فيها سيمان ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدمو الداوية والاسبان في هذا الضمان وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وقام بالاداء ولم يتكلم عن الوفاء فن سلم خرج عن بيته آمنا ولم يعد اليه ساكنا وسلموا بالاداء يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة وردود بالرغم والغضب لا الوديعه وكان فيه أكرم من مائة ألف انسان من رجال ونساء وصبيان فأغلقت دونهم الابواب ورتب لعرضهم واستخرج ما يلزمهم النواب ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصر الداخلين فن استخرج منهم مخرج ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج ولوحفظ ذلك المال حتى حفظه لفاز منه بيت المال بأوفر حفظه لكن ثم انتفريط وعم التخليط فكل من رشاشى وتنكب منها هج الرشد بالرشا فمنهم من ادلى من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيا في الرحال ومنهم من غيرت لبسته فخرج مخفيا برى الجنند ومنهم من وقعت فيه شفاعه مطاعة لم تقابل بالرد والثقة الا كابر استنابوا أصاغر فأقاموا في تقصيرهم المعاذير وقتلوا لانفسهم الدخائر وأدعى مظفر الدين كوكبرى ان منهم جماعة من أرمن الرها وعددها ألف نسمة فجعل اليه أمرها وكذلك صاحب البيرة ادعى ما عذته الكثرة زهاء خمسمائة أرمنى ذكر انهم من بلده وان الواصل منهم الى القدس لاجل متعبده وكذلك كل من استوهب عدة استسلم لها وحصل له مر فقها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الاداء منها جهنم وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والاخراج وتوفر لعامة الناس وخادتهم بهجة سماحة الابتهاج وما فينا الامن فاز باو في نصيب ورعى منه في مرمى خصيب وكان السلطان قد رتب عدة داوين في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين وفيهم من الشاميين فن أخذ من أحد الداوين خطا بالاداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من بالباب من الامناء والوكلاء فذكر لي من لاشك في مقالته انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله فرما كتبوا خطا لمن نقده في كيسهم وتلبس أمر اليهم فكانوا شركاء ببيت المال لا امناه وخاتوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما اضر غناه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب ألف دينار وبقي من بقي تحت رق إسارى ينظر به انقضاء المدة المضرويه والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة

مترهبه في عبادة الصايب متصلبه وعلى مصابها متلهبه وفي التمسك بلمتها متعصبه متعصبه انفاها متصاعدة للجنز وعبراتها متخذة زخارف القطرات من المزن ولها حال ومال ومتاع وأشياء وأشياء وانباع فاستعادت بالسلطان فأعاذها ومن عليها وعلى كل من معها بالافراج وأذن في اخراج كل ما لها في الاكياس والاخراج وابقى عليها من مصوغات دلبانها الذهبية المجوهرة ونفاثتها وكراثم خزائنها فخرجت بجميع ما لها وحالها ونسائها ورجلها واسقاطها واعداها والصناديق باقفا لها وتبعها من لم يكن من اتباعها ف راحت فرحى وان كانت من سجنها فرحى وكذلك خرجت زوجة الملك الماسور كى وهى ابنة الملك امارى وكانت مقيمة في جوار القدس مع ما لها من الخول والخدم والجوارى فاستأذنت في الامام بزوجهما وكان بقيد مقيما في برج نابلس موكلا به ليوم وعدت سرجه فأذن لها فخلصت هي ومن تبعها وأقامت عند زوجها وكذلك خرجت الابنسة أم هنفري وهى ابنة فليب وزوجة الابنيس الذى سعلك دمه يوم حطين وهى صاحبة الكرك والشوبك وهى بوابها محوطه وبرأيها منوطه فجاءت سائلة في ولدها العاني فوعدت انها ان سمحت بحصنها سمح لها ببنها ثم أعفيت وأطلق وعصمت على ان تستحصر ابنها هنفري من دمشق اليها وأقر برؤيته عينها وسار معهما من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاول فخرجت فخصت الى حصونها لتسلمها فبانعها أهلها ودفعوها وردوها دليلا خائبة فسكنت صور واستودعت السلطان ابنها المأسور ووعدها باطلاقه اذا تسلم تلك الحصون

(فصل) في ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر الى البلاد قال العماد تسلم المسلمون المدينة يوم الجمعة أو ان وجوب صلاتها وطلعت الرايات الناصرية على شرفاتها وأغلقت أبوابها لفظانها في طلب القطيعة والتماسها وضاق وقت الفريضة وتعدرا داؤها وللجمعة مفاومات وشروط لم يمكن استيعاؤها وكان الاقصى لاسيما محرابه مشغولا بالحنازر والحناء بماء احمأ أحد ثوام البناء مسكونا من كفر وغوى وضل وظلم وحنى مغفور بالنجاسات التي حرم علينا في تطهيره منا الوفا فوقع الاستغلال بالاهم الانفع والاثم الانجح الانجع وهو حفظهم وضبطهم الى أن يوجد شرطهم ويؤخذ قسطهم واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته مئة المعراج ونمجا وضوح من مناج النصر الاتجاج وجلس السلطان بالمنصب ظاهر القدس للهناء وللقاء الاكابر والامراء والمتصرفه والعلماء وهو جالس على هيئة التواضع وعمية الواريس الفقهاء وأهل العلم جلسائه الاررار ووجهه بنور البشور سافر وأهله بعز انجح ظافر وبابه مفتوح ورفده بمنوح وحجابه مرفوع وخطابه مسموع ونشاطه مقبل وبساطه مقبل ونحيابه يلوح ورياه يفوح فدخلت له حالة الظفر وكأن دسبه بهالة القمر والقراء جلوس يقرؤون ويرددون والشعراء وتوف ينشدون ويستشدون والاعلام تبرز لتنشر والافلام تبرز لتبشر والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصرة تتشبع والالسنه بالابتهاج الى الله تضرع وبشر المسجد الحرام بخلاص المسجون الاقصى وتلى مشرعه لكم من الدين ما وصى وهنئى الحجر الاسرى بالبحرة البضاء ومنزل الوحي محل الاسراء ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء ومقام ابراهيم فوضع قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم على اديم القوس باروهم هذا المأدبة فار قال فكذلك ثبت في ذلك اليوم سبعين كتابا بشاره كل كتاب بمعنى يذيع وعبارته فيها الكتاب الى الديوان العزيز بعد ادا ففتحته بهذه الاية (وعدا الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الدين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذى ارضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) الحمد لله الذى أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف وتهربا على التوحيد أهل الشرك والخلاف وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافه ومكن دينه المرتضى وبذل الامن من الخفافه وذر هذا الفتح الاسنى والنصر الاهنى للعصر

## في اخبار (٩٧) الدولتين

الامامى النهوى الناصرى على يد الخادم أخلص أوليائه والمختص من اعترازه باعتزائه اليه وانتمائه وهذا الفتح العظيم والنجم الكريم قد انقضت الملوك الماضيه والقرون الخاليه على حسرة تمنييه وحيرة ترجيه ووحشة اليأس من تسنيه وتقاصرت عنه طوال الهيم ونحاذلت عن الانتصار له املاك الامم فالحمد لله الذى أعاد القدس الى القدس وأعاده من الرجز وحقق من فحيمه ما كان فى النفس وبذل وحشة الكفر فيه من الاسلام بالانس وجعل عز يومه ما حيا دل أمس وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والضلال من البطرك والقس وعبدية الصليب ومستقبل الشمس وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين وقطع دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين فكانت الله شرف هذه الامه وقال لهم اعزموا على اقتناء هذه الفضيله التى بها فضلكم وحقق فى حقهم امتثال أمره فى قوله الكريم (ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) وهذا الفتح قد اقدره الله على افتضاضه بالحرب العوان وجعل ملائكة مكرمه المسومة له من أعز الانصار وأظهر الاعوان واخرج من بيته المقدس يوم الجمعة أهل الاحد وقع من كان يقول ان الله ثالث ثلاثة بمن يقول هو الله أحد وأعان الله بانزال الملائكة والروح وأنى بهذا النصر المنوح الذى هو فتح الفتوح وقد تعدى ان يحيط به وصف البليغ نظما ونثرا وعبد الله فى البيت المقدس سرا وجهرا وملكت بلاد الاردن وفلسطين غورا ونجدا وبرابرجرا وملئت اسلاما وكانت قد قدمت كفرا وتقاضى الخادم دين الدين الذى غلق رهنه دهره والحمد لله شكرا جدا يجدد للاسلام كل يوم نصرا ويزيد وجوه أهله بشرى فتتوجه بشرا وأبى الخادم الاستباحة أمواهم وأرواحهم وحسم داء اجترأهم باجتياحهم وانه لا بد من تطهير الارض المقدسة من رجس دمائهم وقتل رجالهم وسبي ذرارهم ونسائهم ولما يسوا من الجباه وفخوا أبوابها المرتجة من أسبابها المرتجاة خوفا بقتل الاسارى المسلمين وهم أكثر من ثلاثة آلاف وانهم يفسدون جميع ما فى البلد من مال وبناء يهدم واحراق واقتلاف وعرف ان جهلهم يحلمهم على كل مكر شنيع وانهم ندعوعهم فظاظتهم الى كل أمر فظيع وبدلوا اطلاق الاسرى وشرطوا اجل مال القدا وما زالوا يبتلون ويضربون وينفون ويخشعون حتى استقر الامر انهم بفادون وأجيبت الصخرة المقدسة عند استصراخها وبركت البركة الناهضة اليها فى مناخها وغسلت من أوضارها وأوزارها عبرات العيون ورجع اضطرابها الى السكون وقد يت بنواظر أهل الايمان وصوخت للوفاء بعدها المجدد بالايمان وذكرت فى يوم خلاصها من رجب بليلى المعراج وتجلت اظلامها بانارة سناء السراج واعيمدت الكنائس مدارس واضحت باحياء رميم التوحيد رسوم الكثر عافية دوارس وزالت ضخمة الصخرة ونعشها الله من العثره وبذل بالانس فيها ما كان من الوحشة والحسره والحمد لله على هذه النصره والمنة له على هذه المبره وقد تسلمنا مع بيت المقدس جميع المعازل من حد الداروم الى حد طرابلس وكل ما كان جاريا فى مملكة ملك القدس وبابلس ولم يبق الا صور فانها قد تأخرت ان تراعىها وتقدم امتناعها والفرنج فيها قد ضربت بأمالها اطامعها وهى بتأييد الله مسفحة والقلوب بتذليل جاحمها منسرحه) ومن كتاب آخر (فتح بيت الله المقدس الذى يحجز الملوك عن تمنييه فكيف تسنيه وماتت الاطباع دونه فلم تطمع فيه فن الله علينا بتدليل صعبه واعذاب شره وتسهيل وعره وتحصيل خفاه وقضى الملوك فى ليله وجئنا نحن عليه باسفار جفرا وقد كانت الصخرة مستصرخه ومطايا الكبر بكلأ كلها عليها منوخه فأجيبت دعوتها وأصيبت خطوتها وتناثرت على صخرتها ياوقيت الشفا وقولت قبلتها بقبل الافواه ودنا المسجد الاقصى للقاصى والدانى وزال رين العائن وقرت عين الرانى هذا فتح عظيم قدره جسيم خفاه فاضل عصره كامل نصره غير منسى الى يوم الحشر ذكره وقد اقتضى بنا بركه واقضى بسيفنا وتره وزهر زهره وظهر قهره وهلك الكافر وكفره وجاء من نعم الله ما لم على الابد شكره أيننا الا احراقهم بنيران الصوارم واغراقهم فى امواه الطلى والجماجم وتسلمنا القدس فى يوم كانت فى مثل ليلته ليل المعراج وحنى الصخرة حنين جذع المعجزة الاولى فى ظلمة ليلها الى ذلك السراج الوهاج والحمد لله على سلوك ما وضع من المنهاج ونضوب ما كان نسمع من الاجاج وخلايت الله قصد الحاج وصديق الحاج مبشرة بما فضل الله به عصرنا ومجلى به نصرنا ونظم به سلكنا وطرز به ملكنا وهو فتح بيت الله المقدس الذى غلق رهنه دهره واغتصب من الاسلام قهرا وارندكفرا وامتدت به الايام عمرا فعمرا

## كتاب (٩٨) الروضتين

وتقاصرت الهمة عن استفتاحه وأصلد زند الملوك فيه فنجح زواعن اقتسداحه رزوا بالارغمة على التماس الكفر واقتراحه واحتملوا الحفظ مواضعهم نكايه اجترامه واجترأه فلاجرم أعدده الله لا يمانا وذخره ما واسم اعترامنا وفتحه بنا اظهارا لفضل هذه الايام واظهارا لما نحن نؤثره من اعلاء كلمة الاسلام فأصرختنا الصخرة وأهدينا اليها النصره ومكان من قلبها وان كان من الحجر المره تسلمنا القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وقضينا من حق هذا البيت ماوجب وجاء القدس الى القدس وزال الرجس وذهب وتولى فيه الاسلام وتولى عنه الكفر وعظم الاجر ونظم الفخر وطاب النسر وزاد البشر وعشى الرجس وثبت الطهر وهلك المشرك وذل البطرك وأقصى من المسجد الأقصى الساجد الى الشمس وتجلى الحق بنوره المكاشف للبس عاديت الله المقدس الى طهارته ونطق منه لسان التقديس بعبادته وتمل وجه السعد بنضارته وخصنا القدر في اتمام أمره بخطابه واسارته وزادت الوجوه بشرايشارته وقد أعاد الله الى الاسلام المسجد الأقصى وملكا أدناه وأقصاه وأسنى دولتنا بما سنه من فتحه وهناه وعلما انهم هالكون وأنالهم بالقهر ما لكون وفي سبيل القتل والاسر والسبي سالكون فخرجوا بطيرون الامان ويذلون الاذعان حتى يسلموا المكان قليل لهم الآن وقد عصيتهم ورضيتهم بما فيه هلاككم وأبئتم فروغوا بقتل أسارى المسلمين هم ألوف وعرفنا انهم لا يتقصرون في الشرفان جهلهم مع معروف فتضرعوا وتشفعوا وتعفروا في تراب الدل وتوقعوا وتقرر عليهم مال اشتروا به أنفسهم فترعوا به من الخوف ملبسهم وسلموا القدس فاعيدناه الى القدس وطهرناه من الرجس وأجبناد عوة الصخرة وغسلنا عنها وضرك الكفر بعبراته العبره فتح بيت الله المقدس الذي غلق رهنه وطال في يد الكفر أسره وسجنه واستهل بغرأ يمانه ونار يمنه وعاد باحساننا حسنه وزال بنا خوفه وزاد آمنه وبقي قريب مائة سنة في يد الكفر مسجوننا وبرجس الشرك مشحونا حتى أعاد الله بنار ونقه وأذهب قلقه وأعدم فرقته وهذا فتح لم يكن منذ عصر الصحابة رضى الله عنهم له نظير وافق الدين به منيف منير وشرف أيمان به كثير وهو امام فتوحنا المذخرة لنا وما لها بتأييد الله تأخير فتح البيت المقدس الذي لم يخطر تخيمه بخاطر الملوك وتوعد على عزائمهم فخرج طريقة للملوك وحالت دونه قنطار يان الفرج وطوارتها وجنت على الاسلام فيه حوادث الليالي وطوارتها حتى دعانا الله لنفقه فاجبنا به ووعدنا بالفوز فاصبنا به وأوردنا مشرع صفاته فاستعذبنا به وعرفنا طيب عرفة فاستطبنا به وذخر لعصرنا هذا الفخر فاستقبلنا به رأوا أحجار المنجنيقات قد أنزلت الاسواء بالاسوار وغارت الصخور للصخرة المباركة فجذت في انقاذها من الاسار وهمت ثنائنا بالابراج وأعضل بها في العلاج ذاء العلاج فعانينا الحمام وشاهدوا الموت الزام أقامت المنجنيقات على عصابته حد الرجم وواقعت ثنائنا يشرفاته بالهت وتمايرت الصخور في نصرة الصخرة المباركة وحجرت على حكم السور بسفه الاحجار المتساركة وحسرت القرب عن عروس البلد بنقب الاسواة واكشفت للعيون انكشاف الاسرار نهضت لاصراخ الصخرة المقدسة الصخور وطارت من أوكار المنجانيق كأنها الصقور فأأسر البيت الحرام بحكك أخيه من الاسر واجراء الاسلام فيه لغلى أوضار الكفر وانقاذ الصخر المباركة من قلوبهم كالحجارة وأسددوه والحقها من البهاء والرواق والعرا الاسلامي بكسوه ولقد غسلت من أدران الكفر وادناسه وظهرت من ارجاس النجاسة بياض العيون التي بها نذيت وصقلت بشفاة المؤمنين وطالما بايدي الشرك صديت وأعيد اليها ذكر الله تعالى بعد طول الغربة وتذكر بصحبة الاولياء ماسلف لها في عهد الصحابة رضى الله عنهم من حسن الصحبة ودنا المسجد الأقصى فاقصى منه الساجد للشمس وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس وأبدل الناقوس بالاذان بل الكفر بالايان وصلى عراب الاسلام في المحراب الذي أسلم وقد سنى الله تعالى هذا الفتح الاعظم والفتح الانعم وقد ندب فلان في الرسالة القدسية والبشار الغرسيه التي تم بها أتم الكبر وعرس الاسلام وعاد بها المسجد الأقصى الى مداناة المسجد الحرام وتجلت عروس الصخرة لعيون الناظرين وقاضت عليها ما اهداها الاولياء فرحضت عنها أوضار الكافرين وكان الاسلام منه غريبا فرجع الى وطنه وسكن منه الى التوطن في مسكنه وزالت مخاوفه وعاد الى مأمنه وبض العرف من منبعه وأنار التوحيد من مظله وعلاسنا السنه وحلاجة الجنه وخلصت مواضع المخلصين من أولياء الامه وخرج



## في اخبار (٩٩) الدولتين

البطاركة والقسيسون من مساجد الأئمة وعادت الكنائس مدارس وآيات التثليث بهادارس ووجوه الإيمان  
باشرة ووجوه أهل الصليب عوابس ومحت أيام هذه الأيام تلك الليالي الدوامس وقد أقيمت الجمع والجماعات  
ونظفت بل ظهرت تلك الاحات وصلى في محراب المحرب ودرس فيه الخلاف والمذهب والحمد لله الذي تسنى  
بفضله هذا المطلب وتيسر بتأييده الامر الاصعب

(فصل) قال العماد وكان المولى الاجل الفاضل ما أخرا بدمشق يعارض مرض من الله بشفائه فن جملة ما كتب  
السلطان اليه (اما الفتح فن جملة تركت همة وآثار جذبات عزيمته فان الله تعالى سهّل ما سهل أهل الدهر بانه  
صعب واهب نسيم النصر ايان يقال ليس له مهيب وخصنا بهذا الشرف والحقنا في هذه الفضيلة بصالحى السلف  
وقد بذل الكثرة بالايام والناقوس بالاذان وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان وفحت بهذا الفتح  
من بيت الله المقدس أبواب الجنان وتراحم الخارجون من البلاد من الفرنج والنصارى في دخول أبواب النيران  
وصلى محارب الدين في المحراب ورفع الملائكة ما كان تكاثف بانفاس الكفر من الحجاب وغسلت الصخرة  
المباركة من أوضاعها بماء العيون الفاضل الفائق غزارة الامواه وقبلت بالشفاء وبوشرت بالافواه وظهرت باهل  
العلم والحلم من ادناس أهل الجهل والسفاه والحمد لله ثم الحمد لله وما كان يعوزنا وعوزنا الاحضور والمجلس السامى  
أسماء الله فالهذه الامور رواء البروآة وللاناس لقاء الاناس لقاءه وكذا تحف الفتح لولا صالح دعائه  
وحسن آلائه والحمد لله الذى خصنا بهذه الخاصية وفضلنا بالنصرة القدسية وذكر لنا هذا البر الذى يجزى بل  
قصر عنه ملوك البريه والحمد لله على هذه النعمة السنية فما أشوقنا وأشوق القدس الى قدومه وما أظمأنا وأظمأه  
الى خصوص الرى به وعومسه ويا حظه هذا البيت الذى وأخوال البيت الحرام من زيارته وما أتق روضه وأوفق  
رضاه اذ اغاز بنظره ونضارته ونحن نعرف ان همته العالية تحدوه وان دينه الى اجابة دعوته تدعوه ونسأل الله ان  
يكمل صحته وينعش قوته ويقوى نهضته وما أقام هذا البلد الا لنظهيره وترتيب أمره وتغييره) ومن كتاب آخر  
(نصرنا الله بآلائه المسومين وأوليائه المؤمنين واستخلصنا بآييده البلاد واتزعمناها وافنضنا بالابيض المذكور  
من الحرب العوان أبكار الفتح واقتصر عناهما وهذه موهبة مذهبة ومنقبه لا يبلغ الى وصفها بلاغته موجزة ولا  
مسمية ونوبة ما بعد هالاسلام نبوه وحظوة فى مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوه وبشرى تجلوا لوجوه بشرها  
وتضوع مهاب الحجاب بنشرها ويعرف أهل الشرق والغرب سجال غربها وتقر عين المؤمنين فى البعد والقرب بانوار  
قربها عادال القدس الى الارض التى يوصفت وأحاطت البركة بالبتعة التى بقوله تعالى باركنا حوله عرفت وظهرت  
الصخرة المقدسة وظهرت وزهيت أيام هذه الايام وزهرت وبتعت الطائفة الطاغية من أهل التثليث باهل  
التوحيد ودقهرت واستبشر المنير والمحارب بخطيبه وامامه وافخر الزمان بعصر مولانا أمير المؤمنين وأيامه  
وقد تم لك البلاد الساحلية وتسلطناها حصنا حصنا ونقضنا من الكبر كركا واجلمينا الكفار منها فاجتلبنا  
بها من الحسن حسنى فتح شرف الله به هذه الامه وجلا به النعمه وكشف الله بل شرفنا بفخره وأعدنا لذخره  
وخصنا بفضيلته فى عصره وأجرى لنا ما كان قد أباط من عادة نصره وقهر بأهل دينه من عساكرنا أهل كفره  
وقامت بوازننا بوتره وغرق البلاد الساحلية من دم الكفار ببحره واصرخت الصخرة وحفت بها النصره وزالت  
عنها المضرة وعادت اليها المبره ونعشت منها العثرة وفاضت لها من عين المؤمنين العبره وزفت عروسها البكر  
محصنة لم تقتض منها العذرة وحالت العسرة ولاخت الغرة وظهرت من صدف قبتها الدرر وصرخت آثار القدم  
النبوية بالإيمان وجددت بعهدا صفة الإيمان وبطل الناقوس بحق الاذان ونحت أبواب الجنان لاهلها  
وأخرج منها أهل النيران والحمد لله على هذا الاحسان جدا مستقرا على مر الزمان) ومن كتاب الى سيف الاسلام  
بالحين (فتح بيت الله المقدس الذى غلق نيفا وتسعين سنة مع الكثرة رغبته وطال فى أسره محبته واستحكم ودهنه وقوى  
سكره وصعف ركنه وزاد خزنه وزال حسنه واجدبت من الهدى ارضه وأخلف مفرنه وواصله خوفه وفارقه أمنه  
واشتغل خاطر الاسلام بسببه وساء حزنه وذكر فيه الواحد الاحد الذى تعالى عن الولد ان المسيح ابنه وربيع  
فيه التثليث فعز صليبه وصلبه وافرد التوحيد فكاد يهيم متنه ودرج الملوكة المتقدمون على تمي استنقاذه فابى



## كتاب ( ١٠٠ ) الروضتين

الشیطان غر استیلائه واستحواذه وكان فی الغیب الالهی ان معاده فی الآخرة الى معاذه و طنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس و جلست الصخرة المقدسة جلوة العروس وزارها شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها بالتسبیح ولیل فطرها بالترأویح) ومن كتاب آخر (البيت المقدس صار مقدسا وأصبح للاسلام معترسا ورجع اهل التقوى اليه فقد كان بهامؤسسا وخرس الجرس وذهب الدنس وبطل الناقوس وخرج القسوس وزال الاذى بالاذان وصوخت الصخرة المقدسة بإيمان أهل الايمان وماصلت في محراب البيت المقدس الثقة حتى صلت في محراب رقاب الكثر المشرفيات وامت الرضى بفتح المسجد الاقصى حتى أقصى منه من أنصاه الله عن رضاه وما تبوأ المسلم المصلی فيه مئواه من الجنة حتى تبوأ الكافر المصلی بالنار منواه صو فتح موضع القدم المباركة لتليد المعراج بالأيدي وقال لا ولياء الله اهل الاخلاص اهلنا بكم فأحسن الخلاص من ولاية أهل التعدي وعاد المسجد الاقصى للمصلين المقربين جنة ومنارا بعد ان كان للقاصين المصلين زارادارا وتسلم محراب الاسلام محرابه وأصبح لا إفعلما النفي أصحابه وترخ المنبر لترخم الخطيب وانجبر الدين بانكسار صلب عابداه ليلب السليب خلا باله من أمر القدس باعادته الى قدسه وأخلأه من رجز الشرك ورجسه واجلاء داوويه واستبشاره وبطركه وقسه وتعويضه من وحشة الضلال من الهدى بانسه ورد الاسلام الغرب الى بيته المقدس ونفى الكفر منه كاسف الببال راغم المعطس ونصب المنبر للمسجد الاقصى لاقامة الخطبة الامامية ورفع مرفع قدره من الاعلام العباسية والافراج عن محرابه بهدم ما بنى دونه من مباني الشرك وكشف استار الكثرة التي حجبت بالهتك والعتك واقامة الجمع فيه والجماعات وادامة أو راد العبادات بدو وظائف الطاعات وغسل الصخرة المقدسة بدم الكافر دمع المؤمن وزرع لباس بأس المسمى عنهما بافاضة ثوب ثواب المحسن وتزيين تلك الجنة من دنس أهل النار واعلاء ما كان درس من معالم الابرار ومطالع الانوار وقدر حرج الاسلام الغرب منه الى داره وخرج قرا الهدى به من سراره وذبحت ظلم الضلالة بأنواره وعادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ التمریس وقد أقصى عن المسجد الاقصى الاقصون من الله الابعدون وتوافد اليه المصطفون الاقربون والملائكة المقربون وخرس الناقوس بزحل المسجحين وخرج المفسدون بدخول المصلحين وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا وشمل جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه شمالا ورفعت الاعلام العباسية على منبره فاخذت من بره أوفى نصيب وتلت بالسنة عذرها (انصر من الله وفتح قربة) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين وبعد أهل الاحد من قربة بقرب الموحدين فذكر بهما كاد ينسى من عهد المعراج النبوى وأقامت بدلائلها براهين الانجاز الحمدى عاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيان من التقوى الى تأسيسه وزال ناموس ناقوسه وبطل نص النصر قياسي قسيه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت فيه الصخرة لفضلها وباشرت الجباه بها مواضع سجودها وصاغت أيدي الاولياء آثارا للقدم النبوية بتجدد عهودها وشهد مقام المعراج وموطئ برانه ورأى نورا لاسراء ومطعم إشرافه ودنا المسجد الاقصى للراكم والساجد وامتلا ذلك الفضاء بالبقاء الاماجد) ومن كتاب فاضلى الى بغداد (تقلص ظل الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وجاء أمر الله وانف أهل الشرك راغمه وادبلت السيوف والاحبال نائم واسترد المسلمون ترانا كان عنهم آتيا وظفر وايقظة بآلم يصدوا عنهم يظفرون به طيفعا على النائم طارقا) ومنه في وصف ثقب السور (فأخلى السور من السياره والحرب من النظاره وأمكن النقب ان يسفر للحرب النقب وان يعيد الحجر الى سيرته من التراب فتقدم الى الصخر فضع سر د بانياب معوله وحل عقده بصربة الاحراق الدال على لطفه وأغله واسمع الصخرة الشريفة حنينه فاستغاثت الى ان كادت ترق لمقتله وتبرأ بعض الخارة من بعض وأخذ الخراب عليها موثقان تبرج الارض وثم استقرت على الاعلى أقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشفى بالماء غلهم وملا الاسلام خطة كان عهده بهادنة سكان فخدمها الكفر الى ان صارت روضة جنان لاجرم ان الله أخرجهم منها وأهبطهم وارضى أهل الحق وأسخطهم وأوعز الخادم برد الاقصى الى عهد المعهود وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده

## في أخبار (١٠١) الدولتين

المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكلدت السموات للنجوم بنفطرن والكواكب منها للطرب ينتثرن ورفعت إلى الله كلمة النوحيد وكانت طريقتها مسدودة وظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدودة وأقيمت الخس وكان التثليل يقعدهما وجورت الاسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر وخفق علماءه في حفافيه فلو طار سرور الطار بجناحيه وكان الخادم لا يسي سعيه الا لهذه المنقبة العظامي ولا يقاسي تلك البؤسى الارباء هذه النعمى ولا يحارب من يستظمه الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا وليفرز بجوهر الاسنة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الاسنة ريماسلة ته فاصح قلوبها بالاكتفاء والاقتصار وكانت الخواطر ربما غلت عليه من اجلها فأطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطير اخطار ومن رام صفقة رائجة جامر ومن ساء لان تجلى غرة غامر) ووصف فيه يوم حطين فقال (وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة له شهودا وكان الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وأسر الملك ويده أوثق وثائقه وأكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصابوت وقائد أهل الجبروت مادها واقط بأمر الاوقام بين دهمائهم يحترضهم ببسط لهم باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه لاجرم انه يتهافت على ناره فراشهم ويجمع في ظل ظلامه خشايشهم ويتأثثون تحت ذلك الصليب أصلب قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه وبعدونه سور تحفر حوافرا الخيل خندقه ولم يفلت منهم معروف الا القمص وكان لعنه الله جلييا يوم الزفر بالقتال ومليثا يوم الخذلان بالاحتمال فبحاوا كن كيف وطار خوفان أن يلحقه منسر الرمح وجناح السيف ثم أخذ الله بعداً بام سده وأهلكه لموعده وكان اعدتهم فذلك وانتقل من ملك الموت الى مالك وبعد الكسرة من الخدام على البلاد فظواها بما يسر عليهم من الراية السوداء صبغها لبيضاء صنعائها الخافقة هي وتلوب أعدائها العالية هي وعزائم أوليائها)

## (فصل) قال العماد ومن قصائد التي حدثت بها السلطان بفتح القدس وهو مخيم عليه

أطيب بانفاس تطيب لكم نفسا \* وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا  
وأسأل عنكم عافيات دوارس \* غدت بلاد الحلال ناطقة خرسا  
معاهدكم ما بالها كهودكم \* وقد كررت من درس آثارها درسا  
وقد كان في حديسكم كل طارق \* وما جئتم من هجركم خالف الحدسا  
أرى حديثان الدهر ينسى حديثه \* وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى  
نزول الجبال الراسيات وثابت \* رسيس غرام في فؤادي لكم ارسى  
حسبت حبيبي قاسى القلب وحده \* وقلب الذي يهوى بجمل الهوى اقبسى  
أمالكم يا مالكي الرق رقصة \* يطيب بها ملموكم منكم نفسا  
وان سرورى كنت أسمع حسه \* فذسرت عنكم ما سمعت له حسا  
وان نهاري صار ليلا بعدكم \* فما أبصرت عيني صباحا ولا شمسا  
بكيت على مستودعات تلويكم \* كما قد بكت قدما على فخرها الخنسا  
فلا تحبسوا عنى الجيمل فانسى \* جعلت على حبي أكرم مهجتي حبسا  
رأيت صلاح الدين أفضل من غذا \* وأشرف من أنضى وأكرم من أمسى  
وقيل لنا في الارض سبعة أبحر \* واسنانرى الا انام له الخسا  
سجيته الحسنى وشيمته الرضى \* وبطشتمه الكبرى وعزيمته القعسى  
فلا عدمت أياه نامنه مشرفا \* ينير بما يولى ليمالينا الدمسا  
جنودك املاك السماء وظنهم \* عداك جن الارض في القتل لا الانسا  
فلا يستحق القدس غيرك في الورى \* فانت الذى من دونهم فتح القدس  
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا \* فلا عدمت اخلاقك الطهر والقدسا

## كتاب (١٠٢) الروضتين

وطهـ رنه من رجسهم بدمائهم \* فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا  
 تزعرت لباس الكفر عن قدس أرضها \* وألبستهم الدين الذي كشف اللبسا  
 وعادت بييت الله أحكام دينه \* فلا بطـ ركز أبقيت فيها ولا قسا  
 وقد شاع في الآفاق عنك بشارة \* بان أذان القدس قد بطل النقسا  
 جرى بالذي تهوى القضاء وظاهرت \* ملائكة الرحمن اجنادك الجسا  
 وكم لبني أيوب عبيد كعتر \* فان ذكر وابلها من لا يذ كر واعبسا  
 وقد طب ريانا على طبرية \* فياطيها مغنى وياحسنها مرسى  
 وعكا وماء كفا قد كان فتحها \* لاجلائهم عن مدن ساحلهم كنسا  
 وصيدا وبيروت وتبين كاهها \* بسيفك النقي أنفه الرغم والتعسا  
 وبافا وارسوف وتبني وغزة \* فتخذت بهابين الطلي والظبي عرسا  
 وفي عمقلان الكفر ذل بملككم \* هنظره بل أمره اربدت وارجسا  
 وصار بصور عصبية يرقبونكم \* فلا تبطل واعنها وحسوهم حسا  
 توكل على الله الذي لك أصبحت \* كلاتـ درما وعصمته ترسا  
 ودمر على الباقيين واجتث أصلهم \* فانك قد سيرت دينارهم فلسا  
 ولا تنس شرك الشرق غربك مرويا \* بماء الطلي من صاديات الظبي الجسا  
 وان بلاد الشرق مظلمة فخذ \* خراسان والنهرين والترك والفرسا  
 وبعد الفرج الكرك فاقصد بلادهم \* بعزمك واملا من دمائهم الرسا  
 أقامت بغاب الساحلين جنودكم \* وقد طردت عنه ذئابهمـم الفسا  
 وهي طويلة وقد تقدم بعضها في ذكر كسرة حطين والعماد أيضا من جملة القصيدة التي مدح بها حسام الدين  
 ابن لاجين وقد تقدم بعضها

قل للمليك صلاح الدين أكرم من \* يمشى على الأرض أومن يركب الفرسا  
 من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى \* صور فان فتحت فاقصد طرابلسا  
 أترعـلى يوم انظر سوس ذالجب \* وابعث الى ليليل انطاكية العسا  
 وأخل ساحل هذا الشام أجمعه \* من العداة ومن في دينه وكسا  
 ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا \* فانهم يأخذون النفس والنفسا  
 نزلت بالقدس فاستفتحته ومضى \* تقصد طرابلسا فانزل على قدسا

ومن قصيدة أخرى له انفذها الى الخليفة الناصر

أبشر بفتح أمير المؤمنين أتى \* وصيته في جميع الارض جواب  
 ما كان يحظر في بال تصوره \* واستصعب الفتح لما أغلق الباب  
 وخام عنه الملوك الا قدمون وقد \* مضت على الناس من بلواه احقاب  
 وجاء عصرك والايام مقبلة \* فكان فيه لفيض الكفر انضاب  
 نصرا جاد صلاح الدين رونقه \* ايجازه يبيع القبول اسهاب  
 قرع الظبي بالظبي في الحرب بطربه \* لا قينة صنع باللحن مطراب  
 أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه \* لقد تجلى الهدى والشرك منجباب  
 بفتح القدس للاسلام قد فتحت \* في قع طاغية الاشراك أبواب  
 ففي موافقة البيت المقدس للبيت الحرام لنا تيه وانجاب  
 والصخر والحجر المثلثوم جانبـه \* كلاهما لا عمار الخلق محراب

### في اخبار (١٠٣) الدولتين

نفي من القدس صلبا كما نفيت \* من بيت مكة ازالام وانصاب  
وكرم مدح الفضلاء للسلطان عند فتح القدس وقد ذكر العمداء من ذلك جملة في آخر كتاب البرق فرأيت تقديم  
ما اخترته منها هنا وزدت عليه ما لم يذكره فمن ذلك قصيدة الحكيم أبي الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسان الاندلسي  
الجليلاني منها

أبا المظفر أنت المجتبي لهدي \* أخرى الزمان على خيبر بخبرته  
فلو رأك وقد خرت العلى عمر \* في قلة اتسل قضى كنه عبرته  
ولو رأك وأهل القدس في وله \* أبو عبيدة فدى من مسرته  
غداة جزوا النواصي في قامته \* وأعولوا بالتباكي حول صخرته  
دارت بك المله الحسنى فحن على \* عهد الصحابة في استمرار ملته  
وأنت كاسمك صديق وصاحبه الـ \* ملك المظفر سام في مبرته  
وفي الثلاثة عثمان يؤيده \* علا على على ايثار نصرته  
وكم لديك ذوو قمر بنى رقدوا شرفا \* وكم بعيد رأى الزلفى بحجرته  
يشبه الفتح مابين البراة لقي \* ملك الفرنج أخيدابن عترته  
أما رأيت معالي يوسف نسقت \* حتى رمت كل ذى ملك بحسرتته  
أضحى لنشر الهدى في فتح منجمه \* وبات بطوى العدى في سد ثغرتته  
واستقيم الرجس بمنوا بمشهده \* فاستفتح القدس بحسرة وازميرته  
لكن بأس صلاح الدين اذهلهم \* بوقعة التل واستشراء سورته  
يعى الجوارح والفرسان وهو على \* بدء النشاط عشا مثل بكرته  
يا ففتح المسجد الاقصى على بهم \* وقانس الجيش لا يحصى بقفرتته  
ابشر بملك كظهر الشمس مطلع \* على البسيطة فتاح بشرته  
حتى يكون لهذا الدين ملحمة \* تحكى النبوة في أيام فترته

قال واتخذ من مصر نجيم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور الوزير العزيزى قصيدة وعرضتها على السلطان بالقدس  
وفيهاد كرا لا تكلمه وفتح يافا وذكرا لهدنة التي يأتي ذكرها في آخر الكتاب فمنها وسيأتى الباقي المختار أيضا

الوقت أضيق من سماع قصيدة \* موسومة لصفات أغيد أهيف  
الجذ في هذا الزمان مبين \* والهزل فيه مع القوايه مخنف  
بالناصر المهدي والهادى الى \* سبل الجهاد أبى المظفر يوسف  
المستعين بربه والوائق الـ \* منصور والمستظهر البر الوفي  
شدت قوى أركان ملة أحمد \* وتحملت بجهاده في الموقف  
ملك اذا أم الملوك جنابه \* لا ذوا بكرم من يؤم وأشرف  
واذا أتوا أسرى الى أبوابه \* وقفوا بأعظم من وصول وأرف  
مولى غدا للدين أكرم والد \* حذب على أنبائه متر فرف  
عزل الفرنجة ثمولى جيشه \* أعظم به من صارف وه صرف  
قد أنصف التوحيد من تليهم \* وأقام في الانجيل حد المحف  
مغرى بتجريح الرجال لانه \* يروى أحاديث العوالى الرف  
ملك له في الحرب رتقه \* وله غداة السلم زهد تصوف  
وعليه أنزل في الجهاد مفصل \* فلذلك يقرأه بمسبعة أحرف  
عزم وحلم انسياما كان من \* عزم ابن مرداس وحلم الاخنف

## كتاب (١٠٤) الروضتين

يا أيها الملك الذي لطباءه \* وسيوفه خلقا رضى وتعسف  
 لله يوم عروبة اذا عربت \* ساعاته عن نصرك الميعر  
 سنت سيفوك في الرأس ختانة \* ذهبت بهجة كل عالج ألقف  
 آفاتهم وافقت باخذك منهم \* يا فاكهم من حسرة وتأسف  
 أو مارأى الا علاج حين دعوتها \* بلسان سيف في الكريهة ملحف  
 لم تستطع عصيان أمرك بل أنت \* منقاد طوعا ولم تخلف  
 فاستدع جارتها وثن باختها \* وكذلك حتى الاربعين ونيف  
 مال السواحل غير بحرك حافظ \* بشيا سنان أو بصفحة مرهف  
 هذا الطراز الاخضر استفتحته \* فزهى بثوب من علاك مسجف  
 أحييت دين محمد وأقتسه \* وسترته من بعد طول تكشف  
 وضبط ديوان الجهاد بعمال \* من عامل وبشرف من مشرف  
 وبجهبذ العزم الذي لا ينثنى \* وبنظر الرأى الذي لم يطرّف  
 فخذ الخراج من البسيطة كلها \* واستأد فرضى جزية وموظف  
 وأقبض على الدنيا بكف زهادة \* وابسط لرحمتها جناح تعطف  
 جاءت جنود الله تطلب ثارها \* وصدورها بل عن ذميل تشفى  
 فانقض بها وتفاض حقل وقنا \* ان الاله بما تؤمله حفى  
 هم فتية الاتراك كل مجحف \* يغشى الكريهة فرق كل مجحف  
 قوم يخوضون الحمام سباعية \* لا ينظرون اليه من طرف خفى  
 ان صبحوا الاعداء فى أوطانهم \* تركوا ديارهم كقاع صفصف  
 أنت اصطفيتهم لنصرة ديننا \* لله در المصطفى والمصطفى

قلت وذكر بقوله (هذا الطراز الاخضر استفتحته) حكاية حسنة لائقة بالخال حدثني بها شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوى قال قرأت بخط شيخنا أبى الفضائل بن رشيق بمصر عقيب موته فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة قال رأى انسان كأن شخصاد اجهامة واقفا على حائط يجامع دمشق يسمى النسر وهو يقول

ملك الصياصى والصواصى ناصر \* للدين بعدا يأسه ان ينصر  
 وسيفخ البيت المقدس بعدما \* يطوى الطراز له ويقتل قيصرا

قلت وهذا قبل ان يفتح صلاح الدين البلاد بعشرين سنة وقرأت بخط بعض أصحابنا قال وجدت على حاشية كتاب يروى عن خطيب كان بالركة انه رأى من ينشده هذا الشعر فى النوم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فذكر البيتين وهذا قبل الفتح باثنتين وخمسين سنة وقبل مولد صلاح الدين بسنة والمعنى بالطراز الاخضر بلاد الساحل المصطفة على بلاد البحر من الداروم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وبيروت وجبيل وغير ذلك ولم يبق من الدار فى اثناء ذلك سوى دور بين صيدا وعكا وهكذا كان الامر على ما سبق بيانه ففتح هذا الطراز أولا ثم فتح البيت المقدس وكنى بقيصرة عن البرنس الذى قتله بيده لانه كان من رؤس الكفر وملوكهم وغلاتهم فى معاداة الاسلام والله أعلم قال العماد وكان نخر السكاك أبو على الحسن بن على الجوينى المقيم بمصر من أهل بغداد ينفذ الى قصاده لاعرضها فرأيت ان أثبت له هذه القصيدة فى الفتح وهى مشبهة على ذكر ملوك الاسلام واهلهم له تسعين عاما حتى تجرد له سلطانه فذكرها من

جند السماء لهذا الملك أعوان \* من شاك فيهم فهذا الفخ برهان  
 متى رأى الناس مانحيه فى زمن \* وقدمت قبل أزمان وأزمان  
 هذا الفتوح فتوح الانبياء وما \* له سوى الشكر بالافعال اثمان

## في اخبار (١٠٥) الدولتين

أنخت ملوك الفرنج الصمد في يده \* صيدا وماضعوا يوما وماهاؤا  
 كم من خول ملوك غودروا واهم \* خوف الفرنجة ولدان ونسوان  
 استصرخت بملك شاه طرابلس \* نخام عنها وصمت منه آذان  
 هذا وكم ملك من بعده نظر الاسم \* لام يطوى ويجوى وهو سكران  
 تسعون عاما بلاد الله تصرخ والاسلام \* انصاره صم وعميان  
 فالآن لبي صلاح الدين دعوتهم \* بامر من هو للعمران معوان  
 للناصر ادخرت هذى الفتوح وما \* سميت لها هم الاملاك مذ كانوا  
 حباؤه والعرش بالنصر العز رفقا \* لالناس داود هذا أم سليمان  
 في نصف شهر غدا للشرك مصدا لما \* فظهرت منه اقطار وبلدان  
 فابن مسلمة عنها واخوته \* بل أين والدهم بل أين مروان  
 وعدد عما سواه فالفرنجة لم \* يبداهم من ملوك الارض انسان  
 لوان ذا الفتح في عصر النبي لقد \* تنزلت فيه آيات وقرآن  
 يا قبح أوجه عباد الصليب وقد \* غدا يرفعها شؤم وخذلان  
 خزنزت عند الله العرش ساثرا \* ملكته وملوك الارض خزان  
 فالله يقيمك للاسلام تحرسه \* من ان يضام ويلقى وهو حيران  
 وهذه سنة أكرم بها سنة \* فالكفر في سنة والنصر يقظان  
 يا جامعا كلمة الايمان فامع من \* معبوده دون رب العرش صلبان  
 اذا طوى الله ديوان العباد فما \* يطوى لاجر صلاح الدين ديوان

وللشريف النسابة المصري محمد بن أسعد بن علي بن ممر الحلبى المعروف بالجوانى تقيب الاشراف بالديار المصرية  
 من قصيدة

أترى مناما ما بعينى أبصر \* القدس يفتح والفرنجة تكسر  
 وقامة قت من الرجز الذى \* بزواله وزوالها يتطهر  
 ومليكهم فى القيد مصفود ولم \* يرقب لى ذاك لهم ملك يؤسر  
 قد جاء نصر الله والفتح الذى \* وعد الرسول فسبحوا واستغفروا  
 فتح الشام وطهر القدس الذى \* هو فى القيامة للانام المحشر  
 من كان هذا فتحه للمجد \* ماذا يقال له وماذا ذكر  
 يا يوسف الصديق أنت لفتحها \* فاروقها عمر الامام الاظهر  
 ولانت عثمان السريعة بعده \* ولانت فى نصر النبوة حيدر  
 ملك غدا الاسلام من محب به \* يخال الدنيا به تتجتر  
 فتر ونظم طعنه وضرا به \* فالرمح بنظم والمهنة دينثر  
 حيث الرقاب خواضع حيث العيو \* ن خواضع حيث الجباه تعفر  
 غاراته جمع فان خطبت له \* فيها السيوف فكل هام منير  
 اذ لا ترى الاطلا بسنايك \* تحذى نعالا أو دماء تهدر  
 وصوافنا تختار ان تطأ الثرى \* فيصدها عنه طلى وسنور  
 تمشى على جث العدا عرجولا \* عرج بها الكنهات تعثر

وقال أبو الحسين بن جبير الاندلسى

أطلت على أفقك الزاهر \* سعد ومن الفلك الدائر

## كتاب (١٠٦) الروضتين

فابشر فان رقاب العدا \* تمتد الى سيفك الباتر  
وكم لك من فتكة فيهم \* حكمت فتكة الاسد الخادر  
كسرت صليبهم عنوة \* فله درك من كاسر  
وغيرت آناهم كلها \* فليس لها الدهر من جابر  
وأضيت جدك في غزوهم \* فتعسا لجدهم العائر  
وأدبر ملكهم بالشأ \* مولى كأسمهم الدابر  
جنودك بالعرب منصوره \* فناجز متى شئت أوصابر  
فكلهم غرق هالك \* بتيار عسكر الزاخر  
نأرت لدين الهدى في العدا \* فاثرك الله من ثائر  
وقت بنصر إله الورى \* فسماك بالملك الناصر  
وجاهدت مجتهدا صابرا \* فله أجرك من صابر  
نبئت الملوكة على فرشهم \* وترقل في الزرد السابر  
وتؤثر جاهد عيش الجها \* دعى طيب عيشهم الناصر  
وتسهر ليلك في حق من \* سيرضيك في جفئك الساهر  
فتحت المقدس من أرضه \* فعادت الى وصفها الظاهر  
وحثت الى قدسه المرتضى \* فخلصته من يد الكافر  
واعليت فيه منار الهدى \* وأحييت من رسمه الدائر  
لكم ذخرا لله هذا العتو \* ح من الزمن الاول الغابر  
ونخصك من بعد فاروقه \* بهالاصطناعك في الآخر  
محييتكم ألقيت في النفوس \* س بذكر لكم في الورى طائر  
فكم لهم عند ذكر الملو \* ك لملك من مثل سائر  
وباقى القصيدة تقدم في أخبار سنة أربع وسبعين وقال أبو الحسن علي بن محمد المالعاتي  
أعيانا وقد عاينتم الآية العظمى \* لاية حال ندخر النثر والنظم  
وقد ساغ في القدس في كل منطق \* وشاع الى ان اسمع الاسل الصما  
حبا ملكة الحسنى وثنى بستره \* وأطرب ذياك الضريح وما ضما  
فليت فتى الخطاب شاهد فتحها \* فيشهد ان السيف من يوسف ادعى  
وما كان الا الداء أعياد وأؤه \* وغير الحسام العضب لا يحسن الحما  
وأصبح تغر الدين جذلان باسمما \* والسنة الاغمد توسعه لثما  
سلوا الساحل المخشى عن سطواته \* فما كان الاساحل اصادف اليا

وله من قصيدة أخرى في السلطان

عصفت به ريح الخطوب زاعزا \* فلقين طود الاتخسف امانه  
هو منقذ البيت المقدس بعدما \* طالت فجا وجد الشفاء شكانه  
بيت تأسس بالسكون وانما \* عند الزحف تحركت سكانه  
أمشت الاعداء وهى حيافل \* عن شمل دين جمعت اشتاتنه  
أوتيت عزما في الحروب مسددا \* لازيغه يخشى ولا هفواته  
أحسن بالبيت العتيق ويثر \* ولك الفعال كثيرة حسناته  
هذى سيفوك محرمات دونه \* لبكائن تبسمت حجرانه

وله من قصيده أخرى

هو الفاتح البيت المقدس بعدما \* تحامته سادات الدنا ومسودها  
فضيلة فتح كان ثاني خليفة \* من القوم مبدئها وأنت معيدها  
وله من قصيدة في بعض أقارب السلطان  
الست من القوم الاولى بسبب وفهم \* ثنوا صخرة البيت المقدس مسجدا  
وللعباد الكاتب من قصيدة بمدح بها الملك الافضل  
والقدس اعزل دأؤه من قبلكم \* فوقيتم بشفاء ذلك المعضل  
درج المملوك على تمنى فتحه \* زمنا وغلتم به لم تبل  
وأنى زمانكم فامكن آخره \* ما قد تعذروا في الزمان الاول  
ما كان قط ولا يكون كفتحكم \* للقدس في الماضي ولا المستقبل  
أوجدتم منه الذي عدم الوري \* وفعلتم في الفتح ما لم يفعل  
أيدي المملوك تفاصرت عن منخر \* طلتم به فبلوا لبعض الانسل  
أحييتم شرع الكرام ولم يرزل \* نصرا الحق بكم وقهر المبطل  
وله من قصيدة في مدح الملك المؤيد

وكم لبني صلاح الدين فينا \* على الاسلام من حق تأكد

وان لهم على الاملاك طرا \* بفتح القدس فضلا ليس يحسد

وله من أخرى في مدح الملك الظاهر غازي

هم المملوك ذو وبأس ومكرمة \* ان سالموا امنوا وواحرابوا خيفوا

أغنناهم القدس عن قول الوري ففتح \* عكا وصيدا وبيروت وارسوف

جيش الفرنج اذا لاقى سوابقهم \* كأنه جبل بالرعي منسوف

وترأت على شيخنا أبي الحسن علي بن محمد الهخاوي رحمه الله من جملة قصيدة مدح بها بعض ولد السلطان أظنه الملك  
الحسن ظهير الدين أحمد بن صلاح الدين رحمه الله

ملك به وأبيه يفخر العلا \* وينوق فخرها السها والفرقا

ما يوسف من يقاس بجمانم \* أنى وقد وحب المصون واصفدا

او ان يقال كأنه يوم الوغى \* والروع كلاسده المصور اذا عدا

أو من يشهد به جوده بغمامة \* أو من يقال لمنهله عر الردى

بل مالك الدنيا ومال رحبها \* خيلا ورجلا ناصر دين الهدى

ومخلص البيت المقدس بعدما \* رفع الصليب على ذراه ومجدا

ومن المملوك الصيديد لقاها \* رفع السرا دق را كعين وسجدا

وبه أنى البيت الحرام وفوده \* من كل فج آمين الممردا

من بعدما درست معالم سبله \* دهر او عزل خوفها ان يتصدا

(فصل) في صفة اقامة الجمعة بالاقصى شرفه الله تعالى في رابع شعبان ثامن يوم الفتح وقدهم محمد بن  
القاسمي في تاريخه فيما قرأته بخطه فانه قال فتح صلاح الدين بيت المقدس وخطب على المنبر فيه بنفسه وصلى فيه  
ولبس خلعة سوداء ولم يكن السلطان هو الذي باشر الخطبة على ما سنده وقد تقدم ان يوم الفتح وان كان يوم الجمعة  
الا ان الوقت ضاق عن اقامة فرض صلاة الجمعة فيه قال العلامة تاسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب وكان  
الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للقلة هريا وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغيا وكانوا قد بنوا من  
غربي القبلة دارا وسيعه وكنيسة رفيعة فأوعز بكشف ذلك الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم



## كتاب (١٠٨) الروضتين

ما قدمه من الابنية وتنظيف ما حوله من الافنية بحيث يجتمع الناس للجمعه في العرصة المتسعه ونصب المنبر واطهر المحراب المطهر ونقض ما أحدثوه من السورى وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبوارى وعلقت القناديل وتلى التنزيل فحق الحق وبطلت الاباطيل وتولى الفرغان وعزل الانجيل وصفت السجادات وصفت العبادات وأقيمت الصلوات وأديمت الدعوات وتجلت البركات وانجلت الكربات وانجابت الغيابات واثابت الهدايات وتليت الآيات وأعليت الرايات ونطق الاذان وخرس الناقوس وحضر المؤذنون وغاب القسوس وزال العبوس والبوس وطابت الانفاس والنفوس وأقبلت السعادات وأدبرت النحوس وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه وطلب الفضل من معدنه وورد القراء وقرأوا الاوراد واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاولاد وعبد الواحد ووجد العابد وتوافد الراكع والساجد والخاشع والواجد والزاهى والزاهد والحاكم والشاهد والجاهد والمجاهد وانقائم الفاعد والمتجهد والساهد والزائر والوافد وصدح المنبر وصعد المذكر وانبث العشر وذكر البعث والمحشر واملى الحفاظ وابكى الوعاظ وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء وتحدثت الرواه وروى المحدثون وتحنف الهداة وهدى المتخفون واخلص الداعون ودعا المخلصون وأخذ بالعزيمة المترخصون ولخص المفسرون وفسر المحصون وانتدى النضلاء وانتدب الخطباء وكثر المترشحون للخطابه المتوشحون بالاصابه المعروفون بالفصاحه الموصوفون بالحصافه فما فهم الامن خطب الرتبة ورتب الخطبه وانشأ معنى شائقا ووشى لفظا رائقا وسوى كلاما بالوضع لائقا وروى مبتكرا من البلاغة فائقا وفهم من عرض على خطبته وطلب منى نصيبته وتمنى ان ترجح فضيلته وتنجح وسيلته وتسبق بمنيته فيها أمنيته وكلهم طال الى الانتهاء اعانقه وسال من الالتهاب عليها عرقه وامانهم الامن يناهب ويترقب ويتوسل ويتقرب وفهم من يتعرض ويتضرع ويتشوف ويتشفع وكل قد لبس وقاره وقر لباسه وضرب فى انجاسه اسداسه ورفع لهذه الزياسه راسه والسلطان لا يعين ولا يدين ولا يخص ولا ينص ومنهم من يقول ليتنى خطبت فى الجمعة الاولى وفرت باليد الطولى واذا نظرت بضالع سعدى فما أبالى بمن خطب بعدى فنادى فى يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون فى تعيين الخطيب السلطان وامتلاء الجامع واحتفلت المجامع وتوجست الابصار والسماع وفاضت رقة القلوب المدامع وراعت جلليه تلك الحاله وبهاء تلك البهجة الروائع وغصت بالسابقين اليها المواضع وتوسمت العميون وتقسمت الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عظيم وموسم عظيم هذا يوم تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات وتقال العثرات ويتقظ الغافلون ويتعظ السامعون وطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم الذى فيه انتعش الاسلام وانتاش وما أفضل هذه الطائفة الحاضره والعصبة الظاهره والامة الظاهره وما أكرم هذه النصره الناصريه والاسرة الاماميه والدولة العباسيه والمملكة الايوبيه والدولة الصلاحيه وهل فى بلد الاسلام أسرف من هذا الجماعه التى شرفها الله بالتوفيق لهذا الطاعه وتكاملوا فحين يخطب ولمن يكون المنصب وتفاوضوا فى التهويض وتحدثوا بالتصريح والتعريض والاعلام تعالى والمنبر يكسى ويجلى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج تزدهم والامواج تلتطم والعارفين من الضحيج ما فى عرفات للضحيج حتى حان الزوال وزال الاعتدال وحيل الداعى واجل الساعى فنصب السلطان الخطيب بنصه وابان عن اختياره بعد خصه وأوعز الى القاضى محمى الدين أبى المعالى محمد بن زكى الدين على القرشى بان يرقى ذلك المرقى وترك جباة النباقيين بتقديمه عرفى فاعترته من عندى أهبة سوداء من تسريف الخلافة حتى بكل له شرف الافاضة والاضافه فرقى العود ولقى الدعود واهتز أعطاف المنبر واعتزت أطراف المعشر وخطب وانصتوا ونطقوا وسكتوا وافصح واعرب وابدع واغرب واعجز واجعب وأوجز واسهب ووعظ فى خطبته وخطب بموعظتيه وابان عن فضل البيت المقدس وتقديسه والمسجد الاقصى من أول تأسيسه وتطهيره بعد تخبيسه وانحراس ناقوسه واخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ونزل وصلى فى المحراب واقفتح بيسم الله الرحمن الرحيم من أم الكتاب فأم بتلك الامه وتم نزول الرحه وكل وصول النعمه وما فضيت الصلوة انتشر الناس واشتهر الاناس وانعقد الاجماع واطرد القياس وكان قد

## في اخبار (١٠٩) الدولتين

نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ليفرعه كبير جلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجبا فذكر من خاف ومن رجا ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجبا وخوف يذى الحجة ذوى الجبا وجلاب نور عظاته من ظلم الشبهات مادجا وأنى بكل عظة الراقين موقظه ونظما لمن محفظه ولا ولياء الله مرفقة ولا عداة الله مغلظه وضج المتبها كون وعج المشا كون ورقت القلوب وخفت الكروب وتضاعدت النعرات وتحدت العبرات وتاب المذنبون وأناب المتخوبون وصاح النوايون وناح الاوابون وجرت حالات جلوت وجلوات حلت ودعوات علت وضراعات قبلت وفرض من الولاية الالهية انهرز وحصص من العناية الزبانية أحرزت وصلى السلطان في قبسة الصخرة والصفوف على سعة المحس بهامة مله والامة الى الله بدوام نصره مبتهله والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبله والايدي الى الله مرفوعة والدعوات له مسموعة ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته قلت هذه الفاظ العماد في هذا الفصل من كتاب الفتح وذكر في كتاب البرق بعبارة أخرى تشمل على فوائد زائده وفي تكرار ما تقدم أيضا بغير تلك العبارة فإذره فانها معان جليلة كلما ذكرت جلوت وكلمات تكررت حلت

(فصل) قال العماد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة المالية للجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العراض واخلاؤها لادل الانحلاص وتنظيفها من الادناس وكس ما في ارجائها من الارجاس وقد كان سبق أمره من مبدأ الامر بهدم ما هناك من أبنية الكفر وازار المحراب القديم وأعاد موضعه الى الوضع الكريم فقد كان الداوية بنواغر يبه دارا وادخله فيها وخلصها من عيباتها وخلصها من عيوبها واستراح لالاعلال وجانبها هر باللالعلال فأمر في العاجل يكف قناعه ورفع الوضيع من أوضاعه ونقل ما وقع من انقاضه ونقض ما اعتور ذلك الجوهر النفيس من اعراضه حتى ظهر موضع المنبر والمحراب واستظهر بالزالة ما قدماه من الحجاب واجتمع الملق في ذلك الاسبوع على تقريب ذلك الهدم المجموع وتعاولوا وتعاضوا حتى كشفوه ونفذوه ورشوه وفرشوه وكان قد أمر بالتحياذ منبر في تلك الايام فنجح وهو ركبوه ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العمل مزاحه والهم مزاحه والخواطر الى ورد ما لم نأمله من تاحه وهذا فضلا بلغاء وعباء أتقيا وكل منهم قد سبق بخطة الخطبه وامل الفوز بفضيلة تلك الرتبة وأعد لذلك المقام مقالا ونسط بشقصة فصاحت من قمر حصافته عقالا حتى اذا حيل الداعي وتعين الفرض على الساعى حضر السلطان صلاة قبة الصخرة بادية على أساريه أسرار سروره بالاسره وامتلائت تلك العراض والصخور واستعبرت للفرح بما يسره الله العيون وأن لدين الله ان تقضى له الديون وتلك الرهون ووجلت القلوب وخشعت الاصاود وحسنت الظنون وعين السلطان القاضي محي الدين أبا المعالى محمد بن علي القرشي الزكي بن الزكي للصلاة والخطبة وفزع تلك الرتبة فصعد وسعد وحسد وأجد وأدت المعاني السريعة ألقاظه ونبهه الاقاصي والاداني ابقاظه وجل الماسامع وجلب المدامع وأتى بالخطبتين المفروضتين على الوجه المرسوم والنهج المتبع والشرط الموضوع وذكر في الفتح البكر ما اقتض به ايكار الاستعارات بابدع البراعا وابرع العبارات وصدق بالصدق ونطق بالحق وفاز بالسبق وحاز الفضيله على فضلاء الغرب والشرق فهو لنشر المعاني أضخم خطيب له بشر المعالي اضع طيب فاين قدس في عكاظه من قياس الفاظه وأين سحجان من سجعاته وأين ابن نبانة من نباته ولوعشالاقفة الى دقره واحتقرا اعراضه ما عند جوهرة ودعالا مير المؤمنين ثم سلطان المسلمين ونزل وقام اماما أكمل بصلاته الفرض وأرضى بسمت دعواته والطمانينة في ركعاته وسجدياته أهل السماء والارض وسر السلطان بنصبه ورفع وامتلاء صدره بحور امته بجلاء بصره وسمعه فقد أخذت بالابصار اشعة أنوار الخطبة في سواد الابهة وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة وكرمت سرائر الزلي الى الله والقربة ثم رتب السلطان بعده خطيبا يستمر امامته للجمع والجماعات وتسنة رلامرته لاداء الصلوات ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة نصب سرير للوعظ ابقى تلك الامة المحقة وتقدم السلطان الى زين الدين الواعظ ليفرع السرير وينفع بعظاته الصغير والكبير وحضر المجلس برأى منه وسمع فكان أنور مجلس وجللى وأشرف جمع وجمع خفي ورقق وأشهد وأشفق وخلق بعباراته الخلو العبرات وشار العسل بعسول الاشارات وبشر البشر بشارة البشارات وذكر الفتح وبكارته والقدس وطهارته والدين وجسارته والكفر وخسارته والقدر واعانتته والظفر وابانتته

## كتاب ( ١١٠ ) الروضتين

والصخرة واصرارها والروعة وافراخها والنار ومراطها والقيامة وائراطها والرحمة وبابها من باب الرحمة والجنة وجناتها هذه الامه وما أعده الله لهذه الطائفة وما أنزله من الامن على القلوب الخائفة ووصف بلاغته ما لا يبلغ اليه نطق الالسنه الواصفه ووصف الجهاد وفضائله والخير والاثله والنجم ووسائله والشرع ومسائله والذنب وغوائله واحسان السلطان وقراضه والبحر وساحله والدين وحقه والكفر وباطله وكان يوم اراجبا وسوم اراجبا

**(فصل)** في ايراد ما خطب به القاضي محي الدين رحمه الله قال العباد وخطب القاضي محي الدين بن زكي الدين أربع خطب في أربع جمع كلها من انشائه وأودعها سر بلاغة عنيت بأفشائه وذكرت الخطبة الاولى وبدا الفصاحة فيها طولى افتتحها بهذه الآيات

«فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الحمد لله فاطر السموات والارض»

والخطبة هي  
«الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الامور بامرهم ومديم النعم بشكرهم ومستدرج الكافرين بمكرهم الذي قد ذرأ لايام دولابعدله وجعل العقاب للمتقين بفضله وافاء على عباده من ظله وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خلقه فتته»  
«فلا ينازع والامر بما يشاء فلا يراجع والحاكم بما يريد فلا يدافع أحده على اظفاره واطهاره واعزازه ولا ولياته ونصره لانصاره وتطهيره بيته المقدس من ادناس الشرك وأوصاره حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله»  
«رافع الشك وداحض الشرك وراضح الافك الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى»  
«وعرج به منه الى السموات العلى الى سدره المنتهى عندها جنة المأوى اديغشي السدره ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق الى الايمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان ذى النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين وعلى بن أبي طالب منزل الشرك ومكسر الاوثان وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان أيها الناس ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الامة الضالة وردّها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبان مائة عام وتطهير هذا البيت الذي أذن الله ان يرفع وان يذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن طريقه بعد ان امتد عليها روايته واستعمر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فانه بنى عليه وبالتقوى فانه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم ابراهيم ومعرّاج نبيكم محمد عليه السلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهو مقر الانبياء ومقصد الاولياء ومقر الرسل ومهيظ الوحى ومنزل تنزل الامر والنهى وهو فى ارض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الارض المقدسة التي ذكرها الله فى كتابه المبين وهو المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذى بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها الى مريم وروحها عيسى الذى شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم ير خرحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى لن يستكف المسج ان يكون عبدا لله وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهو أول القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لا تشده الرجال بعد المسجدين الا اليه ولا تعتقد الخناصر بعد المواطنين الا عليه ولولا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجارىكم فيها مجار ولا يباريكم فى شرفها مبار فطوبى لكم

« من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزيمات الصديقية والفتوح العربية،  
 « والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية،  
 « والمهجرات الخالدية بخاركم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر لكم ما بذلتوه من مجهكم،  
 « في مقارعة الأعداء وتقبل منكم ما قربتم به اليه من مهراق الدماء وأثابكم الجنة فهي دار السعداء فأقدر وارحكم،  
 « الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم،  
 « لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء وتبجلت بانوار وجهه النظام وابتهج به الملائكة المقربون،  
 « وقر به عينا الانبياء والمرسلون فإذا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر،  
 « الزمان والحمد الذي تقوم بسير فهم بعد فترة من النبوة اعلام الايمان فيوشك ان تكون التهاني به بين أهل،  
 « الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء اليس هو البيت الذي ذكره الله في كابه ونص عليه في خطابه،  
 « فقال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده إيلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله الآية اليس،  
 « هو البيت الذي عظمتهم الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الهكم عز وجل اليس هو،  
 « البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على يوشع لاجله ان تعرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب أليس،  
 « هو البيت الذي أمر الله موسى ان يأمر قومه باستيقاظه فلم يجبه الا رجلا وغضب عليهم لاجله فالقاهم في التيه،  
 « عقوبة للعصيان فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو اسرائيل وقد فضلهم على العالمين ووقفكم لما خذل،  
 « فيه من كان قبلكم من الامم الماضية وجع لاجله ككتمكم وكانت شتى وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى،  
 « فليم نكم ان الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهويتكم جندة وشرككم الملائكة المنزلون،  
 « على ما أهدبتم الى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما أمظتم عن طرفهم فيه من أدى،  
 « الشرك والتبليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن يستغفر لكم املاك السموات وتصلى عليكم الصلوات،  
 « المباركات فاحفظوا رحكم الله هذه الموهبة فيكم وأحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم،  
 « ومن اعتمد بعروته وانجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقري والتكول عن العدا،  
 « وخذوا في انتهاز الفرصه وازال ما بقى من الغصه وجاهدوا في الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسهم في رضاه،  
 « اذ جعلكم من خير عباداه وايا ان يستزلكم الشيطان وان ينداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر،  
 « بسيرتكم الحداد وبخيولكم الجياد وبجلادكم في مواط الجلال ولا والله ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز،  
 « حكيم واحذر اعباد الله بعد ان سرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزل وخصكم بهذا الفتح المبين وأعلق،  
 « أيديكم بحبله المتين ان تقتروا كبرامن مناهيه وان تأتوا عظيمامن معاصيه فتكولوا كالتى نقضت غزلها،  
 « من بعد قوة انكانا والذي آتيناها فانا نسلخ منها فاتبعه الشيطان فيمكن من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من،  
 « أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا والله ينصركم اذ تروا أيام الله يذكركم اشكر الله والله يزدكم،  
 « ويشرككم جسدوا في حسم الداء وقطع شافاة الأعداء وتطهير بقية الارض التي أغضبت الله ورسوله وأقطعوا،  
 « فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الايام بالساتر الاسلاميه والملة الحمديه الله أكبر ففتح الله ونصر غلب،  
 « الله وقهر أذل الله من كفر واعلموا رحكم الله ان هذه فرصة فانتزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فآخروا لها،  
 « وهمكم وأبرزوها وسيروا البها عزما تكم وجهزوها فالامور باواخرها والمكاسب بذخايرها فقد أظفركم الله بهذا،  
 « العدو والمخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضخى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى،  
 « وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اعانتنا الله وياكم على اتباع أوامره والازدجار برز واجره وأيدنا معشر،  
 « المسلمين ينصر من عنده إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده،

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة وقال بعد الدعاء للخليفة

« اللهم وأدم سلطاننا عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك الالامع،  
 « والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك الممانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان وقامع،

## كتاب (١١٢) الروضتين

عبد الصلبن صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس بأبالمظفر يوسف بن،  
 «أيوب محي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك راياته محيطة وأحسن عن الدين،  
 والحنيفي جزاه واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاه اللهم أبقي للاسلام مهجته ووق للايمان حوزته وانشر،  
 وفي المغرب والمشارك دعوته اللهم فكما فحنت على بده البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون وابتل المؤمنين،  
 «فافتح علي يده اداني الارض وأقاصيها وملكه صياصي الكفرة ونواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة الامر بها،  
 «ولاجاعة الافرقها ولا طائفة بعد طائفة الا لحقها بمن سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم اسمعهم،  
 «وأنفذ في المشارق والمغرب أمره ونهيه اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها وارجاء الممالك وكافها اللهم ذلل،  
 وبه معاطس الكفار وأرغم به أنوف النجار وانشر ذوائب ملكه على الامصار وأثب سرايا جنوده في سبل الاقطار،  
 «اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في بنيه وبني أيوب الملوك الميامين واشدد عضده ببقائهم،  
 «واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم اللهم كما أجريت علي يدي في الاسلام هذه الحسنة التي تبق على الايام وتخلد،  
 «على مر الشهور والاعوام فارزقه الملك الابدي الذي لا ينفذ في دار المتقين واجب دعاءه في قوله رب أوزعني،  
 «أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين،  
 ثم ماجرت العادة به

﴿فصل﴾ في المنبر قال العماد لما فحنتنا القدس أمر بتعمير المحراب وترخيمه وتكميل حسنه وتقيمه ووضع  
 منبر رسمي في أول يوم قضى به الفرض واحتيج بعد ذلك الى منبر حسن رائق بحسنة لائق وبجمله شائق وبكمله  
 فائق فذكر السلطان المنبر الذي أشاده الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله لميت المقدس قبل فتحه  
 بنيف وعشرين سنه وأودعه له من ذخائره عند الله حسنه فامر ان يكتب الى حلب ويطلب حمل وعمل على  
 ما أمر به وامثل فجاء كالروض النضير والوسى الخبير عديم النظير وكان من حديث احداثه ما اللهم الله نور الدين  
 رحمه الله لا ريبا خاطره اليه وانبعاته وقد أوقع في روعه من النور الفاضل من ينبوع ضلوعه ان البيت المقدس  
 بعده سيفتح وان صدور المسلمين المخرجة لاجله ستسرح وهومن أولياء الله الملهمين وعباده المحدثين المكرمين  
 وكان بحلب نجار يعرف بالاختربني من ضيعة تعرف باحتربني لم يلف له في براعته وضعته قرين فامر نور الدين  
 بعمل منبر لميت الله المقدس وقال له اجتمع دار تأتي بد على النعت المهندم والنحت المهندس فجمع الصناع وأحسن  
 الابداع وأتمه في سنين واستحق بحق احسانه التحسين والناس يقولون هذا أمر مستحيل وحكم ماله دليل وذكر  
 جميل وأجر جليل لو كان اليه سبيل وهيئات ان يعود القدس الى الاسلام ويقضى الاصباح فيه على الاظلام فان  
 الفرج عليه مستولون مستعلون وهم يكثرون على الايام ولا يقلون أما ما صفروا على اكرام اعمال حوران وقابلوا بالكفر  
 الايمان وقد أعجزوا ملوك الاسلام الى اليوم فما أصعب واتعب وقم الفوم ويقولون له قوة اليقين وعرف ان الله  
 كافل نصرة الدين اصبر وافلسر دذ الامة نبأ وهو كما قال الله تعالى ويصنع الفلك وكلامه عليه ملا ولم ينزل لنور  
 الدين في قلبه من الدين نور وأرتقوا للمتيقن ما نور أزهده العباد وأعبد الزهاد وهومن الاولياء الابرار والأتقياء  
 الاخيار وقد نظروا نور الفراسة ان الفتح قريب وان الله لدعائه ولو بعد فتحه مجيب . ويزيده قوة عزمه جدا وتمده  
 بحياء الحياة الربانية مدا قد ظهره الله من العيب وأطلعه على سر الغيب ونزهه من الرب لنقاء الجيب وشملت  
 الاسلام بعده مركته وختمت بافتتاح ملك صلاح الدين مملكته وهو الذي رباه ولباه وأحبه وحباه وهو الذي سن الفتح  
 وسنى الخيخ واتفق ان جامع حلب في الايام النورية احترق فاحتج الى منبر ينصب فنصب ذلك المنبر وحسن المنظر  
 وتولى حينئذ النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب المنبر في الرسم ومن رأى حلب الآن شاهد منه على مثال  
 المنبر القدسي الاحسان وما فتح السلطان القدس تقدم بحمله وصحبه في محراب الاقصى ففرق شمله وظهر سر الكرامه  
 في فوز الاسلام بالسلامه وتناصرت اللسان بالدعاء لنور الدين بالرحمة ولصلاح الدين بالنصرة والشعمة وقال العماد في  
 موضع آخر من كتاب البرق وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله في عهده عرف بنور فراسته فقع البيت  
 المقدس من بعده فامر في حلب بالتحاذ منبر للقدس تعب التجارون والصناع والمهندسون فيه سنين وابدعوا

في تركيبه الاحكام والتزيين وانفق في ابداع محاسنه وابداء مزاياه ألوفاً وكان اترديد النظر فيه على الايام ألوفاً وبقى ذلك المنبر بجامع حلب منصوباً سيفاً في صوان الحفظ مقروبا حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنذر النوري ونقل المنبر الى موضعه القدسي فعرفت بذلك كرامات نور الدين التي أشرق نورها بعده بسنين وكان من المحسنين الذين قال الله تعالى فيهم والله يحب المحسنين قلت وهذا الذي نسبته الى نور الدين رحمه الله من انه كرامة من كراماته لأثق بحله ومزاته من الدين وليبى بالبعيد من مثل ذلك وكان رحمه الله قد بدت له مخايل ذلك بما تسنى له من فتح البلاد الشاميه والمصريه وقهر العدو بين يديه مراراً وكان فتح القدس في هتته من أول ملكه فان لم يكن حصل له مباشرة فقد حصل له تسبياً فان الفاتحين له رحمهم الله بنوا على ما أسسه لهم من الملك والتدبير وهم أمراءؤه واتباعه واجناده واشياعه ثم يحتمل ان يكون رحمه الله وقف على ما ذكره أبو الحكم بن برجان الاندلسي في تفسيره فانه أخبر عن فتح القدس في السنة التي فني فيها وعمر نور الدين اذ ذاك احدى عشر سنة وقد رأيت ابا ذلك في كتابه ذكر في تفسير أول سورة الروم ان البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وثمانين وأربعمائة وأشار انه يبقى بأيديهم الى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة فال ونحو في عام اثنتين وعشرين وخمسمائة فلم يستبعد نور الدين رحمه الله لما وقف عليه ان يمتد عمره اليه فهياً أسبابه حتى منبر الخطابة فيه تفر بالي الله تعالى بما يبديه من طاعته ويخفيه وهذا الذي ذكره أبو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الامة المرحومة وقد تكلم عليه شيخنا أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول فقال وقع في تفسير أبي الحكم الاندلسي في أول سورة الروم إخبار عن فتح البيت المقدس وانه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قال وقال لي بعض الفقهاء انه استخرج ذلك من فاتحة السورة قال فاحذت السورة وكشفت عن ذلك فلم أراه أخذ ذلك من الحروف وانما أخذه فيما زعم من قوله تعالى غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيعلوون في بضع سنين فبني الامر على التاريخ كما يفعل المنجمون ثم ذكر انهم يغلبون في سنة كذا ويغلب في سنة كذا على ما تمتضيه دوائر التقدير قال وهذه نجامة وافقت اصابعه ان صح انه قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه وليس ذلك بما أخذ من الحروف ولا هو من قبيل الكرامات أيضاً فان الكرامة لا تكتسب بحساب ولا تفتقر الى تاريخ ولذلك لم يوافق الصواب لما ادار الحساب على القراءة الاخرى الشاذة التي هي بفتح العين من غلبت الروم ويوضح ذلك انه قال في سورة القدر لو علم الوقت الذي أنزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي رفع فيه

**(فصل)** قال العماد وأما الصخرة المقدسة فان الفرنج كانوا بنوا عليها كنيسة وأعادوا رسومها القديمة دريسه وستروها بالابنية وعوّجوا أوضاعها زعم التسويه وكسوها صورا هي أشنع من التعريه وملئوها بتصارييف التصاور ونبشوا في ترخيمها اشباه الخنازير وجعلوا المذبح لها مذبحاً ولبيت كوافها الايدي المتبركة وللالمعون المدركة ملمسا ولا مطعماً وقد زينوها بالصور وأنتمائل وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل وكلوا بها أسباب التعظيم والتجيس وافرذوا فيها موضع القدم قبة صغيرة مذهبه بأعدة الرخام منصبه وقالوا محل قدم المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح وكان فيها صورا الانعام منبثة في الرخام والصخرة المقصودة المزورة بما عليها من الابنية مستوره وبذلك الكنيسة المعجورة مخمورة فامر السلطان بكشف نقابها ورفع حجابها وحسر لثامها وقشر رخامها ورحض وضرها ونقض ابنيتهـ واونقل حجرها وبرزها للزائرين واطهارها للناظرين فبانت من الشين وبانت للعين وحببت بالقبل وفديت بالمقل فعادت كما كانت في الزمن القديم شهدت حين شوهدت بحسبها الكريم وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها قد أساء الكفر في بنجها فظهرت الآن أحسن ظهور وسفرت أبين سفور وأشرق القناديل من فوقها نورا على نور وعلمت عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء بها الى كل يوم في مزيد قال وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعة وجعلوا منها الى قسطنطينيه ونقلوا منها الى صقلية وقيل باعوها بوزنها ذهباً واتخذوا ذلك مكتسباً ولما ظهرت ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما بانت مقاطعها فهي الآن مبرزة للمعون بجزءها باقية على الايام بعزها مصونة لاسلام في حذرهما وجزءها وقال في البرق ولما ظهرت الصخرة وجدناها وقد أبقت لها النوائب خروزا وأودعت ضميرها من شر أهل الكفر شر امر موزا فان

الفرنج تقولوا منها الى بلادهم قطعوا وأبدعوا فيها دينا حتى قيل انها بيعت بوزنها ذهباً وأفضى الامر بها ان يكون حجرها متنبها فغطاها بعض ملوكهم اشفافا عليها لئلا تمتد يد ضيم اليها فابقت خروزها في القلوب خزازات وسار حديث حادتها في الافاق بروايات واجازات وتولوا لها بعد ذلك القبة ضياء الدين عيسى فصانها بشبابيك من حديد وثبت أركانها بكل تسديد وقال في الفتح ورتب السلطان في قبة الصخرة تاما ما حسنا ووقف عليها دارا وأرضا ويستانا وحل اليها والى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختامات وربعات من الخشب لا تزال بين أيدي الزائرین علی كراسيها مرفوعة وعلى أسرتها موضوعه ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامة قومة من العارفين العاكفين القائمين بالعبادة الواقفين فأبهرهم ليها وقد حضرت الجموع وزهرت الشموع وبان الخشوع ودان الخضوع ودرت من المتقين الدموع واقشعرت من العارفين الضلوع فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره وكل أسعث أغبر لا يوبة له لو أقسم على الله لأبره وهناك كل من يحيي الليل ويقومه ويسمو بالحق ويسومه وهناك كل من يختم القرآن ويرتلها ويطرد الشيطان ويبطله ومن عرفته لمعرفته الاسحار ومن الفته لتمجده الاوراد والافكار وما أسعد نهارها حين يستقبل الملائكة نزوارها ولحق الشمس أنوارها وتجل القلوب اليها أسرارها فالوتنافس ملوك بني أيوب فيما يؤثرونه بها من الآثار الحسنه وفيما يجمع لهم وذا القلوب وشكر الاسنه فنامهم الامن أجمل وأحسن وفعل ما أمكن وجلى وبين وحلى وزين وأتى العادل أنوبكر بكل صنع بكر وتقى الدين عمر بكل ماعم وعمر ومن جملة أفعاله المشكوره ومكر مائد المشكوره انه حضر يوما في قبة الصخرة ومعه من ماء الورد اجمال ولاجل الصدقة والرفد مال فانتزح فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراض ثم غسلها بالماء مرارا حتى تظهرت ثم اتبع الماء بماء الورد صبيا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل جدرانها ثم أتى بمجامر الطيب فتجذرت وتضوعت ثم فرق ذلك المال فيها على ذوى الاستحقاق وافخر انفاق الكرام بالانفاق وجاء الملك الافضل نور الدين على بكل نور جلى وكرم ملى وبسط بها الصنيعه وفرش فيها البسط الرفيعه وسيأتى ذكر ما اعتمده من بناء أسوار القدس وحفر خنادقه وأبجز بما أعجب من سوابق معرفه ولواحقه وأما الملك العزيز عثمان فانه لما عاد الى مصر ترك خزائنه سلاحه بالقدس كلها ولم يربعد حصونها به قلها وكانت اجمالا بأموال واثقالا كجبال وذخائر وافيته وعددا وواقية وكان من جملة ما شرط على الفرنج أن يتركوا لنا خيلهم وعدتهم فتوفرت بذلك عدد البلد واستغنى به عما يصل من المدد قال وأما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقيم به الى الولى قرب السلطان له اماما ومؤذنين وقواما وهو مشابه الصالحين ومزار العادين والرائحين فأحياء وجدده ونهج لقاصديه جددته وأمر بعمارة جميع المساجد وصون المشاهد واتجاح المقاصد واصفاء الموارد للقاصد والوارد وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام وكان يتنابها فيهما الانام وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون واجناحه على بابها مخيمون وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء والاكابر الابرار والانتقاء الاخيار في أن يبنى مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطا للصالحاء الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حته عند باب اسباط وعين دار البطريرك وهى بقرب كنيسة قمامة للرباط ووقف عليها وقفوا واسدى بذلك الى الطائفتين معروفًا وارتاد أيضا مدارس للطوائف ليضيفها الى ما أولاها من العوارف

(فصل) قال في البرق وشرع الفرنج في اخلاء البيوت وبيع ما دخره من الاثاث والقوت وامهالوا حتى باعوا بأرخص الاثمان وكان خروجهم شبيها بالجمان لاسيما ما تعذر لثقله نقله وصعب حمله وكانوا كما قال الله تعالى (كم تركوا من جنات وعمون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين) فباعوا ما تميلهم على البيع اخر اجره رخيصا وابقوا ما لم يجدوا من تركه محبسا وغلبوا على ما في الدور من الماعون والمذخور أما الصناديق والاشخاب والرخام وما يجرى مجراها مما توفرت منه الانواع والاقسام فانها بقيت بحالها متروكة ولمن يسكن تلك الاماكن مملوكة وكانت قاعة وهى كنيسة العظمى ومتعبد لهم الذى يجعون به الدين والدنيا مفروشة بالبسط الرفاع مكسوة بالسطور النسيج والحرير المزوج من سائر الانواع والذى يذكرون انه قبر عيسى



عليه السلام محلي بصفايح الفضة والعين ومصوغات الذهب واللين مصفح بالنضار مثقل من نفائس الحلي بالاقار فأعاده البطرك منه عاطلا وترك دطلا مائلا فقلت للسلطان هؤلاء إنما أخذوا الامان على أموالهم فما بال هذا المال وهو بأوفى بحملونه في أثناهم فقال هم ما يعرفون هذا التأويل وينسبون اليه ما لم يأتوا به ويقولون انهم لم يحفظوا العهد ولم يلحظوا العقد ونحن نجريهم على ظاهر الامان ونعزيمهم بذكر محاسن الايمان وكانت المهلة انه من عجز بعد أربعين يوما عن اداء ما عليه من القطيعه ضرب عليه الرق بحكم الشريطة ووقف الشريعة فتولاهم الثواب بعد خروجنا من القدس وبقي منهم من ضرب عليه الرق خمسة عشر ألفا في الحبس فمترقهم السلطان وتناهبهم البلدان وحصل لي منهم سببا يانسوان وصبيان وذلك بعد ان وفي ابن بارزان بالضمان وادى ثلاثين ألف دينار واخرج من ذكرانه فقير بحسب الامكان وكانوا تقدير ثمانية عشر ألفا واعتقد انه لم يبق غير فقير وبقي بعد ادائه على ما ذكرناه كثير وأما النصارى الساكنون بالقدس فانهم بذلوا مع القطيعه الجزية لبسكتوا ولا يزججوا ويؤمنوا ولا يخرجوا فأقروا وبوساطة الفقيه عيسى وأقر من قسوس النصارى أربعة قوام لقمامه فاعفاهم ولم يكفهم الغرامه وأقام بمدينة القدس وأعمالها منهم الوف نشعروا وعمرها وعترشوا وغرَسوا ظلم منها مجان وقطوف وكانت لامراء الفرنج ومقدمهم مجاوره للصخرة وعند باب الرحمة مقبره وقياب معمره فعفينا آثارها ورحضنا أوصارها وقال في الصلح وأمر السلطان باغلاق كنيسة قمامه وحترم على النصارى زيارتها ولا إمامه وتقاوض الناس عنده فيها فنهض من أشار بهدم مبانيها وتغفية آثارها وتعمية نهج مزارها وقالوا اذا هدمت ونشبت المقبرة وعفيت وخربت أرضها ودمر طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار وانحسرت عن قصدها مواد اطاع أهل النار ومهما استمرت العماره استمرت الزياره وقال أكثر الناس لا فائدة في هدمها وهدها فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء ولا يقطع عنها قصدا جناس النصرانية ولونسفت أرضها في السماء ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان ولم يأمر بهدم البنيان قال وأقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بهر بها من حصون واستباح كل ما لكفر بها من مصون ثم عمد إلى ما جمعه ففترقه واخرجه في ذوى الاستحقاق وانفق به فأكثر وأعدله على بذله واستكثر واما افاضه بفضلته فقال كيف امنع الحق مستحقه وهذا الذى أنفق هو الذى أنقيه واداق به منى المستحق فالمنته على فيه فانه يخلصنى من الامانة وبطلمنى من وثاقتها فان الذى في يدي ودبعة احفظها لذوى استحقاقها وقبيل له لو اذخر هذا المال للمال فقال املى قوى من الله الكافل بفتح الآمال وجمع الاسراء المطلقين وكانوا الوفا من المسلمين فكساهم وأساهم وواساهم وادهب أساهم فانطلق كل منهم الى وطنه ووطره ناجيا من ضره وضرره وقال في البرق سمعت الملك العادل يوما في اثناء حديثه في ناديه وهو يجرى ذكر افراط السلطان في أياديه يقول انى توليت استيفاء قطيعه القدس فأنفذت له ليلة سبعين ألف دينار فجاء في خازنه بكرة وقال نريد اليوم ما نخرجه في الانفاق فما عندنا ما كان بالامس شيء باقى فنفذت له ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال ففترقه على رجال الرجايد النوال

(فصل) قال العماد للكم أبى الفضل قصائد قدسيات طوال كبيرة الفوائد قلت قد وقفت على بعضها وتقدم قبل ذلك ان قال لم أزل من أول ما ولى الملك الناصر الامر في مصر اعلم أنه مؤيد بعناية من الله سبحانه فامتدحته في سنة خمس وستين بقصيدة تنيف على مائة بيت منها في التباشير

لتظفرن بما لم يحس به مملك \* أبالماظفر حظا خطه الازل  
دليل ذلك آراءك اقترنت \* بالحزم والعزم لم يخص بها الاول

وفيها

قد ساد اسكندر أهل الزمان معا \* في سن عشرين وامتدت له الحيل  
وإلى الثلاثين والاقطار أجمعها \* طوعه وملكه الارض والممل

قال ومدحته سنة سبع وستين عند قفوله من غزاة غزة بقصيدة منها



## كتاب ( ١١٦ ) الروشتين

أبا المظفر فاهناً حظ منتخب \* أخرى الزمان لدين كادي بن بستر  
 زهدت في ماسبي الاملاك منكذرا \* علما بملك نعيم مابه كدر  
 وطبت نفسا عن الدنيا وزخرفها \* وجئت تقدم حيث الهول والخطر  
 قال وسدحته سنة ثمان وستين بقصيدة تنيف أيضا على مائة بيت منها في التبشير

أرى الراية الصفراء يرمي اصطفاؤها \* بني اصفر بالرافعات الله اذم  
 فتسبي فلسطينا وتجبى جزائرا \* وتملك من يونان ارض الاساحم  
 وتعنوها الاملاك شرقا ومغربا \* بذحكمت حذاق أهل الملاحم  
 قال وبعثت اليه في غزوة سنة اثنتين وثمانين وهو على حصن بقصيدة هنأته فيها بالعافية منها

فيما ملكت كالم يبق للدين غديره \* وهت عمدا لاسلام فاشدد لهادعا  
 فشوم فريق الشرك في الشام طائر \* فقص جناحيه باقصى القوى قصما  
 خصصت بتمكين فم العداردى \* فانهم يا جوج افرغ بهار دما  
 اذا صفرت من آل الاصفر ساحة الـ \* مقدس ضاهت فبح أم القرى قدما  
 فذا المسجد الاقصى وهمتك العلى \* وعزمتك القصوى ورميتك الصمى  
 فها هو الان تمهم وقد أتت \* فتوح كما فاض الخضم الذى طما  
 وان أنت لم ترد الفرنج بوقعة \* فن ذا الذى يقوى لبنيانها دما  
 وما كل حين تمكن المرء فرصة \* ولا كل حال أمكنت تقتضى غنا  
 وليس كفتح القدس منية قادر \* وما ان تلقاها سوى يوسف جزما  
 قال وأنشأت قصيدة أخرى في سنة اثنتين وثمانين وحضرت بها بين يديه منها

الله أكبر أرض القدس قد صفرت \* من آل الاصفر اذ حين به حانوا  
 أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم \* من غديرته بها سلوى وامنان  
 لهم فلسطين ان يخرج عداتهم \* عنها والاعدت ييض وخرصان  
 حتى نيت رجاج ان قدس منفرجا \* ويصعد الصخرة الغراء عثمان  
 واستقبل الناصر المحراب يعيد من \* قد تم من وعدة ففتح وامكان  
 وجاز بعض بنيهم البحر تجفل من \* غارانه الروم والصقلا بواللان  
 حتى يوحد أهل الشرك فاطمة \* ويرهب القول بالنالوث رهبان  
 ولا بن أيوب في الافرنج ملحمة \* دلت عليها أساطير وحسيان  
 ومن أحق بملك بالارض من ملك \* كانه ملك في الخلق حنان  
 ثم قال وأما القصيدة الناصرية فأولها

في باطن الغيب ما لا تدرك الفكر \* فذو البصيرة في الاحداث يعتبر  
 ما نى أرى ملك الافرنج في قفص \* أين القواضب والعسالة السمر  
 والاسبتار الى الدواية التأموا \* كأنهم سديا جوج اذا استبحروا  
 والنفس مولعة عجايب سيرتها \* وفي المقادير ما تسلى به السير  
 يا وقعة التل ما أبقيت من عجب \* حشافل لم يفت من جمعها سير  
 ويأخى السبت مالم يقوم قدس بتوا \* تهود وأم بكأس الطعن قدسكروا  
 ويأخرى شعيب ما لهم جموا \* كمدن أم اقوا رجفا بما كفروا  
 حطوا بحطين ملكا كافيا عجا \* في ساعة زال ذال الملك والقدر  
 أهوى اليهم صلاح الدين مفرسا \* وهو الغضنفر اعدى ظفرو الظفر

## في أخبار (١١٧) الدولتين

أملى عليهم فصاروا وسط كفته \* كسرب طير حواها القانص الذكر  
 وأنجز الله للسلطان موعده \* ونذره في كفو دينه البطر  
 وعاب الملك الأبرس في دمه \* فبات حيارجي وهو يعتذر  
 رأى ملكاً مالوك الأرض تتبعه \* والنجم يخدمه والشمس والقمر  
 إذا بدأتهم ر الأعيان هيبتهم \* ويختم في وهو في الأذهان مشتهر  
 تقدم الجيمل في أخرى الزمان به \* على صدورهم لا من قبلنا صدوروا  
 أمارأيتم فتوح القادسية في \* اكفاف لويصة تجلي وذاعمر  
 والحق يعمرس والطغيان منتحب \* والكفر يطمس والإيمان مزدهر  
 هذا المليك الذي بشرى النبي به \* في فتنة البغي للاسلام ينتصر  
 أنبى ملاحم ذي القرنين واعترفت \* له الرواة بما لم ينسبه أنسر  
 أعين اسمكندر بالخضر وهوله \* عون من الله يستغني به الخضر  
 وصنع دى العرش ابداع بلا سبب \* فلا تقل كيف هذا الحادث الخطر  
 يناسباياه تجلي في دمشق إذا \* ملك الفخر نجح مع الأتراك محجبر  
 ازاء زعماء الساحلين معاً \* مصفدين بجبل القهر قد أسروا  
 يتلوهم صلبوت سيق منتكسا \* وحوله كل قسيس له زبر  
 ونحن في ذا وذا طير صحيفته \* بفتح عكا التي سدت بها الثغر  
 تغزوا أساطيلنا منها صقلية \* فتذعر الروم والحق لا بل والخضر  
 من ذا يقول لعلى القدس منفتح \* اليك بل سفير يعقوب له السفر  
 أبوا المظفر ينويها خفسنا \* من باب عكا الى طرطوش تنتشر  
 يسبي فرنجية من أقطارها وله \* مع المجوس حروب قد حدها سعر  
 وبعض أنبائه بالقدس منتدب \* وبعضهم رومة الكبرى له وطر  
 براية تخرق الأرض الكبيرة في \* جمع تقول له الأجسام لا وزر  
 فالوا أطلت مديحاً فيه قلت كما \* بدأت فالصبل للحموب مذكر  
 وأما القصائد القدسيات التي له فمنها الثائية له وقد تقدم ذكرها ومنها القدسية الكبرى عددها مائة وأثنان وخمسون بيتاً أولها

تصاريف دهر اعربت لمن اهتدى \* وبسطه أمر اغربت من تمردا  
 لمرعة فتح القدس سر مغيب \* وفي صرعة الافرنج معتبر بدا  
 أتوا كبحال ابرمت لاسارنا \* فسقناهم فيها قطينا مجددا  
 وساموا تجاراتش ترينا غواليا \* فبعناهم بالرخص جهرا على النداء  
 وجروا جيوشا كالسيول على الصوا \* فأضت غنائ في البطاح مجددا  
 وقالوا مالوك الأرض طوع قيادنا \* اذا الكل منهم في القيود معبدا  
 وقد أقطع الكند العراق موقعا \* فأودع سجننا وسط جلق مؤصدا  
 وأقسم أن بسقي بدجلة خيله \* فأورد الارث الامصفدا  
 فكم وائق خجلان قهقهه خصمه \* وكم سائق مجلان قهقرمة عدا  
 اتى الكند من اسبان يحمي قمامة \* فكان تقضي ملكه قبل يتبدى  
 فناعقد الرايات الاحلال \* ولا حلل الرايات الامعقدا  
 ووقعه يوم التل اذا قبضت به \* جبارة الافرنج حبرى وشردا

## كتاب ( ١١٨ ) الروضتين

عليهم من البلوى سرادق ذلة \* ومن ذل ماتت نفسه فقتلها  
 ترى المنسر الديوى يلقى سلاحه \* وينساق ما بين السبايا ملهدا  
 يباعون اسرا باشرائح احبـل \* كشلة عصفور من الريش جردا  
 قتل في نصارى جلق في ماء تم \* يسرونها الاشجى وتنهدا  
 ألم تر للسلطان صدق نذره \* دم الغادر الابرنس فاقتيدار بدا  
 وباشره بالقتل وسط جنابه \* وعينه الكند المليك فارعدا  
 وضاق بنفس القمص الارض مهربا \* فادركه الموت المفاجىء مكدا  
 وما طرقت الاسماع من عهد آدم \* كلحمة التل التى تلت العدا  
 أتوا واديا مازال ينفى خبائثا \* ويصفى بعقبى الدار طائفة الهدى  
 به جمعت أصحاب ليكة وهى فى \* ذراه وذا فيه شعيب تأيدا  
 أرى الله فيه معجز النصر مخلصا \* لامر صلاح الدين فى الناس محمدا  
 واعدى جنود الرعب يردى عداته \* وسلم جميع المسلمين مجندا  
 ومن عجب خمسون ألف مقاتل \* سبتهم جيوش ليس فيها من ارتدى

والرشيد بن بدر النابلسي

هذا الذى كانت الآمال تنتظر \* فليوف الله أقوام بما نذروا  
 بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت \* فى سالف الدهر أخبأ رولا سير  
 حين بهان هلك المشركين فيما \* لله طيب العشايا منه والبكر  
 الآن قرت جنوب فى مضاجعها \* ونام من لم يزل حلفاله السهر  
 يا بهجة القدس اذ انجى به علم السلام من بعد طي وهو منتشر  
 يا نور مسجده الاقصى وقد رفعت \* بعد الصليب به الايات والسور  
 شتان ما بين ناقوس يدان به \* وبين ذى منطوق يصغى له الحجر  
 الله أكبر صون تقسعر له \* شم الذرى وتكاد الارض تنفطر  
 يا مالكا الارض مهدها فما أحد \* سواك من قائم للهدى ينتظر  
 ما اخضر هذا الطراز الساحلى ثمرا \* الالاعلو به اعلامك الصفر  
 أخشى بنو الاصفر الانكاس موعظة \* فيها الاعدائك الايات والنذر  
 صاروا حديثا وكانوا قبل حادثة \* على الورى يتقيها البدو والحضر  
 سلبتهم دولة الدنيا وعيشتها \* حتى لقد ضجرت من وفدهم سقر  
 هذا الذى سلب الافرنج دولتهم \* وملكهم ياملك الارض فاعتبروا  
 مراكرما اختطهاها الخوف مذمئة \* عاما ولا ريع أهلوها ولا ذعروا  
 ولا أصرح باسماء البلاد فقد \* أسهبت والقائل المنطوق يختصر  
 يغنيك اجمال قولى عن مفصله \* فى لفظة البحر معنى تحته الدور

وهى طويلة وله من قصيدة أخرى

المم بدار الناصر الملك الذى \* فى كفه الجود سبعة أبحر  
 فاذا مررت بملكه وفتوحه \* فما سخر بما يروى عن الاسكندر  
 واذا بصرت بحاشه وبجيشه \* فاحث التراب على ذؤابة سخر

وللشهاب فتيان الشاغورى من قصيدة

كسرت على كسرى اعدك دولة \* قصرت مهابتها تطاول قيصر

## في اخبار (١١٩) الدولتين

اهدى صلاح الدين للاسلام اذ \* أدى قبيل الكفر ما لم يكفر  
رب الملاحم لم يؤثر خ مالمها العلماء قدما في قديم العصر  
خلعت عليه خلعة الملك التي \* زدت بهارا بالطرار الاخضر  
راياته صفرا تؤود وتنثني \* حمراتج نجيع آل الاصفر  
لم تذن شوس الملوكة له وقد \* ملك السواحل في ثلاثة أشهر  
واستنقذ البيت المقدس عنوة \* من كل ذي نجس بكل مطهر  
وأريتهم لما التقى الجمعان بالبيت المقدس هول يوم المحشر  
وردت دين الله بعد قطوبه \* بالمسجد الاقصى بوجه مسفر  
واعدت ما أبداه قبلك فاتحها \* عمر فانت شريكه في المنيبر  
حتى جمعت لعشر الاسلام بين الصخرة العظمى وبين المشعر  
فلصخرة البيت المقدس كفوها السجج المنفضل عند افضل معشر  
فكأنه انسان عين صورة \* يلقاك اسودده بمعنى أنور

**(فصل)** في حصار صور وفتح هونين وغير ذلك قال العماد ثمان السلطان ما زال مقبلا بظاهر القدس يحقق  
الآمال ويفرق الأموال حتى وردت كتب سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وكان نائب السلطان بصيد او بيروت  
وهما مجاورتان لصور فكتب يحرض السلطان على حصار صور فرحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس  
والعشرين من شعبان وأخذ صوب عكا وسبقه اليها الافضل وتقي الدين وودع السلطان ولده العزيز وورده الى مصر  
فكان آخر عهده به واستعجب السلطان أخاه العادل فوصل الى عكا مستهل رمضان فاصلح من شأنها ثم رحل فتنزل  
على صور يوم الجمعة تاسع رمضان وخيم بازاء السور بعيد امنه على النهر ومعظم البلد في البحر وهي مدينة حصينة  
متوسطة في البحر كانها سفينة وكان المركب الذي في صور قد حفر لها خندقا من البحر الى البحر وبني بواسيره  
واحكم في التعمير تدبيره واستظهر بتكثير العدد والعدد واغتنم اشتغال السلطان بفتح القدس فاقام السلطان بتلك  
المنزلة على صور ثلاثة عشر يوما حتى تلاحت الامداد وكثرت العدد وآلات الجهاد وربت المنجنيقات ثم حوّل  
السلطان مضاربه الى تل قريب من السور بشرف منه ثم حاصرهم وقابل كلا من الملوكة بجانب يكفيه منهم الافضل  
والعادل وتقي الدين في حصارهم ووضايقوهم ووصل في تلك الايام من حلب الملك الظاهر غازي ولد السلطان بعسكره  
الحلبى فاستظهر السلطان به واستمد على الاسطول المصرى وكان بعكاجه منه عشرة شوانى وكان للفرنج في البحر  
مراكب وحراريق وفيها رماة الجربوخ والزبور كات برمون من دمان البحر فلما جاء اسطول السلطان استطل عليها  
وأبعدها فاحاط بهم المسلمون وقتلواهم برا وبحرا فبينما هم في أحلى ظفر وهائنا ورد وصدرا ذلك الفرنج خمسة من  
شوانى المسلمين وأسروا مقدميها ورئيسها عبد السلام المغربي ومتولي بهدران الفارسي وألقى جماعة أنفسهم في البحر  
من ناج وهالك وذلك أنهم سهروا تلك الليلة بازاء ميناء صور الى السحر ثم غلبهم النوم فانتبهوا الا والفرنج قدر كتبهم  
ونكتبهم فاصبح المسلمون وقد انتلموا وأتاهم من الامر ما لم يعلموا ونفذ السلطان الى المراكب الباقية ان يسيروا الى  
بيروت وخاف عليها لقلتها ان يستولى عليها عبدة الطاغوت ففجأ منها شينى رئيس جبيل والباقون نظروا الى الفرنج  
ورآهم فالتقوا أنفسهم في الماء وخرجوا الى البر على وجوههم ثم ان الفرنج بعد هذا طمعت فخرجت يوما وقت العصر  
مستعدة للقتال فالتقاهم المسلمون فكانت الدائرة على الكافرين وأسروا مقدم كبير لهم وظن انه المركب فسلمه  
السلطان الى ولده الظاهر ليحفظه فضرب عنقه وكان الليل قد دخل فلما أصبح جواتين لهم ان المركب يعودى الحياة  
فطال حصاره حتى شجر كثير من أمراء المسلمين لانهم رأوا ما لم يأفوه من تعسر الفتح عليهم فاشاروا على السلطان  
بالرحيل لثلاثين الرجل وتقل الأموال وكان البر قد اشتد عليهم وكان رأى السلطان والاقية من الامراء  
كالقفيه عيسى وحسام الدين طمان وعز الدين جرديك النورى الثابت الجنان الى الفتح لثلاثين مائة من  
الاعمال وانفاق الأموال وقال السلطان قد هدمنا السور وقاربنا الامور فاصبروا وتفلحوا وصابروا وتفحوا ولا تجعلوا

فاظهر والموافقة وفي أنفسهم ما فيها فلم يصدتوا القتال وتعللوا بان الرجال جرحي والوفات قد قلت فلم يسع السلطان بعد ذلك الا الرحيل فامر بنقل الاثقال فحمل بعضها الى صيدا وبورت وأحرق الباقي لئلا يناله العدو ورحل في آخر شوال وهو أول يوم من كانون الأول وسارت في الدين الى دمشق على طريق هونين واستحب معه عساكر الشرق وديار بكر والموصل والجزيرة وسنجار وماردين ورحل السلطان الى عكا فوصلها في ثلاث مراحل لانه سلك طريق الناقورة وهي طريق ضيقة مطلة على البحر بها يضرب المثل لا يعبر بها الا جمل جمل فعبرت بها الاثقال والاجال في اسبوع وكان عشرين يوم رحيله من صوراًمرء يقيمون عليها الى ان يعرفوا عبور الثقل وخيم السلطان عند التل وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب وبدر الدين دلدردم البازوقى الى بلاده قال وفي مدة رحيله السلطان عن صور جاءه خبر سيف الدين محمود أخی عز الدين جاولي انه استشهد في عفر بلا تحت حصن كوكب كبسه الفرنج فيها البلا وذلك انه كان قد بقي على السلطان بعد ما فتح من بلاد العدو من جملة اعمال طبرية والغور حصناً صفاً وكوكب وكان في صفاً جهره الداوية وفي كوكب جهره الاستباريه فاحتاج السلطان في فتحهما الى المطاولة فوكل بصفه جماعة يعرفون بالناصرية مقدمتهم مسعود الصلتي ووكل بكوكب هذا الامير سيف الدين محمود اقام في حصن عفر بلا وهو قريب من حصن كوكب ونغص على المقيمين فيه المظعم والمشرى وضيق عليهم المذهب الى ان دخل الشتاء فاختلت الحراسه واعتلت السياسه فلما كانت ليلة آخر شوال وكانت ليلة باردة ما طره حرس أصحاب سيف الدين حتى ضجروا فغلبهم النعاس فاستيقظوا الاوفرنج كوكب عليهم باركه قد افعلوا عن أنفسهم حتى استشهدوا وأخذ الفرنج غنمية المسلمين ودخلوا بها كوكب وكان هذا الامير محمود ادين متين ومكان من النسك مكين وهو يسهر أكثر ليله منه سجداً وقد جعل منزله مسجداً فجمع بين التهجذ والجهاد وكان كثير الاجتهاد فاغتم السلطان بمصابه وزاد تألماً الى مابه وتقدم الى صارم ادين فايمار النجمي ان رباط كوكب في خمسمائة فارس ففعل ولم يزل بها الى ان فتحت كما سيأتي قال وفتحت هونين والسلطان محاصر صور وكان لما فتح تبين قد امتنعت عليه هونين فوكل بها من رباطها وواضيقها حتى طلبوا الامان وجاء خبرها الى السلطان وهو على صور فنفذ الامير بدر الدين دلدردم ففتحها وخرج الفرنج منها سالمين آمنين وكان قد بقي أيضاً من عمل صيدا قلعة ابي الحسن وشقيف ارنون وأقام السلطان بظاهر عكا ناظر افي أمور رعيته ثم دخلها وسكن بالقلعة الافضل برج الداوية وولى عكا عز الدين جرديك ووقف دار الاستبار نصفين نصفاً على الفقهاء ونصفاً على الصوفيه ووقف دار الاسقف بمارستانا ووقف على كل من ذلك كفايته وأظهر به عنايته وسلم جميع ذلك الى فاضلها جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب وهو في ذلك مصيب

**(فصل)** في ورود رسل التهاني من الاتاق وقدم الرسول العاتب من العراق قال العماد ووردت رسل الاتاق من الروم وخراسان والعراق وكلهم يئى السلطان بما أفرده الله به من الفضيله وأقدره عليه من نجمع الوسيله وهو فتح القدس الذي درجت على حسرته القرون الاولى وتناصرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولى فقامهم الامن يعترف بهنمه ويعترف من يمه ويقرب بحكم التنزيل له ويتزل على حكمه ويخطب بصداقته ويتقرب بالوفاء والوفاق ويتباعد عن الشقاء والشقاق فنجلتهم رسول صاحب الرى ورسول المستولى على ممالك همدان واذربجان وازان فامن يوم بعضى وشهر يقضى الاو يصل منهم رسول ويتصل به سول وذكر العماد في السبق انه وصل الى السلطان وهو بعكار سول أتاك مظفر الدين قزل ارسلان وهو عثمان بن أتاك ايلدرك المستولى على بلاد النجم بعد أخيه البهلوان ثم ذكر من خرقه في كرمه شيئاً كثيراً ثم قال وهذا كله لا يكون في بحر سلطاننا جرد ولا كان السلطان مذهب المذهب ظاهراً المحفل والموكب قد خصه الله بالصدرا الارحب والنصر الاغلب عزمه الى الجهاد مصروف وخلقه بالمعروف معروف وهم بالسماح مشغوف ما يفقه بالسيف في البلاد يهيمه لمن يضرب معه بالسيف في الجهاد وللخالق تقواه وللخالقين جدواه وانما يريد لآخرة ديناه فلا جرم نحت الله بالحسنى عقباه قال ولم يكن في الملوك السالفة أمضى منه عزماً وأجدى فضلاً وأعم جدوى واكمل جهداً في الجهاد واملك جلداً على الجسلاد فانه باشر بنفسه الحرب ومارس الصعب وقذف بالحق حين حققه على

## في أخبار (١٢١) الدولتين

الباطل فازه فقهه ولا حد ولا عدل في سبيل الله من نفائس النفوس والاموال انفقته ومن أول هذا العام الى منتهاه لم يخف لورده لبد ولم ينضب من ورده عد ولم يقر له جنب بل لقي في فصل القيض والقر مض الحروعض البرد بحر وجهه الكريم وقضى حق الدين موفيا بصدق غرامه حتى الغريم وكل ماتم من النصر يوم حطين وفتح القدس وتسلم بلاد الساحل انما تسنى بشهر سيقه في فصل الصيف وشهوره واسم تظهاره بظهور الاسلام وشذ ظهوره وأنشد العمد للقاضي الفاضل في وصف أسيفه

ماضيات على الدوام دواحي \* هي في النصر نجدة الاسلام  
في بين السلطان ان جردتها \* أشبهتها صواعق في غمام  
تنثر الهام كالخروف فما أشبهه هذى السيوف بالاقلام  
في محارب حربه البيض صلت \* وركوع الظبي سجود الهام

وذ كر من كلامه في التوسط بين الاصدقاء (ما دخل بينكم الا كدخول المروء في الاجقان يرذ اليها ما ذهب منها من النور والغضب او كان نسيم بين الاغصان يعطف بعضها على بعض)

قال العماد ووصل أخى تاج الدين أبو بكر حامد من دار الخلافة برسالة في العتب على احداث ثقلت وأحاديث نقلت ووشايات أثرت وسعايات في السلطان شعنت وذلك في شوال ونحن على حصار صور وسبب ذلك انه لما تم الفتح الاكبر وخص وعم النجج الاظهر وقطع دابر المشركين وحط اقبال المسلمين أوزار ادبار الكفر بحطين أمرني السلطان بأفشاء كتب البشائر الى الآفاق وتقديم البشري به الى العراق فقلت هذا فتح كريم ومنع من الله عظيم فلا ينبغي ان يكون مبسردا بالخلافة بما أنزله الله علينا من الرحمة والرافة الامن هو عندنا أجل وأجلى وأعلم وأعلى وأجمع لقنون الفضائل وأعرف باداء الوسائل فلا يرفع العظم الا بالعظيم الرفيع فان الشرف يتضع شرفه بمقارنة الوضيع فقال هذه نصرة مبتكرة وموهبة مبشرة بدرت ونذرت فحنج نجلهم بأشيرا ونؤخر لاجلال كما ذكرت سفيرا وكان في الخدمة شاب بغدادى من الاجناد قد هاجر للاسترفاد وتوجه بعد وصوله وتنبه بعد دخوله فسأل في البشارة الى بغداد وزعم انه يدوم اليها الاغذاذ وشفع له جماعة من الاكابر حتى حظى بأشرف البشائر فقلت هذا لا يحصل له وقع ولا يصل اليه نفع والواجب ان يسير في مثل هذا الخطير خطير ويسفر في هذه النصرة الكبرى كبير ثم سار المندوب وشغلت عن ارسال سواء الفتوح والحروب ولما فتح البيت المقدس أرسل ببشارته نجاب ونفذها كتاب ووصل البشير الجندى فقروه وما قروه فانه كان عندهم منظورا بعين الاحتقار فنظروه بتلك العين وجبوه بما يليق به من النسق والوعين وتقم على السلطان ارسال مثله وتسج المندوب بكلام أخذ عليه وبدرب منه أحاديث نسبت اليه وقال في سكره وحالة تتركه مانع عن ذكره تخيل وموه وتسكروا تتركه وظن ان لكلامه أصلا وللقظه مناوصلا وانتهت الى العرض الاشرف مقالته وعلمت جهالاته وتجنى على السلطان بارساله وطرق الى هدايه ما انكره من مقال المذكور وضلاله ووجد الاعداء حينئذ الى السعاية طريقا وطلبوا الشمل استعانة بالخدمة تقريبا واختلقوا أضاليل ولفقوا أباطيل وقالوا هذا يزعم انه يقلب الدولة ويقلب الصولة وانه يبعث بالملك الناصر نعت الامام الناصر وبدل بماله من القوة والعساكر فاشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه وبرز الامر المطاع بارسال أخى وأنفاذه وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد تكمل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان أعياه هناك مطلع على الاسرار وهو منتظم في سلك الاولياء الابرار وعول عليه الديوان في السفاره ورد معه جواب البشاره وكتب له يذكره بموجبات مقاصد العتب ومكدرات موارد القرب والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنة والمعاتبة مع شدة اللعواطف الامامية لئنه فسار الاخ الى دمشق وكان قد عاد المندوب نادبا عاديا جاحدا للنعمة شاكا وقال أخوال العماد قد وصل بكل عتب وغضب ولفظ فظ ومعه الملامات المؤلمات فقلت له اسكت واصمت وقلت للسلطان سمعوا طاعة لامر الديوان فان اظهر اسر العتب لك من غاية الاحسان فقال نعم ما قلت ولما قرب أخى أصبحت لقدومه انخفى فأمر السلطان الامراء على مر انهم باستقباله وتقدم بحللة قدومه باجلاله وتلقاه الملوك الحاضرون العادل والمظفر والافضل والظاهر

## كتاب (١٢٢) الروضين

ثم ركب وتلقاه بنفسه وخصه من تربيته بأمنه ولم يزل حتى أراه مواضع الحصار ومصارع الكفار ثم نزل وأنزله بالقرب ثم أحضره وقد أدخل مجلده إلى وله وحده فأدى الامانة في مشافهته ووجه مقاصده في مواجهته وأحضر التذكرة وقد جعت المعرفة والتذكرة فقرأها عليه وكانت في الكتب غلظة عدت من الكاتب غلظه وخيلت سقطة وجلبت سخطه وقال ان الامام أجل من أن يأمر بهذه الالفاظ القضاظ والاسجاع الغلاظ فقد أمكن ايداع هذه المعاني في ارق منها لفظا وأرق وأوفى منها فضلا وأوفق معاذ الله أن يحبط عملي ويهبط أملی وامتعض وارتمض ثم اعرض عما عرض ورجع الى الاستعطاف والتجعب بارق الاستسعاغ وقال أما ما تمجله الاعداء وعدا به المتمحلون فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفه وذكر السلطان أياديه السالفه في الفتوحات واقامة الدعوة العباسية بمصر واليمن وازالة الادعية وابادة الاعداء وفتح البيت المقدس قال وأما النعت الذي أفكر ونسبه على موضع الخطاء فيه وذكر فهذا من عهد الامام المستضيء والآن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين من السمعة فانه اسمي لي من الذي هو اسمي وأشرف وأرفع واعرف وما عزمي الاستكمال الفتوح لأمير المؤمنين وقطع دابر المنافقين والمشركين ثم نذب مع أخى من سار في خدمته لزيارة القدس ثم ودعه واددعه من شفاهه كل ما في النفس وظورت بعد ذلك بالقبول آثار الرضى ومضى مامضى وكان جماعة من المملوك والامراء كالعادل ومظفر الدين قد ونحوه لما قيل في حقه وأرادوا ان بغضبوه فما غضب بل غاض غيظه ونضب وتلقى ذلك بصدر رحيب ولفظ مصيب قلت ووقفت على كتاب كتبه صاحب قوام الدين ابن زياده من الديوان العزيز بن بغداد الى السلطان صلاح الدين وكان قوام الدين يومئذ استاذ الدار العزيزة يقول فيه (لولا مكان صلاح الدين من الخدمة والشعبه والمنافسة فيه لما جوهرا بالعتاب ولا رفع دونه الحجاب بل كان يترك معه الامر على اختلاله ويدمل الجرح على اعتلاله وقد ذكرت الاسباب التي أخذها الديوان العزيز عليه واستغرب وقوعها من كماله ليو عيها سمعه الكريم ويستورى فيها رأيه الاصيل وينصف في استماعها والاجابة عنها غير عاجز على الجدل ولا مؤتم بما راء المذمومين عقلا وشرعا بل يحل قولي هذا على سبيل المحاضرة والانتصاح وصدق النية في رآب التناثي والاصلاح فان ابجار الدواء المقر لا يتهم فيه الطبيب المحتال لعافيه) ثم ذكر من تلك الامور (ان من اتنى من العراق بسبب من الاسباب لجأ الى صلاح الدين فوجد عنده الاقبال عليه وكان الادب يوجب ابعاد من ابعده عنه وتقرىب من قر به اليه) ثم قال (وان مما أضحك بشعر الاستعبار ما انتهى عن العوام واشباه الانعام وطعام الشام من الخوض في المذاهب والانتهاج في التشيع الى اختلاف كل كاذب ومنها ما جرى من سيف الاسلام بالجهاز من ازعاج الجحاج وارهاج تلك الفجاج والافدام على مناسك الله وشعائره وأيقاد سبيل الفتنة فيها ونواثره واحذاء السيرة الفاسطه واحياء بدع القرامطه ما نفر منه كل طبع ومجه كل سمع فكيف جازل صلاح الدين ان يرعى عنان أخيه فيما يقترض سوابقه وأواخيه ومنها ما قضى الناس منه العجب وفورق فيه الحزم والادب وهو ما اوجب الثلقب باللقب الذي استأثر به أمير المؤمنين) ثم قال (وقد ساوق زمان الدولة العباسية ثبته الله خوارج دوخوا البلاد وأسرفوا في العناد وجاسوا خلال الديار وأخافوا المسالك واستضاموا الممالك واقحموا من الشقاق أشق الممالك فما انتهى أحدهم فيما احتقب وارتركب الى المشاركة في القلب ومن الحكم الدائغة في وجيز الكلام الذي يصلح للولى على العبد حرام ومنها مكتبة كل طرف يتأخم أعمال الديوان من مواطن التركبان والاكراد ومراسلتهم ومهاداتهم وقرع اسماعهم بما يعود باستزال أقدامهم وقل عزائمهم وهم لا يعرفون الا انهم رعية للعراق وخول للديوان يرثون الطاعة خالفا عن سالف) ثم قال في آخر الكتاب (وهذا كله لا أقوله انكارا لجلال مقامات صلاح الدين ومشاهير مواقف جهاده في سبيل المؤمنين فانه أدام الله علوه رجل وقته ونسج وحده والمربي على من سلف من صنائع الدولة وعلى من يأتي من بعده وهو الولي المخلص الذي عهد فوفا واستكنى فكففا وطب فشففا فكيف يجوز له بسعاده ان يهجن مساعيه القتر المحجلة ويخرج من مكاتبه المكreme المججلة ويطل حقوقه الثابتة المسجلة) ثم قال (فقد علم كل من نظر في التواريخ والآثار ونهضته يصيرته في التبصر والاعتبار ان هذا البيت العظيم مازال يرفع الاقدار الخاملة فينزون عليه بطراف غير الله له منتصرا ويعقبه عليهم انظارا

## في أخبار (١٣٣) الدولتين

وظفروا كدأب آل طولون وآل سامان وآل بويه وآل سلجوق وقرونا بين ذلك كثيره من الذي زلزلوه فثبت ومن الذي حصده فثبت وأى ناراً وقدها فخابت) ثم قال في آخره (اللهم قد بلغت وللراى الصلاحى ما يزيد علوه ان شاء الله تعالى) وذ كرابن القادسى ان الجندى الذى أرسله صلاح الدين بالبشارة يعرف بالرشيد بن البوشنجى قال وكان صبيها كثير الادبار مشمرافى دروب بغداد ثم توجه الى الشام هارباً من الفقر حين وصل الى بغداد رسولاً قامت القيامة بمراسلته وكتب الى صلاح الدين بالانكار عليه وقيل له اما كان فى أصحابك أمير من هذا ترسله الى الديوان فاعتذر صلاح الدين ووصلت كتبه بالاعتذار وقبل عذره وأما ابن البوشنجى فانه حين وصوله الى الشام أكثر الكلام عند صلاح الدين فأذكر ذلك عليه فلما مضى الاسبوع جاءته نشابة فذبحته

**(فصل)** في باقى حوادث سنة ثلاث وثمانين فهاتل الامير شمس الدين ابن المقدّم وهو محمد بن هبة الملك يوم عرفة بها قال العماد وكن السلطان لما فرغ من فتح القدس وديناموسم الحج قال الموفقون نحر من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ونفوز بالحج مع ادراك فضيلة فتح بيت المقدس فى هذا العام فالحج والجهاد ركنا الاسلام فاجتمع جمع جم من أهل ديار بكر والجزيرة والشام وسار بهم الامير شمس الدين ابن المقدّم شيخ أمراء الاسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقتة واستهله ليحج فى السنة الاخرى على مرافقته فقال ما معناه ان العمر قد فرغ والامر قد بلغ والشيب قد أئذر والفرس قد أئذر فاغتنم فرصة الامكان قبل ان يتعذر فضى والسعادة تقوده والشهادة تروده حتى وصل الى عرفات وما عرف الآفات وشاع وصوله وذاع فقوله وضربت طبوله وسالت سيوله وحالت خيوله وضربت خيامه وخفقت اعلامه فلما أصبحوا نفرت كالعادة بقارانه ونعرت بوقاته فغاظ ذلك أمير الحاج العراقي فركب اليه فى احزابه فأوقع به وبأصحابه وابلاههم بجر احده ونهابه وجرى حكم الله الذى كان الطبل أوكد اسما به وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا ودمت ك أستارهم واقتضحوا ونقل أمير الحاج طاشتكين شمس الدين ابن المقدّم الى خيمته وهو محجروح وفيه روح وحمله معه الى منى ففضى ودفن بالمعلى وتم ذلك بقضاء الله وقدره فى ثقلب حوادث الدهر وغيره وارتاع أمير الحاج بما اجترمه وكيف لم يراقب الله وأحل حرمه وكيف عدا على الحاج العائذ بالله وسفك دمه فكتب محضر اعلى ما اقترحه بعذره فيما اجترحه والزعم اعيان الحاج من سائر البلاد بوضع خطوطهم على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين غير منتهين وكان عذره انه أنكر عليه ضرب الطبل فأبى فلما انتهت الحالة الى الخليفة أنكرها انكاراً شديداً ونسبها الى طيش طاشتكين ولم يجده رأياً سديداً فلا جزم اتضع عنده قدره واتضح له وزره وهوى أمره وادخره الى حتى نكبه بها بعد سنين وحبسها أو أطال سجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وشدة شديده وولاه حرب بلاد خوزستان وخرابها وولى امارة الحاج غيره ولما وصل الى السلطان خبر استشهاده ابن المقدّم وجماعته لاهه على ترك الحزم واضاعته فاحتسبه عند الله غازياً شهيداً ساعياً الى الجنة بقدمه سعيداً وأقام ابنه عز الدين ابراهيم فى بلاده بقامه وأقر عليه انعامه وقال محمد بن القادسى فى تاريخه ونقلته من خطه أراد أمير الحاج بالشام وهو ابن المقدّم أن يرفع علماً على الجبل بالموقف فنهه أمير الحاج طاشتكين وجرى بينهم ما رجعت افضت الى الخصومة بين حاج العراق وحاج الشام ونهب البعض البعض وجرى جراحت فجرح ابن المقدّم ولم يغير العادة فى ذلك ومات ابن المقدّم عني فى اليوم الثانى ووصلت النجابه من مكة فأخبر وبما جرى من أصحاب ابن المقدّم وقد شهد الشهود بذلك من الحاج فقضى ذلك بجماع القصر الشريف قال وفى ثانى شوال من هذه السنة توفى أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله سبط ابن التعاوىذى الشاعر وكان كاتباً بديوان المقاطعات وخدم بيت ابن رئيس الرؤسا وأضرب فى آخر عمره ومولده عاش رجب سنة تسع عشرة وخمسائة قال وفى خامس رمضان توفى الفقيه الحنبلى أبو الفتح نصر بن قتيان بن مطر المعروف بابن المنى وكان فقيهاً زاهداً صالحاً عالماً مولده سنة احدى وخمسائة وثقة عليه جماعة من أئمة الحنابلة كالحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن سرور وأخيه ابراهيم والشيخ الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ومحمد بن خلف بن راجع والناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجبلى وغيرهم



## كتاب (١٣٤) الروضتين

(ثم دخلت سنة أربع وعثمانين) قال العماد خرج السلطان من عكا فترل على كوكب في العشر الاوسط من المحرم فحاصر هاوصارها أياماً فلم يتمكن منها المنعة وحصانتها واورأها محتاج الى طول مصابرة ومصابرة ولم يكن معه جميع أمرائه وأوليائه وإنما كان في خواصه فوكل بها قايماً زالنجمي ووكل بصفد طغرل الجاتدار كل واحد منهما في خمسمائة وسير الى الكرك والشوبك سعد الدين كمشبه الاسدي وكانت هذه الحصون الاربعة ضيقة المسلك صعبة المدرك قال ثم ان السلطان اشتغل ببقاء الرسل الواصلين من جملتهم رسول صاحب آمد قطب الدين سسكين ابن نور الدين محمد بن قزل ارسلان وكان اخا ثقيف على آمد أن يسترجعها منهم السلطان لانها كانت لهم من مواهبه كما سبق فاستوثقوا بالوصلة باحدى بنات العادل وكان الامداد قد وكل أخاه السلطان في ذلك لما سار الى مصر وقدم رسوهم في ذلك فتمت الوصلة بينهما قال وأول من وصل والسلطان بكوكب اختيار الدين حسن بن غفراس مديبر دولة قليم ارسلان بالروم وكان هذا الرسول مغري بلبس الحلي والديباج والوشى في يديه زرد وخواتيم مرصعة بزيينة ثقبلة بجواهر وبواقيت ثمينه وفي عقوده هادرة ثمينه وفي يده عود من العسجد وكل عدته تبرها مجوهر وكان اذ شاهده السلطان تبسم وعامله بخلقه وقال هذا سافر بخضاره لينظر وبديناره ليمصر وقال القاضي ابن شداد لما دخلت سنة أربع وعثمانين رأى السلطان الاشتغال بأخذ هذه الحصون الباقية التي لهم مما يضعف قلوب من في صور ويهيء أمرها فاشتغل بذلك ونزل رحمه الله على كوكب في أوائل المحرم وكان سبب بدائه بكوكب انه كان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من أن يدخل اليهم قوة أو حادثة فخرج الفرنج ليلاً وأخذوا غرتهم وكبسوهم بعقر بلا وقتلوا مقدمهم وكان من الامراء يعرف بسيف الدين أخى جاولى وأخذوا أسلحتهم فسار رحمه الله من عكا ونزل عليها من كان معه من خواصه بعكا فانه كان قد أعطى العساكر دستورا ولقي في طريقه شدة من الثلج والبرد فحملت السلطان مع ذلك الحمية على النزول عليهم وأقام بقاها تلامذة قال وفي تلك المنزلة وصلت الى خدمته فاني كنت قد حججت سنة ثلاث وعثمانين وكانت وقعة ابن المقدم ورحل يوم عرفة على عرفة خلف جرى بينه وبين أمير الحاج طاشت كين على ضرب الطبول والذبذبة فان أمير الحاج نهاه عن ذلك فلم يمتعه ابن المقدم وكان من أكبر أمراء الشام وكان كثير الخير كثير المغزاة فقد رآه الله انه جرح بعرفة يوم عرفته ثم حمل الى منى مجروحاً مات بمنى يوم الخميس يوم عيد الله الاكبر وصلى عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك اليوم ودفن بالمعى وهذا من أتم السعادات وبلغ ذلك السلطان قدس الله روحه فمضى عليه قال ثم اتفق الى العود من الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين زيارته النبي صلى الله عليه وسلم وزيارته أبه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس فبلغه خبر وصولي فظن انى وصلت من جانب الموصل في حديث فاستحضرني عنده بالغى في الاكرام والاحسرام ولما ودعته ذاهباً الى القدس خرج الى بعض خواصه وأبلغني تقدمه الى بأن أعود أمثله في خدمته عند العود من القدس فظننت انه يوصيني بهم الى الموصل وانصرفت الى القدس الشريف يوم رحيله عن كوكب ورحل رحمه الله لانه علم ان هذا الحصن لا يؤخذ الا بجمع العساكر عليه وكان حصناً قويا وفيه رجال شداد من يقاها السيف وميرة عظيمة فرحل الى دمشق وكان دخوله اليها في سادس ربيع الاول وفي ذلك اليوم اتفق دخولى الى دمشق عائداً من القدس فأقام رحمه الله في دمشق خمسة أيام وكان له غائباً عنها أربعة عشر شهراً قال وفي اليوم الخامس بلغه خبر الفرنج انهم قصدوا جبيل وغتالوها فخرج منزعجاً ساعة بلوغ الخبر وكان قد سيرا الى العساكر ليستدعيها من سائر الجوانب وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين وعسكر الموصل ومظفر الدين الى حلب قاصدين الخدمة للغزاة فسار نحو حصن الاكراد في طلب الساحل الفوقاني ولما كان مستهل ربيع الآخر نزله على قل قبالة حصن الاكراد ثم سيرا الى الملك الظاهر ولده والملك المظفر بأن يجتعا ويترلا بتزير قبالة انطاكية لحفظ ذلك الجانب ففعلا وسارت عساكر الشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذه المنزلة ووصلت اليه رحمه الله في هذه المنزلة فانه كان قد سيرا الى دمشق يقول تلحقنا نحو حصن فخرجت على عزم المسير الى الموصل متجهزاً لذلك فوصلت اليه امثالا لامره فلما حضرت عنده فرح بي وأكرمني وكنت قد جمعت له كتابا في الجهاد بدمشق مدة مقامي فيها بجميع آدابه وأحكامه فقدمته بين يديه

## في أخبار (١٢٥) الدولتين

فأعجبه وكان يلزم مطالعته ومازلت أطلب دستوراني كل وقت وهو يدافعني عن ذلك ويستدعيني للخصومة في خدمته في كل وقت ويبلغني على السنة الحاضر بن ثناؤه على ذكره إياي بالجيل فأقام في منزلته تلك شهر ربيع الآخر اجمع وصعد في أنثائه إلى حصن الاكراد وحاصره يوماً بيسره به فخاراً إلى الوقت يحتمل حصاره واجتمعت العساكر من الجوانب وأغار على بادطرابلس في هذا الشهر دفعتين ودخل البلاد مغيرة ومختبراً إلى بهام من العساكر وتقوية للعساكر بالغنائم ثم نادى في الناس في أواخر الشهر أنادوا بخلون إلى الساحل وهو قليل الأزواد وهو محيط بنا في بلاده من سائر الجوانب فاجلوا زاد شهر ثم سيرا إلى مع الفقيه عيسى وكشف لي أنه ليس في عزمه أن يمكنني من العود إلى بلادى وكان الله تعالى قد أوقع في قلبي محبته منذ رأيت به وحب الجهاد فاحببته إلى ذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الأولى وهو يوم دخوله الساحل الأعلى وجميع ما حكيت من قبل إنما هو رواية عن أثق به ممن شاهدوه ومن هذا التاريخ ما أسطره لا ما شاهدته. أو أخبرني به من أثق به خبراً يتقارب اليان والله الموفق

**(فصل لـ)** قال العماد كان جماعة من أهل الحزم وأولى العزم قد أشاروا على السلطان لما فتح عكا بتخريبها وتعفيمة آثارها وإن يبق المرباطون المحامون مكانها فلأنهم عود الفرنج إليها وتملكها وإن بنى قلعة القيون فكاد يجيب فقبل له هذه مدينة كبيرة وعمارة كثيرة وأشير عليه بتبقيتها وإن تعمروا تحصن فولى أمر عمارتها وتديرها الأمير بهاء الدين قراقوش وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة فاستدعاه من مصر وأمره أن يستتب في تلك العمارة فقدم عليه وهو بكوكب ففوض إليه عمارة عكا فشرع في تجديد سورها وتعليق أبراجها وكان قد قدم من مصر معه أساتذة العمل وانفاره وآلاته ودوابه وأبقاره فال ولما رتب السلطان على كوكب رحل مستهل ربيع الأول ودخل دمشق في سادسه وكان العسكر الغائب على مواعيد المعاهدة في الربيع وأنه يجتمع على حصن بالجمع وكان طريق السلطان على بحيرة طبرية من شرقها وتجنب عقبه حتى لا تستعاب رقبها ولما فارب السلطان دمشق تلقاه الناس أحسن لقاء فقد كانوا متعطشين إلى رؤيته ومدشوقين إلى طاعته لأنه غاب عنهم سنة وشهرين وخمسة أيام فكسروا فيها الكفر ونصر الاسلام وفتح فيها الارض المقدسة واشباهها من البلاد التي كانت بأوصار الكه من مجبسه فأصبحت بالامان مؤسسه فلما استقر قراره أمر بإنشاء الكتب لاستدعاء الاجناد من الجهات للجهاد من سائر البلاد وأبند بالجلوس في دار العدل وبحضرته القضاة والعلماء من أهل الفضل قال وكان السلطان قد ولي دمشق بدر الدين مودود المعروف بالشحنة وهو أخو عز الدين فرخشاه لأمه وفوض اليه في هذه الايام ولاية الديوان وكان مع الصفي ابن القابض ببقية معه الخزانة وحدها وكان الصفي قد بنى لسلطان داراً مطلية على الشرفين بالقلعة وانفق عليها أموالاً كثيرة وبالغ في تحبيرها وتحسينها ووطن انها تقع من السلطان بمكان فخا أعارها طرقاتها ولا استحسنها وكانت من جملة ذنوبه عند السلطان التي أوجبت عزله عن الديوان وقال ما يصنع بالدار من يتوقع الموت وما خلقنا إلا للعبادة والسعي للسعادة وما جئنا دمشق لنقيم وما نروم أن لا نرحم قال ثم هم بالغزاة فبدأ بزيارة القاضي الفاضل وكان مقيماً بجوسق أين الفراش بالشرف الأعلى في بستانه فاستضاء برأيه فيما يربد فعله وكان لا يأتي أمر إلا من بابه فأقام عنده إلى الظهر ثم ودعه ورحل قلت وما أحسن ما قال ابن الذروري في الآراء الفاضلية من قصيدة مدحه بها

لأريك هذا النصر لا دين ينتمي \* فلا ينتحله كل غضب ولهم

وان كان فيه للاسنة والظي \* مساعدة فالفضل للمتقدم

تسير على الاسلام منك فراسة \* لها خزم طب و احتراز منجم

وتحميه ألفاظ لديك كأنها \* قواطع بتر أو نوافذ اسم

الاحبذا فتح نشرت لواءه \* وقلت لحيل الله يا خيل اقدي

وقت وقد نام الانام مناجيا \* بمولاي نبح المسلمين وسلم

**(فصل لـ)** في دخول السلطان رحمه الله الساحل الآخر وفتح ما يسهه الله تعالى من بلاده قال العماد ثم رحل السلطان فسلك في جبل نبوس إلى عين الجر إلى الدلمية على البقاع وإلى بعلبك وخيم بمرج عدوة ثم رحل على

سمت اللبوة ثم أتى الدزاعه ووصل الخبر بوصول عماد الدين صاحب سنجار في جموعه وجنوده ونزوله على قدس من عمل حصص على نهر العاصي ولما نزل آتى موكبه لملك السلطان تقابل القمران وتقارن النيران واجتمع السعدان وسعد الجمعان فخيم السلطان عند مخيمه وسأل أن يزوره السلطان بموكبه فاجاب دعوته ثم رتب السلطان يوما لحضوره عنده وتهاديا وتصافيا وكان أيام الشمس وقد وصل من دمشق فافرح قدومه وظلعت في أبراج الاطباق فحجوه كأنها كرات من التبر مصبوغه وبالورس مصبوغه صفر كأنها ثمرات الزايات الناصرية حلا منظر اودوقا ولونظم جوهره لكان طوقا كأنما هو خرط من الصندل وخلط بالندل وجد من الثلج والعسل وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس والتناجي بما في النفوس وتكررت المشاوره في الموضوع الذي يتبدأ بقصده واتفقوا على عرفا وعقرها والنزول بعقرها وانها اذا ملكت لملكك طرابلس فاقاموا بقدس الى آخر الشهر حتى اجتمعت الجموع ووصلت قبائل العربان ثم سار السلطان أول ربيع الآخر وخيم بقرب حصن الاكراد على البقيعة ثم شن الاغارة على نواحي الحصن وصافينا والعريضة وتلك الحصون فاستخرج ما فيها من المخزون وفتح حصن يمحور وسامة الدمور ولم تزل الاغارات والغنائم وهم في تلك المنزلة الى آخر الشهر فوصل قاضي جبلة منصور بن نبيل وجماعة معه فاشار على السلطان بقصدها وتكفل بفتحها وفتح اللاذقيه وتلك الحصون والمعقل الشماليه وكانت تلك البلاد قد سلمها اليه ابرنس انطاكية وعول عليه فيها وقال ان الاشتغال بطرابلس مع احتراسها يذهب الزمان ويفوت الامكان والمسلمون بجبلة يحبون على التسليم مؤملون ان يتبدل شقاؤهم منك بالنعيم فاصغى السلطان الى قوله وأصغى له وردطوله وكان قد وصل اليه مقدم وجبل بهرا فوفر لهم روايتهم وأجرى فندبوا الى أتباعهم وكتبوا الى أشباعهم

**(فصل ١٠)** في فتح انطربطوس قال العماد واجمع السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر والحجافل فرحل يوم الجمعة رابع جمادى الاولى فسرنا في أجام مؤتسبه واكام معسبه وخزون وسهول وشعاب وتلول حتى خر جننا الى ساحة الساحل ونزلنا بها وسمنا الساحل الساحل في ثلاث مراحل حتى وصلنا الى انطربطوس سادس الشهر فاحدقنا بها من البحر الى البحر فاخلى الفرنج البلد وما خر جوا الى الحصر واجتمعوا في برجين عظيمين هما لانطربطوس كالقلعتين ونفوا اليهم ما من الاموال ما قدروا عليه فحضر مظهر الدين كوكبرى أحد البرجين حتى أنزلهم بالامان ثم نقبهم من أساسه وألقاه على أم راسه وبجل دماره ورمى في البحر أشجاره وملك جميع ما فيه وامتنع البرج الآخر وفيه الداوية وشوكهم ومقدمهم الذي أسر يوم حطين وأطلق لما سلم ما اشترط عليه من البلاد ثم اجتمع باصحابه في هذا البرج وقواه بالان الحصر فامتنع فتحه فاشتغل المسلمون بتعفيه البلد واخفائه وقال القاضي ابن شداد دخل السلطان الساحل على تعبئة لقاء العدو ورتب الاطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الاخر ومقدمها منفر الدين بن زين الدين وسار على النقل في وسط العسكر حتى أتى المنزل فتمنا تلك الليلة في بلد العدو ثم رحل في صبيحة السبت ونزل على العريضة فلم يقابلها ولم يعرض لها ولكن أقام عليها بقية يومه ورحل يوم الاحد ووصل الى انطربطوس فوقف قبالتها ينظر اليها وكان في عزمه الاجتياز الى جبلة فاستهان بامرها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر وأمر الميسرة بالنزول على البحر من الجانب الآخر فاستتم نصب الخيم حتى صعد الناس السور وغشم العسكر جميع معز بها وما بها وخرج الناس والاسرى بايديهم وأموالهم وترك الغلمان نصب الخيم واشتغلوا بالكسب والنهب ووفى بقوله رحمه الله فانه كان قد عرض عليه الغدا فقال نتغدى بانطربطوس ان شاء الله تعالى وعاد الى خيمته فراح مسرورا وحضرنا عنده للهناء بما جرى ومد الطعام وحضر الناس وأكلوا على عادتهم ورتب على البرجين الباقيين الحصار فسلم أحدهما الى مظفر الدين فمال يحاصره حتى أخربه وأخذ من كان فيه وأمر السلطان بأخبار سور البلد وقسمه على الامراء وكان البرج الآخر حصينا منيعا مبني بالبحر النخيت وقد اجتمع من كان فيها من الخيالة والمقاتلة فيه وخندقه فيه الماء وفيه جروح كثيرة تجرح الناس عن بعد فرأى السلطان تأخير حصره والاشتغال بما هو أهم منه فاشتد في خراب السور حتى أتى عليه وخرب البيعة وهي بيعة عظيمة عندهم محجوج اليها من أقطار بلادهم

## في أخبار (١٢٧) الدولتين

وأمر بوضع النار في البلد فاحرق جميعه والا صوات مرتفعة بالتهديل والتكبير وأقام عليها نحر بها الى رابع عشر الشهر وسار يريد جبلة وعرض له ولده الظاهر في اثناء طريق جبلة ومعه العساكر التي كانت بتيزن

**(فصل ١)** في فتح جبلة وغيره قال القاضي ابن شداد وكان وصول السلطان الى جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمتنع وبقيت القلعة متمنعة ونزل العسكر محذوا بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة فقتلت قتلا يقيم عذرا لمن كان فيها وسلمت بالامان يوم السبت تاسع عشر الشهر وأقام عليها الى الثالث والعشرين وسارعنها يطلب اللاذقية وقال العماد بعد فتح انظر طوس وصل الينار جال حماة فرحل السلطان يوم الاثنين رابع عشر الشهر ونزل على مرقبه وقد أخلاها سكانها فخم فيها أهل الاسلام وطاب لهم فيها المقام وكانت الطريق الى جبلة على الساحل ضيقة المسالك صعبة المراحل وهناك للفرنج الاسبلة حصن يقال له المرقب مأهول معه ورولا طريق له الاتحت تله واتفق ان طاغية صقلية لما اشجاء ما تم على الفرنج في الساحل جهازا سطولا يستقل من الشوانى على ستين قطعة يحسب كل واحدة منها قلعة أو تلعه وقدم عليها طاغية يقال له المرعيط فوصل وما ضر ولا نفع فان فرنج الساحل ما رفعوا به رأسا وتضجر وامنه وكان في عشرة آلاف رجل يحتاجون الى ميره وكلف كبيره ففسار الى صور ثم رجع الى طرابلس وتردد في البحر وتلذذ وابلس واضطرب أشهرا لا يظهر له رأى ولا يرى له مظهرا فلما سمع بعبور عساكر المسلمين على الساحل الى جبلة جاء بالشوانى وصفها على موازاة الطريق ومباراة المضيق وفيها الرماة فامر السلطان ينقل الجفاني الى هناك وتصفيفها وتكثير ستائرهما وأجلس الرماة من وراءها فزال الامر على ذلك والرماة ترمى وتسمى وعامة المسلمين في سلوك ذلك المضيق حتى خفت الاثقال وعبرت الاجال وخلص المسلمون من ذلك الشق بغير مشقة وجاروا على مدينة يقال لها بلنماس وقد انجلى عنها الناس فخم المسلمون فيها ثم أصبحوا على الرحيل فاعتبر ضمهم نهر عريض عميق ما فيه طريق وهو مظرم من الجبل الى البحر وفيه منظره واحدة فتكبهما السلطان بالجحفل ومضى يمينا الى الجبل وأبعد حتى عبر فوق رأس العين واختلطت العساكر بالهرم من الجانبين وتراجعت الاثقال على القنطرة فما خلصوا تلك الليلة الى آخرها ونزل السلطان قبل وصول الاثقال على بلده وهي بلدة كاسمها جلدته وهي بليدة من غربي النهر على ساطى البحر وجانبها الاخران بخندق فيه البحران وقد أخلاها أيضا أهلها وتفرق شملها وأصبح السلطان يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى على جبلة فقتلها المسلمون في الوقت وذلك ان فاضيا كان قد سبق ودخلها وقرن بالنجس للمسلمين أملها فمما وصلوها أعلى الاعلام الناصرية على سورها وخلص المسلمون بها من مساكنة الكفرة وتحصن الفرنج بحصنها واحتموا بقلعتها فما زال قاضى جبلة يخوفهم ويرعبهم حتى استنزهم بشرط ان يستريحهم الى ان يردوا من انطاكية رهائن جبلة من المسلمين فضبط عنده جماعة من رؤس الفرنج والمقدمين حتى أعاد صاحب انطاكية الرهائن التي عنده ففك بهارها ثائه وتولى قاضى جبلة الامر فاستخرج ذخائر الكفرة وفائده واستنظفهم من كل سلاح وعدة وخيل وقوة وجاء مقدمو الجبل سامعين مطيعين وفي الجبل على سمت طريق حماة حصن يعرف ببيكسرا ثيل وكان أهل الجبل استعداوه من الفرنج منذ سنين فسلمه السلطان ايضا منهم ثم سلم جبلة الى سابق الدين عثمان صاحب شيزر وبجل قاضى جبلة وشرفه وحبس عليه ملكا كنفيسا ووقفه وصرفه في املاك آبائه وحكمه في ولاية حكمه وقضائه

**(فصل ٢)** في فتح اللاذقية قال القاضي ابن شداد وهي بلدة ملح خفيف على القلب غير مسورة وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد فتزل السلطان رحمه الله عليه يوم الخميس رابع عشر جمادى الاولى محذوا بالبلد وأخذ العسكر منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيهما الامن من ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف والنزال وارتفعت الاصوات وقوى الضجيج الى آخر النهار وأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنمة عظيمة فانه كان بلد التجار وفرق بين الناس الليل وهجومه وأصبح يوم الجمعة مقاتلا مجتهدا في اخذ النقب من شمالي القلاع وتمكن منها النقب حتى بلغ طوله على ما حكى لى من ذرعه عشر بن ذراعا وعرضه اربع أذرع فاشتد الزحف عليه حتى صعد الناس الجبل وفاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا رابحا ذفون بحجارة اليه فلما رأى عدو

الله ما خل به من الصغار والبوار استغاثوا بطلب الامان وطلبوا فاضى جبلة يدخل اليهم ليقتر لهم قاعدة الامان فأجيبوا الى ذلك وكان السلطان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يبخل به فعاد الناس عنهم الى خيامهم وقد أخذ منهم التعب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضى جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يظلقون بأنفسهم وذرايرهم ونسائهم وأموالهم خلا الغلال والذخائر وآلات السلاح والدواب وأطلق لهم دواب ركوبها الى ما منسهم وورق عليها العلم الاسلامى المنصورى ببقية يوم السبت وأقنع عليها يوم الاحد سابع عشر جمادى الاولى وقال العماد رحل السلطان الى اللاذقية يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الاولى فبات بالقرب منها وصبحناها يوم الخميس وقد لا ذأهلها بقلعها وهى ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كأنهن على رأس جبل راسخ وذروة اشم شامخ فسهل لنا فرعها وشرعنا نأصل أصلها وفرعها فطلبوا السنجق الناصرى ونصبوه على السور عشرين يوم الجمعة فلما أصبحوا سعد اليهم قاضى جبلة وانزلهم بالامان وتسلمت تلك القلاع بما فيها من عدة وذخير وأسلحة وميرة وخيل ودواب كثيرة وامنوا على أنفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم وذريتهم واطفالهم وخفوان انقالهم ودخل جماعة منهم فى عقد الذمة ونسكوا بحبل العصم وانتقل الباقون الى انطاكية ثم ولى السلطان بهام لوكه سنقر الخلاطى وركب السلطان الى البلد وطاقفه وهز الى احسانه اعطافه وأمنه بعد ما أخافه قال ورأيتها بلدة واسعة الافنية جامعة الابنية متناسقة المغانى متناسبة المعانى فى كل دارستان وفى كل قطر بنيان أمكنتها مخترمة وأروقتهما رنجة وعقودها محكمة ومسكنها مهندسة مهندمة وسقوفها عالية وقطوفها دانية وأسواقها قاصية وآفاقها مضية وارجاؤها فسيحة وأهواؤها صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها واذهب نضارتها ووقع من عدة من الامراء الزحام على الرخام ونقلوا منه اجالا الى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الاماكن ومحووا سنا المحاسن قال وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة نفيسة قديمة باجزاء الاجزاع مرصعة وبألوان الرخام مجزعة واجناس تصاورها متنوعة وأصول تماثيلها متفرعة وهى متوازية الزوايا متوازنة البناء قد تخيرت بها اشباح الاشباه وصورت فيها أمواج الامواه وزينت لآخوان الشيطان وعينت لعمدة الاوثان والصلبان ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشوهوا اعلامها وجروا نساها وكسروا اجرامها وأهدوا الاسى لهداساسها وأفاضوا عليها لباس ابلاسها وحكموا بعد الغنى بافلاسها فافقرت وأقفرت وخربت وزرت ثم لما طابت النفوس وتجلي عن البلد بفتح البوس عاد الى هذه الكنيسة بالامان القسوس وهى متشوهة متشعة متمسكة بأركانها بقواعد هامة متشبه قال ولقد كرأسنى على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت ولكنما زاد سرورى بأنها عادت للاسلام مرابع ولشموسه مطالع فلوقيت بحليتها وحالتها بعدما تبدلت رشدها من ضلالتها اشاقت وراقت وكما أفاقت فاقت ورغب فى إعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والارمن حبالا للوطن ولما أراد السلطان الرحيل دخل المدينة ورز الى سكانها السكنى ودار خلال ديارها وخرق أسواقها فى سائر أقطارها ووقف على البحر للنظر الى موانئها وشوانها وأقاصيم اودانها وشكر الله على تكيته من ملكها وتخصيصه بملكها وفى كتاب عمادى الى سيف الاسلام باليمن عن السلطان قال (وهذه اللاذقية مدينة واسعة وخطة جامعها معاقفها الازام وعلاقتها الاتستام وهى أحسن بلاد الساحل وأحصنها وأزديدها اعمالا وضياعا وأزبنها وما فى البحر مثل مينائها ولا للراكب الواردة مثل مرسأها وهى جنة كان يسكنها أهل الجحيم وطما المامكت بالكفر دار بؤس فعادت بالاسلام دار نعيم) قال وكانت شوانى صقلية قد قابلت فى البحر اللاذقية طمعاً فى امتناعها فلما خبت خبت نارها وقصدت لجلهها أخذ مراكب من يخرج من أهلها حنقا عليهم كيف سلما البلدة وجمعوا بئذها فكان ذلك مقتضى البقاء ساكنيها بالجزية تؤديها ولما وقف السلطان على شاطئ البحر بعساكره طلب مقدم تلك الشوانى امانه ليصعد ويشاهد سلطانه فأمنه فصعد وعرف وكفروا ترى ساعة وتفكر وقال ما معناه أنت سلطان عظيم وملك رحيم وقد شاع عدك وذاع فضلك وقهر سلطانك وظهر احسانك فلومنت على هذه الطائفة الساحلية الخائفة للملكت قيادها اذا أعدت اليها بلادها وصاروا لك عبيدا وأطاعوك قريبا وبعيدا والاجاءك من وراء البحار فى عدد الامواج أفواج

## في اخبار (١٢٩) الدولتين

عدا فواج وسار اليك ملوك ذوى الاقاليم من سائر الاقاليم وهؤلاء أهون منهم فازرهم واصقح عنهم فقال له  
لسلطان قد أمرنا الله بتهديد الارض ونحن قائمون في طاعته بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وهو الذى يقدرنا  
على دفع البلاد ولوا جمع علينا أهل الارض ذات الطول والعرض لو كنا على الله في اللقاء ولم نبال بأعداد  
لاعداء فصلب على وجهه وركب بكره ولم يغن خطابه عن خطبه

**(فصل)** في فتح صهيون وغيرها قال القاضي ابن شداد رحل السلطان عن الازقية ظهيرة الاحد  
السابع والعشرين من جمادى الاولى طالب صهيون فزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين فاستدار العسكر بها  
من جميع نواحيها بكرة الاربعاء ونصب عليها ستة مجانيق وهى قلعة حصينة منيعه في طرف جبل خمدافها  
أودية هائلة واسعة عميقه وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقداره طوله ستون ذراعا ولا يبلغ وهو  
قرفى جبر ولها ثلاثة أسوار سوران دون ربضها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتها علم طويل منصوب  
لحين أقبل العسكر الاسلامى شاهده وقد وقع فاستبشر بذلك المسلمون وعلموا انه النصر والفتح المبين واشتد القتال عليها  
من سائر الجوانب فضر بها مخنيق ولده الملك الظاهر وكان نصبه قبله جهة قرية من سورها فاطع الوادى وكان  
صائب الجبر فلم يزل يضربها حتى هدم من السور قطعة جيدة عظيمة تمكن الصاعد فى السور من الترقى اليه منها  
ولما كان يوم الجمعة ثانى جمادى الآخرة عزم السلطان على الزحف وركب وتقدم وتوارت المخنيقات بالضرب  
وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالكبير والتحليل وما كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على أسوار الربض واشتد  
الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض ولقد كنت أسأهده الناس وهم يأخذون القدر وقد استوى فيها  
الطعام فيما كلونها وهم يقاتلون القلعة وانضم من كان فى الربض الى القلعة بما أمكنهم أن يحملوه من أموالهم  
ونهب الباقي واستدار المقاتلة حول أسوار القلعة فلما عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان فامنهم السلطان  
على أن يسلموا بأنفسهم وأموالهم ويأخذعى الرجل منهم عشرة دنانير وعن المرأة خمسة دنانير وعن الصغير دينار  
فسلمت القلعة وأقام السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعيدوبلاطنس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها التواب  
فانها كانت تتعلق بصهيون وقال العباد كان الطريق الى صهيون فى أودية وشعاب ومناقص صعب وأوعاث وأوعار  
وانجاد واغوار فقطعنا تلك الطريق فى يومين ووصلنا ليلة الثلاثاء باليلة الاثنين وخمين على صهيون يوم الثلاثاء وهى  
قلعة على ذروة جبل بين واديين عميقين يلتقيان عليها ويدوران حولها والجانب الجبلى مقطوع منه بخندق عظيم  
عميق وسور وثيق ما اليه لاسوى للفضاء والقدر من طريق والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب ممتلئة بذئاب  
سغاب وأسد غضاب وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الاربع وهى ممتعة علينا بالركن الامنع والسمو الامتع  
ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل وأقام الظاهر غازى صاحب حلب مخنيقين ونهجه بها من جانب الوادى الى  
ردى الا عادى طريقين وكان له بفتح هذه القلعة الجدا العالى والجدا المتوالى فانه اتصل بنا قبل الوصول الى جبلته من طريق  
جها وقد استصحب الحكمة الجاه ومعه الرجال الحلييه والمخنيقية والجرحيه والجناد اريه والخراسانيه واستصحب  
الحجارين والحدادين والنجارين فأظهر على صهيون اليد البيضاء وأبارى فضاء الفضائل واضاء وكان نازلا  
على جانب الوادى مقابل الحصن وشرع الجدار فى الانتقاض وأصبحنا يوم الخميس والجمعة يمدون وللأسور سجود  
وركوع وما زالت المجانيق من جانبها وجانبنا ترمى والحنايا سهام المنسايا تصمى حتى قتل وجرح أكثر مقاتلة  
الحصن وهما ن عماد فيه من الوهن وأصبحنا يوم الجمعة ثانى جمادى الآخرة وبحر الحرب فى أمواجه الزاخرة  
وتطرق أصحابنا من قرنة خفيت عليهم من الخندق لم تحكم عمارتها كأن الله أعماهم عنها حتى يسلك الخنف  
اليهم منها فتعلقوا فى الصخور وتسلقوا السور وملكو اعليهم ثلاثة أسوار واحتوا على كل ما فيها من ذخائر وغلال  
ودواب وابقار وازدحم الفرنج فى القلعة وتفاودوا من الخوف لامن القلعة وصاحوا الامان وبذلوا الاذعان ونادوا  
مكتونامى السلامة وتسلموا الماكان فما امنوا على المال والنفس حتى قرنا عليهم مثل قطيعة القدس وأغلقت  
دونهم الابواب وسيرت اليهم التواب وما استقرت خروجهم حتى استخرج القرار وجبى الدرهم والدينار وعم الصغار  
الكبار والصغار وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله وسائر ما حواه من

ذخائر وأمواله الى الامير ناصر الدين منكورس بن خارتكين صاحب بوقيدس فأحكه وحصنه وحفظه وحسنه وتسلم يوم السبت قلعة العيد ويوم الاحد قلعة الجاهريين ويوم الاثنين حصن بلاطس وندب الى كل حصن من تسلمه وسلكه في سلك الفتوح ونظمه قال وفتح صهيون حصل الامن على الالاذقية وقوى الامن في فتح انطاكية فانه قتل محكم على بابها وسبب قوى من أسبائها ففتح الرناج ووضع المنهاج

**(فصل)** في فتح بكاس والشعر والسرمانيه قال القاضي ابن شداد ثم رحل السلطان وسرنا حتى أتينا بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها من يخرج من تحتها وكان النزول بذلك المنزل على شاطئ العاصي يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهي على جبل مطل على العاصي فاحدق بها من كل جانب وقالها قتلا لاشديدا بالمنجنيقات والزحف المضائق الى يوم الجمعة أيضا ناسع جمادى الآخرة ويسر الله فتحها عنوة وأسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قلعة تسمى الشعر قرية منها يعبر اليها من البحر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات من سائر الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشره وسألوا ان يؤخر وثلاثة أيام لاستئذان من انطاكية يسر الله فتحها فأذن في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشره ثم عاد السلطان الى الثقل وسير ولده الظاهر الى قلعة تسمى سرمانية يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتلا لاشديدا وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها أيضا يوم الجمعة ثالث عشره الشهر المذكور قال فاتق فتوحات الساحل من جبلة الى سرمانية في أيام الجمع وهو علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر الله له الفتوح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحسنات قال وهذا من نوادر الفتوحات في الجمع المتواليه لم يتفق مثلها في تاريخ وقال العماد سار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية وزل على العاصي في طاعة الله على تل كشفهان فقسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر وحول خيمة خفية الى الجبل لحصار قلعة الشعر وهي قلعة شامخة من أعلى القلل مطلة على وادعيق وكان الكفار قد أخذوا بكاس من العرب واجتمعوا بقلعة الشعر وهي عالية حصينة منيعة لا تصل المنجانيق اليها فاستصعب السلطان أخذها وخاف من طول أمرها فبينما هو مفكر في ذلك والفرنج قد دخلهم العرب فارسلوا في طلب الامان واستمهلوا ثلاثة أيام فكبر المسلمون وفرحوا وأصبحوا يوم الجمعة والشعر شاغر والكفر صاغر فقسلمها المسلمون وتصرفوا فيها وفيما تحويه من ذخائر وعدود وواب وانعام وأنتم السلطان بها وقلعة بكاس وتلك الاعمال على غرس الدين قليج وكان هذا قليج قد تسلم كهردين وهو معقل حصين يسكنه الارمن في ذلك الصقع وبذل في استخلاصه غاية الوسع فولاه السلطان تلك الحصون وحاطبها بالته أمرها المصون وعاد الى منجيه يوم السبت وهو حسن السمعت كريم الذمت قال وكان الملك الظاهر عند اشتغالنا بفتح قلعة الشعر قد نزل على سرمانية مضايقا لها بالحصر فقسلمها يوم الجمعة ثالث عشره الشهر وذلك بعد قطيعه قررها وقبضها ولما أخرجهم منها دخلها فابطل عمارتها وعطلها وهدم بنيانها وهذا أركانها وما برح حتى سواها بالارض وخلط طولها بالعرض قال وهذه ست مدن وقلاع فتحت في ست جمع تباع جبلة والالاذقية وصهيون وبكاس والشعر وسرمانية وأطلق بها الانفس والنفائس العانية فقد كان في هذه المعازل من أسارى المسلمين عدو لولا فتحها المازالت عنهم تلك الشدة وهذا اقليم جبلة والالاذقية هو عين انطاكية التي فتحت ونحرها الذي عنه حلت ولم يبق لانطاكية من الحصون سوى ثلاثة القصير وبغراس ودريساك وقد أصبحت معدومة الاطراف قد قطعت أيديها وأرجلها من خلاف

**(فصل)** في فتح حصن برزيه قال القاضي ابن شداد ثم سار السلطان جريدة الى قلعة برزيه وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين يحيط بها أودية من سائر جوانبها وزرع علوقاتها فكان خمسمائة ذراع ونيفا وسبعين ذراعا ثم حصره على حصارها بعد رؤيتها واستدعى الثقل فقتل تحت جبلها وفي بكرة الاحد الخامس والعشرين من جمادى الآخرة صعد السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنيقات وآلات الحصار الى الجبل فاحدق بالقلعة من سائر زواجها وركب القتال عليها من كل جانب وضرب اسوارها بالمنجنيقات المتواترة لضرب ليلها ونهارها وقتلها حتى كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين فقسم العسكر



ثلاثة أقسام ورتب كل قسم يقاتل شطرا من النهر ثم يستريح ويتسلم القتال الشطر الآخر بحيث لا يفتر القتال عنها أصلا وكان صاحب النوبة الاولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالا شديدا حتى استوفى نوبته وضرر الناس من القتال ونزاجعوا عنه وتسلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحرك عدة خطوات وصاح في الناس فحملوا حمله الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن الا بعض ساعة حتى رقى الناس على الاسوار وهجموا القلعة وأخذت عنوة واستغاثوا الامان وقد ملئت الايدي منهم فلم يك يبقهم هم ايمانهم لما رأوا بأسنا ونهب جميع ما كان فيها وأسر جميع من كان بها وكان قد أوى اليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة وحصونهم المشهورة وكان يوما عظيما وعاد الناس الى خيامهم غائمين وعاد السلطان الى النخل وأحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلا كبيرا منهم فكان هو ومن أخذ من أهله سبعة عشر نفسا فحق عليهم السلطان ورق لهم وأنفذهم الى صاحب انطاكية استماله فانهم كانوا يعلقون به ومن أهله وقال العماد وصف للسلطان قلعة برزيه وانها الحصن اقامية متناحيه وله مناصفة مقاسمه وان المسلمين من جوارها في جور وفي حور بعد كور ووصفوا علوها فركب السلطان اليها وأشرف عليها فالهاها كما وصفوها وبالعوافيها وما انصفوها فنصب عليها المجانيق فوقعت أحجارها دونها ولم يتحرك سكونها وكيف نهتد الخنساء بصخر والعنقاء بصقر وحجر الجبل بحجر ومدار الفلك بمدر فلما رأى السلطان ذلك قوى رأيه على ان يفرق العسكر ثلاث فرق ويتناوبون على قتالهم زحفا ليتعبوهم ويضجروهم فانهم عدد مختصر عاتل قليل تغنى عدتهم وتقل عدتهم ففعل ذلك وكانت النوبة الاولى لصاحب سنجار والثانية للسلطان وخواصه ثم امتزجت الثالثة بالثانية وعادت رجال النوبة الاولى وتناصرت أنصار الله على النزال لاستنزال النصر واجدوا عاقبة الصبر في الحصر فظالم العدو الامان وأرسلوا الى السلطان وكان أصحابنا خالطوهم وبأسطوهم وأحاطوا بهم وهناك جماعة من دهاة العسكر أشاعوا للناس ان السلطان يؤمنهم فرجع العالم عنهم ولم ينالوا منهم فلما رد السلطان رسوهم ولم يؤمنهم ساقوا ولثك السبا يقدامهم كما يسوقون أغنامهم وخافوا اخوانهم وراموا حرمانهم وتفرقوا بالسبي أبدى سبا وسافروا بها من العسكر الى البلاد وباعوها في سوق الكساد وتسلم السلطان حصن برزيه ظهر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جادى الآخرة وولاه الامير عز الدين ابراهيم بن الامير شمس الدين محمد بن المقدّم وهو صاحب حصن اقاميه مناظر برزيه وهو على الثغر وما بين الاثنين بحيرة تحجز الجانبين وصيادوها المسلمون باقاميه فخلص للاسلام النغر وسكن الدهر قال وكانت صاحبة حصن برزيه زوجة الابرنس صاحب انطاكية قد سميت وخبيت فما زال يطلبها حتى أظهروها وأحضروها وزوجها وابنتها وجماعة من أصحابها وصهرها وكانت امرأة ابرنس انطاكية تعرف بدم سبيل في موالة السلطان عينا له على العدو تهاديه وتناحيه وتطلعه على أسرارهم والسلطان يكرمها لذلك ويمد يدها بنفس الهدايا فلما فتح حصن برزيه وحصل في أسره هذه الجماعة وافترقت بهم ايدى المسلمين فتبعهم السلطان وخلصهم من الاسر وأنعم عليهم وجهزهم وسيرهم الى انطاكية لاجل امرأة الابرنس فشكرته على ذلك ودامت مودتها ونفعها للمسلمين وفي بعض كتب البشائر العمادية (آخر ما فتحناه حصن برزيه الذي تضرب بخصائمه الامثال ولا ترقى الى ذروة تمنيه الآمال وقد أخذناه بالسيف عنوة وفتحناه ضحوة فيا لها من ضحوة ليوم الثلاثاء أظلمت على أهل التثليث والهي الله المؤمنين عن ذكر الفتوح القديمة بجديت هذا الفتح الحديث ولو كنا الله الى اجتهادنا في الفتح لنعذر ولكنه سبحانه سهل ويسر) ومن كتاب فاضلى الى السلطان (وصلت كتب البشارة بفتح حصن برزيه وهو الذي تضرب به الامثال وتضرب عنه الآمال ويكاد يحزن اذا قادت ايدى السلاسل ازمة الجبال ويكاد يذم ساكنيه من خطر ان الاوجال بل من خطوات الآجال وكان للكفر درعا حصينة طالما كانت تمزأ بالنصال فعظمت المنة السلطانية عند أهل الاسلام ودعوا بان يفلج الله حجة سيفه الداء الخضم وقد كان الناس يعدون مواهبه مما لا تحصى فقد تحققت بها فتوحاته فهي أيضا لا تحصر فخرها بفتح يقول غائبها الحمد لله وحاضرها الله أكبر وما بقي الملوك يستبطن خبر انطاكية فقد ألقت الارض افلاذها وقد ولدت لكرمه ذهبها ولنصره فولاذها ولم نرقى نعم الله مثلها نعمة كريمة وجيهه ولا نعرف بعدها للزمن سبئة ولا كرمه الا اننا رجع في معرفة قدرها



## كتاب (١٣٢) الروضتين

واخلاص شكرها الى مريضه الله شكرها من نجاه من أهوال يوم القيامة وأدخله دار المقامه بانهم قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا وكان آخرو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فرضى بالحمد منهم ورضى عنهم وأثنى عليهم بانهم اختتموا به وافتحوا وقتسوا به وسبحوا وثقلت به موازين اعمالهم فرجوا ونجحوا ونحن نقول الحمد لله على بحجة الدنيا بما لا نوافضرتها وعلى عزه الملة به ونصرتها وعلى بحجة القلوب به ومسررتها وعلى غنى الابدى به وميرتها وعلى روعة قلوب الاعداء به وحسرتها وان تعد وانعمة الله لا تحصىها وفتوح مولانا من تلك النعم وان قصرنا في شكرها فانقص في ذكرها وان عجزنا عن حصرها فانعجز عن المعرفة بفضل قدرها وتلك النعم بحمد الله منتظمة العقود مطردة السعود متوافية الرسل عامرة السبل خارقة العوائد قارئة المساعي بالمساعد كادت العيون قبل وقوعها تلحظها وكادت المنابر لما يدرس عليها من كتبها تحفظها فما يشرح صدر من خبرها فيسمعه ذو صدر الانشرح وما يسأل الناس هل فتح الملك الناصر وانما يقال ما اسم البلد الذي فتح فن عند مولانا الجنان ومن عندنا اللسان فعليه الجهد وعلينا الحمد فهي فتوح كثرات الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة واعمالها المبرورة الى الله مرفوعة ومن قصص ميدة للشهاب فتیان الشاغوري وقد تقدم بعضها

لما ملك حصون انطاكية \* ينس الصليب وخزبه من مظهر  
أردت كل مثلث متكبر \* بموجب متراضع ومكبر  
برزت الى برزیه عزمتك التي \* مدت يدا عن مطلب لم يتصر  
فتناولته بيدها من باذخ \* في الافق ذي مثل يروع مسير  
فانهض لصور فهي أحسن صورة \* في هيكل الدنيا بدت لمصور  
ماسرور صور عاصم منه وهل \* سور المعاصم عاصم مسرور

(فصل) في فتح حصن در بساك قال الفاضل ابن شداد ثم سار السلطان حتى أتى جسر الحديد وأقام عليه أياما وسار حتى نزل على در بساك يوم الجمعة ثامن شهر رجب وهي قلعة منيعة قريبة من انطاكية يسر الله فتحها فقتل عليها وقتلها قتلا شديدا المنجنيقات وضابقتها مضايقة عظيمة وأخذ النقب تحت برج منها وتمكن النقب منه حتى وقع وجوه بالرجال والمقاتلة ووقف في الثغرة رجال يحمونهم عن يصعد فيها قال ولقد شاهدتهم وكلما قتل منهم رجل قام غير دماهم وهم قيام عروس الحديد ارمكشوفين واشتد الامر حتى طلبوا الامان واشترطوا مراجعة انطاكية وتوكلت الفاعدة ان ينزلوا بانفسهم وثياب ابدانهم لا غير ورفق عليهم العلم الاسلامي يوم الجمعة أيضا ثاني عشر رجب وأعطاهما علم الدين سليمان بن جندر وسار عنهما من القديرة السبت وقال العماد ثم عبر نهر العاصي الى شريقه عند شقة يف دركوش وهو تغر على الفرات للاسلام منيع جزراه وخميناعلى جسر الحديد أياما حتى استكمل العسكر راحته وتكامل ونحن بقرب انطاكية وقد صوبنا اليها عزائمنا لكيه ثم قلنا قد ادمها حصون وحماها بحمايتها مصون فاداهب معاتلها جاءتها غواثلها فتنلنا على در بساك وهو حصن للداوية وقد اعتصموا بعصمته وامتنعوا بمنعته فنصبنا عليه المنجنيقات فزالوا الجادون ويتجلدون الى ان ضاق بهم الخناق وتسلى النقبون الى الباشورة وهربوا بالنقب برجا ووسعوا للزحف نهجا فطلبوا الامان وقدوا أنفسهم بالوف فامتنعوا على انهم يخرجون بهوانهم وثياب ابدانهم ويدعون كل مافي الحصن من خيل وعده وذخيرة وغله واثاث وقماش وذهب وفضة وأهلها ثلاثه أيام ثم أخرجوا من ديارهم وتسلم الحصن يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وفي بعض الكتب العمادية (هذه المكاتبة مبشرة بالفتح الاهني والنصر الاسني وهو فتح در بساك الذي لم يكن لانطاكية الا به الامتساك وقد قص الآن جناحها وقيل سلاحها وحق قرحها وبطل اقتراحها وخرجت باخراج حصونها من ولايتها ارواحها وقد بقيت عرضا للعسكر وعرضا لاجوهر وشجا بغير روح وصدر اغير مشروح والكفر منجوع بالنفس والبلد والامل والولد ونحن لراحة لنا في هذا التعب ولا أرب لنا في غير هذا الارب والاجتهاد لنا في الجهاد ولا مغزى لنا غير الغزاه وما نرجو من الله الا انجاز العبادات في جميع العداة

## في اخبار (١٣٣) الدولتين

أصبحنا يوم الثلاثاء وقد ساء صباح المثلثين وإن صباح الموحدين وأبيننا أمانهم إلا أن يفدوا نفوسهم وبنزعوامن الحرب أبوسهم ويخلعوا بأبسهم ويلبسوا بوسهم وينجوا بئيب أبديهم وقد أذوا خمسة آلاف دينار من أثمانهم  
**(فصل)** في فتح بغراس قال القناضي ابن شداد وهي أيضا قلعة منيعة أقرب إلى انطاكية من دربساك وكانت كثيرة العدة والرجال فنزل العسكر في مرج لها وأحرق العسكر بها جريدة معانا واحتجنا في تلك المنزلة إلى يرك يحفظ من جانب انطاكية لتلايخرج منها من يحجم على العسكر ف ضرب يرك الاسلام على باب انطاكية بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها قال وأمان كان في البرك في بعض الايام لرؤية البلد وزيارة حبيب النجار المدفون فيه عليه السلام ولم نزل نقاتل بغراس مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استئذان انطاكية ورفى العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان وقال العماد ولما فتحت دربساك لم يبق لنا هم الا بغراس وقد شارف رجاء أكثر الناس في فتحه الياس وهو حصن حصين ومكان مكين هو للدواوية وجارضياعها وغاب سباعها وهو يقرب انطاكية حصارها وحصاره سوا والدواء دأويه دوا فنزل العسكر بب انطاكية وبينه يتقاضون منها للدين دينه ويشنون الغارات ويسنون النكايات ولا يرحون بازاء انطاكية صفارهم ولا هلهما فتحاوحتفا يتناوبون على سبيل البرك ويدعون العدة إلى المعترك وليس بينهم الا النهر فصعد السلطان جريدة إلى الجبل وأمر بنصب المجانيق حولها على تلك التل ونقل اليها أحواض الماء ورواياه وبث في النواحي سراياه وفرق على الجميع عطاياه وأقنا عليه اسبوعا نجري اليه من كل منجنيق من فيض الجبارة بنبوعا ونحن نفكر فيما يكون ومتى تتم الحركة وفيهم السكون وهذا يسكار يطول وتعب لا يزول اذ رأينا باب الحصن وقد فتح وخرج من الحصن من أخذ الامان لاهلهم وسلم الحصن بما فيه من الاموال وقد رما فيه من الغلة تخميننا ثني عشر ألف غراره وسلمها السلطان مع دربساك إلى صاحب عزار علم الدين سليمان بن جندر وكتبت عليه جميع ما في القلعتين من الموجود من المكيل والموزون والمعدود وكانت الغلة بانطاكية غالية السعر فقلت كافي من تولى القلعة وقديباع الغلة وشفي من فقره بها الغلة ثم أشار بتخريبها وهدمها ولم يلتزم بحكها وقال ابقاؤها غرر وحفظها على المسلمين ضرر وخطر فجاء الامر على ما حسبته بعد سنين وعاد اخلاها بضرة المؤمنين فانه أظهر ذلك الوقت انه أخلاها وانه للتخريب خلاها فجاء اليها مقدم الارمن ابن لاون فدخلها وأتم غاراته وكلها وذلك في سنة سبع وأثمان وهذا الحصان دربساك وبغراس كانا لانطاكية جناحين ولطاغية الكهرسلاحين فتم للسلطان فتح هذه الحصون المذكورة مع ابراج ومغارات وشققان كثره حتى خلص ذلك الاقليم وتم الفتح العظيم وعادت الكنائس مساجد والبيع معابد والصوامع جوامع والمذابح لعبدة الشيطان مصارع

**(فصل)** في عهد الهدنة مع صاحب انطاكية وعود السلطان قال العماد كان السلطان قد عزم على قصد انطاكية فرأى هم الاجناد لاسيما الغراء قد ضعفت ونياتهم في الجهاد قد فترت وتسوقوا إلى بلادهم والراحة من جهادهم وكان صاحب انطاكية قد اشرف على الهلاك وعلم انه ان قصد غلب فنقد أخا زوجته رسولا إلى السلطان متدلا ليطلب الهدنة على انه يطلق من عنده من أسارى المسلمين وهم جمع كبير فعقد هاهم مدة يسيرة ثمانية أشهر من تسيرين الأول إلى انتضاء ايار فيكون انتضاء الهدنة قبل ادراك الغلة واوان حصادها فيستريح فيها الاجناد ويعودون بعدها إلى فرض الجهاد فتم كتب الهدنة وتوجه شمس الدولة ابن منقذ لتخليص الاسرى وانقاذهم منه وقال القاضي ابن شداد وفي بقية ذلك اليوم يعني يوم فتح بغراس وهو ثاني شعبان عاد السلطان إلى الخيم الاكبر وراسله أهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم أشدة ضجر العسكر وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين أهل انطاكية لا غير على ان يطلقوا جميع أسارى المسلمين الذين عندهم وكان إلى سبعة أشهر فان جاءهم من ينصرهم والاسلموا البلد إلى السلطان ثم رحل عنه يطلب دمشق وسأله ولده الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجابه فدخلها حادي عشر شعبان فاقام بقلعتها ثلاثة أيام ثم سار إلى دمشق فاعترضه ابن أخيه تقي الدين وأصعده إلى قلعة جاءه وبات بها ليلة واحدة فاعطاه جملة واللاذقية وسار إلى بعلبك وأقام بمرجها يوما ودخل جامها ثم أتى دمشق فاقام بها حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تطييل وقته

## كتاب (١٣٤) الروضتين

عن الجهاد مهما أمكنه وكان قد بقي له من القلاع القريبة من حوران التي يخاف عليها من جانبها صندوك و كوكب فرأى ان يشغل الزمان بفتح المكائين في الصوم وقال العماد وودع السلطان عماد الدين صاحب سنجار والعساكر الغربية وانحفهم بالحف الجحيمه وارتاح الى العبور على ارتاح ووصل الى حلب وقد خرج كل من به التلقى مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقى وشاهدنا من النظارة عيوننا للحاسن ناظره ووجوهنا ناضره وقلوبنا حاضره والسناشأكره وأيد يافى بسطها الى الله لا تبال بالدعاء متظاهره فأقام بقلعتها أياما يسيره وألقى ولده الظاهر قدسار فيها أحسن سيره ثم سار منها على طريق المعتره وقصد زيارة الشيخ الزاهد أبي زكريا المغربي عنده مشهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فتبرك بزيارة الميت والحي ثم وصل الى حماة فنزل بقلعتها ومعه أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو عز الدين أبو فليحة القاسم بن المهنا وكان للسلطان في جميع انغروات مصادبا وعلى معاضدته مواظبا وما حضر معناه على بلد او حصن الا فتحناه وكان السلطان يستوحش لغيبته ويأنس بشيئته وكان يجنب السلطان جالسا ولنظرة عليه حابسا وكانت قلعة حماة ذات تل منبطح فلما تولوا هاتق الدين رفع ثلها وعمق خندقها وحصنها فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة وسر بما رأى من الحصانة والرفعة ووقف الملك المظفر لرحمته وجرى في الخدمة على رسمه وأصبح السلطان راحلا ولم يبق بحصن وجاء الى بعلبك على طريق الدارعة والابوة ووصل الى دمشق قبل رمضان وأشير على السلطان بان يرجع عسكره فقد أخذ في عامه مورده ومصدره وأرجع في سبيل الله متجبره فقال ان القدر غير مأمون والعمر غير مضمون وللغرض أوقات وللدهر آفات وقد بقيت مع الكفر هذه الحصون وان لم نبادرها اختل أمرنا المصون لاسيما صندوك وكوكب فانهم حالداوية والاسبانية في وسط البلاد والثغور الاسلامية بما واهية السداد فخرج ونشتو عندهما ونقص قصدهما فاذا فتحناها خلصت هذه البلاد وصفت الاوراد قال فما لبث السلطان ولا مكث ولا نقض عهد عزمه على الغزاة ولا نكث وقال لا نبطل الغزوة ولا نعطل هذه الشتوه

**(فصل) في فتح الكرك وحصونه** قال العماد ووردت البشرية بنجاح الدرك في تسليم حصن الكرك وذلك انها في مدة غيبتنا في بلاد انطاكية لم تعد من محاصرتها المضايقة النساكية وكان الملك العادل أخو السلطان مقيما بتبنين في العساكر محترزا على البلاد من غائلة العدو والكافر فأفامه السلطان هناك عند توجهه الى البلاد الشمالية لقصد جبلة واللاذقية فأقام بتبنين مقويا بالامراء المرتبين على الحصون حافظا على الدهاء بجرمته في الامور عادة السكون وكان صهره سعد الدين كشيبه بالكرك موكلا وبأهله من كلا قد غلظ رهنه وبقي حصاره معضلا وأمره مشكلا حتى فنت أزوادهم ونفدت موادهم ويئسوا من نجدة تأتيمهم وأحملت عليهم مصاييفهم ومشاتيمهم فتوسلوا بالملك العادل وأبدوا له ضراعة السائل فما زالت الرسالات تتردد والاقتراحات تتحدد والقوم يلبثون والعادل يتشدد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم وسلوا الحصن وتحصنوا بالسلامة وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامه وتسلم سعد الدين بعدها الحصون التي بقرها كالشوبك وهرمز والوعر وسلمع وقال القاضي ابن شداد وفي أثناء شهر رمضان سلمت الكرك من جانب نواب صاحبها وخلصوه بهامن الاسر وكان أسرى وقعة حطين المباركة وكتب العماد في بعض البشائر (سلم حصن الكرك وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث نفسه بقصد الجحاز وقد نصب اشراك شركه منه على طرف الاجتياز فأدقناه عام أول كاس الحام وتملكنا حصنه الذي كان يعتمد به في هذا العام واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام وتم يحل هذا البيت أمن البيت الحرام) وكتب القاضي الفاضل الى السلطان شفاعته (أدام الله سلطان مولانا الملك الناصر وثبته وتقبل عمله بقبول حسن وأنبته وأخذ عذوة قائلا أويته وأرغم أنفه بسيفه وكتبته خدمة المملوك هذه واردة على يد فلان خطيب عيذاب ولما نباه المنزل منها وقل عليه المرفق فيها وسمع بهذه الفتوحات التي طبق الارض ذكرها ووجب على أهلها شكرها وحصل لمن جرت على يده أجرها هاجر من هجر عيذاب ومحلها سار يافى ليله أمل كلها نباح فلا يسأل من صبحها وقد رغبت في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسل بالمملوك في هذا الملتبس وهو قريب

ونزع من مصر الى الشام ومن عذاب الى الكرك وهو عجيب والفقر سائق عنيف والمذكور عائل ضعيف ولطف الله تعالى بالخلق بوجود مولانا الطيف ورأيه أعلى ان شاء الله تعالى

**(فصل ١٠)** في فتح صفد قال القاضي ابن شداد ثم سار في أوائل رمضان من دمشق يريد صفد ولم يانفت الى مفارقة الاهل والوطن والولد في هذا الشهر الذي يسافر الانسان أين كان ليجتمع فيه بأهله فأناها وهي قلعة منيعة قد تقاطعت حولها أودية من سائر جوانبها فأحسق العسكر بها ونصبت عليها المجانيق وكانت الامطار شديده والوحول عظيمه ولم يمنعه ذلك عن جده ولقد كنت ليلة في خدمته وقد عين مواضع خمسة مجانيق حتى تنصب فقال في تلك الليلة ما ننام حتى نصب الخمسة وسلم كل منجنيق الى قوم ورسله تتوازر اليهم يخبرونه ويعرفونهم كيف يصنعون حتى أطلنا الصباح وقد فرغت المنجنيقات ولم يبق الا ركب خنازيرها فيها فرويت له الحديث المشهور في الصحاح وبشرته بجنة تضاء وهو قوله صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عينان تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله قال المؤاف أخرج الترمذي هذا الحديث وقال هو حديث حسن غريب قال ولم ينزل القتال متواصلا بالنوب مع الصوم حتى سلمت بالامان في رابع عشر شوال وقال العماد لما خرج السلطان من دمشق صحبه الفاضل وجعل طريقه على مرج برغوث وعبر بخاضعة الاخران وجاء الى صفد وقتلان من فيها من الفرنج وزادهم نفذ فنزل عليه في العشر الاوسط من رمضان فضايقتها ونصب المجانيق عليها الى أن سلمها مقدمها في ثامن شوال بالامان وراح الى صور وقد كانوا عدهم والقوت ووجدوا الموت الموقوت وعلوا انهم لم يخرج صفد من أيديهم دخلت أرجلهم في الاصفاذ فتمروا من الجهاد والجلاد وانها كانت في عين الاسلام قذى لا يتوقع منها على الايام الا مضرة وأذى فسهل الله صعبها وأوطأ هضبتها وكشف عن البلاد كبرها وقذف في قلوب أهلها رعبا فخرجوا مذعنين واستسلموا مسلمين وتبرؤوا من حصنهم ونزلوا بهواتهم وهنهم وأحضر وارثانهم للامانة في نقل متاعهم وندموا على ما كان من امتناعهم قال واجتمع الفرنج بصور ونحن نضايق حصن صفد وقالوا متى فحمت صفد فان كوكب لا تمتنع وأملنا عن حفظها ينقطع والرأى ان نجرد لها بجدة لعلها تثبت الى أن توافينا من البحر ملوكنا فسير رجل فنفر قوافي تلك الاودية يكونون في الشعب والهضاب وانفق ان أميراً من أصحابنا خرج متقنصاً فوق أعدهم في قنصه وحصل طائر منهم في قنصه فاستغرب وجوده في ذلك المكان فهذه وتوعده وأقامه للعذاب وأقعه حتى دل على مكن ذنابه فحاشوا الابصار من الدين فإيمان النجمي وأجناداه الا وقد تروا عليهم في آكام ذلك الشعب ووهاده فتلقطوهم من كل غار ووجار ولم يبتدأ أحد من أولئك الضلال الى نهج فرار فحاشا عننا ونحن على صفد للحصار حتى وصل صاحب قايماز بالا ساري مقرنين في الاصفاذ مقودين في الاقياد وكان فيهما مقدمتان من الاسبتار وقد أشفيا على البتار فان السلطان رحمه الله ما كان يبغي على أحد من الاسبتارية والدوايه فاحضر عند السلطان للنيه فأنطقه ما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما وقال عند دخولهما ما نظن اننا بعد ما شافهنالك يلحقنا سو فعرقت ان بقاءهما مرجو فمال الى مقالهما وأمر باعتقالهما فان تلك الكلمة حركت منه الكرم وحقت منه الدم وفتح الله علينا صفد ثامن شوال حين فرغنا من صوم ست منه بعد صوم رمضان وجمعنا بين فضيلتي الصوم والجهاد وسلمت قلعة صفد الى شجاع الدين طغرل الجاندار واستبشرنا بانعكاس ما أحكمه الكفار

**(فصل ١١)** في فتح حصن كوكب قال القاضي ابن شداد ثم سار رحمه الله عليه يريد كوكب فنزل على سطح الجبل وجر العسكر وأحسق بالقلعة وضايقتها بالكلية بحيث اتخذ له موضعا يتجاسر به نشاب العدو وبني له حائطا من حجر وطن يستروا به والنشاب يتجاسر به ولا يقدر ان يقف أحد على باب خيمته الا أن يكون ملبسا وكانت الامطار متواترة والوحول بحيث تمنع الماشي والراكب الابشقة عظيمة وعانى شداثا وهو الا من شدة الرياح وتراكم الامطار وكون العدو متسلطا عليهم بعلو مكانه وجرح وقتل جماعة ولم ينزل راكبا من كوكب لجد رحمة الله حتى تمكن النقب من سورها ولما أحس العدو المخذول بالنقب وقدم من السور علمه مخذول ما خوذ فطلب الامان فأمهم وتسلبها في منتصف ذي القعدة ونزل الى القورا الى الثقل وكان قد أنزل الثقل من شدة الوحل والريح

## كتاب (١٣٦) الروضتين

في سطح الجبل وقال الامجاد وجئنا الى كوكب فوجدناها في مناسط الكوكب كأنها وكر العنقاء ومنزل العواء قد  
نزلتها كلاب عاويه ونزعت بها ذئاب غاويه وقالوا لوبيق مناسط واحد لحفظ بيت الاستتار وخلصه الى الابد من  
العار ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار فنتشدد لا نتظار ثم وصف القتال بالرمي والمنجنيق والنقب والتعليق  
والحفر والتعميق والحصر والتضييق ثم قال وكان الوقت صعبا والغيث سبكا وتكاثر السيول وتكاثفت  
الوحول ودامت الديم لمدها مريقه وبقيت الخيم في الطين غريقه وكننا في شغل شاغل من تقلع الاوتاد  
وتوتد الاقدام وهى الاطناب ووقع الخيام وقد عادت الخيام مناخل الانداء والانوار معدومة لوجود الانواء  
وماء الشرب مفقود مع سيول الماء والرواحل في الطين باركة وهى للعلف تاركة والطريق رزقه وهى مع سعتها ضيقة  
فنقل السلطان خيمته الى قرب المكان لتقريب وجوه الامكان وبني له من الخباز ما صار له كالستاره ونزلت  
الانقال والخيم الى أسفل التل بالغور وأقام السلطان على محاصرة الحصن ومصابرته ونحن نركب اليه من الخيام  
بكرة وعشية للسلام وتنفيذ المهام حتى بلغ الرجال أما كن البقوب وتمكن لهم المطلوب فشرع الكفرة في التذلل  
وسلوا الحصن بالامان وعرضه على جماعة في قبيل ولايته أحد سوى قايمار الخيمي على كره منه وذلك في منتصف  
ذي القعدة ونزل السلطان الى الخيم بالغور ومن كتاب فاضلى الى سيف الاسلام باليمن عن السلطان (عما تجدد  
بمحضر تنافح كوكب وهى كرسى الاستتارية ودار كفرهم ومستقر صاحب أمرهم وموضع سلاحهم وذخرهم وكان  
يجمع الطرق قاعدا ولملتقى السبل راصدا فتغافت بفتحه بلاد الفتح واستوطنت وسلكت طرقها وامنت وعمرت  
بلادها وسكنت ولم يبق في هذا الجانب الا صور ولولان البحر ينجدها والمرأك ترددها لكان قيادها قادأمكن  
وبجأها قد أذعن وماهم بحمد الله في حصن يحمهم بل في سجن يحويهم بل هم أسارى وان كانوا طلقاء وأمواتا  
وان كانوا أحياء قال الله تعالى فلا تجعل عليهم غمنا بعد لهم عدا وكان نزولنا على كوكب بعد ان فتحنا صافد  
بلد الداوية المصونه وفتحنا الكرك وحصونه والجلال السامى اعلم بما كان على الاسلام من مؤتته المثقلة وقضيته  
المشكلة وعلته المضله والله تعالى المشكور على ما طوى من كلمة الكفر ونشره من كلمة الاسلام  
فان بلاد الشام اليوم لا يسمع فيها الغر ولا تأثم الا قليلا لاسلاما ماسلاما فادخلوها بسلام وكان نزولنا على كوكب  
والشاة في كوكبه وقد طلع من الانواء في موكبه والثلوج تنشر على الجبال طي ملائها والادوية قد بحت بمائها  
وفاضت عند املائها فتشخت أنوفها سيولا وخرقت الارض وبلغت الجبال طولاً والواحل اعتقلت الطرقات  
ومشى المطلق فيها مشية الاسير في الحلقات فتجشمت العناء ونحن ورجال العساكر وكبرنا العدو والزمان وقد  
تحرزنا الحظ المكابر وعلم الله النية فأنجدها بفعلها وخبر الامانة فأعان على حملها ونزلنا من رؤس الجبال منازل  
كان الاستقرار عليها أصعب من ثقلها) ثم قال (والآن فالجلال السامى يعلم ان الفرنج لا يسبون عما فتحنا ولا يصبرون  
على ما جرحنا وانهم لعنهم الله أثم لا تحصي وجيوش لا تستقصى وبد الله فوق أيديهم وسيجعل الله بعد عسر يسرا  
وما هم الا كلاب قد تعاوت وشياطين قد تعاوت وان لم يقدفوا من كل جانب استأسدوا واستكلبوا وكانوا  
لباطلهم الداحض انصر منا لحقنا الناهض وقد كتب المستخدمون بالاسكندرية وصاحب قسطنطينيه والغور  
المغربية ينذرون بأن العدو قد أجمع أمرا وحاول نكرا وغضبوا زادهم الله غضبا وأوقدوا نار الحرب جعلها الله  
عليهم حطباً وسوا سيوفاً للبغي لا يبعد أن يكونوا انما عدا وتواعدت جوع ضلالتهم أخلف الله ميعادها وأمانحن  
فبالله ندفع ما نطبق وما لا نطبق واليه نرغب في ان يثبت قلوبنا اذا كادت تزيع قلوب فريق ونحن الآن نستعيد  
أخانا وندعوه الى ماله دعينا ونؤمل من الله أن ينصرنا دينا وندعوه ان يثبت نفسه سريرا ويعسكره جميعا وبذخره  
الذى كان مثله مجموعا وان يليه اعداء امانا يطيع بهار بدار لانه اعدوه واما ان ينصر بهانيه صلى الله عليه وسلم  
فانه اشر بعته واما ان يعين به أخاه فانه اشد على الاسلام لاشدته هذا وان كان المجلس قد قعد عنا ولم يعدنا في مرض  
الاجسام فلا يقعدنا في مرض الاسلام فالبدار البدار فان لم يكن الشام له بدار فاليمن له بدار والجنة الجنة  
فانها لا تنال الا بايقاد الحرب على أهل النار والهمة الهمة فان البحار لا تلقى الا بالبحار والملوك البكار لا يقف  
في وجوهها الا الملوك البكار وفي هذه السنة نزل على انطاكية ونزل ولدنا المظفر تقي الدين على اطرالمس ويستقر  
الركاب

الركاب الملكي العادي بمصر لانهما ذكورة عند العدو وانها تطرق وان الطلب على مصر والشام منه يفرق ولا غنى عن ان يكون المجلس السمي في بحر في بلاد الساحل يزخر سلاحا ويجتر دسما فيكون على ما فتحنا قفلا وما لم يفتح بعد مفتاحا وما يدعى للعظيم الا العظيم ولا يرجي لموقف الصبر الكريم الا الكريم هذا والافقار جاريه ومشبهة الله ماضيه فان بشأ ينصرنا على العدو المضعف بالعدد الاضعف فانا لانرتاب بأن الله تعالى ما نفع علينا هذه الفتوح ليغلقها ولا جمع علينا هذه الامة ليفرقها وانما يؤثر أن يتساهم آل أيوب في ميراثهم منه موافق الصبر ومطالع النصر ولا يسرنا ان ينقضى أمره في قتال غير الكافر ونزال غير الكفر المناظر فانها هي سفرة فاصده وزجرة واحدة فاذا هو قديض الصيغة والوجه والدكر فليحضر وليشاهد أولاد اخيه يستشعرون لفرقه غما قد عاشوا وما عاشوا ولا يعرفون ان لهم مع عهدهم (وله اليه من كتاب آخر وكان بعد اعتذاره عن الحضور) المولى على حسب اختياره ان سار فثله من ساروسر وقاد الجيش وجرت نفع المولى وضرب العدو والذي اضر وان أقام فالعدو الذي أقره واشفاق السلطان عن نصره الذي رده عن وجهه والرأى الذي رده فلا يكتفى في صدره من الامرين حرج ولا يخف استقصاء عزمه ان ركذ أو خرج فكانه مكانه من القلب وودعه وله من المسان حده وهو سيف الاسلام ان ضرب فبحده أو صين في غمده لا زال المولى منوها باسمه ومرفها في جسمه ومجرد اسيف عزمه وسعيدا بحكم التوفيق فلا خرج التوفيق عن حكمه) ومن كتاب عمادى الى الديوان بفتح الكرك والشوبك وظفر وكوكب بقول فيه (والآن فقد خلص لنا جميع مملكة القدس وحدها في سميت مصر من العريش وعلى صوب الحجاز من الكرك والشوبك وتشتمل على البلاد الساحلية الى منتهى أعمال بيروت ولم يبق من هذه المملكة الا صور وفتح أيضا جميع اقالم انطاكية ومعاقها التي للفرنج والارمن وحده من أقصى بلاد جبلة واللاذقية الى بلاد اب لاون وبقيت انطاكية بمفردها والقصير من حصونها ولم يبق من البلاد التي لم تنفع أعمالها ولم تخل عما كانت عليه حالها سوى طرابلس فانها لم يفتح منها الا مدينة جبيل وقد سحبت عليها المهلة الدليل ومعاقلها باقية وليس لها من عذاب الله الواقع واقية والحصادم الآن على التوجه اليها وعزم النزول عليها وان قدر تب الجانب القبلي والبلد القدسي وشحن الثغور من حدد جبيل الى عسقلان بالرجال والاموال والآلات العدد والعدد المتواصل الممدد ورتب فيها ولده الافضل عليها لحمايتها وحفظ ولايتها وقلده العزيز عثمان ولاية مصر ومملكة أقاليمها لتهديب أحوالها وتقويمها

(فصل) في باقى حوادث هذه السنة قال العماد وما فرغ السلطان من شغل القلاع ونزل الى الوهاد من التلاع تجدد للاجل الفاضل عزم مصر فركب السلطان معه للوداع ثم تقول الى صحراء يسان وأقام بها الى مستهل ذى الحجة ثم رحل يوم الجمعة مستهل الشهر ومع أخوه العادل وسلكا طريق الغور الى القدس ووصله يوم الجمعة ثامن الشهر وهو يوم التروية وصلى الجمعة في قبة الصخرة وعيدها يوم الاحد عيد الاضحى وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مهامها ونظم أسباب أحكامها ثم أذن للعادل في العرد الى مصر لمساعدة ولده العزيز وودعه وأعطاه الكرك وأخذ منه عسقلان قاله ابن شداد ورحل على سميت عكا بعسكره موقفا في مودعه ومصدره فعا عبر بيلد الاقوى عدده وكثر عدده وانفصل العماد عن خدمته الى دمشق عند رحيله من يسان لعارض مرض سلبه الامكان وما زال منفصلا عنه الى ان وصل السلطان دمشق بعد شهرين مستهل صفر من السنة الجديدة وفي هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان توفي الامير محمد الدين مؤيد الدولة اسماعيل بن مرشد بن علي بن منقذ وكان مولده بشير سنة ثمان وثلاثين واربع مائة فبلغ عمه رستا وتسعين سنة وفيها في الثامن والعشرين من جمادى الاولى توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحارزمي الحمداني ببغداد صاحب المصنفات على صغر سنه منها البحال والناسخ وغيرها ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسة مائة ترجمه الله تعالى قال العماد ووصل كتاب من مصر ونحن على حصار صفدان اثني عشر رجلا اعلنوا بإسعار أهل القصر ودخلوا من باب زويلة الى قرب الصياقلة بمحذوب السيف لادالة الدولة الزاهقة ونصرة الدعوة الباطلة وهم ينادون يال على وفي زعمهم انهم يقبلون بالصوله ويقبلون بالباس لباس الدولة ويخالون انهم اذا ناروا أناروا واذا داروا أداروا فما اكثرت بهم مكثرت ولا انبعث اليهم منبعت فلما تحققوا انهم لا يجيب لهم ولا داع تفرقوا في الدروب واضمحوا وكانوا عقدوا على الوفاء

## كتاب (١٣٨) الروضتين

فانحلوا ثم أخذوا ووقدوا واعتقلوا ولم يستعقدوا ولما علم السلطان بهذا الامر عراه الهم وتضجر بن علي بابه من وفود مصر وقال الى متى تحمل منهم هذا الوهم فطردهم وردعهم وردتهم وكان قد وفد الى الباب السلطاني جماعة من أولاد الوزراء المصريين والامراء بها المقدمين ومن أهل المعروف المعروفين ووافق ذلك دخول الفاضل اليه فأخبره بالحب فقال له يجب ان تشكر الله على هذه النعمة فقد عرفت بهذا طاعة رعيتك وموافقة نياتهم لنيتك اليس لم يلب دعوتهم أحد ولم يكن من ورائهم مدد قطب نفسا وزد بمنزلة عند الله أنسا فقال السلطان كان الملوك قبلي تخافهم وتغرب منهم الرعيه وتتوقع منهم البليه والآن فقد تكاثروا علينا وتوافدوا الينا حتى اضجرونا وأملونا ونفرونا فاذا ركبنا وارتنا تعاورونا بالقصص وساورونا بالقصص فقال له أنت أولى بشكر الله على هذه العارفة كان بمصر من صاحب القصر وأشياعه وخدمه واتباعه وأمرائه وخواصه وذوى استخلافه وجهاته والزامه كل من كان يرتع الخلق في رياض انعامه وكين بالشام في كل بلد والى وصاحب له على أهله نعم ومواهب وملوك يلوذهم الاقارب والاجاب واليوم أنت سلطان الجميع وقد رد الله الآمال في تلك الصنائع كلها الى مالك من حسن الصنيع وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك ووفدوا الى جنابك فلا يجدون بعد الله الاجودك فأكرم وفودك فأغرورت بالدموع عيناه وبالسماح يداه وأقسم انه ما عاش لا يرث قاصدا ولا يصد وأفدا وتقدم في الحال بقضاء حقوق الوافدين وانجاح آمال القاصدين قلت وكتب الى السلطان في هذا المعنى أبو الفتح سبط التعاويذي من بغداد

فلا يضجرنك ازدحام الوفو \* دعليك وكثرة ما تبذل  
فانك في زمن ليس فيهم جواد سواك ولا مفضل  
وقد قل في أهله المنعمو \* ن وقد كثرت البائس المرمول  
وما فيه غيرك من يستما \* ح وما فيه الاك من يسأل

وقرأت رقعة بخط الفاضل (المملوك ينهى وصول خفر الكتاب الجويني وقد كاد يهلك من لهب الحتر والمشقة في السير وكيف يكون حال ابن السبعين مع المرض اللازم والقولخ الدائم ونخافة الاعضاء وضعف القوة واستشعار انقطاع الرزق الذي هو نظير انقطاع العمر وما أظن ان الله أجرى على يد المولى ولا فرح عداؤه بأن يقطع رزق مثل هذا البقية الحسنة والضيف الراحل والاديب الفاضل في أيام مولانا التي هي تاريخ الكرم ومواسم النعم) وفي آخرها (ومما يجب ان يعلم المولى ان رزاق أرباب العماثم في دولته اقطاعا وارتبا بتجارتهم في ألف دينار بشهادة الله وربما كانت ثلثمائة ألف دينار) وفوق الرقعة بخط الصلاحي (وقفت على رقعة القاضي الفاضل وما يقطع لاحد رزق ان شاء الله تعالى بل هي عـالات نحن مثل الغريم المنكسر نرضى لدا بجال ذوا على الجملة ما تقدمت بقطع رزق أحد والورقة قد علمت اكتب فيها الذي لهما وغيرهما ان شاء الله تعالى) وكان في آخر الرقعة ذكر الجبال الخفي وكأنه كان له مثل حاجة الجويني رحم الله الكل اجمعين

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين) قال العماد والسلطان في عكنا فاد الامر نابه القدر فأحكم أمرها وكشف ضررها واستحضر جماعة من مصر يحجبهم الثغر فما انفصل حتى وصلوا واتبعوا أمره وامتلأوا وتقدم الى بهاء الدين قراقوش باتمام العمارات وولى حسام الدين بشاره وعول عليه في الولاية والحفظ والحمايه وقال القاضي ابن شداد أقام بعكنا معظم المحترم يصلح أحوالها ورتب فيها بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بعمارة السور والاطناب فيه ومعه حسام الدين بشاره وسائر يرد دمشق فدخلها مستحل صفر قال العماد وولى مملوكه فارس الدين كشتغدي شهرزور وأعمالها وكان قد تزوج بأخت عز الدين حسن بن يعقوب بن قنجاقي فولاه ذلك لقرب الولاية القنجاقيه من الشهرزوريه وقصد حصول المناصره بحكم المصاهره قال وحكم السلطان بدر الدين مودودي ولاية دمشق وجدد له منشورا بناشئ وفيه (وقد قلناه أمر دمشق وجهاتنا وأعمالنا والعشري والكوآت وكل ما يجري في الديوان وما يتبع الخزانة وولاية المدرج والغوطة وما يضاف اليها من الاعمال وولاية الجبل ووادي بردا وبيسوس وتولي الشهنكيات وحفظ الطرقات) ثم رحل السلطان الى طبريه فالحقها بعدلته العمريه ثم وصل وأقام بدمشق



شهر صفر ووجه الدين به قدسفر وعزم من وذل من كفر وبدأ بحضور ارا العذل وحكم بالشرع المطهر ووصل في  
ثاني عشر صفر رسول الديوان ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه والوزير يومئذ معز الدين بن حديد به بأمر بالخطبة  
لولى العهد عدة الدين أبي الفضل نصر محمد بن الامام الناصر فاستقبله السلطان وأولاده وأمرأه واجناده وخطب  
له بذلك يوم الجمعة ثالث عشر صفر خطيب دمشق ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي فلما انقضت  
الخطبة وعاد الرسول سير السلطان معه رسوله ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزورى وسيرت معه الهدايا والتحف  
السنايا وأسارى الفرنج الفرارس وعددها النفائس وتاج ملكهم السليبي والملبوس والطيب والصليب وهو  
الذى كان فوق القبة بالصخرة المقدسه ليدل على تطهير ما كان هناك من الاسباب المندسه وسار الضيا آن رسولهم  
ورسل السلطان ودخل بغداد وأسارى الفرنج على هيئته يوم فراغها را كبة حصنها فى طوارقها ويارقها وادارها  
قد تكست بنودها واتعست أنوفها وهيئت على هيئة فتوحناحتة وفها قلت وقال ابن القادسي قدم ابن الشهرزورى  
ومعه صليب الصلבות الذى تعظمه النصارى فدفع تحت عتبة باب النبى الشريف يتبين منه شئ قليل وكان من  
نحاس وقد طلى بالذهب فجعل يداس بالارجل ويصق الناس عليه وذلك فى سادس عشر ربيع الآخر كذا قال صليب  
الصلبوت وقد نص العباد فى البرق على انه الصليب الذى كان فوق الصخرة وهذا غير ذلك والله أعلم ثم ان الخليفة  
الناصر اعتقل ابنه هذا بعد مدة فى سنة احدى وستمائة وأراد على خلع نفسه من ولاية العهد ففعل وأشهد على نفسه  
بذلك ثم قضى الله سبحانه ان عادت اليه ولاية العهد فى أواخره فخطب له بذلك ونقش اسمه على الدينار والدرهم  
الى ان توفى الناصر سنة اثنتين وعشرين وتوفى بعده فافام بموت سنة أشهر وكتب بالظاهر ثم توفى وولى ابنه المستنصر  
المنسوب اليه المدرسة ببغداد ثم توفى سنة أربعين وولى ابنه المستعصم بالله وهو الخليفة الآن والله المستعان

**(فصل ١٠)** فى فتح شقيف ارنون قال القاضى ابن شداد وهو موضع حصين قريب من بانياس خرج السلطان  
من دمشق بعد صلاة الجمعة فى الثالث من ربيع الاول فسار حتى نزل فى مرج فلوس ونزل من الغد يوم السبت  
فى مرج برغوث فاقام به والعساكر تتابع الى حادى عشرة ورحل الى بانياس ومنها الى مرج عيون فخيم به وهو قريب  
من شقيف ارنون بحيث يركب كل يوم يشارفه ويعود والعساكر تتجمع وتطلبه من كل صوب فاقام اياما نشرف كل  
يوم على الشقيف والعساكر الاسلامية فى كل يوم تصبى متزايدة العدد والعدد وصاحب الشقيف يرى ما يتيقن  
معه عدم السلامة فرأى ان اصلاح حاله معه قد تعين طريقا الى سلامته فنزل بنفسه وما أحسنابه الا وهو قائم  
على باب خيمة السلطان فاذن له فدخل فاحترمه وأكرمه وكان من كبار الفرنجية وعقلائها وكان يعرف بالعربية  
وعنده اطلاع على شئ من التواريخ والاحاديث قال وبلغنى انه كان عنده مسلم يقرأ له ويعلمه وكان عنده اناة  
فحضر بين يدى السلطان وأكل معه الطعام ثم دخل به وذكرا انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه من غير تعب  
واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه لا يقدر بعد ذلك على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق يقوم به  
وابهله وانه يمكن من الإقامة بموضعه وهو يتردد الى الخدمة ثلاثة أشهر من تاريخ اليوم الذى كان فيه حتى يتمكن  
من تخليص أهله وجاعته من صور وبأخذ مغل هذه السنة فاجيب الى ذلك كله وأقام يتردد الى خدمة السلطان  
فى كل وقت وبما ظارنا فى صحة دينه ونناظره فى بطلانه وكان حسن المحاوره متأد بافى كلامه ثم استفاض بين الناس  
ان صاحب الشقيف فعل ما فعله من المهلة غيلة لانه صادق فى ذلك وانما قصده تدفيع الزمان وظهرت لذلك  
مخايل كثيرة من الخوض فى تحصيل الميرة واتقان الابواب فرأى السلطان أن يصعد الى سطح الجبل يقرب من  
المكان ويمنع من دخول نخدة وميرة اليه وأظهر ان سبب ذلك شدة جوار الزمان والفرار من دحم الأرج فنزل صاحبه  
وسأل أن يمهل تمام سنة فاطله السلطان وما آنسه وقال نفكر فى ذلك ونجمع الجاعة وتأخذ أربعم ثم وكل به من  
حيث لا يشمر الى أن كان من أمره ما سيذكر قال وفى أثناء ربيع الاول ووصل الخبر بتسليم الشوبك وكان قد  
أقام السلطان عليه جمعا عظيما يحاصر ونه مدة سنة حتى فرغت أروادهم وسلبوه بالامان وقال العباد كان الشقيف  
فى يد صاحب صيدا ارنط وقد أكمل فى حفظه الاحتياط قتل الى خدمة السلطان وسأل أن يمهل ثلاثة أشهر  
يتمكن فيها من نقل من بصور من أهله وأظهر انه محترم زمن علم المراكيس لعنه الله بحاله فلا يسلم من جهله وحينئذ



## كتاب (١٤٠) الروضتين

بسلم الموضع بما فيه وبدخل في طاعة السلطان ومراضيه ويجده على اقطاع يغنيه وعن حب أهل دينه يسليه  
فاكرمه وقربه وقضى أربه وأجابه الى ما سأله وقبل منه عزيزا ما بذله بذله واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه ووجد اليه  
سكونا وسكينة فشرع انراط في اذالة حصنه وازالة وهنه وترميم مستهدمه وتوفير غلاله وتدبير أحواله ونحن في غرة  
من تحفظه وفي سنة من تيقظه وكان يبيع من عسكرنا المير وكنتر فيه الذخير وقدأ نمر الغدر وظن ان له  
النصر والسلطان حسن الظن به يحمل صدق الواشي به على كذبه وكان انتهاء المدة يوم الاحد ثامن عشر جمادى  
الآخرة وأقام السلطان بالمرج ينتظر ان يسلاخ الهدنة وتسليم الحصن وخاف ان فارقة ان تجبى امداد الفرنج اليه  
وكان مشفقاً أيضاً من جانب انطاكية لانهاء أشهر هدمتها فكاتب الى تقي الدين بالمقام في تلك الخطة وسير بذلك  
الفقيه عيسى الهكاري ولم نستدع الا صاحب آمد قطب الدين سكران بن قرا ارسلان فجاء في امداده واعداده  
ولازم السلطان فلما قرب انتهاء مدة صاحب الشقيف أحضره السلطان فصرع وقال ان قومي الى الان لم يخلصوا  
من صور وقد أنعمت فاتم وسأل أن تكون المهلة سنة فعرف السلطان من خوى حاله أمارات الارتياح فكلمه بانياس  
ومارده يباس فأرخصي طوله وأرجى أملة وأمر السلطان بتحويل الخيم الى ظاهر الجبل ليقر من الحصن وقد بقي من  
الهدنة يومان فتصور صاحب الحصن قليل له تقيم عندنا في كنف الامان فبكى وتأل من ضبطه وانكشفت سر رته  
الغادرة فأمر بحمله الى الشقيف حتى يسلمه ووكل به وحفظ من حيث لا يعلم وقيل له لعله يحسن ولا يجوز الى  
المقابلة ويسلم وقيل له قد بقي يومان من المدة تنعيم حتى تنتهي وتسلم فأبدى ضرورة وضراعه وقال سمعنا وطاعه  
وكان له ملقى وملقى وفي لسانه دلق وما عنده من كل ما يفرق فرق وقال انا أنفذ الى نوابي في التسليم وهو قد تقدم  
اليهم بالوصية والتعليم فآظهور واعصيانهم وقالوا يبقى مكانه فقيده وحمل الى قلعة بانياس وبطل الرجاء فيه وبان الياس  
ثم استخسرى في سادس رجب وهدده وتوعده فلما لم يفد خطابه ولم يجد ذاب سيره الى دمشق وسجنه وترتب عدة  
من الامراء بملازمة حصر الحصن في الصنف والشتاء الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم وأطلق صاحبه وأجرى  
عليه حكم الحلم

**(فصل)** وفي مدة مقام السلطان على مرج عيون لمحاصرة شقيف ارنون اجتمعت الفرنج وجرت لهم  
مع المسلمين وفائع قال القاضي ابن شداد كان السلطان قد اشترط على نفسه حين تسلم عسقلان انه ان أمر الملك من  
بها بتسليمها أطلقه فأمرهم بتسليمها وسلوها فطالبه الملك باطلاقة فأطلقه وفاء بالشرط ونحس على حصن الاكراد  
أطلقه من انظر سوس واشترط عليه أن لا يشهر في وجهه سيفا أبداً وان يكون مملوكه وطليقه فنكت لعنه الله  
وجمع الجوع وأتى صور يطلب الدخول اليها فخرج على بابها راجع المركيس الذي كان بها في ذلك الوقت وكان المركيس  
اللعين رجلا عظيما ذارأى وباس شديد وصرامة عظيمة فقال له انني نائب المملوك الذين وراء البحر وما أذنوا لي في  
تسليمها اليك وطالت المراجعة واسنقرت القاعدة بينهما على أن يتفقوا جميعا على المسلمين وبجعة العساكر التي  
بصور وغيرهما من الفرنجة على المسلمين وعسكر وعلى باب صور ولما كان يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى  
بلغ السلطان من جانب اليزك ان الفرنج قد قطعوا الجسر الفاصل بين أرض صور وأرض صيدا وهي الارض التي  
نحن عليها فركب السلطان نحو اليزك فوصل وقد انفصلت الوقعة وذلك ان الفرنج عبر منهم جماعة الجسر فنقض  
اليهم يرك الاسلام وكانوا في عدة وقوة فقاتلواهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا وجرحوا أضعاف ما قتلوا ورموا في النهر  
جماعة فغرقوا ولم يقتل من المسلمين الا مملوك للسلطان يعرف بابيك الأخرس وكان شجاعا باسلا مجربا للرب محاربا  
فتفتنط به فرسه فلجأ الى صخرة فقاتل بالشاب حتى فى ثم بالسيف حتى قتل جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه  
وفي يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ركب السلطان يشرف على القوم على عادته فتمتع العسكر خلق عظيم  
من الرجالة والغزاة والسوقه وحرص رجه الله في ردهم فلم يفلحوا وخاف عليهم فان المسكان كان حبالا دس للراحل فيه  
ملجأ ثم هجم الرجال الى الجسر وناوشوا العدو وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع لهم من الفرنج  
خلق عظيم وهم لا يشعرون وكشفوهم بحيث علموا ان ليس وراءهم كمين فحملوا عليهم جملة واحدة على غرة من  
السلطان فانه كان بعيدا منهم ولم يكن معه عسكر فانه لم يخرج للقتال وانما ركب مستشرفا عليهم على العادة في كل

## في أخبار (١٤١) الدولتين

يوم ولما بان له الوقعة وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط والفرنج قد تكاثروا حتى خافت منهم السرية التي بعثها السلطان وظفر وابل بالرجال تطفر اعظما وأسروا جماعة وعد من قتل من الرجال في ذلك اليوم فكان عدد الشهداء مائة وثمانين نفرا وقتل من الفرنج ايضا عدة عظيمة وغرق ايضا منهم عدة وكان من قتل منهم مقدم الامانية وكان عندهم عظيم محترما واستشهد في ذلك اليوم من المعروفين من المسلمين الامير غازي بن سعد الدين مسعود بن البيطارو وكان شابا حسنا شجاعا واحتسبه والده في سبيل الله ولم يتقطر من عينيه عليه دموعه على ما ذكره جماعة لازموه قال وهذه الوقعة لم يتفق لافرنج مثلها في هذه الوقائع التي حضرتها وشاهدتها لم ينالوا من المسلمين مثل هذه الوقعة في هذه المدة ولما رأى السلطان ما حل بالمسلمين من هذه الوقعة النادرة جمع أصحابه وشاورهم وقرر معهم انه يحجم على الفرنج ويعبر على الجسر ويقاثلهم ويستأصل شاقهم وكان الفرنج قد رحلوا عن صور ونزلوا قرب الجسر وبين الجسر وصور مقبدا فرسخ وزائد على فرسخ فلما صم العزم على ذلك رحل الفرنج عائدين الى صور ملتجئين الى سورها فرأى رجمه الله ان يسير الى عكا ليلاحظ ما بين من سورها ويبحث على الباقي فراح على تبنين ولم يرجع على مرج عيون فخصي الى عكا فترتب أحوالها وعاد الى العسكر مرج عيون منتظرا مهلة صاحب الشقيف ولما كان يوم السبت سادس جمادى الآخرة بلغه ان جماعة من رجاله العدو يتبسطون ويصلون الى جبل تبنين يخته طبون وفي قلبه من رجاله المسلمين وما جرى عليهم أمر عظيم فرأى أن يقرر قاعدة كمين يرتبه لهم وبلغه انهم يخرج وراءهم أيضا خيل تحفظهم فعمل كمينًا يصلح للقاء الجميع ثم أنفذ الى عسكر تبنين أن يخرج جواف نفير يسير عابرين على تلك الرحالة وان خيل العدو اذا تبعتهم ينهزمون الى جهة عندهم وان يكون ذلك سبعة الاثنين ثامن جمادى الآخرة وارسل الى عسكر عكا أن يسير حتى يكون وراء عسكر العدو حتى ان تحرروا في نصره أصحابهم قصدوا خيمهم وركب هو وحقفه الى الجهة التي عينها لخرمة عسكر تبنين حتى قطع تبنين ورتب العسكر ثمانية أطلاب واستخرج من كل طلب عشرة فارسا وأمرهم أن يترأوا للعدو حتى يظهروا اليهم ويناشوهم وينهزموا بين أيديهم حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا ذلك وظهروا لهم من الفرنج معظم عسكرهم يقدمهم الملك لعنه الله وجرى بينهم وبين هذه السرية اليسيرة قتال شديد والتزمت السرية القتل وأنفوا من الانهزام بين أيديهم وجملتهم الحجة على مخالفة السلطان واتصل الخبر بالسلطان في أواخر الامر وقد هجم الليل فبعث بعونا كثيرة فعاد النرجحنا كصين على أعقابهم وقتل من الفرنج عشرة أنفس ومن المسلمين ستة اثنان من الترك وأربعة من العرب منهم الامير زامل وكان شابا بامنا حسن الشباب يتقدم عشيرته وكان سبب قتله انه تقطرت به فرسه ففداه ابن عمه بفرسه فتنظرت به أيضا وأسر هو وثلاثة من أهله فلما بصر الفرنج بعد العسكر قتلهم خشية الاستنقاذ جرح خلق كثير من الطائفتين وخيل كثيرة قال ومروا هذه الوقعة ان ملوكا من ملوك السلطان يقال له ايبك الخن بالجراح حتى وقع بين القتلى وجراحاته تشخب دما وبات ليلة أجمع على تلك الحال الى صبيحة يوم الثلاثاء فتفقد أصحابه فلم يجدوه فعرفوا السلطان فقده وأنفذ من يكشف عن حاله فوجدوه بين القتلى فحملوه الى الخيم وعافاه الله وعاد السلطان الى الخيم يوم الاربعاء عاشر الشهر فرحامسورا وقال العماد اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجى على ملكهم الذي خلص من الاسر وقالوا نحن في جمع جسم خارج عن الحصر وقد تواصلت اليينا اسداد البحر فسر بنا للشار وأعدنا من هذا العار وجاء من كان بطرابلس وخيم واعلى صور واتفقوا انهم يقصدون بلادا اسلاميا من الساحل ويقبضون عليه والمركب يسرهم من صور بالمدد والعدد ثم جاء الخبر انهم على قصد صيد الحصص وقد جسر واعلى عبورا للجسر ووعت عليهم الزكية فردوهم ووقع في الاسر من سباعهم سبعة فحملوا الى سخن دمشق ثم ذكروا قتلهم للغزاة المطوعة على الجسر وقال لم يصب الكفار من المسلمين مذابيحوا غير هذه الكره واذا قوتنا بعد ان حلالنا اجنا الفتوحات مرارة هذه المره فايقظنا الله من ردة المغر و أخذ الناس حذرهم وقالوا بهذا وعد الله حيث قال فيقتلون ويقتلون وعبادهم الذين يتبعون أمره ويمثلون ثم ذكروا وقعة الكمين قال وكان مع المسلمين أربعة من أمراء العرب فحملوا كما وصاهم السلطان على عزم الطراد ليقصدوا الكمين وسلكوا أسفل الوادي وانما الطريق أعلاه ولاخبره لهم بتلك الارض فعرف الفرنج انهم ضائعون فطاردوهم

## كتاب (١٤٢) الروضتين

وردوهم الى المضيق وانفت العرب من الهزيمة فاستشهدوا قال وكان معهم عمالوك لاسلطان يقال له ابيك السافي فاعتزل الى صخرة واحتمى بها ونكب ككاته ورماهم بنشابها وهم لا يدرون على الاقحام اليه بالخييل فرموه بالزنبورك حتى كثرت فيه الجراحات وظنوا انه قد مات ووصل الخبر الى المسلمين فادركوهم ووقفوا على الشهداء وقبروهم وجاؤا الى ابيك فوجدوا فيه الروح فنقلوه الى الخيام وهم يظنون انه لا خلاص له من الحمام وكان في اجله باقية **فَنَ اللّٰهُ عَلَيْهِ بِالْعَافِيَةِ**

**(فصل ١٠)** في نزول الفرنج خذهم الله على عكا قال القاضي ابن شذاد ثم بلغنا بعد ذلك ان الفرنج بصور ومن كان مع الملك قد ساروا نحو النواقيير يريدون جهة عكا وان بعضهم نزل باسكندر ونه جري بينهم وبين رجاله المسلمين مناوشة وقتل منهم المسلمون نفر ايسر او اقاموا هناك ولما بلغ السلطان حركتهم الى تلك الجهة عظم عليه ولم ير المسارعة خوفا من ان يكون قصدهم ترحيلهم عن الشقيف لا قصد المكان فافام مسة كشفا للحال الى يوم الاحد ثاني عشر رجب فوصل قاصدا اخبر ان الفرنج في بقية ذلك اليوم رحلوا ووزلوا عين بصره ووصلوا واثلمهم الى الزيب فعظم عنده ذلك وكتب الى سائر ارباب الاطراف بالمسير اليه وتقدم الى الثقلان سار بالليل وأصبح هو يوم الاثنين ثالث عشر رجب سائرا الى عكا على طريق طبرية اذ لم يكن ثم طريق يسع العسكر الا هو وسير جماعة على طريق تبين يستشفون العدو ويواصلون باخباره وسرنا حتى أتينا الجولة من نصف النهار فنزل بها ساعة ثم رحل وسار طول الليل حتى أتى موضعا يقال له المنية صبيحة الثلاثاء وفيه بلغنا نزول الفرنج على عكا وسير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة على سوء صنيعه واستدخنته عليه بسبب تضييع ثلاثة أشهر عليه وعلى عسكره لم يعملوا فيها شيئا وسار السلطان جريدة من المنية حتى اجتمع بقية العسكر الذي كان أنفذه على طريق تبين بمرج صفورية فانه كان واعدهم اليه وتقدم الى النقل ان يلحقه الى مرج صفورية ولم يزل حتى شارف العدو ومن الخروبة وبعث بعض العسكر ودخل عكا على غرة من العدو وتقوية لمن فيها ولم يزل يبعث اليها بعتا بعد بعث حتى حصل فيها خلق كثير وسار من الخروبة الى تل كيسان في أوائل مرج عكا فنزل عليه وأمر الناس ان ينزلوا على التعبية فكان آخر الميسرة على طرف النهر الحلو وآخر المنية تارب تل العياضية واحتاط العسكر الاسلامي بالعدو وأخذوا عليهم الطرق من سائر الجوانب وتلاحقت العساكر الاسلامية واجتمعت ورتب البزك الدائم وحصر العدو في خيامه بحيث لا يخرج منها أحدا لا يخرج أو يقتل وكان عسكر العدو على شطرن عكا وخيمة ملكهم على تل المصلبين تر يسا من باب البلد وكان عددرا كبهم ألفي فارس وعددرا جلهم ثلاثين ألفا قال وما رأيت من نقصهم عن ذلك وما رأيت من خزيهم بزيادة على ذلك ومددهم من البحر لا ينقطع وجري بينهم وبين البزك مقاتلات عظيمة متواترة والمسلمون يتهاقون على قتالهم والسلطان يمنعهم من ذلك الى وقته والبعوث من عساكر المسلمين تتواصل والملوك والامراء من الاقطار يتابع ووصل بقي الدين من جهه ومظفر الدين بن زين الدين وفي أثناء هذه الحال توفي الحسام سنقر الخلاطي وفاة بأسها شديدا وكان شجاعا عا دينا فأسف المسلمون عليه ولما استنحل أمر الفرنج استداروا بعكا بحيث منعوا من الدخول والخروج منها وذلك سلخ رجب فعظم على السلطان وضاق صدره وثارته همة العالية في فتح الطريق الى عكا لتستمر السابلة اليها بالبرية والنجدة فباكرهم مستهل شعبان وضايقهم مضايقة شديدة فكانت الحملة بعد صلاة الجمعة وانتشر عسكر العدو الى ان ملكوا التلول وكانت ميسرة عسكرهم الى البحر الحلو أخذة الى البحر الملح ويمينهم قبالة القلعة الوسطى التي لعكا وانصلت الحرب الى ان حال بين الفئتين هجوم الليل وبات الناس على حالهم من الجانبين شاكين في السلاح تحرس كل طائفة نفسها من الاخرى وأصبحوا ثاني شعبان يوم السبت على القتال وأنفذ السلطان طائفة من شعبان المسلمين الى البحر من شمالي عكا ولم يكن هناك للعدو ذخيم لكن عسكره كان قد امتد جريدة شمالي عكا الى البحر فحمل شعبان المسلمين على عسكر الفرنج الوائف شمالي عكا فانكسر وابين أيديهم كسرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كبيرا والتفت المسلمون منهم الى خيامهم وهجم المسلمون خلفهم الى أوائل خيامهم ووقف البزك الاسلامي مانعا من ان يخرج من عسكرهم خارج أو يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة المتجهة بقلعة الملك الى باب قراقوش الذي جدده وصار الطريق مهيعا يمر فيه السوف ومعه الخوارج

## في أخبار (١٤٣) الدولتين

وبمر به الرجل الواحد والمرأة واليزيد بين الطريق وبين العدو ودخل السلطان في ذلك اليوم الى عكا ورفى على السور ونظر الى عسكر العدو وتراجع الناس عن القتال بعد صلاة الظهر لسقي الدواب وأخذ الراحة ولم يعودوا الى القتال وأصبحوا يوم الاحد فرأى بعض الامراء تأخير القتال الى ان يدخل الرجل كله الى عكا ويخرجوا مع العسكر المقيم بها من أبواب البلد على العدو من ورائه وتركب العساكر من خارج من سائر الجوانب ويحملوا حلة الرجل الواحد والسلطان رحمه الله تعالى يعانى هذه الامور كما بانفسه وبصاحفها بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته كالوالدة الشكلى ولقد أخذ برى بعض أطبائه انه بقي من يوم الجمعة الى يوم الاحد لم يتناول من الغذاء الا شيئا يسيرا لفرط اهتمامه وفعلوا ما كان عزمو عليه واشتدت منعة العدو وحجى نفسه في خيامهم ولم تزل سوق الحرب قائمة بتابع فيها النفوس بالنفائس وتطر سماء حربها الرؤس من كل رئيس ومتراس حتى كان يوم الجمعة نامن شعبان عزم العدو على الخروج بجيهم وعهم فخرج راجلهم وفارسهم وامتدوا على التساؤل وساروا الهوى بنا غير مفترطين في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبني يتلوا بعضهم بعضا حتى قاربوا خيام اليزيد فصاح السلطان بالعساكر الاسلامية فركبوا باجمعهم وحملوا حلة الرجل الواحد فعاد العدو نا كصاعلى عقبيه والسيف يعمل فيهم فالسالم منهم جريح والعاطب طرح يشتدون هزيمة يعثر جريحهم بقتيلهم ولا يولوى الجماعة منهم على قبيلهم حتى لحق بخيامهم من سلم منهم وانكفوا عن القتال أياما وكان قصاراهم ان يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم واستقر فتح طريق عكا والمسلمون يترددون اليها قال وكنت ممن دخل ورفى على السور ودام القتال بين الفئتين متصلا الليل مع النهار حتى كان الحادى عشر من شعبان ورأى السلطان رحمه الله توسيع الدائرة عليهم لعلهم يخرجون الى مصارعهم فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصليين مشرف على عكا وخيام العدو وفي هذه المنزلة توفي حسام الدين طمان وكان من شجعان المسلمين ودفن في سطح هذا التل وصليت عليه مع جماعة من الفقهاء ليلة نصف شعبان وبلغ السلطان ان جمعا من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف النهر مما يثبت عاينه فيكن لهم جماعة من العرب وقصد العرب لحقتهم على خيلهم فجمعوا عليهم وقتلوا منهم خلقا عظيما وأسر واجماعة وأحضر رارؤساين يديه وذلك يوم السبت تاسع عشر شعبان وفي عشية ذلك اليوم وقع بين العدو وبين أهل البلد حرب عظيمة قتل فيها جمع عظيم من الطائفتين وطال الامر بين الفئتين وما يخلو يوم عن قتل وجرح وسبى ونهب وأنس البعض بالبعض بحيث ان الطائفتين كانتا اتخذتان وتتركان القتال وربما غنى البعض ورقص البعض اطول المعاشرة ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة وسنة وايوما فقتلوا الى كمي يقتاتل الديكار وليس للصغار حظ يزيدان يضطرع صبيان صبي منا وصبي منك فاخرج صبيان من البلدا الى صبيين من الفرنج فوثب أحد الصبيين المسلمين على أحد الصبيين الكافرين فاحتضنه وضرب به الارض وأخذه أسيرا فاستراه منه بعض الفرنج بدينارين وقالوا هو أسيرك حقا فاخذ الدينارين وأطلقه قال ووصل مر كب فيه خيل فهرب منها فرس ووقع في البحر وما زال يسبح وهم حوله ردونه حتى دخل مينا عكا وأخذه المسلمون قتل وذكر العماد كل هذه الوقائع والنوادر في كتابه بالفاظه المسجوعة وقال كان من رأى السلطان ان يسيرهم في الطريق وبواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ويدفعهم عن النزول فانهم اذ انزلوا صعب نزالهم وأنعب قتالهم وقالوا يعنى أمره بل غضى على أسهل الطرق فسار الثقل من الليل على طريق الملاحة وسرنا على جب يوسف الى المنية وجئنا عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا وتزل يوم الاربعاء على جبل الخروبة وتزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر محيطين بها العصر وضرب الملك العتيق خيمه على تل اصلبه وربط مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالأجام المؤتشفة ثم عبر السلطان بجيشه ونزل بمرج عكا على تل كيسان وصرنا محاصرين المحاصرين قد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط واستشطنامنه وهو مستشيط واحد قنابا ولئلك الكفرة احاطة النار أهلها ومنعنا الطرق من وراءهم في وعرها وسهلها وربتنا بالرب والنوافير رجالا يصدونهم عن سبلها ودمنا نصدتهم ونصدتهم ونوجدتهم في البحر ونعددهم واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بالمركز وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز وذلك في آخر رجب لانسلاخه والاسلام يتادينا

## كتاب (١٤٤) الروضتين

باستصراخه وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد اتفقت الاراء على ان يكون اللقاء وقت الصلاة عند ارتفاع الدعوات على المنابر الاسلامية فأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم فكثرت عليهم صفوف مشاربهم وقلل مضاهضارهم وهم في مواضعهم واقفون وعلى مصارعهم عاكفون وفي مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما اليها مدخل وكالسور المحيطة ما عليه متسلق وكالجبل الاشم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقريناهم فلم ينزحوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها وكما قتل واحد وقف آخر مقامه حتى دخل الليل وحجزوا من الغد من جانب البحر شمالا عكافانهم الفرنج الى تل المصلبين نحو القبة وثبتوا عند الوتبه وانفتح لنا طريق عكاف دخلها الرجال وحملت اليها الغلال والفرنج قد رهبوا ولو قدروا الهربا وأصحابنا رأوا ان انفتاح باب البلد غنيمه فتوقفوا عن تمام العزيمه ولوانهم استمروا لباد العدو قصره فان للصدمه الاولى في الروع روعه فبلغ العدو طريقه ووجد الى الجبل طريقه ووقفوا كالسور من وراء الجنويات والتراس والفنطاريات وضربوا بالحرور وخوفوها وجعلوا العدد وعلى الرجال فترقوها وكانوا في عدد الرمل ومدد النمل وهم في كل يوم في ازدياد والبحر يمد بهم بالامداد وشرعوا في حفر الخنادق وسد المضائق ونصب الطوارق والسلطان ساهر لاسلم في ليالهم قائم بأمرهم في نهارهم ومن كتب فاضلي في بعض الوقعات (فاستدارت بهم رجال الجبال الشية تقذف شياطينهم بشياها وتهمي الى أوكار اقتدتهم طيور نشاها وتجنينهم من القنا والنشاب ثم الرذا متشاها وقد ارتفع الاسلام الى درجات سيد كرامها وانخفض الكفر الى دركات سيمرذ كرها فانصر خافق علمه وكتب البشارة قد استمدت قلبه وقد وتقنا بلفظ الله تعالى فيما يأتي فنأهبت الخواطر لمعاي المسار واعدت الفاظ البشرى المهده الى كفة البشر من الاستبشار فان الفرنج محصورون والنازل المحصور كالمركب المكسور والنصر قد أعرب لعسكر الاسلام والكفر جار ومجرور)

**(فصل ١٠) في المصاف الاعظم على عكا وهي الوقعة الكبرى التي بدأت بالسوء وختمت بالحسن** قال القاضي ابن شداد لما كان يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شعبان تحركت عساكر الفرنج حركة لم يكن لهم مثلها عادة فارسلهم ورجالهم وكبيرهم وصغيرهم واصطفوا خارج خيمهم قلبا وميمنة وميسرة وفي القلب الملك وبين يديه الانجيل محمول مستور بثوب أطلس مغطى بمسك أربعة أنفس أربعة اطرافه وهم يسرون بين يدي الملك وامتدت الميمنة في مقابل ميسرة المسلمين من أولها الى آخرها وامتدت ميسرة العدو في مقابلة ميمتنا الى آخرها وملكوا رؤس التلال فكان طرف ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر وأمر السلطان الجاوش ان يتنادى في الناس بالاسلام وعساكر الموحدين فركب الناس وقد باعوا أنفسهم بالجنة وامتدت الميمنة الى البحر كل قوم يركبون ويقفون بين يدي خيامهم والميسرة الى النهر كذلك أيضا وكان السلطان قد أنزل الناس في الخيم ميمنة وميسرة وقلبا على تعبئة الحرب حتى اذا وقعت صحبة لا يمتاجون الى تجديد ترتيب وكان هو في القلب وفي ميمنة القلب ولده الأفضل ثم ولده الظافر ثم عسكر الموصله يقدمهم ظهير الدين ابن الكيكرى ثم عسكر ديار بكر في خدمة قطب الدين صاحب الحصن ثم حسام الدين عمر بن لاچين صاحب نابلس ثم قايمناز النجمي وجوع عظيمة متصلين بطرف الميمنة وكان في طرفها الملك المظفر تقي الدين بجحفة وعسكره وهو مطلق على البحر وأما وائل الميسرة فكان يمايل القلب سيف الدين علي بن أحمد المشطوب من كبار ملوك الاكراد ومقدمهم والامير مجلي وجماعة المهرانية والهكارية وبجاءه الدين برتقش مقدم عسكر سنجار وجماعة من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين بجحفة وعسكره وأواخر الميسرة كبار المماليك الاسدية كسيف الدين يازكوج ورسلا نغا وجماعة الاسدية الذين يضرب بهم المثل وفي مقدمة القلب الفقيه عيسى وجميع هذا السلطان رحمه الله تعالى يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم على القتال ويدعوهم الى التزال ويرغبهم في نصره دين الله ولم يرزل القوم يتقدمون والمسلمون يقدمون حتى علا النهار ومضى فيه أربع ساعات وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين وأخرج لهم تقي الدين الجالبش وجرى بينهم قتال كثير وتكاثر واعلى تقي الدين وكان في طرف الميمنة على البحر فتراجع عنهم شيئا طمأناهم لعلهم يبعدون عن أصحابهم فينال منهم غرضا فباراه السلطان قد تأخر ظنه به ضاعفا فامده باطلاب عذ من القلب حتى قوى جانبه وتراجعت

## في أخبار (١٤٥) الدولتين

ميسرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر ولما رأى الذين في مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج منه من الاطلاب داخلهم الطمع وتحركوا نحو مينة القلب وحملوا جملة الرجل الواحد راجلهم وفارسهم قال ولقد رأيت الرجال تسير سيرا خفياله ولا يسمعونهم يسرون خبيبا وجاءت الجملة على الدبار بركبه كما شاء الله تعالى وكان بهم غرة عن الحرب فتحركوا بين يدي العدو وانكسروا كسرة عظيمة وسرى الامر حتى انكسر معظم المينة واتبع العدو المنزمن الى العياضية فانهم استداروا حول التل وصعدت طائفة من العدو الى خيم السلطان وقتلوا طشت دارا كان هناك وفي ذلك اليوم استشهد اسماعيل المكبس وابن راحة رحمه الله تعالى وأما الميسرة فانه ثابتت فان الجملة لم تصادفها وأما السلطان رحمه الله فانه أخذ يذوق على الاطلاب ينضمهم ويعددهم الوعود الجميلة ويحثهم على الجهاد وينادي فيهم بالاسلام ولم يبق معه الا خمسة أنفس وهو يطوف ويتخرق الصفوف وأوى الى تحت التل الذي كان عليه الخيام وأما المنزمن من العسكر فانهم بلغت هزيمتهم الى الاقحوانة فاطع جسر طبرية وتم منهم قوم الى دمشق وأما المتبعون لهم فانهم أتبعوهم الى العياضية فلما رأوهم قد صعدوا الجبل رجعوا عنهم وجاءوا عائدین الى عسكرهم فلقينهم جماعة من الغلمان والحرانية والساسة منزمن على فعال الجبل فقتلوا منهم جماعة ثم جاؤا على رأس السوق فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة فان السوق كان فيه خلق عظيم ولهم سلاح وأما الذين صعدوا الخيم السلطانية فانهم لم يلتمسوا شيئا أصلا سوى انهم قتلوا من ذكرناه وهم ثلاثة نفر ثم رأوا ميسرة الاسلام ثابتة فعلوا ان الكسرة لم تتم فعادوا من حذر من التل يطلبون عسكرهم وأما السلطان فانه كان واقفا تحت التل ومعه نفر يسير وهو يجمع الناس ليعودوا الى الجملة على العدو فلما رأى الفريخ نازلين على التل أراد والقاهم فأمرهم بالصبر الى أن ولوا ظهورهم واشتدوا يطلبون أصحابهم فصاح في الناس وجعلوا عليهم وطرخوا منهم جماعة واشتد الطمع فيهم ونكاثروا الناس ورأهم حتى لحقوا أصحابهم والطرود ورأهم فلما رأهم منزمن والمسلمون ورأهم في عدد كثير ظنوا ان من جل منهم قد قتل وانه انما انجاسهم هذا النفر فقط وان الهزيمة قد عادت عليهم فاشتدوا في الحرب والهزيمة وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجمعه من المينة وتحايا الرجال وتداعت وتراجع الناس من كل جانب وكذب الله الشيطان ونصر الايمان وظل الناس في قتل وطرح وضرب وجرح الى ان اتصل المنزمن المسلمون الى عسكر العدو فهجم المسلمون عليهم في الخيام فخرج منهم اطلاب كانوا أعدوا خشية من هذا الامر مستريحة فردوا المسلمين وكان التعب قد أخذ من الناس والخوف والعرق قد ألجهم فترجع الناس عنهم بعد صلاة العصر يخوضون في القتلى ودمائهم فرحين مسرورين وعاد السلطان وجلسوا في خدمته يتذكرون من فقد منهم فكان مقدار من فقد منهم من الغلمان والمجوهين مائة وخمسين نفرا ومن المعروفين استشهد في ذلك اليوم ظهير الدين أخو الفقيه عيسى رحمه الله ولقد رأيت وهو جالس يضحك والناس يعزونه وهو يذكر عليهم ويقول هذا يوم الهنا لا يوم العزا وكان قد وقع هو من فرسه رحمه الله وراكبه وقتل عليه جماعة من أقاربه وقتل في ذلك اليوم الامير مجلى يعنى ابن مروان وزاد العباد والحاجب خليل الحكاري ثم قال القاضي هذا الذي قتل من المسلمين وأما العدو فالتخذول فخره قتلهم بسبعة آلاف نفر ورأيتهم وقد جلا الى شاطئ النهر ليلقوا فيه فخرتهم بدون سبعة آلاف ولما تم على المسلمين من الهزيمة مات رأى الغلمان خلوا الخيام عن يعترض عليهم فان العسكر انقسم الى منزمين ومقاتلين فلم يبق في الخيم أحد ورأوا الكسرة قد وقعت فظنوا انها تم وان العدو ينهب جميع ما في الخيم فوضعوا أيديهم في الخيم ونهبوا جميع ما كان فيها وذهب من الناس أموال عظيمة وكان ذلك أعظم من الكسرة وقعا فلما عاد السلطان الى الخيم ورأى ما قد تم على الناس من نهب الاموال والهزيمة سارع في الكتب والرسل في رد المنزمن وتتبع من شذ من العسكر والرسل تتابع في هذا المعنى حتى بلغت عقبه في فردوهم واخبروهم بالكسرة للمسلمين فعادوا وأمر بجمع الاقشة من أكف الغلمان وجعل الاقشة في خيمه حتى جلا لالت الخيل والحبال وهو جالس ونحن حوله وهو يتقدم الى ان كل من عرف شيئا وحلف عليه بسلام اليه وهو يتلقى هذه الاحوال بقلب صلب وصدر جب ووجه منبسط ورأى مستقيم واحتساب لله تعالى وقوة عزم في نصر دينه وأما العدو فالتخذول فانه عاد الى خيمه وقد قتلت شعبانهم وقعدت ملوكهم وطرحتم مقدموهم وأمر السلطان



## كتاب (١٤٦) الروضتين

ان خرج من عكا مجل يسحبون القتلى الى طرف النهر ليلقوا فيه قال ولقد حكى لى بعض من ولى أمر الجبل انه أخذ خيطا وكان كل ما أخذ قتل عقد عقدة فبلغ عدد قتلى الميسرة أربعة آلاف وسائة وكسرا وبقي قتلى المينة وقتلى القلب لم يعد هم فانهم ولى أمرهم غيره وبقي من العدو بعد ذلك من حى نفسه وأقاموا في خيمهم لم يكثر ثواب الجبال المسلمين وعساكرهم وتشذب من عساكر المسلمين خلق كثير بسبب الهزيمة فانه ما رجع منها الا رجل معروف خاف على نفسه والباقيون ذهبوا في حال سبيلهم وأخذ السلطان في جمع الاموال المنهوبة واعادتها الى أصحابها وأقام المنادية في العساكر وقرن النداء بالوعيد والتهديد وهو يتولى تفرقتها بنفسه بين يديه واجتمع من الاقشة عدد كثير في خيمته حتى ان الجالس في أحد الطرفين لا يرى الجالس في الطرف الآخر وأقام من ينادى على من ضاع منه شئ فحضر الخلق وصار من عرف شيئا أو أعطى علامته حلف عليه وأخذه من الحبل والمخلاة الى الهميان والجوهرة ولقى من ذلك مشقة عظيمة ولا يرى ذلك الانعمة من الله تعالى يشكر عليها ويسابق بيده القبول اليها ولقد حضرت يوم تفرقة الاقشة على أربابها فرأيت سوقا للعدل فائمة لم يرفى الدنيا أعظم منها وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان قال وعند انقضاء هذه الوقعة وسكون نائرتها أمر السلطان بالنقل حتى تراجع الى موضع يقال له الحتر وبته خشية على العسكر من اراسخ القتلى وآثار الوقعة من الوحوم وهو موضع قريب من مكان الوقعة الا انه أبعد عنها من المكان الذى كان نازلا فيه بقليل وضربت له خيمة عند النخل وأمر اليزك ان يكون مقبلا في المكان الذى كان نازلا فيه واستحضر الامراء وأرباب المشورة في سلخ الشهر ثم أمرهم بالاصغاء الى كلامه وكنت من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله اعلموا ان هذا عهد الله وعهدوا وقد وطئ أرض الاسلام وقد لاحت لوائح النصر عليه ان شاء الله تعالى وقد بقي من هذا الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد أوجب علينا ذلك وانتم تعلمون ان هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننظرها سوى الملك العادل وهو واصل وهذا العدو ان بقي وطال أمره الى أن ينفخ الجرجاء مدد عظيم والرأى كل الرأى عندى مناجزته فليخبرنا كل منكم بما عنده في ذلك وكان ذلك في ثالث عشر تشرين يعنى الثانى من الشهور الشمسية فانفصلت أراؤهم على ان المصلحة تأخر العسكر الى الحروبة وان يبقى العسكر أياما حتى يستجم من حمل السلاح ورجع نفوسهم اليهم فقد أخذ منهم التعب واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم أمر اعلى خلاف ما تحمله القوى لا تؤمن غائلته والناس لهم خمس يوم ماتحت السلاح وفوق الخيل والحيل قد ضجرت من عرك اللحم وعند أخذ حظ من الراحة ترجع نفوسها اليها ويصل الملك العادل ويشاركنا في الرأى والعمل ونستعيد من شذ من العساكر ونجمع الرجلة ليقفوا في مقابلة الرجلة وكان السلطان رحمه الله التياث مزاجى قد عراه من كثرة ما حمل على قلبه وعاناه من التعب بحمل السلاح والفكر في تلك الايام فوقع له ما فاوله ورآه مصلحة فاقام يصلى من اجبه ويجمع العساكر الى عاشر رمضان قال وكان لما بلغه خبر العدو وقصده عكا جمع الامراء وأصحاب الراى بخرج عيون وشاورهم فيما يصنع وكان رأيهم رحمه الله ان قال المصلحة مناجزة القوم ومنعهم من النزول على البلد والا ان نزولوا جعلوا الرجلة سورا لهم وحفروا الخنادق وصعب علينا الوصول اليهم وخيف على البلد منهم وكانت اشارة الجماعة انهم اذا رلوا واجتمعت العساكر قلعتها في يوم واحد وكان الامر كما قال والله لقد سمعت منه هذا القول وشاهدت الفعل كما قال وقال العماد عبا السلطان يمينته وميسرته وطلب من الله نصرته وهو يمر بالصفوف ويأمر بالوقوف ويحض على حفظ الابد ويحث على الجلال والجلد قال وكنت في جماعة من أهل الفضل قدركمنا في ذلك اليوم ووقفنا على التسل نشاهد الوقعة ونحن على بغل بغير أهبة قال فرأينا العسكر موليا والمنزى عمار كه من خيامه ورحله متخليا فوصلنا الى طبرية فبين وصل ووجدنا سائلا قد أجفل فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على شريقه وكل منا ذاهل عن شبهه ووريه ومن المنزى من بلغ عقبة فيق وهو غير مفيق ومنهم من وصل الى دمشق وهو غير معرج على طريق ووصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وجالوا جولة ثم رأوا انقطاع أشباعهم عنهم فانحدروا عن التل واستقبلهم أصحابنا فركبوا أكافهم وحكوا في رقابهم أسيا فهم وكان ميسر تناعس كرسجار والاسدية فمالوا ولا زالوا بل وصلوا واصلوا وحلفت عليهم مينة الفرنج فكما غامرت الرياح بالجبال وعاد من كان من المينة مثل

## في أخبار (١٤٧) الدولتين

تقى الدين وقايماز النجمي والحسام بن لاجين ومن ثبت من أبطال المجاهدين فلم يفلت من الأعداء إلا أعداد ولم ينج من آلاف إلا آحاد وفرس منهم زهاء خمسة آلاف فارس منهم مقدم الداوية الذي كما أطلقناه وذكرناهم في مائة ألف وعشرين ألفاً حين سألناه ثم ضربنا عنقه وقال في الفتح عشرة آلاف قال العماد ومن العجب أن الذين نبأوا مناهم لم يبلغوا ألفاً فردوا مائة ألف وأنهم الله قوة من بعد ضعف وكان الواحد يقول قتلنا من المائتين ثلاثين وأربعين وتركهم مصر وعين وكان السلطان من الثابتين في تلك الجولة والكاتبين لاهل الصولة وقديقي وحده عند تولى المسلمين ولا شك أن الله أنزل ملائكة المستومين حتى بعضهم قال كنت منزهاً من فارس مدج قد لذي قري حصانه وهزل صلي سنانة فاست من البقاء ثم ابتدأت على طعنته فالتفت فاذا هو وحصانه كلاهما ملقى ومبا القرب أحد فعرفت أنه نصر الهوى وصنع رباني قال وعاد السلطان إلى مضاربه وأمر بمواراة الشهداء ومن جملتهم الفقيه أبو علي بن رواحه وكان غزير الفضل قدأكل الشجاعة والرجاحة وهو شاعر ملقى وفتيه محقق من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق فطرفة الأعلى يوم موته مع جعفر الطيار وطرفة الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار قال في البرق وكان السلطان قد أنعم عليه في حلب بمزرعة وكتب توقيعه وأراد الله توقيعه اذ قرب إلى الآخرة طريقه وحملت توقيعه إلى السلطان تلك الليلة ليعلم فيه فأعلم وراجعه في معناه فسكت وما تكلم وكان ساعة الواقعة كما معنا ثم قال وتوفوا بطول فضى إلى خيمته يتودع فلما علم بأن دفاعنا ساق وراءنا فقطع عمره قبل أن يقطع الوادي وكان قال لنا لما أصبح رأيت رجلاً يخلق رأسي في المنام فقلنا له هذا من أضغاث الأحلام فنقله الله بعد ساعة إلى دار السلام قلت وليس هو من أولاد ابن رواحة الصحابي ذلك لم يعقب وإنما في أجداده من اسمه رواحه وقدينا في التاريخ والله أعلم قال ومنهم اسماعيل الصوفي الأرموي المكس وشيخ من الحاشية في بيت الطشت وغلما في الخزانة أمين على البيت وآخرون صودفوا عند التل بجاءتهم السعادة وبجاءتهم الشهادة وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة وذهب قبل الرجعة وأجمع السلطان وذووا الأراء على أنه يصح القوم فتفقدهوا العسكر فاذا هو قد غاب لما بان من الأمر ورأى ذلك أن غلمان العسكرية والأوباش ظنوا أن تلك الفتوة نزعهم فتمهوا الأثقال وعدوا غنيمته في عاد إلى رحله وجده منهم وبا مسلوبا وكان في ظنه أنه ان فرغ من لقاء خطب يلقي خطوباً وأصبحنا وإذا العسكر مفترق والثابت قلق والآن فرق والغنى معدوم والجري متندم فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب وهذا من طلب الطريق بائقاً طالب فتفت ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم واتعش الفرنج في تلك المدة وانتشلوا من تلك الشدة وجاءتهم في البحر مراكباً خلفت من عدم وبنيت ما هدم وشكونا نثر راحة تلك الجيف فحملت على الجبل إلى النهر ليشرب من صديدها أهل الكفر فحمل أكثر من خمسة آلاف جثته حملت إلى النهر قبل يوم البعثة وأشير على السلطان بالانتقال إلى الخروبه عند خيم الانتقال المضروبه فسار إليها رابع رمضان وأمر أهل عكا بإغلاق أبوابها وإحكام أسبوابها فوجد الفرنج بذلك الفرج وشرعوا في حفر خندق على معسكرهم حوالى عكا من البحر إلى البحر وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر وفي كل يوم يأتيهم بالزكية بخبرهم وبما ظهر من أثرهم والجند في تعميق الخندق وتعيم محفرتهم فكان من قضاء الله أن أغفلناهم وأمهلناهم بل أهملناهم حتى أقروا الحفور وثقوا من ترابها السور فكانوا يخذلون ويعمقون ويعملون من تراب الحفر حولهم سوراً فعاد بخبرهم ببلد استورا معمورا فلوؤوه بالسماثر ومنعوه من الطير الطائر وبنوه وأسوسه وسترود وترسوه ورتبوا عليه رجالاً ولم يتركوا إليه ولو أغل مجالا وتركوا فيه أبواباً وفرجاً ليظهر وأمنها إذا أراد وأخرجوا وما فرغوا من هذا الأمر اشتغلوا بالحصر وانقطعت الطريق على المسلمين إلى عكا وبان ضعف رأى الانتقال فانه بعد ما أحسك أبكى وجاء كتاب من الناضل إلى العماد جواباً عن كتابه المخبر فيه بوقعة مرج عكا يقول فيه (وعرفت ما جرى على قضيته فسبح الله تعالى فان من عجائب قدرته سلامة سيدنا على ضعف حركته والامر كان عظيماً والمدفع أعظم والسلامة كانت غريبة إلا أن تقول ولكن الله سلم والسلطان أعزه الله إذا سلم فكل الناس قد سلموا وإذا وجد وقد عدم الناس كلهم فقد وجدوا وما عدموا وكل جوهر بالاضافة إليه عرض وهو جوهر بالحقيقة ما عنه من كل جوهر عرض) ومن كتاب له إلى



السلطان أوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية وما رميت أذرميت ولكن الله رمى ورد الكتاب بخط مولانا من معتزك حربه وجلاده وتوفيق جهاده قبل أن تضع الحرب أوزارها وهرع الناس إلى المجلس العادلي والعزري يستمعون الأخبار ويستوضحون من وجوهها الأنوار ويسألون كيف كانت عاقبة أهل الجنة وعاقبة أهل النار ويشكرون الله على سلامة أديانهم وقلوبهم وابدانهم وسلامة سلطانهم وما أدراك ما سلامة سلطانهم ونصرة كلمة إيمانهم ودلائل الخير لا تحصى وقد قرأ الكتاب وما يلح قارئه منه حرفا وتصور الناس الأمر الذي وقاهم الله شره وكفاهم أمره)

**(فصل)** في باقي حوادث هذه السنة بمرج عكا وغيره قال العماد في يوم الاثنين ثالث رمضان أخذ أصحابنا بمكاهم ككب الفرنج إلى صور مقلعا محتويا على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوه وغنية صفوه وقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم فلما عثروا بالمركب انتعشوا وصاروا يخرجون ويقتلون ويبحرون ويمسكون على القتال ويصحبون وندم الفرنج على ذلك الحركة فانها أفضت بهم إلى الهلاك فأنهم ما داموا راضين وعلى يد الصبر قابضين يتعدوا الوصول إليهم والدخول عليهم وفي بعض الكتب إلى بعض الأطراف والمرجوع من الله سبحانه وتعالى تحريكهم المؤمنين في تسكين نائزهم وتخريب عامرهم ومادام البحر يمدهم والبر لا يصدهم فبلاء البلاد بهم دائم ومرض القلوب بأدوائهم ملازم فأين حية المسلمين ونخوة أهل الدين وغيره أهل اليقين وما ينقضى عجبنا من تظافر المشركين وبعود المسلمين فلما لم يلب منهم مناد ولا مثقف لمناذ فانظروا إلى الفرنج أي مورد وردوا وأي حشد حشدوا وأي ضالة تشدوا وأية نخبة انخدوا وأية أموال غرموها وأنفقوها وجادات جمعوها ونزعوها فيما بينهم وفرقوها ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم وأكابرهم إلا جرى جاره في مضمار الانحاد وبارى نظيره في الجد والاجتهاد واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والأرواح وأمدوا أجناسهم الانحاس بأنواع السلاح مع كفاة الكفاح وما فعلوا ما فعلوا ولا بذلوا ما بذلوا إلا مجرد الحمية لمتعبدهم والنخوة لمتعقدهم وليس أحدهم من الفرنجية يستشعر أن الساحل إذا ملك ورفع فيه حجاب عزهم وهمتك يخرج بلده عن يده وتمتد إلى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قدوهنوا وفسلوا وغفلوا وكسلوا ولزموا الخيره وعدموا غيره ولواتنى والعياذ بالله لا سلام عنان أو خبا سنا ونبا سنان لما وجد في شرق البلاد وغربها وبعد الاتفاق وقربها من لدين الله يغار ومن لنصرة الحق على الباطل يختار وهذا أو أن رفض التواني واستدناء أولى الحمية من الأقاصى والأداني على أنابحمد الله لنصره راجون وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون والمشركون باذن الله هالكون والمؤمنون آمنون ناجون قال العماد وكان السلطان قد كتب إلى مصر يستدعي باخيه العادل في رجال يقدم عليه منتصف شوال وكتب أيضا في طلب الاسطول المصري فقدمت نخسون قطعة مع حسام الدين لؤلؤ منتصف ذي القعدة فجاءت بخاة على مراكب الفرنج وبغتها وسحقها وبدتها وكسبتها وسلبتها وظفريه طستين كبيرتين بما فيها من أموالهم ورجالهم وغلاهم قال وهذا لؤلؤ قد اشتهرت بالكفر فتكاته وشكرت في العدو ككياته وقد فترد بغزوات لم يشارك فيها أحدوه والذى رد الفرنج عن بحر الخجاز ووقف لهم على طرق المجاز ولم يترك منهم عينا تطرف ولم يبق لهم دليلا يعرف وغزواته مشهورة وقتل كاته مذكوره وأمواله مبدولة وأكياسه لعقد الاتفاق في سبيل الله محمولة قال ونقل السلطان إلى البلد في المراكب جماعة من الأمراء بجنادهم وعددهم وأزادهم واستظهر البلد أيضا رجال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف هذا ورجال المسلمين يتطرقون إليهم ليلا ويذيقونهم من القتل والأسر والسرقة ويلا حتى كان رجاله يمتنعون بالحشيش في اجراف الانهار فاذا صادفوا فاسا ورد الماء فاجؤوه بالقتل والأسار قال ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة وتقوية النجدة بكل ما يمكنه من أسباب الباس والشده سير من أحوال النفط الأبيض مع عزه وجرد ما وجدته ومن التراس والراح من كل جنس احكاه وأقومه وأجوده وكتبنا في شكره (وصل السلاح وتم لا سلام من قروح الكفر الاقتراح فان الحروب المتطاولة الممدت على جميع العدد ومن العجب أن العدة تفتى وما يقنى العدة وتم على الحصاد كانها النبات فالبحر يمدهم والكفر إلى الردى

## في أخبار (١٤٩) الدولتين

يردهم) ومن كتاب الى الديوان (قد مضت ثلاثة أشهر شهرها التثليث على التوحيد سلاحه وبسط الكفر جناحه  
وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت والروعات التي وقعت أكثر من عشرين ألف مقاتل من فارس  
وراجل ورايح ونابل فما أثنى ذلك في نقصهم ولا أثنى الأناحر حصم وليس هذا العدو لواحد فينجح فيه التدبير  
ويأتي عليه التدبير وانما هوكل من وراء البحر وجميع من في ديار الكفر فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيره ولا  
خطة صغيرة ولا كبيرة الاجهزت مرآكبها وانقضت كآبها وتحززساكنها وبرز كآمنها وثار نآثرها وسار سآثرها وطار  
طآثرها ونقضت خزائنها وانقضت معادنها وحملت ذخآثرها وبذلت أخآثرها وتلت كآئن كآئسها واستخرجت  
دفائن نفائسها وخرج بصلبانها أسافها وبطاركها وغصت بالافواج فجآجها ومساكها وتصلبت للصليب السليب  
وتعصبت للصليب المصيب ونادوا في نواديهم بأن البلادهي بلادهم وان اخوانهم بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم  
وانه من خرج من بيته مهاجرا الحرب الاسلام وهبته له ذنوبه وذهدت عنه عيوبه ومن عجز عن السفر سفر بعذته  
وثروته من قدر فجآؤ الابسين الحديد بعد ان كانوا الابسين الحداد وتواصلت منهم الامداد قال (ووصلت في مركب  
ثلثمائة امرأة فرنجية مسخرة اجتمعن من الجزائر وانتدبن للجزائر واغترين لاسعاف الغرباء وقصدن بخر وجهن  
تسبيل انفسهن للاشقياء وانهن لا يمتنعن من العزبان ورأين انهن لا يتقرن بأفضل من هذا القربان وزعن ان  
هذه قربة ما فوقها قربة لاسيما فين اجتمعت فيه غربه وعزبه) قال (وابق من عسكرنا من الممالك الاغبياء والمدابير  
الجهلاء جماعة جذبهم الهوى واتبعوا من غوى فمنهم من رضى للذة بالذلة ومنهم من ندم على الزلة فتجبل في الذلة  
فان يدمن لا يرن لا تمتد وأمر الهارب اليهم لاتمامه يشتد وباب الهوى عليه يستد وما عند الفرنج على العزباء  
اذا أمكنت منها العزب حرج وما أزاكها عند القسوس اذا كان للعزبان المضيقين من فرجها فرج) قال (ووصلت -  
أيضا في البحر امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر وفي جماعتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم وعلمانهم وأشياعهم  
وهي كافلة لكل ما يحتاجون اليه من المؤنة زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة وهم يركبون بركايتهم ويحملون بجمالهم  
وينبسون لوثياتهم وفي الفرنج نساء فوارس لهن دروع وقوادس وهن في زى الرجال يبرزن في حومة القتال  
ويعملن على أرباب الحصى وهن ربان الجمال وكل هذا يعتقن انه عباده ويحلمن انهن يستفدن به سعاده ويجعلنه  
لهن عادة فسبحان الذى أضلهن وعن نهج الهدى أزلهن وفي يوم الوقعة طلعت منهن نسوة لهن بالفارسان اسوه  
وفهين مع ليهن قصوه وليس لهن سوى السوابغ كسوه فما عرفن حتى سلبن وعترن ومنهن عدة سمين واشترين  
وأما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز وهن يشدن تارة ويرخين ويحرضن ويخين ويقلن ان الصليب لا يرضى  
الا بالاباء وانه لابقاء له الا بالفناء وان قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء فانظرا الى الاتفاق في الضلال بين الرجال  
والنساء) قال وفي آخر هذه السنة ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار للاستنفار والاستنصار وبث الكتب  
وكتب بالبرث وحث الرسل وراسل بالحث وسرح عددان النجاب الى سيف الاسلام بالين وشرح في الكتاب  
اليه ما جرى من حوادث الزمن ووصف له جليلة الحال وطلب منه الاعانة بالمال وكوتب مظفر الدين قزل أرسلان  
بهمدان بعث ما دنا منه عزه ودان وحكم على كل ملك بحجة الايمان وهدى الى محجة الاحسان ووصل الى السلطان  
رسول ابن أخيه لا مة ركن الدين طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وهو آخر السلاطين السلجوقية يتظلم  
من عمه قزل أرسلان ويطلب من السلطان اعانتة فاعتذر السلطان بما هو عليه من شغل الجهاد مع الكفار وأرسل  
رسولا في السفارة بينه وبين عمه جمال الدين أبا الفتح اسماعيل بن محمد بن عبد الكون نسب العمد وكتب الى صاحب  
اربيل والى حسن بن قنجاق ونائبه بشهر زور بالتوفير على خدمته والارتداد لمصلحته وأشياعه ومعونته قال  
وفي هذه السنة توفي الامير حسام الدين سنقر الخلاطى أخص مالميك السلطان وأخلمهم وقد قدمه على مالميك  
وكانت وفاته ليلة الاثنين والعشرين من رجب قال وفي ثالث عشر شعبان توفي الامير حسام الدين طمان صاحب  
الركة وهو من المجاهدين المجتهدين والانتقاء المتجهدين ولما حضرته الوفاة تأسف من موته على فراشه وطلب  
حصانه ليركبه وينتقل سعيدا شهيدا الى معاده من معاشه قال وفي تاسع عشر شعبان توفي الامير عز الدين  
موسك بن جكر وهو ابن خال السلطان وهو من أكابر أقاربه ومقدمي كآئيه وكان للقرآن حافظا وعلى الاحسان

محافظا ولقضاء حقوق الناس ملاحظا ولم يرزل السلطان في هذه الغزوات ملازما وعلى قمع جمع الكفر عازما ولما اشتد به مرضه استأذن في الدخول الى دمشق ودفن بجبل قاسيون قال وفي حادي عشر رمضان توفي بدمشق القاضي شرف الدين ابن أبي عسرون ومولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قبل بعمره ثلاثا وتسعين سنة ونصف وأضر قبل وفاته مدة عشرين سنة ودفن بالمدرسة التي أنشأها بدمشق قبالة داره بين معارض الطريق وكان شيخ المذهب وتدخمت به الفتيا وأوحشت غيبته الدين والدنيا قال وفي تاريخ ذي القعدة توفي الأمير الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري في العسكر بمنزلة الخرب وبه وكان صاحب أسد الدين شيركوه ومضى معه الى مصر حين ملكها ثم اختص بالسلطان بعده وتولى حله وعقده ودرت بوساطته وشفاعته للناس ايراق ونقل الى القدس فدفن بظاهره ولقد كان من الاعيان ومن أهل الجدي نصره الايمان فنة لله الله الى الجنان قال وفي هذه السنة أقطع السلطان مملوكه مجاهد الدين اياز ولاية شهر رزور وأعمالها وولى جمال الدين ابن المحسن نقابة الاشراف بدمشق قال وفي عاشر جمادى الاولى منها كان مولد ناصر الدين محمد ابن الملك العزيز بمصر الذي اجتمع عليه أصحابه بعد وفاة أبيه في محرم سنة خمس وتسعين وورد بذلك الى السلطان جده كتاب كريم فاضلى من مصر نسخته (المملوك يقبل الارض بين بدي مولانا الملك الناصر دام رشاده وارشاده وزاد سعده واسعاده وكثر أوليائه وعبيده واعداؤه واشتد باعضاده فيهم اعتضاده وانى الله عدده حتى يقال هذا آدم المملوك وهذه أولاده وينى ان الله وله الحمد رزق الملك العزيز نصره ولدا مباركا علما ذكر اسوبا برازكيا تقيا نقيما من ذرية كريمة بعضهم من بعض ومن ثبت شريف كادت ولا تترك ولا في السماء ومما ليكته تكون مملوكا في الارض وكان مقدمه الميوني في ليلة الاحد وهي من الجمعة أولى العدد وبه وبآله يعز الله أهل الجمعة ويذل أهل الاحد) ثم ذكر بكافي الكتاب

(فصل) في ورود خبر خروج ملك الالمان قال القاضي ابن شدد ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وثمانين وصل من حلب كتب من ولده الظاهر يخبر فيها انه قد صبح ان ملك الالمان خرج الى القسطنطينية في عدة عظيمة قيل مائة الف وقيل مائتان وستون ألفا يريد البلاد الاسلامية فاشتد ذلك على السلطان وعظم عليه ورأى استنفار الناس للجهاد واعلام خليفة الوقت بهذه الحادثة فاستدبني لذلك وأمرني بالمسير الى صاحب سنجار وصاحب الموصل وصاحب اربل واستدعائهم الى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم وأمرني بالمسير الى بغداد فمرت حادي عشر رمضان وبسر الله تعالى الوصول في الجماعة وابلاغ الرسالة اليهم فأجابوا الى ذلك بنفوسهم وسير صاحب الموصل علاء الدين ابنه بمعظم عسكره ووعده الديوان بكل جميل وعدت اليه خامس ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبقت العساكر وأخذ برتبته باجابهتهم وتأهبهم للمسير فسر بذلك وقال العماد في كتاب الفتح ونفى الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في ثلثمائة ألف مقاتل على قصد العبور الى بلاد الاسلام وقطع بلد الروم والارمن الى الشام وفيهم ستون ألف فارس مدرع ومعهم مملوك وكنود وكل شيطان لربه كنود وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن وهرب في قلعة على الفرات وبين أهل الذمة في المأمن بيدي تنهجا واشفاقا وتحذرا على البلاد واحترقا وبقطع ان الواصلين في كثره وان الناهضين الى طريقهم في عشره وبارق في كتابه وارعد وابدع في خطابه وأبعد ولا شك انه الى جنسه النجس مائل وبلاءة أهل ملته قاتل ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم وورد هذا الخبر وخيل انه أليم كاد الناس يضطربون على انهم يصتقون ويكذبون ومن طرف كل جبل من الرأى يجذبون وقتلنا وضع هذا الخطر وصح هذا الخبر فالسالمون يقومون لنا ولا يقعدون ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يعصدون على ان الله ناصرنا ومؤازرنا ومظاهرا لنا حقيقة باظهار القوة على استوحش التأتيس وبثنا بالارسل الى البلاد ومعيونا وجواسيس وندبنا رسل الاستنصار وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار وقتلنا ما هذه المرة الى مرة لا يسبغها الا كل مترابي وما هذه المكرة مثل كل كره ولا يحضرها الا كل كيش كى قال وعول السلطان على ارسال القاضي بهاء الدين ابن شدد يوسف بن رافع بن تميم ليكون كاهبه الى الديوان العزيز مع رسول كريم وقال له ما احتياج أوصى وأنت توفي القول ونسقة صى وجعل الى كل طرف في طريقه رساله وأودعه اليه مقالة فسار ووصل الى حلب والقاضي ضياء

## في أخبار (١٥١) الدولتين

الدين ابن الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد وذكر انه قد بلغ المراد فما هذا الرسول الرابع ووصل وهو مغناط وتغير على ونسب انفسا القاضي بهاء الدين الى ثم اجتمع بالسلطان ونذمه على ما قدمه واعلم بما عمله وعلمه وقال له الشغل قد فرغ والقصد قد بلغ وقتر مع السلطان امرا وعاد على النجب الى بغداد وصادف بها القاضي بهاء الدين ابن شداد فلم يسفر امر سفارته عن سداد وقيل جواب ما أتيت فيه مع ضياء الدين نسيه ونذبه فيما تخشيره وقال في كتاب البرق وصل الخبر بخروج ملك الالمان من بلاده في مائتي ألف دارع وفي راجل في ديب رجل الدبا في عدد رمل اللوا وأقام بمسرحهم القيامه واستثارهم لئلا يركبهم بالقدس فقامه وساروا في شهر وحتى وصلوا قسطنطينية وكان ملك الروم يكتب النبا بأخبارهم ونبأ خروجهم من ديارهم ويقول أنا لا أمكنهم من العبور فلما جاؤا لم يقدر على منعهم فصعد عنهم الازواد وحرهم الاسعاد وعبروا الخليج وقد كثرت أمدادهم وقلت أزوادهم ولما وصلوا الى حدود بلاد الاسلام وسلكوا في الاودية والالجام والوهاد والاكام تسلمهم تركان الاوج وتراكم اللوج وشتاء الكلاب في تكالب الشتاء واحتاجوا الى كل الدواب واحرق عدددهم لاعواز الاحطاب وعدموا العلف وما وجدوا الخلف ومناهل الزلال جامدة وهم بالبلاء جاهلون ومن البلاء ناهلون لا يقطعون في يومين فرسحا وقد اذهب الله عنهم البركة وصعب عليهم الحركة وخرج الامر عن حسابهم وهم كل يوم في نقص أنفسهم ودوابهم وكانوا يدفنون من اعلاتهم النفيسه وعددهم الكريمة الرئيسه ما يجزون عن نقله ولا يخفون بثقله فاتخذوا لاسرارهم من اضلاع تلك السعاب وصودرت تلك الوهاد والخصاب ضما ثم لا تبوح بها أبدا ولا تطلع على مكنتها ومدفونها أحدا هذا وبحرهم عباب الموج هباب الفوج فلما خلصوا بعد أشهر كانهم زخروا عوج سبعة أبحر هذا وقد نقص شظيرهم وانقطع ظهيرهم لكنهم عرضوا في سستين ألف مدرع مدجج مقنع ذلك وقد باد أكثر ارجلهم وترجل معظم ابطال باطلهم وسيأتي باقي أخبارهم قلت ومن قصيدة للشيخ أبي الفضل الجلياني

يا منقذ القدس من أيدي جبابرة \* قد أقسموا بذراع الرب تدخله  
فا كذبوا كذبهم في وصف ربهم \* وصدق الوعد ما مونا مخوله  
أما رأيت ابن أيوب استقل بما \* يعبي الزمان وأهليه تحمله  
هاج الفرنج وقد خار والفتكته \* فاستنفروا كل مرهوب تغلغله  
لماسي القدس فالوا كيف تركها \* والرب في حفرة منها تمثله  
فكم ملوك لهم شق البحار سرى \* لينصروا القبر والافادارتخله  
وكم زحل منهم فيلق بفلا \* الى الخوامع القاه ترحله  
استصرخوا الاهل والعدوى تمزقهم \* واستكثروا المال والهيجاتنفله  
هم الفراس لهيب الحرب تصرعه \* وكلما لج صدم ما جل مقتله  
سيف امام فلسطين يرى اما \* خلف البحار اقداها صمقه  
كم فداعا وكم قد فل جمعهم \* من غدير ضرب ولا طعن يزيله  
وانما اسم صلاح الدين يذكركي \* جيش العدو فيسبهم تخيله

ثم دخلت سنة ست وثمانين هـ قال العماد رحمه الله والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبه في خيامه المضروبه على الحالة المحبوبة وعنده العادل والافضل والمظفر وعكا محصوره وانتقضت هذه السنة وهو على مرابطة المحاصرين لعكا واتفق في أوائل هذه السنة وقبلها انصراف العساكر العربية الى بلادها البعيدة والقريبة لهجوم الشتاء وتوالي الانداء والانواء وحالت الوحول عن الركوب والنزول وكانت نوب اليرك مترتبة والاحوال متهدبه وربما ركب السلطان يوما للقتل بالبزاه ثم يعود لا تتم افرصة الغزاه ثم وقعت وقعة الرمل وذلك انه ركب يوما في صفر فتصيد وطاب له قرب القنص فابعد واليرك على الرمل وساحل البحر فخرج الفرنج في وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا اليهم وحكوا عليهم وطردها عليهم الى خيامهم وأخذوا عليهم من خلفهم وامامهم ولهم في كل دفعة من العدو قلائع والفرنج في كل كرة على الرمل مصارع حتى فنى النشاب

## كتاب (١٥٢) الروضين

وبقي الانتشاب وشاع نداء الاصحاب باستدعاء النشاب والفرنج لا يجزهم الا الرما ولا يهتكهم الا الاصها فلما انسوا بخلاو الجعاب تجاسروا على الدنوم تلك الشعاب وجاوا حلة واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر وكادت تعبت بهم يد القهر فثبتت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان واستشهد جماعة من الشجعان وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا وصرعوا اقربا فترلوا بعد فرسهم بسلب لبسهم فقتل بهم الحلة في الدوبه وأعجلتهم عن الركبة والوثبة وأظلم الليل واقترب الجعاب وكثرت الأسف على من فقد ومنهم الحاجب ايد غمش المجدي قال ومن عجائب هذه الواقعة ان هملوا كالسلطان يقال له سراسنقر عثر به جواده فقبض من أسره على شعره ليجذبه وسل آخر سيفه ليضربه فضرب يدقا بض شعره فسيبه واشتد سراسنقر بعدو وهم خلفه فلم يدركوه وعاد السلطان من الصيد وقد انفصل الامر قال وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم شقيف ارنون بالامان وكان الحصار قد استمر عليه حتى فنى زاده وصاحبه ارناط في الاسر فسلمه بخلاصه وصار الى صور قال واغتم السلطان هيجان البحر وحضور مراكب الاسطول من مصر فزال يقوى عكبا بتسيير الغلات والقوات اليها في المراكب وملاها بالذخائر والاسلحة والكماء فلما سكن البحر عادت مراكب الفرنج الى مراكبها ودبت عقاربها وأفاعيها وشدت مراكبنا في موانئها وانقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد فامتدب العوام بالسباحه وحملهم على ذلك من السلطان السماحه حتى صاروا يمحون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتباً ويطيرون كتب اليهم ويكتبون اليها على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها وكان في العسكر من اتخذ حماما يطوف على خيمته وينزل في منزله وعمل له بارجان خشب وهو ادى من قصب ويدرجها على الطيران من البعد وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينفع حتى جاءت نوبة عكاف نفقت وشفقت الغليل ونفقت وانت بالكتب سارحة شارحه وكنا نطلب امانه مع الليل والنهار حتى قل وجودها لكثرة الارسال ولقد عطب عوامون فما ارتدع الباقون ومنهم من سلم مراكب القوم فاجتروا أنس بالوعوم

**(فصل ١٠)** في قدوم الملوك وحريق الابراج قال العماد وليا النقصى الشتاء وانفتح البحر وحان زمان القتال جاءت العساكر الاسلامية من البلاد فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حص والرحبه وسابق الدين عثمان صاحب شيرز وعز الدين ابراهيم بن المقدم ووقدم معهم جوع من الاجناد والاعيان وحشود من العرب والتركان فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وحسم وزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول ورتب عسكره فكان بقي الدين في آخر الميمنة والعاذل في آخر الميسره والافضل في أول ميمنة القلب وأخوه الظافر في أول الميسرة على الجنب ثم وصل الظاهر في عساكر حلب وعماد الدين محمود بن بهرام الارتقى صاحب داراغيرهم من الملوك والمقاتلين ووصل رسول الخليفة يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاول وهو الشريف خفر الدين نقيب مشهد باب التين ببغداد ووصل معه حلال من النفط الطيار وحلال من القنا الخطار وتوقيع بعشرين ألف دينار يقترض على الديوان العزيز من التجار وخمسة من الزراطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار فاعتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره غير انه أبدى رد التوقيع وقال كل ما معي من نعمة أمير المؤمنين ولولا صرف أموال هذه البلاد الى الجهاد لكانت محمولة الى الديوان وأركب الرسول معه مراكباً وأراه مبارك النزال ومعارك القتال حتى يشهد بما يشاهد ويبين له المجتهد والمجاهد وأقام طويلاً ثم استأذن في العود فراجع وقال القاضي ابن شداد قبل السلطان جميع ما وصل مع الرسول واستعفى من الرقعة والتثقيب بها قال وفي ذلك اليوم باع السلطان ان الفرنج قد زحفوا على البلد وضايقوه فركب اليهم ليشغلهم بالقتال عن البلد فقاتلهم قتلاً شديداً الى الليل وخاف السلطان ان يهجم العدو والبلد فانتقل الى تل الحجل في خامس عشر ربيع الاول للهرب قال وفي صبيحة هذا اليوم وصل من البلد عوام معه كتب تتضمن انه قد طم العدو بعض الخندق وقد قوى عزم العدو على منازلة البلد ومضايقته فجذد السلطان الكتب الى العساكر بالحث على الوصول وفي سحر ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الاول وصل ولده الظاهر وفي آخر ذلك اليوم وصل مظفر الدين وكان السلطان رحمه الله ما يقدم عليه عسكر الا ويعرضهم ويسير بهم الى العدو وينزل بهم

## في اخبار (١٥٣) الدولتين

في خيمته ويمد لهم الطعام وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا أجنب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر وينزلون بها مكرمين قال وكان العدو قد اصطنع ثلاثة ابرجة من خشب وحديد والبسم الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر بحيث لا تنفذ فيها النيران وكانت هذه الابراج كأنها الجبال نشاهد هاهنا مواضعنا عالية على الاسوار وهي مركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحه لان ينصب عليه منجنيق وكان ذلك قد عمل في قلوب المسلمين وأودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه وايس الناس من البلد بالكلية وتقطعت قلوب المقاتلة فيه وكان قد فرغ عملها ولم يبق الا جرها الى قرب السور وكان السلطان رحمه الله قد عمل فكره في احراقها واهلاكها وجمع الصناع من الزرايين والنفاطين وياحثهم في الاجتهاد في احراقها ووعدهم عليه بالاموال الطائلة والعطايا الجزيلة وضاعت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي فذكر ان له صناعة في احراقها وانه ان أمكن من الدخول الى عكا وحصل له الادوية التي يعرفها أحرقها فحصل له جميع ما طلبه ودخل الى عكا واطبخ تلك الادوية مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كأنه جرة نار ثم ضرب السرج الواحد يوم وصول الملك الظاهر بقدر فاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالع ذؤابتة نحو السماء فاستعاث المسلمون بالتهليل والتكبير وغلبهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب فبينما الناس ينظرون ويتعجبون اذ رمى البرج الثاني بالقدرة الثاني والثالث فاحترقا كالاول وركب السلطان والعساكر وسار اليهم وانتظروا يخرج جوافينا جرحهم علا بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب خير فليمتنزه فلم يظهر العدو من خيامهم وحال بين الطائفتين الليل واستمر ركوب السلطان اليهم في كل يوم وطلب نزالهم وقتا لهم وهم لا يخرجون من خيامهم لعلمهم بتبشير النصر والنظر بهم والعساكر الاسلامية تتوارت وتواصل فوصل في الثاني والعشرين من ربيع الآخر عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وهو ابن أخى نور الدين رحمه الله وصهره زوج ابنته فلقبه السلطان بالاحترام والتعظيم ورتب له العسكر في لقائه وسار به حتى اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وأنزله عنده وكان صنع له طعاما لا ثقا بذلك اليوم فحضره وجميع أصحابه وقدم له من التحف واللائف مالا يدر عليه غيره وكان قد أكرمه بحيث طرح له طراحة مستقلة الى جانبه وبسط له نوبا طلس عند دخوله وضربت خيمته على طرف الميسرة على جانب النهر وفي سابع جادى الاولى وصل ابن أخيه صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فلقبه السلطان وأنزله الى جانب عمه عماد الدين وفي تاسع جادى الاولى وصل ابن صاحب الموصل وهو علاء الدين خرم شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي نائباً عن أبيه ففرح السلطان به فرحاً شديداً وتلقاه من بعيد هو وأهله واستحسن أدبه واستجبه وأنزله عنده في الخيمة وكرمه مكرامة عظيمة وقدم له تحفا حسنة وأمر بضرب خيمته بين ولديه الفضل والظاهر وفي أواخر الشهر وصل صاحب أربل زين الدين يوسف بن زين الدين على فأكرمه السلطان وأنزله عند أخيه مظفر الدين يعني في الميسرة وذكر العماد قدوم هؤلاء الملوك بمعنى ما تقدم قال وكان الفرنج مذتزلوا على عكا صموا على الإقامة والحصر فشرعوا في بناء الابراج العظام العالية ونقلوا في البحر آلاتها وأخشابها الجافية واقطاع الحديد وبنوا ثلاثة أبراج عالية في ثلاثة مواضع من اقطار البلد فعموا فيها سبعة أشهر في بغر غوامها الا في ربيع الاول فعلت كأنها ثلاثة اطواد قدملت طبقاتها بعدد اعداد وكل برج لا بد له في اركانه من أربع اسطوانات عالية غلاظ جافيات طول كل واحدة خمسون ذراعا يشرف على ارتفاع سور البلد وبسطوها على دوائر الجبل ثم كسوها بعد الحديد والوثوق الشديد بجلود البقر والسوخ وكل يوم يقرؤونها ولوذراعا على حسب انتميسر في تسييرها وسقوها بالخل وانحروا كشفوا من جوانبها الثلاثة سور البلد وشرعوا في طم الخندق وجاء عوام من عكا فاحسب السلطان فركب بالعسكر ولازمهم من الجمعة الى الجمعة يقاتلهم صباح مساء ليشغلهم فافتروا قسمين فريق للقتال وفريق آخر مع الابراج فاشفى البلد وبقي له رمق ضعيف ورميت الابراج بكل فارورة نفط فثار ثلث ولم نشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الاول بالابراج الا وقد اشتعلت وانتهت ووتعت وكانت آية من قدرة الله ظهرت وذلك انه كان في عكا شاب من أهل دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين وكان أبداً يجمع آلات الزرايين مولعا ولتحصيل عقاقيرها متعبا وكل من

عرفه عذله وانكره له وكان قد ألف منهم مقادير وقصورا وملأ بالغنيظ من أهل تلك الصناعة صدورا ولم يكن النفط من صناعته ولكن الله وفقه لمعادته فلما كان يوم حريقها جاء إلى الأمير قراقوش وهو معتظ واخلقه فظاظ غلاظ وقال اتأذن لي في تصويب المنجنيق لاحتراق البرج والله ولي التوفيق فجزه وزبره ونهاه ونهره وقال صناع هذا الشغل قد خاروا وحاروا وبعدما المنجدوا أغاروا فقال الناس دعه وشانه وما يدريك أن الله وفقه وأمانه فرمى ابن العريف إلى السبرج الأول قدور نفط خالية من نار حتى عرف أنه سقاها ورواه ثم رماه بقدر محرقه وأردفها بأخرى من هقه فتسلطت النار على طبقاتها فاضرم على أهل السعير سعيرا وكان يوما على الكافرين عسيرا ثم أحرق الثاني والثالث فاجتمع عليه الاصحاب يفتدونه ومن أولياء الله يعتدونه وجملوه بعد ذلك إلى السلطان فلم يقبل عطاء وقال علمته لله فأرأى يده من سواه جزاء وقيل احترق في البرج الأول سبعون فارسا بعدتها فخطبت أعمالهم وخابت آمالهم وخرج رجالنا من البلد فنصفوا الخندق وسدوا الثغر وأظهروا القدر بظهور القدر وجاءوا إلى مواضع الابراج وأما كهنا واستخرجوا الحديد من مكائنها ونبشوا الرماح من الزرديات التي انسيكت وكشفوا عن الستائر التي نهكت فأخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا قال وكان السلطان قد كتب بالاستظهار من شواني الاسطول والاسراع به في الوصول فوصل الخبر بوصول يوم الخميس ثامن الشهر فاستظهر به الاسطول الأول الذي بالشعر فركب السلطان بجميع كدائبه وأحاط بالكفر من جميع جوانبه واشتغل الفرنج عنابادهم في البحر فخذوا في الأمر وجهزوا اسطولا بعدد الرجال وعدد القتال وخرجوا لتلقي الاسطول الواصل وقابلوا الحق بالباطل وجاءت شواني المسلمين فتطحت وطحنت وأخذت مراكب العدو برجاله وأخذوا الناقطة وما زالت الحرب قرعة وفرعه وصرعه وصرعه حتى دخل الليل فتهاجر الفريقان وتفترق الاسطولان وكانت المقتلة في الكفر شديدة والسطوة مبيدة وقال القاضي ابن شدد لما كان ظهيرة يوم وصول علاء الدين ابن صاحب الموصل ظهرت في البحر قلوب كثيرة وكان رحمه الله في نظره الاسطول من مدرفاه كان قد أمر بتعير دو وصوله فعلم أنه هو فركب والناس في خدمته وتعبا تعبته القتال وقصده ضايقة العدو ليشغله عن تصد الاسطول ولما علم العدو بالاسطول استعد له وعمر اسطوله لقتاله ومنعه من دخول عكا ولما خرج اسطول العدو واشتد السلطان في قتالهم من خارج وسار الناس على جانب البحر فتوقية للاسطول وايساسه ولرجاله التسقي الاسطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نار الحرب واستمرت وباع كل فريق روحه براحمته الآخر ويد وجرى قتال شديد أقشع عن نصره الاسطول الاسلامي وأخذ منه شين وقيل من به ونهب جميع ما فيه وظفر من العدو مراكب أيضا كان واصلا من قسطنطينية ودخل الاسطول المنصور إلى عكا وكان قد صحبته مراكب من الساحل فيها مير وخنائر وطابت قلوب أهل البلد بذلك واشترحت صدورهم فان الضائقة كانت قد أخذت منهم واتصل القتال بين العسكرين من خارج البلد إلى ان فصل بينهم الليل وتاد كل فريق إلى خيمه وقد قل من عدو الله وجرى في ذلك اليوم خلق عظيم فانهم قاتلوا في ثلاثة مواضع فان أهل البلد اشتدوا في قتالهم ليشغلواهم عن الاسطول أيضا والاسطولان مقابلان والعسكر من البر يقابلهم وكان النصر بحمد الله للمسلمين قال العماد وقتلنا منهم مدة مقامنا على عكا ستين أكثر من ستين ألف ورزأناهم بكل حتف وكلابادوا في البر زادوا من البحر وكم جسر واوخسروا وقتلوا وأسروا وهزموا وكسروا وخافهم خلف ويقوم مقام ما نهم ألف وقد أفينا أنفسهم وأموالهم وقطعنا أرواقهم ووصلنا آجالهم

(فصل) فيما كان من أمر ملك الالمان قال القاضي ابن شدد توصلت الأخبار بوصول ملك الالمان إلى بلاد قليج أرسلان وأنه انتفض للقاءه جمع عظيم من التركمان وقصدوا منعه من عبور النهر وأنه أعجزهم لكثرة خلقه وعدم مقدم لهم ينجع كلتهم وكان قليج أرسلان يظهر اشفاقه وهو في الباطن قد أضمر وفاقه ثم لما عبر إلى البلاد أظهر من الفساد ما كان أضمره وواقفه وأعطاه رهائن معه على أنه ينفذ معه من يوصله إلى بلاد ابن لاون وأنفذ معه أدلة يدلون به وعراهم في الطريق جوع عظيم وأهوزهم الزاد وقل بهم الظهر حتى انهم القوابض أقتشتم ولقد بلغنا والله أعلم أنهم جمعوا عتدا كثيرة من زرديات وخود وآلات وسلاح عجوزا عن حملها وجعلوها يديرها وحدا



وأضر موافبها النار لتتلف ولا ينتفع بها أحد وانها بقيت بعد ذلك راية من حديد وساروا على هذه الحال حتى وصلوا الى طرسوس فأقاموا على نهر ليعبروه وان ملكهم الملعون عتق له ان يسبح فيه وكان ماء شديد البرد وكان ذلك عتقب ما ناله من التعب وانه عرض له بسبب ذلك مرض عظيم اشتد به الى ان قتله ولما رأى ما حدث به أوصى الى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات أجمعوا رأيهم على انهم سلقوه في خل وجعوا عظامه في كيس حتى يجلوه الى القدس الشريف ويدفنوه فيه وترتب ابنه مكانه على خلف من أصحابه فان ولده الأكبر كان خلفه في بلاده وكان جماعة من أصحابه يميلون اليه واستقر قدم ولده الحاضر في تقدمه في العسكر ولما أحس لافون بما جرى عليهم من الخلل وما حل بهم من الجوع والموت والضعف بسبب موت ملكهم ما رأى أن يلقى نفسه بينهم فانه لا يعلم كيف يكون الامر وهم فرنج وهو أرمني فاعتصم عنهم في بعض قلاعهم المنيعه ولقد وصل الى السلطان كتاب من الكاغيكوس وهو مقدم الارمن وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الفرات ومعنى هذا الاسم الخليفة ونسخة الكتاب (كتاب الداعي المخلص الكاغيكوس مما أطاع به يوم مزلا واما ملك السلطان الملك الناصر جامع كلمة الايمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين من أمر ملك الامان وما جرى له عند ظهوره وذلك انه أول ما خرج من دياره دخل بلاد الهندك غصبا ثم دخل أرض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها وأحوج ملك الروم الى ان أطاعه وأخذ رهائنه ولده وأخاه وأربعين نفرا من خالصائه وأخدمته خمسين قنطارا ذهباً وخمسين قنطارا فضة وثياب اطلس مبلغا عظيما واغتصب المراكب وعدي بها الى هذا الجانب وصحبته الرهائن الى ان دخل حدود بلاد الملك قليج ارسلان ورد الرهائن وبقي ثلاثة أيام سائرا وتركوا الاوج يلقونه بالاغنام والابقار والخيول والبضائع فتدأخلهم الطمع وجمعوا من جميع البلاد ووقع القتال بين التركان وبينهم وضايقوه ثلاثة وثلاثين يوما وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولد قليج ارسلان العساكر وقصده وضرب معه مصافا عظيما فظفر به ملك الامان وكسره كسرة عظيمة وسلاح حتى أشرف على قونية فخرج اليه جموع عظيمة من المسلمين فردهم مكسورين وهجم قونية بالسيف وقتل منها عالما عظيما من المسلمين والفرس وأقام بها خمسة أيام فطلب قليج ارسلان منه الامان فأمنه الملك واستقر يدينهم قاعدة أكيدة وأخدمته الملك رهائن عشرين من أكابر دولته وأشار على الملك أن يجعل طريقه على طرسوس والمصبصة ففعل وقبل وصوله الى هذه البلاد انفذ كتابه ورسوله بشر حاله وأين قصده وما لقيه في طريقه وانه لا يبتغي تار بهذه الديار اختيارا أو كرها فاقبضى الحال انفاذا للملوك خاتمة وصحبته ما سأل ومعه من الخواص جماعة للقاء الملك في جواب كتابه وكانت الوصية معهم أن يحترقوه على بلاد قليج ارسلان ان أمكن فلما اجتمعوا بالملك الكبير وأعادوا عليه الجواب وعترفوه الاحوال أبى الانحراف ثم كثر عليه العساكر والجوع ونزل على شط بعض الانهر وأكل خبزها ونام ساعة وانتبه فتأقت نفسه الى الاستحمام في الماء البارد ففعل ذلك وخرج وكان أمر الله انه تجرأ عليه مرض عظيم من الماء البارد فكثأ ياما قلائل ومات وأما لاون فكان سائرا يلقى الملك فلما جرى هذا المجرى هرب الرسل من العسكر وتقدموا اليه وأخبروه بالحال فدخل في بعض حصونه واحتج هناك وأما ابن الملك فكان أبوه منذ توجه لقصده هذه الديار نصب ولده الذي معه عوضه وتأكدت قواعده وبلغه هرب رسل لافون فأنتهذ واستعطفهم وأحضرهم وقال ان ابى كان شيخا كبيرا وانما قصده هذه الديار لاجل حج بيت المقدس وأنا الذي دبرت الملك وعانيت المشاق في هذه الطريق مع من أطاعني والا كنت بدأت بقصدي يار دواستعطف لاون واقتضى الحال الاجتماع به ضرورة وفي الجملة هم في عدد كثير ولقد عرض عسكره فكان في اثنسين وأربعين ألف مجحف وأما الرجال فلا يحصى عسدهم هم اجناس متفاوتة وخلق غريبة وهم على قصد عظيم وجد في أمرهم وسياسة هائلة حتى ان من جنى منهم جناية ليس له جزاء الا ان يذبح مثل الشاة ولقد بلغنا عن بعض أكابرهم انه جنى على غلام له وجاوز الحد في ضربه فاجتمعت القسوس للحكم عليه فاقتضى الحال والحكم العام ذبحه وسفع الى الملك منهم خلق عظيم فلم يلتفت الى ذلك وذبحه وقد حرموا الملاذ على أنفسهم حتى ان من بلغهم عنه بلوغ لذة حمره وعزروه وكل ذلك كان حزننا على بيت المقدس ولقد صبح عن جمع منهم انهم هجروا الثياب مدة طويلة وحرموها على أنفسهم ولم يلبسوا الا الحديد حتى أنكر عليهم



## كتاب (١٥٦) الروضتين

الاكابر ذلك وهم من الصبر على الذل والشقاء والتعب على حال عظيم) وقال العماد لما قاربوا بلاد عز الدين هليج ارسلان نهض اليهم ابنه قطب الدين ملك شاه فوقع بينهم الحرب ثم اندفع عنهم الى مدينة فونية فساقوا ورءه ودخلوها وحرقوا أسواقها ونزلوها فنفذوا الى السلطان قليج أرسلان أنالم نصل لاخذ بلادك وانما ثنائنا لبيت المقدس ونفذوا اليه هدايا وطلبوا الهدنة فهداهم ففتحوا من تلك البلاد بما أرادوا من العدد والازواد وانفذ قليج أرسلان وابنه يعتذران الى السلطان من تمكينهم من العبور وانهم غلبوا على ذلك ثم ان الالمانية طلبوا من قليج أرسلان انفاذ جماعة من الامراء معهم بمنعوتهم من لصوص التركمان حتى يصلوا الى بلاد الارمن فنفذ معهم خمسة وعشرين ووافق ذلك غرض قطب الدين فانه كان كارها للجماعة من المتقدمين ففتحهم اليهم بأن يكونوا في صحبة ملك الالمان فحملهم على الخطر وأوقعهم في الضرر فأنهم ما قدروا في الطريق على دفع كل سارق وقد تبعتهم اللصوص حتى وصلوا الى بلاد الارمن ومقدمهم لافون بن اصطغان بن لاون فأخذوا أولئك الرهائن وقيدوهم وجعلوهم في الاسر وجردوهم ففهم من خلص بعد حين بمال جزيل ومنهم من بقي مأسورا حتى أتاه اليقين ووصل مقدم الارمن الى خدمته ودخل في طاعته وهداهم لمتصدده وقام لهم بالضيافات والعلاوات وذلك في طرسوس فتمكنوا به باليرجوا النفوس فعزل الملك الالمان ان يسبح في النهر لا ماطة مابه من الوضوء فمرض له مرض سلك في سقر وقيل لما عبرت جموعه النهر ازدحوا والتظلم الموحج بهم واقتحموا وطلب هو موضعا يعبر فيه وحده ويتبعه من بعده فنزل على مخاضات مخافه لا يخالوهم هجمها من آفه فجري اليها واجترأ عليها فجدبته سور الماء الى شجرة شجبت رأسه ومجبت أنفاسه وأخرجوه ونفسه على الخروج وعرد على الدروج فنسلم مالك الملك الالمان باله واجماله الى جهنم وجلس ابنه مكانه واتبع شانه واستتبع رجاله وفرسانه وقيل عرض عسكره في نيف وأربعين ألف كى وانقطع عنه ابس لاون واختلف عليه أصحاب أبيه ميلا منهم الى أخيه وساروا على سمت انطاكية في فرق ثلاث كانهم من المرض قد نبشوا من اجدان وأكثروهم حلة عصى وركاب حمير وكل بالارض التي يسلكها غير خبير فقبهم بهم صاحب انطاكية وثقلت عليه وطأتهم المفاجية وحس لهم طريق بلاد حلب فلم يروا لهم في ذلك الصوب من ارب وطلب منه الملك قلعة انطاكية لينقل اليها ماله وخزائنه واثقاله فاخلأه له وسلمها اليه طمعا في ماله وأموال رجاله وكان على ما حدسه فانه لم يعد اليها واستولى الابرئس بانطاكية عليها وجاءت فرقة منهم ليلا الى حصن بغراس وظنوا انه في أيدي أجناسهم الانجاس ففتحوا الى القلعة الباب وأخرج الاصحاب وتسلم تلك الاموال باحالتها والصناديق باقائها وأسر منهم وقتل كثير وخرج بعد ذلك أهل حلب وجندها الى طرقهم وفرقوا بين فرقهم والتقطوهم من الخمر والغياض وكان الواحد يستأسر منهم ثلاثة ولا يرى من رفقا ثم اغاثه فهانت الالمانية بعد تلك المنة في الانفس وابعوهم في الاسواق بالنس الانجس ولما اكمل وصول الساميين الى انطاكية سلكوا الى طريق طرابلس جبلة واللاذقية فخرج عليهم رجالها فقتلوا منهم وأسروا فواصلوا الى طرابلس الا في خوف ولم يصف من جاء مع الملك غير ألف وجاؤا الى النازلين على عكا فغرتوا في لجهم وخذلوا في هجمهم ثم هلكوا على عكا بعد انقضاء مده واقضاء شدة بتاريخ ثاني عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين وقال في الفتح وحين الملك عن السير على الطريق لما لقيت جموعه في طرفاتهم من التهريق فركب البحر في عدد يسير الا يزيد على الألف برعب قلب وقصود و رغم أنف واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه وسخط حكمه وهلك بعد قليل ولم يحظ بنقع غليل وقال القاضي ابن شداد مرض ولد ملك الالمان الذي قام مقامه مرضا عظيما وأقام بموضع يسمى التبتان من بلاد لافون وأقام معه خمسة وعشرون فارسا وأربعون داويا وجهز عسكره نحو انطاكية حتى يقطعوا الطريق ورثهم ثلاث فرق لكثرتهم ثم ان الفرقة الاولى اجتزأت تحت ذلعة بغراس ومقدمها كند عظيم عندهم وان عسكر بغراس مع ناله أخذ منهم مائتي رجل نهبا وقهرا وكتبوا بخبرون عنهم بالضعف العظيم والمرض الشديد وقلة الخيل والظهور والعدود والآلات ولما اتصل هذا الخبر بالنواب في البلاد الاسلامية انفذوا اليهم عسكرا يكشفون أخبارهم فوقع العسكر على جمع عظيم قد خر جوالد لب العلوفة غارا واعلمهم وقتلوا وأسروا زهاء خمسمائة نفس ولقد حضرت من يخبر السلطان عنهم ويقول هم عدد كثير لكنهم ضعفاء قليلوا الخيل والعدة وأكثروا

## في اخبار (١٥٧) الدولتين

ثقلهم على حير وخيل ضعيفة قال واقدوقفت على جسر يعبرون عليه لا يعتبرهم فغير منهم جمع عظيم ما وجدت مع واحد منهم طارقة ولا رجحالا النادر فسألتهم عن ذلك فقالوا أقمنا بروج وخم أيا ما وقلت ازودنا واخطبنا فاودنا معظم عددنا ومات منا خلق عظيم واحتجنا الى الخيل فذبجناها وأكلناها ومات الكند الذي وصل الى انطاكية وطمع لافون فيهم حتى عزم على أخذ مال الملك لمرضه وضعفه وقلة جمعه الذي تأخر معه ولم تنزل أخبارهم تتواثر بالضعف والمرض قال ولما تحققي السلطان وصول ملك الالمان الى بلاد لافون وقربه من البلاد الاسلامية جمع أمراء دولته وأرباب الاراء وشاورهم فيما يصنع فاتفق الرأي على ان العسكر يسير بعضه الى البلاد المتأخرة لطريق عسكر العدو الواصل وان يقيم هورجه الله على منازلة العدو المقابل يباقي العسكر المنصور فكان أول من سار صاحب منجناصر الدين بن تقي الدين ثم عز الدين ابن المقدم صاحب كفرطاب وبارزين وغيرهما ثم محمد الدين صاحب شيرزم اليا روقية من جملة عسكر حلب وسار الى دمشق ولده الافضل لمرض عرض له وكذا بدر الدين شحنة دمشق ثم سار الملك الظاهر الى حلب لاية الطريق وكشف الاخبار وحفظ ما يليه من البلاد وسار بعده الملك المظفر لحفظ ما يليه من البلاد وتدير أمر العدو والمجتاز ولما سارت هذه العساكر خفت الميمنة فان معظم من سار منها فامر رجة الله عليه الملك العادل فانتقل الى منزلة تقي الدين في طرف الميمنة وكان عماد الدين زنكي في طرف الميسرة ووقع في العسكر مرض عظيم فرض مظفر الدين بن زين الدين صاحب حران وشفي ومرض بعده الملك الظافر ولد السلطان وشفي ومرض خلق كثير من الاكابر وغيرهم الا ان المرض كان سليما بحمد الله تعالى وكان المرض عند العدو أكثر وأعظم وكان مقتربا بجوتان عظيم وأقام السلطان مصابرا على ذلك مرابطا للعدو قال العماد وتقدم السلطان بهدم سور طبرية وهدم يافا وارسوف وقيساريه وهدم سور صيدا وجبيل ونقل أهلها الى بيروت وفي بعض الكتب السلطانية (قد عرفنا خبر العدو والشؤم الواصل من جانب الروم وهذا وان تحرك ذوى الحمية ونهوض أهل الهمم الالية العلمية وانهم في كثرة مستنون في طريق العثرة والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف فأين المؤدون فرض الجهاد المتعين وأين المهتدون في نهج الرشاد المتبين وأين المسلمون وحاشي ان يـ كنوا للاسلام مسلمين وأين المقدمون في الدين ومعاذ الله أن لا يكونوا في نصرته على الموت مقدمين ولولا التقيد بهذا العدو والربض لاطلقت أعنة النهضة الى العدو والناهض رلا بد من لقائه قبل تلقى الجمعين واراة الملاعين وجوه حتمهم ملء العين) ومن كتاب فاضلي الى بغداد (ومن خبر الفرنج انهم الآن على عكا يمد بهم البحر بمراكب أكثر عذبة من أمواجه ويخرج منه للمسلمين ما هو أمر من أجا به وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان ينهضوا اليهم من كل فرقة طائفة ورسلا اليهم من كل سلاح شوكة فاذا قتل المسلمون واحدا في البر بعثوا ألفا فعوضه في البحر فالزراع أكثر من الحصاد والثمرة أغنى من الجذاذ وهذا العدو المقابل قاتله الله قد زرع عليه من الخنادق دروعا متينة وأسجن من الجنانات بحصون حصينه فصار محصورا ومتمتع حاسرا ومتدرا مواصلا ومنقطعاه وعددهم الجم قد كثر القتل ورقابهم الغلب قد قطعت النصل لشدة ما قطعها النصل وأصحابنا قد أثرت فيهم المدة الطويلة والكلف الثقيلة في استطاعتهم لافي طاعتهم وفي أحوالهم لافي شجاعتهم وكل من يعرفهم ينشد الله فيهم المناشدة النبوية في الصحبة البديرة اللهم ان تحلك هذه العصابة ويخلص الدعاء ويرجو على يد سيدنا أمير المؤمنين الاجابه وقد حرم باباهم لعنة الله عليه وعليهم كل مباح واستخرج منهم كل مذخور وأغلق دونهم الكنائس ولبس والبسهم الحداد وحكم عليهم أن لا يزلوا كذلك أو يستخلصوا المقبره فباعصبة محمد عليه السلام أخلفه في أمته بما تطنئ به مضاجعه ووفه الحق فيما فانا والمسلمون عندك ودائعه وما مثل الحاد من نفسه في هذا القول الابحالة عبد لو أمكنه لو وقف بالعتبات ضارعا وقبل ترابها خاشعا وناجها بالقول صادعا ولورفعت عنه العوائق لهاجر وشافه طبيب الاسلام بل مسيحه بالداء الذي خامر ولو امن عدوا للاسلام أن يقول قولا آخر لسافر ولولا ان في التصريح ما يعود على العدالة بالتجريح لقال ما يبكي العميون ويبكي القلوب ولكنه صابر محتسب منتظر لنصر الله من تقب قائم من نفسه بما يجب رب اني لا أملك الانفسى وهما هي في سبيلك مبدولة واخى وقد هاجر اليك هجرة برجرها مقبولة ولدى وقد بذلت

لعدوك صححات وجوههم وهان على محبوبك بكروهي فيهم ومكر وهم ونقف عندها الحد ولله الامر من قبل ومن بعد

(فصل) في الواقعة العادلية على عكاظ هر يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة قال القاضي ابن شداد علم عدو الله ان العساكر قد تفرقت في اطراف البلاد وان الميمنة قد خفت لان معظم من ساركان منها بجكم قرب بلادهم من طريق العدو فاجمعوا رايهم واتفقت كلمتهم على انهم يخرجون بغته ويجمعون على طارف الميمنة فجاء فخرجوا واستخفوا طرف الميمنة وفيها تخيم العادل فلما بصر الناس بهم صاح صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من اجامها وركب السلطان ونادى مناديه بالاسلام وكان رجه الله اول راكب واقدر ايتيه وقدر كركب من خيمته وحوله نفر يسير من خواصه والناس لم يستمركوبهم ودوا كالفائدة لولدها الثاكلة لواحداهم ثم ضرب الكؤس فاجابته كاسات الاسراء من اما كنها وركب الناس وسارع الفرنج في قصص الميمنة حتى وصلوا الى المخيم العادلي قبل استتمام ركوب العساكر ودخلوا في وجاقه وامتدت ايديهم في السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وقيل وصلوا الى خيمة الخاص واخذوا من شرايخا نانه شيئا وركب العادل واستركب من يليه من الميمنة كالطواشي قايماء النجمي وعز الدين جريدك النوري ومن يجري مجراه ووقف وقوف مخادع حتى يوغل بهم طمعهم في المخيم ويستغلوا بالنهب وكان كما ظن فانه عاثت ايديهم في الخيام والاشقة والفواكه والطعام فلما علم اشتغالهم بذلك صاح بالناس وحمل بنفسه يقدمه ولده الكبير شمس الدين مودود وحمل بحملته من كان يليه من الميمنة واتصل الامر بجميع الميمنة حتى وصل الصائح الى عسكر الموصل وهجموا على العدو وهجمه الاسود على فرائسها وامكنهم الله منهم ووقعت الكسرة فدعاوا ويستندون نحو خيامهم هاربين وعلى اعقابهم ناكسين وسيف الله يقتل فيهم وصاح صائح السلطان في الناس يا ابطال الموحدن هذا عدو الله قد امكن الله منه وقد ادخله الدامع حتى غشي خيامكم بنفسه فبادر الى اجابة دعوته اهل خلقته وخاصة ثم عسكر الموصل يقدمهم علاء الدين ولد عز الدين ثم عسكر مصر يقدمهم سنقر الحلبي وتابعت العساكر وتجاوبت الابطال وقامت سوق الحرب فلم يكن الاساعة حتى رأينا القوم صرعى كأنهم اعجاز نخل خاويه وامتدوا مطروحين من خيام العادل الى خيامهم اولهم في الخيم الاسلامية وآخرهم في خيم العدو صرعى على التلول والوهاد وكان مقدارا متمد فيه القتلى بين المخيمين فرسخا ورعا زاد على ذلك ولم ينح من القوم الا النادر قال ولقد خضت في تلك الدماء بدايتي واجتهدت ان اعدهم فما قدرت على ذلك لكثيرتهم وتفرقهم وشاهدت منهم امرأتين مقتولتين وحكى لي من شاهد منهم أربع نسوة يقاتلن واسر منهن اثنتان واسر من الرجال في ذلك اليوم نفر يسير فان السلطان كان قد أمر الناس ان لا يستبقوا أحدا هذا كله في الميمنة وبعض القلب واما الميسرة فأتصل الصائح بهم الا وقد فجر الامر وقضى القضاء على العدو قبل بدء المسافتين وكانت هذه الواقعة فيما بين الظهر والعصر فان العدو ظهر في قائم الظهر واتفقت الحرب بعد العصر وانكسر القوم حتى دخلت طائفة من المسلمين وآهم الى مخيمهم على ما قبل ثم ان السلطان أمر الناس بالتراجع ولم يفقد من المسلمين أحد في ذلك اليوم سوى عشرة أنفس غير معروفين ولما أحس جنود الله بعكاجى بين المسلمين وبين العدو من الواقعة فانهم كانوا يشاهدون الوقعات من أعالي السور خرجوا الى مخيم العدو من البلد وجرى بينهم مقتلة عظيمة وكانت النصر والحمد لله للمسلمين بحيث هجموا خيام العدو ونهبوا منها جعما من النسوان والاشقة حتى القدور فيها الطعام ووصل كتاب من عكا يخبر بذلك واختلف الناس في عدد القتلى منهم فذكر قوم انهم ثمانية آلاف وقال آخرون سبعة آلاف ولم ينقصهم حازر عن خمسة آلاف ولقد شاهدت منهم خمسة صفوف أولها في خيم العادل وآخرها في خيم العدو ولقد لقيت انسانا عاقلا جند ياسعى بين صفوف القتلى وبعدهم فقلت له كم عددت فقال الى هاهنا أربعة آلاف ونيفا وستين قتيلا وكون قد عدت صفين وهو في الصف الثالث لكن ماضى من الصفوف أكثر عدد من الباقي قال وجاء من الغد فجاب له عن حلب خمسة أيام بكتاب يتضمن ان جماعة عظيمة من العدو التمسالى خرجوا للنهب باطراف البلاد الاسلامية ونهض العسكر الحلبي اليهم واخذ عليهم الطريق فلم ينبغ منهم أحد الا من شاء الله قال وجاء في ليلة ذلك اليوم من اليزك من ذكران العدو قد سأل من جانب السلطان من يصل اليهم ليمع منهم حديثا في سؤال الصلح لضعف حمل بهم ولم يرل العدو من حيث لم يمسور

## في اخبار (١٥٩) الدولتين

الجناح منهاض الجانب حتى وصلهم كند يقال له كندهرى وسيأتى ذكره وقال العماد لما شاع عند الفرنج خبر وصول الالمانية قالوا اذا وصل ملكهم ونكى في المسلمين انكسر ناموسنا وتطأأت عنده رؤسنا فذكر الواقعة بمعنى ما تقدم الى أن قال ووصل السلطان وشاهد من مساة الفرنج ماسره وعرف لطف الله وبره ونصره وعان هناك مصارع الاعداء ومشارع البلاء وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على الارض وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض وكل صف يزيد على ألف قتيل وشاع القتل في الفرنج في كل قبيل وكانت هذه النوبة بلانائه وتلك الغزوة بلاشائه وقتل منهم زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة نفر واغتنيها تجارة رابحه وغنية ميسره قال ولما عرفت بالواقعة والنصرة الجامعة صدرت ثلاثين اواربعين كتابا بالبشارات بالبلغ المعلى واربعة العبارات وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره ورأى البشارة شأره وركبت أنا والقاضي بهاء الدين ابن شداد لمشاهدة ما هناك من اشلاء صرعى واجساد خبايا العجل ماسلبر او عثروا وفروا وقتروا وقد بقرت بطونهم وفقت عيونهم ورأينا امرأة مقتولة كونهما مقاتله وسماها وهي خامدة بالعبرة قائلة ومازلنا نطوف عليهم ونعبر ونفكر فيهم ونعتبر حتى ارتدى العشب بالظلام فعدنا الى الخيام واطلنا الوقوف على تلك الطلول الدارسة واستبشرت الوجوه بتلك الالوجه العابسه وخرناهم بعشرة آلاف قتيل لآخر تركيز بل خزر تقليل وكان الذين حلوا ودمروا وقتلوا اقل من ألف فقتلوا اضعا فاضاعفه وعدموا من وراءهم مساعدة ومساعدته وحكى من نأذره هذه الواقعة ان فرنجيا عقر خيالا للصرعة فعتبره راكب برزون فعرقب الفرنجي قوسه بسيف في يده فقتل بحده مستنافى جده وقتل ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندى وحل من وسطه ثمانين دينارا فانقلب برحاما عده خسارا واملأت الايدي بالاسلاب والاكساب وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب وبيعت الزرديات ذوات الالثمان بالرخص قال وشرع الفرنج في الخداع والمراسلة وسألوا في الصلح واذن لهم السلطان في الخروج للنظر الى اولئك الصرعى بتلك المروج وهي قد تورمت وانتنت وجافت وحيت الشمس على جيفها واحافت وضافتها القشاعم والخوامع وعليها طافت فساءهم ماسرنا ونفرهم ما اقترنا

**(فصل)** قال العماد وكان رأى بعد هذه النصر ان يزد عليهم الكره مرة بعد مرة الى ان يهلكوا حسره ويبيدوا فلا يبقى لهم جرحه فاشتغل السلطان بمما جاءه من المكاتبات بظفر التركان وغيرهم بعسكر الالمان لجأته للفرنج نجدة من البحر ومدد أضعاف ما نقص منهم من العدد والعدد فاضخوا كان لم ينكبوا وثبتوا مكانهم ولم يثبوا ووصل اليهم المعروف بالكندهرى ففترق الاموال واستخدم الرجال وانفق في عشرة آلاف راجل وأظهرانه يخرج الى لقاء عسكر الاسلام فحقول السلطان الى منزلة الخروبه ليوسع عليهم الدائرة ونصب الكند على عكا منجنيقات كثيرة فاحرقها المسلمون وقتل منهم من القوارس سبعون وأسر عدة معروفون ثم نصب منجنيقين فاحرقا أول شعبان وكان الكند قد انق على أحدهما ألفا وخمسة مائة دينار ومن جملة من وقع في الاسر فارس كبير فأمهلوه حين أخذوه حتى قتلوه وبذوه فطلبه منهم الفرنج بالاموال ولم يعرفوا بالاحمال فاحرجوه اليهم قتيلا فكثر الفرنج عليه بعد العويل عويلا وباتوا يندبون نوحا ويذيعون سرقة منه فيهم لوجا وحين وقعت أعينهم عليه قتيلا ضربوا بنفوسهم الارض وحشوا على رؤوسهم التراب ووقعت عليهم بسبب ذلك خدمة عظيمة وكتموا أمره ولم يظهر احد على سره واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم وفتحهم عليهم العرب من كل جانب يسرقون وينهبون ويقتلون ويأسرون وهذا الكتب متواصلة من عكا الىنا ومنها اليها على أجنحة الطيور وأبدى السباح والمراكب اللطاف تخرج ليلًا وتدخل سارقة من العدو قال العماد ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استطافا واستسعافا ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة فيه وأنه مستمر على المودة راغب في المحبة ويعتذر عن عبور الملك الالمانى وأنه قد جفع في طريقه بالامانى ونال من الشدة ونقص العدة ما أضعفه وأوهاه والله لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع ويكون مصرعه هناك ولا يرجع ويموت بما به كاده وأنه قد بلغ في اذاه اجتهاده ويطلب رسولا يدرك به من السلطان سولا فاجيب في ذلك الى مراده ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتاده وقال القاضي ابن شداد كان بين السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة وكان

## كتاب (١٦٠) الروضين

وصل منه رسول الى الباب الكريم السلطاني بمرج عيون سنة خمس وثمانين في رجب في جواب رسول كان أنفذه السلطان بعد تقصير القواعد واقامة قانون الخطبة في جامع قسطنطينية فحضر الرسول واقام الخطبة ولقي باحترام عظيم واكرام زائد وكان قد أنفذه في المركب الخطيب والمنبر وجعما من المؤذنين والقراء وكان يوم دخولهم الى قسطنطينية يوما عظيما من أيام الاسلام شاهده جمع كبير من التجار ورؤفي الخطيب المنبر واجتمع اليه المسلمون المقيمون بها والتجار واقام الدعوة الاسلامية العباسية ثم عاد فعد معه هذا الرسول يخبر بانتظام الحال في ذلك فاقام مدة ولقد شاهدته يبلغ الرسالة ومعه ترجمان يترجم عنه وهو شيخ من أحسن ما يقرض ان يكون من صور المشايخ وعليه زيهم الذي يختص بهم ومعه كتاب وتذكرة والكتاب محتوم بذهب ولما مات وصل خبر وفاته الى ملك قسطنطينية فانفذ هذا الرسول في تمة ذلك ثم وصف القاضي الكتاب وعبر عنه بالفاظه وقدره العباد من معاناه فاغنى عن ذلك ثم قال وكان من حديث ملك الالمان انه بعد ان استقرت قدمه في انطاكية أخذها من صاحبها وتحكم فيه وكان بين يديه فيها ينفذ أوامره وكان له اموال برفقته فاخذها منه غيلة وخديعة وأودعها في خزائنه وسارعها خامس عشر رجب نحو عسكافي جيوشه وجوعه على طريق اللاذقية حتى أتى طرابلس وكان قد سار اليه من معسكر الفرنج يلتقيه الرئيس صاحب صور وكان من أعظمهم حيلة وأشد هم بأسا وهو الاصل في تبيح الجوع وذلك انه صور القدس في ورقة عظيمة وصورة القمامة التي يحجون اليها ويعظمون شأنها وقبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه بنزعهم وذلك القبر هو أصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في عيد من أعيادهم فصور القبر وصورة عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب وقود طي قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر وابدى هذه الصورة وراء البحر في الاسواق والمجامع والقصور يحملونها ورؤسهم مكشوفة وعليهم المسوح وينادون بالويل والثبور والصور عمل في قلوبهم فانها أصل دينهم فهاج بذلك خلائقي لا يحصى عددهم الا الله تعالى وكان من جملتهم ملك الالمان وجنوده فلقبهم الرئيس لكونه أصلا في استدعائهم الى هذه الواقعة فلما اتصل به قوى قلبه وبصره بالطرق وسلك به الساحل خوفا من انه اذا أتى على بلاد حلب وحماة نازلهم المسلمون من كل جانب أو مع ذلك ليس بأمان شن الغارات عليهم واختلف خزاناس لهم ولقد وقعت على بعض كتب الخبيرين بالحرب قد خزر فارسهم وراجلهم بنجمة آلف بعد ان كانوا قد خرجوا على ما ذكر بمائتي ألف فانظر الى صنيع الله مع أعدائه ولما ساروا من اللاذقية يريدون جبلة وجدوا في اعقابهم نيفا وستين فرسا قد عطبت واتزع لجهلهم ولم يبق فيها الا العظام من شدة الجوع وضعف الخيل ولم يزلوا سائرين وأبدي المسلمين تخطفهم من حولهم نهباً وأمرهم وقتلوا حتى أنوا طرابلس فاقام بها حتى استجيم عسكره وأرسل الى التازلين على عكا يخبرهم بقدمه فوجوا من ذلك لان الرئيس صاحب مشورته وكان الملك جفري وهو ملك الساحل بالعسكر هو الذي يرجع اليه في الامور فعلم انه مع قدوم الملك الالمانى لا يبق له حكم وفي آخر شعبان نزل الملك الالمانى في المراكب وهو وعسكره فنارت عليهم ريح اهلك منهم ثلاثه مراكب وسار الباقون الى صور ثم وصل الى عكا في نفي ريسه في سادس رمضان وكان لقدومه وقع عظيم عندهم ووصل خبر وصولهم الى طرابلس ثامن شعبان والسلطان ثابت الجاش راسخ القدم لا يرعزعه ذلك عن حراسة عكا والحماية لها ومراصد العسكر النازل بها وشن الغارات والهجوم عليهم في كل وقت مفوضاً أمره الى الله تعالى معتمداً عليه من بسط الوجه لقضاء حوائج الناس مواصلاً ببره من نفذ اليه من الفقراء والفقهاء والمشايخ والادباء ولقد كنت اذا بلغت هذا الخبر تأثرت حتى اذا دخلت عليه أجد عنده من قوة النفس وشدة البأس ما يشرح صدري واثقن معه نصر الاسلام وأهله

**(فصل)** في ادخال البطس الى عكا قال ابن شداد كان رحمه الله قد أعد ببيروت بطسة وعمرها وأودعها أربع مائة غرارة من القمح ووضع فيها من الجبن والبصل والغنم وغير ذلك من الميرة وكان الفرنج قد أداروا مراكبهم حول عكا كحراسة لها من ان يدخلها مراكب المسلمين وكان قد اشتدت حاجة من فيها الى الطعام والميرة فركب في بطسة بيروت جماعة من المسلمين وزينوا بزي الفرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث نرى من بعدد وعلقوا الصبيان وجاؤا قاصداً الى البلد من البعد حتى خالطوا مراكب العدو فخرجوا اليهم

واعترضوهم في المراتق والشواني وقالوا لهم نراكم قاصدين البلد واعتقدوا انهم منهم ففعلوا ولم تكونوا أخذتم البلد ففعلوا لم تأخذ البلد بعد ففعلوا نحن نرد القلوع الى العسكر ووراءنا بطسة أخرى في هوانها فانذروهم حتى لا يدخلوا البلد وكان وراءهم بطسة فرنجية قد انفتحت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظر وافرأوها فقصدها لينذروها فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقامت لها الريح حتى دخلت مينا البلد وسلمت ولله الحمد وكان فرجا عظيما فان الحاجة كانت قد أخذت من أهل البلد وكان ذلك في العشر الاواخر من رجب قال وفي العشر الاوسط من شعبان كتب بهاء الدين قراقوش وهو والي البلد والمقدم على الاسطول وهو الحاجب لؤلؤ يذكر ان للسلطان انه لم يبق بالبلد مسيرة الا قدر يكتفي بالبلد الى ليلة النصف من شعبان لا غير فاسترأها يوسف في نفسه ولم يبد لها الخاص ولا عام خشية الشيع والبلوغ الى العدو فتضعف به قلوب المسلمين وكان قد كتب الى مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة بالاقوات والادام والمسير وجميع ما يحتاج اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء فالتفت البطس الثلاث من الديار المصرية ولججت في البحر تنحى النوبة بها الريح التي تحملها الى عكا فطابت لهم الريح حتى ساروا ووصلوا الى عكا ليلة النصف من شعبان وقد فنت الا زواد ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس في ذلك اليوم وخرج عليها اسطول العدو يقاتلها والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من الساحل والناس في تمليل وتكبير وقد كشف المسلمون رؤسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضاء بسلامتها الى البلد والسلطان على الساحل كالوالدة الشكلي يشاهد القتال ويدعو الى ربه بنصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه غيره وفي قلبه ما في قلبه والله يشبهه ولم ينزل القتال يعمل حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها الريح تشتد والاصوات قد ارتفعت من الطائفتين والدعاء يخرق الحجب حتى وصلوا بحمد الله سالمين الى مينا البلد ولفاقهم أهل عكا تلقى الامطار عن جذب وامتاروا بما فيها وكانت ليلة ليال وكان دخولها في وقت العصر رابع عشر شعبان وقال العماد كان السلطان قد أمر نواب الاسكندرية بتجهيز بطس كبارو تميميرها من كل ميرة وغلة وتسييرها الى عكا فباطت عن الميقات وأضر بالمقيمين بالبلد اعواز الاقوات فافكر فيما يتجمل به الغرض فكتب الى متولى بيروت عز الدين سامية فجهر بطسة كبيرة ملاها ميرة وغلة كثيرة وأركبها جماعة على زى الفرنج مسوحى اللحي مسوحى الحلى وأصحبهم صلبانا وخيل بهم رهبانا وكانت هذه البطسة من الفرنج مأخوذة وهى بساحل بيروت منبودة فامر السلطان بترميمها وتتميمها فخلت بالشحوم والحدوم وأرجمائة غرارة غلة واجمال من النشاب والنفط ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت وأرادوا ان تشبه بطس العدو في البحر فشدوا زانباير واستحجبوا خنازير وساروا بها في البحر براكب الفرنج مختلطين والى محاذاتهم ومحاذيتهم منبسطين ولما حاذوا بها عكاصت نوابها نحوها والريح تسوقها والفرنج من مرأكبها تقول ما هذه طريقها وهى كالسهم النافذ قد سدت فوقها فدخلت الثغر واجتازت البلد بها نصف شهر وظهرت رابع عشر شعبان من ثبح البحر ثلاث مرأكب كأنها ثلاث هواضب فجاءت فجأة اعلامها كالاعلام طائرة كالسهم ولم تبال براكب العدو فخرقتها وقربت من سفينة فخرقتها وعبرت وعين الكفر عبرى وامتلأ الثغر بها وأثرى

**(فصل)** قال العماد ووصل ملك الالماني ورام ان يظهر مجيئه وقعا ويدي به نفعا فدبوا في راجل تكرر جمل الدنيا وخيل اغصت الوهاد والربى وقربوا من تل العياضيه وعليه خيم اليزكيه والنوبة فيها للطلقة المنصورة الناصريه والعصبة الموصلية فنارت اليهم ودارت عليهم وركب السلطان وتقدم الى تل كيسان ولم ينزل الحرب الى ان جن الظلام وكف الكفر وسلم الاسلام وكانت الدائرة على الكفره قال القاضي وقتل منهم وجرح خلق عظيم والسيف يعمل في بقيتهم وهم هاربون حتى وصل الخيم غروب الشمس من ذلك اليوم وهو لا يعتد سلامة نفسه من شدة خوفه وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اثنان وجرح جماعة كثيرة ومن كتاب الى بغداد (قديلى الاسلام منهم بقوم قد استتبوا الموت واستجابوا الصوت وفارقوا المحبوبين الاوطان والاطوار وهجروا المألوين الادل والديار وركبوا اللجج وهجروا المهجج كل ذلك طاعة لنفسهم وامثالهم لا امرهم كيهم وغيره لمتعبدهم وحية لمعتدهم وتم الكاعلى مقبرتهم وتحرقا على قناتهم لا يطالبون مع شدة الاملاق مالا ولا



يحدون مع كثرة المشاق ملالا بل يتساقطون على نيران الغلي تساقط الفراش ويفتحون الردى متدعين الصبر متشبتي الجاش حتى خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسرن الى الشام في البحر والبر متجهزات وكانت منهن ملكة استتبعت جسمائة مقاتل فارس وراجل ورايح ونابل والتزمت بمؤتتهم فصولهم من كبرها يقرب الاسكندرية فاخذت برجالها وأراح الله من شراحتفائها ومنهن ملكة وصلت مع ملك الالمان وذوات المقانع من الفرنج مقنعات مقارعات يحملن الى الطعان الطوارق والقنطاريات وقد وجسد في الوقعات التي جرت عدة منهن بين القتلى وما عرفن حتى سلبن وان البابا الذي برومية قد حرم عليهم مطاعهم ومشاربهم وقال من لا يتوجه الى القدس مستخلصا فهو عندى محرم لا منسكح له ولا مطعم فلاجل هذا يتهافتمون على الورود ويتم الكون على يومهم الموعود وقال لهم انى واصل في الربيع جامع على الاستنفار شمل الجميع واذا نهض هذا الملعون فلا يقعد عنه أحد ويصل معه باهله وولده كل من يقول ان الله أهلا وولد فهذا شرح هؤلاء وتعصمهم في ضلالتهم ولجائتهم في غوايتهم بخلاف أهل الاسلام فانهم يتضجرون ولا يصبرون بل يتفللون ولا يجتمعون ويتسللون ولا يرجعون واذا يقيمون يبذل نفقه واذا حضر واحضر وابقاب غير متفقه ليعلم ان الاسلام من عند الله منصور وان الكفر بارادة الله محسور ومدحور قال القاضي ولما عرف ملك الالمان ماجرى على أصحابه من اليزك الذي هو شزيمة من العسكر رأى ان يرجع الى قتال البلد ويشغل بضايقتة فاتخذ من الآلات العجيبة والصنابير الغربية ما هال الناظر اليه وخيف على البلد منه فما أحدثه آلة عظيمة تسمى دبابه يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ملبسة بصفائح الحديد ولها من تحتها عجل تحرك بها من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها السور ولها رأس عظيم برقبته شديدة من حديد وهي تسمى كبشا ينطح بها السور يشد عظمة لانه يجورها خلق عظيم فتهدمه تكرار نطحها وآلة أخرى وهي قبو فيه رجال تسحب ذلك الا ان رأسها محدد على مثال السكة التي يحرك بها ورأس الكبش مدور هذا يهدم بثقله وتلك تهدم بجذتها ونقلها وهي تسمى سفودا ومن السناير والسلام الكبار الهائلة وأعدوا في البحر بطسة غائلة وصنعوا فيها برجاً بخروطوم اذا أرادوا قلبه على السور انقلب بالحرركات ويبقى طريقا الى المكان الذي ينقلب عليه يمشى عليه المقاتلة وعزموا على تفريره الى برج الذبان لئلا يخذلوه (ونصب العدو على البلد منجنيقات هائلة حاكمة على السور وتوارت حجارها حتى أثرت فيه اثرا يندبنا وخيف من غائلته فاحذسهم من الجرح العظيم واحرق نصلها حتى بقيت كالشعلة من النار ثم رمى في المنجنيق الواحد فعلقا فيه واجتهد العدو في اطفاء النار فلم يقدر على ذلك وهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالا عظيما واتصلت لهبته بالآخر فاحترقته واشتدت نارها بحيث لم يقدر احدا ان يقرب من مكانها ليحتمل في اطفائها وكان يوما عظيما اشتد فيه فرح المسلمين وغم الكافرين) قال (ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها يعني نوادر ماجرى في القتال على عكا ان عواما مسلما كان يقال له عيسى كان يدخل البلاد بالكتب والنفقات على وسطه ليلا على غرة من العدو وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو وكان ذات ليلة تشد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار وكتب للعسكر وعام في البحر فجري عليه أمر أهلكه وابطأ خبره عنا وكانت عادته اذا دخل البلد طائر عرفنا بوصول فابطأ الطائر فاستشعر هلاكه فلما كان بعد أيام بينا الناس على طرف البحر في البلد واذا البحر قد قذف اليهم ميتا غرقا فتقدوه فوجدوه عيسى العوام وجدوا على وسطه الذهب ومشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين فخار من ادى الامانة في حال حياته وقدر الله له اداءه باعد وفاته الا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الاواخر من رجب أيضا) وقال العماد فقد يعني عيسى ولم يسمع له خبر ولم يظهر له أثر فظنت به الظنون وما تغت المنون وكانت له لاشك عند الله منزله فلم ير ان تبقي حاله وهي مجهلة محتملة فوجد في عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها وبرأه الله مما قالوا فذهب حتى اليقين من الظنون بباطلها

(فصل) في احراق ما حوصره برج الذبان ونحسرى الكبش قال القاضي وفي الثاني والعشرين من شعبان جهز العدو لعنه الله بطسة متعددة لمحاصرة برج الذبان وهو برج في وسط البحر مبني على المصخر على باب ميناء عكا فحرس منه الميناء ومنى غيره المركب آمن من غائلة العدو فاراد العدو اخذه ليبنى الميناء بحكمه وينزع من

## في أخبار (١٦٣) الدولتين

دخول شيء من البطس اليه فتنقطع الميرة عن البلد فجعلوا على صواري البطس برجا وملؤوه حطباً ونفطاً على أنهم يسرون البطس فإذا قارب برج الذبان ولاصقته أحرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذبان ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة يأخذوه وجعلوا في البطسة وقوداً كثيراً حتى يلقى في البرج إذا اشتعلت النار فيه وعبروا بطسة ثانية وملؤوها حطباً وقوداً على أنهم يدفعونها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويهلك ما فيها من المير وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح حتى إذا أحرقت وأما أرادوا أحرقة دخلوا تحت القبو فامنوا وأحرقوا ما أرادوا أحرقة وقدموا البطسة نحو البرج المذكور وكان طمعهم مشتهداً حيث كان الهواء سعيدهم فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا بحرقون بها بطس المسلمين والبرج الذي أرادوا يحرقون به من على البرج فاوقدوا النار وضرر بها فيها النفط فانهكس الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وأراد واشتعلت البطسة التي كان فيها البرج بأسرها واجتهدوا في إطفائها فما قدروا واهلك من كان بها من المقاتلة إلا من شاء الله تعالى ثم احترقت البطسة التي كانت معدة لأحراق بطسنا ووثب أصحابنا عليها فأخذوها اليهم وأما البطسة التي فيها القبول فأنهم أترججوا وأضربوا بالرجل جوع واختلجوا واضطربوا اضطراباً عظيماً فانقلبوا وهلك جميع من بها لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله تعالى واندر العجائب في نصره دين الله ولله الحمد وكان يوماً مشهوداً وقال العماد وعند مينا عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في حراسة الميناء عظيم الشأن وهو منفرد عن البلد محمي بالرجال والعدد وقصد الأفرنج حصاره قبل مجيئ ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام الآلات أبرزوها ومكرمكروه ودردبروه وأحدثت المراكب قنبرج فوق صاريه لا يطاق له طود ولا يباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب وضيق عظمته بسعة العطب حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته أعدى اليه بأفاته ورميت فيه النار فاحترق واحترق من الأخشاب والستائر ما به التصق واستولت النار على مواقف المقاتلة فتبا عدواؤها ولم يقربوا منها وأوقدت بطسة الحطب التي من ورائها وعادت على الأفرنج فالتهبوا وحجى عليهم الحديد فاضطربوا واضطربوا وانقلب بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم فارقوا وغرقوا ولم يغرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطر عليه من بعدهم أباب ولم يفتح للعدو في الكبد له باب ومن كآب إلى سيف الإسلام باليمن (ومن حديث هذا البرج أنه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الشغرة على مراكبه وقدر فعناه وأعلنه وبالعديد والرجال قويناه فعمدوا إلى أكبر بطسة واتخذوا فيها مصقلاً كأنه سلم وهو في مقدمها مراكب مقدم وقد جعلوها بحيث إذا قرب إلى البرج ركب رأس السلم على شرايفه وصعد الرجال إليه في تجاويفه وتعبوا في ذلك أياماً واشبعوه ثوبتها وأحكاماً حتى إذا التصق بالبرج الصقت به قوارير النفط وتوالت أمطار البلايا من الجروح والمنجنيقات على أولئك الرهط ثم عمل الأفرنج برجا عالياً في أكبر مراكب وحشوه بالحطب وعملوا على رأس صاريه مكاناً يقع فيه الزراق وقد موه إلى برج الذبان وسلطوا على جوانبه النيران فاهب الله من مهب لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المحروس وكبت الأفرنج على الوجوه والرؤس) قال القاضي وفي ثالث رمضان زحف العدو على قنبد في خلق لا يحصى فاهلهم أهل البلد حتى تشبث بخاليل أطماعهم فيه وسحبوا آلاتهم المذكورة حتى قاربوا أن يصقوها بالسور وتحصل منهم في الخندق جماعة عظيمة فاطلقوا عليهم الجروح والمنجنيق والسهام والنيران وصاحوا صيحة الرجل الواحد ونفخوا الأبواب وهجموا على العدو من كل جانب وكسوههم في الخنادق فهر يواو ونفع السيف أيمن بقي في الخندق منهم ثم هجموا على كبشهم بالقوا فيه النار والنفط وتمكنوا من حريقه لهرب المقاتلة عنه فأحرق حريقاً شنيعاً وظهرت له لجة نحو السماء وارتفعت الأصوات بالكبير والتهليل والشكر وسرت نار الكبش بقوتها إلى السفود فاحترق وعلق المسلمون في الكبش إلى كاليب الحديد المصنوعة في الأسفل فسحبوه وهو ليستعمل حتى حصلوه عندهم في البلد وكان من كان من آلات هائلة عظيمة والقي الماء عليه حتى برد حديد بعد أيام وبله نامن البلد أنه وزن ما كان عليه من الحديد فكان مائة قنطار بالشامي والقنطار مائة رطل ولقد اغتدر أساه إلى السلطان ومثل بين يديه وشاهدته وقلبه وشكله على مثال السفود الذي يكون بحجر المداري قيل أنه ينطج به السور فيهدم ما يلاقيه وكان



ذلك من أحسن أيام الاسلام ووقع على العدو خذلان عظيم ورفعوا ماسلم من آلانهم وسكنت حر كانهم التي ضد قوا  
فيها تفقاتهم وقال العماد واستأنف الفرنج عمل دبابه هائله وآلة تلغوا نائل غائله في راسها شكل عظيم يقال له الكبش  
وله قرنان في طول رحمين كالعمودين القليظين وهذه الدبابه في هيئة الخرس بثت الكبير وقد سقفوها مع كبشها  
بأعمدة الحديد ولبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس فليبق للنار اليها سبيل ولا للعطب عليها دليل ولماؤها بالكماة  
والرماة وسحبوها وقرنوها فجاءت صورة من عجة ويلي البلد منها بالبلاء الا فطع وقالوا ما في دفعها حيلة ولا مطمع  
ونصبوا على صوبها مجانيق ورموا بالحجارة الثقيلة ذلك النيق فابعدت رجالها من حوالها ثم رموها بحزم الحطب حتى  
ما بين القرنين وقذفوها بالنار فباتوا يطبقونها بالخل والخمر وقد تمكنت النار من اضلاعها ثم خسفها المنجنيق وخرج من  
بالثغر فقطعوا رأس الكبش واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد بالنيش وقد رما نيب من الحديد بمائة قنطار وعلم  
الفرنج ان اعمالهم حبطت وآمالهم هبطت وكان ذلك في ثالث عشر رمضان وفيه قدم الظاهر صاحب حلب والامجد  
صاحب بعلبك وسابق الدين عثمان صاحب شيزرو وعز الدين ابن المتقدم والامير حسام الدين حسين بن باريك وجماعة  
من الامراء والخواص والماليك

(فصل) في حوادث أخر متفرقة في هذه السنة قال العماد ووصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان  
صاحب انطاكية اغار على غرة نشره وشره فرتب أصحابه له كينا ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا فقتلوا أكثر رجاله واقلت  
وباله في وباله قال القاضي خرج عليه نواب الملك الظاهر فقتل من عسكره خمسة وسبعون نفرا وأمر منهم خلق عظيم  
واستعصم بنفسه في موضع يسمى شيخ حتى ادفعوا وساروا الى بلده قال وفي اثناء العشر الاوسط القت الرمح بطستين  
فيهما رجال وصبيان ونساء وميرة عظيمة وغنم كثيرة فاحمد بن نحو العدو فغلبها المسلمون وكان العدو قد ظفرتنا ببركوس  
فيه نفقة ورجال اراد الدخول الى البلد فاخذهم فوق الظفر بهاتين البطستين ما حيا لذلك وجابر اله قال العماد وفي هذا  
التاريخ القت الرمح الى ساحل زنب بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء وفيهما امرأة  
مختنمة غنية محترمة فاخذتا وأخذوا واخذت وجد الفرنج في استنقاذها فاستنقذت قال وفي تاسع عشر الشهر  
رحلنا الى منزلة تعرف بشفرع وسببه انه كثير المستأمنون من الفرنج واخبرناهم في عزم الخروج الى المرح هايجين  
الى الشارناترين الى الهيجا فاستشار السلطان أمراءه فقالوا الصواب ان نغسلهم عن هذه المروج حتى يكون  
دخولهم اليها يوم الخروج فنصحبهم في اليوم الآخر ولا يتعذر بهم احداق العساكر فحينما هنالك ورجبت المنازل  
وعذبت المناهل وعادت معالم تلك المجاهل وحللت النلال والآكام وركنا تلك الاعلام الاعلام ونزلنا  
لمقام الشتاء مستعدين ولا سباب التوفي من الامطار مستنجدين قال ومرض زين الدين صاحب اربل في شهر  
رمضان وتوفي في الثامن والعشرين منه قال القاضي وكان استأذن في الروح فلم يؤذن له فاستأذن في الانتقال  
الى الناصرة فاذن له فاقام بها أياما مرض نفسه ثم توفي وعنده أخوه مظفر الدين بشاهده وحن الناس عليه لمكان  
شبابه وغر بته قال العماد وكان كريم الرحيم جوادا سخيا وبكرنا الى مظفر الدين نعيه في أخيه وظننا به  
الحزن فقلنا ناعظه ونسليه فاذا هو في شغل شاغل عن العزاء مهتم بالاحتياط على ما خلقه أخوه وتركه من الاشياء  
والاشياء وهو جالس في مخيم أخيه المتوفي وقد اشرف على حفظه واوفى وقد قبض على جماعة من أمرائه واعتقلهم  
وعمل عليهم وما اغفلهم منهم صارم الدين بن بلداجي متولى خفيين كان ليسلم منه المكان وكذلك كل حاضره  
حضر ليحصل له من طاعته امن وخطب في اسباب ولاية اربل واعمالها وان يستقل ببلادها واموالها ورغب في  
شهر زور واستضافتها لاستنارة وجهه بها واستضافتها وانه ينزل على حران والرها وسيمسأط والموزر ويجعل كل  
ما في يده من الاعمال في الموفر ويخدم بخمسين الف دينار يحضرها نقدا ويلتزم بها على المشاق عقدا فاجيبت  
رغبته واصيبت طلبته وعقدواؤه ونجح رجاؤه واراد سرعة الرحيل فاستهل الى حين وصول الملك المظفر تقي  
الدين ليترك في منزله ويجنده وصحبه الميامين فوصل يوم الاحد ثالث شوال واصيف اليه ما استعيد من مظفر الدين  
من الاعمال وكتب منشورا بربل وكاتب الى صاحب الموصل فيه (لا شك في احاطة العلم بانتقال زين الدين الى جوار  
افقه ومقر رحته مجاهد في سبيله شاكر النعمته وهو من السعداء الذين انزل الله تعالى فيهم ومن يخرج من بيته

## في اخبار (١٦٥) الدولتين

مهاجر الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فما لجمع القلوب بمصابه وما انكى في النفوس اقول  
شبابه ولقد كانت المهمة متوفرة على تربيته واعلاء درجته ولكن الله تعالى استأثر به قبل ظهور حسن الآثار في  
ايشاره وبلي بده التمساره واصبح في ضمير البلى من اسراره وهذه اربل من انعام البيت الكريم الاتابكي  
على البيت الزيني مذسعين عاما لم يحلوا لعقد انعامهم بها نظاما ولم يزيدوا احكامه الا احكاما وابراما وما رأى ان  
يخرج هذا الموضع منهم وان يصدف به عنهم والامير الاجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه والمقدم في الولاية  
بمقتضى وصية أبيه وقد أنهض ليسد مسد اخيه قال وكان الملك المظفر تقي الدين متوليا مذسعين اعمال ميا فارين  
فطلب من عمه تفويض كل ما وراء الفرات اليه والاعتماد فيه عليه فأنعم عليه بذلك فاقام عندنا بالمنزلة المظفرية الى  
ان يؤذن له في الماضي الى تلك الولاية وسير نوابه اليها لابقاء رعاياها على شعبة الرعايه قال ولما أحس العسكر  
الشرقي بالشتاء أبدوا خلق السآمه وضجروا من الاقامه واما عماد الدين صاحب سنجار فانه عرف كراهية السلطان  
افراقه فلم يجر الا على وفاقه وأما صاحب الجزيرة سنجر شاه فانه استطال المقام واباه ودخل يوم عيد الفطر على  
السلطان فقبل يده وودعه من غير سابقة الاستبدان فاغضبه انفصاله وساء ارتحال له وكان تقي الدين واصلا فلقى  
صاحب الجزيرة عنفا فصلا فردّه عن طريقه وجد في تعويقه ورجع به الى الرضى وعف الله عما مضى وقال  
القاضي ترددت رسله ورقاعه الى السلطان في طلب الدستور والسلطان يعتذر بان رسل العدو متكررة في معنى الصلح  
ولا يجوز ان ينفذ العساكر حتى يتبين على ماذا ينفصل الحال من سلم أو حرب فلما كان يوم عيد الفطر دخل على  
السلطان وهو ملتأك الجسم وقبل يده وخرج وسار من ساعته وتبعه أصحابه فلما بلغ السلطان صنيعه كتب اليه (انك  
انت قصدت الانتهاء الى في الابتداء وراجعتني في ذلك مرارا واطهرت الخيفة على نفسك وبلدك من اهلك فقبلت  
واوبتك ونصرتك فبسطت يدك في اموال الناس ودمائهم واعراضهم فنفتك اليك ونهيتك عن ذلك مرارا فلم  
تنه فاتفق وقوع هذه الواقعة للاسلام فدعوناك فاذبت بعسكر قد عرفته وعرفه الناس واقت هذه المدينة  
وقلقت هذا القلق وتحركت بهذه الحركة وانصرفت عن غير طيب نفس وعن غير فصل حال مع العدو فانظر  
لنفسك وابصر من تنتمى اليه غيرى واحفظ نفسك من يقصدك فمابقى لى الى جانبك التفات) وسلم الكتاب الى  
نجا فالحقه قريبا من طبرية فقرأ الكتاب ولم يلفق وسار فلقية تقي الدين عند عقبة فيق فاخبره بامر وتعتب  
على السلطان كيف لم يجمع عليه ولم يأذن له في الرواح فنههم تقي الدين انفصاله عن غير دستور من السلطان فامرهم  
بالرجوع وقال أنت صبي ولا تعلم غائلة هذا الامر فقال ما يمكنني الرجوع فقال ترجع من كل بدم غير اختيارك  
وكان تقي الدين شديد البأس مقداما على الامور ليس في عينه من أحد شئ فلما علم انه قابضه ان لم يرجع رجع معه  
وسأل السلطان الصفيح عنه ففعل وطلب ان يقيم في جوار تقي الدين خشية على نفسه فاذن له فاقام في جواره الى حين  
ذهابه وقال العماد في الفتح وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وجد في الاستئذان في الرحيل  
منه الاهتمام وتقرر ملاله وتكرر سؤاله فكتب اليه السلطان (من صاع مثلى من يديه \* فليت شعري ما استفاد)  
فلما قرأ هذا البيت ماراوح في الخطاب ولا غادى وقال في البرق وفي مستهل ذى القعدة أذن لعلاء الدين خرم شاه ابن  
صاحب الموصل وعت بالملك السعيد لما تفرس فيه من امارات السعد وأقام بعده عمه عماد الدين وابن عمه معز الدين  
سنجر شاه وهما صاحب سنجار والجزيرة وحبوا بالحباء الوافر والعطايا الغزيرة وما فارقا الا في السنة الاخرى في ثالث  
صفر قال وغلّت الاسعار عند الفرنج حتى بلغت الغرارة أكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لديهم في استعار وبلو  
بامور صعبه وهرب اليها منهم عصابة بعد عصبه فاستأمنوا الى النافط جوعهم ولما شبعوا عندنا لم يرغبوا في رجوعهم  
فمنهم من أسلم فحسن اسلامه ومنهم من خدم فوافق استخدامهم ومنهم من حن الى الفقه فرجع القهقري الى خلفه  
(فصل) كان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى في هذه الاوقات بالدار المصرية يرتب للسلطان أموره  
من تجهيز العساكر وتجهيز الاسطول وحمل المال ونقل المير الى عكا والسلطان يكتبه في مهماته وترجع اجوبته  
باحسن عباراته مشيرا وناصحا وسليبا وباحتشاح مصالح الاسلام متقصيا فن بعض كتبه (المملوك ينهى ان الله

## كتاب (١٦٦) الروضتين

تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته ولا تفرج الشدائد الا بالرجوع اليه والامتنال لامر شريعته والمعاصي في كل مكان باديه والمظالم في كل موضع فاشبه وقد طلع الى الله تعالى منها ما لا يتوقع بعدها الا ما يستعاذ منه وقد أجرى الله تعالى على يده مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون بمشيئة الله له حجة في رضاه ونعوذ بالله ان يكون حجة عليه في غضبه بلغ المملوك من كل واردمنه مكتابة ومحاطبة بانه على صفة تتشعر منها الاجساد وتصدع بذكرها الاكباد والمملوك لا يتعرض لتفصيل ما بلغه من ظهور المنكرات في اتباعه وشيوع المظالم في ضياعه وخراب البلد وعدم القدرة على المرمية لقبة الصخرة والمسجد الأقصى والغفلة عن مرمتها وبفقد هيا في اشتية القدس العظيمة الجليلة المتلجة لا يؤمن سقوطهما واقتضاح القدرة في العجز عن اعادتهما والمرمة اقرب تناسولا من الانشاء والتجديد ولا شبهة ان مولانا عز نصره في اشغال شاغلة وامور متشده وقضايا غير واحدة ولا متعددة ولكن قد ابتلى الناس فصبروا واصبرتهم الايام فما صبروا وأي عبادة أعظم من عبادته التي قام بها والناس عنها قعود وصبر في طلب جنتها على نار الحرب والوقت ذواتي الوقود غير ان مولانا اذا ذكر نصيبه من الاقدام فلا ينسى نصيبه من الخزم ولا يحفل في الامور الخطيرة ولا يقدم بالعدد القليل على العدة الكثيرة فالمولي اذا قبل كان واحدا واذا دبر كان مقبولا بجميع الخلق ولا يطعم بان يقوم به الالف وليذكر المولى نوبة الرملة التي كان وقوعها من الله سبحانه أدبالا غضبا وتوفيقا لاتفاقا ولا يكره المولى ان تطول مدة الابتلاء بهذا العدو فتؤا به بطول وحسناته تزيد وأثره في الاسلام يبق وقبوحاته بمشيئة الله يعظم موقعها والعاقبة للتعوي ولينصرن الله من ينصره والله تعالى يسكر لمولانا جهاده بيده وبرأيه وولده وبخاصته وبعامه جنده وباعداد في اعدائه لجهاده بصاحب صيد في الفرج فهو جهاده قد أرى فيه رأى المولى فرج والحديد بالحديد يفلح واكيد ما قبل به العدو وسلاحه وأسرع جناح طار لقمصه جناحه ودولة مولانا كالبحر كرمنا وظهور بحائب وكالسماء مطرا واسنة كواكب ومن كتاب آخر (المملوك يقبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر لطف الله بقلبه وحل عنه وروح سره ووصل الراحة به ونسأل ان يرجع لنا الذي رحنابه فقد بلغت منا الحناجر القلوب وقد وقفت في طرفنا الذنوب وبيننا نحن ننتظر من كتب المولى ما يستدل به على ان قلب المولى قد طاب وقصد العدو قد خاب اذ ترد كتب يكون الوفوف عليها فاطعلا لكاد مفتتا للقلوب ولولائها جامد) ثم ذكر البطس الذي تقدم ذكرها الواصلة الى عكالية نصف شعبان فقال (وبيننا نحن نعتقد ان البطس في عكا وصل الخبر بانها في دمياط ويوم وصل الخبر بانها في دمياط نحن على انتظار اخر وجهامنه وكتب البطا في بالاستحثاث والاستجبال وتحذيرهم من تمادي المقام وماتيقنا اخرجت ام هي باقية كان الرمح في بيت ما خرجت منه من هاتين الجمعتين ولها من تاريخ خروجها من الاسكندرية والى تاريخ تسطير هذه الخدمة خمسة عشر يوما والعيون ممدوده والايدي مرفوعة بان يفرج الله عنا وعنكم بوصولها في شعبان في هذه الايام فما واسى المسلمين ومن نام ملء عينه فما هو من أخوة المؤمنين والمملوك شفيق على البطس في وقت الدخول حذر ان يعترض العدو طريقها فيحول بينها وبين الوصول فينكس المراد بها ويحدث من المضرة بجرمانها أضعا ف ما يحسد من النعمة بالفرج المسير فيها وكدهذه الحال في نفس المملوك وقوفه على كتب أصحابنا من عكا وقد وقع لهم هذا الواقع الذي وقع للمملوك من خوفهم عليها واستبعادهم دخولها فلما المملوك وكل من يعرف الامر الا كاهل الصراط رب سلم رب سلم فنسأل الله سبحانه ان لا يكلنا الى انفسنا فنجهز ولا الى الناس فنضيع ومجهود أهل الارض قد انتهى وبقي ما يفعله الله والخير منتظر منه والفرج بالقوت قد سير في البحر من خمسة عشر يوما والفرج بالنفقة قد سير في البر من عشرة أيام والله يا مولانا ما تنجز شي من هذه الامور الا بان تضرب الوجوه بالشوك وتسحب الحجارة وينبه النوم وتبخر الاصوات من التذكار وتغني الاقلام من الكتابة ويخضع لمن يلزمه الشغل كالخضوع لمن لا يلزمه والله المستعان فليخلص المولى نيته في الاستعانة والاعوان قليل .

وقد كانوا اذا عدوا قليلا \* فقد صاروا أقل من القليل

ومن كتاب آخر (وما يجدد العدو من الشروع في آلات الحصار لعكا وما ارجف به من التجديتين الفرنجيتين الواصلة والبعيدة واقتران العساكر في هذا الوقت للضرورة والتماس العسكر الشرقي الذي يستور للضهر وحاجة المولى من الانفاق الى ما لا يسعه التدبير وينضيق عنه الامكان ومطالبة الفتي بالزيادة مع الفتي والضعيف باكثرهما يحتاج اليه وضياح

فرصة واختلاف رأى بين المتشاورين من الجماعة وجود الاسنة بالاراء وبخل الايدي بالمعونة وانفراد المولى بالتعب واشترك الناس في الراحة وما ابتلى به المسلمون من مرض أظهره له ليكون لهم عذرا في القعود وكتبه المولى على نفسه ثلاثا يجلب لاصحابنا ضعف النفوس فهذه الامور وان كانت شدايد وزائدات على العوائد فقد اهتم الله مولانا فيها سعة الصدر وحسن الصبر ليشعر ان صبره يعقبه النصر وحسبته يعقبها الاجر ولولم ير الله تعالى ان قوة مولانا اكمل القوى وعززه او ثق العرى لما أهله لان نصره مله لا يعرف المملوك غير الله بنصرها وغير مولانا بياشر النصره ويحضرها فليس الا التجبر للدعاء والتجلبد للقضاء فلا بد من قدر مفعول ودعاء مقبول ومن الامثال المنظومه

نحن الذين اذا علوا لم يبطروا \* يوم الهياج وان علوا لم يضحروا

ومعاذ الله ان يفتح علينا البلاد ثم يغلقها وان يسلم على يدينا القدس ثم ينصره ثم معاذ الله ان تغلب على النصر ثم معاذ الله ان تغلب على الصبر واذا كان ما يقدم الله اليه المالك قبل المولى لا بد منه وهو لقاء الله سبحانه فلا نلقاه والمحجة لنا خير من ان نلقاه والمحجة علينا فلا تعظم هذه الفتوق على مولانا فتقهر صبره وتلاصده فلاتهونوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم وهذا على دين ما غلب بكثره ولا نصر بثروه انما اختار الله تعالى له ارباب نيات وذوى قلوب معه وحالات فلا يمكن المولى نعم الخلف لذلك السلف لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (واشتمدى أزمة تقربحى) والغمرات تذهب ثم لا تجبى والله تعالى يسمع الاذن ما بسر القلب ويصرف عن الاسلام وأهله غاشية هذا الكرب ونستغفر الله العظيم فانه ما ابتلى الا بذنوب) ومن كتاب آخر (يا مولانا اعلم ان الله تعالى قد فعل لك ما فعله لنفسه ودل على لطفه بك كما دل على قدرته فانه تعالى خلق الخلق من غير مادة واقام السماء بغير عمد وكذلك فعل الله بك خلقك بغير شبهة في الملوكة كما ودنا وسهل لك من مصر ما لا من غير جهة وحى منها بل ادا بغير جند وسكن فيها رعية بغير ولا فاشكر الله ولا تحتقر خدمة من يبيع الانفاس والنوم والراحة اجتهادا فيما يربحك ويخفف عنك ثم لا يرد العوض منك انما يريد من الله عنك لان خدمتك طاعة له والوجه التي وقعت الاشارة اليها خضنا فيها وفي غيرها فاجا وجدنا كثر ما بلغنا اليه يا مولانا ليس لك في مصر الا الثغور وما علمت في هذه السنة الا بقدر ثمن جبال ما سير اليك من الاساطيل ان الله آخذ بيد الكرم والمعونة بحسب المؤونة فلن المولى العافية من الحساب فشتان ما حساب من كنز الذهب والفضة ولم ينفعها في سبيل الله وحساب من قال بيده هكذا وهكذا في سبيل الله) ومن كتاب آخر (وما في نفس المملوك شائبة الا بنية هذا الضعف الذي يجسم مولانا فانه بقلوبنا ونفديه باسما عنا وابصارنا

نماعشر الخدام ما بك من أذى \* وان اشفقوا ما اقول في وحدي

ومن كتاب آخر (انما أتينا من قبل انفسنا ولو صدقناه لبحل لنا عواقب صدقنا ولو اطعناه لما عاقبنا بعدونا ولو فعلنا ما تقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا تقدر عليه الا به فلا يستخضم أحد الاعمال ولا يلزم الانفسه ولا يرج الاربة ولا تنتظر العساكر ان تكثر ولا الاموال ان تحصر ولا فلان الذي يعتقد عليه ان يقاتل ولا فلان الذي ينتظر انه يسير فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ولا تأمن ان يكلنا الله اليها والنصر به واللفظ منه والعادة الجميلة ونستغفر الله سبحانه من ذنوبنا فلو لا انها مسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل وفيض دموع الحاشعين قد غسل ولكن في الطريق عائق خارا لله لمولانا في القضاء السابق واللاحق) وفي كتاب آخر وصف فيه الملك العزيز عثمان بن السلطان ثم قال (ولو شاهد مولانا اليوم شخصه الكريم وصورته الجميلة ونفسه الطاهرة ونظرته المطرقة وصفتته الحبية وسكون حر كاته الموزونة لخلع عليه فؤاده ووهبه عينه وورقاده ولقد ير المولى عرصات القيمة وثواب فراقه له لوجه الله اعظم من ثواب جهاده في سبيل الله وان ايماننا صبره عن ذلك الولد الكريم لكريم وان ايماننا اسلى عن ذلك الملك العظيم لعظيم) ومن كتاب آخر (وعسكرنا لا يشكو والجد لله منه خورا وانما يشكو منه ضجرا والقوى البشرية لا بد ان يكون لها حاد والاقدار لا الهية لها قصد وكل ذى قصد خادما قصدها ووافى عند حدها وانما ذكر المملوك هذا ليرفع المولى من خاطره مقت المتعاس من رجاله كما ثبت فيه شكر المسارع من ابطاله قال الله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر يا مولانا ليس الله تعالى اطلع على قلوب أهل الارض فلم

## كتاب (١٦٨) الروضتين

يؤهل ولم يستصلح ولم يختر ولم يسهل ولم يستعمل ولم يستخدم في إقامة دينه و إعلاء كلمته وتهديد سلطانه وحماية شعاره وحفظ قبيلة موحدية الا انت هذا في الارض من هو النبوة قرابه ومن له المملكة وراثته ومن له في المال كثره ومن له في لعدد ثروته فاقدهم واقامك وكسلهم ونشطك وقبضهم وبسطك وحبب الدنيا اليهم وبغضها اليك وصعبها عليهم وهونها عليك وامسك أيديهم واطلق يدك واغمد سيوفهم وجرديفك واشقاهاهم وانم عليك وثبطهم وسيرك ولوارادوا الخروج لاعدو الله عدو ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعد بنهم وأخرى اهتم من الاولى انه لما اجتمعت كلمة الكفر من أقطار الارض واطراف الدنيا ومغرب الشمس ومن خراب البحر ماتا آخر منهم متأخرا ولا استبعد المسافة بينك وبينهم مستبعد وخرجوا من ذات أنفسهم الخبيثة لأموال تنفق فيهم ولا ملوك تحكم عليهم ولا عصاة سوقهم ولا سيف يزعجهم مهطعين الى الداعي ساعين في أثر الساعي وهم من كل حذب ينساون ومن كل بر وبحر يقبلون كنت يا مولانا كما قيل أبقاك الله

ولست بملك هازم لمنظيره \* ولكنك الاسلام لشرك هازم

هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعد الا بدعوة ولا مجاهد معك الا بلائنه ولا خارج معك الا هم ولا خارج بين يدك الا بالاجرة ولا فاع معك الا بزيادة تشتري منهم الخطوات شبرا بذراع وذراعا يساع تدعوهم الى الله وكانما تدعوهم الى نفسك وتسلمهم الفريضة وكأنك تكافهم النافلة وتعرض عليهم الجنة وكأنك تريد أن تستأثر بهادونهم والاراء تختلف بحضورك والمشورات تتنوع بمجلسك فقائل لم لا يتباعد عن المنزل وأخر لم لا نتميل الى المصالحه ومتنهدم على فائت ما كان فيه حظ ومشير يستقبل ما يلوح فيه رشد ومشير بالتخلي عن عكا حتى كأن تركها تغلق المعاملة وما كأنهم اطمئنة الجيش ولا قفل الدار ولا خزانة السلوك ان وهت تداعي السلوك وأثبت في يد الملك فالهكم الله قتل الكافر وخلاف المخذل والتجذد وتحت قدمك الجبر وأفرشك الطمأنينة وتحت جنبك الوعر ولكن مولانا صفيحة وجهه \* كضوء شهاب القابض المتنور

قليل التشكي اللهم نصيبه \* كثير الهوى شقى النوى والمسالك

لا شبهة ان المملوك قد اطلال ولكن قد اتسع المجال وما مراده الا أن يشكر الله على ما اختاره له ويسره عليه وحببه اليه فرب محتمل بنعمه ورب منع عليه بمشقه وكم مغبوط بنعمة هي دأوه ومرحوم من بلوى هي دواؤه ويريد المملوك بهذا ان لا يتغير مولانا بأبقاء الله وجهه عن بشاشه ولا صدر عن سعة ولا لسان عن حسنة ولا ترى منه ضجرة ولا تسمع منه نهرة فالشدة تذهب ويبقى ذكرها والازمة تنفجر ويبقى أجرها وكالم يتحدث استمرار النعم لمولانا عز نصره بطرا فلا تحدث له ساعات الامتحان ضجيرا والمملوك يستحسن بيتي حاتم ومولانا بأبقاء الله وخلصه سلطانه وملكه بحفظهما

شربنا بكأس الفقر يوما وبالغنى \* وما منما الا سقانا به الدهر

فما زادنا بغية على ذي قرابة \* غنانا ولا أزرى باحساننا الفقر

والمملوك بأن يسمع ان مولانا عز نصره على ما يعهده من سعة صدره أسر منه بما يسمعه من بشائر نصره وباليئني كنت معهم وماذا كانت تصنع الا بامام شديدا من مشاهدة الحروب فقد شبنوا والله من سماع الاخبار أو غرما يمكن خلفه من الوفر فقد غرمتنا في بعد مولانا ما لا خلف له من العمر أو مرض جسم نغيره ما كان الطبيب حاضره ولقد مرضنا أشد المرض لفراقه الا أن التجلد سازه ومن كتاب آخر (المملوك يوصي المولى بالاسلام والاسلام هو قلب المولى في روحه ولا يحمله ويشغله بما يشغله ويوصي المولى بقلوب المسلمين وقلوب المسلمين جسم مولانا بأبقاء الله من علم انه لا توفية عنده لرواتب الحياة اشتغل قلبه واستطار قلبه وضعفت نفسه فبحسب المولى من جهاده تفقد جسمه وآلات مطعمه وتروج خطراته فقد بلغ المملوك من حله على نفسه ما يخشى على مولانا الاثم فيه وانما نجش كل مشقة لنسلم منه ونحن في ضرتهم مسنا ولا نرجو لكشفه الا من ابتلى به وفي طوفان فتنه ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من رجم ولنا ذنوب قد سبقت طريق دعائنا فنحن أولى بأن نلوم أنفسنا والله قادر لا سلاح لنا في دفعه الا أن نقول لا حول ولا قوة الا بالله وقد أشرقنا على أهوال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب وقد جمع العدو لنا وقيل لنا

## في أخبار (١٦٩) الدولتين

أخشوه فقلنا حسنة الله ونعم الوكيل منتخبين بذلك موعود الانقلاب بنعمة من الله وفضل فانرجوا الا ذلك الفضل العظيم وليس لنا الا الاستعانة بالله فآخذنا الله في الشدائد الا على الدعاء له وعلى طروق باب كرمه وعلى التضرع اليه فلولوا انجاههم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ونعوذ بالله من القسوة ومن القنوط من الرحمة ومن اليأس من الفرج فانه لا يأس منه الا مساوئ الرشد ومطر ودع الله مقطوع الحظ منه ولا حيلة الا بترك الحيلة بل قصد من تمنى اقداره بلا حيلة سبحانه وتعالى ان علم الله من جند مولانا انهم قد بذلوا المجهود فقد عذروهم في عذرهم المولى وان علم انهم قد ذكروا قوة وقصر وافي نصرته كلمة الله فيكفيهم مقت الله والمولوك يذكر المولى بصبره ويرحب صدره وبفضل خلقه وبتقواه لربه وبمداراة مزاجه وببر القلوب الاسلامية وببر جسمه وان كان كبير عليك اعراضهم الآية الى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى والمولى أولى بهذا البيت

لا بطران تتابعتم نعم \* وصابري البلاء محتسب

قيل لللهب أيسرك ظفرك ليس فيه تعب فقال أكره عادة العجز ولا بد أن تنفذ من شدة الله في خلقه لا أراد الحكيم فلا يشخط مولانا بشئ من قدره فلا ينجرى القضاء وهو راض مأجور خير من أن يجرى وهو ساخط موزور فيصطلي نارا لشدة أعاذة الله منها ولا يجدر اراحة الثواب وفر الله حظه منه من شكا بئنه وحزن الى الله شكا الى مشتمكي واستغاث بقادر ومن دعا ربه دعاء خفيا استجاب له استجابة ظاهرة فاتكس سكونى مولانا الى الله خفية عنا ولا يقطع الظهور التي لا تشد الا به ولا يضيق صدورنا لا تنفرج الا منه وما شدد الكرى وأطال على الافكار ليل السرى الاضائة القوت بعكاولم يبق الاضعف نعم المعين عليه ترويح النفس واعاؤه امان الكبر فقد علم مولانا بالمباشرة انه لا يدبر الدهر الا برب الدهر ولا ينفذ الامر الا بصاحب الامر وانه لا يتلوا لهم ان كثر الفكر

قد قلت للرجل المقدم أمره \* فوض اليه تم قدير العين

وكل مقترح يحجب اليه الا تغرأ يصير نصرا يبعث ان أسلم أول بدا يخسر فيه المنبر بعد ان تكلم يامولانا هذه الليالي التي رابطت فيها والناس كارهون وسهرت فيها والعيون هاجعة وهذه الايام التي ينادى فيها يا خيل الله اركبي وهذه الساعات التي تزرع الشيب في الرؤس وهذه الغمرات التي تنقبض فيها الصدور بمائها بل بنارها هي نعمة الله عليك وغراسك في الجنة ومجملات محضرك يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضرا وهي مجتوزاتك على الصراط وهي مثقلات الميزان وهي درجات الرضوان فاشكر الله عليهم كما تشكره على الفتوحات الجليلة واعلم ان منوبة الصبر فوق منوبة الشكر ومن ربط جاش أمير المؤمنين ع من الخطاب رضى الله عنه قوله (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت) وبهذه العزائم سبقونا وتركونا لا نطمع في اللحاق بالغبار وامتدت خطاهم ونعوذ بالله من العثار ما استعمل الله في القيام بالحق الا خيرا خلق وقد عرف ما جرى في سير الاولين وفي أنباء النبيين وان الله تعالى حرض نبيه صلى الله عليه وسلم على أن يهتدى بهداهم ويسلك سبيلهم ويقتدى باولى العزم منهم وما تغلوا الجنة بمن وما ابتلى الله سبحانه من عباده الامن يعلم انه يصبر وأمور الدنيا ينسخ بعضها بعضا وكان ما قد كان لم يكن ويذهب النعب ويبقى الاجر وانما يقظات العين كالحلم وأهم الوصايا أن لا يحمل المولى هي اضعف به جسمه ويضر مزاجه والامة بنيان وهو أبقاء الله تعالى قاعدته والله يثبت تلك القاعدة القائمة في نصرته الحق وما يستحسن من وصايا الفرس ان نزل بك ما فيه حيلة فلا تجزع وان نزل بك ما ليس لك فيه حيلة والعياذ بالله فلا تجزع ورب واقع في أمر لو اشتغل عن حل الهم به بالتدبير فيه مع مقدور الله لا تصرف هم وكفى خطبه وما تشاؤون الا أن يشاء الله هذا سلطان هو يحول الله أوثق منه بسلطانه قاتلت الملوكة بطمعها وقاتل هذا يايمانها واذا نظر الله الى قلب مولانا لم يجد فيه ثقة بغيره ولا تعويلا على قوة الاعلى قوته فهناك الفرج ميعاده واللفظ ميقاته فلا يقنط من روح الله ولا يقبل متى نصر الله وليصبر فاما خلق الصبر بل يشكر الفاشكر في موضع الصبر أعلى درجات الشكر وليقل لمن ابتلى أنت المعافي ويرض عن الله سبحانه فان الراضى عن الله هو المسلم الراضى فاما اخبار رفقة بلاد الجحيم فسبحان من ألحق قلوبهم بالسنتهم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وكتب السلطان الى القاضي الفاضل كتابا من بلاد الفرنج يخبره عما لاح له من امارات النصر ويقول ما أخاف الامن ذنوبنا أن يأخذنا الله بها فكتب اليه الفاضل (فأما قول المولى اننا



## كتاب (١٧٠) الروضتين

نخاف أن نؤخذ بذنوبنا فالذنوب كانت مثبتة قبل هذا المقام وفيه محبت والائمان كانت مكتوبة ثم عني عنها بهذه الساعات وعفيت فيكفي مستغفرا لسان السيف الاجرفي الجهاد ويكفي قارعا لالابواب الجنة صوت مقارعة الاضداد ولعين الله موفقت وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك وطوبى لقدم سعت في مهاجك وطوبى لوجه تم بشار عجايبك وطوبى لنفس بين يديك قتلت وقتلت وان الخواطر شكر الله فيك وعن شكرها لك قد شغلت

**(فصل)** كان بلغني ان السلطان رحمه الله لما اشتد امر الفرنج على عكا أرسل الى ملك المغرب يستنجده عليهم ليقطع عنهم مادتهم من جهة البحر وكنت أتطلب حقيقة ذلك وأبحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبهما غير ان العماد ذكر كتابا كتبه القاضي الفاضل الى رسوله بم المغرب يستنجز منه ما كان ارسل لاجله وسيأتي وغرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة وضمونها ثم اراني بعض الشيوخ الصالحاء الثقة بخطها ما كنت أرومه فنقلته على وجهه قال نسخة كتاب كتبه القاضي الفاضل ونقلته من خطه لابن منفذ يأمره فيه بالسفر الى المغرب بامر الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يستنصر بملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لما حضر الفرنج خذلهم الله عكابه دكسرة حطين وفتح بيت المقدس والكتاب الذي سيرا الى المغرب والهدية التي حملت يأتي ذكر ذلك ان شاء الله

**(بسم الله الرحمن الرحيم)** الامير الاجل الاسفهلار الاصيل العالم المحترم شمس الدين عدة الاسلام جمال الانام تاج الدولة امين الله صفة الملوك والسلاطين شرف الامراء مقدم الخواص ادام الله توفيقه ويسر طريقه وانجح مقصده واعذب مورده وحرس مغيبه وهشده واسعد يومه وغده يستخير الله سبحانه ويتوجه كيفما يسر الله الى الجهة الاسلامية المغربية حرس الله جانبها ونصر كائبها وامر اكيبها ويستقرى في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في احوالهم وآدابهم واشغالهم وافعالهم وما يحبونه من القول نزره واجبه ومن اللقاء منبسطه او منقبضه ومن القعود بحالهم مخففة او مطولة ومن التحيات المتبادرة بينهم ماصيغته وما موقعه وهل هي السنن الدينية او العوائد الملوكية ولا يلقه الا بما يحبه ولا يخاطبه الا بما يسره والكتاب قد نفذ اليه ولم يختم ليعلم ما خوطب به والمقصود ان تقص القصص عليه من أول وصولنا الى مصر وما أزلنا من البدء بها وعظما من الاحاد فيها ووضعنا من المظالم عنها واقامة الجمعية وعقد الجماعة فيها وغزواتنا التي تواصلت الى بلاد الكفار من مصر فكانت مقدمة ملك الشام الاسلامي باجتماع الكلمة علينا ومقدمة ملك الشام الفرنجي بائقياد المسلمين لنا واتفاق الملوك المجاورين على طاعتنا وتفصيل ماجرى لنا مع الفرنج من الغزوات المتقدمة التي جسنافها اخلاخا لدارهم وجعلها الله تعالى مقدمات لما سبق في علمه من أسباب دمارهم وما اعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكبرى وفتح البيت المقدس وتلك على الاسلام منه الله العظمى الى غير ذلك من أخذ الثغور واقتتاح البلاد وانحان القتل فيهم والاسر لهم واستنجاد بقيتهم لفرنج المغرب وخروج نجذاتهم وكثرتها وقوتها ومنعتها وغناها وثورتها ومساقتها ومبادرتها وانه لا يمضي يوم الا عن قوة تتحد وميرة تصل وأموال واسعة تخرج ومعونات كثيرة تجل وان ثغرها حصرة العدو وحصرنا نحن العدو فاعلمنا من قتال الثغور ولا يمكن من قتالنا وخذنا على نفسه عدة خنادق فاعلمنا من قتال الثغور ارجة احرقة أهلها وخرج مرتين الى عسكرنا فكسر العدو وأقله فانه اغتتم أوقانا لم تكن العساكر فيها مجموعها وارتاد ساعات لم تكن الالهاب فيها مؤخوذها وأقدم على غرة استيقظت فيها نصرته الله لنا وخذلناه لم يقتل الله العدو والقتل الذريع وأوقع به الفتك الشنيع وانجلت احدى الحركتين عن عشرين ألف قتيل من الكفار خرجت أنفسهم الى مصارعها وهمدت أجسامها في مضاجعها والعدو وان حصر الثغور فانه محصور ولو أبرز صفحته لم كان باذن الله هو المتيقن والمكسور وتذكر ما دخل الثغر من اساطيلنا ثلاث مرات واحراقها لمر اكيبهم وهي الاكثر ودخلها بالميرة بحكم السيف الاظهر وان أمر العدو وقع ذلك قد تناول وخطبه قد تداوى ونجده تنواصل ومنها ملك الامان في جموع جهاهيرها مجهره وأموال قناطيرها مقنطرة وان عساكرنا وأدركته لما استدرك ولولا سبقه لها بالدخول الى انطاكية لتلف وهلك وتذكر ان الله قسم طاغية

الامان وأخذته أخذته فرعونية بالاغراق في نهر الدنيا الذي هو طريقه الى الاحراق في نار الآخرة وان هذا العدو لو أرسل الله عليه اسطولا قويًا مستعدًا يقطع بحره ويمنع ملكه لاخذنا العدو اما بالجوع والحصار أو برزقاً أخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر فان كانت الاساطيل بالجانب المغربي ميسره والعدة منها متوفرة والرجال في اللقاء فارهم وللمسير غير كارهه فالبدار البدار وأنت أيها الامير فيها أول من استخار الله وسار وان كانت دون الاسطول موانع امام قلة عدده أو من شغل هنالك بمهمة أو بمباشرة عدو ما تحصن منه العوره أو قد لاحت منه الفرصه فالمعونة ما طريقها واحده ولا سبيلها مسدوده ولا أنواعها محصوره تكون نارة بالرجال ونارة بالمال وما رأينا أهلاً لخطائنا ولا كفة ولا انجادنا ولا محقوقا بدعوتنا ولا ملبياً بنصرتنا الا ذلك الجناب فلم ندعه الا الواجب عليه والى ما هو مستقل به ومطبق له فقد كانت تتوقع منه همة تقدي في الغرب نارهها ويستطير في الشرق سناها وتغرس في العدو القصوى شجرتها فينال من في العدو الدنيا جناها فلا ترضى همتها أن يعين الكفر الكفر ولا يعين الاسلام الاسلام وما اختص بالاستعانة الا لان العدو جاره والجار أقدر على الجار وأهل الجنة أولى بقتال أهل النار ولانه بحر والنجدة بحره ولا غرو ان يجيش البحار البحار وان سئل عن المملوكين يوزنا وقرقوش وذكر ما فعلا في أطراف المغرب بن معهم من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان المملوكين ومن معهم ليسوا من وجوه الممالك والامراء ولا من المعدودين في الطواشيه والاولياء وانما كسدت سوقهما وتبعتهما القاف أمثالهما والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذوبها وكثرت جوعها خرج منها وانضاف اليها فلا يظهر من يدها ولا نقصها ولا كان هذا المملوك ان كان اذا غاب أحضر ولا من اذا فقد افتقد ولا يقدر في مثلهما اله من يستطيع نكايه ولا ياتي بما يوجب شكوى من جنابه ومعاذ الله أن نأمر مفسداً بأن يفسد في الارض ان أريد الاصلاح ما استطعت وان سئل عن النوبة المصريه وما فعل بجندها فيعلمهم الامير ان القوم راسلوا الكفار واطمعوهم في تسليم الديار فاشفى الاسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجديش بل أعيان المفسدين فقبولوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعو في الارض من فساد فأما بقية الجيش وان كان منهم من هو تبع للذكورين في الرضا فانهم اقتصر بهم على أن لا يكونوا جندا ومنهم من أجريت عليه أرزاق تبلغه وشملته آمنه تسكنه وأما الهدية المسيرة على يد الامير فقتلها يردي كتاب الامير الاجل الاسفهلار العالم الكبير محمد الدين سيف الدوله أدام الله علوه مقر ونا بالهدية المذكوره ومع قرب الشتاء فلم يبق الا الاستخارة والتسمية ومبادرة الوقت قبل أن يغلق البحر انفتاح الشتيه والله سبحانه يوفق الامير ويسهل سبيله ويهدي دليله ويكلاؤه بعينه ويمده بعونه ويحل رحله ويبلغه أهله ويشرح له صدره ويسر له أمر ان شاء الله تعالى وكتب ثامن وعشرين شعبان سنة ست وثمانين وخمس مائة

(فصل) في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والهدية العنوان (بلاغ الى محمل التقوى الظاهر ومستة حزب الله الظاهر من المغرب اعلی الله به كلمة الايمان ورفع به منار البر والاحسان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (من الفقير الى رحمة به يوسف بن أيوب) (أما بعد) فالجدة الماضى المشيه المضى القضب البر بالبريه الحفي بالحنفيه الذي استعمل عليهما من استعمر به الارض واغنى من أهلها من سألته القرض وأجزأ حرم أجرى على يده النافلة والقرض وزان سماء الملة بدرارى الذرارى التي بعضها من بعض وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتابه الشفاء والتبيان وبنى الاسلام بأمره التي شبهها صاحبها بالبنيمان وعلى آله وصحبه الذي اصطفاهم وطهرهم فنصروه وظاهروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم ويسرهم السبيل ثم السب يسرهم وان الله بهم لذوا فضل على الناس ولكن أكثرهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبيه الواجبة الرد الموجبة للقاء العذبة الوارد المنتفسة عن العنبر والورد وقادة على دار الملك ومدار النسك وجل الجلاله واصل الاصاله ورأى الرباسه ونفس النفاسه وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وهميه ومقدم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين الاله ومثبت المتقين على اليقين وعلى الموحدين على المحدثين أدام الله النصره وجهزه بتيسير العسره ورزقه الاله



## كتاب (١٧٢) الروضتين

وبسطه باع القدره وأوثق به حبل الالفه ومهد له درجات الغرفه وعرفه في كل ما بعثه من عاجل ولا جلا ولطفه  
 حفيبا جليلا وبسر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ وأقوم قبلا تحية استنير منها الكتاب واستنير عنها الجواب  
 وقد حفز لها حفزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكنا الى ان تيسر الاسباب والآخر مرام عظيم ما كره اذا  
 استفتحت به الابواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبه هذه بفتح البيت المقدس وسكون الاسلام منه الى  
 المقيمين والمعتسرين وما فتح الله للاسلام من المغرور وما شرح لاهله من الصدور وما أنزله عليهم من النور ولم يخل  
 المسلمون فيه من دعوات اسرار ذلك الصدر وملاحظات أنوار ذلك البدر ومطالع تلك الجهة التي هي وان  
 كانت غريبة فان الغرب مستودع الانوار وتزديت الشمس ومصب أنهار النهار ومن جانبه يأتي سكون الليل  
 ومستروح الاسرار وعنده قلب الله الليل والنهار ان في تلك العبرة لا ولي الا بصار ولم تتأخر المكاتبه الا لئتم الله  
 ما بدأ من فضله وليفتح بقية ما لم يفتح بفتح يد الشرك من حبله والمفتتح بسد الله من الشام مدن وامصار وبلاد  
 كبار وصغار وبغور وقلاع كانت للشرك معاقل وللإسلام معاصر ولبنى الكفر مصانع ولبنى الاسلام مصارع والباقي  
 بسد الكفر فمنها نعر اطرا بلس وصور ومدينة انطاكية يسر الله أمرها وملك من يد الكفر أسرها واذا امر المؤمن  
 على هذه الدعوة رجا ايجابها وما يتأخر من الله سبحانه جوابها والدعاء أحد السلاطين ومع النية يطير الى وكره  
 من السماء بجناحين بعد ان كسر اعدوا الكسرة التي لم يحجبها بعدها والجي الى حصونه التي للحصر أهداها وكان  
 يومها كرمها وادف الله فيها اعظما قضت كل حاجة في النفس واغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكأن لم يغن  
 بالامس وكانت على أن تغزو ما قبلها فما الظن بالجهز بعد النكس ولم يؤخر فتح البلاد بعدها الا ان فرغ الكفار  
 بالشام استصرخ بأهل الكمار من الغرب فأجابه هم رجالا وفرسانا وشيبا وشبانا وزرافات ووحدانا وبرابجرا  
 ومربكوا وظهرا وربكوا اليهم سبلا ووعدا وبذلوا ما عوارذ خروا واحتاجوا ملوكا ترتادهم ولا راسا ناقتادهم  
 بل خرج كل يلبى دعوة بطركه ولا يحتاج الى عزمة ما كره وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمائها وأنت  
 العزيمة بحمد الله على أسنادهما عند لقاءهما ومنهم ملك اليمان خرج في جموع برية من الله تعالى بربه ملائ  
 التجاج وازدجت فانهذه التجاج ومنهم من ركب شج البحر فركب الاجاج التجاج وامتنى من البحر مشيه  
 الرجاج لينصر دينا منبه الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلا ساحل  
 سلامة والى فاع كفر وجلب الكمار الى المحصورين بالشام كل محلوب وملؤوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ما بين  
 أقوات وأطعمه وآلات وأسلحة وسله وجهه وحديد مضروب وزبره ونقدى ذهب وفضه الى ان شحوا بلادهم رجالا  
 مقاتله وذخائر للعاجلة من حربهم والآجلة لا تشرق شارة الا طلعت على العدو من البحر طالعهم تعوض من الرجال  
 من قتل وتختلف من الزاد ما كل فيهم كل يوم في حصول زيادة وفور مادة وقد هان عليهم موقع الحصر وأعطاهم  
 البحر ما منعهم البر وبطروا لما كثروا ونظروا فانهم لا يستطيعون أن يلقوا ويصكروا ويستطيعون أن يحصروا  
 على أن يمحسروا ونزلوا على عكا بحيث يمددهم البحر بمادده ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وازادته  
 وبمن يكثر به من مقاتله واجشاده فانه قطعت مادته عكا من البحر وحصرنا من زهم من العدو من جهة جانب البر  
 فخدقوا على نفوسهم وحشوا التراب على رؤوسهم وعقدت عدتهم مائة ألف أو يزيدون كلما أفناهم القتل  
 أخلفتهم النجدة فكانهم قبل المات يعودون فاتهمنا بعمارة بعمارة لقمنا عمارتهم بها فنفتت عمارتنا الى الثغر  
 وأوصلت اليه الاقوات التي حمل منها البحر ما لا يحمله الظهر والأسلحة التي أمضاها الله عز وجل بيد الاسلام في  
 صدور الكفر وهالقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة فعددم اكبهم كبير اولكن لقيناهم بأصدق منها عزمه والقليل  
 مع العزم الصادق كثير واستقر مقام العدو محاصر للثغر محصورا منا أشد الحصر لا يستطيع قتال الثغر لا من خلفه  
 ولا يستطيع الخروج اليها خوفا من حتمه ولا يستطيع نحن الدخول اليه لانه قد ستر وخندق وحاجز من وراء  
 الحجار وأغلق ولما خرج ملك اليمان بحشده وسمعه التي هي منه أحشد ودعا جيشه الملعون على رسم قديم الى  
 الشام فكان العدو لامة أجد صلى الله عليه وسلم أجد قويت به نفوسهم وجمحت به رؤوسهم وظنوا انه يزعمنا من  
 مخيئنا ويخرجنا من خيمنا فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا اشماليه فسلك ذات الشمال متوعرافها بحجوزنا

## في اخبار (١٧٣) الدولتين

عن لقائهما مظهر انه صريع داء وباه غير دائها وكان أبوه الطاغية ملك الالمان شبيه العن اللعين فاند جيشه الى سجن سجين قد هلك في طريقه غرقا وخاض الماء غضا ضه الماء شرفا وبقي له ولد هو الآن المتقدم المؤخر وقائد الجمع المدكسر وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيأ أن يسلك البر ولوسبق أصحابنا الى عساكر الالمان قبل دخولها الى انطاكية لاخذوه أخذاس ربعا وسبق بحرس يوسفهم الى أن يكون الطاغية فيه لافي النهر صريعا ولكن الله المشيئة في البرية والطاغية انما عشي الى البلية فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق واجتياز واصلهم بالمصائق لكان لنا ولهم شأن وكان ليومنا في النصر الكبرى بحول الله ثاب لا يثنيه من العدو ثاب ولما كانت حضرة سلطان الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام أولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبه واستعان به على حماية نفسه وحرقه وكانت مساعيه ومساعى سلفه في الجهاد الغر المحجله المؤمرة الكاشفة لكل معضله الكاشفة لكل مشكله والاخبار بذلك سائر والاثار ظاهره والصحف عنه باسمه والسير به معلمة وعالمه وكل بجهاده قدسكن الا السيوف في اغمارها وقد أمن الكلمة الكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله غاديا ورائجا ومواجهيا ومكافحا ومماسيا ومصابحا يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الاسره وغزاة تصافع وجوهها السيوف فلا ينجذ نر الاسره يدود الفرق الكافرة ولوتر سبيله الملائق اقراره كل واد وكلما أوقد وانا نار الله رب أطعها الله ولولا لاخذ سراره كل زناد كان المتوقع من تلك الدولة العاليه والعزمة الغادية مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية أئيم -دغرب الاسلام المسلمين بأكره ما مد به غرب الكفار الكافرين فيما لها عليهم جوارى كالأعلام ومدنا في الحج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالايام تطلع علينا معشر الاسلام آمالا وتطلع على الكفار آجالا وزدنا ماجلة واما ارسالنا مسومة تمدها ملائكة مسومة ومعلمة تتقدم حيازيهما أقدام حيزوم تحت أحسابه وانما هي منه عزمه كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المشأمة وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة ولما استبطئت ظن انها توقفت على الاستدعاء فصر خنابه في هذه التحية فقد تحفل السحاب ولا تظن الى أن تحركها ابدى الرياح وقد نترك النصر فلا تظهر الى أن تضرع اليها السنة الصفاح وسير لخص مجلسه الاظهر ومحله الانور الامير الاجل المجاهد الامين الاصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين أبو الحزم عبد الرحمن من مذك كتب الله سلامته وأحسن صحابته وما اختير للوفادة الامن هو أهلها ولاجل الودعة الامن هو لها ولابعث لنهج الصلة الامن هو مفتاحها ولاداء الامانة الامن هو قفلها ومهما استوضح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيره ومن البيان ذو ذخيره وفي العربية ذوبيت وعشيرته والمشاهدة له أوصف على ان تلك الجلالة ترمبذعرت البيان فأخلف وما جدره بأن يصادف بسطة على بساطه ونظرا ياذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه فكل هو به واف وكل هو لفهم الكريم كاف والله تعالى يجعل هذه العزمة منافي استنهاض العزمة منه بالغة بلغايسر أهل دينه ويوزعهم باقتضاء دينونه من الذين اتخذوا الهامن دونه والسلام الصادر عن القلب السليم والود الصميم والعهد الكريم على حضرة الكرم عليه وسدة السيادة الجلية سلام مودة ما وقد القرب قبلها مثلها ورسالة ما خطرت الى ان انفذت وراءها المحبة رسلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورصوانه وتحياته ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة ست وثمان وخمسمائة والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه الهدية ختمه كريمة في ربعة محبسة بمسك ثلثمائة منقال عنبر عشر قلائد عدد دها ستمائة حبه عود في سعط عشرة أمتا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسي بأوتارها مائة وقوسان سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون نشاب ناسج خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوق خشب مجلد سبعمائة سهم

وكان اقلاعه من الاسكندرية في شبني عمارته مائة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة ووصل الى اطرابلس أول البلاد في الخامس والعشرين من شوال وأقام بها الى ثامن دى القعدة وتوجه الى البلاد وكان الاجتماع بالوزير أبي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص ودفع كتاب السلطان اليه يوم الخميس سابع ذي الحجة وكان الدخول على يعقوب والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة وفي هذا النهار جلت هدية السلطان الى خزانته

## كتاب (١٧٤) الروضتين

وكان انفصاله من مراکش عاشر المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ووصل الى الاسكندرية في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين

**(فصل)** لم يحصل من جهة سلطان الغرب ما التمس منه من النجدة وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمر المؤمنين على جاري عادتهم وقد كان سلطانا عادلا مظهر الشريعة غازيا توفي سنة خمس وتسعين وفيه يقول شاعره

أهمل لان يسعي اليه ويرتجى \* ويزار من أقصى البلاد على الوجا  
ملك غدا بالمكر مات مقلدا \* وموتها ومخمتها ومتوجا  
عمرت مقامات الملوك بذكره \* وتعطرت منحه الرياح تأرجا  
وجد الوجود وقد دجى فأضاه \* وراءه في الكرب العظام فقرجا  
وفيه يقول ابن عمه سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أبو الربيع من قصيدة أولها

هبت بنصركم الرياح الاربعة \* وجرت بسعدكم النجوم الطلع  
ان قيل من خير الخلاف كلها \* فاليك يا يعقوب توى الاصبح  
ان كنت تتلو السابقين فأنما \* أنت المقدم والخلائف تتبع  
وقد مدحه أيضا شمس الدين بن منقذه هذا المرسل اليه من جهة السلطان بقصيدة منها

سأشكر بحر اذا عباب قطعه \* الى بحر جود ما لشعاه ساحل  
الى معدن التقوى الى كعبة الهدى \* الى من تمت بالذكور منه الا وائل  
اليك أمير المسلمين ولم تزل \* الى بابك المأمول ترجى الرواحل  
قطعت اليك البر والبحر موقنا \* بأنى بذالك القطع بالبحج كافل  
فاراعدني من وجبة البررائع \* ولا هالني من زاخرا البحر هائل  
ومن كان غايات المعالي طلابه \* يهون عليه كل أمر يحاول  
رجوت بقصديك العلى قبلتها \* وادنا عطاياك العلى والفضائل  
فلازلت للعلياء والجد ثانيا \* تبلغك الايام ما انت أمل

وابن منقذه هذا من أهل بيت أدب وشعر وله على ما وجدت بخط بعض الثقات

تصرم عرى في التعرّب والنوى \* وافى ارتحالي طارفي وتلاذى  
وأخلقت الايام برد شيبتي \* وأصلدم وقع الخطوب زنادى  
وأشغلتني الحرص الموكل في الورى \* عن العمل المنجى ليوم معادى  
فلا راحة الاخرى تيقنت نيلها \* ولا أنا في الدنيا بلغت مرادى

وله على لسان بعض غلمانه

ورب هيص دعاني الى احـمة ال الزائنة منه العدم

أقطب وجهي له كلما \* تهمل لي ضاحكا وابتم

ومن كتاب فاضلى الى بعض اخوانه (وأما الاخبار المغربية واخلاق جانبها وضعف مطلوبها وطالبها فاذا نجزت الظلماء الى الغرب فيحق كما ان الانوار الناصرية قد تنصرت في الشرق فالتة يسعد بلاد الدنيا لانخرط في سلك ملكه ويمكن من مؤمنها حكم عدله ومن كافرها سيف فتكه والله يجزيها الخير عن ذيتها في الخير ويكتب سلامة عزها في طرق النفع أينما تمت السير) ثم انى وقفت على كتاب فاضلى للسلطان يشعربأن الرسالة المغربية لم تكن برأى الفاضل ولا هو مختار لها صورته (المملوك يقبل الارض بالمقام العالى المولى الملكى الناصرى جعل له لله في الدنيا والآخرة المقام العالى وأبقى دولته التى هى الايام بالحقيقة والاىام قبلها هى الليالى وينهى ان لظاهر ان المملوك عند المولى ليس من أهل الاتهام وان له ولله الحمد آثارا في دولته تشهد بها الايام وآثار السيوف طاحت وبقيت آثار الاقلام والرسالة المغربية لبس المملوك مشيرا بتركها ولا كارها لسفر رسولها ولا مستبعدة

## في اخبار (١٧٥) الدولتين

مصلحة قرية الامر منها لكن على وجهها وقد نجت المهدية المغربية على ما أمر به وكتب الكتاب على ما مثل ونظم الخطاب والوصف فوق العادة وبما لا يمكن مخاطبة مخلوق بأكثر منه وعند وصول الامير نجم الدين من المحيم المنصور فراهضه المملوك في انه لا يمكن الا التعريض لا التصريح بما وقع له انه لا تنجح الحاجة الابه من لفظة أمير المؤمنين وان الذي أفاضوا في هذا الحديث وأشاروا به ما قالوه نقلا ولا حاطوا به قياسا ولا عرفوا مكانة المصريين قديما وآخر ما كتب في أيام الصالح بن رزيق فخطب فيه أكبر أولاد عبد المؤمن وولى عهده بالامير الاصيل النجار الجسم الفخار وعادت الاجوبة الى ابن رزيق وهو وزير سلطان مصر الذي اتباع مولانا اليوم مائة مثله مترجمة بعظم أمره وملتزم شكره هذا والصالح يتوقع أن يأخذ ابن عبد المؤمن البلاد من يديه وما هو الا أن يهرب مملوكان طريدان منافستويان على أطراف بلاده ويصل المشار اليه بالامر من مرا كس الى القير وان في ستة أشهر فيلقاهم في كسر مرته ويتماسك أخرى واعلم الامير نجم الدين بذلك فامسك مقدار عشرة أيام ثم أنفذ الامير المذكور اليه على يد ابن الجليس بأن المهدية أشير عليه بأن لا يصححها وان اسنحجها تكون هدية برسم من حواله وان الكتاب لا يأخذه الا بتصریح أمير المؤمنين وان السلطان عز نصره رسمه ذلك والملك العادل دامت قدرته بأن لا يشير الابه وان اذ التي القوم خاطبهم بهذه التحية عن السلطان أبقاه الله من لسانه فأجاب المملوك بأن الخطاب يكفي وطريق جندنا له ممكن والكتابة حجة تقييد اللسان عن الانكار ومتى قرئت على منبر من منابر المغرب جعلنا خالعين في مكان الاجماع مبايعين من لا ينصره الله ولا سوكه فيه ولا يحل اتباعه من خصين العالي مخطئين عن العالي ساقين عصا المسلمين مفترقين كلمة المؤمنين مطيعين لمن لا تحل طاعته مقلدين لمن لا تصح ولايته فيفسد عقود الاسلام وينفخ باب يعجز وارده عن اصدار بل تضي وتكشف الامور وتكشف الاحوال فان رأيت للقوم شوكة ولنا زبده فدهمهم بهذه الخطابية واجعل كل ما تأخذه غملا للوعدها خاصه فامتنع وقال أنا أقضى اشغالي وأتوجه الى الاسكندرية وانتظر جواب السلطان عز نصره وما يفوت وقت والى ان أنجز أمر المركب وارتاد الركاب فسير المملوك النسخة وان وافقت فينعم المولى على المملوك بترجمة بلصقة على ما كتبه ويأمر نجم الدين بتسلم الكتاب على ابن الجليس حذثه عنه انه ممتنع من السفر الا بالمكاتبة بها فأما الذي يترجم به المولى عز نصره فيكون مثل الذي يدعى به على المنبر لانا وهو الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب أدام الله غنى مولانا بالفقر الى ربه واذا كتب الصالح بن رزيق اليهم من السيد الاجل الملك الصالح قبح ان يكتب اليه مولانا أبقاه الله الخادم وهذا مبلغ رأى المملوك والمؤمن لا يذل نفسه وفاسم الارزاق يوصلها وان رغم من جرت على يده وان كان مولانا عز الله نصره بقول أنت غافل وغائب وما تعرف ما الاسلام فيه فلو حضرت وعرفت ما شققت الحديث فجواب ما كتب بعد سنتين فاي تخلى الله عنا ولا تستمر هذه الشدة ولا نسي الظن بالله واذا كانت لنا ان شاء الله أخذت خالية من نطلب الا ن مواساته واذا كان المملوك مستجها لا وغير مستنصح وللضرورة حكمها والاحوال المملوك غائب عنها فالمفهوم من الامر للمملوك ان يتولى من الكتابة ترتيب المقاصد وتحرير الالفاظ وتنضيد الخبر عما أجزاه الله تعالى على يده مولانا عز نصره والثاني المطلوب فقد فعل هذا كما في النسخة وبقية الالفاظ التي ليست كتابة المملوك لها شرا طافها والمملوك وعقبه مستجبرون بالله تعالى ثم بالسلطان عز نصره من تعريضهم لكدر الحياة وتوقع الخوف ومعاداة من لا يخفي عنه جبر ولا تقال به عشرة ويكفي ان المولى انهم بخطه في كتابه الى المملوك وفيها ما هو مخطط حضرة سيدنا الاجل عماد الدين الكاتب الاصفهاني حرسه الله وامضى بأن لا ينطرق في الخطاب ما صرح باللفظة فهي اما تقيه المملوك أولى بها واما استهانة فنفس الملك لا تقاس بنفس المملوك فان كان ولا بد فالنسخة بين يديه والمقصود فيها من زيادة هذه اللفظة ما يحتاج الى تعليم والكتاب الذين يستقلون بكتابة النسخة معدومون وقد تاب المملوك عنهم والكتاب الذين يستقلون بالتبويض موجودون فينبون عن المملوك في التبويض والاف كيف يسير رسول بكتاب من مصر بلا خط سلطان وغير حضرته كتب ولا بهدية سار وبمحضر من البغادة والمغاربة يعلمون ان الكتاب كتب بمصر ويشهدون بما لم يروء وما لم يقرؤوه من الخطاب ولو وصل من المولى أدام الله أيامه كتاب محتوم وسبر ولم نعم ما فيه لا تقطع فضول كثير ونحدث أراجيف شنيعة ولا يعتقد المولى ان المملوك يعظم القصص

## كتاب (١٧٦) الروضتين

فبالإسنة والاعين شغل الأسلاطين وأفعالهم وأقوالهم ولا للخلق خوض إلا في أوامرهم وأحوالهم ولوعلم المملوك أن هذا الذي استعفى منه يضرم بحيث يدفع المولى أبقاه الله له أن عليه ولكنه مضرة بغير منفعة وتعرض لما تدمر عاقبته أو يتي على الخوف منه وذلك مما لا يقتضيه حسن عهد المولى وفضل راقته فتصود المولى أبقاه الله تحصيل تبييضها بين يديه وربما حصل استناره وأمنت المكار- فيه وغضت العيون عنه وشحت الأيام عليه طالع المملوك بذلك)

(فصل) وللقاضي الفاضل رحمه الله من كتب آخر ما يشرح لنا بعض ما تقدم وما لم يذكره أحد من أرباب السير منها قوله ( كتاب بغداد كتاب بارد غث جامد ما فيه مقصود لقاصد ولا صلة ولا عائد ونحن نطلب الذهب الحار فيضرب في حديد بارد) ومنها فيما خرب من البلاد الفرنجية المغنومة ( خراب البلاد في هذا الوقت الضيق لا شية في تقويته لنفس العدو وأصعافه لأنفس المسلمين وكل من يسمعه بمجأه من يدهه اليأس ما يقع وجاه المولى يعلم أن العدو أخذها من المصريين في عام ستين سنة وخفضوها بالانحصار مرة وبالهذنة أخرى وبالقتال مرات وبولاة سوء لو كان فيهم خير لما تجزوا عنها ونحن قد حملنا عن العدو المؤنة يتحرب البلاد التي كان العدو يريد أن يحاصرها وينازلها وينصب الخندق والبرج عليها ونحناف التجدد أن تصلها وقوة الاسلام أن ينوب اليها وتوقع أن يبدهه المصاف قبل النزول عليها فترفناه أنه دام على من لا سلاح له الآن باقي السلاح ولا حفظ للبلاد الآن يجر بها فقد نكنا عن اللهاء وفرنا قبل المواجهة وزدنا زيادة عجيبة وهوان المنهزمين - زم لرجال ونحن نهزم بالبلاد) ثم قال وثبوت مولانا على عكا هو حراستها وحفظها وقوة نفس من بها وأهول الأعداء ملك الامان لا يشك مولانا أن جمعه لا يفي بعشر قران من سسنيين قرقورة وصلت الى الفرنج نجدت من بلاد المجوس في السنة الماضية وانما الزائد سمعته ملك وقد هلك ورأس قد قطع وفائد جيش ( وقد كذا الحمار ) ومنها عند ورود كتاب السلطان اليه يبشر بعافيته من مرض عرض له في شهر رمضان ( أسفرت بشارته عن أن المولى أتاه الذرج وغذاؤه الفروج واستقل بحمد الله وصح وعالت العافية للمرض فنج وكان ما في كتابه الأول من نعيق النون من الحمد لله رب العالمين فيه أن تضعف ينتقده صياقة الخطوط فأما هذا الكتاب المبارك فقد صحت فيه التعريقة وقويت اليد وطلعت النون أهم النينام مطلع الهلال الفطرى الذي يشبهه السعرا بالنون ومنهم من قال

ولاح هلال مثل نون أجادها \* بدوب النصارى الكاتب ابن هلال

وهذا من أنواع الفراغ الذي ما أوجبه المملوك الأسرته بعافية المولى أدامها الله وأدام المسرة بها وللخلق فما يشبهها المملوك الابنور الشمس الذي له في كل مكان أثر ولكل عين به نظر فلا تخلى الى الله الدنيا من آثاره والعيون من أنزاره وبعد عافية المولى قد انتظر الاسلام عافيته به من المرض الذي هو العدو فيجمع الله تعالى للمولى وللخلق بين العافيتين ويستخدم شكرهم للنعمتين فقد حلى الله بهذا المرض سيف الله الذي هو المولى وما صقله الالتصدأ به قلوب أعدائه ومن فوائده هذا المرض أن المولى يستأنف العرجديد أو العزم حديدا ويستقبل التدبير بنشاط قد حضر وأعضاء قد فارقها ما كان سبب الضجر) ومنها (وأما ترم مولانا بأكثرة الطلبات منه فلا تخلى الله مولانا من القدرة عليها وهنيئاله أن الله سبحانه يطالبه بحفظ دينه والنبي صلى الله عليه وسلم يطالبه بحسن الخلافة في أمته والسلف الصالح من هذه الأمة يطالبونه بمباشرة ما لو حضر وما زادوا على ما يعمله المولى وأهل الحرب يطالبونه بازاحة عنهم من الذهب والفضة والحديد وبقية الامة تطالبه بالامن في سربهم والاستقامة في كسبهم والخفارة في سبلهم ونفسه الكريمة تطالبه بالجنة بلغة الله اليها ولما على الامور أعانه الله عليها واذا عتد ما يراد منه فلا بد أن يعدد ما يسر عليه فقل عدم من الله تعالى قط نصره وهل استقرت به قط عسره وهل تمت لعدو قط عليه كره وهل بات قط الاراجيا وهل أصبح الاراضيا ألا يعلم أن الله تعالى ذخره من الصالحات ما لم يركنوا له غيره ألا يحصى من سبته من المملوك الى الدنيا فجوزا عما سبق اليه المولى من الآخرة وهل تعرف راية قاتل تحتها في سبيل الله الارايته وهل يعرف مال يتفق في سبيل الله الاماله وهل يسمع في مجلسه الا كتاب الله يتلى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرأ أو يرى به الا الخيل تعرض والسلاح يقلب لا قذاح الشارين ولا أصوات

المغنين

## في اخبار (١٧٧) الدولتين

المغنين ولا وقائع الكذابين ولا سعيان الناميين ويحق اذا توفر حظ مولانا بقاء الله على تشبيه المملوك فاذا كان  
 محمد بن عبد المؤمن بالمسجد فان مجلسه أولى بأن يكون مسجدا من كل مجلس ولا غرو ان تعترف المدائح كما تعترف  
 الفضول وان تتبع كما تتبع الطرائد ولنصرن الله من نصره ولعل المولى عز نصره قد نفذ الى جانب الشمال جماعة  
 فان صاحب انطاكية خذله الله عاث وشعث وخلا الخيمان بأرض فطلب الطعن وحده لوقرن أهل عكا وكذلك  
 يفعلون بشيئة الله ولو كان ما هم فيه من جهاد بنية احتساب لما سبقهم الى الجنة سابق ولا لحقهم بعدهم لاحق فليهن  
 مولانا توفر ثوابه على كل حال فله ثواب نفسه وثواب من جاهد بسببه فلا أعدم الله الخلق واحدا به استقام جميعهم  
 وما لك اقام برعا يا هم فاقدم ما يرعهم وشفيقا يقيمهم بنفسه وولده وباخوته ويتقدم الى الالهوال أماما اليك وأمرؤه  
 وعسكره وجملته فمكأنهم مكان بسم الله من الكتاب ومكان الامام من المحراب ومكان النواصي من وجوه  
 الصواهل ومكان الاسنة من وجوه الذوابل وخير ما كان اذا لم تنط نفس بنفس خيرا وأغير ما كان على محارم  
 الله اذا كانت أنفس المملوك غير غيرى وقد اطمانت القلوب الى ان الله سبحانه قد كشف الغمة وفرجها وأطفأ  
 نار الحرب التي كان العدو أججها فحيا يتوقع من كتب مولانا بقاء الله الا ان الاسلام قد رضى بما سيخط الكفر  
 ولا يسمع من قصصه الذي هو أحسن القصص الا أن يقول ماقاله سمعه على نبينا وعليه السلام قضى الامر فأمامك  
 الامان فقد سلبه الله ما أضيف اليه كما كان المملوك رأى في منامه على كوكب واعلم به مولانا في ضمن رسالة فقال أبقاه  
 الله قد قبلت البشري وصوره الرؤيا وان رسولا جاء من السلطان عز نصره الى المملوك فقال اكتب كتابا بياضه ملك  
 الامان فقلت حتى أفكر فقال الرسول اكتب بأن الله قد سلب ملك الامان ما أضيف اليه والمشهور ان ملك الامان  
 خرج في مائتي ألف وانه الآن في دون خمسة آلاف) ومنها (ورد كتاب من المهدي الى الاسكندرية ناني رجب بعد  
 ستة عشر يوما من المهدي وذكر من فيه أخبارا وقد طوع بها وما تذكرت علمت صحتها وهوان عساكر الغرب  
 الاسلامية نازلة على طليطلة وقد افتحت عدة حصون كافترة وان يوزبها شوهد بالمهدي موثقا بالحديد وقد نفذ  
 قراقوش الى صاحب تونس ليسيره الى بلاد الاندلس موضع نزول ابن عبد المؤمن بالعساكر وان أهل صقلية من  
 المسلمين الى الآن في حرب قائمة بينهم وبين فرنجها ومعتمرون بالجمال في اعمالها وان عسكر الفرنج قد خرج لاجتاد  
 أصحابهم بصقلية والمسلمون بها على توقع ورقبة وحذار وخيفة نصر الله كلمة التوحيد وأهلك كل جبار عنيد وان  
 مراكب فيها أزواد الجنوبيين دخلت المهدي بأمان من صاحبها فباعته بها وتردت منها وانها قاصدة الشام  
 خيب الله قصدها) ومنها (وقد سير الحبل الآن من المجلس العزيزي بحضور فلان وفلان وكلهم مجتهد في الخدمة  
 ولما عرف المملوك انهم لا يطرقون المعنى الذي يطرقه المملوك من تنبيه مولانا على ان يقتصد في الانفاق ويقدر الاخراج  
 للعلم ان هذا الحجز قد رمينا بعدهم وسمع بخبر المولى فانهزم فرارا من سطوة كرمه والبلاد ليست الآن كعهدها في  
 انقطاع أسفارها ووقوف معاشيها وكساد اسواقها وانكسار تجارها ولولم تكن الدارهم سلعة لا تخرج من مصر  
 كما يخرج الدينار لما وجدت كما لا يوجد الدينار وان تصريف الدارهم بعد ان يصير مستخرجا ذهب شغل شاغل  
 واستخراج غير الاول وعسى الله ان يأتي بالفتح وأمر من عنده يحدث للاسلام نصر عزيز ولا كفر خذلاناسرعا  
 وجيزا ومولانا خلد الله ملكه من وراء ضرورة لا تخفى عن المملوك والممالك من وراء ضرورة لا تخفى عن المولى  
 وصدر المولى بحمد الله واسع وفرج الله منه قريب وهذه الضائقة لما يريد الله تعالى من حسن موقع الفرع بعدها  
 فقد أنفق المولى مال مصر في فتح الشام وانفق مال الشام في فتح الجزيرة وأنفق مال الجميع في فتح الساحل وينفق  
 ان شاء الله تعالى مال القسطنطينية في فتح رومية والمملوك كلهم وكلادو وأمناءه على خزانهم الى أن يسلموها  
 اليه فيشكره الله على ما أخرجه في سبيل الله منها ويمقتهم على ما كثره من ذهابها وقضتها فلا يكن في صدر المولى حرج  
 ولا في خلقه فان الله سبحانه لا يضيق رزقا على يده الكريمه لاسيما وقد أجرى عليها أرزاق خلقه) ومنها (ينهى المملوك  
 وصول رسول ملك الروم بما في صحبته من هدية وبما على لسانه من رسالة وبما على يده من كتاب وحضر بين يدي  
 الملك العادل وجرى من المفاوضة ما زبدته امتنان الملك بكونه لم يجب رسول ملك الامان وصاحب صقلية وغيرهم  
 من جيوش الفرنج الى الموافقة على حرب السلطان واطلاق طريقهم وامتنع وسد الدربندات وحفظ عليهم الطرق

## كتاب (١٧٨) الروضتين

ووصى أرباب الحصون بالتيقظ لهم والمنع عنهم وجعل عذره للمتمسكي موافقته ان البلاد في هذه السنة غالية السعر والمصلحة تقتضي ان لا تكون الحركة الابفة وعلى تمكن من الميرة وتأخير الحركة الى السنة الاخرى ثم قال (وهذا الملك الروم خائف من الفرنج على بلده مدافع عن نفسه ان خله الدفع ادعى انه بسببنا وان لم يتم ادعى انه غائب عن مقصده ومقصدا وقد جعل مأورده من ان يقال ان البطارقة في قامه من قبله وان ينقل من ولاية الفرنج الى ان يوليها الطاغية من أهل عمله سببا يسطر به عذره من عنده عند أهل جنسه ورفع به عن نفسه لاسيما مع اقامة الخطبة الاسلامية ونقله المنبر ونسخته في الصلاة واعزال كرامة الاسلامية أرغم الله بها أنفه وبحل بسيفها حثفه ومولانا أبقاه الله يثبت في الاجوبة ولا يجب الى ما على الاسلام فيه غضاظة ولا الى ما لك كفر فيه قوة (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) ومن كتاب آخر (وصل الى الملوك كتاب ذكر وصول رسل الملك العتيق من قبرس اليه يخبره بعصيانه على ملك انكليزية ومكاشفته بالعداوة والحرب وانه قد كتب السلطان أعز الله نصره يبذل له من نفسه العبودية والطاعة والمظاهرة على ملك انكليزية والاختبار متوارية بأن الملك العتيق أحرق موانئ قبرس ووعرها وقطع الميرة عن الساحل ولا شبهة ان مولانا يتقبل من المذكور ويوقى نفسه على هذا الباب فانه في تخاذلهم نصر الاسلام وشغل بعضهم ببعض واقتراق كلمتهم المجتعة وقطع الميرة عن الشام وامن الجانب كثير من جوانب البحر وهذا الملك العتيق قد صار لمولانا صديقا وما سمى العتيق الا لانه صار اولنا عتيقا ولا اعتبار بمجدنا مع صاحب القسطنطينية في اننا نجده على قبرس فاننا ما وعدناه بانجدة عليهم لما كنت بيد عدونا والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع ان يكون صديقا ولا ضرر ان يكون عدوا وكذلك صاحب الغرب (والله عصمكم من الناس) وقف الملوك على كذب بغداد والمقصود الذي دب لاجل الرسول ما لم يذكر في الكتاب وهي المعونة على الجهاد وعرف استدعاء المساعدة على تكريت ولو كانا افراغا لما كان النظر الصحيح يقتضيها لانها مهابقة في يد من هو الا نهبها كانت في يد المولى أبقاه الله تعالى ومهما خرجت عنه خرجت عنها وما نقول ان ليس لنا اطلاع الى ملهها لاسيما وهي طريق الى غيرها وقد فتح الله للمولى بلاد محي مع ستماضية عن ربوتها فلا حولي اولاد كثير الله منهم ما منهم الا من هو متطاع الى طرف وله أهل ما منهم الا من هو متطاع الى مملكة وأمر اءامهم الا من هو متوقع بادن وما يليك ما منهم الا من يريد ان يوفي الحق عليه في الخدمة ومن سيره المولى لهذا الامر عدم من أصحابه منفعة فيما هو أهم مما سار فيه وما يليق أن يسير الا من يرهم ما يجزون عنه وتكون عنوانا للعلم في شك منه من قوة المولى على ما يريد وما سلكه مع القدرة ويرى المملوك ان مطالبهم نقد ومديناتهم وعد وان كان ولا بد من تسيير فلا يسير الا من يقضى الشغل ويستزيد الجعل وما تضمنه الكتاب البغدادى من عزم الخليفة على الخ في هذه السنة المملوك يستبعدة بالاضافة الى الوقت والى عادة أهله وآخرهم جلال الشيرازي رحمه الله ويستقر به بالاضافة الى خلقه وان سار صلح أن يهتم بما أشار اليه ابن الشهرزوري ولا شك انه قد أنسى الرسالة التي توجه فيها ابا بعلثنا يلمس لنا نعمة فالتمسها منا) وكتب الفاضل الى السلطان (ينهى المملوك انه عرف تسحب رجل وصبي من العصر العربي وان المؤيد يعنى ابن السلطان وكان ينوب عن أخيه العزيز بمصر أحضر نائبه الطواشي بهاء الدين واستعلم أمرهما فذكر ان هرهما صحيح وان أحدهما هو الصبي من جملة ثلاثة وثلاثين ولدا كانوا طالما وقت الحوطة عليهم بالقصر العربي وقد بلغ هذا وكبر وزاحم عشرين سنة والاخر كان معتقلا في الايوان فحدث له خناز بر في حلقه وأشفي على الهلاك فأمر الطواشي بنقله الى القصر العربي من الايوان وفك حديد وجهه ورجل ليتدأوى في أوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر مرضه واستدضعفه وبقى في القصر العربي الى أن علم انه تسحب فسأله المملوك عن المستحفظ للقصر العربي فذكر استاذين كان الطواشي أفامهما ورضى أمانتهما وانهما يذكران ان هذا القصر العربي قد خرب وودثر وأكثرت التسلقات عليه ويجاوره اصطبلات فيها جماعة من الخريندية والمفسدين والطرق مستقر من هذه الاصطبلات الى من في القصر من النساء وانهم كانوا أنهيامر بعد أخرى ان المكان غير حيز والاعتقال فيه غير وثيق قال وجعت أصحاب الارباع وجيرة القصر ورجوت بترك الشناعة الظفر بهما والبحث واقع عنهما) وكتب الفاضل عن السلطان الى العادل وهو بمصر (اتهي اينا بالديار المصرية وبالخبرة العلية ان جماعة من الفقهاء قد اعتضدوا بجماعة من أرباب السيوف وبسطوا السننهم بالمنكر



## في أخبار (١٧٩) الدولتين

من القول غير المعروف وانشئوا من العصبية ما أطاعوا فيه القوى الغضبية وأحبوا بما أماته الله من أهل حمية الجاهلية والله سبحانه يقول وكفى بقوله حجة على من كان معصيا مطيعا (واعصوا بحبل الله جميعا) ولم يزل التعصب للذهاب بملأ القلوب بالشحناء ويشحنها وقد نهى الله عن المجادلة لاهل الخلاف فكيف بأهل الوفاق الآن يقال أحسنها وما علمنا ان في ذلك نية تنجد ولا مصلحة توجد ولا هداية تعتقد بدراية تعتقد ونار عداوة توقد وقلما أثرت المشاجرة الا خلافا فالجلس أعزه الله يوعز بكف الالسنه الخائضه وعقل الاعنة الراكضه فان أقنع بلطفه المرضى والا كانت همة الرائضه ومن عاد بعد الزجر أبعد عن مستقره وأزعج وليس يسع الحلف ما وسع السلف من الادب وليعلم العبد انه يكتب كتابا الى ربه فليفكر فيما كتب والى من كتب

**(فصل)** في ذكر خروج الفرنج خذلهم الله بعزم اللقاء ووصلهم الى رأس الماء قال العماد وذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال مع ملك الامان وخرج معهم الماركيس والسكندهرى وأخذوا معهم عليق أربعة أيام وزادها واستصحبوا أنجباب الكريمة وانجداها وكان نخيم اليزك على تل العياضية فركبوا وأشغلوا القوم بنيران النصال وأهبطوا فنزل العدو تلك الليلة على آبار كناد حفرناها عند ذر ولنا هناك باتوا والاراك ترميمهم وتشويمهم وتصميمهم وأصبحوا يوم الثلاثاء سائرين الى اللقاء ورفع السلطان ذلك الليلة النقل الى ناحية الققيون وقد امتدت ميمته الى الجبل صفا وميسرته الى البحر زحفا وعند ذى بين تلبه أولاده الافضل والظاهر وأخوه العادل فى أول المينة ويليهم حسام الدين بن لاجين ثم صارم الدين قايمار النجوى ثم حسام الدين بشاره ومعه بدر الدين دلدرم الباروقى فهؤلاء أعظماء دولته وكبراء مملكته ومعهم أمراء ومقدمون جريئون مقدمون وكان فى المينة أيضا ابن صاحب الموصل وعز الدين جردى النورى وعلى ميسرته صاحب سنجار وصاحب الجزيرة ونقى الدين وابن المشطوب سيف الدين وخشبرين والأمراء الهكارية والحميدية والزرارية والمهرانية وأمراء القبايل من الاكراد ورجال الحلقة الخاصة واقفون فى القلب وضرب للسلطان خيمة لطيفة بقرب الخروبة على تل مشرف وفى مرج عكا عين غزيرة الماء يجرى منها نهر كبير الى البحر فسار الفرنج ذلك اليوم شرقى النهر حتى وصلوا الى رأس الماء وشاهدوا مواقف الهاشجين الى الهيجا فانحرفوا الى غربى النهر وتزلوا واعتزوا بالاحتراز واعتزلوا فانقض السلطان اليهم الجالشييه وانتظر من الله فى كسرهم المشييه فاستداروا بكرهم وأنخروا فيهم بالتوت رضا وبالدبايس قضا وبالنصال قرضا وبالا سنة وخز او وحضا وقضوا فيهم من حق الجهاد سنة وفرضا وكان المراد أن يحتموا فيشوزوا حتى يلقاهم ويوروا فخار ما أمكانهم وأصبحوا يوم الاربعاء راكبين وعن سبيل اللقاءنا كبين ووقفوا على سهوات الخيل الى ضخوة النهار والراجل محقق بهم كالاسوار وأصحابا تدقربوا منهم حتى كادوا يخاطبهم وأرادوا يبايسطونهم والسلطان يمد الرماة بالرامه والكماة بالكماه وهم ثابتون ثابتون ساكنون ساكنون ونحن نقول لعلهم يحملون ويغضبون فيجهلون فتمكن من تفصيل جلتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم وأحس العدو بالضعف وانه متورط فى الخنف فالتجأوا المجزهم عن الدفاع الى الادفاع وساروا عاذين على هيئة الاجتماع والنهر عن يمينهم والبحر عن يسارهم وقد أيقنوا ان صبح منهم الثبات بانكسارهم وأصحابنا حوالى بهم ومن ورائهم يغر قوتهم فى دمائهم ويشلونهم ويقتلونهم وينهلونهم من ماء الحديد ويعلونهم وهم يتحركون فى سكون ويتظاهرون فى كون ويتذوقون فى جود ويتلهبون فى نخود وكلما صرع منهم قتل حمولة وستروه وطموا مدفنه وطعموه حتى يخفى امرهم ولا يصح لدينا كسرهم وتزلوا لئلا الخيس على جسر دعوق وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق وأبلى المسلمون فى ذلك اليوم فى الجهاد بلا عسنا وأتوا كل ما كان فيه مستطاعا مكنا وبذل ايازال طويل هذا اليوم جهده وفل فى فل جهدهم حده وكذلك سيف الدين يازكوج عام فى بحرهم وقام بأمرهم وأصبحوا يوم الخميس الى نار الوطيس ووصلوا الى مرضهم ولم يحصلوا على غرضهم ونقص منهم خلق وعدنا الى الخيام ظافرين ظفر الكرام فرحين بذل الكفر وعزالا سلام وعرف الفرنج مشاق خزيم واخفاق سعيهم فاحتزوا من الهلكه وما عادوا الى مثل هذه الحركة قال القاضى وكانوا قد جعلوا راجلهم سورا لهم يضرب الناس بالزبورك والنشاب حتى لا يترك أحد يصل اليهم الا بالنشاب فانه كان يطير عليهم كالجراد وخيالهم يسرون فى وسطهم بحيث لم يظهر



منهم أحد في ذلك اليوم أصلاً وعلم العدو مرتفع على عجلة وهو مغروس فيها وهي تسحب بالبالغ وهم يدنون من العلم وهو عال جداً كالمنارة خرقته بياض ملع بحمرة على شكل الصليبان ولما رآه الواسطون على هذا الوجه حتى وصلوا وقت الظهيرة إلى قبالة جسر دعوق وقد ألجمهم العطش من شدة الحر وأخذ منهم التعب وأخذ منهم الجراح وكان الفعل معظمه للحلقة المنصورة في ذلك اليوم فانهم أخذوا قوتهم طعم الموت وجرح منهم جماعة كإيالة الطويل فانه قام في ذلك اليوم أعظم مقام يحكى عن الأوائل وجرح جراحات متعددة وهو مستتر على القتال وجرح سيف الدين بإزكوج جراحات متعددة وهو من فرسان الاسلام وشجعانه وله مقامات متعددة وجرح خلق كثير في ذلك اليوم وعزم السلطان في تلك الليلة على كبس بقيتهم في الخيم وكتب إلى البلدي يعرفهم ذلك حتى يخرجوا هم من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فلم يصل من أهل البلد كتاب فرجع عن ذلك العزم بسبب تأخر الكتاب فلما أصبحوا كف السلطان الناس عن القتال خشية أن يغتالوا فان العدو كان قد قرب من خيمه ووقف الاطلاب في الجانب الشرقي من النهر يسير قبالة العدو حتى وصل إلى مخيمه وكان لهم فيها اطلاب مستريحة فخرجت على البرك الاسلامي وجلت عليهم وانتشب القتال بينهم فقتل من العدو وجرح خلق كثير منهم شخص كبير فيهم مقدم عندهم وكان على حصان عظيم ملبس بالزرد إلى حافره وكان عليه لبس لير مثله وطلبوه من السلطان بعد انفصال الحرب فدفع اليهم جثته وطلب رأسه فلم يوجد وعاد السلطان إلى مخيمه واعيد الثقل إلى مكانه وعاد كل قوم إلى منزلتهم وكان عماد الدين زنكي غائباً بنفسه مع الثقل لمرض كان به وبقي عسكره فعاد وقد أفلعت جماعه وبقي التباث مزاج السلطان وهو كان سبب سلامة هذه الطائفة الخارجة لكونه لم يقدر على مباشرة الامر بنفسه ولقد رأيت به رحمه الله وهو يبكي في حال الحرب كيف لم يقدر على مباشرة القوم ورأيناه وهو يأمر أولاده واحداً بعد واحد بصاحفة الامر ومخاطبة الحرب ولقد سمعت منه وقائلاً يقول ان الوخم قد عظم في مرجعك بحيث ان الموت قد كثرت في الطائفتين فأشده تمثلاً

اقتلانی و مال کا \* و اقتلا مال کا معی

يريد بذلك اني قد رضيت بأن اتلف انا اذا تلف أعداء الله وحديث ذلك قوة عظيمة في نفوس العساكر الاسلامية وكان مرض السلطان هو أحد الاسباب الحاملة للفرنج على هذه الحركة منضمها الى كثيرهم وشدة الغلاء والحدب عليهم

﴿فصل ١٠﴾ في وقعة الكمين وغيرها ودخول البديل الى عكا قال العماد لما كان يوم الجمعة الثاني والعشرون من شوال انتخب السلطان من اجداده عدده وكثر لهم العدده وأمرهم أن يكمثروا في سفح تل هوشمالي عكا بعيد من عسكر العدو بقرب المنزلة العادية القديمة عند الساحل فكمثروا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركب منهم عدة يسيرة وساروا نحو الفرنج وصالوا عليهم وأغاروا فاستقبلهم الفرنج فخرج اليهم زهاء أربع مائة فارس هكذا قال العماد في البرق وقال في الفتح مما تناقضا طرأ وكذا قال ابن شداد ما ثنا فارس وطمعوا في المسلمين فتأخروا قدامهم قليلا قليلا حتى أوصلوهم الى الكمين فخرج عليهم أسد العرين وقتلوا وأسروا واستولوا عليهم بأسرهم فلم ينج منهم ناج ووقع في الاسر مائة من أكارهم منهم خازن الملك وجماعة من الافرنسية وركب السلطان فرح بهذه البشارة ووقف على تل كيسان وقد توافقت اليه الاسرى والاسلاب فترك الاسلاب والخيول لأخذها وكانت مقومة بأموال عظيمة فأغارها ظرفا ولا ترد أمره فيها وجلس وأحضر الاسرى وبأسطهم وأطعمهم وكساهم وأذن لهم في أن يسيروا غلمانهم لأحضار ما يريدون أحضارهم ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقالة قال القاضي ابن شداد ولما هجم الشتاء وهاج البحر وأمن العدو ومن أن يضرب مصاف وان يببالغ في طلب البلد وحصاره من شدة الامطار وتواترها أذن السلطان للعساكر في العود الى بلادها ليأخذوا نصيبا من الراحة فسار عماد الدين صاحب سنجار خامس عشرى شوال وعقبه ابن أخيه صاحب الجزيرة بعد أن أفيض عليهم من التشريف والانعام والتحف ما لم ينعم به على غيرهما وسار عماد الدين ابن صاحب الموصل في أول ذي القعدة مشرفا مكرما وسار الظاهر في المحرم سنة سبع وتبقى الدين في صفر منها ولم يبق عند السلطان الا نفر يسير من الامراء والحلقه الخاصة قال العماد واشتغل السلطان بادخال البديل الى عكا وحل المير والذخائر وأخرج من كان بهما من الامراء لعظم شكايته

## في أخبار (١٨١) الدولتين

من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر وملازمة القتال ليلًا ونهارًا وكان مقدم البديل الداخل من أمراء سيف الدين المشطوب دخل في سادس عشر المحرم سنة سبع وفي ذلك اليوم خرج المقدم الذي كان بها وهو الأمير حسام الدين أبو الهيجاء وأصحابه ومن كان بها من الأمراء ودخل مع المشطوب خلق من الأمراء واعيان من الخلق وتقدم إلى كل واحد أن يصحب معه ميرة سنة كاملة وانتقل العادل بمسكوكه إلى حيفا على شاطئ النهر وهو الموضع الذي نجل منه المراكب وتدخل إلى البلد وأخرجت تخرج إليه فأقام ثم بحث الناس على الدخول وتحرس المبر والذخائر ثلاثين طرقت إليها من العدو ومن يتعزضها وكان مما دخل إليها سبع بطس مملوءة ميرة وذخائر ونفقات كانت وصلت من مصر وكان دخولها يوم الاثنين ثاني ذي الحجة فانكسر منها مراكب على الصخر الذي هو قريب الميناء فقلبت كل من في البلد من المقاتلة إلى جانب البحر ليلقي البطس وأخذ ما فيها وما علم العدو انقلاب المقاتلة إلى جانب البحر اجماعًا في خلق عظيم وزحفوا على البلد من جانب البرز حفة عظيمة وقاربوا الاسوار وصعدوا في سلم واحد فاندق بهم السلم كما شاء الله تعالى وأدركهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا عظيما وعادوا خائبين خاسرين وأما البطس فان البحر هاج هيجانًا عظيما وضرب بعضها ببعض على الصخر فهدكت وهلك جميع ما كان فيها وهلك فيها خلق عظيم قيل كان عددهم ستين نفرا وكان فيها ميرة عظيمة لوسلت لكفت البلد سنة كاملة ودخل على المسلمين من ذلك وهن عظيم وخرج السلطان لذلك حرا شديدا وكان ذلك أول علامة أخذ البلد وقال العادل ما دخل الشتاء وعصفت الالهواء ووقع في سفن الفرنج الكسر أنفسهم والجزائر لا حتمياط وخافوا عليها من اختباط البحر وقال في الفتح نقل الفرنج سفنهم خوفا عليها إلى صور فربطوها بها فخلوا وجه البحر من مراكبهم وحصل الامن فيه من جانبهم وكان أصحابنا في البلد قد ملوا فشدوا ضررهم وخبرهم وكانوا زهاء عشرين ألف رجل من أمير ومقدم وجندى واسطولى وبحرى ومتعيش وتاجر وبطال وغلمان ونواب وعمال وقد تعذر عليهم الخروج فرأى السلطان أن يفسخ لهم فيه رفقا بهم ورأفهم وما أفكر أن في ذلك مخافة وآفه واشير على السلطان بترتب البديل وتكفل العادل بذلك وانقل تخيمه إلى سفح جبل حيفا فاقطع النهر وتقدم يجمع السفن للنقل واجتمع المنتقلون بالساحل على الرمل فيمنجز أمره انتقل وكان الرأي ازالة علة المقيمين فانهم قد جربوا وصبروا وخبروا وهم كنفس واحدة وكانوا في ثروة وكرم ونخوة وفهم أبو الهيجاء السمين وله اتباع وأشباع وله في شرع السماحة اقتداء بالسلطان وأوضاع ولعله أنفق من ماله في تلك السنة خمسين ألف دينار فلما فسخ لهم في الانتقال لاجل الاستبدال انتشر ذلك الضم وانتشر ذلك النظم ودخل إلى عكا من لم يجز حصارها ولم يخبر منافعها ومضارها وما ثبت من كان مقيم بها الا امير بها الدين قراقوش ودخل عشرين مقدما وأميرا شبه المذكورين عوض ستين واستخدمت الرجال وأنفقت الاموال وتفاوت الداخلون والخارجون فلاحرم وقع الوهن وقضى الامر وتكفل بالداخلين المشطوب وضاع الزمان وتعذر الامكان يعود مراكب العدو فلم يستتم البلد ما كان يحتاج اليه من الرجال والاموال فان كل من غير للدخول كرهه وصار يتوسل في ان يعفى ويبذل في نفسه الفداء ثم لما حقت كلمة الدخول على من تعين له استهلوا زمانا ينتهيون فيه للدخول ولا نفاذ قضاء الله تعالى أسباب لا بد من وقوعها

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال العادل في ليلة سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فانثلم الثغرو بادار الفرنج اليها فجاء أهل البلد وسدوها بصدورهم وفاتلوا عنها إلى ان بنوها وعادت أقوى مما كانت وفي ثاني ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان وكندكبير يقال له كند بنياط وممرض الكندهرى وصار يموت من الفرنج كل يوم المائة والمائتان وخن الفرنج على ابن ملك الالمان خزانة عظيمة واشعلوا نيرانها ثمالة بحيث لم تسبق خيمة الاشتعل فيها النار ان والسلاطة بحيث بقي عسكرهم كله ماراتقد وحصل للمسلمين غنائم أخر كثيرة في سرايسريه وأساطيل بحريه ومن جملة ذلك ملوطه مكللة بالولؤ منوطه وبازرار الجوهر منوطه قيل انها من ثياب ملك الالمان وكان قد استأمن من الفرنج خلق عظيم أخرجهم الجوع اليها فوالوا للسلطان نحن نخوض البحر في براكس ونكسب من العدو ويكون الكسب بيننا وبين المسلمين فأذن لهم في ذلك وأعطاهم مراكبهم وكوسا وهو المركب الصغير فركبوا فيه ووظفوا براكب لتجار العدو بضائعهم معظمها فضة مصوغة وغير مصوغة فأسروهم

## كتاب (١٨٢) الروضتين

وكبسوهم وأحضر وهم بين يدي السلطان فأعطاهم السلطان جميع ما غنموه قال العماد فلما أكرموا بهذه المكرمة انشوا على اليد المنعمه وأسلم منهم شطرهم وأحضر وامانة فضة عظيمة وعليها مكتبة عالية ومعها طبق مماثلها في الوزن ولوزنت تلك الفضيات لقاربت قنطارا فأغارها السلطان طرفه احتقارا قال واستشهد في عكاسبعة من الأمراء منهم الأمير سوار والتي في هذه السنة شواني المسلمين بشواني الفرنج في البحر فأحرقت للكرشواني برجلها وكان عند العود تأخر لنا شيتي مقدمه الأمير جمال الدين محمد بن ارككز فأحاطت به مراكب العدو فتواقع ملاحوه الى الماء وسلموه الى البلاء فقتل وصبر فعرضوا عليه الامان فقال ما أضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير فلا يخاطر الخطير الا مع الخطير فجاء اليه المقدم الكبير ووطن انه قد حصل له الاسير فعاقره وعانقه وقوى عليه وما فارقه ووتعا في البحر وغرقا وترافعا في الحمام واتفقا وعلى طريق الجنة والنار افترقا واستشهد ايضا الأمير نصير الحميدي قال وفي تاسع جمادى الاول قتل القاضي المرتضى بن قريش الكاتب في خيمته قتله شريك له في دار بنابلس أراد على بيعه واخرج من خيمته فوجد قاضي نابلس فقتله وضربه وما أمهله ومرا ليجو فأدرك وضرب بعمود خيمة فأهلك واستكتم السلطان أخا المستشهد مكانه فلم يبلغ في الاحسان ميدانه قال وفي هذه السنة ورد كتاب سيف الاسلام أخى السلطان من اليمن يذكر استيلاءه على صنعاء واستنابة ولده شمس الملوك فيها قال ووصل القاضي الفاضل من مصر الى المعسكر المنصور في ذي الحجة وكان السلطان متسوقا للقدومه وطالت مدة البين لغيابته عنه سنتين على ان أمور الملك بمصر كانت بحضوره مستتبه وقد جمع الملك العزيز بمقامه هبة ومحبه وكان السلطان شديد الوثوق بمكانه دائم الاعتماد والاستناد على احسانه والى اركانه فان استقدمه خاف على ما ورأه من المهام وان تركه نال وحشة التفرد بالقضايا والاحكام وكان يكتبه بشرح الاحوال يستشيره والنجا بون مترددون بالمكاتبات والمخاطبات والاستشارة في المهمات فوصل الى القدس واعتاق بنو الامطار ثم وصل في ذي الحجة ورجع الفضل واجتمع الشمل واستأنس الملك بصاحب تدبيره وتأسس ركنه برأى مشيره فلت وفي جمادى الاولى من هذه السنة توفى بالموصل فاضى الفضاة محي الدين أبو حامد محمد بن قاضى القضاة كمال الدين بن الشهرزورى وقد أنشئ العماد الكاتب عليه في الخريدة ثناء كثيرا وأنشده اشعارا حسنة منهاني التوحيد

قامت بآيات الصفات أدلة \* قصمت ظهور أئمة التعطيل  
وطلائع التنزيه لما أقبلت \* هزمت ذوى التشبيه والتثيل  
فالحق ما صرنا اليه جميعنا \* بآلة الاخبار والتثليل  
من لم يكن بالشرع مقتديا فقد \* ألقاه فرط الجهل في التضليل

وله في مدح الصحابة رضى الله عنهم

لا تمس في هوى الصحا \* بة ارجع الى سقر \* لا بلغت المنى ولا \* نلت من رفضك الوطر  
كيف تنهى عن حب اقوا \* هم السمع والبصر \* وهم سادة الورى \* وهم صفوة البشر  
فأبو بكر المقعد دم من بعده عمر \* ثم عثمان بعده \* وعلى على الاثر  
أيها الرافضى حسبك فالحق قد ظهر

ثم دخلت سنة سبع وثمانين \* ففيها وصل الى الفرنج ملك افرنيس وملك انكليزية وغيرها وأخذت عكا يسر الله فتحها قال العماد والغم في هطلانه والبحر في هيجانه والسلطان مقيم بخيمه على شفرعم ولطف الله به قد خص وعم والعماد مخيم قاطع نهر حيفا على الرمل وسفن البذل الى عكا في البحر متصلة السبل والفرنج مستمرين على الحصار متحزون من الاصحار ونوب الزك راتبه ووظائف الجهاد ومواظبه ووصل من الديوان العزيز مثال ومعه مكاتبة للملك الافضل وفيها اكرام واجلال وفضل وافضال وفي ثالث صفر رحل تقي الدين لتسلم البلاد التي أضيفت اليه شرقي الفرات وكان له بالشام المعره وحماه وسلميه وجبله واللاذقيه وبالجزيرة ديار بكر وحران والرها والموزر وسميساط وضياعها وميفارقين وحصونها واعمالها وقلاعها وسار على انه يرجع عن قريب فأبطأ وتشتت الى افتتاح ما يجاوره من البلاد وسار الى ميفارقين فكان السلطان ينسب ما جرى من استيلاء الكفار على

## في أخبار (١٨٣) الدولتين

عكا بعد قضاء الله تعالى الى غيبته فانه تأخرت عساكر تلك البلاد الشرقية لخوف مضرتة وجور مجاورته وسأني ذكر وفاته في آخر السنة ووصل كتاب المجاهد أسد الدين شيركوه انه أغار على جيش الفرنج بطرابلس فاستاقه ولم يطق الكفار لحاقه واقطع لحاصنه منه أربع مائة رأس تلف في الطريق منها أربعون وغنم ابقار وغنما وأنفذ للعماد منها بغلة وذلك رابع صفر وفي ليلة هذا اليوم ألقى الفرنج مراكب العدو على الزيب فكسرتة وكان فيه خلق عظيم منهم ففرق بعضهم وأسرى بعض وفيهم امرأتان سينا وفي ليلة أول ربيع الأول خرج أصحابنا من البلد وحجموا على العدو وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم من خيمهم جمعاً عظيماً منهم اثنتا عشرة امرأة وفي ثالث ربيع الأول كان الزيب للحلقة السلطانية وخرج اليهم من العدو خلق وجرى بينهم وقعة شنيعة وقتل فيها من العدو جماعة منهم مقدم كبير ولم يبق من المسلمين الا خادم رومي صغير عثر به في الحلة فرسه يسمى قراقوش وكان شجاعاً له وقعات وفي تاسع ربيع الأول بلغ السلطان ان العدو يخرج منه طائفة للاحتشاش فأمر العادل أن تكن بالعسكر خلف التل الذي كانت فيه الوقعة المعروفة وسار هو فكن وراء تل العياضية ومعه من أولاده الصغار والقاضي الفاضل وانذر الفرنج فلم يخرج منهم احد ووصل في اثناء ذلك اليوم خمسة وأربعون اسيراً من الفرنج أخذوا في بيروت فيهم شيخ كبير هرم لم يبق في فقه ضرر ولم يبق فيه قوة الا مقدار ما يتحرك فسأله عن مجيئه فقال للحج الى قامة وبينى و بين بالادي مسيرة أشهر فرق له وأطلقه واعاده الى العدو ركباً على فرس وطلب أولاده الصغار ان ياذن لهم في قتل اسير فلم ياذن وسئل عن ذلك فقال لثلاث اعتادوا من الصغر سفك الدم ويهون عليهم وهم الآن لا يغرقون بين المسلم والعسكر ثم لما اقبل الريع تواف العساكر وفاء جموعها فوصلت في شهر ربيع الأول فأول من قدم الامير علم الدين سليمان ابن منذر صاحب قلعتي عزاز وبغراس وهو شيخ له رأى وتجربته ومنزلة كبيرة ومربته والملك الابجد صاحب بعلبك وبدر الدين مودود والى دمشق في رجالهم وابطالهم وفي كل يوم يقدم امير بعد امير والله يتولى التسيير وكان قد شاع الخبر بأن ملوك الفرنج واصلون وهم حاشدون حافلون فوصل ملك افرنسيس فليب في عدة من عبدة الصليب ثاني عشر ربيع الأول في ست بطس عظام مملوءة بفوارس ذوى اقدام فقلنا ما جل الماء الا اهل النار وما اجلب للدواب الا الدبار وكان عظيماء عندهم من كبار ملوكهم يتقادون له بحيث اذا حضر حكم على الجميع وما زالوا يتواعدونابه حتى قدم وصحبه من بلاده بازعظيم عنده هائل الخلق ايضاً النور نادر الجنس وكان يعزه ويحبه جباة عظيماء فطار من يده حتى سقط على سور عكا فاصطاده اصحابنا وأنفذوه الى السلطان وبذل الفرنج فيه ألف دينار فلم يجابوا قال القاضي بن شداد ولقد رأيته وهو يضرب الى البياض مشرق اللون ما رأيت بازياً أحسن منه قال العماد وكان مع هذا الملك باز أشهب كآء عنده رساله باز تلهب ففارقه يوم وصوله بحيث يحجز عن حصوله وكان في ظن الفرنج انه يقدم في جمع جم فلما رأوا جوعه قايلاً سقط في أيديهم فوعدهم بالمدم خلفه قال القاضي وقدم بعده كندفريو وكان مقدماً عظيماء عندهم مذكورا كان حاصر حماه وحارب عام الزملة وفي ثاني عشر ربيع الآخر وصل كتاب من الملاحية ان جماعة من المستأمنين نزلوا ناحية من جزيرة قبرس في عيد لهم وقد اجتمع جمع كبير في بيعة قريبة من البحر وانهم صلوا معهم صلاة العيد فلما فرغوا من الصلاة ضربوا على كل من كان في البيعة من الرجال والنساء عن آخرهم حتى القيس وحملوهم الى امرا كبيرهم وساروا بهم الى اللاذقية وكان فيهم سبع وعشرون امراً وكانوا قد اغلقوا باب الكنيسة عليهم ليأمنوا فلاتهم وأسروهم بأسرهم وكنسوا جميع ما في الكنيسة من الامتعة والاعلاق النفيسة واقتسموها فوصل الى كل واحد على ما قيل أربع آلاف درهم من الفضة النقرة كذا في كتاب القاضي وقال العماد في الفتح وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم أربع مائة درهم وهم جماعة من العسكرية على غنم العدو فأخذوها وكان عددها مائة وعشرين رأساً وكتبوا في طلبها بأسرهم بخيلهم ورجلهم في أثرهم فلم يظفروا بباطل ولم يرجعوا بحاصل قال العماد كان عز الدين سامة متولى بيروت ولم يكن لماركب العدو بمن الجواز بها أو بقرىها واذا عبرت أخذت وان كانت مستعدة لخرابها فغنم هو ورجاله مغانم خلدت له ادخار الغني وكثرت في البحر غزواته ووصل ملك الانكليزية الى قبرس في السادس والعشرين من ربيع الآخر واشتغل بها عن الوصول الى عكا حتى أخذها عنوة من صاحبها وكانت مقدمات سفنه قد وصلت فاستولى سامة على

## كتاب (١٨٤) الروضتين

خمس منها ملوثة رجالا ونساء وأموالا وخيلا وكان في الزيب وهو شحالي عكا طائفة من المسلمين يجهبون السفن الداخلة الى عكا ويقطعون الطريق على الفرنج قال القاضي وكان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام العدو فيسر قون منهم حتى الرجال ويخرجون فأخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر فلما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور في طول تلك الليلة حتى وصل خبرها الى ملوكهم فقالوا لها ان السلطان رحيم القلب وقد أدناك في الخروج الى عكا فخرجي واطلبيه منه فإنه يرده عليك فخرجت تستغيث الى اليزك الاسلحي واخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأنفذوها الى السلطان فأنته وهو راكب على تل الخروبة وأنا في خدمته وفي خدمته خلق عظيم فبكيت بكاء شديدا وصرعت وجهي في التراب فسأل عن قصتها فأخبروه فرق لها ودعمت عينه وأمر باحضار الرضيع فوضوا ووجدوه قديس في السوق فأمر بدفع ثمنه الى المشتري وأخذ منه ولم ينزل واقعة رجة الله عليه حتى أحضر الطفل وسلم اليها فأخذته وبكيت بكاء شديدا وضمتها الى صدرها والناس ينظرون اليها ويبكون وأنا واقف في جملتهم فأرضعته ساعة ثم أمر بها فحملت على فرس وألحقت بعسكرهم مع طفلها قال فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس الانس اللهم انك خلقتهم رحما فارحمه رجة واسعة أمين قال وفي ذلك اليوم وصل ظهير الدين ابن البكر كرى وكان مقدما من أمراء الموصل وصل مفارقه لهم طالبا خدمة السلطان

(فصل) في مضايقة العدو وخذله الله لعكا يسر الله فتحها واستيلائهم عليها قال العمدة لما كان يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف الفرنج الى عكا ونصبوا عليهم اسبعة مجانيق ووصلت كتب من عكا الى السلطان بالاستنفار العظيم والتماس شغل العدو عنهم فركب السلطان بعسكره وكان هذا دأبه معهم كلما بناوا البلد ناهبهم فاذا زحف اليهم رجعوا عن الحصر واذا رجع عنهم عادوه وكان علامة يمين السلطان وأهل البلد انه متى زحف الفرنج عليهم دقوا كؤسهم فتدق كؤس السلطان اجابة لهم واستبعد السلطان منزله فتحوّل الى تل العياضة ناسع جمادى الاولى ووصل ملك الانكليزية في عشر جمادى الاولى من قبرس ومعه خمس وعشرون قطعة وهو في جمع شاك وجزاك قبلى الثغر منه بغير البلاء الا فى هذا ومجانيق الكفر على الوغى مقيمة وللرمي مديدة وتكن الفرنج بهما من الخندق قد نوا منه دنوا لمخنق وشروعوا في هجمه واسرعوا الى طمه وداموا يرمون فيه جثث الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم ويحلقون اليه موتاهم وأصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد انقسموا فرقتين واقربوا قسمين ففريق ينقى الخندق وما ألقى فيه وفريق يقارع العدو ويلاقيه قال القاضي ولقد بلغ من مضايقتهم البلد ومباغتتهم في طم خندقه انهم كانوا يلقون فيه موى دوابهم وكانوا اذا جرح منهم واحد جراحة مشخنة ميسة القوة فيه وانقسم أهل البلد اقساما قسم ينزلون الى الخندق ويقطعون الموى والدواب التي يلقونها فيه قطعها لسهولة نقلها وقسم ينقلون ما يقطعونه ذلك القسم لا يلقونه في البحر وقسم يذبون عنهم ويدافعون حتى يتمكنوا من ذلك وقسم في المنجنيقات وحراسة الاسوار وأخذ منهم التعب والنصب وتواترت شكايته من ذلك قال وهذا ابتلاء لم يبدل به أحد ولا يصبر عليه جلد هذا والسلطان رحمه الله ويقطع الزحف عنهم والمضايقة لهم على خنادقهم بنفسه وخوابه وأولاده لا ينهارا حتى يشغلهم عن البلد وصوربوا منجنيقاتهم الى برج عين البقر وتواترت عليه أبحار المنجنيقات ليلا ونهارا حتى أثرت فيه الاثر البين وكلما ازدادوا في قتال البلد ازداد السلطان في قتالهم وكبس خنادقهم والمجموع عليهم ودام ذلك حتى وصل ملك الانكليزية قال وفي السادس عشر جمادى وصلت بطسة من بيروت عظيمة هائله مشحونة باللات والمير والرجال والابطال المقاتلة وكان السلطان قد أصر بتعبته في بيروت وتسميرها ووضع فيها من المقاتلة خاقا عظيما حتى تدخل الى البلد من الغمة للعدو وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا فاعترضها ملك الانكليزية الملعون في عدة شواقي قيل انها كانت أربعين قطعة فاحتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها وجرى القضاء بأن وقف الهواء فقاتلوا قتالا شديدا وقتل من العدو عليها خلق عظيم وأحرقوا على العدو شائبا كبيرا فيه خلق كثير فهلكوا عن آخرهم وتكاثروا على أهل البطسة وكان مقدمهم رجلا جيدا شجاعا مجتربا في الحرب اسمه يعقوب من أهل حلب فلما رأى امارات الغلبة عليهم قال والله لا تقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئا فوقعوا في البطسة من جوانبها بالعاول يهدمونها حتى فتحوها من جانب أبو بافامتسلات ماء وغرق جميع من فيها

وما فيها من الآلات والبر ولم يظفر العدو منها بشئ أصلا وتلف العدو بعض من كان فيها وأخذوه الى الشوانى من البحر وخلصوه من الغرق ومثلا به وأنفذوه الى البلد ليخبرهم بالواقعة وحن الناس لذلك حزنا شديدا والسلطان يتلقى ذلك بسد الاحتساب في سيدل الله تعالى والصبر على بلائه قال وكان العدو والمخذول قد صنع دبابه عظيمه هائلة أربع طبقات الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من الححاس وكانت تعمل على السور ويركب فيها المقاتلة وخاف أهل البلد منها خوفا عظيما وخذت منهم نفوسهم بطلب الامان من العدو وكانوا قد قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور الا مقدار خمس أذرع على ما نشاهد وأخذ أهل البلد في تواتر ضربها بالنفط ليس الا ونهارا حتى قدّر الله تعالى حريقها واشتعال النار فيها وظهر لها ذؤابة نار نحو السماء واستمدت الاصوات بالتكبير والتهليل ورأى الناس ذلك جبر الدلك الوهن ومحو لذلك الاثرو نعمه بعد نعمة وايضا بعد بأس وكان ذلك في يوم غرق البطسة قال العماد فكان ذلك تسميتا لتلك العطسه ثم جرى بعد ذلك عدة وقعات في هذا الشهر وهو جادى الاولى وهجم المسلمون خيم العدو ونهبوها ووصل رجل كبير من أهل ما زبدان يريد الغزاة فوصل والحرب فائمة فحمل حمله استشهد فيها في تلك الساعة ولم ترل الاخبار واصل من أهل البلد باسمه خال أمر العدو والشكوى من ملازمتهم قتالهم ليس الا ونهارا وذكر ما يالههم من الذب العظيم من تواتر الاعمال المختلفة عليهم من حين قدوم الاكتتيرى الملعون ثم مرض مرضا شديدا الشفى فيه على الهلال وجرح الفرنسيس ولا يزيدهم ذلك الا أصرا راعته وأوهره الى السلطان خادمان ذكر انهم لما اخت ملك الانكبتيرة واما ما كان يكتمان ايمانها وعملها السلطان وأكرمها وهرب أيضا الماركيس منهم الى صور وكان قد استسعر منهم أن يخرجوا ملكها عن يده قال العماد في البرقى ولما أعوزت الفرنج الخيل وأعجزتهم تفاصيل تدابيرهم والجلل وذلك ان ابرجتهم الحسبية احرقت وستائرهم ودباباتهم وبكاشهم وزعت ومنعت ومزقت أقاموا قدام خيامهم صوب عكنا نلامم التراب مسنطلا ورفعوه كتيبة امهلا ثم تقاضوه وحولوه وكانوا بقصون وراءه ويحشون الى قدامه ترابه ويقربون الى قرب البلد رفايه فهم من خلفه من النكايات محجوبون يسبون ويذبون ويذرون الحارب الزبون والتمل المتحول الى البلد قد أعيا على أهل الجملد لا تعمل فيه النار ولا يصل الى دفعه الافتدار حتى صار من المدينة على نصف غلوة سهم ويرى بكل جره ورجم فايزيدى كل يوم الاثرا وما يجترى كل وقت الا خطبة او حريا وكان الاصحاب يخرجون من البلد اليه ويقاثلون عليه ويظفون بحول الله حواليه ومن كتاب فاضلى الى الديوان (ما قطع الخادم الخدم الا انه فداضحروا سأم من المطالعة بخير هذا العدو الذى قد اسمحل أمره واستسمره فان الناس ماسمعوا ولا رأو اعدوا حاصرهم حصورا عامرا مغمورا قد تحصن بخنادق بمنع الجائر من الجواز ويعوق الغرض عن الاتهاز ولا تقصر عدتهم عن خمسة آلاف فارس ومائة ألف راجل وقد أفنأهم القتل والاسر واكثهم الحرب ولقمهم النصر وقد أمدهم البحر بالبحار وأعان أهل النار واجتمع في هذه الجوع من الجيوش الغرسة والالسنه الانجميه من لا يحصر معدوده ولا يصور في الدنيا وجوده فحأحفهم يقول أبى الطيب

تجمع فيه كل اس وأمة \* فانيهم القديس الا التراجم

حتى انه اذا أمر الاسير واستأمن المستأمن احتج في فهم لغته الى عدته تراجم ينقل واحد عن آخر ويقول ثان ما يقول أول وثالث ما يقول ثان والاصحاب كلوا وملوا وصبروا الى ان عجزوا وتجلدوا الى ان تبلدوا والعساكر التي تصل من المكان البعيد لا تصل الا وقد كل ظهرها وقل وفردا مضى قبال يكارس صدرها ولا تسعج الا يطلب الدستور ويصير ضجيرها مضرا بالسمعة عند العدو والمخذول ولهم قاتله الله تعالى وعى المكائد فانهم فتلوا مرة بالابرجه وأخرى بالمنجنيقات وردافة بالدبابات وبابعة بالكباش وآونة باللوب ويوم بالنقب وليلا بالسرابات وطورا بظم الخنادق وآنا بصب السلام ودفعه بالزحوف فى الليل والنهار وما فى البحر بالراكب ثم شرعوا فاقاموا فى وسط خيامهم حائطا مستظلا يشبه السور من التراب ونلا لا تشبه الابرجه مدورة ورفعوها بالاخشاب وعالوها بالحجارة فلما كملت اخذوا التراب من رانها ورموه قدامها وهم يتقدمون أول أول وترتفع حلالا بعد حال حتى صارت منه كنصف غلوة سهم وقد كان الحجر والنار تؤثران فى أبرجة الخشب وهذه ابراج وستائر للرجال والمنجنيقات

من العطب لا تؤثر فيها الحجارة الرامية ولا تعمل فيها النار الحامية) قال ووصل في آخر جمادى الاولى من العساكر الاسلامية مجاهد الدين برتقش ومعه عسكر سنجار وفي ثاني جمادى الآخرة ابن صاحب الموصل وجماعة من أمراء مصر والقاهرة كعلم الدين كرجي وسيف الدين سنقر الدوي وغيرهما من الاسدية والناصرية وأما عساكر ديار بكر فانهم تأخروا واعتذروا بالخوف من جوار تقي الدين وكان قد تعرض للسويدا وغيره واصعب ذلك على السلطان وقال هذا من عمل الشيطان وفي مثل هذا الوقت يتعرض لهذا المقت وأنا أخاف عليه في هذه السنة حيث أساء عندما كان الحسنه وأستدمرض الانكسار بحيث شغل الافرنج برضه عن الزحف وكان ذلك خديعة من الله عظيمة فان البلد كان قد ضعف من فيه ضعفا عظيما وهدمت المنجنيقات من السور مقدار قامة الرجل فكان في هذه الفترة للبدن بقاء رمق وزوال فرق وانتعاش عثره والتجبار كسره قال القاضي واللصوص يدخلون عليهم الى خيامهم ويسرقون أمستهم ونفوسهم وبأخذون الرجال في عافية بأن يجشوا الى الواحد وهو نائم فبضعوا على حلقه السكين ويوقظونه ويقولون له بالأسرار ان تكلمت بجهنك ويحملهون ويخرجون به الى عسكر المسلمين وجرى ذلك مرارا كثيرة ثم تكررت الرسائل من الفرنج الى السلطان شغلا لا وقت بالاطائل تحتته منها ان ملك الانكسار طلب الاجتماع به ثم فتر بعده أياما ثم جاء رسوله يطلب الاستئذان في اهداء جوارح جاءت من البحر ويزكر انها قد ضعفت وتغيرت وطلب أن يحمل لها دجاج وطير تأكله لتقوى ثم مهدى ففهم انه يحتاج الى ذلك لنفسه لانه حديث عهد برض ثم نفذ أسير المغرب باعده فاطلعه السلطان ثم أرسل في طلب فاكهة وتلج فأرسل اليه ذلك وكان غرضهم من ذلك تفتتير العزيمات وتضييع الاوقات على المسلمين وهم مستغلون بالحضر وموالاة الرمي والجدي في الزحف حتى تبدلت قوة البلد بالضعف وتحلل السور وانتهك السور والسهر أهل البلد لهذا عدد دم وكثرة الاعمال عليهم حتى ان جماعة منهم بقوا الى عدة لا ينامون أصلا لئلا يولاهم العدو وعدد كثير يتناوون على قتالهم واشتد ذلك عليهم سابع جمادى الآخرة فركب السلطان بالعسكر الاسلامى ورغبهم ونحاهم وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيها العسكر وجرى قتال عظيم وهو كالوادة الكلى يحرك فرسه من طلب الى طلب ويحث الناس على الجهاد وينادى بنفسه بالاسلام وعيناه قد فارت بالدمع وكلما نظر الى عكا وما حل بهما من البلاء وما يجري على من بها من المصائب العظيم اشتد في الزحف والحث على القتال ولم يضع في ذلك اليوم طعاما البتة وانما شرب شيئا أشربه الضبيب ولما هجم النبل عاد الى الخيم وقد أخذ منه التعب والكآبة والحزن ثم ركب سحرا وصبحوا على ما أمسوا عليه وفي ذلك اليوم وصلت مطالعة من البلدي يقولون فيها ان قد بلغنا العجز الى غاية ما بعد هذا التسليم ونحن في الغد ان لم نعمل لوما معنا شيئا نطلب الامان ونسلم ونشتري محرروا فانا وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم فان عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ومشق وحلب ومصر أيضا فرأى السلطان مهاجمة العدو فلم يساعده العسكران الرجال من الفرنج وقفوا كالسور المحكم البناء بالسلاح والزورك والنساب من وراء أسوارهم وهجم عليهم بعض الناس من بعض اطرافهم فببتوا وبوا غاية الذب وحكى بعض من دخل عليهم أسوارهم انه كان هناك واحد من الفرنج صعد سور خندقهم وجماعة ينالون الحجارة وهو يرهب على المسلمين ووقع فيه زهاء خمسين شهيدا وجرا وهو يتلغها ولم يمنعه ذلك عما هو بصدده من الذب حتى ضرب به زراق بنفط فاحرقه ورؤيت امرأة عليهم ملوطة خضراء فمازالت ترمي بقوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت وجعلت الى السلطان فحجب من ذلك ولم يرل الحرب الى الليل وضعت نفوس أهل البلد وتمكن العدو من الخنادق فلو وهوا وقتوا سورا البلد وحشوه وأحرقوه فوقعت بدنة من الباشورة ودخل العدو اليها وقتل منهم في زهاء مائة وخمسين نفسا وكان منهم ستة أنفس من كبارهم فقال لهم واحد منهم لا تقتلون حتى أرحل الفرنج عنكم بالكلية فبادر رجل من الاكراد وقتله وقتل الحسة الباسية وفي الغد باداهم الفرنج احفظوا السنة فانطلقكم كلكم بهم فقالوا انا قد قتلناهم ففرن الفرنج وبطوا عن الزحف ثلاثة أيام وخرج سيف الدين المسطوب بنفسه بأمان الى ملك الافرنسيس وهو كان مقدم الجماعة في الرتبة وقال له انا قد أخذنا منكم بلاد أعداء وكانهمدم البلد ودخل فيه ومع هذا اذا سألونا الامان أعطيناهم وحملناهم الى ما منهموا كرمناهم ونحن نسلم البلد وتعملنا الامان على أنفسنا فقال أرى فيكم رأيا فأغظله



المشطوب القول وانصرف عنه ولما دخل المشطوب بهذا الخبر خاف جماعة من كان في البلد فأخذوا لهم ركوسا وهو مركب صغير وركبوا فيه ليلا خراجين الى العسكر الاسلامي منهم عز الدين ارسل وحسام الدين تمر تاش بن الجاولي وسنقر الوشاتي وهومن الاسدية الاكابر وذلك في ليلة الخميس تاسع جادى الآخرة فاما ارسل وسنقر فتغيبا خوفا من السلطان وأما ابن الجاولي فظفر به ورمى في الزردخانات وكان شابا أول مات وفي والده فاقطع السلطان اقطاعاتهم وقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهها ولمنعها وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية فشفع فيه على انه يضمن على نفسه العودة فعاد من ليلته ووقع بعد ذلك في الاسار واستفكه السلطان بعد سنة بشان مائة دينار ومن كتاب الى صاحب اربل مظفر الدين (لما عين أصحابنا بالبلد ما هم عليه من الخطر وانهم قد أشفوا على الفرر فرجاعة من الامر انهم قل بالله وثوقه وأعنى قلبه بخوفه وفسوقه ولقد خانوا المسلمين في نعرهم وباؤا بويل غدرهم وما قوى طمع العدو في البلد الا اهر بهم وما أربى قلوب الباقين من مقاتلتهم الارهمهم والمقيمين من أصحابنا الكرام قد استحلوا مآثر الحماة وأجمعوا انهم لا يسمون حتى يقتلوا ومن الاعداء أضعاف اعدادهم وانهم يبدلون في صوت نعرهم غاية اجتهادهم وكانوا يتحدوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا فصرر وابتعد ذلك وصابر وامتدوا أيديهم في القوم وبسطوا فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقيب والله تعالى يسهل تنفيس ما هم فيه من الكروب) قال القاضي وفي سحرة تلك الليلة ترك السلطان مشعر الله يريد كس القوم ومعه المساحي وآلات طام الخنادق فمساعدته العسكر على ذلك ونخلوا وقالوا نخاطر بالاسلام كله وفي ذلك اليوم خرج من عند ملك الانكبترة رسل ثلاثة طلبوا فاكهة وثجا وذكر وان مقدم الاستتارية يخرج في الغد يعني يوم الجمعة يتحدث ويتحدثون معه في معنى الصلح فأكرمهم السلطان ودخلوا سوق العسكر وتفرجوا فيه وعادوا تلك الليلة الى عسكرهم وفي ذلك اليوم تقدم الى قايماز النجوى حتى يدخل هو وأصحابه الى أسوارهم عليهم وترجل جماعة من أسوار الاكراد كالجناح وأصحابه وهو أخو المشطوب ولعيقهم وزحفوا حتى بلغوا أسوار الفرنج ونصب قايماز علمه بنفسه على سورهم وفاتل عن العلم قطعة من النهار وفي ذلك اليوم وصل عز الدين جريدك النورى وسوق الزحف فائمة فترجل هو وجماعته وقاتل قتالا شديدا واجتهد الناس في ذلك اليوم اجتهادا عظيما قال العماد وبات العسكر تلك الليلة على الخيل تحت الحديد منتظرا النجى الامل البعيد ولما عرف السلطان انه لاسلامه وان عكا عذمت الاستقامه نفذ الى جماعة عكاسرا وقال لهم خذوا من العدو وحذرا واتفقوا واخرجوا ليلامن البلديا واحدة وسيروا الى جانب البحر وصادموالعدوبالقهر وخلصوا البلد بما فيه وأتركوه بما يحويه فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه ولم يعلم ان التهاء به يملكه فاستمكنا من المراد حتى اسفر الصباح ولم يصح ذلك في الليلة الثانية لمصير السراى العلانية قال ولوصح ذلك لنجى المقصد لكن الفرنج اطاعوا على هذا السر فسر الجوانب والابواب وكان سبب علمهم ان اثنين من غلمان الهاربين خرجا الى الملاعين وأخبراهم بجملة الحال وعزيمة الرجال قال وخرج يوم الجمعة العاشر من الشهر جماعة من رسل الفرنج ونحس على الحرب ومحاوله الطعن والضرب وفيهم صاحب صيد اطلب نجيب الدين العدل وكان السلطان يقذف به في رسالات الفرنج وتردد العدل مرارا في الخطاب والجواب فلم يفصل الامر على الصواب وبذلنا لهم عكالا على ما في ايدون من فيها واننا نطلق لهم أسرى بعد العدة التي يحويها فباوغير الاشتطاط فزادهم صليب الصلوبة فلم يحصل لهم به كمال الاعتباط هكذا قال في البرق وقال في الفتح ان ذلك كان يوم السبت وقال اشترطوا اعادة جميع البلاد واطلاق اساراهم من الاقياد وضعف البلد وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه ووقف كرام أصحابنا وسدوا الثغرى بصدورهم وشرعوا في بناء سور يقطع جانبها حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا وكذا قال ابن شداد ان ذلك كان يوم السبت الحادى عشر وقال لبست الفرنج بأسرها لباس الحرب وتحتر كوا حركة عضية بحيث اعتقد ان رما كان مصاف واصطفوا وخرج من الباب الذى تحت القبة زهاء أربعين نفسا واستدعوا جماعة من المماليك وطلبوا منهم العدل الزاندى وذكروا انه يعنى الخارج صاحب صيدا طمى السلطان فذكر نحو ما تقدم قال وتصرم نهار السبت ولم ينفصل أمر قال ولما كان يوم الاحد ثانى عشر اشهر وصل من البلد كتب يقول فيلانا قد نبأنا على المرات فيا كم نخضعوا



لهذا العدو وتلبينه واليه فأما نحن فقد فات أمرنا وذكر العوام الواصل بهذه الكتب انه وقع في الليل صوت انزعج منه الطائفتان وظن الفرنج ان عسكر اعظيما قد عبر الى عكا وسلم وصار فيه ساو ادفع كيد العدو في تلك الايام بعد ان كان قد أشفى البلد على الاخذ ووصل من عساكر الاسلام صاحب شيزر سابق الدين وبدر الدين دلدرد ومعه تركان كثير كان السلطان انفذ اليهم ذهابا آنفقه فيهم وصاحب حصن واشتد ضعف البلد وكثرت ثغور سورته فبنوا عوض الثلثة سور من داخلها حتى اذا تم اهدمها فالتوا عليه وثبت الفرنج على انهم لا يصالحون ولا يعطون الذين في البلد أسانا حتى تطلق جميع الاسرى الذين في أيدي المسلمين وتعاد البلاد الساحلية اليهم وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج العوام وفي كتبهم ان أهل البلد ضاق بهم الامر وتيقنوا انه متى أخذ البلد عنوة ضربت رقابهم عن آخرهم وأخذ جميع ما فيه من العود والاسلحة والمراكب وغير ذلك فصالحوهم على انهم يسلمون اليهم البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدد والمراكب ومائتي ألف دينار وألف وخمسمائة أسير مجاهدين الاحوال ومائة أسير معنيين من جانبهم يختارونهم وصليب الصليبوت على ايام يخرجون بأنفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقشة المختصة بهم وذرايبهم ونساقوهم وضمنوا للمركيس الملعون فانه كان قد استرضى وعاد عشرة آلاف دينار لانه كان واسطة ولا يخافه اربعة آلاف دينار واستقرت القاعدة على ذلك بينهم وبين الفرنج ولما وقف السلطان على ذلك أنكره وأعظمه وعزم على ان يكتب اليهم في انكار ذلك عليهم فم هو في ممل هذه الحال وقد جمع أمره وأصحاب مشورته فأحس المسلمون الاوقدار تنعته أعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على أسوار البلد وذلك ظهيره نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد خزن الموحدن وانحصر كلام العقلاء من الناس في انالته واما اليه راجعون وغضب الناس بهمة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر الصياح والعيول والبكاء والحبيب وكان لكل قلب حظ في ذلك على قدر ايمانه ولكل انسان نصيب من هذا الحظ على مقدار دينانه ونخوته واقشعت الحال على ان المركيس لعنه الله دخل البلد ومعه اربعة أعلام للبولك فنصب علما على القلعة وعلما على مئذنتها الجامع في يوم الجمعة وعلما على برج الداوية وعلما على برج القتال عوضا عن علم الاسلام وحيز المسلمون الى بعض أطراف البلد وجرى على أهل الاسلام المشاهدين لتلك الحال ما كثر التعجب من الحياة معه قال ومليت بخدمة السلطان رحمه الله عشية ذلك اليوم وهو أشد حالة من الولادة الشكلى والوالهة الحيرى فسلية بهما تيسر من التسلية واذا كرت الفكر فيما قد استقبله من الامر في معنى البلاد الساحلية والقدس الشريف وكيفية الحال في ذلك وأعمال الفكر في خلاص المسلمين المأسورين في البلد وانفصل الحال على ان رأى التآخر عن تلك المنزلة مصالحة فانه لم يبق غرض في المضايقة فتقدم بنقل الاثقال ليلا الى المنزلة التي كان عليها أولا بشفر عم وأقام هو جريدة مكانه لينظر ماذا يكون من أمر العدو وحال أهل البلد فانتقل الناس في تلك الليلة الى الصباح واستغل العدو بالاسيلاء على البلد وأقام السلطان الى التاسع عشر ثم انتقل الى النقل ووصل ثلاثة نفر ومعهما اقوش حاجب بهاء الدين قراقوش وكان لسانه فانه كان رجلا عاقلا مستنجزين ما وقع عليه عقد الصلح من المال والاسرى فأقاموا الى ليلة مكرمين وساروا الى دمشق فيصرون الاسارى قال العماد وخرج سيف الدين المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج يعني على القطيعة المقدم ذكرها قال ولم نسمع بالارباب الفرنجية على عكا مكرزه واعطاف أعلامهم مهزوزه وعم البلاء وتم العناء وعز الغزاء وقط الرجا وحضرنا عند السلطان وهو مغيم وبالتدبير للمستقبل مهم فغزينا وسلينا وقلنا هذه بلدة بما فتحه الله قد استعادها اعداءه وقتلها ان ذهبت مدينة فاذهب الدين ولا ضعف في نصر الله اليقين قال ودخلوا عكا وتسلموها ولم يقفوا على الشرائط التي أحكوها فانهم منعوا أصحابنا من الخروج واحتاطوا عليهم وعلى أموالهم بحبسهم واعتقالهم ثم طلبوا المال جمعه السلطان وكله وأودعه خزائنه بعدما حصله وأحضر صليهم المطلوب الملوب وأتم شرطهم المخطوب فظهرت امارات غدرهم وبدت دلائل مكرهم وفي كتاب كتيه الفاضل عن السلطان الشمس الدولة بن منقذ وهو بالمغرب في الرسالة (لقد تجاوزت عدة من قتل على عكا يعني من الفرنج الحسين ألفا قولا لا يطرده التسميح بل يحرقه التصفح فانبروا في هذه السنة ملكا فرنسيسا وانكاثيرا وملاكا آخرون في مراكب

## في أخبار (١٨٩) الدولتين

بحرية وحمله حملوا فيه الخيول والخيالة والمقاتلة والالاه ووصلت كل سفينه تجمل كل مدينه وأحدثت بالثغر فغنت الناقل بالسلح اليه والداخل بالميرة عليه ثم قال (وأخذ البلد على سلم كالحرب ودخله العدو ولولم يدخل من الباب دخل من النقب وما وهن الما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ولا رجعتنا وانا ولا انصر فنا بل نحن بكمنا ننظر ان يبرزوا فبازرهم ويخرجوا فتنجزهم وينشر وافنطوبهم وينبشوا فنزويهم وأقنا على طرقهم وخيما على مخنقهم وأخذنا باطراف خندقهم وأحوج ما كونا الى النجدة البحرية والاساطيل المغربية فان عار يتنا به ترد وعاديتنا بها تشدد والامير يبلغ ما بلغه من خطب الاسلام وخطوبه ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطبه ويجعل العوده وقبلها الاجابه ويستحب السهم ويسبق يبشرى الاصابه ويشعر ان الراية قد رفعت انصر تقدم به عرابه فان للاسلام نظرات الى الافق الغربي يقلبها وخطرات من اللطف الخفي يهز بها ويكفي من حسن الظن انها نظرة ردت الهواء الشرقي غربا وخطرة أوهت ان تلك الهمة لتولم بالسفائن لاخذت كل سفينة غصبا قال العماد وعزم ملك الافرنسيس على المسير الى بلاده لا مرا اختل عليه فأخذ قسم من الاسارى وسلمهم الى المريس ووكله في قبض نصيبه ورضى بتدبيره ورتبته وخرج الفريخ يوم الخميس انسلاخ الشهر من جانب البحر وانتشر وبالمرج ووصلوا الى الآبار التي حفرها البرك وتواقعوا مع البرك وأمدتهم السلطان فقلوا العدو وصرع منهم خمسون فارسا قال القاضي وخرج خلق عظيم ولم يزل السيف فيهم حتى دخلوا خنادقهم قال ولم تزل الرسل تتردد بين الطائفتين حتى كان يوم الجمعة تاسع رجب فخرج حسام الدين حسين بن تاريك المهراني ومعه اثنان من أصحاب الانكلاثيري فأخبر ان ملك الافرنسيس صار الى ضرور ذكر وأشياء من تحرير أمر الاسارى وطلبوا ان يشاهدوا صليب الصليبوت وانه هبل هوى العسكر أو حمل الى بغداد فأحضر صليب الصليبوت وشاهده وعظموه ورواؤهم الى الارض ومرتغوا وجوههم على التراب وخضعوا خضوعا عظيما لم ير مثله وذكر وان الملوكة قد أجابوا السلطان الى ان يكون ما وقع عليه القرار يدفع في تروم ثلاثة أنجوم كل ترم شهر ولم تزل الرسل تتوارى في شحرير القاعدة وتخبزها حتى حصل لهم ما التمسوه من الاسارى والمال المختص بذلك الترم وهو الصليب ومائة ألف دينار وستائة أسير وأنفذوا انقباءهم وشاهدوا الجميع ما عدا الاسارى المعينين من جانبهم فانهم لم يكونوا فرغوا من تعييدهم ولم يكونوا حتى يحصلوا ولم يزلوا يطاولون ويقصون الزمان حتى انقضى الترم الاول في ثامن عشر رجب ثم أنفذوا في ذلك اليوم يطلبون ذلك فقال لهم السلطان اما ان تنفذوا الينا أصحابنا وتسلموا الذي عين لكم في هذا الترم ونعطكم رهائن على الباقي يصل اليكم في ترومكم الباقية واما ان تعطونا رهائن على ما نسلم اليكم حتى تخرجوا الينا أصحابنا فقلوا لا نفعل شيئا من ذلك بل تسلمون ما نقبضه من هذا الترم وتقنعون بأمانتنا حتى نسلم اليكم أصحابكم فأبى السلطان ذلك لعلمه انهم ان تسلموا المال والصليب والاسرى وأصحابنا عندهم لا يؤمن غدرهم فلما رآوه قد امتنع من ذلك اخرجوا خيامهم الى ظاهر خنادقهم مبرزين في الحادى والعشرين الانكلاثيري وجماعة من الخيالة والرجالة والتركيل وركبوا في وقت العصر السابع والعشرين من رجب وساروا حتى أنوا الى الآبار التي تحت تل العياضية ثم أحضرهم من الاسارى المسلمين من كتب الله شهادته وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم في الحبال ووقفوهم وحملوا عليهم حملة ألترجل الواحد فقتلواهم صرا طعنا وضربا بالسيف رحمة الله عليهم والبرك الاسلامي بشاهدتهم ولا يعلم ما يصنعون لبعده عنهم وكان البرك قد أنفذ الى السلطان واعلمه بركوب القوم ووقوفهم فأنفذ الى البرك من قواه وبعدها فرغوا منهم جل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب عظيمة جرى فيها قتل وجرح من الجانبين ودام القتال الى ان فصل الليل بين الطائفتين وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم وعرفوا من عرفوا منهم وغشى المسلمين بذلك حزن عظيم ولم يبقوا من المسلمين الا رجلا معروفا مقدما وقويا أعاد العمل في عمائرهم قال العماد وطلب السلطان منهم ان يضعهم الداوية في قبض المال فقال الداوية ما ندخل في الضمان فاقنعوا منهم بالقول والامان فظهر من هوى كلامهم الخلف ثم ذكر قتل الاسارى قال فشاهدناهم مستشهدين بالعراعر يا مجردين ولا شك ان الله كساهم من سندس النعيم ونقلهم الى دار المقامة في العزائم وتصرف السلطان حينئذ في المال وقرق مجموعته في رجاء الرجال وأعاد الاسارى الى آربابها واحتوت عليها بدمشق أيدي أصحابها وحفظ الصليب السليب وردة الى مكانه وأعاد

## كتاب (١٩٠) الروضتين

الى صوانه لالعز بل هو انه فانه لا مصاب عندهم أعظم من استيلائنا عليه وامتداد أيدينا اليه وقد بذل فيه الزوم ثم الكرج بدولا وأنفذوا بعد رسول رسولاً فاجادوا قبلوا ولا صادفوا سولا ومن كتاب عمادى عن السلطان فى ذلك (وللكرام آجال والحرب سجال ولله من المؤمنين رجال والآلآن فقد ثارت الحيات وهبت النخوات ووجب على كل مسلم ان ينض لنصرة الاسلام ويتدارك ما حدث من الكسر والوهن بالجبر والاحكام ويعيد ما وهى من عقد الفتوح الى النظام فأين ذوو الانفة والحمية والهمم العلية والنفوس الاليسه أما يغتفون لمصرع من استشهد من اخوانهم أما يشورون لثأر ايمانهم أما تبكى العيون لمن قتل من أمانهم وأعيانهم فان مصابهم عظيم ومقامهم عند ربهم الكريم كريم وأراد الله بذلك تنبيه الهمم التراقده وآثارة العزائم الرأكده)

**(فصل)** وفيما جرى بعد انفصال أمر عكا قال العماد شمان الفرنج رحلت صوب عسقلان مستهل شعبان وسار السلطان فى عراضهم والمسلمون يخطفونهم ويقتلون منهم ويأسرون ويخرجون ويسلبون ويسرقون وكل أسير أتى به السلطان أمر بقتله ووصاوا الى حيفا فاقادوا بها وازل المسلمون بالقيون وقدم السلطان ثلثة الى مجدل بامار وأضحى نازلا على النهر الجارى الى قيسارية وودع الفاضل السلطان وسار الى دمشق لانهم مدرج الوافدين من الاكابر والنواب بها ربحا جبنوا عن اقامة الوظائف وكان الامر الفاضلى عندهم كالامر السلطانى فاذا استشاروه خصلوا من كل تبعه ودرلته وفى تاسع شعبان جاء الخبر بأن الفرنج ركبوا وتألّبوا وهم يسيرون فى الساحل بالفارس والتراجيل وعن يمينهم البحر وعن يسارهم التزل وكانت التراجيل حولههم كالسور وعليهم الكبيرة النخينة والزردات السابعة المحكمة بحيث يقع فيهم الشهاب ولا يتأثرون وهم يرمن بالرنبروك فتجرح خيول المسلمين وغيرهم قال القاضي ولقد شاهدتهم وفى ظهر الواحده منهم النشابة والعشرة مغرزة وهو يسير على هيئة من غير انزعاج وشم قسم آخر من التراجيل مستريح يشون على جانب البحر لا قتال عليهم فاذا تعب هؤلاء المقاتلة أو أختتمت الجراح قام مقامهم القسم المستريح واستراح القسم العمال هذا والحيلة فى وسطهم لا يخرجون عن التراجيل الا فى وقت الجلاله لا غير وقد انقدهموا أيضا ثلاثة أقسام الاول الملك العتيق جفرى وجماعة الساحلية معه فى المقدمة والانكجار والفرنسية معه فى الوسط وأولاد الست أصحاب طبرية وطائفه أخرى فى الساقة وفى وسط القوم برج على عجلة وعلمهم على ما وصفته من قبل يسير أيضا فى وسطهم على عجلة كالمنازة العظيمة وساروا على هذا المثال وسوق الحرب قائمة بين الطائفتين والمسلمون يرمونهم من جوانبهم بالنشاب ويحتركون عزائمهم حتى يخرجوا وهم يحفظون نفوسهم حفظا عظيما ويقطعون الطريق على هذا الوضع ويسيرون سيرا فبقا ومراكبهم تسير فى مقابلتهم فى البحر الى أن أتوا المنزل فقتلوا وكانت منازلهم قريبة لاجل الرجال المستريحين كانوا يجمعون أنقاعهم وخيمهم لقلعة الظهر عليهم قال فانظر الى صبر هؤلاء القوم على الاعمال الشاقة من غير ديوان ولا نفع وطاف الجيش حولهم من كل جانب ولزهم بالنشاب وكما ضعف قسم عاونه الذى يليه وهم يحفظ بعضهم بعضا والمسلمون محدقون بهم من ثلاثة جوانب ورأيت السلطان وهو يسير بنفسه بين الجباليسية ونشاب القوم يتجاوزوه وليس معه الا صبيان بجنيبتين لا غير وهو يسير من طاب الى طلب يحتمهم على التقدم ويأمرهم بضايقة القوم والصياح بالتهليل والتكبير يرتفع والعدو على اثبات ترتيبهم لا يتغيرون ولا ينزعجون وجرت حملات كثيرة ورجالهم تجرح المسلمين وخزولهم بالرنبروك والنشاب الى أن أتوا الى نهر القصب فقتلوا عليه وقد قام قائم الظهيرة وضربوا خيامهم وترجع الناس عنهم فانهم كانوا اذا نزلوا آيس الناس من امر يتم معهم وفى ذلك اليوم قتل من فرسان المسلمين وشجعانهم ايازا الطويل وهو من عماليك السلطان وكان قد قتل بهم وقتل خلقا من خيالتهم وشجعانهم وكان قد استفاضت شجاعته بين العسكرين بحيث انه جرت له وتعات كثيرة صدقت أخبارا لاوائل وصار بحيث انه اذا عرفه الفرنج فى موضع يخافون منه فاتفق ان تقطر به فرسه فاستشهد فى ذلك اليوم وودفن على تل مشرف على البركة وحزن المسلمون عليه حزنا عظيما وقتل عليه مما لولته ونزل السلطان بالثقل على البركة وهو موضع يجتمع فيه مياه كثيرة ثم رحل بعد العصر وأتى نهر القصب فقتل عليه أيضا فكان شرب من أعلاه والعدو وشرب من أسفله ليس بيننا الا مسافة يسيرة وبات الفريقان هناك قال العماد وكانت نوبة البرك لعزالدين ايراهيم بن المقدم فى الساقة وكانت الفرنج قد أنست بانقضاء الحرب فخرج منها جماعة يسترسلين وتقدموا

ع- إلى البركة مشرفين فبصر بهم ابن المقدم فعبس إليهم من ورائهم هو ومن معه النهر وهم لم يأخذوا من خلفهم الحذر فنجأهم وجفعهم وفرغ من شغلهم قبل ان يدركهم الصريح وسلبهم وغنهم ثم نهض الفرنج اليه وجلوا عليه وجرت وقعة شديده لحزب الضلال بيده جابت لنا غنيمه وعليهم هزيمة وأحضر الاسارى عند السلطان بحزام الذل والهوان فاخبروا انهم جرح منهم بالاس الف وسرى فيهم وهن وضعف ثم رحل السلطان وعبر شعراء ارسوف ونزل على قرية تعرف بدير الراهب وطلب ملك الانكليزية الاجتماع بالملك العادل خلوة فاجتمعوا فاشار بالصلح وكان حاصل كلامه انه طال بيننا القتال ونحن جئنا في نصره افرنج الساحل فاصطالحوا أنتم وهم وكل من ايرجع الى مكانه فقال على ماذا يكون الصلح قال على ان يسلم الى أهل الساحل ما أخذ منهم من البلاد فابى الملك العادل وأخبره ان دون ذلك قتل كل فارس وراجل فرجع مغضبا وفي يوم السبت رابع عشر رمضان كانت وقعة ارسوف تأهب المسلمون للقائهم فازعج بهم وأبلوهم بلائهم فلما رأى العدو ما هو فيه من الضيقة احتما وجلوا جملة واحدة فانكشف من كان قد امهم واندفعوا وثبت ذلك اليوم العادل وأصحابه وفامار النجمي وعسكر الموصل ثم كرت العساكر اليهم وجرت الثواب عليهم فخرت بين الغنمين مقتلة عظيمة فجلأوا الى جدران ارسوف ولولا ذلك لاستوعبت فيهم المحتوف فقتل السلطان على نهر العوجا ورحل العدو الى يافا فقتلوهما المسلمون على العادة في عراضهم مقيمة على تبديد جوعهم واعتراضهم وقتل يوم ارسوف لهم كند كبير تحت حكمه من الفرنج عدد كثير وكان من عظم شأنه وخفامة مكانه انه يوم صرع قاتل دونه جماعة من المقاتلين فاقتل حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا روحهم قال القاضي ابن شداد رأيتهم وقد اجمعتوا في وسط الرحلة وأخذوا رماحهم وضاحوا وصيحة الرجل الواحد وفرج لهم رجالهم وجلوا جملة واحدة من الجوانب كلها فان دفع الناس بين أيديهم ولم يبق في طلب السلطان الا سبعة عشر مقاتلا والاعلام باقية والكؤس تدق لاتفتت فلما رأى السلطان منازل المسلمين سار حتى أتى طلبه فوقف فيه والناس يفرسون من الجوانب وكلما رأى غاربا من من يحضر معسده فاجتمع في الطلب خلق عظيم ووقف العدو قبلاتهم على رؤس التلول والروابي وخاف العدو ان يكون في الشعراء كمين وثابت العساكر كلها فترجع العدو الى منزلته وجلس السلطان ينظر الناس من العود من السقي والجرحى يحضرون بين يديه وهو يتقدم بمدواتهم وحملهم وقتل رجالة كثيره وجرح جماعة من الضائقين وصدم الملك الافضل وانفتح دمل كان في وجهه وسال منه دم كثير على وجهه وهو صابر محتسب في ذلك كله وقتل من العدو جماعة وأسر واحد وأحضر فأمر بضرب عنقه وفي بعض الكتب السلطانية (سار العدو من عكا على قصد عسقلان وسقنا المعارضتهم في كل طريق ومضايقتهم في كل مضيق ومنارلتهم في كل منزل ومدافعتهم عن كل منهل وهم يسرون البحر البحر لا يفارقون ساحله ولا يتجاوزون مراحلها والمواضع مضائق وشعراء ورمال وماللتال فيها مجال وما وجدنا مسحة الا مضايقتناهم فيها وأخذنا عليهم في نواحيها ومن جملة أيامنا المشهورة المشهودة ومواسمنا المعروفة المحجودة يوم الاثنين تاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية) فذكر الواقعة السابقة وفيها (انه نفق من خيلهم ألف راس) ثم ذكر يوم ارسوف وحسن عاقبته للؤمنين بعد الياس ثم رحل السلطان تاسع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتعت الانقال بها في تلك الرحلة ورحل ليلا وأصبح على تبنها وجاوزها الى نهر امران الخيام عليه تبنى قال وزرنا بتبنا قبرا بى هريرة رضوان الله عليه وتبادر الناس بالثين به اليه قلت اعتمد العمد في هذا على ما اشتهر بين العامة من ذلك وأما أهل العلم المصنفون في أخبار الصحابة رضی الله عنهم كابن سعد وغيره فذكروا ان أباهريرة توفي بالمدينة ولم يذكر واغيره على ما ذكرناه في ترجمته في التاريخ والله أعلم قال العماد ورحل السلطان ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر وشرع فيما عزم عليه من الامر وكان لما نزل بالرملة أحضر عنده أخاه العادل وأكابر الامراء وشاور في أمر عسقلان ذوى الاراء فاشار علم الدين بن سليمان بن جندب بخربها للجعر عن حفظها على ما بها ووافق الجماعة وقالوا قد ضاق عن صنونها الاستطاعة فان هذه يا فاقدرت لو اهاوسك نوافها وهي مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا يبل الى حفظ المدينتين فاعمد الى اشرف الموضعين فخصه منه وحكمه فاقتضت الاراء اقامة العادل

## كتاب (١٩٢) الروضتين

بقرب يافامع عشرة من الامراء حتى اذا تحرك العدو وكانوا منه على علم قال القاضي أشار عليه بتخريب عسقلان خشية ان يستولى عليها الفرنج وهي عامرة قبيحة فلو امكن بهما من المسلمين ويأخذوا بها القدس الشريف ويقطعوا طريق مصر وخشي السلطان من ذلك وعلم بحجز المسلمين عن حفظها القرب عهدهم من عكا وما جرى على من كان مقبها فصار حتى أتى عسقلان وقد ضربت خيمته شمالها فبات هناك مهموما بسبب خراب عسقلان وما نام تلك الليلة الا قليلا ولقد دعا الى خدمته سحرا وكنت فارقة بعد مضى نصف الليل فحضرت وبدأ بالحديث في معنى خرابها وأحضر ولده الافضل وشاوره في ذلك وطال الحديث ولقد قال رحمه الله والله لان أفقد أولادي بأسرهم أحب الى من ان أهدم منها حجرا واحدا ولكن اذا قضى الله بذلك وعينه لحفظ مصلحة المسلمين طريقا فكيف أصنع قال ثم استخار الله تعالى فاوقع في نفسه ان المصلحة في خرابها فاستحضر الوالى وأمره بذلك في تاسع عشر شعبان ولقد رأيته وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستنفر الناس للخراب وقسم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجا معلوما يخربونه ودخل الناس الى البلد ووقع فيه الضجيج والبكاء وكان بلدانضرا حقيقا على القلب محكم الاسوار عظيم البناء مرغوب في سكناء فلحق الناس عليه حزن عظيم وكان هو بنفسه وولده الافضل يستعملان الناس في الخراب خشية ان يسمع العدو فيحضر ولا يمكن من خرابها وأباح الناس الهوى الذي كان ذخيرة في البلد للجزع ونقله وضيق الوقت والخوف من هجوم الفرنج وأمر بحرق البلد فاضربت النار فيه والاعذار تواترت من جانب العدو بعمارة يافا وخرب من سور عسقلان معظمه وكان عظيم البناء بحيث انه كان في موضع تسع أذرع وفي موضع عشر أذكر بعض الخرابين للسلطان وأنا حاضران عرض البرج الذي ينقبون فيه مقدار مرق فلم يزل الخراب والحريق يعملان في البلد واسوارها الى سبخ شعبان وعند ذلك وصل من جريدك كتاب يذكر فيه ان القوم قد تسفحوا وصاروا يخرجون من يافا فيغيرون على البلاد القريبة منها فلو تحرك السلطان لعله يبلغ منهم غرضاني غرتهم فزعم على الرحيل وعلى ان يتخلف في عسقلان حجارين ومعهم خيل تمهيمهم يستقصون في الخراب ثم رأى ان يتأخر بحيث يحرق البرج المعروف بالاسبتار وكان برجاً عظيماً مسرفاً على البحر كالقلعة المنيعة ولقد دخلته وطقته فرأيت بناءه أحكم بناءه لا تعمل فيه المعاول وانما أحرق ليبقى بالحريق قابلا للخراب وبقيت النار تشعل فيه يومين بليتئتما قال العمادون نقض منها الابرار التي على ساحل البحر ودخلتها فرأيتها أحسن مدينة منيعة حصينة فطال بكائي على رسومها وفض ختموها وقبض أرواحها من جسومها وحلول الدوائر بدورها ونزول السوء بسورها فصار ح السلطان منها حتى رأينا طولها دارس ورسومها طوامس والرؤس حياء من معاهدها نواكس نال ولو حفظت لكان حفظها متعبنا وصونها ممكنا لكن وجدكلا له متجنبنا متجنبنا وقد اعترتهم نوبة عكا وحفظها ثلاث سنين وعادت بعد ذلك عشرة المسلمين وقال من تعطل واعتذر عن دخولها ندخلها أنت أو أحد أولادك فندخلها اتباعا لمرادك فحينئذ لم يجد بدا من نقض أسوارها وفض سوارها وسكانها كانوا في رفاهيه فانتدوا عنها على كراهيه وباعوا أنفس الاعلاق بالبخس الاثمان وفعجوا بالاطار والاطوان

**(فصل)** فيما جرى بعد خراب عسقلان قال العمادون فارقها السلطان يوم الثلاثاء ثاني رمضان ونزل على تبنا ونزل بالرملة يوم الاربعاء وأمر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة لد وركب جريدة الى القدس فاتاه يوم الخميس وأعاد اليه رسوم التانيس وخرج منه يوم الاثنين ثامن رمضان وبات في بيت نوبة وعاد الى الخيم يوم الثلاثاء وصل معز الدين قيصر شاه صاحب ملطية بن قليج أرسلان وافدا عليه منتصرا به على أبيه واخوته فانهم كانوا يقصدون أخذ بلده من يده فافام في الخدمة السلطانية مدة وتزوج بانه العادل على صداق مائة ألف دينار وسار مستهل ذي القعدة وفي ثامن الشهر أيضا خرج الكين على ملك الانكلسية وكان خرج في فوارسه مخفرا للخطابة والحشاشه وكاد يؤخذ الملك لكن أحد خواصه فداه بنفسه بان أظهر حسن لباسه فظن انه الملك فاسر وقال ابن شداد حال بينه وبينهم فرنجي فقتل الفرنجي وجرح هو وفي ثاني عشرة جرت أيضا وقعة كان النصر فيها للمسلمين وقتل مقدم كبير من المشركين وما زال يقع بينهم وبين اليزك وقعات وتسرق العرب من خيولهم وبغالهم ورباهم

## في أخبار (١٩٣) الدولتين

ومن كتاب الى صاحب سنجار (قد تقدم الاعلام بما جرى عند رحيل العدو وعلى قصد عسقلان وما تم عليه منها في طريقة من النكاية والخذلان وانه قطع في سبعة عشر يوما مسافة يومين لما لابسوه وغامرهم من الحين وما صدق كيف وصل الى يافا فاهرب بها الاستيطان وأقام بها يعمر المكان وهذه مدينة يافا متوسطة بين القدس وعسقلان ومنها الى كل واحدة منهما مسافة نصف نهار وكلناهما من العدو على خوف وحذر وكل واحد من الموضوعين يحتاج في تحصينه الى ثلاثين ألف مقاتل وتعذر الجمع بين حفظ البغرين وتحصين البلدين وتعين في تخريب عسقلان عمارة القدس وتحصينه وعصمته من العدو وتأمينه) ثم رحل السلطان الى النطرون وخيم على تل عال والنطرون حصن حصين كان للدوايد يمكن لما نبح تشعبت اسواره وانقض جداره فامر به دمه فهدم ثم بعث ملك الانكليزية راغبائى المصالح والمسالمة الى العادل وزعم ان له اختا عزيزة عليه كبرت القدر وانها كانت زوجة ملك كبير من ملوكهم وذو صاحب صقلية توفي عنها ورغب ان يترجها العادل ويجعل له الحكم على بلاد الساحل ينفذ فيه أمره وهو يعطى الداوية والاستنار من البلاد والقرى دون الحصون ولا يكون اخته مقبلة بالقدس ومعها فيه قسيسون ورهبان حافظه لها من آفة الزمان فرأى العادل في ذلك عين النصواب وسأر السلطان فوافقه فيما أجب فقدم الرسول الى الانكليزية بالاجابة فدخل النسخ على المرأة وخوفوها وأتموها في دينها وعنفوها وقالوا لها ما معناه هدد فضيحة فظيعة وسببة شنيعة وقطع على النصرانية وقطيعه وأنت عاصية للمسيح لا مطيعه فرجعت عن ذلك وأجابت فاعتذرت الانكليزية بعدم مرافقتها الا ان يدخل العادل في دينها فعرف انها خديعة كانت من الانكليزية قال التماسى ورحل رسول من المراكيس يذكر انه بتأخيل الاسلام بشرط ان يعطى صيدا ويبروت على ان يحضر الرمح بالعداوة ويقصد عسكرها ويحاصر شوايا حدها منهم فاجيب الى ذلك على ان يطلق من بها وبصور من الاسارى ولما سمع الانكليزية بذلك رجعت الى عسكرها لمسيح هذه المصالح واسترجع المراكيس اليه وجاء الخبر ان ملك الافرنجيس اتى بانطاكية ووصل كتاب من تقي الدين يحبر فيه ان نزل صاحب ديار العجم ابن الدكر قتل وجرى بسببه في بلاد العجم حطب عظيم قال العماد وكان مختفرا للغنائم مقترفا لما تم واصعلا شرب والعصف الماوسم وقتل باخفهان عشر من رؤساء الشافعية المعروفين وكبرائهم الموصوفين ووصل من الديوان كتاب ينكر فيه تصدق الدين خلط ويظهر فيه العناية التامة ببيكتر وينفع في حسن بن قنخاق ويتقدم باطله وكان تدبيره عليه حظرا للبر باربل ويتقدم مسير القاضى الفاضل الى الديوان لبت حال وفصل أمر فاجاب السلطان بانام تقي الدين بشئ من ذلك واعاير ليجمع العساكر ويعود الى الجهاد وأما ابن قنخاق فقد تقدم الى مظفر الدين حتى يحضره الى الشام فينذعه فيه ويكون ملازما للجهاد وأما الفاضل فاعتذر عنه بأنه كثير الامراض قوته تضعف عن الحركة الى العراق قلت وبلغنى ان الفاضل رحله الله كتب في الاعتذار بالحضور الى الايوان وتمت في كتابه هذين البيتين

ما كنت أول سارغره قصر \* ورائد خدعته خضره فالدم

مثل لنفسك شخصى اننى رجل \* مثل المعيدى فاجمع فى ولا ترى

قال القاضى وأرسل الانكليزية الى السلطان ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخرت البلاد وتلفت الاموال والارواح وقد أخذ هذا الامر حقه وليس هنالك حديث سوى القدس والصليب والبلاد والقدس متعبدا ما نزل عنه ولولم يبق منها واحد وأما البلاد فيعاد اليها ما هو قاطع الاردن وأما الصليب فهو وخشية عندكم لا مقداره وهو عندنا عظيم فيمن به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء اذا تم فأرسل السلطان في جوابه القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم مما هو عندكم فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور أن نزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي أيضا لنا في الاصل واستبدلواكم كان طارئا عليها الضعف من كان بهما من المسلمين ذلك الوقت وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة لا يجوز أن نفرط فيه الا لمصلحة راجعة الى الاسلام هي أوفى منها وهرب شيركوه من باخل الكردي من عكا وكان أسير ابيها وكان آخر حبله في محبته فتدلى به من طائفة في بيت الظهارة واشتد هرا في قيوده الى تل العياضية فكس في الجبل وقد طلع عليه النهار ثم كسر قيوده

## كتاب (١٩٤) الروضتين

وسار الى المسلمين ثم توارى الخبران الفرنج على عزم النهوض فصار السلطان من الخميم بالنظرون الى الرملة سابع شوال وأقام بها عشرين يوما فجرت وقعت وتقت دفعات منها وقعت في ناحية يازور وكان النصر فيها للمسلمين وقصد من المسلمين ثلاثة وذلك ثامن شوال وفي سادس عشر شوال وقعت وقعة أخرى عظيمة قتل فيها جماعة من الامراء وأسرفارسان من الكفرة معروفان بالبأس سوى غيرهما وقتل منهم زهاء ستين نفرا وفي خامس شوال وصل الخبر ان الاسطول المصري استولى على مراكب الفرنج وفيها مراكب تعرف بالمسطح قيل ان كان فيه خمسمائة نفرو زائد على ذلك وأنه قتل منهم خلق عظيم واستبقى منهم أربعة نفر مذكورون وفي ثامن عشر شوال اجتمع العادل والاكتنيري على طعام ومحادثة وانفصلوا عن توادد ومطايبة وطلب منه الاجتماع بخدمة السلطان فامتنع رحمه الله وقال الملوك اذا اجتمعوا نتج بينهم المحاصمة بعد ذلك واذا انتظم أمر حسن الاجتماع ورحل الفرنج ثالث ذى القعدة الى الرملة وأظهر واقصد القدس بتلك الرحلة ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم ورحل السلطان الى القدس بنيت المقام في الثالث والعشرين من ذى القعدة وكان الشتاء قد دخل والغيث قد اتصل فوصل الى القدس وقت العصر ونزل بدار الاقساء انجبارة كنيسة قائمة وفي ثالث ذى الحجة وصل عسكر من مصر بأموال ورجال مع أبى الهجاء السمين وتحول الفرنج الى النظرون فقوى السلطان اليك فوقوا على سرية فغنموها وسبق منهم الى القدس بنف وخمسون أسيرا سوى من قتل منهم وواقهم سابق الدين عثمان صاحب شيزيوم عيد الاضحى ففخر منهم وضحي واحتمى على عشرة من مقدميهم أسرا وقتلا وتسلق باقى الفرنج في الجبال وتركوا خيلهم فغنمها المسلمون ولم يزل المسلمون عليهم مستظهريين مدة مقامهم بالنظرون وجعل المسلمون بقطع الطريق على تجارهم حتى انهم أخذوا قافلة ثقيلة بما فيها ولم يقدر راعا على تخليصها فراحوا عائدین الى الرملة في الثاني والعشرين من ذى الحجة وفي ذلك اليوم وصل من الموصل خمسون رجلا برسم قطع الصخور من الخندق فان السلطان شرع في تحصين القدس وعمارة ابراهه واسواره وحفر خنادقه وأرسل الى البلاد في جمع رجال هذه الاعمال وتقبل الامراء فيه العمل وعمل فيه السلطان بنفسه بنقل الحجارة هو وأولاده وأمرؤه وأجناده ومعهم القضاة والعلماء والولاة والامراء قتل وفي قصد الفرنج للسلطان بالقدس يقول الرشيد بن النابلسي من جملة قصيدته

ويح الفرنجة بل ويل أمهم أوما \* فيهم لبيب على العلات يعتبر  
فكم نثرهم ضربا اذا انتظموا \* وكنظمتم طعننا اذا انتثرنا  
كم قدس قيتهم ذلا فلا يجيب \* ان عربذوا سفها فالقوم قدسكروا  
ان يعموك فلا بدع لجهلهم \* تسعى الى الاسد في غاباتنا الجر  
زاروا عورا ولا تغنى وناحتهم \* اذا اسودك في أبطالهم زأروا  
خفام عن حوطة البيت المقدس لا \* خوف وحاسك من خوف ولا ضرر  
هو الشريف وقد ناداك معتصما \* فاعلى مجده من بعده حاذر  
وسوف تسنغر الايام هفتوها \* ونحصد الفئدة الاوغاد ما بذروا

(فصل) في باقى احوادث هذه السنة قال العماد في ربيع الاول منها تولى القاضى محيى الدين محمد بن اركى قضاء دمشق وفيها يوم الجمعة تاسع عشر رمضان كانت وفاة تقي الدين عمر بن أخى السلطان وراى الفرات وكان قد امتدت عينه الى بلاد غيره فاستولى على السويداء وعلى مدينة حانى وعزم على قصد خلاط وكسر صاحبها سيف الدين بكتمو تلك معظم تلك البلاد ثم أناخ على منازك ديماصرها ومعه عساكر كثيرة فأناخت بجسده المنية بسبب مرض اعتراه وزاد أنى أن بلغ منه المراد واخفى ولده الملك المنصور وفاته ورحل عن البلد المحصور وفاته وعاد به الى البلاد التي في يده وبحب الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده وجاءت رساله الى السلطان بخبره بأنه قام مقام والده فيما كان له من البلدان وطلب منه شروطا نسبها الى العصيان وكاد أمره يضطرب وقلبه يكتئب وشأنه ينعكس وينقلب حتى احتفى بالملك العادل فنصره وأظهره الى الوجود وأظهره وقال القاضى



## في اخبار (١٩٥) الدولتين

ابن شداد كانت وفاته في طريق خلاط عائدا الى ميفارقين لحمل ميتا حتى وصل به الى ميفارقين ثم علمت له تربة عليها مدرسة مشهورة بأرض حماه وحل البها فدفن بها قال العماد وفيها توفي ابن أخت السلطان حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين بدمشق ليلة الجمعة التاسع عشر رمضان فنجح السلطان بإبنا أخيه وابن أخته في تاريخ واحد وكنا له من أعظم الاعران على ما يكابده من الشدائد قلت ودفن بالتربة الحسامية المنسوبة اليه من بناء والدته ست الشام بنت أيوب وهي المدرسة الشامية ظاهرا دمشق بالعوينه قال وفيها في أواخر ذي الحجة توفي الامير علم الدين سليمان بن جندرمس أكبر أمر الحلب وكان في خدمة السلطان بالقدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذي أشار بتخريب عسقلان لتتوفر العايدة والاهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى الوطن فأدركته المنية بقرية غباغب على مرحلة من دمشق وفيها في الثالث والعشرين من رجب كانت وفاة الصفي بن القبايض نائب السلطان بدمشق وكان قد خدم السلطان أيام عدمه وهو في كذالة أبيه وعمه فلما ملك مصر أمره في أموالها وحكمه في أعمالها حتى نال المنى ووجهه ونجى وحصل على الغنى وكتب لمالكه دوره وأملاكه وجميع أمواله وفيها توفي نسيب العماد وهو جمال الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبيد ابن كويه سبع عشر ذي الحجة بدمشق قال العماد وكنت استنبهته في كتابة النساء وخبرته وقلبت في مراتب المعالي ودرجته واعتمد السلطان عليه في الترس الى سلاطين العجم وخواص الامراء منهم والخدم وكان نبيلاً نبها كريما وجيها وفيها توفي الحكيم الموفق أسعد بن المطران في شهر ربيع الاول وكان من أهل النظافة والظرافة ومن ذوى الفصاحة والحصافة وفقه الله في بدايته لهدايا الاسلام ونال أسباب الاحترام وتقدم عند السلطان وماشانه كبر وهو كبير الشأن وفي أواخر هذه السنة توفي الشيخ النقيه نجم الدين الخبوشاني بصبر وهو الذي عمر تربة الشافعي رضوان الله عليهما وبني المدرسة في جوارها واحيا شعار التوحيد وبني أمر على التسديد والتشديد وحفظ شمل الشافعية من التبديد وكان السلطان مجيبا له الى كل ما يستدعيه ويقضي له من الخواص ما يقتضيه ووقف على المدرسة التي بناها وقفا وأعطاهما في بنائها ألوفاً فلما توفي الخبوشاني طلب المدرسة جماعة من العلماء فردوا وشفع العادل في صدر الدين أبي الحسن محمد بن خويبه شيخ الشيوخ فكتب به له ورث بوقهها وتدريسها استقلاله وذلك في أواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة وتبدلت بالوحشة الانسه قلت ثم استمرت عليها يد أولاده واحد بعد واحد الى الآن قال وفيها توفي الوجيه بن النفيس مستوفى ديوان دمشق بها وكان نبها مهيبا نرها عارفا مضييا وفيها توفي القاضي أمين الدين أبو القاسم بجها في حادى عشر رمضان وكان كريما محنيا نبها سريا وفيها نقلت تربة القاضي محي الدين أبي حامد محمد بن محمد بن عبيد الله بن القاسم الشهرزورى الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان قاضي الموصل وقد بنى رباطها هناك وكانت وفاته بالموصل في الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ست وثمانين وقد تقدم ذلك وسأل ابن أخيه القاضي بعده كتابا الى أمير المدينة فكتب له كتاب منه (سبب اصدارها الى الامير مسير نائب القاضي كمال الدين بصريه اذن عمه محي الدين من الموصل الى المدينة المقدسة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ليدفن في الرباط الذي أنشأه حيث يبعث مع شفيع الامة يوم البعث والنشور ويأمن ظلام الكسد المحفور في جوار الضياء والنور ويحشر بما يناله من البركة والخبور منشرح الصدر اذا بعثت ما في القبور وحصل ما في الصدور ولقد وفق في اختياره أيام حياته نقله الى ذلك البيت المعمور فليمن الامير على هذه المكرمه وليعتز بوارثته في التربة الجماء ورتبة بقعة المعظمه) قال وكان هذا القاضي حقا جوادا لبذل اللهسى معتادا واسع المروءة جامع أسباب الفتوة يحب معالى الامور فضائله متجاوزة حد الوفور قال ابن القادسي ووصل الحاج في صفر بعدما اعتاقت أخبارهم وأخبروا ان داود أمير مملكة أخدم ما في الكعبة من أموال وأخذ طوقا كان يلزم الحجر الاسود فأوجب ذلك الشعثه وكان قد دخل بعض الباطنية بعد سنة أو بعثا فغضب به بدبوس وقال الى كم حجر وبيد ذلك الرجل سيف فأتجاسر أحد يقرب منه فتطوّر رجل وبذل نفسه للقتل وتقدم اليه فقتله فأخذ الحجر وجعلت شظاياها الفت وجعل له طوق فأخذ أمير مملكة ذلك الطوق فلما وصل أمير الحاج عزرم داود وولى أخاه مكرما ونقض قلعه كان بناها داود على جبل أبي



## كتاب (١٩٦) الروضتين

قيس وهو داود بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسني ولما صرّف عن مكة أقام بخيالة وتوفي بهما في رجب سنة تسع وثمانين وهو أمير ابن أمير إلى آخر من ذكرنا من آبائه وهم بستة نفر قال ابن الأثير وفي ربيع الأول سنة سبع وثمانين سارع الزينعي صاحب الموصل إلى جزيرة ابن عمر فحصرها وبها ابن أخيه معز الدين سنجر شاه لأنه كان سيء السيرة معه خارجا عن طاعته مساعد اللاعداء عليه فغزم على أخذها منه خضع وطلب العفو والصّح فاجابه وصالحه على قاعدة استقرت بينهم ما وعاد عنه إلى الموصل فعاد سنجر شاه إلى حالته الأولى فتحما وزعنه واطرحه

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين) قال العماد والسلطان مقبم بالقدس وقد قسم سور البلد على أولاده وأخيه وأجناده فشرعوا في انشاء سور جديد محدد قبه مديد وكان ركب كل يوم وينقل الصخر على قريوس سرجه فيستن الاكابر والامراء في نقل الخجارة بنحجه ولورأيته وهو يحمل حجر في حجره لعلّمتان له تلبا قد حمل جبلا في فكره ولم يجد في حيازة الصخرة المتسعة حتى حمل لها الصخر وانشرح صدره لا يسمها إلى صدره حتى باء صدورها ليكبه بها الصدور وما نعد دار بينهما في الجنة بنقل حجارتهما ليكون ملكا في دارها وقراني دارتها وداوم البكور في الركوب وعرض وجهه الكرم للشحوب قال وفي ثالث المحترم رحل الفرنج على سميت عسقلان وأشاعوا انهم يعيدون بها العمران وهم نازلون بظاهرها جاثلون في موارد هاهو صادرها فرأى الانكنازي دحنا على بعد فقصده وكان ثم جماعه من الاسد بة وسيف الدين يازكو وجو علم الدين قيصرو وهم غارون عا دهم فوصل المعين اليهم وقب المغرب فوقع عليهم وكانوا فريقين بارلين في موضعين فلما وقع على أحدهما ركب الفريق الباك واقفه حتى ركب الفريق الآخر فدافعوهم ووافعوهم وساقوا قدامهم أنقلهم وخلصوا ناجين وسلم الله أنفسهم من أيدي الملاحين ولم يبق من المسلمين الا أربعة وكانت نربة عظيمة دفع الله خطرهما وهون ضررها وفي حادي عشر المحرم كبس عز الدين جرديك تبني على من نزل بها من الفرنج فأوقع بهم البلاء وساق منهم اني عشر أسيرا ومناعا كبيرا وأغار أيضا باني صفر على ظاهر عسقلان وجاء ببلايين أسير او في ليلة رابع عشر صفر كنت سرية مفدة مها فارس الدين ميمون النصرى عند دني إلى ان عبرت قوافل الفرنج فساها ناجها وألقاها ونسائمها ورجلها وفي مسهل ربيع الآخر وصل سيف الدين المشطوب وقد خلص من الامر وقطعت عليه الفرنج خمسين ألف دينار يحمل منها عشرين ألفا وأعطاهم بالباقي رهائن فأحس السلطان لمساءه وأقطعها باليس بأعمالها فتوفي بها في آخر سؤال وفي ثالث عشر ربيع الآخر قتل الماركيس لعنه الله بصور وذلك ان رجلا من دحلصور وتنصرا وأظهر الترهب والتعمد ولزما الكنيسة وشكروا لها الفسا والرهان وأحبها الماركيس ولم يكن يصبر عنها ففي بعض الايام وباع عليه وفسلاه فأخذوا قتلا وعرفا بها كانا من الحسية فجاس مكاله الكدهرى باهر الانكنازي وسر الاكنازي بمصا الماركيس فانه كان يضاد دور اسل السلطان في الاعانة عليه فلما قتل سكن روعه وذهب عنه صره وتزوج الكندهرى بالملكة زوجة الماركيس في ايلته ودخل بها وهي حامل وما الحل في مله الفرنج عن النكاح حائل ويكون الولد منسوب الى المملكة هذه قاعدة هذه الطائفة المشركة وهذا الكندهرى ابن أخت ملك افرنسيس من أبه وملك انكنازيه من أمه ودخل الفرنج في حكمه وعاش الى آخر سنة أربع وتسعين وتولا هم دون سبع سنين وقال العماد في الفتح اضافة الاسقف بصور فاستوفى رزقه وتعدى وما درى انه تزدى واكل وشرب وشبع وطرب وخرج وركب فوئب عليه رجلان وسكا حركته بالسكاكين ودكاه عند تلك الكناكين وهرب أحدهما ودخل الكنيسة وقد أخرج تلك النفس الحسية فقال الماركيس وهو مجروح وفيه روح أجلى إلى الكنيسة فحملوه فلما أبصره أحد الجارحين وثب اليه وزاده جرحا على جرح وقرحا على قرح فآخذ الفرنج الرفيقين فالقوهم من القداوية الاسماعيلية من تدين فسألوهما من وضعهما على تدبير هذا التدمير فقالا ملك الانكنازيه فقتلا ثم قتله فيما لله من كافرين سفكادم كافر وفاجرس فكابفاجر قال ولم يعجبنا قتل الماركيس في هذه الحالة وان كان من طواغيت الصلالة لأنه كان عدو ملك الانكنازيه ومنازعه على الملك والسرير ومناقشه على القليل والكثير قال وفي تاسع جمادى الاولى استولى الفرنج على قلعة الداروم ثم خربوها ورحلوا عنها وأمر وام فيها

## في أخبار (١٩٧) الدولتين

كان الانكسار كثير الملعون قد اسفد من نوبة عكا نقابين حليبين فتمككوا من نهب المكان وأحرقوا النقب وطلب  
 هل الحصن مهلة يشاورون فيها السلطان فلم يمنحهم وفي رابع عشره خرجت الزكية على الفرنج على قلعة تعرف  
 بمجدل جناب كذا قال في الفتح وقال في البرق بمجدل بابا وكذا قال ابن شداد وقتل كد كبير ثم نزلوا بل الصافييه  
 ثم الى النطرون ثم الى بيت نوبه وهي وطأ دين جبال بينها وبين القدس مر حله وقد ألهبهم المسلمون بهمهم  
 وأضعفهم بسلبهم يتسلطون عليهم من كل ناحية ويكون لهم تحت كل رأسه وقد قوت قلوبهم بنبات السلطان  
 بالقدس وفي اسلاح الشهر النقي الجمعان وقد وصل العدو الى قلوبه وهي من القدس على فرسخين لما رأى العدو  
 ما لا يدان له به رجعا كصاعلي عتقيه والمسلمون في أثرهم يكون لهم ويتلون منهم وكان بدر الدين دلدري في ذلك  
 فبعث من مكي لهم عند طريق يا فاقرب بهم فوارس فاستولى عليهم الكين واسلم منهم أحد وفي ثالث حار الآخرة  
 كبست الكينا فاقلة فكبست وسلبت وأسمرت وفي تاسعه وصل الخبر بان الفرنج رحلوا بأمرهم ليلاً وأدجوا  
 ولم نعلم قصدهم فعرف السلطان ان الذي طريق العسكر المصري فندب الامير خفر الدس الطنبا العادلي وسمي  
 الدين أسلم الناصري حتى بعلم العسكر فالتقى بهم بالحسي وأخبراهم الحسبة نزلوا وعرضوا بهم بظنون ان لاجس  
 للعدو بارض الحسي فجاءهم فقامهم فاستولى على بعض الاموال وخلص أكثرهم مع الرجال ومن جملته من كان  
 في العسكر فلك الدين أخو العادل لاه فنجبا قد رعايه من القرافل قال العادل وحري هذا كله والمكان العادل  
 والافضل غائبان وعساكر الموصل وسنحار وديار بكر متباطئة في الانيان وسببه ما كان من تقي الدين وموته  
 وتشروطه في بقاء بلاده عليه وان الافضل كان طلب من والده البلاد فاطع الفرات ونزل عن جميع ماله  
 من الولايات وانذاعه الى الرها وحران ملك تلك البلدان ورحل من القدس في ثالث صفر وأطلق له السلطان  
 عشرين ألف دينار سوى ما أصبح به برسم الخلع والنشر ثقات ووصل الى حلب فاحتفل أخوه الظاهر قدومه وأقام  
 له بسن المسكارم ورسومه ونف من خدمته مائلا وبغطف الابتاح اليه مائلا وأحضر له مفايح بلده وقدم له كل  
 ما في يده وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما ألقفه ودفع منه الى ما أرهجه وأرهقه ووصل رسوله الى العادل وهو  
 بالقدس لاجئا الى ذممه راجيا الفص له لا نجا يجنباه عائذا بيايه فاحتمى له واحتمله وقوى في تويته أمه وخطب  
 لسلطان في حقه واستعطفه وقال أنا أمضى اليه وأحضره وأمنه مما يجذره وتبقى هذه السنة عليه حران والرها ونعطييه  
 في السنة الاخرى جاءه المعره ثم قرر السلطان مع أخيه العادل ان يأخذ هو تلك البلاد ويزل عن اقتناعه عسره  
 ونصف خاصه ففعل واستازد قلعة جعبر فامتنع المالك الظاهر من تسليمها حتى استظهر فصار العادل في العسر الاول  
 من جمادى الاولى وكتب السلطان الى الافضل بالعود فاجعها وذهب ذلك مسارعا ووصل الى حران والرها  
 وعاد في آخر جمادى الآخرة ومعه ابن تقي الدين فان القاضى ابن شداد عاد الافضل منكسرا متعبا فوصل دمشق  
 ولم يحضر الى خدمة السلطان فلما اشتد خبر الفرنج سير اليه وطلبه فواسعه التأخر فصار اليه مع العساكر الواصلة  
 اليه من الشرق فلقية السلطان وترجل له جبر القلبيه وتعليما لامره قال ولما بلغ ابن تقي الدين موقعة السلطان  
 أنفذ الى العادل يستنفع به ليطيب قلب السلطان عليه ويقترح أحد قسمين أما حران والرها وسميساط وأما حار  
 ومنج وسليمه والمعرة مع كفالته اخوته فراجع العادل السلطان مرارا فلم يفعل ذلك ولم يجب الى شئ منه فكثرت  
 الشفاعة اليه خلف له على حران والرها وسميساط على انه اذا عبر الفرات أعطى المواضع التي اقترحها وتكفل  
 اخوته وتخلي عن تلك المواضع التي في يده ثم التمس العادل خط السلطان فاني وألغ عليه فخرق نسخة اليه  
 وانقطع الحديث وأخذ من السلطان الغيظ كيف يخاطب بمثل ذلك من بعض أولاد أولاد أخيه ثم أعضاه خطه  
 بما استقر من القاعده ثم ان العادل التمس من السلطان البلاد التي كانت بيد ابن تقي الدين بعد ان نقله ووجرت  
 من اجعات كثيرة في العوض عنها فكان آخر ما استقرانه ينزل عن كل ما هو سامي الفرات ما خلا الكرك والشوبك  
 والاصلت والبلقا وخاصة بصر بعد النزول عن خبز وعليه في كل سنة ستة آلاف غرارة غلة تمجيد لسلطان من  
 الصلت والبلقا الى القدس

**(فصل ١٠)** في عزم الفرنج على قصد القدس وسببه قال القاضي ابن شداد وكان تقدم السلطان الى عسكر مصر بالمسير وأوصلهم بالاحترار عند مقاربة العدو فافاموا بنابلس أياما حتى اجتمعت القوافل اليهم واتصل خبرهم بالعدو ثم ساروا طابى البلاد والعدو يتربأ أخبارهم ويتوصل اليهم بالعرب المفسدين ولما تحقق العدو أمر القفل امر عسكره بالانحياز الى سفح الجبل وركب في ألف راكب مردفين ألف راجل فأتى تل الصافية فبات ثم سار حتى أتى ما يقال له الحسى فانفذ السلطان الى العاقلة نذره بنهوض العدو وأمرهم ان يبعدوا في البرية وركب الانكثير الملعون مع العرب يجمع يسير وسار حتى أتى القفل وطاف حوله في صورة عربى ورأهم ساكنين قد غشهم النعاس فعاد واستركب عسكره وكانت الكيسة قريبة الصباح فبعث الناس ووقع عليهم بخيله ورجله فكان الشجاع الابد القيم الذى ركب فرسه ونجا بنفسه وانقسم القفل ثلاثة أقسام قسم قصصوا الكرك مع جماعة من العرب وقسم أوغلو فى البرية مع جماعة من العرب وتسم استولى العدو عليهم فساقتهم بجهالهم واجمالها وجميع ما معهم وكانت وقعة شنعاء لم يصب الاسلام بمنزلها من مدة مديدة وتبدد الناس فى البرية ورموا اموالهم وكان السعيد منهم من نجا بنفسه وجمع العدو ما أمكنه وجمعه من الخيل والبغال والاقسة وسائر أنواع الاموال وكلف الجمالين خدمة الجمال والخربندية خدمة البغال والساسة خدمة الخيل وسار فى جمفل من غنيمة يطلب عسكره ولقد حكى من كان أسير معهم انه فى تلك الايلة وقع فيهم الصوت ان العسكر السلطانى قد لحقهم فتركوا الغنيمة وامرؤوا وبعدوا عنها زمانا ثم انكشف الامر فعادوا وقد هرب جمع من الاسرى وكان الحاكى منهم واخبر ان الاسارى خمسة مائه والجمال تناهز ثلاثة آلاف رجل ووصل العدو الى مخيمه سادس عشر جمادى الآخرة وكان يوما عظيما عندهم وصح عزمهم على القدس وقويت نفوسهم عما حصلوا عليه من الاموال والجمال التى تتغل الميرة والازوا ورتبوا جماعة على لد يحفظون الطريق على من ينقل الميرة وانفذوا الكندهرى الى صور واطرا بلس وعكا يستحضر من فيهما من المغاللة ليصعدوا الى القدس حرسه الله تعالى ولما عرف السلطان ذلك منهم عمد الى الاسوار فقسمها على الامراء وتقدم اليهم بتهينة أسباب الحصار وأخذ فى افساد المياه فظاهر القدس فخرب الصهاريج والجباب بحيث لم يبق حول القدس ماء يشرب أصلا وأرض القدس لا يطعم فى حفر يتر فيها ما معين فى جميعها لانها جبل عظيم وحجر صلب وسير الى العساكر يطلبها من الجوانب والبلاد قال ولما كان ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة أحضر السلطان الامراء عنده فحضر الامير أبوالهيجا السمين بمشقة عظيمة وجلس على كرسي فى خدمة السلطان وحضر المشطوب والاسدية بأسرهم وجماعة الامراء ثم أمرنى ان أكلهم واحثهم على الجهاد فذكرت ما يسر الله من ذلك وكان مما قلته ان النبى صلى الله عليه وسلم لما استنذبه الامر بايعه الصحابة رضوان الله عليهم على الموت فى لقاء العدو ونحن أولى من تأسى به صلى الله عليه وسلم والمصلحة الاحتجاج عند الخيرة والتحالف على الموت فلعل بركة هذه النية يندفع هذا العدو فما يستحسن الجماعة ذلك ووافقوا عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكنت زمانا فى صورة فكر والناس سكوت كان على رؤسهم الطير ثم شرع وقال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعلم انكم جنسد الاسلام اليوم ومنعته وأنتم تعلمون ان دماء المسلمين وأموالهم وذراتهم معلقة فى ذمكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من بلقاءه الا أنتم فان لويتم أعنتكم والعياذ بالله طوى البلاد كطى السجبل للكتاب وكان ذلك فى ذمتكم فانكم أنتم الذين تصدقتم لهذا كله وأكلتم مال بيت مال المسلمين فالسائرون فى سائر البلاد متعلقون بكم والسلام فاندب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال يا مولانا نحن مما اليك وعبيدك وأنت الذى أنعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا وأعظمتنا وأغنيتنا وليس لنا الا رقبانا وهى بين يديك والله ما يرجع أحد منا عن نصرتك الى ان يموت فقال الجماعة مثل ما قال وانبطت نفس السلطان بذلك المجلس وطاب قلبه وأطعمهم ثم انصرفوا ثم انقضى يوم الخميس على أشد حذل فى التأهب والاهتمام حتى اذا كان العشاء الآخرة اجتمعنا فى خدمته على العادة وسمعنا حتى مضى هزيع من الليل وهو غير منبسط على عادته ثم صلينا العشاء وكانت الصلاة هى الدستور العام فصلينا وأخذنا فى الانصراف فدعانى رحمه الله وقال أعلمت ما الذى تجددت لا قال ان أبوالهيجا السمين انفذ الى اليوم وقال انما اجتمع عندى جماعة مما يلبسك الامراء وأذكر واعليهما موافقتنا لك على الحصار والتأهب له وقالوا المصلحة فى ذلك

فاننا نخاف ان نحصر ويجرى علينا مثل ماجرى على أهل عكا وعنده ذلك تؤخذ بلاد الاسلام جميعا والراى ان نلقى مصاف فان قدر الله أن نهمهم ملكا بكية بلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر ومضى القدس وقد انخفضت بلاد الاسلام بعساكرها مدة تغير القدس وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لانه حمل الجبال فشق عليه هذه الرسالة وأقت تلك الليلة في خدمته حتى الصباح وهي من الليالي التي أحيها في سبيل الله رحمه الله وكان مما قالوه في الرسالة أنك ان أردتنا نقيم فتكون معنا أو بعض أهلك حتى نجتمع عنده والافالا كرادلا يدينون للترك والترك لا يدينون للكراد وان فصل الحال على أن يقيم من أهلهم محمد الدين بن فرخسأه صاحب بعليك وكان رحمه الله يحدث نفسه بالمقام ثم منعه رأيه عنه لما فيه من خطر الاسلام فلما قارب الصبح أسفقت عليه وخطبته في أن يستريح ساعة لعل العين تأخذ حظها من النوم وانصرفت عنه الى دارى فما وصلت الا والمؤذن قد أذن فأخذت في أسباب الموضوع فما فرغت الا والصبح قد طلع وكانت أصلي الصبح معه في غالب الاحوال فعادت الى خدمته وهو يحسد الموضوع فصلينا ثم قلت له قد وقع لي واقع أعرضه فأذن لي فيه فقلت المولى في اشتهاه وما قد حل نفسه من هذا الامر يجتهد فيما هو فيه وتدعجرت أسبابه الارضية فيبغى أن يرجع الى الله تعالى وهذا يوم الجمعة وهو أرك أيام الاسبوع وفيه دعوة مستجابة في صحيح الاحاديث ونحس في أبرك موضع بقدر أن يكون فيه في يومنا هذا فالسلطان يغتسل للجمعة ويتصدق بشئ خفية بحيث لا يشعر به منك وتصلى بين الادان والافامة ركعتين تنجى فيه مارك ونفوض مقاليد أمورك اليه وتعترف بحزك عما تصدبت له فلعن الله يرحمك ويستحيب دعاك قال وكان رحمه الله حسن العقيدة تام الايمان يتلقى الامور الشرعية بأكل انقياد وقبول ثم انفصلنا فلما كان وقت الجمعة صليت الى جانبه في الاقصى وصلى ركعتين ورأيت ساجدا وهو يذكر كلمات ودموعه تنقاط على مصلاه رحمه الله ثم انقضت الجمعة بخير لما كان عشيتها ونحس في خدمته على العادة وصلت رقعة جريدك وكان في الزك يقول فيما ان القوم ركبوا بأسرهم ووقعوا في البر على ظهر ثم عادوا الى خيامهم وقد سيرنا جواسيس تكشف أخبارهم ولما كان صبيحة السبت وصلت رقعة أخرى يخبر فيها ان الجواسيس رجعوا وأخبروا ان القوم اختلغوا في الصعود الى القدس والرحيل الى بلادهم فذهب الفرنسيسية الى الصعود الى القدس وفالوا نحن اعا جئنا من بلادنا بسبب القدس ولا ترجع دونه وقال الانك كثيرى ان هذا الموضوع قد أفسدت مياحه ولم يبق حوله ماء أصلا في أين نشر فاولوا له نشر من نهر نفوع وبنده وبين القدس مقدار فرسخ فقال كيف نذهب الى السقي فقالوا انقسم قسمين يذهب الى السقي مع الدواب وقسم يبقى على البلد في الزك ويكون النشر في اليوم مرة فقال الانك كثيرى اذا يؤخذ العسكر البرانى الذى يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلد على الباقين ويذهب دين الصراية فان فصل الحال على انهم حكموا ثلثمائة من أعيانهم وحكم الثلثمائة اثني عشر من أعيانهم وحكم الانا عشر ثلاثة منهم وقد باتوا على حكم الثلث لانه في الأمر ومنهم به يفعل فلما أصبحوا حكموا عليهم بالرحيل فممكن المخالفة وأصبحوا في بكرة الحادى والعشرين من جمادى الآخرة را حلسين الى نحو الرملة نا كصين على أعقابهم والله الحمد ووقف عسكرهم الى ان لم يبق في المترلة الا الآثار ثم نزلوا بالرملة وتواتر الخبر بذلك فركب السلطان قدس الله روحه وركب الناس وكان سرور وفرح ولكن السلطان خاف على مصر لما حصلوا عليه من الجبال والظهور وكان يدد كرا الانك كثيرى مثل هذا مارا

**(فصل)** في تردد رسل الانك كثيرى في معنى الصلح وما جرى في اثناء ذلك الى أن تم والله الحمد وقد ساق ذلك القاضي ابن شذاد أحسن سياق واستقصى الامر فيه بخلاف العماد فقال ان الانك كثيرى جاء منه رسول يقول قد هلك كائننا وأنت والاصلح حق الدما ولا ينبغي أن يعتقد ان ذلك عن ضعف منى بل للمصلحة ولا تغتر بتأخرى عن منزلى قال كبشيت آخر لينطع ثم جاء رسوله يقول لا يجوز لك أن تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي أن أهلك الفرنج كلهم وهذا ابن أختي الكندهرى قد ملكته هذه الدار وسلطه اليك يكون هو وعسكره بحكمك ولو استدعيتهم الى الشرق سمعوا وأطاعوا وان جماعة من الرهبان والمنقطعين قد طلبوا منك كنائس فاجلخت عليهم بها وأنا أطلب منك كنيسة وتلك الامور التي كانت تضيق صدرك لما كانت تجرى المراسلة مع الملك العادل قد قلت بتركها وأعرضت عنها ولو أعطينى مائة أوقية أو قربة قبلتها وقبلتها فاستشار السلطان الامر في جوابه فأشاروا بالجماسة وعقد

## كتاب (٢٠٠) الروضتين

الصلح لما كان قد أخذ المسلمين من الضجر والتعب وعلاهم من الديون واستقر الحال على هذا الجواب أنك إذا دخلت معنا هذا الدخول فاجزاء الاحسان الا الاحسان ابن أخته يكون عندي كبعض أولادى وسيبلغك ما فعل فى حقهم من الخير وأنا أعطيتك كبر الكائنات وهى الفمامة وبقية البلاد تقسمها والساحلية التى بيدك تكون بيدك والى بأيدى بنامن القلاع الجبلية تكون لنا وما بين العمليين يكون مناصفة وعسقلان وما وراءها تكون خرابا لنا ولا لكم وان أردتم قراها كانت لكم والذى كنت أكرهه حديث عسقلان فانفصل الرسول طيب القلب واتصل الخبر انهم بعد وصول الرسول اليهم راكبوا الى جهة عسقلان طالبون جهة مصر ووصل رسول من جانب قطب الدين بن قليب ارسلان يقول ان البابا قد وصل الى قسطنطينية فى خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال الرسول انى قتلت فى الطريق اثنى عشر فارسا ويقول تقدم الى من يتسلم بلادى منى فانى قد عجزت عن حفظها فاني بصدق السلطان هذا الخبر ولا كثر يده ثم جاء رسول الانكليزى يطلب أن يكون فى قلعة القدس عثمرون نفر وان من سكن من الانصارى والفرنجى فى البلد لا يتعرض لهم وأما بقية البلاد فلنا منها الساحليات والوطأة والبلاد الجبلية لكم وأخبر الرسول من عند نفسه مناصحة انهم قد نزلوا عن حديث القدس ما عدا الزياره انهم يقولون هذا تصنعوا وانهم راغبون فى الصلح وان ملك انكليزى لا بد له من الراح الى بلده فأجاب بأن القدس ليس لكم فيه حديث سوى الزياره فقال الرسول وليس على الزوار شئ يؤخذ منهم فلم من هذا القول الموافقة وأما البلاد فعسقلان وما وراءها لا بد من خرابه فقال الرسول قد خسرت الملك على سورهما لا جزيل فأسأل المستوطون أن يجعل من ارضها وقراها فى مقابلة خسارته فأجاب السلطان وان الداروم وغيره يخرب ويكون بلادنا مناصفة وأما باقى البلاد فليكون لهم من يافا الى صور باعها لها ومهما اختلفنا فى قرية كانت مناصفة ثم جاء الرسول يقول الملك يسألك ويخضع لك فى أن تترك له هذه الاماكن الثلاثة عامرة وأى قدر لها عندنا ملك وعلمته لك وما سبب اصراره عليهم الا أن الفرنج لم يسموا بها وهو قد ترك القدس بالكلية لا بطلب أن يكون فيه لارهبان ولا قسوس الا انى انقمامة وحدها فتترك له أنت هذه البلاد ويكرن الصلح عاما فيكون لهم كل ما فى أيديهم من الداروم الى انطاكية ولكم ما فى أيديكم ويتنظم الحال ويروح وان لم ينتظم الصلح فالفرنج ما يكونونه من الراح ولا يكمنه مخالفتهم قال الغاضى فانظر انى هذه الصلحة فى استخلاص الغرض باليمن تارة وبالخشونة أخرى وكان لعنه الله مضطرا الى الراح وحدها عمله مع اضطرا له أن يكفى المسلمين مكروه فجا بلوا بأعظم حيلة ولا أسدا قد امانه فأجابه السلطان بأن انطاكية لما معهم حدث فيها ورسلا عندهم غان عادوا بما يريد أن دخلناهم فى الصلح والافلا وأما التى سألهما فلا توافق المسلمين على دفعها اليه والا فلا قدر لها وأما سور عسقلان فليأخذ فى مقابلة ما خسره عليه لد فى الوطأة ثم عاد الرسول وقال ان الملك قال لا يمكننا أن نخرب من عسقلان حجارة واحدة الا لسمع فى البلاد مثل ذلك وأما البلاد فخذودها معروفة لا مكره فيها وعند ذلك تأهب السلطان للخروج الى جهة العدو واطهار القوة وسددة العزم على اللغاء وبلغه فى العاشر من رجب ان الفرنج خذلهم الله قد رحلوا طالبين نحو بيروت فبرز من القدس الى منزلة يقال لها الجيب وجاء العادل من الشرق والظاهر من حلب ورحل من الجيب الى بيت نوبة ثم رحل الى الرملة فقتل بها على تلال بين الرملة ولد وركب جريدة حتى أتى يازور وبيت حن وأشرف على يافا ثم نزل عليها من الغد ورتب عسكره فى الميمنة ولده الظاهر فى الميسرة أخوه العادل وركب المنجنيقات وزحف عليها فأرسل العدو رسولين نصرانيا وفرنجيا يطلبان الصلح فدل منهم قاعده القدس وقطيعته فأجابوا الى ذلك واسترطوا وأن ينظر والى يوم السبت التاسع عشر رجب فان جاءتهم نجدة والامت القاعده على ما استفرقوا فى السلطان الانظار وأمر بالنقب فحشى وأحرق فوقع بعض البدنة فوضع العدو وأخشايا عظيمة خلف النقب فالتهب فنسح من الدخول فى الثمة وقاتلت خارج الابواب الى الليل فلما أصبحوا وقعت البدنة فعلا غبار مع الدخان فأظلم الافق ومات جاسر أحد على الولوج خوفا من اقحام النار فلما انكشفت الغبرة ظهرت أسنة قد نابت مناب الاسوار ورماح قد سدت الثمة حتى عن نفوذ الابصار ورأى الساس هو لا عظيم من صبرا القوم وثباتهم ولقد رأيتم رجلا من على مشى السور بمنعان المتساق فيه من جهة الثلة وقد أتى أحد هاجر المنجنيق

## في اخبار (٢٠١) الدولتين

فأخذه ونزل الى داخل فقام رفيقه في مقامه متصد بالمثل مالحقه أسرع من لمح البصر بحيث لم يفرق بينهما الا ما قد بصير ولما رأى العدو ما قد آل الامر اليه سيرا ويطلبون الامان فقال رحمه الله الفارس بفارس والتركي بكلي مثله والراجل بالراجل والعاجز فعلى قطيعة القدس فنظر الرسول ورأى القتال على النبله أشد من اضرار النار فسأل السلطان ان يبطل القتال الى ان يعود فقال ما أقدر على منع المسلمين من هذا الامر ولا كن ادخل الى امحبابك فقل لهم ينحازون الى القلعة ويتركون الناس يشتغلون بالبلد فابقي دونه مانع ففعلوا وانحازوا الى قلعة يافا بعد ان قتل منهم جماعة ودخل الناس البلد عنوة ومنهم وامنه أشقة عظيمة وغلا لا كنيهة وانانا وبما يقاس مانهب من القافلة المصرية واستقرت القاعدة على الوجه الذي قرره السلطان وكان قايمًا بالنجمي في طرف الغور لجانيته من عسكر العدو الذي لكاف وصل منه كتاب يخبر فيه ان الانكليزي الملعون لما سمع خبر يافا أعرض عن قصد بيروت وعاد على قصد يافا فاستدعزم السلطان على تمة الامر وتسلم القلعة وكنت ممن لم ير الامان لانه قد لاح أخذهم وكان الناس لهم مدة لم يظفروا من العدو نعم يوثبهم عليه مكان أخذهم عنوة مما يبعث هم العسكر غير ان الامان وقع وانفق الصلح فكنت بعد ذلك ممن يحث على اخراج العدو من القلعة وتسليمها خوفا من حقوق الجدة وكان السلطان يشتد حرصه على ذلك غير ان الناس قد أقعدهم التعب عن امتثال الامر وأخذ منهم الحديد وشدة الحر ودخان النار بحيث لم يبق لهم استطاعة على الحركة وسمعنا بوق الفرنج في السحر فعلمنا بوصول الجدة عز الدين جردك وعلم الدين قيصر ودرباس المهراني وعدل الخزانة شمس الدين وقال امض الى الملك الطاهر وقل له يتغف ظاهر الباب القبلي وتدخل أنت ومن ترأه الى القلعة وتخرجون القوم وتسئلون على ما فيها من الاموال والاسلحة وتكتبها بخطك الى الظاهر وهو ظاهر البلد وهو يسيرها اليها ففعلنا ودخلنا القلعة وأمرنا الفرنج بالخراب فاجابوا وتميئوا فقال جردك لا ينبغي ان يخرج منهم أحد حتى يخرج الناس من البلد خشية ان يتخطفوهم وكان الناس قد دخلهم الطمع في البلد وأخذ يشتد في ضرب الناس واخراجهم وهم غير مضبوطين بعدة ولا محصورين في مكان فكيف يمكن اخراجهم وطال الامر الى ان علا النهار وأنا ألوم وهو لا يرجع عن ذلك والزمان مضى فلما رأيت الوقت يفوت قلت له ان الجدة قد وصلت والمصلحة المسارعة في اخراجهم فاجاب وأخرجنا خمسة وأربعين نفرًا بخيولهم ونساءهم وسيرناهم ثم اشتدت أنفس الباقين وحدهم نفوسهم بالعصيان وكانوا استقلوا المراكب التي جاءتهم وظنوا ان لانجدة لهم فيها ولم يعلموا ان الانكليزي مع القوم ورأهم قد تأخروا عن التزول الى علو النهار فخافوا ان يمتنعوا فيؤخذوا ويقتلوا فخرج من خرج ثم بعد ذلك قويت الجدة حتى صاروا خمسة وثلاثين من بكاف قويت نفوس الباقين في الحصن فظهرت منهم امارات العصيان ودلائله فقلت لا يحسن بناخذوا حذرهم فقد تغيرت عزائم القوم فما كان الا ساعة بحيث صرت خارج البلد وقد حمل القوم من القلعة وأخرجوا من كان في البلد من الاجناد ولقد ازدحم الناس في الباب حتى كاد يتلف منهم جماعة وبقي في بعض الكائنات جماعة من رعاي العسكر مشغلين بما لا يجوز فجمعوا عليهم وقتلوا منهم وأسروا ولما عرف السلطان أمر الناس زحف وعاد للخصار كما كان وحشر والعدو في القلعة واسنبتوا نزول الجدة اليهم وخافوا وخوفًا عظيمًا فارسوا بطر كهم والقسطلان الى السلطان يعتذران مما جرى ويسألنا القاعدة الاولى وكان سبب امتناع نزول الجدة انهم رأوا البلد مسجونًا ببندق المسلمين ورجالهم يخافوا ان تكون القلعة قد أخذت وكان البحر يمنع من سماع الصوت وكثرة الضجيج والتمايل والتكبير فلما رأى من في القلعة شدة الزحف عليهم وامتناع الجدة من التزول مع كثرة هفاتها فبلغت نيفا وخمسين من كبا منها خمسة عشر من الشواني علموا ان الجدة قد ظنوا ان البلد قد أخذ فذهب رجل منهم نفسه للسلج وقفز من القلعة الى المينا وكان رملا فلم يصبه شيء وعاد الى البحر فحدث الانكليزي بالحديث فما كان الا ساعة حتى نزل كل من في الشواني الى المينا هذا كله وأنا شاهد ذلك ففعلوا على المسلمين فاخرجوهم من المينا فقبض السلطان على الرسل وأمر بتأخير الثقل والاسواق الى يازور فحمل الناس وتخلف لهم ثقل عظيم مما كانوا يهابون يافا وخرج الانكليزي الى موضع السلطان الذي كان فيه لمضايقه البلد وامر من في القلعة ان يخرجوا اليه لتعظيم سواده ثم اجتمع به جماعة من المماليك طلبهم وحضر الحاجب أبو بكر العيادي وكان قد صادق جماعة من خواص المماليك ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا

## كتاب (٢٠٢) الروضتين

يجتمعون به في أوقات متعددة وكان قد صادق من الامراء جماعة كعبد الدين دلدرد وغيره فلما حضر واعنده جد وحزل ومن جملة ما قال هذا السلطان عظيم وما في الارض للاسلام ملك اكبر ولا أعظم منه كيف رحل عن المكان بمجرد وصولي والله ما لبست لامة حربى ولا تأهبت لامر وليس في رحلى الا زبول البحر فكيف تأخر ثم قال والله انه لعظيم والله ما ظننت انه يأخذ يافا في شهرين فكيف أخذها في يومين ثم قال لاني بكر الحاجب تسلم على السلطان وتقول له بالله عليك اجب سؤالي في الصلح فهذا امر لا بد له من آخر وقد هلك بلادى وراء البحر وما دام هذا مصلحة لنا ولا لكم فارسل السلطان اليه في الجواب انك كنت طلبت الصلح أولا على قاعدة وكان الحديث في يافا وعسقلان والآن فقد خربت هذه يافا فيكون من قيسارية الى صور فارسل الانككتيرى يقول ان قاعدة الافرنج انه اذا أعطى واحدا لواحد بلدا صار تبعه وغلامه وانا اطلب منك هذين البلدين يافا وعسقلان وتكون عساكرهما في خدمتك انما واذا احتجت الى وصال اليك في اسرع وقت وخدمتك كما تعلم خدمتي فقال السلطان حيث دخلت عسقا المدخل فانا اجيبك على ان تجعل البلدين قسعين أحدهما لك وهو يافا وما وراءها والثاني لى وهو عسقلان وما وراءها ثم رتب السلطان اليرك يسار ورور وامر بخراجهما وخراب بيت حن ورتب القبايين لذلك وسار الى الرملة فعاد رسول الانككتيرى يشكر على اعطائه يافا ويجدد السؤال في عسقلان ويقول له ان وقع الصلح في هذه الايام الستة سار الى بلاده والا احتاج ان يشترى ههنا فاجابه السلطان في الحال وقال اما النزول عن عسقلان فلا سبيل اليه واما تستيتيه ههنا فلا بد منها لانه قد استولى على هذه البلاد ويعلم انه متى غاب عنها أخذت للضرورة واذا أقام ايضا ان شاء الله تعالى واذا سهل عليه ان يشترى ههنا ويبعد عن أهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب في عنفوان شبابه ووقت اقتناص لذاته فاسهل على ان أسرى واصيف وأنا في وسط بلادى وعمدى أهلى واوالدى ويأتى الى ما أريده ومن أريده وانارجل شيخ قد كرهت لذات الدنيا وشبعت منها ورفضتها عنى والعسكر الذى يكون عندى فى الشتاء غير الذى يكون فى الصيف وانا اعتمدانى فى اعظم العبادات ولا أزال كذلك حتى يعطى الله النصر لمن يشاء ثم جاء رسول يقول كم أطرحت نفسك على السلطان وهو لا يقبلنى وانا كنت أحرص حتى أعود الى بلادى والآن فقد هجم الشتاء وتغيرت الانواء وعزمت على الإقامة وما بقى ريننا حديث ثم بلغ السلطان ان عسكر العدو قد رحل من عكا قاصدا يافا فسار رحمه الله فتنزل على العوجا ووصل من أخبره ان العدو دخل قيسارية ولم يبق فيه طمع وبلغه ان ملك الانككتيرة ازل خارج يافا في نفر يسير فوقع له ان يكسبه فاتاه فوجد خيمه نحو عشرين خيما فحملوا عليهم فقتلوا ولم يتحركوا من اماكنهم وكسروا عن أنياب الحرب وكانوا على الموت أصبح فرار تاع المسلمون منهم ورجوا من ثباتهم وورادوا حولهم حلقة وكانت عدة الخيل سبعة عشر و قيل تسعة والرجال ثلثمائة أو أكثر فوجد السلطان من ذلك موجدة غنية ودار على الاطلاب بنفسه يحتمهم على الحلة ويعدهم بالحسنى على ذلك فلم يجب دعاءه أحد سوى ولده النظار قال وبلغنى انه قال له الجناس اخو المشطوب قل لعلمائك الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم الغنية يجهلون وكان فى قلوب العسكر من صلح السلطان على يافا شئ حيث قوتهم الغنية فلما رأى السلطان ذلك أعرض عن القتال وغضب وسار الى بازر قال ولقد بلغنى ان الانككتيرة اى أخذ ربحه ذلك اليوم وحمل من طرف المينة الى طرف الميسرة فلم يتعرض له أحد قلت ووصل من الفاضل كتاب من دمشق يقول فيه (كثر الارجاف بهلاك ملك الانككتيرة فان كان كذلك فجواب كل من قصر فى يافا عن أخذها عن السلطان الانتصروه فقد نصره الله وجواب السلطان لهم عن ملك الانككتيرة ان تقهواوه فقد قتل الله ولم يرل لطيفا ولم يرل مولانا يحمل الثقل ثقيلا وخفيفا ومن كان الله عليه لم يكن قويا ومن كان الله معه لم يكن ضعيفا) قال القاضي ثم سار السلطان الى النظرين ثم الى القدس فنظروا الى العمائر ورتبها ثم عاد الى النظرين وتواف الىه فيه العساكر ووصل علاء الدين ابن صاحب الموصل ثم قدم عسكر مصر وفيهم سيف الدين بازكوج وجماعة الاسدية فى خدمة ولده الملك المؤيد مسعود ووصل المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين فلقبه النظار الى بيت نوبه ودخل به على السلطان فنهض واعتنقه وضمه الى صدره وغشيه البكاء فصبر نفسه حتى غلبه الامر فبكى الناس لبكائه ساعة ثم باسطه وسأله عن الطريق وكان معه عسكر جميل ففترت عين السلطان به ثم سار ونزل فى مقدمة العسكر مما يلي الرملة



## في أخبار (٢٠٣) الدولتين

ولما رأى السلطان العساكر قد اجتمعت جمع أرباب الرأي وقال ان ملك الانكليزية قد مرض مرضا شديدا والافرنسيسية قد ساروا راجعين ليعبروا البحر من غير شك ونفقاتهم قد قلت وارى ان نسير الى يافا فان وجدنا فيها طامعا والاعداء الى عسقلان فما تلحقها النجدة الا وقد بلغنا منها غرضا فوافقوه على ذلك فارسل عز الدين جرديك وجمال الدين فرج سادس شعبان حتى يكونا قريبا من يافا هذاورسل الانكليزية لاتنقطع في طلب الكهنة والثلج وأوقع الله عليه في مرضه شهوة الكثرة والخوف وكان السلطان يمد به بذلك ويقصد كشف الاخبار بتواتر الرسل والذي انكشف له ان فيها ثلثمائة فارس على قول المكثرومائتي فارس على قول المقلل وان الكندهرى تردد بينه وبين الفرنسيسية في مقامهم وهم عازمون على عبور البحر قولوا واحد افسار السلطان الى جهة الرملة وجاء رسول الانكليزية مع الحاجب ابى بكر يشكر السلطان على اسعافه بالثأ كنهة والنج وذكروا بوبكر انه انفرد به وقال له قل لاسى يعنى الملك العادل يتبصر كيف نتوصل الى السلطان فى معنى الصلح ويستوهب له منه عسقلان وامضى ويبقى هوهمنا مع هذه الشزيمة اليسيرة يأخذ البلاد منهم فليس غرضى الا اقامة جاهى بين الفرنجية وان لم ينزل السلطان عن عسقلان فأخذنى منه عوضا عن خسارتى على عمارة سورها فارسل السلطان الى العادل ان تزولوا عن عسقلان فصالحهم فان العسكر قد ضمير من ملازمة السيكا والنفقات قد نفذت ثم ان الانكليزية نزل عن عسقلان وعن العوض عنها واستوثق منه على ذلك فاحضر السلطان انديوان يوم السبت نامن عشر شعبان وذكر يافا وعلمها واخرج الرملة منها ولد ومجمل بانام ذكر قيسرية واعمالها وارسوف وعلمها وحيفا وعلمها وعكا وعلمها واخرج منها الناصرة وصفورية واثبت الجميع فى ورتة وقال للرسول هذه حدود البلاد التى تبقى فى ايديكم فان صالحتم على ذلك فبارك وقد اعطيتكم بدي فينفذ الملك من يحلف فى بكرة غد والا فنعلم ان هذا نذير ومطالبة وكان من الماعدة ان تكون عسقلان خرابا وان يتفق أصحابها وأصحابهم على خرابها واشترط دخول بلاد الاسماعيلية واشترطوا هم دخول صاحب انطاكية وطرابلس فى الصلح وشرط ان تكون الرملة ولد بين المسلمين وبينهم مناصفة واستقرت الماعدة على انهم يجتمعون يوم الاربعاء الثانى والعشرين من شعبان ورضى الاسديارية والدواية وسائر مقدمى الافرنجية بذلك ولم يحلف الانكليزية بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع من السلطان بمثل ذلك ثم حلف الجماعة لحلف الكندهرى ابن اخته المختلف عنه فى الساحل وباليان بن بارزان ابن صاحبة طبرية ووصل ابن المنقرى وابن بارزان وجماعة من مقدميهم الى السلطان فاخذوا يده على الصلح واقترحوا حلف جماعة العادل والافضل والظاهر المنصور وسيف الدين المشطوب ولد لهم وابن المقدم وصاحب شيرز وكل مجاور لبلادهم وحلف صاحب انطاكية وطرابلس وعلق اليين بشرط حلفهم للمسلمين قال ووصل رسول سيف الدين بكثر صاحب خلاط بيدى الطاعة والمواقفة وتسيير العسكر وحضر رسول الكرج وذكر فصلا فى معنى الديارات التى لهم فى القدس وعمارته وشكوا من انها أخذت من ايديهم ويسأل ردها الى أيدي نوابهم وورد رسول صاحب ارض الروم ببذل الطاعة والعبودية قال العادل وعقدت هدنة عامة فى البر والبحر والسهل والوعر وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وأدخلوا فى الصلح اطرابلس وانطاكية ووقعت المصالحة مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر اولها مبتدأ ايلول الموافق للحادى والعشرين من شعبان فال وكان الفرنج قد ملؤوا يافا من الرجال والاسلحة والاقوات ليتقوا بها على فتح القدس لتكون لهم ظهرا وعونا لقرىها من البيت المقدس قلت ومن الالفاظ الفاضلية (وقد فعلت الاقدار فى رياضة عرائكهم ما كان سببه هذه الحركات المباركة وكيف تشنع ملك انكليزية بالغدر وهو لعنه الله قد اتى باقبح الغدر والخشعة فى أهل عكا نهرا جها را وشهد فيها بخزيه وقضيخته المسلمون والنصارى وغدر الفرنج معلوم

اذ اغدرت حسناء أوفت بعهدا \* ومن عهد هان لا يدوم لها عهد

القوم هادوا لما ضفوا وبه سجون اذ اقروا ونحن نتظر فى ملك انكليزية ما تنصع عنه المقادير فى أمره اما الهلاك ولا بأس بما فىلقى الاجبة الرئيس والدول وملك الامان ويؤنس فى النار غريتهم ويكثر عدتهم واما ان يعافى فهو بين أمرين اما ان يرجع الى لعنة الله والى مروءة البحر فى تعريقه واما ان يقيم فهناك قد أبدى الشرنا جذبه ونكص



## كتاب (٢٩٤) الروضتين

المعون من الوفاء على عقبه وانتظر الفرصة ليهتزم والعورة ليثب) ومما قيل في هذه الهدنة أبيات من قصيدة  
نجم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور التي تقدمت في فتح البيت المقدس وهي

يا صاح قل للانكثير الكلب دع \* عنك الجنون وخذه بقالة منصف  
القدس ما فيه لسرجك مطمع \* كلا ولا نور الاله بمنطـ في  
والمسجد الاقصى فعنه تقص من \* وقع الدبايس الالية تعرف  
واستقت نفسك فهى أخت ناصح \* واترك متابعه الحاج المتلف  
واعجب لمح بالسرور معمم \* واظرب لسيف بالدماء مغلف  
قد قلت لما قيل صلح قد جرى \* هذا حديث مخترف ومحترف  
سلف تولى السيف عقد شروطه \* أحجب به من مسلم ومسلم  
ظنوه سلما وهوى أرواحهم \* سلم الى أجمل لهم مختلف

وذكر أبو الحسن بن الساعى الانكثيرى هذا في شعره في قصيدة مدح بها السلطان رحمه الله يقول فيها

منعت ظباء المنخني بأسوده \* وأشد ما أشكوه فبك ظبائه  
فعلت بنا وهى الصديق لحاظها \* كظي صلاح الدين فى أعدائه  
سل عنه قلب الانكثير فان فى \* خفقانه ماشئت من ألبائه  
لولاك أم البيت غير مدافع \* واسال سيل نداه فى بطحائه  
وبكت جفون القدس نانية دما \* لترنم الناقوس فى أفشائه

﴿فصل﴾ فيما جرى بعد الهدنة قال التماسى أمر السلطان ان ينادى فى الوعافات والاسواق الا ان الصلح  
قد انتظم فن شاء من بلادهم بدخل بلادنا فيفعل ومن شاء من بلادنا يدخل الى بلادهم فيفعل وأشاع رحمه الله  
ان طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم الحج فى ذلك المجلس وكنت حاضر ذلك جميعه وأمر ان يسير مائة نقاب  
لتخريب سور عسقلان معهم أمير كبير ولاخراج الفرنج منها ويكون معهم جماعة من الفرنج الى حين وقوع الخراب  
فى السور خشية من استيفائه عامر افعل ذلك وخربت وكان يوم الصلح يوما مشهودا غشى الناس من الطائفتين  
من الفرح والسرور ما لا يعلمه الا الله تعالى والله العالم ان الصلح لم يكن من اثاره فانه قال فى بعض محاوراته  
فى الصلح أخاف ان أصالح وما أدري ايش يكون منى فيقوى هذا العدو وقد بقي لهم هذه البلاد فيخرجون لاستعادة  
بقية بلادهم ونرى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد فى رأس قلبه يعنى حصنه وقال لأنزل وبهلك المسلمون فهذا  
كلامه وكان كما قال رحمه الله انه رأى المصلحة فى الصلح لسأم العسكر ومجاهرتهم بالخالفه وكان ذلك مصلحة علمها الله  
تعالى فانه انقذ وفاته بعيده الصلح ولو كان اتفق ذلك فى أثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح  
الاتوقفا وسعادة من الله رحمة الله عليه ورحل السلطان الى النطرون واختلط العسكران وذهب جماعة من  
المسلمين الى يافا فى طلب التجارة ووصل خلق عظيم من العدو الى القدس للنج وفتح لهم السلطان الباب فى ذلك  
ونفذ معهم الخفرا يحفظونهم حتى يردوهم الى يافا وكان غرض السلطان بذلك ان يقضوا وطهرهم من الزيارة  
ويرجعوا الى بلادهم فقام من المسلمون شرهم ولما علم الملك كثرة من يزور منهم صعب عليه ذلك وسير الى السلطان  
يسأله منع الزوار واقترح ان لا يأذن لاحد الا بعد حضور علامة من جانبه أو بكتابه وعلمت الفرنجية ذلك فعظم  
عليها واعتموا فى الحج فكان يرد فى كل يوم منهم جوع كثيرة مقدمون وأوساط ومملوك متكرون وشرع السلطان  
فى اكرام من يرد ومذاطعام لهم ومباسطهم ومحدثهم وعرفهم انكار الملك ذلك وأذن لهم السلطان فى الحج وعرفهم  
انه لم يلتفت الى منع الملك من ذلك واعتذر الى الملك بان قوما قد وصلوا من ذلك البعد ويسر لهم زيارة هذا المكان  
الشريف لا يستحل منعهم ثم اشتد المرض بالملك فرحل ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من شعبان وقيل انه مات  
وسار هو والكندهرى وسائر المتقدمين الى جانب عكا ولم يبق فى يافا الا مريض أو عاجز وغريسيه ثم أعطى السلطان  
لناس دستور افسار عسكر أربل والموصل وسنجار والحصن وأشاع رحمه الله أمر الحج وقوى عزمه على براءة الذمة منه

## في اخبار (٢٠٥) الدولتين

قال القاضي وكان هذا مما وقع لي وبدأت بالاشارة به في يوم تمة الصلح ووقع منه رحمة الله عليه موقعاً عظيماً وأمر الديوان ان كل من عزم على الحج من العسكر يثبت اسمه حتى يحصى عدته من يدخل معنا الطريق وكتب جرائد بما يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد وغير ذلك وسيرها الى البلاد ليعذوها ورحل من الطريق رابع شهر رمضان وسار حتى أتى ماري صوبيل يفتقد أخاه العادل وكان مريضاً بها فوجده قد سار الى القدس وكان قد انقطع عن أخيه مدة بسبب المرض وكان قد تماثل فعرف بمجيئ السلطان الى ماري صوبيل لعيادته فحمل على نفسه وسار حتى لقيه بذلك المكان وهو أول وصوله ولم ينزل بعد ونزل وقبل الارض وعاد ركيباً فاستندناه وسأله عن مرضه وسار اجمعاً حتى أتى القدس بقية ذلك اليوم وقال العماد عاد السلطان بعد السلام الى القدس لتفقد أحواله وعرض رجاله واشتغل بتشييد اسواره وتحصينها وتخليد آثاره وتحسينها وتعميق خنادقه وتوثيق طرائقه وزاد في وقف المدرسة سوقاً بذكاء كينها وأرضاً بيساطينها وكذلك رتب أحوال الصوفية في رعايتها والوقف الكافل بكفائتها وغير الكنيسة التي في شارع قمامة بالبيمارستان ونقل اليه العقاقير والادوية من جميع الأنواع والالوان وأدار سور القدس على قبته صهيون وأضافها الى المدينة وأمر بإدارة الخنادق على الجميع وصمم العزم على الحج فلم يوافقته القدر وتأسف على فواته بعد ان قدم مقدّماته وأقام شهر رمضان وأفاض الاحسان وقوض ولاية القدس واعمالها الى عز الدين جرديك حين استعفى منها حاسم الدين سياروخ وولى بمالهوكه علم الدين قيصر مادون القدس لعمل الخليل وغزة والداروم وعسقلان قلت ولما بلغ القاضي الفاضل من قبل السلطان انه عازم على الحج كتب اليه مشيراً بتبطله ان العزم لم يجز جواً لعدم الشام ولا سلوا عن القدس ولا ورق به هدم في الصلح فلا يؤمن مع بقاء الفرنج على حالهم وافتراق عسكرنا وسفر سلاطيننا سراً مقدراً معلوماً مدة الغيبة فيه ان يسروا اليه فيسحبوا القدس على غفلة فيسدخلوا اليه والعياذ بالله ويغرط من يد الاسلام ويمصير الحج كبيرة من الدكاثر التي لا تغفر ومن العثرات التي لا تقال ثم قال (وحاج العراق وخراسان أليس هم مائتي ألف وثلثمائة ألف أو أكثر هل يؤمن ان يقال قد سار السلطان لمب ناروس ملك دم وتشويش موسم فاقعدوا والا فيكون تاريخ سوء أعوذ بالله منه ماهذه الشناعة ممنوعة الوقوع ولا مستبعدة من العقول السخيفة فينعم المولى بتأمل ما أنباء المملوك مستورا فانه يسأل مولانا ان لا يشارك أحداً فيما يكتبه لا من مهم ولا من غير مهم يامولاً ما ظالم الخلق كسفهأ أهم من كل ما يتقرب به الى الله وما هي بواحدة في اعمال دمشق من المظالم من الفلاحين ما يستغرب معه وقوع القطر ومن تسلط المقطعين على المنقطعين ما لا ينأى وليده وفي وادي بردى والزبداني من الفتنة القائمة والسيوف الذي يقطر دماً لا زاحله وللمسلمين ثغور تزيد التحصين والذخيرة ومن المهمات اقامه وجوه الدخل وتقدير الخرج بحسبها فن المستحيل نفقة من غير حاصل وفرع من غير أصل وهذا أمر قد تقدم فيه حديث كثير وعرضت للمولى شواغل دونه ومشت الاحوال مشياً على ظلع فلما خلت النوب أعاد الله من عودها كان خلويته المال أسد ما في الشدة وليس المملوك مطالباً بذخيرة تحصل انما يطلب تمشية من حيث يستقر) قلت ولم يزل البيت المقدس شرفه الله تعالى لمحوظاً بالعمارة والتحصين من عهد السلطان رحمه الله الى سنة ست عشرة وستمائة فانه خرب في المحرم منها بسبب خروج الفرنج لعنهم الله وانتارهم في البلاد خفيف من أسديلائهم عليه وفي السنة التي قبلها توفي الملك العادل أبو بكر ابن أيوب اخو السلطان وتشت الناس بعد خرابه ورغبوا عن السكنى به وورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها

أعني لا ترفى من العـهـرات \* صلى في المكاالصال بالبكرات  
لعل سيول الدمع يطفئ فيضها \* توقد ما في القلب من جـهـرات  
وياقلب اسعرنار وجـدك كـلـما \* خبت باذكار بيعت الحسرات  
ويا فم يح بالشجوب منك لـهـله \* يروح ما ألقى من الكـهـرات  
على المسجد الأقصى الذي جل قدره \* على موطن الاخبات والصلوات  
على مهزل الاملاك والوحي والهدى \* على مشهد الابدال والبـدلات

## كتاب (٢٠٦) الروضين

على سلم المعراج والصخرة التي \* أنافت بما في الأرض من صخران  
على القبلة الأولى التي اتجهت لها \* صلاة البرايا في اختلاف جهات  
على خيرهم عموروا كرم عامر \* وأشرف مبني الخير بناة  
وما زال قيده للنبين معبد \* يوالون في أراجائه المسجديات  
عفا المسجد الأقصى المبارك حوله \* رفيع العماد العالي الشرفات  
عفا بعد ما قد كان للخير موئما \* وللبر والاحسان والقربات  
يوافى إليه كل أسعث فانت \* لمولاه بر دأئم الخصالوات  
خلاص صلاة لا يمل مقيها \* توشح بالآيات والسورات  
خلاص حنين التائبين وحنهم \* فمن بين نواح وبين بكاة  
لتبكي على القدس البلاد بامرها \* وتعلن بالاحزان والسترات  
لتبكي عليها مكة فهي أختها \* وتسكو الذي لاقت إلى عسرات  
لتبكي على ما حل بالقدس طيبة \* وتشرحه في أكرم الجحرات  
لقد أشتموا عكا وصور بهدمها \* وباطلما غادتها بشمت  
لقد شتموا عنها جماعة أهلها \* وكل اجتماع مؤذن بشتات  
وفدهموا بمجد الصلاح بهدمها \* وقد كان مجدا باذخ الغرفات  
وقد أخذوا صوتا وصيدا أناره \* لهم عظم ما والوا من الغزوات  
أما علمت أبناء أيوب أنهم \* بمسعات عدوا من السروات  
وان افتتح القدس زهرة ملهم \* وهل عثر الامن الزهرات  
فمن لي بتواح ينحن على الذي \* شجاني باصوات له شجاة  
يردون بيتا للخراب فإله \* يؤبن فيه خيرة الخيرات  
مدارس آيات خلت من تلاوة \* ومنزل وحى مقفر العرصات

قلت هذا البيت الأخير لدعل بن علي الختاعي في أول قصيدة يرثي بها أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السنة التي توفي فيها العادل قبل التي خرب فيها القدس هي السنة التي نزل فيها الفرنج خذلهم الله على نغردمياط حرسه الله تعالى وهي المرة الأولى في زماننا وأقوامنا عليه إلى ان استولوا بعد ان جرى لهم بحومها جرى لهم على عكا ثم أخذه المسلمون منهم وقتلوا أسرا ثم ان الفرنج استولوا عليه صلح في سنة خمس وعشرين وستمائة وشرعوا في بناء طائفة منه ثم أخرجوا منه عنوة مرتين أخرجهم في إحدى المراتين الملك الناصر صلاح الدين داود بن المعظم شرف الدين عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب وقال فيه حية تذب بعن شعراء العصر (هذا الشاعر هو الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح رحمه الله تعالى)

المسجد الأقصى له عادة \* سارت فصارت مثلا سائرا

إذا غدا للكفر مستوطنا \* ان يبعث الله له ناصرا

فناصر طهره أولا \* وناصر طهره آخر

ثم استولى الفرنج أيضا على طبرية وعسقلان ثم أخذ تامنم عنوة في شهر سنة خمس وأربعين وستمائة في دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وقد استولوا أيضا

على الشقيف وصفد والله يسهل عودها إلى أهل الاسلام ويؤيد الدين الحنفي على ممر الأيام

(فصل) في مسير السلطان رحمه الله من القدس إلى دمشق قال العماد ولما استتم السلطان النظر في أحوال القدس وعمارتها وقوض القضاء والنظر في الوقوف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم وعول منه على أمين كريم آثاره يعود إلى دمشق على الثغور عابرا وفي أحوالها ناظرا وكان عزم على الحج وصمم وكتب إلى مهبر

## في اخبار (٢٠٧) الدولتين

والذين بما عليه عزم وأمر أن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والنفقات والسيارات والاكسوات. فقبل له لو كتبت الى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعزفته بنهجك حتى لا يظن بك أمر أنت منه برى ويعلم أن قصدك في المضى مضى والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الاتفاق ثم هذه البلاد اذا سافرت تركتها على ما بها من الشعب وهذه المعاقل التي في الثغور حفظها من أهم الامور ولا تغتر بعقد الهدنة فالقوم على ترقب المكنة والغدر دأبهم فما زال به الجماعة حتى حلوا عقد عزمه على الحج فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارة ثم خرج من القدس يوم الخميس خامس شوال وجاوز ناحية البيرة وبات على بركة الداوية ونزل يوم الجمعة بظاهر نابلس وأقام بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف مظالم ووظف مكارم وكان بهاسيم الدين المشطوب وشكا أهلها نواب من جهته تنوب فأزال السكوى وأراح البلوى ورحل بعد ظهر السبت وبات عند عقبة ظهر رجاء موضع يعرف بالفريديسه ورتعناني من وجهه الانيسه وأصبحنا را حلين ونزلنا ضحوة على جينين وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد فانه انقل بعد أيام الى رحمة الواحد الصمد وجئنا ضحوة الانسين الى بيسان وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية فابصر قلعتها العاليه وقال الصواب بناء هذه وتخريب كوكب ثم رحل ظهر اوبات بقلعة كوكب وصعد نظر رأيه فيها وصوب ورحل ضحوة الثلاثاء ونزل بطبرية وقت العشاء وهناك لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الاسر فلتغنيها بالبشر والبر ووصل مع السلطان الى دمشق وأقام الى ان خلص أصحابه من الاسر ونوجه الى مصر وقد ضاق نفسه ببذل ماله وخرج من ثروته ودخل في اقلاله قال وتوالت تلك الميلة الامطار وواصلها النهار فأقينا يوم الاربعاء وسرنا بكرة الخميس ونزلنا بسفح الجبل الذي عليه قلعة صدف وصعد اليها وكل فيها الرجال والعدد ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة الى قلعة تبذين وجاز يوم الاحد على هونين وخيمنا على عين الذهب عند نزلنا من الجبل واجتمعنا تلك الليلة بالثقل ثم سار الى مرج عيون من حله والى جسر حامد منزله وطريقنا بين عمل صيدا وادى التيم وطلعنا من تلك الاردة والشعاب طلوع الانوار من الغيم وقال في الفجع على صيدا يسره وعمل وادى التيم بمنه وعرسنا على مرج تلغيا انا مقابل مرج القنعبه ودفعنا الى سلوك المسالك الصعبة ورحلنا يوم الثلاثاء الى البقاع فخمينا على جسر حامد يوم الاربعاء بناحية قب الباس و دخل يوم الخميس بيروت وبها واليه اعز الدين سامه فاهتم له بالكرامه ولما أراد عن بيروت الانفصال في الحادى والعشرين من شوال قيل له ان الابرنس الانطاكي يعمد مع عصابة من الوفود قد وصل الى خدمه مستمكا بجبل العصمه فبنى عنانه ونزل وأقام وما ارتحل واذن للابرنس في الدخول وشرفه في حضرته بالمول وترته وأنسه ورفع مجلسه وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر بارونيا قوهب كلامهم تشريفا سريا وأجزل له ولهم العطاء وأبدى هم الاعتناء وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة بمبلغ عشرين ألف دينار وخص أصحابه بمبار وأعجبه استرساله اليه ودخوله بغير أمان عليه فلا جرم تلغنا بالاحسان ووافاه وودعه يوم الاحد وفارقه وكانت الانقال قد انتقلت من قب الياس الى مرج قليمطيه من البقاع فبات في الخيم وعبر يوم الاثنين عين الجزالى مرج نبوس وقد زال البوس وهناك توافد اعيان دمشق وأمثالها وأفاضلها وفواضلها ونزلنا يوم الثلاثاء بالعمارة وجرى الملتقون بالطرف والتحف على العادة وأصبحنا يوم الاربعاء الى جنة دمشق داخلين بسلام آمنين لولا اننا غير خالدين وكانت غيبة السلطان عن اطال أربع سنين فأخرجت دمشق أنقالها وأبرزت نساءها ورجالها فكانت يوم الزينة وخرج كل من في المدينة وحشر الناس ضحى ولشاعوا استبشارا وفرحا وكانت غيبة السلطان في الجهاد طالت فاهتزت بقدمه واختالت وقرت بفضائله الاعين وأقرت بفواضله اللسن وأبدوا وجوه الاستبشار والسن الاستغفار وأعين الاستعبار ورفعوا أيدي الابتهال بصالح الدعاء عن خالص الولاء وجاء ربيع انفضال في فصل الخريف وانصل تليد الجبال الطريف واتسع فضاء الفضائل وارتدع جاه الجاهل وحل في القلعة حلول الشمس في برجها وأخذت بحار سماحة في موجها وجلس في دار العدل فأجاب وأجار وبال وأثار وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنائه وأبهى جلاله وأجلى بهائه والناس راتعون في رباض نعمائه ورسل الممالك الغربية الشرقية يخطبونونه ويطلبونه ويتنظرون عزمه ويرقبونه وهو يعدهم بانفسار الشفاء وانكساره وابتسام ثغراته

وأقتراره وأقنص على هذا العزم إلى آخر السنة والصلوات مستغلة بالصبر والقدرة منتزعة من العمر لا فرص وقرب العلماء وأكرم الفضلاء وفضل الكرماء وما كان أحسن إلى الحق أصغاه وأشرع للباطن الغاه وقال القاضي أبو المحاسن أقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم مدمستورا ويتأهب للمسير إلى الديار المصرية وانقطع تشوقه إلى الحج ولم يزل كذلك حتى صبح عنده أقلاع مراكب ملك الانكسورية المخذول متوجه إلى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك حرر السلطان عزمه على أن يدخل الساحل جريده فوثة فقد القلاع البحرية إلى بانياس ويدخل دمشق يقيم بها أياما قلائل ويعود إلى القدس الشريف سائرا إلى الديار المصرية لثقة أقوالها وتقارير قواعدها والنظر في مصالحها قال وأمرني بالمقام بالقدس إلى حين عودته لعمارة بیمارستان أنشأه فيه وادارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عودته وخرج من القدس وودعته إلى البيرة ونزل بها ثم ذكر أزالته لمظالم عن بلدنا بس ثم رحل ونزل بسبسطية فتقدم أقوالها ثم أتى في طريقه إلى كوكب في عاشر شوال وانفك بها الدين قرا فوش من الاسر حادى عشر شوال ومثل بالخدمة السلطانية ففرح به فرحاً شديدا وكان له حقوق كثيرة على السلطان والاسلام واستأذن السلطان رحمه الله في المسير إلى دمشق لتحصيل القطيعة فأذن له في ذلك وكانت القطيعة على ما بلغني ثمانين ألفا قال ولما وصل السلطان إلى بيروت وصل إلى خدمته البرنس صاحب انطاكية مسترفدا فبلغ في إكرامه واحترامه ومبايعة طه وأتم عليه بالعمق وارزغان ومزارع تعمل خمسة عشر ألف دينار ثم سار السلطان إلى دمشق بعد الفراغ من تصفح أحوال القلاع الساحلية بأسرها والتقدم بسد خللها واصلاح اجنادها واشتغالها بالترجال فدخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الافضل والظاهر والظافر وأولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر فيه الإقامة على سائر البلاد وجلس للناس في بكرة الخديس وحضر عنده الناس وبلوا شوقهم من رؤيته وأنشده الشعراء وعلم ذلك المجلس الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله ويهطل محاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا في الاوقات المعتادة واتخذ الافضل يوم الاثنين مستهل ذى القعدة دعوة لآخيه الظاهر وكان الظاهر لما وصل دمشق بلغه حركة السلطان إليها فأقام بها حتى يتملى بالنظر إليه ثانياً وكان نفسه الشريفة كانت قد أحست بدتو أجل السلطان فودعه في تلك الدفعة من أرامته عدة وهو يعود إليه ولما اتخذ الافضل له الدعوة أظهر فيها من بديع النحل وغيره ما يليق به مته وكانه أراد مجازاته عما خدمه به حين وصل إلى حلب المحروسة وحضرها أرباب الدنيا وابناء الآخرة وسأل السلطان رحمه الله الحضور فحضر جبر القلعة قال وكان العادل قد استأذن السلطان في أواخر رمضان في القدس بالخصى إلى الكرك لثقة قواعدها فخصى وأمر بإصلاح ما قصد اصلاحه وعاد طاب المضي إلى البلاد الفراتية التي أعطاها السلطان إياها فوصل دمشق سابع عشر ذى القعدة وخرج السلطان إلى لقائه وأقام تصديه حول غياغب إلى الكسوة حتى لقيه وساراجيعة تصيدان وكان دخوله إلى دمشق في الحادى والعشرين منه وأقام السلطان بدمشقي تصيده وأخوه وأولاده وبيتة ترجون في أراضى دمشق ومواطن الصبي وكأنته وجده راحة مما كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليال والنصب النهار وما كان ذلك الا كالدواعى لأولاده ومرايع نزهه وهو لا يشعر بدرجة الله عليه ونمى عزمه المصرى وعرض له أمور أخر وعزومات غير تلك ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني إلى خدمته وكان شتاء شديداً ووحلا عظيما قلت وفي عيد الاضحى من هذه السنة أنشده الرشيد النابلسي قصيدة حسنة على وزن قصيدة التماسي التي مطلعها (حازك البين حين أصبحت بدرا) يقول فيها يعنى قصيدته

وأبيه الولا تغزل عينها \* لما قلت في التغزل شعرا  
ولكانت مدائح الملك الننا \* صرأولى ما فيه أعلى فكرا  
ملك طبق الممالك عدلا \* مندل ما أوسع البرية برا

ثم قال في آخرها

نلت ما تبغى من الدين والدين يا قتيها على الملوكة وفرا  
فتمل الاعياد صوما وفطرا \* وتلقى الهناء فطرا ونخرا

## في أخبار (٢٠٩) الدولتين

يامسر الطاعات لله ان اضحى عليك على الهامة مصر  
قد جعلت المجدين أصلاً وفرعاً \* ومكنت الدارين دنيا وأخرى

**(فصل)** في ذكر أمور آخر جرت في هذه السنة من وفيات وغيرها قال العماد في شهر ربيع الآخر توفي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراه من أهل دمشق قاضي العسكر وكانت وفاته بملطية وهو عائد من الرسالة إلى أولاد قليج أرسلان بالروم وكان هذا القاضي لي من أصدق الأصدقاء وأكرم الأكرام وما فارقني من أيام الملك العادل نور الدين رحمه الله في السراء والضراء وكنت بأحواله شديد الاعتناء وتوصلت له عند السلطان في تخصيصه بالمواصلة الموصليه والمراسلة في المهام الخفية والجلية ثم تولى نيابة عن السلطان في الولاية الشهرزورية والحكم على المقطعين بها وانصاف الرعية فلما قوتت إلى مظفر الدين صاحب أربل رجع شمس الدين ودامت غيبته عن الحضرة مدة سبع سنين وكان تولى قضاء العسكر موضعه بهاء الدين بن شذاد وكان خطب أولاد السلطان قليج أرسلان مهم ما عند السلطان فاعتمد على القاضي شمس الدين في الوصول اليهم والحكم بتأليف ذات بينهم عليهم فحضر وعاد وأدركته المنية بمدينة ملطية قال وفي يوم الخميس السادس والعشرين من شوال توفي الأمير سيف الدين علي بن أحمد الحكاري المعروف بالمشطوب بنابلس وقد سبق ذكر هذا الأمير وبأسه وبسالته واصابته واصلاته وأقدامه في الحروب وتقدمه في الخطوب وقد حضر مع أسد الدين شيركوه النوب الثلاث التي فتح في آخرها مصر ولازم صلاح الدين إلى منتهى العمر ولما احتجج إلى البدل في عكا أذخبر من أقام به وتشكى أجاب إلى دخوله وقابل الأمير بقبوله وحصل بقضاء الله في الأسر واحتوت عليه قبضة الكفر وفدى نفسه بخمسين ألف دينار ونجا وأناه الله من نعمة خلاصه مارجا وأنعم السلطان عليه بنابلس وأعمالها وخص بأموالها وحين جازا ودعنا عند جنين وداع الأبد إلى جنة عليين وانما سمي مشطوب بالشطبة في وجهه من أثر طعنة في غزاة حضرها وله مواقف في الجهاد كثيرة معهوده ومقامات مشهورة مشهوده ووقف السلطان بعده ثلاث نابلس وأعمالها على مصالح القدس وأقطع ولده وأميرين معه الثلثين محافظة على حقه الذي التزمه التزام الدين وقال القاضي ابن شذاد وكان السلطان خلف المشطوب بالقدس من جيله العسكر المقيم به ولم يكن واليه وإنما كان واليه عز الدين جريك وتوفي المشطوب رحمه الله بالقدس يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره بعد أن صلى عليه في المسجد الأقصى قال العماد وفي منتصف شعبان توفي سلطان بلاد الروم عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بقونية وكان أولاده لما كبروا وتجبروا وتفرد كل منهم بإقليم فضعف بقوتهم وعجز بقدرتهم وانخفض برفعتهم فانه فرق بلاده على جماعتهم طمعاً في طاعتهم واختار لتدبير ملكه اختيار الدين حسن بن عفراس خالفه عليه من أولاده قطب الدين ملك شاه صاحب سيواس فجاء وغلب على والده وأخذ عليه الانفاس وقال له أنابن يدبك عوض الاختيار ثم أخلى منه الديار ثم أبعد عن خدمته والده خواصه وأولياءه وأقنى بالقتل والاعتقال أمراءه وكبراءه واستخلصه لنفسه وأجلسه على ملكه وهو في حبسه ثم جاء به إلى قيصرية ليأخذها من أخيه وأظهر أنه بأمر أبيه فوجد قليج أرسلان فرصة في خلاصه فساق وحده ودخل البلد ونجا من الولد إلى الولد فعاد ملك شاه إلى قونية واقصر دار ملك أبيه فتكاهم ما ولم يزل قليج أرسلان يتحول من ولد إلى ولد ومن بلد إلى بلد يتردد في بلاده في ضيافة أولاده وكلهم يضحرونه ويعرض عنه حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب ترغلو فلما حضره وأبصره أود ونصره وجاء به إلى قونية فدخلها وحلى عطلها ومات بها فجلس مكان والده وقوى على أخيه قال وجاء الربيع في شهر ربيع الأول فكتب إلى نشوال الدولة أحمد بن نفاذه أياً نأيد عوني إلى دمشق في خامس جمادى الأولى وقد دخل أوان الشمس المعهود وهو موسم دمشق المشهود أولها

دعا الناس للذات شمس جلتى \* فقد أسرعوا من كل غرب ومشرق  
فقم يا عماد الدين تحظ بأكله \* ولا تن عنه عزيمة السيرة تسبق  
وقل حين يبدو أصفر اللون مشرقاً \* وباحسنه من أصفر اللون مشرق  
(لا كلنك ما يلقي الفؤاد ومالتي \* وللتوت ما لم ييسق منى وما بقى)

## مكتاب (٢١٠) الروضتين

فليس سوى الخلاء في القدس مأكل \* وما جلبوه من زيب وفتق  
قال فعرضت آياته على السلطان فقال ما قلت في جوابه فأنشدته  
هلموا نسابق نحو مشمش جلق \* وثم كما نهوى على الأكل تلثقي  
تصفر شوقا لا تنظار قدومنا \* ومن يتعشق ذا الفضائل يشتقي  
أراحضرت أطباقه غاب رشدنا \* لما يتلافى من مشوق وشيق  
حكى جرات بالفضاء قد تعلقت \* فيما عجبي من جمره المتعلق  
كان نجوم الأرض فوق غصونه \* فيأحيرني من نجمه المتألق  
وجناتها مجمرة وجناتها \* فمن يرها مثل ينجب ويعشق  
بدت بين أوراق الغصون كأنها \* كرات نضار في لجين مطرق  
قال فلما أنشدت السلطان هذا البيت قال تشبيه الورق باللجين غير موافق فان الورق أخضر فقلت  
كرات نضار بالزمرد محدد

تساقطها أشجارها فكأنها \* دنائير في أيدي الصيارف ترتقي  
ومشمش بستان الزكي بشهاده \* شهادته تقضي فزك وصدق  
بقول رفيقي في دمشق تجبا \* أمالك بستان مقالة مشفق  
فقلت إلى باب البريد وسوقه \* لأمثالنا تجبني بساتين جلق  
ولو كان لي لهم سهم وجدت لي \* منالي بأيام الثمار ومر فتي  
إذا كنت مبتاعا من السوق مشمشي \* فيألى الألة المتسوق  
ومالي برباب البساتين خلطة \* فيصيح في حيطانها متسلقي  
كرام وثوقي في الشتاء بودهم \* ولكنهم في الصيف ينسون موثقي  
وما ثم من يحدى ويقرى ويقنتي \* ثنائى سوى المحيي الكريم الموفق  
وذلك يوم واحد ليس غيره \* أمن أجل يوم واحد قلت أسبق  
على أننى لو قيل بالصدى دعوة \* أثرت إليها لوعة المتحرق  
فإن جئت قبلى جلقا فارم منعمًا \* حدينى بنادى المنعمين وحلق  
لعل كريمي ينتخى لضيافتي \* بشمسة عند القدوم وينتقي  
فلا تنس نشو الدين نشوة خاطري \* وقل عن صبوحي كيف شئت ورتقي  
وهات وساعدنى وخذ من قريحتي \* الطيمة دارى من الجد واعبقي

قال فقال لي السلطان عن صبوحي ترقى كأنك تريد تمضى إلى دمشق وتسبق فقلت الأهل والولد وقد عيّل  
عنهم الجداد ولكن مغيبى عن الخدمة لا يدور به الخداد وظلك وهو الساكن والبلد قال وكتب أيضا في جوابه  
وصفة المشمش وذكر تشبيهاته وقد أذن لي السلطان لمهم له أيضا أن تنق

قد صمغ عزمى على المسير فلا \* أبغى مقامى والقلب قد رحلا  
امضى إلى دمية مقبلها \* أرشف منه المدام والعسلا  
مصوّر بل مدور عجيب \* ترى به وهو جامد شاعلا  
ففي قلوب الأشجار منه جذى \* وفي ظهور الغصون منه كلا  
طوبى لها بالنضار ظاهره \* لباطن في حشاء نارطلا  
تخفى إذا ما بدا عينك في \* فيك وفيه النوى إذا وصل  
حلى تبرع على عرائس أغصا \* ن تشككت من قبلها عطلا  
جر حسان الوجوه قد لبست \* من خضر أوراقها لها حلالا

## في اخبار (٢١١) الدولتين

عرائس من خدورها برزت \* تحسب أشجارها لها كلالا  
حلاوة لا يمل أكلها \* اذا الحلاوات أحدثت ملالا  
زهر كشهب السماء راجدة \* جن جناة بقطفها كفلا  
عيونها الرمد في نرقبنا \* جاحظة برزت لنا مقفلا  
ماذا التواني وذا التأخر والا \* بطاء قدم مسيرنا عجلا  
نقد وخفافا الى مواسمها \* من قبل نبلى بصحبة النقالا  
قد انتظرونا من الخزانة ما \* نعطى فاكدي ثوابها الجلالا  
فان عدمنا من عندهم ذهبيا \* فما عدمنا عندهم به بدلا  
وكلنا في عوارف الملك النابا \* صر زرعى ونسلك السبلا

قال وقت فيه رباعية

الشمس لا تنظرنا مصفر \* والروض الى لقائنا مفرتر  
قم نغتم السوقت فهذا العمر \* لالبت له فخر به يغتر

قال وفي هذه السنة نصرت الاساطيل في البحر مرارا ونفذ السلطان في استدعائهم استظهارا قال محمد بن القادسي وفي مستهل رجب وكل بأمر الحاج طاشتكين يعني الذي قتل أمير حاج الشام شمس الدين ابن المقدم بعرفات سنة ثلاث وثمانين ثم قبض عليه وسببه انه اتهم بكاتبة السلطان صلاح الدين رحمه الله فيما يتعلق بقلب الدولة وأظهر عليه أستاذ الدار أبو المظفر بن يونس كتابا قيل انه خطه وفيه (المصلحة مهادنة الفرنج والنجى الى البلاد فاقف بين أيديكم أحد والبلاد لكم اذا ملكتم العراق وهذا وقتكم ان كان لكم فيه وأنا مشدود الوسط في الخدمه) ثم ذكر ابن القادسي ان ذلك مستبعد في حق طاشتكين وزور وسمتان ونسب ذلك الى افتعال ابن يونس عليه وكان طاشتكين أمير الحاج عشرين سنة يخاطب له بمكة بعد الحطبة لأمير المؤمنين وله اقطاع بمائة ألف دينار قال وفيها في ربيع الآخر توفي أبو المرحف نصر بن منصور النيرى الشاعر الاديب الزاهد سمع قاضى البيمارستان وروى عن ابن نهاوكان قدرى بالشام وخالف أهل الادب واضر بالجدري وله أربع عشرة سنة وكان يبصر الاشياء القرية منه ولا يحتاج الى قائد اذا مشى ثم قدم العراق لداواة عينه فأياسه الاطباء من ذلك فاشتغل بالقرآن وحفظه وصاحب المتدينين والزهاد من أهل الفقه والحديث واللغة وله ديوان شعر كبير وسئل عن مذهبه فأملى

أحب عليا والبتول وولدها \* ولا أجد الشيخين فضل التقدّم  
وابراً من نال عثمان بالاذى \* كما أتبرأ من ولاء ابن ملجم  
ويجبني أهل الحديث لصدقه \* فلت الى قوم سواهم بمنتم

وله أيضا في غير ذلك

وزهدنى في جميع الاما \* مقلدة انصاف من تصحب  
هم الناس ما لم تجربهم \* وطلس الذئاب اذا جربوا  
وليتك تسلم عند البعا \* دمنهم فكيف اذا تقرب

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين) قال العماد والسلطان مقيم بدمشق في داره ومالك الا فاق في انتظاره والانام مشرقة بمطالع أنواره ورسد الامصار مجتمعون على بابيه منتظرون لجوابه والضيوف في فيوض انعامه غانمون والفقراء في رياض صدقته راتعون ويجلس في كل يوم واملأه لاسداء الجود وابداء السعود وبث المكارم وكشف المظالم وبرز الى الصيد شرق دمشق بزيادة خمسة عشر يوما واستحب معه أخاه وأبعد في البريه وظهر عن ضمير ضمير الى الجهة الشرقية وطابت له الفرض ووافق مراده القنص ثم عاد يوم الاثنين حادى عشر صفر ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج للتلقي وسعادته في الترفى ولما لى الحاج استعبرت عيناه كيف فاته من الحج ما تمناه وسألهم عن أحوال مكة وأميرها وأهلها وخصبها ومعلمها وكومهم من غلات مصر وصدقائها والفقراء والمجاورين



## كتاب (٢١٢) الروضتين

ورواتها واداراتها وسر سلامة الحاج ووضوح ذلك المنهاج ووصل من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام فتلقيها بالاكرام قال القاضي ابن شداد وخرجت من القدس الشريف يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم وكان الوصول الى دمشق ثاني عشر صفر وكان الافضل حاضرا في الايوان الشمالي وفي خدمته خلق من الامراء وارباب المناصب ينتظرون جلوس السلطان فلما شعر بحضورى استحضرنى وهو وحده قبل ان يدخل اليه أحد فدخلت عليه - رحمه الله - فقام ولقيني ملقى مارأيت أشد من بشره فيه ولقد ضمني اليه ودعمت عينه وفي ثالث عشر صفر طابنى فحضرت فسألنى عن فى الايوان فاخبرته ان الملك الافضل جالس فى الخدمة والامراء والناس فى خدمته فاعتذر اليهم على لسان جمال الدولة اقبال ثم استحضرنى بكرة الخميس رابع صفر وهو فى صفة البستان وعنده أولاده الصغار فسأل عن الحاضرين فقبل رسل الفرنج وجامعة الامراء والا كابر فاستحضر رسل الفرنج الى ذلك المكان فحضروا وكان له ولد صغير وكان كبير الميل اليه يسمى الامير أبابكر وكان حاضرا وكان رحمه الله عليه يداعبه فلما وقع بصره على الفرنج ورأى أشكاهم خاف منهم وبكى فاعتذر اليهم وصرفهم بعد ان حضروا ولم يسمع كلامهم وقال لى أكلت اليوم شيئا وكانت عادته رحمه الله هذه المباشطة ثم قال أحضر والناتما تيسر فاحضروا أرزا بلبن وما يشبه ذلك من الاطعمة الخفيفة فا كل رحمه الله وكنت أظن ان ما عنده شهوة وكان فى هذه الايام يعتذر الى الناس لنقل الحركة عليه وكان يذنه ممتلئا وعنده تكسل فلما فرغنا من الطعام قال ما الذى عندك من خبر الحاج فقلت قد اجتمعت جماعة منهم فى الطريق ولولا كثرة الرحل لدخلوا اليوم ولكنهم فى غديد خلون فقال نخرج ان شاء الله الى لقائهم وتقدم بتنظيف طرقاتهم من المياه فانها كانت سنة كثيرة الانداء والامطار وقد سال المياه فى الطرق كالانهار وانفصلت عن خدمته ولم أجد عنده من النشاط ما أعده منه ثم بكر فى يوم الجمعة فركب ثم لحقته وقد لى الحاج ولم أجد عليه كراغنده وما كان له عادة ركب بدونه وكان يوما عظيما قد اجتمع فيه للقاء الحاج والتفرج على السلطان معظم من فى البلد فاذا ذكرته ذلك فكأنه استيقظ فطلب الكراغند فلم يوجد ووقع الله فى قلبى تظير ابداك ثم سار رحمه الله بين البساتين يطلب جهة المنبيع حتى أتى القلعة فعبى على الجسر اليه وهو طريقة المعتاد وكانت آخر بكائه رحمه الله

**(فصل)** فى مرض السلطان ووفاته أحله الله بحبوة جناته قال القاضي لما كانت ليلة السبت وجد كسلا عظيما فا انصف الليل حتى غشيته حتى صفراوية كانت فى باطنه أ كثر منها فى ظاهره وأصبح يوم السبت سادس عشر صفر عليه أثر الحى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضى الفاضل ودخل ولده الافضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشك من قلقه بالليل وطاب له الحديث الى قريب الظهر ثم انصرفنا والقلوب عنده فتقدم اليينا بالحدود على الطعام فى خدمة ولده الافضل ولم يكن للقاضى عادة بذلك فانصرف ودخلت الى الايوان القبلى وقدمنا الطعام ولده الافضل قد جلس فى موضعه فانصرف وما كان لى قوة للجلوس استحياسا وبكى فى ذلك اليوم جماعة تفاقولا بجلوس ولده موضعه ثم أخذ المرض فى تزايد من حينئذ ونحن نلازم التردد فى طرفى النهار وأدخل اليه أنا والقاضى الفاضل فى النهار مراراً وعطى الطريق فى بعض الايام التى يجدها خفة وكان مرضه فى رأسه وكان من امارات انهما المرغوبة طيبه الذى كان قد ألف من اجبه سفرنا وحضرا ورأى الاطباء قصده فقصدوه فى الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلبه النفس غلبة عظيمة ولم يزل المرض فى تزايد حتى انتهى الى غاية الضعف ولقد أجلسناه فى السادس من مرضه وأسندنا ظهره الى مخدة وأحضرنا فاتر ليشربه عقيب شراب بلبن الطبع فشربه فوجده شديدا الحرارة فشك من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا فشكل من برده ولم يغضب ولم يصح رحمه الله ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحانه الله الا يمكن أحدنا تعديلا الماء فخرجت أنا والقاضى من عنده وقد اشتد منا البكاء والقاضى الفاضل يقول لى انظر هذه الاخلاق التى قد أشرف المسلمون على مفارقتها والله لو ان هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدح رأس من احضره واشتد مرضه فى السادس والسابع والثامن ولم يزل متزايدا وتغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت به رعشة وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف فى البلد وخاف الناس ونقلوا الاقشة من الاسواق وعشى الناس من الكآبة ما لا يمكن حكايته ولقد كنت أنا والقاضى الفاضل نتعد كل ليلة الى ان يمضى من الليل ثلثة أو قريب منه ثم نحضر فى باب الدار فان وجدنا طريقا

دخلنا وشاهدناه وانصرفنا والاعترفنا أحواله وانصرفنا وكنا نجد الناس يرتقبون خروجنا الى بيوتنا حتى يقرؤا أحواله من صفحات وجوهنا ولما كان العاشر من يوم مرضه حقن دفتين وحصل من الحقنة راحة وحصل بعض الخفة وتناول من ماء الشعير مقداراً صالحاً وفرح الناس فرحاً شديداً فاقنأ على العادة الى ان مضى من الليل هزيع ثم أتينا باب الدار فوجدنا رجال الدولة اقبالا فالتسنا منه تعريف الحال المتجدد فدخل ثم أنفذ اليه الناصر الملك المعظم تورانشاه يقول ان العرق قد أخذ في ساقه فشكرنا الله على ذلك وانصرفنا طيبة قلوبنا ثم أصبحنا فاخبرنا ان العرق أفرط حتى نفذ في الفرش وثأثرت به الارض وان اليديس قد تزايدت زايدها عظيماً وشارت القوة واستشعر الاطباء ولما رأى الملك الافضل ما حل بوالده وتحقق اليأس منه شرع في تخليف الناس وجلس في دار رضوان المعروفة بسكنه واستحضر القضاة وعمل له نسخة ميمين مختصرة لمحصله للفاصل تضمن الخلف للسلطان مدة حياته وله من بعده وفاته واعتذر الى الناس بان المرض قد اشتد وما نعلم ما يكون وما نفعل هذا الاحتياط على جاري عادة الملوك ثم سمي القاضي من حلف له جماعة منهم سعد الدين مسعود أخو بدر الدين مودود الشحنة وناصر الدين صاحب صهيون وسابق الدين صاحب شيزروخ شترين الهكاري ونوشروان الزراري وعلكان ومنكلان ثم مدام الخوان واكلوا ولما كان العصر أعيد مجلس الخليف وأحضر ميمون القصري وثمس الدين سنقر الكبير وأسامة وسنقر المشطوب واليكى الفارس وأبيك الافطس وأخوالا ميرسياروخ وحسام الدين بشاردة وبعضهم اشترط في ميمينه وبعضهم لم يشترط ولم يحضر أحداً من الامراء المصريين ولم يتعرض لهم ولما كانت ليلة الاربعاء السابع والعشرين من صفر وهي ليلة الثاني عشر من مرضه اشتد مرضه وضعفت قوته ووقع في أوائل الامر من أوائل الليل وحال بيننا وبينه النساء واستحضرت أنا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكي ولم تكن عادته الحضور في ذلك الوقت وعرض علينا الملك الافضل ان نبيت عنده فلم ير الفاضل ذلك رآيا فان الناس كانوا في كل ليلة ينظرون نزولنا من الغلعة يخافون ان لا تنزل فيقع الصوت في البلدور بما نهب الناس بعضهم بعضاً فرأى المصلحة في نزولنا واستحضر الشيخ أبي جعفر امام الكلاسة وهو رجل صالح ببيت بالقلعة حتى ان احتضر بالليل حضر عنده وحال بينه وبين النساء وذكره بالشهادة وذكر الله تعالى ففعل ذلك فقلنا وكل منا يؤذ لو فداه بنفسه وبات في تلك الله على حال المنتقلين الى الله تعالى والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه غائبا من ليلة التاسع لا يكاد يفيق الا في بعض الاحيان وذكر الشيخ أبو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة سمعه وهو يقول صحيح وهذه نقطة في رعت الحاجة وعناية من الله تعالى به فله المجد على ذلك وكانت وفاته رحمة الله عليه بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسائة وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الصبح فحضر وفاته ووصلت أنا وقدمات وانتقل الى رضوان الله ومحل كرامته ولقد حكى لي انه لما بلغ الشيخ أبو جعفر الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت ويسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه وكان يوماً لم يصب الا سلام والمسلمون بمسألة منذ فقدوا الخلفاء الراشدين وغشى الغلعة والبلد والدينام من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى وتالله لقد كنت أسمع من بعض الناس انهم يمتنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم فكنت أحجل ذلك على ضرب من التجاوز والترخص الى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء لفداء بالنفس ثم جلس ولده الافضل للعزاء في الايوان الشمالي وحفظ باب القلعة الاعزاء الخواص من الامراء والمعممين وكان يوماً عظيماً قد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والاسف والبكاء والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشده فيه شاعر او يتكلم فيه قصاص أو وعظ فكان أولاده يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس تهزق لهول منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلاة الظهر ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه فيما مكن أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة الا بالقرض حتى في ثمن التبن الذي يلب به الطين وغسله الدوالي الفقيه وندبت الى الوقوف على غسله فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلاة الظهر في تابوت مسجى بشوب فوط وكان ذلك وجميع ما احتاج اليه من الثياب في تكفينه قد أحضره الفاضل من وجه حل عرفه وارفعت الاصوات عنده مشاهدته وعظم الضجيج حتى ان العاقل يخجل ان الدنيا كلها تصبح صوتاً واحداً وغشى الناس من البكاء والعيون

## كتاب (٢١٤) الروضتين

ما شغلهم عن الصلاة وصلى عليه الناس ارسالا وكان أول من أم بالناس القاضي محي الدين بن الزكي ثم أعيد درجة الله عليه الى الدار التي في البستان الذي كان متمرضا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرة قريبة من صلاة العصر ثم نزل في انشاء النهار ولده الظاهر وعزى الناس فيه وسكن قلوب الناس وكان الناس قد شغلهم الحزن والبكاء عن الاشتغال بالنهب والفساد فاجابو بجد قلب الاخريتنا ولا عين الا باكية الا من شاء الله ثم رجع الناس الى بيوتهم ثم أقبح رجوع ولم يعد من أحد في تلك الليلة الا انا حضرنا وقرأنا وجددنا حالنا من الحزن واشتغل ذلك اليوم الملك الافضل بكتب الكتب الى اخوته وعمه يخبرهم بهذا الحادث وفي اليوم الثاني جلس للعزاء جلوسا عاما وأطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء وتكلم المتكلمون ولم ينشد شاعر ثم انفض المجلس في ظهيرة ذلك اليوم واستمر الحال في حضور الناس بكرة وعشية لقراءة القرآن والدعاء له رحمة الله عليه وقال العماد جلس السلطان ليلية السبت سادس عشر صفر ونحن عنده حتى مضى من الليل ثلثة وهو يحدثنا ونحن نخدته ثم صلى به وبنا امامه وحان قيامه وانفصلنا باحسانه مغتربين وبامتنانه مرتبطين وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في ايوانه فننظر خروجه لوضع الخوان ووجدناه قد أغلق باغلاق باهرهه ولم نشعر بما قضاه القدر واجنه وخرج من خدمه من أخبره ببقائه ودخول الخوف الى حرمة وأمر الملك الافضل بأن يجلس في الايوان لبسط الخوان فجلس في مكان والده مرتبعا وكان من شرط الأدب أن يخلى له موضعا فتطيرنا من تلك الحالة وتكرهنا منها سوء الدلالة فتلاعت فيه العيون وتراجعت الظنون ودخلنا اليه ليلية الاحد للعيادة ومرضه في الزيادة وفي كل يوم تضعف القلوب وتتضاعف الكرب وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء في سحر يوم الاربعاء ونابت الظلماء عن الضياء ودخل قره ليلية السابع والعشرين في السرار ودجت مطالع النوار ومات بموته رجاء الرجال وأظلم بغر وبشمسه فضاء الافضال وغاصت الايادي وقاضت الاعادي ودفن بقلعة دمشق في مسكنه ودفن جماع الكرم والفضل والدين بمدفنه ثم بنى الملك الافضل قبة شمالي الجامع في جواره بشباك الى الجامع لزواره ونقله اليها يوم عاشوراء سنة اثنيتين وتسعين واسترجعنا وقتلنا ما لنا الا أن نستعيد بالله ونستعين قال ومما قلت رباعية في المريه

قال الملك الناصر من كل فني \* في الجود بغير شيخي فأنصفني

ما يعلم أن ذلك الملك فني \* لم يبق من الجود الا كفى

وقال العماد أيضا في رسالته الموسومة بعتي الزمان وكان السلطان رحمه الله لما توفي بالقلعة في منزله وما زال الافضل يتروى في موضع ينقله اليه واستشار في ذلك فأشير عليه في سنة تسعين بان يبنى ترته عند مسجد القدم ويبني عندها مدرسة للشافعية وقالوا اذا وصل الملك العزيز استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق لاجلها وقالوا ان السلطان رحمه الله لما مرض سنة احدى وثمانين هجران كان قد اوصى أن يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصا ويكون قبره على الهيج السائل وطريق القوافل ليدعوا له الوارد والصادر والبأدي والحاضر وتجوو عليه في الغزوات العساكر قالوا وان تنأت هذه الارض عن مكان الوصية فهي منه قريبه فأمر الافضل ببناء التربة عند مسجد القدم وتولى عمارتها بدران الدين مودود والى دمشق فاتفق وصول العزيز تلك السنة للمصار وهم قد شرعوا في عمارتها فحسب ما كان قدره من البناء ثم استقر الافضل حدود الجامع ليجعل التربة فيها فوق لدار كانت لبعض الصالحين وهي في حد المكان الذي زاده الاجل الفاضل في المسجد فاشترها منه وأمر بعمارها قبة فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنيتين وتسعين بكرة الخميس ومشي الافضل بين يدي تابوته وأراد العلماء والاقهفاء حمله على أعناقهم التي فيها منته فقال الافضل كفته أذعيتكم الصالحة التي هي في المعاد جنته وحمله مما اليكه وخدمه وأوليائه وحشمه وأخرج من باب القلعة في البلد على دار الحديث الى باب البريد وأدخل منه الى الجامع ووضع قدام باب النسر وصلى عليه القاضي محي الدين محمد بن القرشي باذن الافضل ثم حمل منه على الرأس الى بطن لمحمد ثم جاء الافضل وحده ودخل لحده وأودعه وخرج وسد الباب على أبيه وجلس هناك في الجامع ثلاثة أيام للعزاء وانفقت ست الشمام أخت السلطان في هذه النوبة أموالا كثيرة قال محمد بن القادسي وفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الاول شاعت الاخبار بعني ببعاد بوفاة صلاح الدين يوسف بن أيوب وذكر انه دفن

## في أخبار (٢١٥) الدولتين

معه سيفه الذي كان معه في الجهاد وكان ذلك برأى الفاضل وقيل عنه هذيان وكأني عليه إلى الجنة وإن الفاضل كفته من ماله وتولى غسله الفاضل وخطيب دمشق قلت وحكى له أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم زاروا قبر صلاح الدين رحمه الله وأنهم لما صاروا عند الشباك سجدوا ووجدت في بعض الكتب الفاضلية (أن رجلاً رأى ليلة وفاة السلطان كائنًا قائلاً يقول له قد خرج الليلة يوسف من السجن وهو من الأثر النبوي (الديناسجن المؤمن وجنة الكافر) قال وما كان يوسف نرجمة الله عليه في الدنيا إلا إضافة إلى ما صار إليه في الآخرة إلا في سجن رضي الله عن تلك الروح وفتح له باب الجنة فهو آخر ما كان برجوه من الفتوح) ومن كلام غيره في وفاة السلطان رحمه الله تعالى (أفلت الشمس عند الصباح وذهبت روح الدنيا الذي ذهب بذهابها كثير من الأرواح وتلك ساعة ظلمت لها الأبواب حائره وتمثلت فيها السماء مأثره والجبال سائره وأغمد سيف الله الذي كان على أعدائه دائم التجريد وخفت الأرض من جبلها الذي كان يمنعها أن تميد وأصبح الإسلام وقد فقد ناصره ثاكلاً لو حيد فهو أعظم فاقد لا عظم فتميد وليس أحدم الناس إلا وقد صم عن الخبر وأصيب في سواد القلب والبصر) قال (وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمر) وختم العمد كتابه البرق الشامي بقصة يدثر بها السلطان رحمه الله عدد هافي ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً أولها

شمس الهدى والملك عم شتاته \* والده رساء واقلعت حسناته  
أين الذي مذلم ينزل مخشية \* مرجوة رهباته وهباته  
أين الذي كانت له طاعاتنا \* مذبذولة ولربه طاعاته  
بالله أين الناصر الملك الذي \* لله خالصة صفت نياته  
أين الذي مازال سلطاناً لنا \* يرجي نداء وتتقى سطواته  
أين الذي شرف الزمان بفضله \* وسمت على الفضلاء تشريفاته  
أين الذي عنت الفرنج لبأسه \* ذلاً ومنها أدركت ثاراته  
اغلال أعناق العدا أسيافه \* أطواق أجياد الوري مناته  
لم يجد تدبير الطبيب وكم \* أجدت لطب الدهر تدبيراته  
من في الجهاد صفاحه ما أغمدت \* بالنصر حتى أغمدت صفحاته  
من في صدور الكفر صدر قناته \* حتى توارت بالصياح قناته  
لذا المتعاقب في الجهاد ولم تكن \* مذعاش قط لذاته لذاته  
مسيوعة غمدوانه مجودة \* روحاته ميمونة ضحواته  
في نصرة الإسلام يسمردانما \* ليطول في روض الجنان سناته  
لا تحسبوه مات شخص واحد \* فمات كل العالمين مماته  
ملك عن الإسلام كان محامياً \* أبداً إذا ما أسلمته حماه  
قد أظلمت مذغاب عنهادوره \* لما خلت من بدرة داراته  
دفن السماح فليس ينشبع بعدما \* أودى إلى يوم الذشور رفاته  
الدين بعد أبي المظفر يوسف \* أقوت قواه وأقفر ساحاته  
جبل تضعضع من تضعضع ركنه \* أركاننا وتمدنا هذاته  
ما كنت أعلم أن طوداً شامخاً \* يهوى ولا نهوى بنامه وانه  
ما كنت أعلم أن حراطامياً \* فينا يطم وتتحمى زخراته  
بحر خلامن وارديه ولم تزل \* محفوفة بوفوده حفاته  
من الليثامي والارامل راحم \* متعطف مفضوضة صدقاته  
لو كان في عصر النبي لا تزل \* في ذكره من ذكره آياته

## كتاب (٢١٦) الروضتين

فعلی صلاح الدین یوسف دائماً \* رضوان رب العرش بل صلواته  
لضریحه سقی السحاب فان یغیب \* تحضر لرحمة ربہ سقیاته  
وکعادة البیت المقدس یحزن البیت الحرام علیه بل عرفاته  
من الثغور وقد عداها حفظه \* من الجهاد ولم تعد عاداته  
بکت الصوارم والصواهل أدخلت \* من سبلها وركوبها غزواته  
وبسيفه صداء الحزن مصابه \* اذ لیس یسفی بعده صدایه  
یا وحشتا للیبض فی اغمادها \* لا تنتفض بها للوغي عزماته  
یا وحشة الاسلام یوم تمكنت \* فی کل قلب مؤمن روعاته  
یا حمر تامن یأس راحته الذی \* یقضى الزمان وما انتقضت حسرته  
ملأت مهابة البلاء دانه \* أسد وان بلاده غاباته  
ما كان أسرع عصره لما انتفضی \* فکأنما سنوانه ساعاته  
لم أنس یوم السبب وهو لما به \* یمدی السبات وقد بدت غشیاته  
والبشر منه تبججت أنواره \* والوجه منه تلالأت سبحاته  
ویقول لله المهیمن حکمة \* فی مرضة حصلت بها مرضاته  
وقف الملوك علی انتظار ركوبه \* لهم ففیم تأخرت ركبانه  
کانوا وقوفا أمس تحت ركابه \* والیوم هم حول السریر مشاته  
ومما لا لافاق ساعیة له \* فحتى تجئ یفقهس سعاته  
هذی مناشیر الممالك تقضى \* توفیه فیها فأین دواته  
قد کان وعدك فی الربیع یجمعها \* هذا الربیع وقد دنا میقاته  
والجند فی الدیوان جدد عرضه \* واذا أمرت تجددت نفقاته  
والقدس طامحة الیک عیونه \* عجل فقد طمحت الیه عداته  
والغرب منتظر طلوعك نحوه \* حتی تفی الی هداك بغاته  
والشرق یرجو غرب عزمك ماضیا \* فی ملکك حتی تطیع عصاته  
مغری بأسداء الجمیل كأنما \* فرضت علیه كالصلاة صلاته  
هل للملوك مضاهة فی موقف \* شدت علی أعدائه شداته  
واذا الملوك سعوا وقصر سعیم \* رجحت وقد نجحت به مسعاته  
كم جاءه التوفیق فی وقعاته \* من كان بالتوفیق توقیعاته

قال ووجد بخط العماد فی حاشیة دیوانه كانت علامته (المدلله وبه توفیق)

یا اعیال الدین حین تمكنت \* منه الذئاب وأسلمته رعانه  
ما كان ضرک لواقیت مراعیها \* دینا تولى مذر حلت ولانه  
أضجرت منا أم أنفت فلم نكن \* ممن تصاب لشدة ضجراته  
أرضیت تحت الارض یا من لم یزل \* فوق السماء علیه درجته  
فارت ملکا غیر باق متعبا \* ووصلت ملکا باقیا راحته  
اعز زعلی عینی برؤية بهجة السدنا ووجهك لا نرى بهجته  
ابن صلاح الدین ان اباكم \* ما زال یأبى ما الکرام أباته  
لا تقتدوا الا بسنة فضله \* لتطیب فی مهد النعم سناته  
ودهامه ارد عدله ومماحه \* لترد عن نهج الشیطان شماته

ولئن هوى جبل لقد بنيت لنا \* بينيه من هضباته ذرواته  
وبفضل أفضله وعزيزه \* وظهور ظاهره لناسرواته  
الافضل الملك الذي ظهرت على السديان بهر جلاله جلواته  
والدين بالملك العزيز عماده \* عثمان حاليه لنا حالاته  
والملك غازي الظاهر العالی الذي \* صحت لظهار العلی مغزاته  
ولنا بسيف الدين أظهر نصرة \* بالعدل الملك المطهر رذاته

والعماد فيه من قصيدة أخرى

من للعلم للذرى من الهدى \* يحجيه من للبأس من للنائل  
طلب البقاء للملكه في آجل \* اذ لم يثق ببقاء ملك العاجل  
بحر أعاد البربح راره \* وبسيفه فحت بلاد الساحل  
من كان أهل الحق في أيامه \* وبعره ردون أهل الباطل  
وفتوحه والقدس من ابتكارها \* أبقته فضلا بغير مساجل  
ما كنت أستسقى بغيرك وابلا \* ورأيت جدك مخجلا لوابل  
فسقك رضوان الآله لائتى \* لا أرتضى سقيا الغمام الهاطل

(فصل) في تركه السلطان ووصف أخلاقه رحمه الله ذكر القاضي ابن شذاد انه امامات لم يخلف

في خزانته من الذهب والفضة الا سبعة وأربعين درهما ناصرية ودينارا واحدا ذهبيا سوريا ولم يخلف ملكا لادارا ولا عقارا ولا بستانا ولا من رعة يعى في البلد ولا مسقفا ولا ظاهرا مستغلاما من أنواع الاملاك وقال العماد في كتاب الفتح خلف السلطان رحمه الله سبعة عشر ولدا ذكرنا وابنة صغيرة وأبقى له ما أثر أثره ومحاسن كثيره ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما فانه كان باخراج ما يدخل من الاموال في المكرمات والغرامات مغرما وما كان يجود بالمال قبل الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول واذا عرف بوصول حل وقع عليه باضعافه وخص الاحاد من ذوى الغنا في الجهاد بالآلاف ولا جبهه أحد بالرد اذا سأل بل تلطف له كأنه استأهله فانه يقول ما عندنا شيء الساعة ومفهومه انه يعطى وان كان يخطى وانه يصيبه بالنوال ولا يخطى وكان مشغوفاً في سبيل الله بالانفاق موقوفا عزمه في الاعداء باداء الآجال وفي الاولياء باجراء الارزاق وما عقر في سبيل الله فرس أوجح الاوعوض مال كماله مثله وزاده من فضله فضله وحسب ما وهبه من الخيل العرب والاكاديش الجياد للحاضر برعه في صف الجهاد مدة ثلاث سنين وشهر من نزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان وحجرة وكديش وذلك غير ما أطلقه من المال في اثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعوده وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقاء الاستعار فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جاء صاحبه واستعاده فكلهم يركب خيله ويطلب خيره وهو يستعير جوادا ويستعير في الجهاد اجنادا قال في البرق وحضرت بعده عند بعض الملوك وقد قيدت اليه عرب فقيل له كن السلطان يضيع هذه وما عنده لها حساب ونسبوا وجوده بها الى السرف وعدوه من معاييه واعرضوا عن ذكره مفاخره ومناقبه وبمثل ذلك استتب له الفتوح وخلصت له طاعة كتائبه قال في الفتح لا يلبس الا ما يحل لبسه وتطيب به نفسه كل مكان والقطن والصوف وكسوته يخرجهافي اسداء المعروف وكانت محاضرة مصونة من الحظر وخواصه مقدسة بالظهور ومحاسنه منزهة عن الهز والمزحل ومحافله حافلة بأهل الفضل وما سمعت له قط كلمة تسقط ولا لفظة فظة تسخط ويعلظ على الكافرين الفاجرين وبلين للمؤمنين المتقين ويؤثر سماع الاحاديث بالاسانيد ويكلم العلماء عند ذى العلم الشرعي المفيد وكان مداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم بالاحكام الشرعية والاسباب المرضية والادلة المرعية وكان من جالسه لا يعلم انه يجالس السلطان بل يعتقد انه يجالس أخ من الاخوان وكن

حليما مقيلا للعثرات متجاوزا عن الهفوات تقيانيا وفيا صفييا بغضي ولا يغضب ويشر ولا يقطب ما رد سائلا ولا صدائلا ولا أنجل قائلا ولا خيب آملا قال ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سفراته الأمير أيوب بن كنان فلما وصل سأله عن سبب تخلفه فذكر دينا فاحضر غرامه وتقبل بالدين وكان اثني عشر ألف دينار مصرية وكسرا قال ولما كتبنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها ألفي دينار وتسحب وربما وصل الى الباب فحيل وتمحل وكذب فجاء من أخيه السلطان ان الرجل بالباب فقال قل له ان ابن منقذ يطلبك فاجهد ان لا تقع في عينه فجهنما من حمله وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل الى حينه بقدمه قال وبما أذكره في أول سفرتي معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين انه حوسب صاحب ديوانه عما تولا في زمانه فكانت سياقة الحساب عليه سبعة عشر ألف دينار باقية عليه فحاطلها ولاذ كرها وأراه انه ما عرفها على ان صاحب الديوان ما أنكرها وكان يرضى من الاعمال بما تفعل صفوا عفا وتحصل حلوا وكله يخرج في الجود والجهاد ثم لم يرض له العطلة فولاه ديوان جيشه قال ولما كتبنا بظاهرحان عم بصدد قاته الفقراء والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بن القبايض بدمشق ان يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية فقلت انما الذهب الذي عنده مصري فقال فيتصدق بخمسة آلاف دينار مصريه وأشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما ويرتكب في كسب الاجراثا ما نسيح ومنح وتاجر الله وربح ولما علم على الرحيل من حران أقاض بها الفضل وبث الاحسان وقال لي يوم الرحيل انظر كم بقي بالباب من الوافين أبناء السبيل وهذه ثلثمائة دينار أقسمها عليهم بالقلم على اقدارهم وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة فعينت لكل اسم قسما فبلغ أربع مائة دينار فاعلمته وقلت انقص من كل اسم ربعا فقال اجر ما جرى به القلم قال وكان رحمه الله اذا أطلق لعاف عارفه وقلت له هذه ما تركت في رذها ما مضاهه قال وكان يغضب للجبائر ولا يغضي عن الصغائر ويرشد الى الهدى ويهدي الى الرشاد ويستد الامرويا مبر بالسداد فكل مما ليك به وخواصه بل أمراؤه وأجناده اعف من الزهاد والعباد قال ورأى لي يوما دواة محلاة بالفضة فأنكرها فقلت له ان الشيخ أباحمد والد أبي المعالي قد ذكر وجهاتي جوارها ثم أكتب بها عنده بعد ما وكان محافظا على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها وماظبا على اداء مفروضاتها ومسئولاتها فمارأيتها صلى الا في جماعه ولم يؤخر له صلاة من ساعة الى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواظب فان غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبا لللاثم وكان يأخذ بالشرع ويعطي به ولم يكن الى المنجم مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا ولا يتعيف ولا يتطير ولا يتعين ولا يتخير بل اذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع وما زال ناصر للائحيد وقامعا جمع أهل البدع بالتبديد شافعي المذهب أصولا وفروعا معتقلا له معقولا ومسوعا يدي أهل التنزيه ويقضي أهل التشبيه ويدعم استفادة فقه الفقيه واستزادة نباهة النبيه ووجهة الوجيه فالعالمون في عدله والعالمون في فضله والبلاد في امنه والعباد في منه

**(فصل)** قال القاضي ابن شدا كان مولد السلطان رحمه الله في شهر ر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقاعة تكريت وكان والده أيوب بن شادي واليا بها وكان كريبا أريحا حليما حسن الاخلاق مولده بدوين ثم اتفق له الانتقال من تكريت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه وأقام بها الى أن ترعرع وكان والده محترما مقدما وهو وأخوه أسد الدين شيركوه عند أتاكب زنكي وانفق لوالده الانتقال الى الشام وأعطى بعلبك وأقام بها مدة ومعه ولده المذكور فأقام في خدمة والده يترقب تحت حجره ويرتضع ثدي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت عليه لوايح التقدم والسيادة وقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وعول عليه ونظر اليه وقربه وخصه ولم يزل كلما تقدم فلما يبد منه أسباب تقتضي تقديمه الى ما هو اعلى منه حتى اتفق لعمه أسد الدين شيركوه الحركة الى مصر والنهوض اليها وقدمه في ذلك ثم قال ذكر ما شاهدناه من مواظبته على القواعد الدينية وملاحظته للامور الشرعية مما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام فكان رحمه الله حسن



## في اخبار (٢١٩) الدولتين

لعقيدة كثير الذكر لله تعالى قد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكاره الفقهاء وبفهم من ذلك ما يحتاج الى تفهمه بحيث كان اذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولاً حسناً وان لم يكن بعبارة الفقهاء تحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه والتعطيل جارية على غط الاستقامة وكان قد جمع له الشيخ الامام نطب الدين النيسابوري رحمه الله عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في اذهانهم من الصغر ورأيت وهو يأخذها عنهم وهم يقرؤونها من حفظهم عليه وأما الصلاة فانه كان شديداً مواظباً عليها بالجماعة حتى انه ذكر رحمه الله ان له سنين ما صلى الجماعة وكان اذا مرض استدعى الامام وحده وكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على السنن الرواتب وكان له ركعات يصليها ان استيقظ بوقت من الليل والأتي بها قبل صلاة الصبح وما كان يترك الصلاة مادام عقله عليه ولقد رأيته يصلي في مرضه الذي مات فيه قائماً وترك الصلاة الا في الايام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه وكان اذا أدركته الصلاة وهو سائر نزل وصلى وأما الزكاة فانه مات رضي الله عنه ولم يحفظ ما وجبت عليه به الزكاة وأما صدقة النفل فانها استنفدت جميع ماله من الاموال وأما صوم رمضان فانه كان عليه فيه فوائت بسبب أمراض تواترت عليه في رمضان متعده وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الايام وشرع رحمه الله في قضاء فوائت ذلك في القدس الشريف في السنة التي توفي فيها وواظب على الصوم مقداراً زائداً على شهر فانه كان عليه فوائت رمضانين شغلته الامراض وملازمة الجهاد عن قضائها وكان الصوم لا يوافق مزاجه فالحمد لله الله الصوم لقضاء الفوائت فكان يصوم وأنا أثبت الايام التي يصومها فان القاضي كان غائباً والطبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول ما أعلم ما يكون فكأنه كان ملهاً ما برأه ذمته ولم ينزل حتى قضى ما عليه رحمه الله وأما الحج فانه لم ينزل عازماً عليه وما ياله لاسمى في العام الذي توفي فيه فانه صم العزم عليه وأمر بالتأهب وعلمت الزيادة ولم يبق الا المسير فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت وفراغ اليد عما يليق بأمثاله فأخره الى العام المستقبل فقضى الله ما قضى قال وهذا شيء اشترك في العلم به الخاص والعام وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم حتى انه كان يستخير امامه ويشترط عليه أن يكون عالماً بالعلوم القرآن العظيم متقناً لحفظه وكان يستقرى من يحضره في الليل وهو في برجه الحزين والثلاثة والاربعة وهو يسمع وكان يستقرى في مجلسه العام من جرت عادته بذلك الآية والعشرين والزائد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقر به وجعل له حظاً من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة وكان رحمه الله خاشع القلب رقيق الدمعة اذا سمع القرآن العزيز يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية وسماع كثير فان كان يحضر عنده استحضره وسمع عليه واستمع من يحضره في ذلك المكان من أولاده وماله كنهه والمختصين به وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث اجلاً لاله وان كان الشيخ مخملاً لا يطرُق أبواب السلاطين ويتجأ عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه تردد الى الحافظ السلفي بالاسكندرية وروى عنه أحاديث كثيرة وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه فكان يستحضر في خلوته ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأ هو فاذا امر بحديث فيه عبرة رقق قلبه ودمعت عينه وكان كثير التعظيم لشعائر الدين قائلاً يبعث الاجسام ونشورها ومجازاة المحسن بالجنة والمسيء بالنار مصداقاً لجميع ما وردت به الشرائع منشراً بذلك صدره مبغضاً للفلاسفة والمعطلة والدهرية ومن يعاند الشريرة ولقد أمر ولده الفاضل صاحب حلب بقتل شاب كان نشأ يقال له الشهر وردي قيل عنه انه كان معاند الشرائع مبطلاً وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله وصلبه أما ما يقتله وكان حس الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الا بابه اليه ولقد شاهدت من آثار ذلك ما أحكيه فحكي التجاهل الى الله تعالى عند خوفه من قصد الفرنج بيت المقدس وامتناع أصحابه من دخوله للحصر فصلى ودعا فكفي ذلك وقد تقدم ذكره ثم قال وكان رحمه الله عادلاً رؤوفاً رحيماً ناصراً للضعيف على القوي وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ويفتح الباب للمحتاجين حتى يصل اليه كل أحد من كبير وصغير وعجوز ورمة وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سفرًا



## كتاب (٢٢٠) الروضتين

وحضر ا على انه كان في جميع زمانه قابلا لما يعرض عليه من القصص كاشفا لما ينهي اليه من المظالم وكان يجنب القصص في كل يوم ثم يجلس مع الكاتب ساعة في الليل أو في النهار ويوقع على كل قصة بما يطلق الله على قلبه وما استغاث اليه أحد الاوقف وسمع ظلامته وأخذ قصته وكشف قضيته ولقد رأيت وقد استغاث اليه انسان من أهل دمشق يقال له ابن زهير على تقي الدين ابن أخيه وأنشد اليه ليحضره في مجلس الحكم فإخضه الا ان اشهد عليه شاهدين انه وكل القاضي أمين الدين أبا القاسم قاضي حماه في الخاصة فأقاما الشهادة عندي في مجلسه فأمرت أبا القاسم بمساواة الخصم فساواه وكان من خواص جلساء السلطان ثم جرت المحاكمة بينهما واتجهت اليين على تقي الدين وكان تقي الدين من أعز الناس عليه وأعظمهم عنده ولم يحاسبه في الحق قال وكنت يوما في مجلس الحكم بالقدس الشريف اذ دخل على شيخ حسن تاجر معروف يسمى عمر الخلاطى ومعه كتاب حكى صار فقحه وقال خصمى السلطان وهذا بساط الشرع وقد سمعنا انك لا تحبني فقلت وفي أى قضية هو خصمك فقال ان سنقر الخلاطى كان مملوكي ولم يزل على ملكي الى أن مات وكان في يده أهوال عظيمة كالهالي ومات عنها واستولى عليها السلطان وأنا مطالب به فقلت يا شيخ وما الذي أقعدك الى هذه الغاية فقال الحقوق لا تبطل بالتأخير وهذا الكتاب الحكى ينطق بأنه لم يزل في ملكي الى أن مات فأخذت الكتاب منه وتصنحت مضمونه فوجدته يتضمن حليمة سنقر الخلاطى وانه قد اشتراه من فلان التاجر بارجيش في اليوم الفلاني من شهر كذا من سنة كذا وانه لم يزل في ملكه الى أن شذعن يده في سنة كذا وما عرف شهود هذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه وتم الشرط الى آخره ففجعت من هذه القصة وأعلنت السلطان بذلك فأخضره واستدناه حتى جلس بين يدي وكنت الى جانبه ثم انفرك من طراحتيه حتى ساواه رحمه الله تعالى ثم ادعى الرجل وفتح كتابه وقرأ تاريخه فقال السلطان ان لي من يشهد ان سنقر هذا كان في ملكي وفي يدي بصرى الى اشتريته مع ثمانية أنفس في تاريخ متقدم على هذا التاريخ بسنة وانه لم يزل في يدي وملكى الى ان أعنته ثم استحضرت جماعة من اعيان الامراء المجاهدين فشهدوا بذلك وحكوا القضية كاد كرها وذكروا التاريخ كما ادعاه فالبس الرجل فملت له ياهولا ناهذا الرجل ما فعل ذلك الا طلبا لراحم السلطان وقد حضر بين يدي المولى وما يحسن ان يرجع خائب القصد فقال هذا باب آخر وتقدم له بخلعة ونفقة بالغة قال فانظر الى ما في طي هذه القضية من المعاني الغريبة العجيبة من التواضع والانقياد الى الحق وارغام النفس والكرم في موضع المؤاخذه مع القدرة التامة رحمة الله عليه قال وكرمه كان أظهر من أن يسطر كان رحمه الله يب الاقاليم وفتح أمدا فطلبها منه ابن قرأ رسلان فأعطاه ياهورا وأتته وقد اجتمع عنده وفود بالقدس ولم يكن في الخزانة ما يعطيهم فباع قرية من بيت المال وخصصنا ثمنها عليهم ولم يفضل منه درهم واحد وكان يعطى في وقت الضائقة كما يعطى في حال السعة وكان نواب خزائنه يخفون عنه شيئا من المال حذران ينحأهم مهمهم لعلمهم انه متى علم به أخرجه وسمعت يوما يقول يمكن في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكأنه أراد بذلك نفسه وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب وما سمعته يقول أعطينا القلان وكان يعطى الكبير ويبسط وجهه للعطى بسط من لم يعطه شيئا وكان الناس يستزيدونه في كل وقت وما سمعته قط يقول قد زدت مرارا فكم أزيد وأكثرا لسائل في ذلك كان يكون على لسانى ويدي وكنت أخجل من كثرة ما يطلبون ولا أخجل منه لعلمى بعدم مؤاخذته بذلك وما خدمه قط أحد الا وأغناه عن سؤال غيره وأما تعدد عطاياه فقال حضرنا عدد ما وهب من الخيل برج عكالا غير فكان عشرة آلاف رأس ومن شاهد ما وهب به يستقل هذا القدر اللهم انك الحمته الكرم وأنت أكرم الأكرمين فتكرمت عليه برحمتك ورضوانك يا أرحم الراحمين قال وكان رحمه الله من عظماء الشجعان قوى النفس شديد الباس عظيم الثبات لا يهوله أمر ولقد رأيت به مرابطا في مقابلة عذبة عظيمة من الفرنج ونجده تتواصل وعساكرهم تتواتر وهو لا يزداد الا قوة نفس وصبرا ولقد وصل في ليلة واحدة منهم نيف وسبعون مرابطا على عكالا وأنا أعد هذا من بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس ولقد كان يعطى دستورا في أوائل الشتاء ويبقى في شردمة يسيرة في مقابلة عذتهم الكثيرة ولقد سألت باليان بن بارزان وهو من كبار ملوك الساحل وهو جالس بين يديه يوم انعقاد الصلح عن عذتهم فقال الترجمان عنه انه يقول كنت أنا وصاحب

صيدا وكان أيضا من ملوكهم وعقلائهم قاصدين عسكرنا من صور قلما أشر فناء عليه نجما وزناه فخذه هو بنحو مائة ألف وحرزته أنا بستمائة ألف أو قال عكس ذلك فقلت فكم هلك منهم فقال أما بالقتل فغير يب من مائة ألف وأما بالموت والعرق فلا يعلم وارجع من هذا العالم الا الاقل قال وكان لا بد له من أن يطوف حول العدو كل يوم مرة أو مرتين اذا كنا قريبا منهم وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد وعلى يده حنيط ويخرق العساكر من الميمنة الى اليسرة يرتب الاطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع راسا وكان يشارف العدو ويجاوره ولقد قرئ عليه جزء من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة وما نقل انه سمع بين الصفين فان رأى المولى أن يؤثر عنه ذلك كان حسنا فأذن في ذلك فاحضر جزءا هناك من له به سماع فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين يمشي تارة ويقف أخرى وما رآته استكثر العدو أصلا ولا استعظم أمرهم قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير يذكر بين يديه الاقسام كلها ويرتب على كل قسم مقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتربه ولقد انهمز المسلمون في يوم المصافي الكبير هرج عكا حتى القلج ورجاله ووقع الكؤس والعلم وهوناب القدم في نفر يسير وقد انحاز الى الجبل يجمع الناس ويردهم ويحجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى عكس المسلمون على العدو في ذاك اليوم وقتل منهم زهاء سبعة آلاف ما بين راجل وفارس ولم يزل مصابرا لهم وهم في العدة الوافرة الى أن ظهر له ضعف المسلمين فصالح وهو مسؤول من جانبهم فان الضعف والهلاكة كان فيهم أكثر ولاكنهم كانوا يتوقعون النجدة ونحن لا نتوقعها وكانت المصلحة في الصلح وكان رحمه الله يرض ويصح ويعتبره أحوال مهولة وهو مصابر مرابط وتترأى النيران ويسمع منهم صوت الناقوس ويسمعون مناصوت الاذان الى ان قضى الامر قال وكان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به ولو حالف حالف انه ما أنفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما الا في الجهاد وفي الافراد لصدق ويرى يمينه ولقد كان الجهاد وحيه في الشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيم بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا في الله ولا اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره ويحث عليه ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الريح مينة ويسرة ولقد وقعت عليه الحمية في ليلة ريمه على مرج عكا فلم يكن في البرج لقلته ولا يزيد ذلك الارغبة ومصابرة واهتماما قلت وشواهد ما ذكر القاضي من ذلك كثيرة وقد سبقت مدركة في رتبه رحمه الله منها ما قاساه على حصار كوكب من الامطار والاحوال وقال الرشيد بن النابلسي من قصيدة له

ما أجمع الدين والدنيا بالكلها الصديق يوسف لا اذنت به الغير  
ملك تساوى جادى في الجهاد وتـوزلديه وضاهى ناجرا صفر  
فليس يشنيه حران توفد عن \* رضى الاله ولا ان اغدق المطر  
ولا ينهـ عما يكابده \* ضج أعيد معاليه ولا ضجر  
ولا يرى الروح الا ظهر سلهبة \* في بطن معركة مر كوهها وعر  
صبر جميل كطام الشهيد في فـه \* وعند كل ملك طعمه الصبر

قال القاضي وكان الرجل اذا أراد أن يتقرب اليه يحشه على الجهاد أويذ كرشينا من أخبار الجهاد ولقد ألف له كتب عدة في الجهاد وانما جمع له فيه كتابا جمعت فيه ادا به وكل آية وردت فيه وكل حديث روى فيه وشرحت عربيها وكان رحمه الله كثير ما يطالعها حتى أخذ منه ولده الافضل قال ولا حكيمن عنه ما سمعت منه في ذلك وذلك انه كان قد أخذ كوكب في ذى القعدة سنة أربع وعثمانين وأعطى العساكر دستورا وأخذ عسكره صرى العود الى مصر وكان مقدمه أخاه العادل فسار معه ليودعه ويحظى بصلاة العيد في القدس ففعل ووقع له بعض من معهم الى عسقلان ويودعهم ثم يعود على طريق الساحل ويتمتد البلاد الساحلية الى عكا ويرتب أحواله في مشارع عليه ان لا يفعل فان العساكر اذا فارقنا تبقى في عدة بسيرة والفرنج كلهم بصور وهذه مخاطرة عظيمة في ملتفت وودع أخاه والعسكر بعسقلان ثم سار على الساحل طالبي عكا وكان الزمان شتاء عظيما والبحر هائجا فاجلنا

## كتاب (٢٢٢) الروضتين

نبياً وموجه كالجبال كما قال الله تعالى وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم أمر البحر عندى حتى خيل لى لو قال لى قادر لوجزت فى البحر مية لا واحد املكك تلك الدنيا لما كنت أفول واستخففت رأى من ركب بحر جاء كسب دينار ودرهم واستحسن رأى من لا يقبل شهادة راكب البحر هذا كله خطر لى لعظم الهول لى شاعده من حركة البحر وتوجهه فبينما نانى ذلك اذ التفت الى وقال فى نفسه انه متى يسر الله تعالى فنج بنية ساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر الى جزائرهم اتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الارض نيكفر بالله أو أموت فعظم وقع هذا الكلام عندى حيث ناقض ما كان يخطر لى وقلت له لى فى الارض أشجع سامن المولى ولا أقوى نية منه فى نصره دين الله وحكيت له ما خطر لى ثم قلت ما هذه الانية جميلة ولكن المولى يسير البحر العساكر وهو سور الاسلام ولا ينبغي ان يخاطر بنفسه فقال أنا أستفتيك ما أشرف الميتات فقلت الموت سبيل الله فقال غاية ما فى الباب ان أموت أشرف الميتات قال فانظر الى هذه الطوية ما أظهرها والى هذه نفوس ما أشجعها وأجسرهما اللهم انك تعلم انك بذل جهدك فى نصره دينك رجاء رحمتك فارحمه قال وأما صبره فلقد أتته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتره بسبب كثرة دما ممل كانت ظهرت عليه من وسطه الى ركبته بحيث يستطيع الجلوس وانما يكون متكئا على جانبه اذا كان فى الخيمة وامتنع من مد الطعام بين يديه للجزع عن الجلوس كان يأمر ان يفرق على الناس وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى صلاة الظهر يطوف على الاطلاب من العصر الى صلاة المغرب وهو صابر على شدة الالم وقوة ضربان الندما مل وكان يجب من ذلك فيقول رحمه الله اذا كبت يزول عنى المها حتى أنزل وهذه عناية ربانية ولقد مرض ونحن على الخروبة وكان قد تأخر عن تل الحبل بسبب مرضه فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعا فى ان يتالوا من المسلمين شيأ بسبب مرضه وهى نوبة النهر فخرجوا فى مرحلة الى الأبار التي تحت التل ثم رحل العدو فى اليوم الثانى يطلبنا فركب رحمه الله على مضض ورتب العساكر للحرب وجعل أولاده فى القلب ونزل هو وراء القوم يطلبه وكلما سار الى العدو يطلب رأس النهر سار هو يستدير الى ورائهم حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو رحمه الله يسير ساعة ثم ينزل بستر يريح وتظل بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفه ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهر ونزل هو على تل قبالتهم مطل عليهم الى ان دخل الليل ثم أمر العساكر ان تعود الى محل المصاربة وان يبيتوا تحت السلاح وتأخر هو الى قمة الجبل وضربت له خيمة لطيفة وبت تلك الليلة أجمع انا والطبيب مرضه ونشأ غله وهو ينام تارة ويستيقظ أخرى حتى لاح الصباح ثم ضرب البوق وركب رحمه الله وركبت العساكر وأحدثت بالعدو وورحل العدو عائدا الى خيمه من الجانب الغربى للنهر وضايقة المسلمون مضايقة شديدة وفى ذلك اليوم قدم أولاده بين يديه احتسابا بالفضل والظاهر والظافر وجميع من حضره منهم ولم يزل يبعث من عنده حتى لم يبق عنده الا أنا والطبيب وعارض الجيش والعلمان بايديهم الاعلام والبارق لا غير فيظن الرأى لها عن بعد ان تحتها خلقا كثيرا وليس تحتها الا واحد بعد خلق عظيم رحمه الله وبقي فى موضعه والعساكر على ظهور الخيل قبالة العدو الى آخر النهار ثم أمرهم ان يبيتوا على مثل ما باتوا عليه بارحتهم وبتنا على ما بتنا عليه الى الصباح وعاد العساكر الى ما كان عليه بالامس من مضايقة العدو ولقد رأيت له ليلة على صفد وعويحا صرها وقال لانام الليلة حتى ينصب لنا خمسة مجانبق ورتب لكل منجنيق قوما ولون نصبه وكنا طول الليل فى خدمته فى ألف كاهة وأرغد عيشة والرسلة تواصل مخبرة بانه نصب من المنجنيق الفلانى كذا ومن الآخر كذا حتى أتى الصباح وقد فرغ منها وكانت من أطول الليالى وأشد هاردا ومطرا قال ولقد رأيت له وقد جاءه خبر وفاة ولده بالغ أو مرأته يسمى اسماعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف أحدا ولم نعرف حتى سمعنا من غيره ولم يظهر عليه شئ من ذلك سوى انه لما قرأ الكتاب دمعت عينه رحمه الله قال ولقد رأيت له وقد وصله خبر وفاة تقي الدين ونحن فى مقابلة للفرنج جريده على الرملة وفى كل ليلة تقع الصيحة فتقلع الحيام ويقف الناس على ظهر الى الصباح والند ونيار ووربيناتو بينه شوط فرس لا غير فاحضر العادل وابن جندروا بن المقدم وابن الداية سابقى الدين وأمر بالاناس فابعدوا عن الخيمة بحيث لم يبق حولها أحد عن غلوة سهم ثم أظهر الكتاب ووقف عليه وبكاء شديد حتى أبكا من غيظ ان نعلم المسبب ثم قال رحمه الله والعبرة بتخفه توفى تقي الدين فاشتمد بكاءه وبكاء الجماعة ثم عدت الى نفسى

## في اخبار (٢٢٣) الدولتين

فقلت أستغفروا الله من هذه الحالة وانظروا أين أنتم واعرضوا عما سواه فقال رحمه الله نعم استغفروا الله وأخذ يكررها ثم قال لا يعلم هذا أحد قال وكان رحمه الله شديد الشوق والشغف بأولاده الصغار وهو صابر على مفارقتهم راض ببعدهم عنه وكان صابراً على مر العيش وشؤته مع القدرة التامة على غير ذلك احتساباً بالله تعالى اللهم انه ترك ذلك كله ابتغاءاً لرضا نيك فارض عنه قال ولقد كان رحمه الله حليماً متجاوزاً لقليل الغضب ولقد كنت بجذمة بهرج عيون قبل خروج الفرنج الى عكا يسر الله فتحها وكان من عادته انه يركب في وقت الركوب ثم ينزل فيمدا الطعام ويأكل مع الناس ثم ينفض الى خيمة خاصة له بنام فيمسا ثم يستيقظ من منامه ويصلي ويجلس خلوة وأنا في خدمته يقرأ شيئاً من الحديث أو شيئاً من الفقه ولقد قرأ على كتاباً مختصراً للسليم الرازي يشتمل على الارباع الاربعة من الفقه فنزل يوماً على عادته ومدا الطعام بين يديه ثم عزم على النهوض فقبل له ان وقت الصلاة قد قرب فعاد الى الجلوس وقال نصلي وننام ثم جلس يتحدث حديث متصحر وقد أدخل الى المكان الاعين لزم فتقدم اليه مملوك كبير محترم عنده وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال له أنا الآن ضجراً آخرها ساعة فلم يفعل وتقدمها الى تريب من وجهه الكريم بيده وفتحها بحيث يقرؤها فوقه على الاسم المكتوب في رأسها فعرفه وقال رجل مستحق فقال يوقع له المولى فقال ليست الدواة حاضرة الآن وكان رحمه الله جالساً في باب الحركة بحيث لا يستطيع أحد الدخول اليها والدواة في صدر الحركة الحركة كبيرة فقال له المخاطب هاهي الدواة في صدر الحركة قال القاضي فليس لهذا معنى الأمر انا باحضر الدواة لا غير فالتفت رحمه الله فرأى الدواة فقال والله صدق ثم استند على يده اليسرى ومذبه اليمنى وأحضرها ووقع له فقلت قال الله تعالى في - ق نبيه صلى الله عليه وسلم وانك لم لي خلق عظيم وما أرى المولى الا قد شارك في هذا الخلق فقال ما ضربنا شيئاً قضينا حاجته وحصل الثواب قال القاضي ولو وقعت هذه الواقعة لأحاديث الناس لقام وقعد ومن الذي يقدر ان يخاطب أحداً هو تحت حكمه بمثل ذلك وهذا غاية الاحسان والحلم والله لا يضيق أجر المحسنين قال ولقد كانت طارحته تداس عند التزاحم عليه لعرض القصص وهو لا يتأثر لذلك ولقد نفرت يوماً بغلتي من الجبال وأنا راكب في خدمته فرجت وركه حتى أتمته وهو يتبسم ولقد دخلت بين يديه في يوم ربيع مطير الى القدس كثير الوحل فنضجت البغلة عليه من الطين حتى أهلكت جميعاً ما كان عليه وهو يتبسم وأردت التأخر عنه بسبب ذلك فما تركني ولقد كان يسمع من المستغيثين اليه والمتظلمين أغلاظ ما يمكن ان يسمع ويلقي ذلك بالبشر والقبول ثم قال القاضي وهذه حكاية يسدران يساطر مملوها فذكر ما تقدم من امتناع عسكره من الهجوم على ملك الانكليزية وهو في جمع يسير من أعجابه بعد ان اطافوا بهم وواجه الجناح السلطان بذلك الكلام الخشن فرجع السلطان مغضباً وظن انه ربما صاب وقتل في ذلك اليوم فنزل يازور وقد وصله من دمشق فأكفه كثيرة فطلب الامر ائلياً كلاً واخضر وافراً ومن بشره وانبساطه ما أحدث لهم الطعام ندية والامر والسرور قال وكان رحمه الله كثير المروءة ندى الوجه كثير الحياء منبسط لمن يرد عليه من الضيوف يكرم الوافد عليه وان كان كافراً ولقد وفد عليه البرنس صاحب انطاكية فساءلته عن حاله وهو واقف على باب خيمته بعد وقوع الصلح في شوال عند منصرفه من القدس الى دمشق وقد تقدم ذلك وعرض له في الطريق وطلب منه شيئاً فاعطاه المعق وهو بلاد كان أخذها منه عام فتح الساحل سنة أربع وثمانين ولقد رآيته وقد دخل اليه صاحب صيدا فاحترمه وأكرمه وأكل معه وعرض عليه الاسلام وذكر له طرفاً من محاسنه وحثه عليه وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرأى باب العلم والنضل وذوى الاقدار وكان يوصي بالثلاث تغفل عن يجتاز بالخير من المشايخ المعروفين حتى يحضرهم عنده وينالهم من احسانه وقدمه بناسنة أربع وثمانين رجلاً جمع بين العلم والتصوف وكان من ذوى الاقدار وكان أبوه صاحب توزيز فاعرض هو عن فن أبيه واشتغل بالعلم والعمل وحج ووصل زائراً لبيت الله المقدس ولما قضى لباتته منه ورأى آثار السلطان فيه وقع له زيارته فوصل اليها الى العسكر فلقيته ورحبت به وعرفت السلطان وصوله فاستحضره وشكره عن الاسلام وحثه على الخير وانصرف وبات عندى في الخيمة فلما صلينا الصبح أخذني ودعني فقبحته له المسير بدون وداع السلطان فلما بلغت لم يلوعلى ذلك وقال قضيت حاجتي منه ولا غرض لى فيما عدا رؤيته وزيارته ثم انصرف من ساعته وهضى على ذلك ليال قدام السلطان عنه فاخبرته بذهله فظهر عليه آثار العتب كيف لم

نخبره برواحه وقال كيف بطرقنا مثل هذا الرجل وينصرف عنا من غير احسان بمسه منا وشدد النكير على في ذلك فما وجدت بدا من ان كتبت كتابا الى محي الدين قاضي دمشق كلفته فيه السؤال عن حال الرجل وابصال رفته كتبها اليه طي كتابي أخبرته فيها بانكار السلطان رواحه من غير اجتماع به وحسنت له فيها العود وكان بيني وبينه صداقة تقتضي مثل ذلك فعادوا واجتمع بالسلطان فرحب به وانسبط معه واستوحش له وأمسكه أياما ثم خلع عليه خلعة حسنة وأعطاه مراكبا وبالاتقا وثيابا كثيرة ليحملها الى أهل بيته وأتباعه وجيرانه ونفقة يرتفق بها وانصرف عنه وهو أشكر الناس له وأخلصهم دعاء ليامه قال ولقد رأيت رجحه الله وقد مثل بين يديه أسير فرنجي وقدها به بحيث ظهر عليه امارات الخوف والجزع فقال له الترجمان من أي شيء تخاف فاجرى الله على لسانه ان قال كنت أخاف قبل ان أرى هذا الوجه فبعد رؤيتي له وحضورى بين يديه أيقنت انى ما أرى الا الخير ففى عليه وأطلقه ورق له قال وكنت راكبافى خدمته فى بعض الايام قباله الفرنج ووصل بعض اليزكية معه امرأة شديدة التحرق كثيرة البكاء وارة اندق على صدرها فذكر قصة أم الرضيع الذى سرق وقد مضت قال وكان رجحه الله لا يرى الاساءة الى من صحبه وان أفرط فى الجنانية ولقد بدلت فى خزانته كيسان من الذهب المصرى بكيسين من الفلوس فما عاى بالثواب شيئا سوى انه صرف فهم من علمهم لا غير وكان رجحه الله حسن العشرة لطيف الاخلاق طيب الفكاهة حافظا لانساب العرب وواقعهم عارفا بسييرهم وأحوالهم حافظا لانساب خيلهم عالما بجاثب الدنيا ونواذرهما بحيث كنا نستفيد محاضرة منه ما لانسعه من غيره وكان يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله وكان طاهر المجلس لا يذكربن يديه أحد الا بالخير وطاهر السمع فلا يجب ان يسمع عن أحد الا بالخير وطاهر اللسان فما رأيت له ألع بشتم قط وطاهر القلم فما كتب بقله الدل لمسلقط وكان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم الا وترحم على مخلفه وجبر قلبه وأعطاه خبز مخلفه ان كان له من أهله كبير يعتمد عليه وسلمه اليه والا أنفى له من الخبز ما يكفى حاجته وسلمه الى من يكفله ويعتنى بترتيته وكان ما يرى شيخا الا ويرق له ويعطيه ويحسن اليه ولم يزل على هذه الاخلاق الى ان توفاه الله عز وجل الى مقر رحته ومحل رضوانه قلت ولجعفر بن شمس الخلافة من قصيدة رثاهما

ألسنت ترى كيف انبرى الخطب نائرا \* ومد يد امنه الى دافع الخطب  
الى الناصر الملك الذى ملئت به \* قلوب السرايا من رجا ومن رعب  
كريم أناه الموت ضيفا فلم يكن \* ليزله الا على السهل والرحب  
ولو غاب منه قبل ذلك سائل \* لحاب وليس البخل من شيم السحب  
قضى ففضى المعروف وانقرض الندى \* وحطت رحال الوفى الشرق والغرب  
أفاض على الدنيا سجال نواله \* فغاضت عليه أعين العجم والعرب  
ولوانه يهكى على قدر حقه \* اسال دموع المزن من أعين الشهب  
جزاء عن الاسلام خيرا الهه \* فامل عنه من دفاع ومن ذب  
تدركه بعد ابتذال فقد غدا \* وكان شديد الخوف فى أمتع الخجب  
وأصبح للبيت المقدس منقذا \* باصلب عزم من مقارنة الصلب  
أذل له الله العدا مذأطاعه \* وسهل منهم كل ممنوع صعب  
سقى الخلد عند الله دار مثره \* يتمتع منه بالجوار والقرب

(فصل) فى انقسام ممالكه بين أولاده واخوته وبعض ما جرى بعد وفاته قال العماد فى كتاب البرق خلف السلطان سبعة عشر ولدا أكبرهم الملك الافضل نور الدين أبو الحسن على ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمسمائة وتولى بعده دمشق الى ان خرج منها الى مصر خذ وتولاها عامه العادل فى شعبان سنة اثنتين وتسعين مضافة الى ممالكه بالبلاد الشرقية والجزيرة وديار بكر ثم الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ومولده

## في أخبار (٢٢٥) الدولتين

بمصر ثامن جادى الاولى سنة ستم وستين وتوفي بها في ملكه ليلة الاحد العشرين من محرم سنة خمس وتسعين بتولى بعده أحد أولاده الصغار ثم الملك الظاهر غياث الدين غازي ومولده بمصر منتصف شهر رمضان سنة ثمان وستين وتولى حلب واعمالها قال ولقد أنشأت الرسالة الموسومة بالعقبى والعقبى فيما طرأ بعد السلطان الى آخر سنة اثنتين وتسعين وقال في كتاب الفتح تولى الملك الافضل دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد وهو الذي حضر وفاة والده وقام بسنة الغزاة وفرض الاقتداء بآبائه في ايلاء الالاء وادناء الاولياء وخلع على الامائل والامراء والافاضل والعلماء وآوى اليه اخوته وضم جماعته وجهاز أخاه النافذ خضر امظفر الدين وأنهضه لانجاده العادل كما سنده كره وكانت حصص المناظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة الافضية داخله وقدم عليه سلطانها الملك المجاهد والامجد الى دمشق فتأكدت بينهم القرابة والالفة ولما استقر الافضل بدمشق في مقام والده قدم الى الديوان العزيز نجيب بن ابناء الحال ثم ندب ضياء الدين ابن الشهرزوري في الرسالة وأصبحه عذة والده في الغزاة وسيفه ودرعه وحصانه وأضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العرب ما استفدوسعه وامكانه فيها تهيأ مسير الرسول الا في اواخر جادى الآخره حتى حصل كل ما أراد من الهدايا الفاخرة وحتى كتب مصر وحلب وأعلم بسير رسوله حتى لا يظن انه انفرد بسوله وقصدمداراة اخوته وفضل بفضل نخوته وذلك بعد ان جدد نقش الدينار والدرهم بسمتي أمير المؤمنين وولى العهد عذة الدين وقال ابن القادسي وفي يوم الثلاثاء مستهل رمضان حمل ابن الشهرزوري ما كان أصحبه الافضل من حمل الشام الى الديوان العزيز وهو صليب الصليبون الذي كان قد أخذ به والده وذكر انه ذهب يزيد على العشرين رطلا من صعا بالجواهر ومعه خادم مختص بخدمته وحمل فرس أبيه وزرديته وخودته وكانت صفراء مذهبة ودبوس حديد وسيف وأربع زرديان وقالوا هذه تركته وبها كان يقا تل وتحفاجه من الثياب وحمل في جملة التحف أربع جوار من بنات ملوك الروم فين ابنة بارزان وبنت صاحب جبله قال العماد وأمرني بإنشاء الكتب وتحريرها وتقرير المقاصد وتقريرها منها (أصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء وقلبه معمور بالصفاء ويدمر فوعة الى السماء لا لابتها بالبدعاء ولسانه ناطق بشكر النعماء وجنانه ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرجاء وطرفه مغض من الحياء وهو الارض مقبل والفرس متقبل وهو يمت بما قدمه وأسلفه من الخدمات وذخر ذخرا لا قوان لهذه الاوقات وقد أحاطت العلوم الشريفة بان الوالد السعيد الشهيد الشديد السيد المير للشرك المبيد لم يزل أيام حياته والى سماعه وفاته مستقيما على جد الجاد مستليما في صون فريضة الجهاد الى بدل الجهد وهو صر بل المصار باجتهاده في الجهاد شاهده والانجاد والاغوار في نظر عزمه واحده والبيت المقدس من فتوحاته والملك العقيم من نتائج عزماته وهو الذي ملك ملوك الشرق وغل أعناقها وأسرطوا غيت الكفر وشذخناقها وقع عبدة الصليبان وقطع أصلها وجع كلة الايمان وعصم جنبها ونظم أسبابها وسد الشغور وسد الامور وقبض وعدله مبسوط وأمر محطوط ووزره محطوط وعلمه بالصلاح منوط وما خرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل وبخبرها الرابع الى دار المقامة راحل ولم تكن له وصية الا بالاستمرار على جادتها والاستماتة كثار من مادتها وان مضى الوالد على طاعة امامه فالعالم بك أولاده وأخواده في مقامه قال وتولى ولده الملك العزيز أبو الفتح عثمان مصر وجميع أعمالها وأبقاها على اعتدالها ونقاها من شوائب اختلالها واعتلالها واحيى سنى الجود والباس وثبت القواعد من حسن السياسة على الاساس وأطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاة وضاعف ما كان يطلق برسم العقاه وقدم أمر بيت الله المقدس وعجل له عشرة آلاف دينار مصريه لتصرف في وجوه ضروريه ثم أمده بالجل وأفاض عليه من الفضل وقزروا له من الدين جريدك على ولايته وقوى يده برعايته ووالى حمل الغلات من مصر الى القدس وأبدل وحشته بوفاء السلطان من وفاته بالانس ثم أشفق من غدار الفرنج في نسخ الهدنه فأتى من تجهيز العساكر الى البيت المقدس بكل ما في المكنه ثم سجع بجركة المواصله ومن تابعهم وابعدهم وشايهم وقد خرجوا في ايمانهم حاثين ولقد أيمانهم نا كئين فخيم ببركة الحب واستشار أمراء أهل الرأى واللب وجهاز جيشا فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم وهز منهم اهداف الاستكانة له بعد هزمهم فرأى ان أن الحمد أعود والعود أجد قال وتولى حلب وأعمالها وحصونها

## كتاب (٢٢٦) الروضتين

ومعاقلها وكرائم البلاد وعقائما الملك الظاهر غازي وهو برجأته وسماحته الطود والجلود الموازن الموازي  
وملك مملكة أقطارها راسعه وأمصارها شاسعه فخماها وحواسها وبماء العدل رواقها وقواها وأقر البيرة  
وأعمالها وما يجري معها على أخيه الملك الزاهر مجير الدين داود ودخل في أمره صاحب حماء ابن تقي الدين فأعززه  
وجاء قلت وهو مأوى ذرية والده وبقي الملك منهم في عقبه وانحاز كل من أخوته وأولادهم إليه وعولوا في تمشية  
أمرهم عليه والامر مستقر على ذلك في عقبه إلى الآن والله تعالى ولي الأحسان ثم زال ملك هذا البيت في صفر  
سنة ثمان وخمسين وستمائة بسبب غلبة التتار الكفرة على البلاد والله بصير العباد ومن كلام القاضي الفاضل  
في جواب ورد عليه منه بعد موت السلطان (متى رأى المملوك خط مولانا طالع في كتاب وطبيعة على خطاب تمثل  
ذلك الشخص الكريم وذلك السلطان العظيم وذلك الخلق الكريم وذلك العهد القديم فحي بعد موته وسبح من  
يجي العظام وهي رميم ورفع يده بما الله رافعه ودعا بصالح الله سامعه) قال العباد وكان الملك العادل مع السلطان  
في الصمدية قبل وفاته وكان موافقه ومراقبه في مقتضياته فلما عاد السلطان إلى دمشق في ودعه ومضى إلى  
حصنه بالكرك فذابه النائب ولم يحضر وقت احتضاره إلا الخ الغائب فلما عرف وصل إلى دمشق بعد أيام ولم يزل المقام  
ورحل طال البلاد بالجزيرة حذر أعاليها من أهل الجزيرة وكان السلطان جعل لكل ما هو شرقي الفرات من البلاد  
والولايات فلما وصل إلى الفرات وجد ما خلفه دلائل الفترات فأقام بقلعة جعبر وسير إلى الولايات الولاء ووصى  
برعايا الرعا واستناب في ميفارقين وحاني وسيساط وحزان والرها وشحنها بالشمع وعلم العدا أنه في خوف فخفوا  
وعرضوا وصفوا وكان سيف الدين يكثر صاحب خلاط قد استبشر موت السلطان وتلناب بالملك الناصر وحدث  
أمله بجزر العساكر وراسل صاحب الموصل وسنجار وطير اليهم كتب الاستغفار وضم إليه من ماردن ماردن  
وطاروطاش وارتاش وانتاش فبينا هو في أثناء ذلك قتلته الاسماعيلية بخلاط رابع عشر جمادى الأولى سنة  
تسع وثمانين وأول من بدأ أمره بالخروج على بلاد السلطان متولى ماردن ونزل على حصن انوزر وعاد هذا الحصن  
كان السلطان اقتطعه عن أعمال ماردن حين صالح أهلها وأضافه إلى نائبه بالرها ثم تحرك عز الدين أتابك صاحب  
الموصل وأخوه عماد الدين رنكي صاحب نصيبين وارسلوا إلى العادل تخرج من بلادنا أو تدخل في مرادنا فكتب  
إلى بني أخيه يستنجدهم ويستغفرهم فأجندوه وكان اجناد حلب أقرب رتبهم ذكر نجدة الأفضل مع أخيه الظاهر  
ونجدة العزيز الواسلة إلى دمشق بعد تجاوز الأمر ووصلت للمواصلة إلى رأس عين والعادل بجران وتقارب العسكران  
حتى ان الطلائع تتواجه وتتجابه فرض صاحب الموصل ولم يطق الإقامة فعاد ورجع عماد الدين أخوه وتضرع  
صاحب ماردن وتسلم بالأمر إلا كابر فرضى العادل عنه وبلغه قدوم ابن أخيه الظاهر إلى الفرات فكتب إليه  
بمنازلة سروج وهي من أعمال ماردن وأمسده بابن تقي الدين وابن المتقدم فنزلوا عليهم ثامن رجب وقتلوا تسعة  
ورحل العادل منتصفا رجب إلى الرقة وتسلمها ثم تلك بلاد الحابور جميعه وجاء إلى نصيبين فنزل بظاهرها وشرع  
في ضم ذخائرها فجاءت الرسل الممادية في طلب الصلح فرحل ونزل دارا وأتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده  
إلى ولده نور الدين أرسلان شاه وجرى بينهم وبينه صلح ثم كتبه أهل خلاط فرحل إليها فرأى ان البرديش قد  
وآمد الحصار يمتد فعاد إلى حران والرها وأعرض عن مخالطة خلاط وتأخر إلى الربيع أمرها قال واقيم اليمن مستقر  
للك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخي السلطان وهو هناك سلطان عظيم الشأن مستول على جميع  
البلدان وكان قد وصل ولده مع الحاج تبيل وفاة السلطان بأيام فلما استقر الملك الأفضل على سرير أبيه كتب  
عنه سيف الاسلام

**(فصل ١٠)** في وفاة صاحب الموصل وتمة أخبار هذه لفتنة بلاد الشرق قال عز الدين أبو الحسن علي بن  
الاثير لما وصل خبر وفاة صلاح الدين إلى صاحب الموصل عز الدين استشار في الذي يفعله فأشار عليه أن يجمع الدين  
أبو السعادات بالأسراع في الحركة وقصد بلاد الجزيرة فأنها لا مانع لها منه وقال مجاهد الدين قايما زليس هذا  
برأى فأناترك ورائنا مثل المولى عماد الدين صاحب سجبار ومعز الدين صاحب الجزيرة ومظفر الدين صاحب اربل  
ونسراغا الرأى ان انزالهم وتسليمهم وتأخذ رأيهم ونظروا ما يقولون فقال أخي ان كنتم تفعلون ما يشير ونهروا به ورونه



فأقعدوا فانهم لا يرون الا هذا لانهم لا يؤثرون حركاتكم ولا قوتكم انما الرأى ان يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويراسلهم  
ويسمى لهم ويبدل لهم البين على ما يبدونهم ويعلمهم انه على الحركة فليس فيهم من يمكنه ان يحالف خوفا من قصد  
ولا يتسه لاسيما اذا راوا جند وخلو البلاد الجزرية من مانع وحام فهم لا يسكنون ان يملكها سريعا فيحملهم ذلك على  
موافقته ومتى أراد الانسان ان يفعل فعلا لا يتطرق اليه الاحتمالات بطلت أفعاله انما اذا كانت المصلحة أكثر  
من المضرة أقدم وان كان العكس أحجم فظهرت أمارات الغلظ على مجاهد الدين فسكت أخى لانه هو كان مخدوم  
الجميع على الحقيقة والحال كما فيهم واتبع المرحوم بمعنى صاحب الموصل قول مجاهد الدين وأقام بالموصل عدة شهور  
يراسل المذكورين فلم ينظم بينه وبين أحد منهم حال غير أخيه عماد الدين فانهم اتفقوا على قواعد استقرت بينهم  
فالى ان انفصل الحال وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام الى حران وأقام هناك وجاءته العساكر من  
دمشق وحمص وجند وحاب وامنعت البلاد وسار عز الدين عن الموصل الى نصيبين وقد ابتدأ به اسهال بنزيف  
واجتمع فيها بأخيه عماد الدين وسار الى عساكرهما الى تل موزن من شجنتان لقصد الرها فأرسل العادل حينئذ  
يطلب الصلح وان تكون البلاد الجزرية الرها وحران والرتقة وما معها يده على سبيل الانطباع من عز الدين فلم يجبه  
الى ذلك وقوى المرض به واشتد الى أن مجز عن الحركة فعاد الى الموصل في طائفة بسيرة من العسكر فلما وصل دنيسر  
رأى ضعفا شديدا فاحضر أخى وكتب وصية ثم سار الى الموصل فوصلها مر ايضا بالاسهال وبقي كذلك الى ان توفي  
في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمس مائه قال ولم اسمع عن أحد من الناس يمثل حاله في مرضه  
فانه كان لا يزال ذا كرا لله تعالى حتى انه كان اذا تحدت مع انسان يقطع حديثه مرارا ويقول أشهد ان لا اله  
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وأشهد ان  
محمد اصى الله عليه وسلم عبده ورسوله وأشهد ان الموت حق وعذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والصراط  
حق والميزان حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ويقول لمن عنده مخاطبة اشهدنى  
بهذا عند الله تعالى ثم يعود الى حديثه وأحضر عنده مرقر القرآن فلم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله ودفن  
بالمدرسة التي أنشأها بباطن الموصل مقابل دار المملكة وهي للفريقين الشافعية والحنفية وكانت مملكتهم نحو ثلاث  
عشرة سنة وستة أشهر وكان أسمر ملج الوجه حسن اللحية خفيف العارضين وحكى الى والدى قال هو أشبه الناس  
بجده الشهدى قدس الله روحه قال وكان رحمه الله دينا خيرا فدا بنتى في داره مسجد يخرج اليه في الليل  
ويصلى فيه أو اراد كانت له ويلبس فرجية كان قد أخذها من الشيخ عمار النسائي الصوفي ويصلى فيها  
وكان قد حج ولبس بكتة حرمها الله خرقه التصوف من الشيخ عمار النسائي المذكور وكان من الصالحين  
وأوصى بالملك لابنه نور الدين ارسلان شاه وأراد أخوه شرف الدين بن مودود بن زنكي ان يولي به فلم يفعل وبقي نور  
الدين الى سنة سبع وثمانين فتوفي في شهر رجب من موافق بالمدرسة التي أنشأها بباطن الموصل هذا دار السلطنة  
وكان عهد بالملك لابنه القاهر عز الدين مسعود وجعل الامير بدار الدين لؤلؤا القائم بأمر دولته وولاه اماراة الجيوش  
والعساكر وسياسة القبائل والعشائر ثم توفي الملك القاهر في ربيع الأول من سنة خمس عشر وثمانين بفاة وخلف  
ثلاثة بنين صغارا قال وأما عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صهر نور الدين رحمه الله وهو صاحب سنجار فانه  
توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وكانت ولايته ثلاثين سنة وكان عدله قد عم البلاد وغار العباد وأريقت الجور  
وحدثار بها وكانت صدقاته تصل الى أفاصى البلاد وتولى بعده ولده الا كبر قطب الدين محمد بن زنكي وكان متولى  
أمره مجاهد الدين برتقش العمادى قال وحاصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب ماردين في سنة خمس وتسعين فبقي  
محاصرها احدى عشر شهرا ولم يبق الا الاسلام عليها فبينما العادل يحاصرها دتوفي ابن أخيه الملك العزيز صاحب  
مصر وكان مع عهده العادل على ماردين فلما توفي ملك أخوه الافضل مصر وكان بينه وبين عهده العادل نزرة فلما  
ملك مصر أرسل الى العسكر المصرى الذى مع عهده يأمرهم بفارقه ففارقوه وعادوا الى مصر فقتل جمعهم وعسكره  
ثم خرج الافضل عن مصر عازما على حصر دمشق واستعدادها من عهده فسار العادل عن ماردين جريدا الى دمشق  
ليحفظها بعد ما كان قد طلع سنجقه الى قلعة ماردين وترك ولده الملك الكامل محمدا يحاصرها الى ان اجتمع



## كتاب (٢٢٨) الروضين

صاحب سنجار وصاحب الموصل على ترحيله عنها فرحل قال وفي سنة ست وسبعمائة سار الملك العادل ابن أيوب من الشام الى سنجار في العساكر الشامية والمصرية والجزرية والديار بكرية فحضرها ونزل عليها من كل جانب ونصب أحد عشر منجنيقا ثلاثة أشهر وانتخب صاحب الموصل وصاحب أربل لصاحب سنجار وأنفذ الخليفة رساله فاصح الامر وانتظم الصلح والله الحمد

**(فصل)** وأما رسالة العماد الكاتب المعروفة بالعقبى التي أشار اليها في آخر كتاب البرق فيما جرى بعد وفاة السلطان الى سنة اثنتين وتسعين فقد وقعت عليها وحاصل ما فيها ان قال لما توفي السلطان رحمه الله وملكت أولاده كان العزيز بمصر يقرب أصحاب أبيه ويكرهمهم والافضل يمد مشق يفعل ضد ذلك يقرب الاجانب ويبعد الاقارب وأشار عليه بذلك جماعة داروا وحوله كالوزير الجزري الذي اسست وزره قلت هو الضياء ابن الاثير اخو عز الدين المؤرخ ومحمد الدين وفيه يقول الشهاب قتيان الشاغوري  
متى أرى وزيركم وماله من وزير \* يلقه الله فذا أو ان قلع الجزر

قال العماد فلما طلب من الامراء ان يحلفوا لأخيرواله ايمانا وهم قد أضمروا الحنث فيها ولم يخف ذلك عليه ولما رأى الفاضل أمورا لا يفضل محتلة تركه وسار الى مصر وشرع الوزير الجزري في تغريق العصبية الناصرية وما منهم الامن فارق الى الديار المصرية وكان قد أسس على الافضل باخلاء البيت المقدس لزواج العزيز بايمانه حذرا من تكليفه وأثقله فأجاب الى ذلك وقد كانت نابلس واعمالها قد وقف السلطان ثلثها على مصالح القدس وباقيها على ابن الامير علي بن أحمد الملك طوب فشاركه أحد الامراء الاكراد فيه فخذوا أيديهم الى الوقف وساءت سيرتهم ونحو فوامن انكار الملك العزيز عليهم فلجأوا الى الافضل فأفضل عليهم وسكن اليهم فتأثر الملك العزيز بذلك وأقوى الاسباب فيما حدث من الفسار نفار الامراء الناصرية البكار ومفارقة دمشق الى مصر على سبيل الاضطراب والاضطرار فاعزهم العزيز ورفعهم فاتفقوا على ان تكون كلمة الاسلام مجمعة على الملك العزيز للاحياء سنة والد في الجود والبأس والكرم ومن جملة الاسباب الباعثة تسلم الفرنج فخرج جليل من بعض مستحفظيه وضعف الافضل عن استخلاصه فقبل للعزيز ان توائمت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بعساكره وبلغ الافضل فضاقت صدره واجتمع عن في خدمته من الامراء برأس الماء وأراد ان يستعطف فاما ز العجمي وكان في اقطاعه بالسواد وكان بينه وبين الافضل شقاق وعناد فارسل اليه فلم يقبل ورحل الى عسكر العزيز ورأى الافضل ان يكتب الى أخيه بكل ما يجب من إعلاء كلمته والاجتماع عليه ويكون الافضل من بعض القائلين بين يديه طلبا لتسكين الفتنة ورغبة في ذهاب الاحن فأسير عليه بغير الصواب وقيل أنت الكبير واليك التدبير فخذ واجتهد ولا بعلم أصحابك بهذا الخور الذي داخلك والجن الذي نازلك ونحن بين يديك وكلنا عاقدون بالحناسر عليك ووصل رسول الملك الظاهر والكتب من الملوكة الاكابر بالانجاء المتظاهرين للافضل وسيرا الافضل الى عمه العادل وهو بخران والرها كتب اورسلا فلما أبطأ عليه مسير عز الدين عثمان الزنجي على فنجيب ليسرع ويأتى به عن قريب وكتبه واصلة بعزمه على نصره ونجدة وذلك في أوائل جمادى الآخرة من شهر سنة تسعين ولم يشعر الافضل الا والعزيز بعساكره قد وصل الى القوار ففحل الرحيل وقد خالطت عساكر العزيز سافه جيش الافضل فاسرع ودخل دمشق يوم الجمعة خامس جمادى ونزل العزيز يوم السبت بالكسوة ونزل على دمشق يوم الاحد فلم يزل الافضل يمانع ويدافع حتى وصل عمه العادل فكتب الى العزيز يسأله الاجتماع فتواءموا اجتماعا كبين بصحراء المزة فعذله في أخيه واستنزاه عما كان فيه فقال على رضاك واتباع هواك وقال نفس عن البلد الخناق وكان قد بلى البلد منهم بما لا يطاق من قطع الانهار وقطف الثمار فتأخر العزيز الى صوب دياربلاو الاوج وكان قد اجتمع عند الافضل من الملوكة عمه العادل والمجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حصص والامجد محمد الدين بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك والمنصور ناصر الدين محمد بن نقي الدين عرب بن شاهنشاه بن أيوب صاحب جهه ثم وصل الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان فاتفقوا على عقد يثؤك وعهد يهد ورحل العزيز الى مرج الصفر ليكون المقام به أرفق فرض حتى ايسر منه ثم أفاق وأرسل من جانبه

## في أخبار (٢٢٩) الدولتين

لاميرنخر الدين ايازجركس واعتمده عليه في هذه النبوة فوصل الى العادل في تعديل الامور فتقرر بينهم الصلح  
وتزوج العزيز ابنة عمه العادل وخرج الملوكة لتوديع الملك العزيز في أول شعبان واحد ابعدا واحد فخرج الظاهر  
أولا والتقيانوز لا بهرج الصفرو بات عنده ليلة ثم رجع وخرج العادل ثم الافضل فلما اجتمع باخيه فارقه ومائوى  
ورجع كل الى بلده ولما استقر الافضل بدمشق قضى حقوق الجماعة وشكرهم ورحل الظاهر صوب حلب رابع  
عشر شعبان وأقام العادل الى تاسع شهر رمضان ورحل الى بلده الرها وحران ثم ان الافضل نظم أياها تايكتيها  
الى أخيه العزيز في استعطافه واستمالته وقال كنت فارقت اخي مذتسع سنين وما التقينا الا في هذه السنة فقلت

فطرتك نظرة من بعد تسع \* تقضت بالتفرق من سنين  
وغض الدهر عنها طرف غدر \* مسافة قرب عين من جبين  
وعاد الى سحبتة فاجرى \* بفرقتنا العيون من العيون  
فوج الدهر لم يسمح بوصول \* يعود به المجمع الى الجفون  
فرافا ثم يعتبه بهين \* يعيد الى الجشا عدم السكون  
ولا يدي جديوش القرب حتى \* يرتب جيش بعد في الكهين  
ولا يدي محلى منك الا \* ادا دارت رجي الحرب الزبون  
فليت الدهر يسمح لي باخرى \* ولو أمضى بها حكم المنون

قال ثم كثر الشر من حول الافضل في حق الامراء البكار ذوى القدر فانفوا من ذلك وأزعوا على الانفصال  
لسوء تلك الحال فمن سار الى مصر عز الدين سامه وحرص العزيز على القيام لنصرة الدولة الناصرية وعرفه ان أخاه  
الافضل مسلوب الاختيار مع من حوله من الاسرار ومن سار الى مصر القاضي محيي الدين محمد بن أبي عصرون  
وتولى بعد أشهر قضاء القضاة بمصر واعمالها وذلك سنة احدى وتسعين فاستمرت ولايته الى ان عاد العزيز من الشام  
وتبعه العادل فصره وأعاد القضاء الى زين الدين علي بن شرف الدين يوسف الدمشقي وكان نائبا لصدر الدين  
عبد الملك بن عيسى بن درباس ثم استقل تم عزل بابن أبي عصرون ثم أعيدانيه وكان الافضل قد اشتغل بعد  
انصراف أخيه بالذات وتشاغل عن أمور الناس بادمان الشرب مع من حوله من الاصحاب ثم أقطع عن ذلك  
وتاب وجسد في الذكر والزهدة وأتاب وشرع في كتب مصحف بخطه وحسنت طريقتة وظهرت حقيقته وذلك  
في أوائل سنة احدى وتسعين وفي هذه السنة في ربيع الآخر وصل الخبر بان العزيز قادم يحصر دمشق مرة ثانية  
فاشتدغم الافضل فاشير عليه بان يرحل الى عمه العادل ويأتي به لدفع هذا القضاء النازل فرحل رابع عشر  
جداى الاولى والتقى بجمه بصفين وطلب منه الرجوع معه الى دمشق ففعل ووصل العادل اليها تاسع جداى الآخرة  
وتخلف عنه الافضل وقصد حلب للاستظهار باخيه الظاهر فوثق معه الايمان على ما كان عليه من الصفا وكذلك  
فعل بابن تقي الدين بجماه ووصل الى دمشق واجتمع مع عمه العادل وكان العادل أبدا يشير بصرف الوزيرا الجزرى  
وكان قد اسستولى على الافضل فلم يقبل فكان العادل أبدا معتمدا لذلك فبالع الافضل في اكرام عمه وازالة غمه حتى  
ترك له سنجقه وصار يركب في خدمة عمه وضاق أخوه الظاهر من هذه الحال وكان الظاهر قد نفر عليه جماعة من  
الملوك والامراء ممن هم في طاعته من جملتهم صاحب جماه وعز الدين ابن المقدم صاحب بارين فراسلا العادل  
في الاعتصام به وكان من جماعتهم بدر الدين دلدريم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب تل باس فاعتقله الظاهر وبني عمه  
وطلب منه تسليم حصنه فشفع العادل فيهم وكفل انه يكتفونهم ويكتفونهم واستجيبهم الى دمشق فدللب منه الظاهر  
الوفاء بضمه سانه فتمدح عليه ردهم وتيسر له وذهب فغضب الظاهر لذلك وراسل العزيز يحثه على الاسراع في القدوم  
فاقبل العزيز وخيم بالقوار وشرع العادل في تدبير أمور الافضل فمكاتب الامراء الاسدية من أصحاب العزيز يحثهم  
على تركه والانقطاع الى حزب الافضل وسلوكه وكانت الاسدية أبدا في عناء من تقدم الناصرية عليها وراسل  
العادل أيضا العزيز بخوفه من قبيل الاسدية ويعرفه ما اندوت عليه قلوبهم من الغل فمكاتبوا اذا القهيم عرفوا  
في وجهه التعبير عليهم فرغبوا عنه وحسنوا لكرادهم فافتقروا في الانصراف عنه ففعلوا وكان أمير أمراء الكراد

## كتاب (٢٣٠) الروضتين

أبو الهيثم السمين فدارت الأكراد حوله وقالوا لأننا من عليك من الناصرية فابرموا أمرهم ومجلاو رحيلهم فرحل أبو الهيثم والمهراية والاسدية عشية الاثنين رابع شوال وكانوا أكثر العسكر وأعلم العزير بهم فهابا إلى بانصرافهم وقال صفوان من أكرادهم ولما يأمروا أصحابه باتباعهم وردتهم وبقي في خواصه مقيما تلك الليلة ثم رحل عائدا إلى مصر بخاف رسول أبي الهيثم السمين إلى العادل يعلمه برحيل العزير خائفا يأمروا بالقدوم إلى حقه وبأخذوه ويتسلموا ملك الديار المصرية فتحالف العادل والافضل على ملك مصر أن يكون للعادل الثلث وللأفضل الثلثان وخرج يوم الأربعاء في الجيوش واستناب الأفضل بدمشق أخاه الأصغر قطب الدين موسى وأما العزير فإنه سار وأخذ طريق البحر والرملة وفرق من الاسدية الذين بالقاهرة أن يفعلوا فعل أخوانهم فيمنعوه من دخول البلد وكان مقدمهم الأمير بهاء الدين قراقوش وهو أكبر الأمراء الاسدية قد استناب العزير بالديار المصرية فهو مقيم على الصفاء والمودة والائلاء فلما وصل العزير تلقوه والى ذروة سلطنته رقه وأما العادل والافضل فاجتمعوا بالمتخلفين عن العزير وحرصت الاسدية أن يسبقوا العزير فلم يقدرُوا واجتهدوا أن يدركوه ويتقدموا فأتوا فامرهم العادل بالثبات وتسلم القدس واعماله وما يجاوره من أعمال الساحل أبو الهيثم السمين باسم الأفضل والعادل فرتب فيهم التوابه وأسكنها أصحابه وصحبهم إلى الديار المصرية بخالفة الاسدية ومخالفة الناصرية فنزل بهم العادل على بلبيس وكان أو أن أخذ زيادة النيل في الانتهاء والسعر غال وظهرت ندامة الاسدية وضعفت معوتهم وضعفت مؤنتهم تخاف من مكرمهم والعدول إلى مستقرهم فإرسل إلى القاضي القاضي يستوفيه للاستزارة ويسترشده بالاستشارة فالزمه العزير بأجابة سؤاله فخرج إليه واستبشر الناس بخروجه رجاء الصلح وركب العادل وتلقاه على فراخ واجتمعوا لأصلح الأمور على ما يحب الفريقان وعفا العزير عن الاسدية وأقام العادل عند العزير وأما الأفضل فإن العزير خرج إليه وودعه فانصرف ومعه أبو الهيثم السمين وتولى القدس ووصل الأفضل إلى دمشق غرة المحرم سنة اثنتين وتسعين ثمان الأفضل لازم صياده وتياممه وقليل شرابه وطعامه وحسن شعاره واستوى ليله ونهاره ووزيره الجزري قدبلى الناس منه بلالياه و هو في غفلة عن تلك القضايا وكان يدخل إليه ويوجهه من قبل أتوام أنهم عليه وأنهم يميلون إلى أخيه فيصدق الأفضل فيما يدعيه فصار يبالغ العادل عنه أحوال ما تحببه بل تغضبه وصار يتصل به كل من هاجر من الشام إلى مصر وما منهم إلا من يشك من الوزير الجزري وكان فاما ز النجمي قد لصبق بالعادل وكذلك عز الدين سامية وصاهر العادل وظاهره وكان العادل بمصر مستوطنا للآخر فوعده الجماعة بآثار القيد الوزير الجزري وردّه إلى بلاده وقتر مع العزير بتسريح عسكره معه إلى الشام ليجده قاعدا الملك في سائر بلاد الاسلام فأخرج العساكر إلى بركة الحب وخرج العزير لتشيده وذلك مستهل ربيع الأول ووصل الملك الزاهر بمحير الدين داود من حلب إلى أخيه العزير من جانب الصاهر لتسكين هذا الرهج النائر ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي بهاء الدين ابن شداد ثمان العادل أشار على العزير بأن يوافقه على المسير ويرافقه فيه فرآه عين التدبير فسار بالعساكر نحو الشام ولما انصرفت رسل الظاهر من مصر بما طلبوا مروا بدمشق فاعلموا الملك الأفضل بما أبرم من الأمر فضاق صدره وطال فكره واستشار أصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بأن يستقبل أخاه وعمه ويسلم لهما حكمه وأشار الجزري وأصحابه بالصميم على الخالفة وترك الحمايلة والملاطفه ثم دخل عليه أخوه الملك الظاهر خضر فشنجعه وصبره وتولى أسباب التحصير وحلوا الأمراء والمقدمين وقطعوا ما فوق المصلى عند مسجد فلوس بفضيل ورتبوا رجالا حولي البلديتنا وبون لحفظه في البكرة ولا يصل وتفرق الأمراء على الأسوار والأبراج وجاءت الرسل الظاهرية بالظهار المظاهرة ونذب الأفضل ملك الدين أخا العادل إليه منه رسولا فوصل إلى العسكر العزيرى بالداروم وغزه ولقي عند العزير من قوله العزير فبقي ملك الدين هناك أياما في اصلاح ذات البين ولا شك أنهم اشتروا على الأفضل شروطا وردوه بها وأقاموا ينتظرون الجواب فنقد من ذكر أن الأفضل أبى ذلك فلما رأى الأكابر وشيوخ الدولة أن الأفضل لا يسمع من رأيهم وأنه عازم على المحاربة ولا يعدل عن رأى وزيره مع ما قد عرفه من شؤم تدبيره شرعوا في اصلاح أمورهم في الباطن فرأوا العزير والعادل واستظهروا كل لنفسه وأقام العسكر منذ عاشر رجب على البلد مستظهِرا بالعند والعدد لا يحدث حدثا ولا يعيث بالبلد الاغبنا فكتب إلى الولياء من البلد إلى العزير والى العادل

بانتهاز الفرصة فركبوا وتأهبوا يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فخاص بهم عن قصد البلد أحد  
وما كان في طريقهم إلا الملك الظافر ومعه عسكر حارب فقاتل على ظن قتال الجماعة وما عنده علم بما يدبره من  
الخامسة فغادروا ولم يكتروا ووصل العزيز إلى الميدان الأخضر ووصل العادل إلى باب توما وكان الأمير الامين به  
قد استنفضه اليه بكتبة ففتح له فدخل العادل وأصحابه من باب توما والباب الشرقي وبات العادل في الدار  
الاسدية ودخل العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية وخرج اليه الافضل ولقيه وتجرع من هم  
زوال ملكه ماسقيه فلما ملك العزيز دمشق أقام أياما بالميدان الأخضر الكبير إلى ان انتقل الافضل من  
القلعة بأهله وأصحابه وأخرج وزيره الجزري مخفيا في صندوقه اشفاقا عليه من قتله وتحريره  
وتحول الافضل تلك الايام إلى مسجد خاتون وما يجاوره ومعه وزيره فهرب ليلًا إلى بلادهم وقد أذخر فيها أموال  
دمشق وأعمالها ثلاث سنين قال وكان العزيز قد رجع العادل ان يقيم العزيز بدمشق ويستتب العادل بصر  
فلما ملك دمشق ندم على ما تآمره ورجع عما دبره ونفذ إلى أخيه الافضل في السر يعتذر اليه ويشير بما كان  
اشتراط عليه فأظهر الافضل هذا السر لصحبه والمخصوصين لقربه فقالوا لا تخدع بهذا القول فرما كانت خديعة  
وأطلع عمك العادل على هذا السر فانه يرى ذلك عين البر فأرسل إلى العادل من أعلمه بذلك فعزت عليه مراسلة العزيز  
الافضل واجتمع بالعزيز زوجته وقرعها بالنائبه وأنبه وقال له ابني وتهدم وأوجد مصالحك وتعدم فأنكر الحال  
واحالها وانتقض الامر قبل ابرامه ووجه إلى الافضل من أزججه وإلى صرخد أخرجه وسد طريق الاستنصار على  
أخيه الظافر حتى أسلم في تسليم بصرى للظفر بسلامته وبذها ولم يتبعها باندامته ورحل إلى حلب وأظهر الظاهر  
الاحتمال به وأما الافضل فانه سار إلى قلعة صرخد وسكنها وحول أهله وأخاه تطب الدين إليها وتوطنها وعند  
خروج الافضل من قلعة دمشق دخل العزيز إليها يوم الأربعاء عاشر شعبان وجلس يوم الجمعة في دار العدل  
واعتمد الناس له بطول مقامه عندهم فلم يشعر بأهله الا وتبرز للرحيل وتقدم إلى العادل بأن يتولى البلاد وفارق  
دمشق عشية الاثنين تاسع الشهر ونزل بالمخيم فوق مسجد القدم ثم تحول إلى الكسرة ودعاه يوم السبت رابع  
عشر الشهر فلما عاد العادل من وداع العزيز قرئ بالجماع من مشوره العزيز بالبلاد والاعمال والظفر في جميع  
الاحوال وأشاع انه نائب العزيز وهو سطلانه وأبقى الخطبة باسم العزيز خالية من اسمه حاله بصرى وضرب الدينار  
والدرهم على سكته وأظهر انه أقوى بشوكته وسكته وجلس يوم الاثنين والخميس للعدل وبسط يده لجمع الاموال  
وخزنها لوقت عوم الحاجة إلى صرفها

**(فصل)** هذا آخر ما انطوت عليه رسالة العتبي من أخبار ما جرى بعده موت السلطان رحمه الله والعماد أيضا  
كتاب آخر سماه بخلة الرحلة ذكر فيه أيضا تخوام ذلك وهو ان الاحوال اختلفت وتغيرت بعد موت السلطان  
وأراد العماد الرحلة إلى مصر فاصحبه الافضل رسالة إلى أخيه العزيز فضى اليه وعنده عمه العادل فلم يكن من  
الرجوع الامعهم مما خرجا بالعساكر فذكر الحديث في أخذ البلاد قال وخرج الملك الافضل واجتمع بالعزيز  
في الميدان ودخلا من باب الفرج متصاحبين إلى الضريح الناصري وصعد العزيز القلعة يوم الأربعاء وصل إلى هذه  
الجمعة عند ضريح والده في هيئة المودع وأظهر بالبكاء والحبيب عنده سر القلب المودع ودخل دار الامير سامية  
في جوار تلك القبعة وأمر القاضي محيي الدين ابن الزكي بأن ينيبها مدرسة للترية قلت هي المدرسة المعروفة  
بالعزيزية ووقفها قربة عظيمة تعرف بحججه فهذا قدر ما في كتاب النحلة مما يتعلق بما نحن فيه ولم يكن ذكر مثل هذا  
من شرط كتابنا هذا لانه موضوع للدولتين الميرتين الا انه لا بد من ذكر ما يتعلق بهما ما وقع فيهما وعقبيهما  
وتبعنا العماد فيما ذكر في العتبي لكونه أشار إليها في كتاب البرق واستوفينا ما في كتاب البرق والفتح التديسي  
والتاريخ الانابكي وكتاب الفاضل أبي المحاسن وأتينا على ما فيها من المحاسن وانضاف إلى ذلك قطعة كبيرة  
من مواضع متفرقة كثيرة من عدة مصنفات ودواوين ومراسلات والله تعالى يوفق ملوكنا لاقتداء بسيرة سلفنا  
في اقامة فرض الجهاد وتخليص البلاد من أيدي الكفرة والنظر في مصالح العباد ومن كتاب فاضلي (أما هذا  
البيت فان الآباء منه اتفقوا فإلحوا وان الأبناء منهم اختلفوا فإلحوا وإذا غرب نجم فالحيب له في نشره وإذا

## كتاب (٢٣٢) الروضتين

بدلت خريق ثوب فإباليه الاتزيقه وهيبات ان يسد على قدر طريقه وقد قدر طريقه واذا كان الله مع خصم على خصم فمن كان الله معه فمن يطيقه

(فصل) بعد انتهائه هذا الكتاب وامتاعه مرة وقفت على ما حسن لي الحاقه بهذا الكتاب من ذلك ان القاضي الفاضل كتب في (سنة ثلاث وتسعين) الى القاضي محيي الدين ابن الزكي كتابا قال فيه (وما جرى في هذه المدة من المثلثات الجارية والمعضلات العادية بأمر من الله طريقا ونحن نيام وظن الناس ان اليوم الموعد قد طرق في الليل الممدود فاذا هم قيام ان الله تعالى أتى بساعة كالساعة كادت تكون للناس كساعه في الثلث الاول من ايلة الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة وذلك انه أتى عارض فيه ظلمات متكاثفه وبروق خاطفه ورياح عاصفه قوى لهوبها واشتد هبوبها وارتفعت لها صعقات وتدافعت لها اعنة مطلقات فرجعت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت وثار من السماء والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه قد انطبقت وتوالى البروق من جهة المقطم على نظام وتبع الواحدة الاخرى وتقفى الثانية على أثر الاولى وترى البروق واقفة وهي تتعاقب وقائمة وعى تجاذب ولا تحسب الا ان جهنم قد سال منها واد وعاد منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطقت سرج النجوم ومزقت ادم السماء ومحت ما كان فوقه من الرقوم ولا تزال هذه الريح تسكن سكونا خفيفا ثم تعاود عودا عنيقا فكما قال الله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق وكما قلنا ويردون ايديهم على أعينهم من البوارق لا عاصم من الخطف الا لبصار ولا ملجأ من الخطب الا معاذ الاستغفار وقر الناس رجالا ونساء واطفالا ونهضا ومن دورهم خفا فاثقالا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اذ يستغيثون ربهم ويدكرون ذنوبهم لا يستغثرون العذاب لانهم على موجباته مصرون وفي وقت وقوع واقعاته باستحقاقه مقرون معصمين بالمساجد الجامعه ومتلقين الآية النازلة من السماء بالاعناق الخاضعة بوجوه عانية ونفوس عن الاموال والاهل ساليه ينظرون من طرف خفي ويتوعدون أى خطب جلى قد انقطعت من الحياة علقهم وعيت عن النجاة طرقهم ووقعت الذكوة فها هم عليه فادهون وندموا ويحمد الله ان نفعهم بأنهم نادمون وقاموا الى صلواتهم وودوا ان لو كانوا من الذين عليها دائمون ولم يزل ذلك دأبهم كلما سكنت الرياح تحركت وكما قيل استقلت بركت وكما أخذت قيل ما تركت حتى الثلث الاخير من الليلة المذكورة والقلوب الى الخسائر بالغة والابصار عن سنن ازانغته الى ان اذن الله في الركود واسعف الهاجدين بالامر لها بالهجوم وأصبح كل يسلم على رفيقه وبهنيه بسلاطة طريقه ويرى انه قد بعث بعد النخبة وأفاق بعد الصيحة والصرخه وان الله قدر له الكثرة وأدبه بعد ان كاد يأخذ على الغره وورد من الخبر ان المراكب كسرهما ما كان معترضا في التخرز للعارض والاصول العادية من السحور عدت عايمها الريح بجهاها النافض وان في الطرق من المسافرين من كان نائما فقد فنته الرياح حيا وركب ثما أغنى الفرار مما هو امامه شيئا ولا يحسب المجلس انى أرسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر أعظم ولم يكن الله سلم والخطب اشق وما بلغت ولا قضيت بهذا التكثير بعض الحق ونرجوان الله سبحانه قد أيقظنا بما وعظنا ونهينا بما وهنا فامان عبادته من رأى القيامة عيانا ولم يلتمس عليها من بعده برهانا الأهل بلادنا قاصص الاقولون مثلها في المثلثات ولا سمعت لها سابقة في المعضلات والمجد لله الذي من فضله ان جاءنا خبر عنها ولا تخبر عنها ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور اذا عنا وشغلت خدمته بهذا المهم وحملته على علم من هذا العلم فالسعيد من وعظ بغيره وقد كنت لنا فينا المواعظ والذكرى حدود ونعوذ بالله من اقامة حدوده المغلظة ومن كتاب له آخر العادل في سنة ثلاث وتسعين أيضا) وقد تجدد من وصول العدو واللعين وحركته الى جانب بيروت وخطر البلاد ما أعمل كل مرضعه وأوقع في ضائقة تنفق الافكار فيها من سعه والاسلام اليرم قدم ان زلزل وهمة ان ملت فان النصر منه مل وتلك اقدم القدم العادليه وتلك المهمة المهمة المسابقة السيفيه قاله الله ثبتوا ذلك الفؤاد ودمشوا ذلك المهاد واسهر وافي الله فليست بليلة رقاد ولا ينظر في حديث زيد ولا عمرو ولا ان فلانا نفع ولا ضر ولا ان من الجماعة من جاء ولا ان فيهم من مر انظروا الى انكم الالام كله قد برز الى الشرك كله وانكم ظل الله فان صحتم تلك النسبة فان الله لا نافع لظله واصبر وان الله مع الصابرين ولا تموتوا وان ذهب الناصر فان الله خير الناصرين

## في أخبار (٢٣٣) الدولتين

فهاهي الاغرة وتنجلي وهيعة وتنقضي وليلة وتصبح وتجارة وترج) ومن كتاب له آخر الى الملك العادل (أدام الله ذلك الاسم ناجا على مفارق المنابر والطروس وحياة للدنيا وما فيها من الاجساد والنفوس وعرف المملوك ما عرفه من الامر الذي اقتضته المشاهدة وحسنت به العاقبة في بيروت ولا من يدعى تشبيهه الحال بقوله

ألم تر ان المصرة تدوى بيمينه \* خيفة طعنها عند السلم سائرته

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا قد سبق اليه ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب الى الجسد بفعله نفعها ودفع عنه ضرا

{ وتجشم السكر وليس بضائر \* ما خلته سبيبا الى المجدود }

وأخر كل شقوه أول كل غزوه فلا يسأم مولانا في الرباط وفعلها وتجشم الكلف وحملها فهو اذا صرف وجهه الى وجه واحد وهو وجه الله صرف الله اليه الوجوه كلها والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) ومن كتاب له آخر (هذه الاوقات التي أنتم فيها عرائس الاعمار وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهوور الحور في دار الرار وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه فتلك نعم الله عليه وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه وسواد الجحاج في هذه المواقف بياض ماسودته الذنوب من الصحائف فما أسعدت تلك الوقعات وما أعود بالطمأنينة تلك الرجفات)

(فصل) وللعاماد الكاتب رحمه الله كتاب آخر سماه خطفة البارق وعظفة الشارق ذكر فيه أشياء من حوادث سنة ثلاث وتسعين الى أن توفي هو رحمه الله في سنة سبع وتسعين وخمسائة واشتغل ذلك على فوائد تتعلق بما تقدم فأحببت إلحاقها به من ذلك وفاة سيف الاسلام طغتكين بن أيوب باليمن في شوال سنة ثلاث وتسعين وتولى ابنه شمس المملوك اسمعيل هذا الملك العادل بدمشق وقد انتقل الملك الظافر الى حلب بعد أخذ عمه منه بصرى وعزم على قصد بغداد فصرفه أخوه الظاهر عن ذلك وذهب الامير أبو الهيجا السميمي الى بغداد بأصحابه فأكرم ثم سير في جيش الى همدان ثم بعد رجوعه مات بدقوقا وانقضت مدة هدنة الفرنج التي عقدوها مع الملك الناصر رحمه الله فخرجوا والتقوا مع الملك العادل برأس الماء بمرج عكاف كسرهم وفتح يافا عنوة وكانوا كاتبا وملك الامان وكان قد ملك صقلية فانهوا اليه تلك البلية وقالوا ان عظام أبيه الى الآن في صور في تابوت مكل بالديباج وكان في الاسر منتظرا الافراج فانه لا يقبر الا بالبيت المقدس اذا استخلص والآن ما كان غلامه اس- ترخص فان المسلمين قد اشتغل بعضهم ببعض ولها وع كل سنة وفرض فتدافعت الى عكاسفهم وتدفق منزمهم وامتلائت بهم في الساحل مدتهم وقصدوا بيروت وبها الامير عز الدين سامة فلما سمع بوصولهم الى صيدا خرج بجماعته منها وسار بأهله ومال عن وعرا الامر الى سهل ودخلها الفرنج بعد يوم من غير مطاولة سوم ولا مطاولة روم وكثر فيه الحديث وذكر الطبيب والخبيث فن قائل تحين وتجنب ومن قبل أن ينكب تنكب ومن قائل رجاله ها باو افغانوا ولوانه دعاهم ما أجابوا واتسع القول ووقع الهول حتى نظم بعضهم والفرنج على تبنين

سلم الحصن ما عليك ملامه \* ما يلام الذي يروم السلامة

فقطاء الحصون من غير حرب \* سنة سنهائير وتسامه

وتصرف الفرنج في بيروت واعمالها الساحلية وبقي لسامة جميع الولاية الجبلية ثم توجه الى مصر (ودخلت سنة أربع وتسعين) قتل الفرنج سادس عشر انخرم على تبنين وأرسل العادل القاضي محي الدين محمد بن علي القرشي الى الملك انور بن مصر فخرج بجيشه ووصل في الثالث والعشرين من ربيع الاول فجعلت الفرنج بعد ان كانوا ضايقوا الحصن ورحلوا وجاءهم الخبر بهلاك ملك الامان ثم انتقل عسكر المسلمين الى جانب الطور ومع العزيز اخوته الظافر والمعز والمؤيد وكان الافضل قد جاء الى عمه قبلهم وكان معهم على تبنين الجهاد صاحب حصن والامجد صاحب بعلبك وعز الدين ابن المقدم وبدر الدين دلدرد وغيرهم من الاعيان ثم اجعوا الى بلادهم بعد عقد الهدنة ورجع العزيز الى مصر بعد ان خلع على ابن عمه الملك المعظم عيسى بن العادل وخصه بالسحق والالواء المنشور لطي اللاواء وعاد المعظم الى دمشق وقد قرت به العيون وحسنت فيه الظنون فكان أعز أولاد

## كتاب (٢٣٤) الروضتين

العاذل عنده وأعلقهم بقلبه وأخصهم بحبه قد ولاه سلطنة دمشق وأطاب فيها بشركمه النشق واقام العادل حتى استقرت الهدنه وظهرت في عمارة تبين المكنه ثم عاد الى دمشق وأقام قليلا ثم شرق ووقع بها من الامر ما تحرق ورتق ما تنقق ورد بلاد اولاد عماد الدين زنكي اليهم لانه توفي في هذه السنة واستولى عليها ابن عتقهم صاحب الموصل فأنجدهم عليه السلطان الملك العادل وتوفي جماعة من أمره الموصل منهم الامير عز الدين جريدك وكان فارس الاسلام ومقدامه وشجاعه وهما به ومارح من أيام نور الدين الى آخر أيام صلاح الدين رحمه الله ليث العرين أشم العرين وهو الذي أعان صلاح الدين على القبض على شاور وولاه صلاح الدين القدس في آخر عهده فقام بمصالحه من بعده ثم تسلمه منه الملك الأفضل وسلمه الى أبي الهيجا السمين فلما خرج الأفضل من دمشق وصل الى الموصل وانتقل من حوض الكوثر الى أعذب منهل قال ونزل السلطان العادل على قلعة ماردين في شهر رمضان وملك ربهضها وولاهم اوصاف عليها وشتا وصبر وصابر ولم يقل كيف ومتى وما شئت أحدان ماردين في ملكه مضافا الى ملكه وقد هناه بها الشعراء منهم ابراهيم بن مردان من أهل رأس عين له من قصيدة

فان تك مصر أم ملك فاردي \* اذا ذكر البلدان اعلى الممالك

تقاعس عنها سنجر وابن عه \* وقصر عنها عزم زنكي الاتابكي

فان تك قد شورك في فتح غيرها \* فمالك في أمثالها من مشارك

ودخلت سنة خمس وتسعين والملك العادل نازل على ماردين وقد وصل اليه أصحاب الاطراف مساعدين وقد أصح بين صاحب الموصل وبني عمه عماد الدين وردهم الى سنجر والخابور ونصيبين وقد أذعن له الجماعة بالطاعة ونائبه في تلك البلاد دود ياربك ولده الملك الكامل محمد قال وفيه ليلة الاحد العشرين من المحرم توفي الملك العزيز بداره بالقاهرة وكان على عزم الصيد في اعمال اليوم فحجم تلك الليلة عند الاهرام فقبل انه أصبح وركض خلف صيد فكباه الفرس مرة بعد أخرى فتمت له سقطه عت بها على الزمان سخطه فتفاقم ألمه وأقام يومين أو ثلاثه لا يستطيع له مخلوق اعانة ولا اغاثه ثم حم حمامه وأظلمت بنجيته أيامه وقبر في داره لينقل منها الى دار قراره ثم حوّل منها في الايام الافضل الى التربة المقدسة الشافعية وورد كتاب القاضي الفاضل تعزية به للملك العادل (أدام الله سلطان مولانا الملك العادل وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره وأعز نصر الاسلام بنصره وفدته الانفس الكريمة وأصغر الله العظام بنعمته فيه العظيمة وأحياه الله حياة طيبة بقف فيها والاسلام في مواقف الفتوح الجسيمة وينقلب عن بالامور المسئلة والعواقب السليمة ولا تنقص له رجالا ولا عددا ولا أعداءه نفسا ولا ولدا ولا قصر له ذبلا ولا ولدا ولا سجن له قلبا ولا كبدا ولا كدر له خاطر ولا موردا ولما قدر الله ما قدر في الملك العزيز رحمة الله عليه ونحياته مكررة اليه من انقضاء مهله وحضور أجله كانت بديهة المصاب عظيمه وطالعة المكروه أليمه فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبيل الى الجنة يسره

واذا محاسن أوجه بليت \* فغفا الثرى عن وجهه الحسن

فأعز زعي المملوك وعلى الاولياء بل على قلب مولانا بالاساءة الله ثوب العز اسرعة مصرعه وانقلابه الى مضجعه ولباسه ثوب البلا قبل أن يبل ثوب الشباب وزفه الى التراب وسريره مخوف باللسان والازراب وكانت مدة المرض بعد العود من الفيوم أسبوعين وكانت في الساعة السابعة من ليلة الاحد العشرين من المحرم والمملوك في حال تسطيرها مجموع له من مرض قلب وجسد ووجع اطراف وغليل كبدي وقد فجع بهذا المولى والعهد بوالده رحمه الله غير بعيد والاسى في كل يوم عليه جديد ووصل قبل هذا الى العماد كتاب من الفاضل فيه (وأنا على ما يعلم المولى من العزلة الا أنها بلاسكون وفي الزاوية المسنونة لاهل العافية الا أنى على مثل خدام المنون وكيف يعيش العاقل في الزمان المجنون ونحن على انتظار البرق الشامي أن يمطر وحاشى ذمة الوعد به أن تخفر واشتغال سيدنا في هذا الوقت بالدرس والتدريس والتصوير والتكليف والتصانيف التي تصرف فيها بالبلغة أحسن التصانيف نعمة تمنع شكرها على العلماء ويختص بالاذية بها ساداتهم من الفقهاء) قال العماد ولما توفي الملك العزيز خلف بنين



## في اخبار (٢٣٥) الدولتين

من شبه مخدله سداده وقد اختص لديه ونص عليه فاجتمع الامراء الصلاحية وكبيرهم ومقدمهم فخر الدين اياز سر كس ومنهم أسد الدين سراسنقروزيين الدين قراجه وعقدوا الامر لولده ناصر الدين ونعتوه بالملك المنصور وأخذوا له ايمان الجمهور قال وكانت الاسدية في الايام العززية الناصرية مغمورين وبالسبتلاء عليهم مقهورين وكبيرهم سيف الدين يازكوج وكان عند وفاة العزيز غائباً باسوان فلما بلغه ذلك حضر وجمع الاسدية واجتمعوا هم والصلاحية طاهر القهره فقال لهم نعم مارأيتوه من حفظ العزيز في ولده لكنه صغير السن لا يحتمل ثقل هذا الفن ولا يتدمن كبير من أهل البيت يريه ويدير الدواوين ويرتب القوانين وماها هنا الا الملك العادل وهو الآن في بلاد الشرق مشغول وماها هنا من هو أقرب منه وهو الملك الأفضل فقال الاسدية هذا هو الرأي الأرجح ولم يسع الصلاحية مخالفتهم فاتفقوا على استدعاء الأفضل من صرخد فخرج منه ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من صفر وسلك البرية فوصل الى القدس يوم الخميس وخرج اليه عسكره وساروا معه الى بيت جبريل ثم أغذ السير فلما قرب منهم في ناسع ربيع الأول تلقوه والى أعلى مرافق العلارقوه وسروا بقدمه وجرؤا لمرسومه قال وكان الناصرية آتتوا الى رفقا ثم بالشام انا أحوجننا الى الوفاق وتأ كيد الميثاق وقد كتب الى نور الدين بالحضور وضبط الامور وهو عندكم في صرخد وان وصل اليها انتظم أمره وتعهد فاجتهدوا في حصره وهو في حصنه ولا تسميوا بفكره نه ووصل الى دمشق بعض الكتب يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر فخرج عسكرها الى صرخد فوصلوا الى بصرى يوم الاربعاء فقبل لهم ان الأفضل أدج ليلاً واستحب نخباً وخيلاً فرجعوا الى دمشق وقبل للماء بالفضل بالبيت المقدس وجد في طريقه نخباً بام سرعاً فاستحضره واستكشف ورده وصدره فقال أنا نخب فخر الدين اياز سر كس وهي كتبه الى من يأنس به ويحبه فسلم منه الكتب وعاد النخب في خدمته فلما وصل الى القاهرة احتفل سر كس له وأضاف وقدم وغرم أموالاً ثم أبصر نخبه واقفابابه فأخبره الخبر فاستشعر من ذلك وتصور قضى وتبعه عسكره وزين الدين قراجه فوصلوا الى القدس وسكابه وعرف الناصرية حلية الحال فاخذوا في الانتقال وتوهم الأفضل من الباقين فقبضهم وحوى جوهرهم وعرضهم فنقرت الكلمة المجتمعة وتوقفت لهم المسرعة وأمر الأفضل بالخطبة لابن العزيز على جميع المنابر ثم الدعا له في الآخر ونقشت السكة أيضاً باسم الولد في البلد وغير البلد قال ولما استقر الأفضل بصرخد على قصد دمشق وحصرها وقالوا له اطلب بلدك الذي منه أخرجت وعن المقام فيه أخرجت ومالك في مصر ما يكفيك ودمشق لك بوصية أبيك وجاءته رسل أخيه الظاهر من حلب وهذا به وقال له انتز الفرصة فعمنا عما مشغول والى أن يتم من ماردن مراده وينضم الى بياضه سواده تخرج دمشق عن يده ويجهل اليوم فيها عن غده وأنا أصل اليك وأقدم عليك بالبندود والجنود والاساود والاسود فازالوا به حتى خرج بالعسكر واستناب سيف الدين يازكوج مكانه قال ووصل الى الملك العادل الامير سراسنقراً أحد الامراء الناصرية المفارقين فاستخسه على مفارقة ماردن وتواصل من الناصرية جماعة بعده وعندهم من الاستحاث ما عنده فحركه القول وتجرد عن العسكر واستحب معه الاميرين عز الدين ابن المتقدم وبدر الدين دلدرم وسرى ليلاً لخمس بقين من رجب وأوصى ولده الكامل أن يسير في مضائق حصن ماردن بسيرته ويقبض على بصرته ووصل الى دمشق يوم الاثنين حادى عشر شعبان وأخذ في تحصين البلد ووصلت العساكر المصرية يوم الخميس وأحاطت بدمشق ودخلها جماعة منهم من باب السلامة بلغوا الى السوق الكبير وأعلنوا الفتح بالكبير ولم يتبعهم أحد على هذا التدبير فخرجوا من باب الفراديس وكثروا على أعقابهم لمن وقف لهم من الكراديس واما الأفضل فانه وصل الى الميدان الأخضر وضرب فيه دهليز سرادقه وأقدم برواده وبوارقه فأشار عليه أمرؤه بالتأخر عن تلك المنزل وكان منهم زله فتلوا عند مبدان الحصا ثم تأخروا الى مسجد القدم وامتلأ ذلك الفضاء بضارب الخيم ففترت الصدمة الاولى وقصرت الصدمة الطولى وخمد الجرف فصار رمادا واستحالت تلك الامواج المتلاطمة ثماداً ولزموا منازلهم أكثر من ستة أشهر هناك وتمت فوارط عدمت الاستدراك وامتدت خيامهم من اقصى داريا الى القوطه وظنوا انهم أخذون بمخندق دمشق المضغوطة وكتب الملك العادل جماعة من أمراء العسكر المصري ففارقوه ودخلوا دمشق فأكبرهم واحترمهم منهم طغرل المهراني ويازا البانياسي وابن كهذان ومنقال الخادم وابن أخت السلطان ابن سعد الدين



## كتاب (٢٢٦) الروضتين

كشبهه وكثير الواصلون القاطعون لمن وراءهم واحسن العادل جزاءهم فنكثرت الاطماع وتتابعت الرؤس والاتباع ووصل الملك الظاهر ومعه أخواه النظار والمغزوباء هم الملك المجاهد صاحب حصن وعسكر حماه دون سلطانها وحسام الدين بشاره صاحب بانياس وهو شيخ الدولة وكبيرها وامينها واميرها وفي حمايته حصنات بنين وهونين وما يزال أسرى من كبراء الفرنج يدين الله عندهم هونين فرغبهم في السلامة والسلم والاحتمال والحلم وأشار على كل من الجانبين بتجنب المجانبه والتقرب بالمقاربة والمراقبة وجاءهم أيضا سعد الدين مسعود صاحب صفد وأخوه نور الدين مودود قال ولما جنبتوا عن مضايقة الحصار واصلوا قطع الاشجار وكسروا النهار ومنع كل ما يدخل الباد من نعمة ونعم وغنية وغنى حتى رزوا القوافل وصدوا الفروض والنوافل قال وكان الناصرية المقيمون بالقدس قد استولوا عليه وظفوا من ارتابوا به حواليه وأخرجوا منه المغاربة ورجاله وأجنداه الراتبه ومعهام الامير فارس الدين ميمون صاحب نابلس وعزالدين سامه صاحب كوكب ويسان ثم وصل الخبران سر كس ومن معه واصلون الى دمشق فتجرد من المحاصرين عسكر الى طريقهم وكانوا قد وصلوا الى طبرية وعبروا منها الى البقاع ونكثوا خلال تلك الضياع وسيروا الى بعلبك ما يحجبهم من الانتقال والاحمال وكان صاحبها الامجد في جانب الملك العادل وتجردوا حيلة وقطعوا هاليله وتوقلوا الجمال حتى أشرفوا على دمشق من عقبه دمر وقذفوا انعسكر فتقوى عسكر البلد فصاروا سكر وركبون ويقربون من العسكر المصري ولا يرقبون وحفر المحاصرون حولهم خندقا عميقا فصار لهم بدع الحصار شغل شاغل قال وعلى الجلة فظاهرهم صنع الا في قطع الماء ومنع الميره والمضايقة الكميته واحرق البساتين وتخرب الطواحين حتى اذا انحصت المواد ونفبت في البلد الزواد واضطرر والى التسليم واضطر رواعي التأخير والتقديم فتسلط الرعية على الملك العادل وحملوه على التسليم والاستسلام فتباينت آراء الملوك المحاصرين بمادبره العادل سيف الدين ولا بد لك من الاحتمال اذا صمم الصغار على الاغتيال وليس في ذلك بدعه فان الحرب خدعه فنفذ الى الظاهر في الباطن وقال له أنت السليمان وحكك على جميع الاماكن والمواطن وأبأسلم اليك دمشق على انها تكون لك لا لغيرك فقال الظاهر لآخيه الافضل قلدي في الانعام بدمشق منة المتفضل فقال له هذه لا تخلو من أقسام جالبات لا سقام أجلك ان لا تتولاها نواية السائب وان أخذتها دوني في النوائب وان أعطيتني عنها عوضا مما أعرف لك فيه غرضا فمالك ما يصلح ان تمنايض به دمشق وأنت لا تدعى لها العشق فتغير به ذراى الظاهر والله المطلع على الضمائر وقيل أرسل العادل وقال أسلم اليك دمشق بعد سبعة أشهر وتربص وتصبر فخذوا يميني وكووني الى ديني وظن انهم لا يوافقون وفي الحصر يضايقون فلما أجابوه الى هذا المثلث وقعة عوا في الاستضاء بهذا القدس عرف انهم نادون فيهم عليه من الحصر قادمون فعاد عن هذا البذل وردهم الى سنن العدل وقيل كان يكتب الى الافضل ان الامر انفصل مع الظاهر وانه يعاملك معاملة الامر لا المجاهر فخذ لنفسك وابذل معي وحشتك بانك ويكتب أيضا الى الظاهر ان الافضل قد صالحني وعلى الرضى صالحني وانك تحصل على المضاغنه وستفضي بك المبانيه الى المغابنه وقيل انه كان يكتب في كل يوم أجوبة كتب قوم لم يكتبوه ويحبهم عفا فيه لم يخاطبوه وخبنت تلك الملطفات في عجب لم تفرق على من يقصد العسكر من المساكين فاذا فتشوا عثر على تلك الملطفات فتمعت من كتب اليه ولا علم له بالآفات وعدوا من المخامرين فصارا كثر العسكر من المتهمين

(ثم دخلت سنة ست وتسعين) وهم على ذلك والشتاء قد هجم وكل بأمره مهمته ودهمهم أيضا خبر وصول الملك الكامل من الشرق وخرج من دمشق جماعة يظهرون انهم من الناصحين وترددوا اليهم ومنهم غادين ورائحين وأبرقوا وأرعدوا واولوا غدا يكون قدوم الملك الكامل في الجحفل الحافل ومعه من المال الصامت الى آية العادل فيستظهر بولده والمال والرجال فلا يقعد عن النهوض الى القتال والصواب ان تتأخر قليلا لفرحوا الى سفح جبل العقبة وبقيت أسواقهم ملوثة وباتوا تلك الليلة وهم لكل ما يحتاج اليه عادمون وعلى ما فرط منهم نادون وفقدوا حتى الماء للشرب وكانت تلك الحالة كسرة قبل الحرب فاضطربوا المحمل المحمل واضطربوا الى راحة الرحيل ووصل الكامل تاسع عشر صفر وقد جمع التركان واستمع بحب جنود الزهاجران ونزل في جوسق أبيه فاستبشر

## في اخبار (٢٣٧) الدولتين

السلطان برحيلهم وقدم ابنه وقضت خشية الله بأمنه وأقام الكمال حتى توجه أبوه الى مصر فخرج معه أياما ثم عاد ولم يؤثر ماقاما وانتقل الى حران والرها واستقام به أمرها وذلك حادى عشر ربيع الاول وأما المحاصرون فانهم انتقلوا من الكسوة الى مرج الصفر وسير الملكان الظاهر والمجاهد بعض الاتقال الى بانياس وأصحاب بقية الاجال الملك الافضل الى مصر وودعاه وكلاهما سار جريدا الى مقره واستقر بعد ذلك على امرار أمره وكما رحل القوم عن منزل أحرقوا ما لم يظفروا به المحمل وانتقلوا من مرج الصفر ولم يلووا على أحد ولم يعرجوا الى بلد وأخذوا في السير والسرى رذبت آسادهم تروم معاودة الشرى وتبعهم الصلاحية ينزلون بعدهم في منازلهم ويخلفونهم في منازلهم وكان القوم ظنوا انهم يقدرون بمرج الصفر على الاقامة فلقوا من البرد ما حضرهم على النجاة والسلامة وهذا المرج بقرب جبل الملح في تموز لا يقيم به الا لباس فروة فكيف في كانون وقد عرفوا انهم الجائون حيث لم يلزموا القانون وأرسلت الصلاحية الى الملك العادل يستجلبونه ويحشونه ولا يمهلونه فخرج يوم الخميس تاسع ربيع الاول وودع أعيان البلد وسار وتلا من تقدمه الى تل العجول وأقام حتى اجتمع اتباعه وأرسل الى الافضل العدل الخبيب أباً محمد وكان صلاح الدين رحمه الله يعتقد في صلاح دينه ويكنه من خواص حاجاته وبرسله في مهام الرسائل وكان مدلول الرسالة أرفق في السير ووافق على الخير فاعندك اليوم من يصدقك وأمالك كالوالد وأبلغك مقصودك وأحلفك ولا أخالفك وأوافقك ولا أفارقك فاشار على الافضل جماعته بان يرد جواب الرسالة ان مقاربتى لك بمباعدك للصلاحية منوطه وموافقتي بخالفهم مشروطه فلما سمع ذلك الصلاحية استشاطوا ونفروا واستدلوا به على ان ظفروا وجدجدهم واحتدحدهم فطوا المراحل الى السامح وكان الافضل على بلبس وقد تفرق معظم أصحابه الى أخبارهم وجماعة منهم مع العادل في الباطن كاتبوه وعلى الابطاء عاتبوه فسار الجمعان بعضهم الى بعض والتفتوا فانكسر أصحاب الافضل وانهمزوا فدخلوا القاهرة وأغلقوا الابواب للمحاصره وانتهى الى الافضل ان جماعة منهم أرسلوا الى العادل في اصلاح أحوالهم وانجاح آمالهم فقال سيف الدين يازكوج للافضل لكل زمان عمل ولكل أوان أمل فاصالح الامر كيف تهيا فلاملام على اللبيب باى زى تزا فشرع الافضل في اصلاح الامر مع عمه وراسله على ان يكون بحكمه ثم سلم الامر ومرسما وحصل له من التجربة ما عاد به بالعواقب عالما قال وخيم العادل بالبركة واستبد بملك مصر آمن من الشركة ونفذ المقطعين الى اقطاعهم ونظر للصلاحية في صلاح ضياعهم وأرسل الى الافضل ان وافقتنى على ما أعطيتك وقبلت سعديت فؤلا الذين عندك مامهم الامن كتب الى ونقرب وانتظر يومى هذا وترقب وهذه إضبارة كتبهم فتأملها وان لم تصدقنى فتسلها واعلم انهم غرورك وضروك وساؤوك بما سروك وقيل لم يبق من الامراء من لم يكتب اليه ولم يخامر الأربعة أخلصهم سيف الدين يازكوج فلما عرف الافضل صدق عمه سلم المسئلة وسأل المعدله فغمر للافضل في ديار بكر ميا فارقين واعمالها وجبل جور وحافى وجلين والمعاقل والحصون المحسوبة من ميا فارقين فرضى بهما مكرها وخرج الى الشام متوجها ليلة السبت سابع عشر ربيع الآخر في الليلة التي دخل العادل في بكرتها القاهرة فاستقر بدار السلطنة وقدم سيف الدين يازكوج وحكمه واستبقى رضى الناصرية بابقاء الخطبة لابن العزيز ولم ينافسهم مع حصول المعنى له في التفضيل والتميز وأقام وهو كل يوم في ارتناع وسياحه وقوته في عز وزياحه قال ورد القضاء الى القاضي صدر الدين عبدالملك بن درباس الكردى ولم يزل قاضى القضاة بالدار المصرية من الايام الناصرية وكان نائبه القاضي زين الدين على بن يوسف الدمشقي وتعصب الامراء المتغلبون على الملك العزيز في مراتبه بصرف صدر الدين وتولية نائبه ولم يزل صدر الدين مصر وفا تارة بمجيى الدين ابن أبى عصرون وتارة بزين الدين حتى تعصب العادل له وبعث العزيز على وده فلما انقضت أيام العزيز وجاء الافضل كان أول ما جعل عليه ان صدر الدين يعزل وتولى زين الدين القضاء فلما جاءت نوبة العادل في هذه السنة ردت صدر الدين الى منصبه ورد التدريس بالمدرسة الشافعية في التربة المقدسة وبالمشهد الشريف الحسينى الذى أجرى عليه حكم المدرسة الى شيخ الشيوخ صدر الدين ابن جويه وكتب اليه وهو بدمشق فاستدعاه وقد كان ذلك ولاه في عماله الجزرية أمور المناصب الشرعية والامور الدينية ومدارس الشافعية وربط الصوفية وهو قاضى قضائهما والى هدايتها وهادى ولايتها واه

## كتاب (٢٣٨) الروضتين

في مناصبه نواب وفي مراتبه أصحاب قال ولما دخل العادل القاهرة استشر أصحاب الدواوين مهابة الوزير صفي الدين ابن شكر الظاهره ونزل في الدار السلطانية في الحجرة الفاضلية وتصدّر في مكان مكاتبه وشهر من قلبه غضب شهامته وسيف صرامته وقع المتجبرين ووضع المتكبرين وأخذ قوس الوزارة باريها وأجرى الله الامور أحسن مجاريها قال ونذب العادل من الاسدية والصلاحية أميرين كبيرين الى الشام لاصلاح ذات البين بمحض وجهه وحلب وغيرها وهما سراسنقر وكرجى قال ولما ودّع الافضل عمه بالبركة سار الى صرخد وأقام بها ونذب الى البلاد التي بديار بكرم يستلمها ولما انفصل عن مصر وجد المواصلين له لمحبة مفارقين وكذا الدنيا ما تقبل على أحد ولا تمده بمدد الا تواردت على حياضه الجموع وتراحم في رياضه الرتوع فاذا صرفت عنه وجوهها صرف أهلها عنه الوجوه وأحلوها به فيها مكره المكره قال وأما الظاهر فان عمه أحسن اليه ووعده بعطاء جزيل ووّده ببناء جميل وأقطعه بأعمال دمشق خزرما وضياح السواد وشق عليه انه لا يجود ما يجوده وهو من الاجواد ووصل الى دمشق رابع جمادى الآخرة وسكن في جو سق بستانه بالنيرب وسلك طريقة الاحتراز والاحتباس واختار البعد عن مقارنة الناس ولزم السكنية ولم يدخل المدينة وطلب من القاضي بجامع النيرب خطيبا شافعيّا ليعلم بالصلاة فيه عن حضور الجامع بالبلد غنيا واحتياط غاية الاحتياط وطوى بساط النشاط

**(فصل)** قال العماد واستدعى العادل ابنه الكامل الى مصر ليستنيبه فيها وكان ببحران وهو في تلك البلاد نائب السلطان فسلم تلك الولاية الى أخيه الفائز ووصل الى دمشق سادس عشر شعبان ونزل بجوسق أبيه في بستانه ومعه خمس الدين المعروف بقاصي دارا وهو وزيره ومسحّته على المكارم ومشيره قال وخدمته بكلمة أولها

أنتم تحبون بالاعراض تعذبي \* وتقصدون بخلق الصنم تهذي  
ساروا فإني صحتي من ههنا حتى ارتحلي \* غابوا فإني عن مقلتي غيبي  
قد كان يهضمي دهرى فادركني \* محمد بن أبي بكر بن أيوب  
الكامل الممالك الاملاك حيث له \* رق الا عاجم منهم والاعارب  
معطر عرفة عرفا ومكرمة \* مخترط يند بالظهر والطيب  
لا يدعى جوده البحر الخضم ولا \* يلقي تأبيه في الشم الشناخيب  
دعك مصر الى سلطانها فاجب \* دعاءها فهو حق غير مكذوب

قال وعزمت على صحبته في هذه السفرة الى مصر فخرج في الثالث والعشرين من شعبان الى الكسوة وخرج سلطان دمشق الملك المعظم ليودّع سلطان مصر أخاه الكامل وصحبه الى رأس الماء مع عدّة من الامراء ثم ودّعه وانصرف وتشوّش مزاج الكامل بعده وانحرف ووصل الى العباسية في الحادي والعشرين من رمضان والتقاء والده العادل وانزله بالقصر ثم ركب اليه بعد يومين واستصحبه الى الدار ورتب أحواله على الاثار وكان قد عقد له على ابنة عمه الملك الناصر رحمه الله فادخله اليها ببني عليها قال وأصبح العادل يوم الاثنين سابع عشر شوال وركب بالسنيق السلطاني والمركب الخسرواني والسيف المسلوله والعقود المحلوّله وأمر الخطيبين بجامعي مصر والقاهرة بالخطبة له ولولده الكامل من بعده ليس بعد دعاء الخليفة الا الدعاء لهما وانقطعت الخطبة لابن العزيز وكان أحضر جماعة من الفقهاء والقضاة والكبراء والولاة وقال لهم قول المستفتي المستشير هل تصح ولاية الصغير فقالوا هذا مولى عليه فلا يلي وغيابات الحوادث بنظره لا تنجاب ولا تنجلي فقال فهل يجوز للمولى الكبير ان ينوب عنه الى أن يكبر ويرتب الامور بحكم النيابة ويدبر فقالوا اذا كانت الولاية غير صحيحة فلا تصح النيابة ومن رآه صوابا أخطأ به الاصابه لاسيما في السلطنة التي هي خلافة الخليفة فلاحق فيه الا لكبير الذي يعين على الحقيقة وجرى منهم في هذا المعنى الامعان فلما عرف الشرع أحضر الامراء والنس منهم الطاعة والسمع وخطبهم في الإيمان له والميثاق والزهم بالوفاء والوفاق فأبوا وخطبهم بممارعتهم وملا بالنقر بع اسماعهم ثم قال قد علمتم ما هو الواجب من التظافر على حفظ ثغور الاسلام وتدبير الممالك بمصر والشام وما هذا أمر يسايط بالصبيان أو يحاط بغير

## في اخبار (٢٣٩) الدولتين

ذى القدرة والسلطان فاذعنوا وأطاعوا وحصل الائتلاف ورفع الخلاف قال ولما أصبحنا يوم السبت شاهدنا الملك الكامل قد ركب مثل والده معقودا سبخة بمعاقده والمناصل مجذوبة والصواهل مجنوبة والاعين نازرة والالسن ذاكرة ومشى في ركابه من اليه تحبب والى السلطان تترب قال وركب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال الى برج المقسم والمقسم موضع على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذي قسمت فيه النعمة عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر ولما أمر صلاح الدين رحمه الله بإدارة السور على مصر والقاهرة وتولاها الأمير قراقوش جعل نهايته التي تلى القاهرة عند المقسم وبني فيه برجا هو مشرف على النيل ذو شرفات ومعقل ذو طبقات وثيق البناء رفيع الفناء وبني مسجدا جامعاً واتصلت العمارة منه الى البلد متتابعة الممد وهو منزه عن الاكذار والاقذار منزه وبالجنات مشبه والى البحر والبر بمنظرة الشبايبك موجه فاختار الكامل أن يجلس فيه يوماً للتفرج فجلس في الطبقة العليا واجتمع الامراء والاعيان في الطبقة الدنيا ثم مد السباط في الجامع ثم ذكر العبادانه مدحه ثم بكلمة أوها مغرم القلب مدنف \* وجده ليس يوصف \* وعدونا واخلفوا \* ووفينا ولم يفوا

قال وفي الحادى والعشرين من شوال قدم فلك الدين أخو العادل من دمشق قلت هو أخوه لاه واسمه أبو منصور سليمان ابن شرويه بن جلدك واليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي باب الفرائيس بدمشق وبها قبره قال العماد وفي هذا اليوم خطب للعادل وابنه الكامل والعادل في مهامه يستشير ويستدعيه والمرء كثير بأخيه ثم عاد الى دمشق بعد شهر قال وفي العشرين من الشهر خرج حاج مصر الى البركة وأمر عليهم نصير الدين الخضر ابن بهرام وكان الى المحلة وهو مستمر الولاية من الايام الصلاحية وجمعه من معروفي الاجناد وأمر انهاء مدة وكذلك جئ في هذه السنة حاج دمشق ومحبهم الأمير عز الدين سامه وكانت السنة مباركة والنعم متداركه والخير عام والخصب تام قال وانتظرنا زيادة بحر النيل في أوقاتها فبلغ الى احدى وعشرين أصبعاً من ثلاث عشرة ذراعاً فعاد بذلك كل قلب مر تاعاً ثم أخذ في النقص وهو مرجو الزيادة مأمول الوفاء على العادة فقط الناس ووقع الياس واشتد المحل وغلا السعر ويئس الفلاحون من الفلاح واجفوا من البلاد لا تنزاح وطار وأبأ حجة النجاة في طلب النجاح وقيل ان هذا النقص لم يعمد من عهد الصحابة وشرعنا في الاستغفار والانا به وصام الناس ثلاثة أيام قبل يوم الترويه وكانما أصابهم مصيبة فهم في التعزية ثم استسقا ثلاثة أيام الى العيد وأفاض الخطيب في ذكر الوعيد وغصت بالخلائق الامكنه وضجت بالادعية والضراعات الاسنة قال وفي السنة التي قبلها وهى سنة خمس وتسعين استدعى القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى الى بغداد وولى قضاء القضاة وكان متولى القضاء بما وصل فخرج في أواخر شعبان فلما وصل بغداد بجل وعظم وكان قدر تردى الى بغداد دفعات في الايام الصلاحية بسبب الرسالة فهو كان المعين لها كما تقدم ذكره (فصل) في وفاة جماعة من الاعيان في هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين قال العماد وفيها ثالث عشر جمادى

الاولى توفي في داره بدمشق الأمير صارم الدين قايمار النجمي وكان متولى أسباب صلاح الدين رحمه الله في مخيمه وبيوته يعمل عمل أستاذ الدار واذا فسخ بلداً سلمه اليه واستأمنه عليه فيكون أول من اقتض عذرتة وشام ديمته وحصل له من بلاد آمد عند فتحه ومن ديار مصر عند موت عاضدها أموال عظيمة وتصدق في يوم واحد بسبعة آلاف دينار مصرية عيناً وأظهرانه قضى من حقوق الله في ذمته ديناً وهو المعروف بالخير موصوف يحب اقتناء المفاتيح ببناء الربط والقناطر ومن جملته رابطات خسقين ورابطاتوى وله مدرسة مجاورة داره ولما كفى الله دمشق الحصر نهض وراء العادل الى مصر فرقة الى دمشق ليلزم خدمة الملك ولد المعظم ويكون من أقوى عدده وأوفى عدده وكان في خلقه زعارة وكانت حصافته مستعاره قال ولما دفن نبشت أمواله وقست رحاله وحضر أمناء القاضى وضمناء الوالى واخرجوا خبايا الزوايا وسموط النقة وخطوط النساء وغيره وارسم المنزل ومعالمه واستنبطوا دنائهم ودراهمه وحفروا أما كن في الدار وبركة الحمام في الجوار فحملوا أوقاراً من النضار وظهروا على الكنوز المحفية والدفائن الالفية فقيل زادت على مائة ألف دينار وهو قليل في جنب ما يحرز به من كذا وكذا قنطار

## كتاب (٢٤٠) الروضتين

واستقل ما طواه الحزن وأخفاه الدفن وقيل كان يكثري صحارى ضياعه ومغارات افطاعه قلت وانهم بعده جماعة بأن له عندهم ودائع وتأذى بذلك المتأبى منهم والطائع وداره بدمشق هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل دار الحديث في سنة ثلاثين وستمائة وأخرب الحمام الذي كان بجوارها وأدخله في ريعها وذلك في جوار قلعة دمشق بينهما الخندق والطريق ونظم مدرسته المعروفة بالقبازية قال العمادوني جمادى الآخرة من هذه السنة توفي يعني بمصر الحاجب لؤلؤ وكان في الأيام الصلاحية أشجع الشجعان وأفرس الفرسان وله مقامات في الغزاة ومواقف مع العداة وهو الذي نهض وراءه أرباب الفرنج الناهضة في بحرايلة إلى بر الحجاز وأتى في كسرهم وأسروهم بالانجاب والانعجاز وكانوا قطعوا الطريق في بحر عذاب على التجار وحصلت أموالهم تحت الاستيلاء بعد حصولهم تحت الأسار فأنقذوا واستنقذوا منازل حتى أخذوا وساقوا إلى القاهرة وأولئك الكفار مقهورين واعتقلهم بهما أسورين قلت وفيه يقول الرضى بن أبى حصينة المصري يخاطب الفرنج عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه \* والدر في البحر لا يخشى من الغير فأمر حسامك أن يحظى بنهرهم \* فالدرمذ كان منسوب إلى النهر

وقد قيل فيه أشعار كثيرة تقدم بعضها في أخبار سنة ثمان وسبعين قال العمادوني دلائل سماحه ما شاهدته بالقاهرة في سنة إحدى وتسعين من مبراته الظاهرة أنه لما حط الفتح طرحة ووصل المحل محله وتم الغلاء وعم البلا ابتكر هذا الحاجب الكبير مكرمة لم يسبق إليها وذلك أنه كان يخبز كل ليلة اثني عشر ألف رغيفاً فادأصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر القراء ثم يفتح من الباب مقدار ما يخرج منه واحد بعد واحد ويعلم أنه غير عائد فيتناول كل منهم قرصه ويرى ذلك من خيراته فرصة فإيرال قاعدا حتى يفرق الألوف على الألوف وكان هذا أدبه في هذا الغلاء حتى هب رخاء الرخاء حينئذ تنوعت صدقاته واستغرت بالصلاة أوقاته وكان بهي الشيب نقي الجيب قد جعل الله البركة في عمره وخصه مدة حياته بأمراء أمره فأنجده في أوان ضعفه بتضعيفه ولا شك أنه من الأولياء الأبدال والصالحين الصالحى الأعمال قال وفي يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة وأنا بالديار المصرية توفي الفقيه الكبير شهاب الدين الطوسي وهو أكبر الأئمة الشافعية ورئيسها واليه فتياها وتدريسها وهو من أصحاب محمد بن يحيى ومواجه الملوك بالحق المر وأندكر عليهم ما ينكر ونه من العرف و يعرفونه من النكر ولما وصل إلى مصر كان تقي الدين عر بن شاهنشاه بن أيوب متولياً فأعجبه سميت المذكور فولاد مدرسته بمصر وهي المعروفة بمنازل الزفوليا وأقام فيها مفيداً حتى فاز في جنة النعيم بفوزه وخلت منازل العزم من منازل عزه وأصبح الناس حول سريرهم من دجمن وعليه متوجعين فوصلوا به إلى القرافة معان الرحمة والرأفة وهناك الأصاغر والأكابر من الملوك والأمراء أمشاه وجنازته بما فيه من لباس التقوى مغشاه ولما انفضوا أيديهم من ترابه انفضوا من أبادى بركته مترين وبنار اللهب والتأهب عليه مضطرمين ونفى الخبر إلى جاه وعرف بن تقي الدين فولى قاضى دمشق محيى الدين بن الزكى بمصر ووقف أبيه وسيرتائه لتسلم ذلك وتوليه وكان اتفق حضوره عنده في الرسالة فاستمدى برشده إلى الضلالة قال وفي العشرين من جمادى الآخرة توفي الفقيه العالم بدر الدين بن عسكر رئيس الحنفية بدمشق قلت وقيل كانت وفاته في ناسع عشر جمادى الأولى ويعرف بابن العقادة قال وفي سابع عشر شعبان توفي بحلب الفقيه الكبير ظهير الدين عبد السلام الفارمى وكان أبرع فقيه وأفقه بارع ورد إلى أصفهان سنة تسع وأربعين ولقي بها العلماء المبرزين وخالط صدورهابنى الجندى وكان تفقه بكرمان وقرأ على فخر الدين الرازى من أكبر تلامذة محمد بن يحيى وتنفصل في بلاد خراسان والعراق ولقيته بمصر سنة اثنتين وسبعين في العهد الصلاحى وسامه السلطان المقام بها ليفوض إليه التدريس بقبر الشافعى رضى الله عنه فغير وما صبر وعاد إلى البلاد ثم وفد إلى دمشق في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين ثم سار إلى حلب في ثانی شعبان فكان من وفاته بهما كان قال وفي هذه السنة توفي بنيسابور الفقيه الكبير محيى الدين ابن محيى الدين محمد بن يحيى وفيها توفي صاحب آمد قطب الدين سكران ابن نور الدين قرا أرسلان وفيها مات بدمشق في العشر الأوسط من شعبان الهمام العبدى الشاعر البغدادى وهو أبو الحسن على بن نصر بن عقيل بن أحمد بن على بن عبد القيس من ربيعة

## في أخبار (٢٤١) الدولتين

وقدم دمشق سنة خمس وتسعين وهو أشعر من رأيته في هذا الزمان وسمعه ينشد الملك العادل ودمشق محصوره  
كله شاعره وصادفته ذاسمت حسن وفصاحة وحصافة ولسن ومعه ديوان شعره يحوى قلائد دره وفرائد شعره  
وتوفر على مدح الامجد صاحب بعلبك ومن شعره

وما الناس الا كامل الخطا قص \* وآخر منهم ناقص الخط كامل

وانى اسير من حياء وعفة \* وان لم يكن عدي من المال طائل

قال وتوفي في هذه السنة قبل الفاضل بثلاثة أيام الاثر بن بنان وكان مشغولاً في الدولتين بكل قبول واحترام  
واحسان وكان السلطان لما تصرف في القصر ولا يبيع موجوده وبذل في نصرته غاية مجهوده وما فرغ من  
شغله أبقا على رسم انعامه كله واستمر امراره واستقر قراره وجلس في بيته يسمع عليه رواياته العالمة  
حتى أدرك أيام الملك العزيز ولم يدرك في العز املا ولم يملك إلا حتى تغير خلقه وتقل رزقه وتبطل حقه وآل أمره  
الى اعتقاله بالديون واحتباسه في رهون ومن غاظه وزير العزيز وكان مؤذبه في الصغر واستوزره في الكبر  
واسمعه ما كرهه وقال له ما أحسن ما أدبت مخدومك وخرجته وعلى مراتب اخلاقك درجته وقال للفاضل  
انا لمصتك في أيام شاور مرتين ودافعت عنك دفعتين وهذه قصائدك في مدحى ومقاصدك لمنحى وكان  
يعرف لتقدم عهدده وانتقاله في الحالات مبادئ أرباب المناصب الى الغايات فكرهه الذواب ودحضوه  
ولما راض النواصب عترضوه وكان بالتماهرة جارى وباب داره مقابل باب دارى وأنا أعينه في الايام الصالحة  
باصلاح اعانه واصونه بأرخص صيانه

(فصل) في وفاة القاضي الفاضل رحمه الله قال العماد في هذه السنة تمت الرزية الكبرى والباية العظمى  
وجيعة أهل الفضل بالدين والدنيا وذلك بانتقال القاضي الفاضل من دار الفنا الى دار البقاء في داره بالقاهرة  
سادس ربيع الآخر يوم الثلاثاء وكان يعني ذلك اليوم بمصافى الافضل يوم الكسره وبمصافى الفاضل يوم الحسره  
وذكر انه ليلة الثلاثاء في مدرسته صلى العشاء وجلس مع الفقيه ابن سلامة مدرسا وتحدث معه ما شاء  
وشوهد من كل ليلة ابش وأبسم وأهش وقد طابت المحاضرة وطالت المسامرة وانفصل الى منزله فصيح البدن  
فصيح اللسان وقال لغلامه رتب حوائج الحمام وعرفنى حين أقضى منى المنام فوافاه سحر اللالاعلام فما كثر  
بصوت الغلام ولم يدرك كالم الحمام حتى من الكلام وان وثوقه بطهارته من الكوثر أغناه عن الحمام فبادر اليه ولده  
فالفاه وهو ساكت باهت فعرف ان القدر له باغت فلبث يومه لا يسمع الا أنين خفى علم منه انه بعهد الله وفى  
ثم قضى سعيدا ومضى شهيدا جيدا فوقاه الله تعالى الوصية فكانت له بسيد الاولين والآخرين اسوه وان تردى  
عن رداء العمر فله من حلل البقاء في عليين كسوه ولانه لم يبق في مدة حياته عملا صالحا الا وقدمه ولا عهد فى الجنة  
الا حكه ولا عقد فى البر الا أبرمه فان صنائعه فى الرقاب وأوقافه على سبيل الخيرات متجاوزة عن الخراب  
لا سيما أوقافه لفكالك أسرى المسلمين الى يوم الحساب وأعان طلبة الشافعية والمالكية عمدا داره بالمدرسة والايام  
بالكتاب والخبرات الدارة على الايام فكانت حياة ثانية الى يوم البعث واعادة حياة الانام وكان رحمه الله  
للحقوق قاضيا وفى الحقائق ماضيا سلطانه مطاع والسلطان له مطيع وفضله جامع وشمل الفضل به جميع وهو  
واحد الزمان وصاحب القران قد خصه الله بالمكانة والامكان والسلطان رحمه الله من مفتحات فتوحه  
ومحتماتنا ومبادئ أمور دولته وغاياتها ما افتتح الاقاليم الا باليد آرا به وآرا به ومقاليد غنايه وغنايه وكنت  
من حسناته محسوبا والى مناسب الآيه منسوب اعرف صناعته ويعرف صناعتى وأعارض بضاعته الثينة بهزجة  
بضاعتى ولم يزل يجذب بضبعى ويجلب نفعى وما أوسع درعه للخطاب فى شغلى اذا ضاق بالخطب الشاغل ذرى  
وكانت كتابته كتائب النصر وبراعته رافعة الدهر وبراعته بارية للبرية وعبارة نافذة فى عقد السحر وكانت بلاغته  
للدولة تجملة وللملكة مكهبة والعصر الصلاحى على سائر الاعصار مفضله ومفتحات فى الفتوحات البديعة بديعه  
ومختبراته فى الصنائع المختبرعة صنيعه وانما نسجت على منواله ومنجت من جرياله ورويت بزلاله وهو الذى

## كتاب (٢٤٢) الروضتين

نسخ أساليب القدماء بما أقدمه من الأساليب وأغربه من الأبداع وأبدعه من الغريب وما الفيتة كردداء ذكره في مكاتبته ولا رد لفظاً في مخاطبته بل تأتي فصوله مبتكرة مبتدعة مبتدعة لا مفتركة بالعرف والعرفان معرفة لانكره وكانت الدولة باد التمدد والازالة بازالتة تزال والكرام في ظله يقيلون ومن عثرات النوايب بفضله يستقيلون وبعزجى حمايته يعززون ولهم عطف عطفه يهتزون فالى من الوفاة بعده ومن الافاده وفيمن السيادة ومن السعادة والحمد لله الذى له الغيب والشهادة وانا لله وانا اليه راجعون ولا مره منقادون وقد وصفه العماد أيضاً في كتاب الخريدة في القسم الرابع في ذكر محاسن فضلاء مصر واعمالها فقال وقبل شروعى في ذكر أعيان مصر وأحسنها ومن أفاضلها ومن أئمتها أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأماثل العصر كالقطرة في تيار بحره بل كالرزة في أنوار بحرته وهو المولى القاضي الاجل الفاضل الاسعد أبو على عبد الرحيم بن القاضي الاشرف أبى الجعد على بن الحسن بن البيهاسى صاحب القرآن العديم الاقران وواحد الزمان العظيم الشأن رب القلم والبيان واللسان والناسان والقرينة الوقادة والبصيرة النفاذة والبدية المعجزة والبدية المطرزة والفضل الذى ماسمع له بمائل في الاوائل من لو عاش في زمانه لتعلق بغيره أوجرى في مضماره فهو كالشريعة المجدية التى نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع يجترع الافكار ويتجرع الابكار ويطلع الانوار ويبدع الازهار وهو ضابط الملك بارائه ورابط السلك بالائه ان شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعه مالدون لكان لاهل الصناعة خير بضاعة أين قس في مقام حصافته ومن حاتم وعرو في سماحته وحجاسته فضله بالافضل حال ونجم قبوله في أفق الاقبال عال لامت في فعله ولا ميين في قوله ولا خلف في وعده ولا بطء في رفده الصادق الشيم السابق بالكرم ذوالوفاء والمرؤه والصفاء والفتوة والتقى والصلاح والندى والسماح منشرفات العلم وناشر رايته وجالى غيايات الفضل وتالى آياته وهو من أولياء الله الذين خصوا بأكرامته وأخلصوا لولايته قد وفقه الله للخير كله وفضل هذا العصر على الاعصار السالفة بفضله ونبله فهو مع ما يتولا من اشغال المملكة الشاغلة ومهماته المستغرفة في العاجلة لا يغفل عن الآجلة ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته ونوافل صلاته وحفظ أوراده ووظائفه وبث أصفاده وعوارفه ويختتم كل يوم من القرآن المجيد ويضيف اليه ما شاء الله من المزيد وانا أوثران أفرد لنظمه ونثره كتابا فاني أغار من ذكره مع الذين هم كالشمس في فلك شمسهم وذكائه كالنثرى عند ثريا علمه وذكائه فانما تبدوا النجوم اذ لم تبرز الشمس حاجبها وتحجب نور الغزاة عند اشراقها كواكبها وانه لا يؤثر أيضا اثبات ذلك فانما تمتثل لامره المطاع ملتزم لقانون الاتباع واضع أدنى لادنه قابض يمينى على يمينه راسكن باملى الى ركنه قاطن برجائى في ظل أمنه اقترض رضاه ولا اعتراض على ما يحكم به وبراه ولا أقوم الا حيث يقينى ولا أسوم الا ما يسومنى ولا أعرف يد المكنى غير يده ولا أنصدى الا لما جعلنى بصدده وأسأل الله التوفيق للثبات على هذا السنن وابتهاج جسده وهو أحق مدوح بمدحى وأقضاهم بحقه وأسماهم في أفقه واولاهم بصدقه وأهداهم الى طريقه ولى فيه مدائح منظومة ومنشورة ومقاصد معاهد مسمورة وقصائد لائدها على مجده موفوره ثم ذكر منها بعض ما تقدم ذكره في مواضع من هذا الكتاب وله فيه من قصيدة أولها

بجياتكم ما عندكم بعدى \* فسوى الاسى ما بعدكم عندى  
مالا حبة لا عند متهم \* رغبوا عن الاسعاد فى الزهد  
ان لم يفوا فافقد وفى كراما \* عبد الرحيم بذمة المجد  
ذو الرتبة الشماء والشرف السعالى السنا والسودود العبد  
الناس كلهم له تباع \* فى فضله والدهر كالعبد  
كم غاص بحر بنائه فقدا \* درالبيان يساقى فى العقد  
ان سودا البيضاء يضر من \* ثوب اللبالي كل مسود  
فلم أقاليم البلاد به \* ونغورها للضبط والسد



## في اخبار (٢٤٣) الدولتين

ملك كتيبتيه كتابته \* فرد بجيش النصر في جنس  
الاسمر الخطى تابعه \* في حكه والايش الهندى  
والنائبات بحمد ابداء \* مملوكة مغولة الحمد

وهي طويلة ثم قال ولو اوردت من كلامه طرفا لظهر عجز الافاضل واعترفت بالقصور وذو الفضائل فلا يحسن ذكر  
البحر في الجداول ولا العرش في المنازل فانا اؤثر ان افرد به قسم لا يتجزأ بسواه ولا يتبرج به من في جملة  
اوردناه ولعله يأذن لي في ذلك فلا سبيل اليه الا باذنه ولا نفاذ لئلا تصرف الا بعد الفكك من رهنه ثلث وقد قالت  
الشعراء فيه فاكثروا وقد تقدم لابي الحسن بن الذروري فيه أبيات حسنة عامي حجه وللتاج ابي الفتح البلطى فيه

لله عبد رحيم \* بدعي بعبد الرحيم  
على صراط سوى \* من الهدى مستقيم  
يغنى الى شرف في \* ذرى المعالي صميم  
مهذب حاز ما شئت من تقى وعالم  
نسك ابن مريم عيسى \* وهدى موسى الكليم  
يرى التهجد انسا \* في جنح ليلى بهيم  
مسهد الطرف يتلو \* أى القرآن العظيم

وللقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك فيه من قصيده

عبد الرحيم على البرية رحمة \* امننت بصحبتهما حلول عقابها  
ياسائلا عنه وعن أسبابه \* نال السماء فسد له عن أسبابها  
والدهر يعلم ان فيصل خطبه \* بخطى براعته وفصل خطابها  
ولقد علمت رتب الاجل على الورى \* بسمو منصبها وطيب نصابها  
واتته خاطبة اليه وزارة \* واطالما اعيت على خطابها  
ما قبى وهبها لان بعلمها \* اسماءه أغنته عن القابها  
مال الزمان لغيره اذ رامها \* تربت يمينك لست من أترابها  
اذهب طريقك لست من آرابها \* وارجع وراءك لست من أربابها  
وبعز سيدنا وسيد غيرنا \* ذلت من الايام شمس صعابها  
وانت سعادته الى أبوابه \* لا كالذى يسعى الى ابوابها  
تعذو الملوك لوجهه بوجوهها \* لابل تساق لبابه بربابها  
شغل الملوك بما يقول ونفسه \* مشغولة بالذكر في محرابها  
في الصوم والصلوات اتعب نفسه \* وضمان راحته على اتعابها  
وتجهل الاقلاع عن لذاته \* ثقة بحسن مآلها ومآبها  
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها \* منسه ودارس علمها وكتابها  
صوامها قوامها علامها \* عما لها بذاتها وهابها

وله فيه أيضا من أخرى

وسألت من أى المعادن ثغرها \* فوجدت من عبد الرحيم المعدنا  
ابصرت جوهر ثغرها وكلامه \* فعلمت حقا ان هذا من هنا  
ذاك الكلام من الكمال بمنزل \* لا يدرك الساعى اليه سوى العنا  
يدنو من الافهام الا انه \* تلقاه ابعد ما يكون اذا دنا



## كتاب (٢٤٤) الروضتين

قلت كان والد دولي القضاء بعسقلان وانهذ ولده الفاضل الى مصر فاتصل بكتاب الدولة المصرية ابى الفتح ابن قادوس وغيره وفتح الله عليه في سنة الصناعة ففاق فيها أهل عصره مضاعفا الى ما منحه الله تعالى من علوقه وقدم سبق من ترسلاته ما يشهد لعظيم أمره وقرأت من نظمته

وسيف عتيق لالعلاء فان يقتل \* رأيت ابا بكر قفل وعتيق  
فزرباه فهو الطريق الى الندى \* ودع كل باب ما اليه طريق

وله ايضا

سبقتكم باسداء الجبل تكرا \* وما مثلكم فيمن تحدثت أوحكى  
وقد كان ظني ان اسابقكم به \* ولكن بكنت قبلي فتهيج الى البكا

ودفن رحمه الله بمقبرته بالقرافة وقرأت في تاريخ ابى على حسن بن محمد بن اسماعيل القليوبى الذى ذيله على تاريخ ابى القاسم السمنانى قال حدثني الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين ان يوم موت الفاضل اتفق دخول الملك العادل الى مصر وأخذها من ابن أخيه الافضل فال دخل العادل من باب وخرجنا من باب آخر قال وأكبر أهل مصر يزكرون ان كتبه التي جمعها مقدار مائة الف مجلد وكان يجمعها من سائر البلاد قال وسمعت فاضى القضاة ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزورى ببغداد أيام ولايته يحدث ان الفاضل لما سمع ان العادل أخذ الديار المصرية دعا على نفسه بالموت خشية ان يستدعيه وزيره صفى الدين ابن شكر اليه او يجرى فى حقه اهانة وكان بينهما مقارصة فاصبح ميتا وكنت له معاملة حسنة مع الله تعالى وصلاة بالليل كما ذكر واعنه رحمه الله قلت واخبرنى القاضى الشهيد ضياء الدين بن ابى الحجاج صاحب ديوان الجيش رحمه الله ان القاضى الفاضل بعد صلاح الدين لم يخدم أحدا من اولاده وكنت الدولة بأسرها تاتى الى خدمته الى ان توفى قال ولما قدم مصر وملكها بات واصبح فزار قبر الشافعى رضى الله عنه وجاء الى قبر الفاضل فزاره قال ابن ابى الحجاج وانا حاضر ذلك

ثم دخلت سنة سبع وتسعين هـ قال العماد فنيها توفى الامير عز الدين ابراهيم بن شمس الدين بن محمد بن المقدم فى حصن اقاميه وفيها اوفى سنة ست قبلها توفى السلطان خوارزم شاه بن تكش بن ايل ارسلان بن انشز بن محمد وهو الذى زالت دولة السلجوقية بملكه واجتمع له مع خوارزم خراسان والعراق ولما مات قام ولده علاء الدين مقامه قال وفيها كتب السلطان العادل للامير خراسان يازن كس باعمال تبين وهونين وبانياس والحولة وما يجرى معها وكانت مع الامير حسام الدين بشاره فحاصره وانجده الملك المعظم عيسى ابن السلطان من دمشق فسلم البلاد وخرج قال وفيها توفى الامير بهاء الدين قراقوش وهو من القدماة الكرماء وشيوخ الدولة الكبراء أمير الاسدية ومقدمها وكرمها ومكرمها ولم ار غيره خصلها تقاومه الفحول ولم يدثر فى محال مآثراته المحول وله فى الغزوات والفتوحات مواقف معروفة ومقامات موصوفة وهو الذى احتاط على القصر حين استتب على متوليه أسباب النصر وذلك قبل موت العاضد بمدة ولما خطب لى العباس بالديار المصرية تسلم القصر بما فيه واستظهر على أقارب العاضد وبنيه وتولى عمارة الاسوار المحيطة بمصر والقاهرة والى فيها بالجانب الظاهر وكان معاذ الالتجاء وملاذ الالتجاء غير انه نسب الى اللجاج لشدته ثباته وفطر جوده ولا يكاد يحجم لصلاية عوده ولما توفى تسلم العادل داره بما حوته من الذخائر وصارت اقطاعاته للملك الكامل قال وفيها نقل الى العادل عن غلام الامير ايمك الفطيس ان جماعة قد عزمو على الفتك بالعادل حال ركوبه وأسند اصل ذلك الى الملكين المعز اسحق والمؤيد مسعود ولدى صلاح الدين رحمه الله فاحضر الغلام وعصره فأت ولم يقر واعتقل المعز والمؤيد ونزع من اتمهم فى ذلك من الامراء الصلاحية وتكلم الناس باحاديث فى هذه القضية قال وفى هذه السنة اشتد الغلا وامتد البلاء ونحقت النجاعة وهلك القوى فكيف الضعيف ونهك السمى فكيف العجيف وخرج الناس حذر الموت من الديار وتفرق فرق بمصر فى الامصار ورايت الارامل على تلك الرمال والجال باركت تحت الاحمال ومراكب الفرنج على ساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم فقل من الى الشام خلص الابدان قل عدد أهلهم ونقص قلت ثم زالت تلك الشدة بعد مده وتوفى العماد

## في اخبار (٢٤٥) الدولتين

الكاتب رحمه الله مصنف هذه المكتبة الفخيم والبرق وهذه الرسائل الثلاث العتيبة والنخلة والخطقة بدمشق في أول شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ودفن بمقابر الصوفية بالشرف القبلي وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ وغيره رحمه الله وتوفي الملك الأفضل بدمشق سنة اثنين وعشرين وستمائة وحمل إلى حلب فدفن بها وتوفي الملك الظاهر بجلب في سنة ثلاث عشرة وستمائة وفيها توفي بدمشق الشيخ تاج الدين أبو الين زيد بن الحسن الكندي ودفن بالجبل وغيره رحمه الله وتوفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب بدمشق في سنة خمس عشرة وستمائة وابنه المعظم في أواخر سنة أربع وعشرين وستمائة وأخوه الأشرف الكامل في سنة خمس وثلاثين وستمائة رحمه الله ووفق من بقي من أهل بيتهم وأصلح ذات بينهم آمين

ثم الجزء الثاني من الروضتين وبتمامه تم جميع الكتاب والمجد لله وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل وافق الفراغ من نسخة في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم الحرام افتتح سنة ثلاث وعشرين ومائة والف غفر الله لكاتبه وقارته ولمن رأى عياداً وصالحه وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والديناء لمن يقول آمين

قال الفقير إلى مولاه المعيد المبدى المدعوب إلى السعور أفندي المترجم بقلم الترجمة بديوان عوم المدارس المصرية والقائم بوظيفة تحرير صحيفة وادي النيل العصرية تم بحمد الله طبع هذا الأثر الجليل والسفر المفيد الجميل بمطبعة وادي النيل المملوكة له الكائنة الآن في داره بعطفة درب المذبح بشارع باب الشعريه من الحاضرة القاهرة وقد كان هذا الكتاب ظللاً من تحريف النساخ عافياً فباعناه الله سبحانه وأحييناه وكان رسمنا من تحريف الكتاب وإهياها فبقدره الله جل شأنه رفعنا مناره وأعليناه وكان جداراً يريد أن ينقض بحرور الزمن فبتوفيق الله الحسن أقتناه رجاء أحياء الشعائر الإسلامية وإبقاء الآثار التاريخية العلمية عسى أن يطلع على أحوال من ذكر فيه بعض من يوقه الله للاطلاع عليه من أرباب الجاه والسطوة فيكون له فيه ان شاء الله تعالى أجل عبدة وأحسن

أسوه وكان ختام طبعه وتمام تجميع نفعه من نسخة أصل باليد فريدة تظهرنا بها

في المكتبة الخديوية في أواخر شهر رجب الفرد سنة ١٢٨٨ م

الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ولا ملام ولا احتاب

إذا كان قد فات علمنا بعض غلط في تصحيح هذا الكتاب

فان سير الطبع لا يتحمل المهمل والعمل صعب والنقد

امهل وهل سلم كتاب مطبوع من فهرست

خطأ وصواب وآخذ وعوانا من

فضل الاضحاب وغاية

رجانا من محبة

الاحباب

وان تجد عيباً فسد الخلا \* فجل من لا عيب فيه وعلا



## (ترجمة المؤلف)

وهذه هي ترجمة مؤلف الكتاب المسمى بالروضتين في اخبار الدولتين  
وجدت على نسخة الاصل منقولة من كتاب فوات الوفيات لابن شاكر فأوردناها هنا احياء لذكر  
صاحب التصنيف وتعريف القيمة هذا التأليف الشريف

وهو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان الامام العلامة ذوالفنون شهاب الدين أبوشامة المقدسي الاصل  
الدمشقي الشافعي الفقيه المقرئ النحوي ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق وكانت وفاته سنة خمس وستين  
وسمائه ودفن بمقابر باب كيسان قرأ القرآن العظيم وله دون العشر وجمع القراآت كلها سنة ست عشرة على  
الشيخ علم الدين السخاوي وسمع بالاسكندرية من الشيخ أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز وغيره وحصل له سنة  
تسع وثلاثين عناية بالحديث وسمع أولاده وقرأ بنفسه وكتب الكثير من العلوم وأتمن الفقه ودرس  
وأفتى وبرع في العربية وصنف شرحا نفيسا للشاطبية واختصر تاريخ دمشق مرتين الاول في عشرين مجلدا  
والثاني في عشر وشرح القصائد النبوية للسخاوي في مجلدوله كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية  
والصلاحية وكتاب الذيل عليهم اكتاب شرح الحديث المقتنى في مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم وكتاب  
ضوء القمر الساري الى معرفة الباري والمحقق في علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول وكتاب البسملة الاكبر  
في مجلد وكتاب البسملة الاصغر وكتاب الباعث على انكار الباطل والحوادث وكتاب السوال وكشف حال  
بنى عبید والاصول في الاصول ومفردات الترا ومقدمة نحو ونظم المفصل للزمخشري وشيخون البيهقي وغير  
ذلك وذكر انه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة وولى مشيخة الاقراء بقرية الاشرفية ومشيخة دار  
الحديث الاشرفية وكان متواضعا مطرحا لكلف أخذ عنه القراآت الشيخ شهاب الدين الكفري والشهاب أجد  
اللبان وزين الدين أبوبكر بن يوسف المري وجماعة وقرأ عليه الشاطبية الشيخ شرف الدين الفراري  
الخطيب ودخل عليه اثنان جليلان الى بيته الذي بآخر المعمور في طواحين الاسنان ومعهم فتوى فضر به ضرا  
مباحا كاد يتلف منه ولم يدر به أحد ولا أغاثه وتوفي رحمه الله في ناسع عشر رمضان ودفن بباب انفراديس وقيل  
بباب كيسان قال رحمه الله تعالى جرت لي محنة بداري بطواحين الاسنان فألهم الله الصبر ولطف وقيل لي  
اجتمع بولاية الامر فقلت أنا قد قوضت امرى الى الله تعالى وهو كفيينا وقلت في ذلك شعرا

قلت لمن قال أما شئتكي \* ما قد جرى فهو عظيم جليل

يقيض الله لنا عاجلا \* من يأخذ الحق ويشقى الغليل

إذا توكلنا عليه كفى \* وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن نظمه في السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل الا ظله قوله شعر

امام محب ناشئ متصدق \* وبالمصل خائف سطاوة الباس

يظلمهم الله الجليل بظلمه \* اذا كن يوم العرض لا ظل للناس

أشرت بألفاظ تدل عليهم \* فذكرهم بالنظم في بعضهم قاسي

وقال في المعنى أيضا

وقال النبي المصطفى ان سبعة \* يظلمهم الله العظيم بظلمه

محب عفيف ناشئ متصدق \* وبالمصل والا امام بعده

(اه من كتاب فوات الوفيات لابن شاكر)



﴿فهرست﴾

مالايد من التنبيه عليه من الخطأ والصواب في الجزء الثاني من هذا الكتاب

صفحہ	سطر	خط	صواب
۲	۱۲	لثقیل	الثقیل
۹	۷	بطشہ	بیطسہ
۹	۲۴	قلج	قلج ارسلان (وہکذا)
۱۷	۱۹	فلاد	بلاد
۲۰	۰۵	المجبورین	المجبرین
۲۲	۳۶	أوعذنا	أوعزنا
۴۰	۳۳	نقوة	بقوة
۴۴	۲۱	سحق	سنجق
۴۷	۳۴	بيطشة	بيطسہ
۴۸	۷	بيطشة	بيطسہ
۵۳	۱۵	عزيز المروءة	غزير المروءة
۵۴	۳۶	تقراص لبرد	تقرص البرد
۹۴	۳۲	بن ملك	بن فلك
۱۴۰	۳۲	فتقنظر	فتقطر
۱۴۱	۲۳	تقنطرت	تقطرت
۱۴۱	۲۴	فتقنطرت	فتقطرت
۱۷۴	۲۱	وادنا عطاياك	وادنى عطاياك
۲۰۱	۲۹	ويسألناه	ويسألانه
۲۰۸	۲۱	بديع التهمل	بديع التهمل

هذا ولى الميزل يوجد في طبع هذا السفر الشريف بعض تحريف وتصحيف كمنقص بعض نقط  
او عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تخفى على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده  
هو المنزه عن الغلط والسقط وهو العليم الخبير













